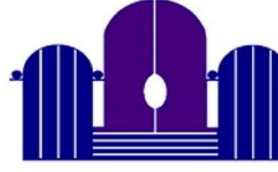


الدراسات في مركز الدكتوراه:
الآداب والعلوم الإنسانية
تكوين: الحوار الديني والثقافي
في الحضارة الإسلامية



جامعة السلطان مولاي سليمان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بني ملال

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

في موضوع :

مفهوم الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي

إشراف فضيلة الأستاذ:
الدكتور عبد الناصر أوقسو

إنجاز الطالب الباحث:
نور الدين النوحى

رقم التسجيل بالكلية : 10/2015

السنة الجامعية:

1441-1442هـ/2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من نور الوحي

قال الله عز وجل: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } سورة الثغابن، الآية 2

إهداء

إلى من ضحت من أجلي وقدمت لي الكثير لإسعادي على الدوام،
أمي الحبيبة ..

إلى أبي الغالي ..

إلى إخواني وأخواتي وأهلي ..

إلى أصدقائي وأساتذتي ..

إلى كل غيور على دين الله ..

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع سائلاً الله عز وجل الإخلاص والقبول.

شكر و تقدير

الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، أحمده سبحانه وأثني عليه، وأصلي وأسلم على محمد عبده و
رسوله، وبعد،

فإني أشكر الله تعالى على هذه النعمة حيث يسر لي إنجاز هذا العمل بفضلہ وتوفيقہ، فله
الحمد أولا و آخراً.

ثم أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الناصر أوقسو على قبوله الإشراف على هذا
البحث، والذي كانت صلته وثيقة به، تنبعا وتوجيها، فله من الله الأجر ومني كل تقدير.
كما أقدم بالشكر للأستاذين الفاضلين الدكتور الشاهد البوشيخي والدكتور سعيد
شبار على مساعدتي في اختيار موضوع الرسالة و البحث فيه.
وكذلك أشكر:

- الأساتذة الفضلاء الدكتور عبد الرحمن عضو اوي والدكتور الساهل بن سالم
والدكتور محمد أزهرى والدكتور رشيد نشيد وغيرهم في وحدة النكوين
على تشجيعهم للطلبة الباحثين ودعمهم المتواصل.
- والدي وإخواني وأخواتي وزوجتي الذين وقفوا بجانبني طيلة مسيرة البحث.
- كلية الآداب ببني ملال بكافة أطرها وموظفيها على مساعدتهم في إنجاز هذا
العمل.

- كل من قدم لي العون لإنجاز هذه الأطروحة.

أسأل الله أن يجزي الجميع عني خيرا والحمد لله رب العالمين.

مقدمة:

1- تمهيد:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } سورة آل عمران/102.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } سورة النساء/1.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } سورة الأحزاب/70-71.¹

أما بعد،

فمن سنن الله الكونية والشرعية الجارية على خلقه انقسام الخليقة إلى مؤمنين وكافرين ؛ وهذه البديهة لا تحتاج إلى إقامة الأدلة؛ لأن الوقوع أشد ظهوراً من استتطاق أي دليل، قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} سورة التغابن/ 2.

فالکفر هو مشكلة إنسانية، وهو من أكثر القضايا التي تناولها القرآن الكريم بالتفصيل، وللتأشير على الحضور القوي لهذه القضية في القرآن الكريم، نذكر أن الكلمة ومشتقاتها " تكفرون، كفروا، كافرين، كفار ، كفورا.." وردت في القرآن الكريم ورودا واسعا من خلال ثمانية عشر اشتقاقا تكون في مجموعها خمس مائة وستة وعشرين موضعا (526) ، وقد قرر القرآن أن الكفر طبع راسخ في الإنسان، أي إنسان، قال الله تعالى {وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } سورة الإسراء/ 67 ، { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } سورة إبراهيم/34.

ومشكلة المسلمين مع القرآن أنهم حين يمرون بالآيات التي تعالج أمراض البشرية، مثل الكفر والشرك والظلم والطغيان، فإنهم يظنون أنها تقصد الأمم الأخرى، مثل اليهود والنصارى وغيرهم، أما هم فمبرعون من ذلك، وهم خير أمة أخرجت للناس، وما دام هذا هو ظنهم، فلن يستفيدوا من هذه الآيات شيئا وستصبح تلاوتها لونا من الترف، أو من باب المعرفة المجردة التي لا ينتج عنها عمل وتغيير.

الحقيقة أن هذه القضايا التي يثيرها القرآن هي مشكلات إنسانية، أي أنها تصيب الإنسان كإنسان، أيأ كان دينه وبلده وقومه، ولا أحد محصن من الإصابة بها، مثلها كمثل أي مرض بيولوجي، لا يفرق بين أحد من الناس باعتبار دينه أو نسبه، ولو كان أحد أولى بألا تصيبه هذه الأمراض، لكان هو خير البشر محمد صلى

¹ - أخرج هذه الخطبة الدارمي في مسنده المعروف ب(سنن الدارمي)، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم الحديث 2248، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني - السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م، 3 / 1413. قال المحقق : الإسناد منقطع، ولكن الحديث صحيح. وقال الشيخ الألباني: "هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، وكان السلف يفتنون بها خطبهم في دروسهم وكتبهم." تمام المنة في التعليق على فقه السنة للشيخ الألباني، المكتبة الإسلامية، دار الراية للنشر، الطبعة : الثالثة - 1409 هـ. ص:9.

الله عليه وسلم، ولكنه لم يكن يأمن منها، وكان دائماً يستعيز بالله منها، وينصح أصحابه بذلك، روى البخاري عن معقل بن يسار قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: « يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: « والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم¹».

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في دبر الصلاة: « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر²»، وقد نهاء القرآن الكريم في مواضع عديدة عن الشرك، فقال سبحانه: { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } سورة القصص/88، { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } سورة الزمر/65. { وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } سورة الأنعام/14.

إذاً، فالكفر هو مرض إنساني يصيب المسلمين كما يصيب غيرهم بأقدار متفاوتة، وهذا الشعور ينبغي أن نستحضره ونحن نتلو آيات الكتاب حتى نستفيد منها في واقع حياتنا، فإذا مر المسلم بآية تتحدث عن الكفر أو الشرك أو الظلم أو النفاق فزغ إلى نفسه التي بين جنبيه، وفتش في خباياها إن كان قد ناله نصيبه منها، لا أن يصرف ذهنه إلى فرعون وعاد وشمود وكفار قريش وحسب، وكأنه على شاطئ السلامة يتأمل أولئك الغرقى في بطون التاريخ.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لا يخفى على ذي لب ما "يشنه أعداء الإسلام المعاصرون من الغربيين من حرب ضروس، لا هوادة فيها على الإسلام والمسلمين، سلاحهم فيها السَّتان واللَّسان معاً، الآلة والفكر جميعاً، فسبَّروا جيوشهم وأساطيلهم لاحتلال بعض البلاد الإسلامية، وتدميرها وقتل أهلها الأبرياء وهدم منازلهم فوق رؤوسهم كما حدث في أفغانستان والشيستان، وكوسوفا والبوسنة والهرسك، والصومال والعراق، وغيرها، وخذعوا العالم كله بما سمَّوه "الحرب على الإرهاب" دون أن يُحدِّدوا ما الإرهاب الذي يُريدون محاربتة؟ ما حدوده؟ ما معالمه؟ ما صفاته؟ ما شكله؟ ما ماهيته؟ من أين يبدأ؟ وإلى أين ينتهي؟"

وفعلت تلك الحرب على الإسلام والمسلمين فعلها، أو كادت، فتوارى كثير من المسلمين خجلاً وخوفاً من أن يُوصموا بشيء من تلك التهم الجاهزة.. حتى لقد تردَّد الكثيرون منهم في دعم الأعمال الخيرية الإسلامية وموارزتها والوقوف معها؛ خوفاً من أن يُوصفوا بإرهاب، أو يُوصموا بدعمه. ووصل الأمر بكثير من عامة المسلمين إلى التوقف عن الحديث كلياً عن مصطلح الكفر، وهو مصطلح قرآني تفيض آيات القرآن الكريم بالحديث المفصل عنه؛ بل لقد بلغ الضَّعف والخور ببعض المسلمين إلى التوقُّف والشكَّ في تكفير من كفره الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - خشية أن يوصف بأنه تكفيري، أو يُوصم بأنه

إقصائي

بأنه

يُوصم

¹ - البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م، الحديث 716، وصححه الشيخ الألباني، ص: 250.

² - الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، الحديث 927، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، 383/1.

ومعلوم لكل من له اطلاع على كتاب الله سبحانه وسُنَّة نبيّه صَلَّى الله عليه وسلّم أنّ مصطلح "الكفر"، مصطلح متقرر في الشريعة الإسلامية، وأصلُّ أصيل فيها، ومَعْلَم بارز من معالمها؛ بل إنّ الإسلام كلّهُ إنّما جاء لدعوة الكافرين للدُّخول فيه والانضواء تحت لوائه، وترك ما هم عليه من كفر، وبَعثة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم إنّما كانت لإخراج الناس من ظلمات "الكفر" إلى أنوار الإسلام، يُثبت ذلك ويدلُّ عليه مئات الآيات القرآنيّة الكريمة التي تحدّثت عن الكُفر والكافرين بصراحة ووضوح، لا خفاء فيه ولا موارد، بل لقد وَرَدَتْ تلك الآيات بمختلف الاشتقاقات اللُّغوية لكلمة "كفر" بالأفعال وبالأسماء، بالمفرد وبالثنائية وبالجمع، بالتذكير والتأنيث.

إن من أولويات إصلاح أحوال المسلمين المتردية العمل على إحلال كتاب الله وشرعه مكانتهما اللائقة بهما في حياتهم، وذلك بدءا بالعودة إلى قراءة القرآن الكريم وفهمه وتدبره، ثم العمل به ونشر رسالته، وتحكيمة والاحتكام إليه، إذ صار فرضا كما يقول الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله: "إحلال القرآن في الأمة ونفخ روحه من جديد، لتعود كما بدأت خير أمة أخرجت للناس... ولا سبيل إلى شيء من ذلك بغير تجديد فهم الأمة للقرآن... ولن يتجدد فهم الأمة للقرآن حتى يتجدد فهم مصطلحات القرآن، مفاهيم ونسقا؛ ذلك بأن الوحي قرآنا وسنة، مجموعة من المفاهيم، إذا حُصِّلت حُصِّلت كليات الدين، وإذا لم تُفقه لم يُفقه الدين... ولإعادة الأمور إلى نصابها، لابد من إعادة مفاهيم الوحي بعد تحصيلها، إلى مواقعها وأحجامها، وإلاّ استمر تشوه الدين، وازداد فساد المسلمين".¹

وإذا كان من أسباب انحراف الناس عن نهج القرآن ومقتضيات ألفاظه، هو سوء فهمهم لمدلولاتها، وما قد يعترض تصور هذه المدلولات والمفاهيم في أذهانهم وعقولهم من الغش واللبس، فإن من أولى الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها من لدن المهتمين بالدراسات القرآنية هو تصحيح الفهم، وتخليص المفاهيم القرآنية مما علق بها في الأذهان خلال عصور الانحطاط.²

إن الأمة اليوم، بعد قرون من المعاناة بما كسبت أيديها، وبعد قرن أو يزيد من المخاض العسير، هي على أبواب ولادة جديدة، ينفعل بها ولها الزمان والمكان والإنسان، ولادة العودة الفاعلة في التاريخ برشد، إنقاذا للإنسان من شر الإنسان... وفي التحضير لذلك الغد الزاهر، يحتاج جيل أو أجيال التحضير إلى تقديم حصيلة الأمة في مختلف المجالات عبر التاريخ، واستخلاص ما حقه البقاء، وعليه يكون بعد البناء من كسب الأمة وإسهامها في التاريخ. وعلى رأس ذلك - لا شك - خدمتها لكتاب ربها الذي به لا بسواه، دخلت التاريخ، وبه لا بسواه، يوم تنتوب توبة منهجية نصوحا، ستعود إلى التاريخ.³

¹ - الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، سلسلة دراسات مصطلحية (4)، مطبعة أنفو برانت، فاس 2003م، ص: 18-19.

² - محمد البوزي، مفهوم التقوى في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م، ص: 8.

³ - ديباجة: المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه فاس - 14-15 أبريل 2011 جمادى الأولى 1432هـ.

2- موضوع البحث وإشكاليته:

أما موضوع البحث فهو كما يبدو من عنوانه: ((دراسة مفهوم الكفر من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية، وتفسير قضاياها تفسيراً موضوعياً))، وعليه فإن الإشكال أو القضية الكبرى التي سيهتم بها البحث هي:

تحديد مفهوم الكفر في القرآن والحديث بتتبع أبعاده وقضاياها واستقراء كل مؤشرات، ومساربه في النصوص، وتبيين موقع الكفر من المفاهيم القرآنية المرتبطة به والمتعلقة معه، وأثره في المجالات الشرعية - عقائد وعبادات وأخلاق و معاملات - التي ورد فيها.

وضمن هذه الإشكالية الكبرى، قضايا متفرعة عنها، وأهمها: أسباب الكفر وأنواعه ومراتبه وخطورته وسبل علاجه وتحديد علاقة المؤمن بالكافر، وكيف دبر القرآن هذه العلاقة؟... وذلك ربطاً للموضوع بواقع المسلم وانفتاحه على الغير، وإسهاماً منه في علاج بعض جوانب القصور العقدي والتربوي في المجتمع.

هذه الطريقة في تناول قضية الكفر وغيرها من القضايا المثارة في القرآن هو الذي يعيد للقرآن فاعليته في حياتنا، فلا نقرؤه للتبرك به وطرد الشياطين والأرواح الشريرة وحسب، أو لنسلي أنفسنا بقصص الأمم الأخرى، بل نقرؤه ونحن نستشعر أن كل حرف فيه يخاطبنا نحن بالذات كأمة القرآن، وأن ذكر الأمراض الفكرية والنفسية المختلفة يعني أن الإصابة بها ممكنة، والحذر واجب، وبهذا نعلم أن الإسلام لا يحابي أحداً: { مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ } سورة النساء/123، وليس من حقنا أن نزعم أننا أحباء الله كما قال الذين من قبلنا: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ }، ولكن { بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ } سورة المائدة/18، ومقياس التفاضل بين البشر جميعاً هو العمل الصالح { وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } سورة النجم/39، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وثمة مسألة في غاية الأهمية ينبغي أخذها بعين الاعتبار ضمن الإشكالية التي تعالجها هذه الدراسة، وهي وقوع بعض التجاوزات في ترجمة معاني مصطلحات القرآن، مما ينعكس سلباً على فهم غير المسلم للإسلام.

وتبدو الطريقة المثلى لبحث المصطلحات القرآنية أن تكون ضمن إطار يجعلها واضحة وجلية، وهو ما نجده في منهجية علم التفسير الموضوعي، الذي أشار إلى أهميته الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه التفسير الموضوعي، فقال: "وهناك معنى آخر للتفسير الموضوعي لم أتعرض له، وهو تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه، وحشده في سياق قريب، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس. وقد قدمت نماذج لهذا التفسير في كتابي (المحاور الخمسة للقرآن الكريم) و (نظرات في القرآن)، ولا ريب أن الدراسات القرآنية تحتاج إلى هذا النسق الآخر، بل يرى البعض أن المستقبل لها!"¹.

3- دواعي اختيار الموضوع وأهدافه:

لا شك في أن كل بحث، أو دراسة لها مسوغات تدفع إليها، ومن دوافع وأسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي:

¹ - محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم، دار الشروق - القاهرة، بيروت، 1420هـ - 2000م، ص: 3.

1- فضل وشرف الاشتغال بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ف" لا جرم أن أفضل ما اشتغل به المشتغلون، وعكف على خدمته العاكفون، وأنفق فيه وقته وجهده وماله المنفقون، هو كتاب الله تعالى؛ به كانت وتكون العزة لأقوام، وبه يُهدى من اتبع رضوانه سبل السلام، به كانت وسادت وقادت ورادت أمة الإسلام، وبه لا يسواه تعود وتسود وتقود وتروء أمة الإسلام".¹

2- دافع علمي تعلّمي، وهو الرغبة في الاستفادة والاستزادة من الدراسات العليا، وخاصة في جانب المستجدات العلمية والمنهجية، " وقد كان بحمد الله وفضله (مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية)² الذي تأسس من أجله معهد الدراسات المصطلحية بفاس، تحت إشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله ووفقه، أهم مشروع عرفته الدراسات الإسلامية العليا بالمغرب، إنه مشروع لا يقدره حق قدره إلا أولوا الألباب، وذوو العزائم والهمم، الغيورون على التراث الإسلامي، العاملون على تجديد مناهج البحث فيه وإعلاء قيمه وأثره في حياة الأمة الإسلامية، لإرجاعها إلى عزها ومكانتها التي بها تستحق الشهادة على باقي الأمم".³

ولي شرف كبير بالانضمام لهذا المشروع والإسهام فيه بوضع لبنة علمية إن شاء الله عز وجل، وذلك قصد التمكن من منهج الدراسة المصطلحية وممارسته وتطبيقه على المفاهيم القرآنية، مما ييسر للباحث القدرة على الفهم السليم لألفاظ كتاب الله تعالى، ويساعده على العلم بقواعد تفسير الكتاب المبين.

3- الحاجة الملحة في هذا الزمان، الذي قل فيه العلم، وفشا فيه الجهل، وضعف اللسان، إلى قراءة القرآن الكريم القراءة الكاملة الشاملة، التي أعطت المسلمين في زمن الشهود الحضاري العلم والعمل والحال؛ القراءة التي تجمع مدلولات آيات القرآن، وتضبط مشمولاتها، وتتفي الاختلاف في فهمها والاحتمال عن تأويلها، ولا سبيل إلى ذلك بغير فهم القرآن ودراسة ألفاظه بمنهاج ينبني في الأساس على تنوق لسان

¹ - الشاهد البوشيخي، مقدمة مشروع: " الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم "، مؤسسة الدراسات والبحوث العلمية (مبدع)، فاس، الإصدار الأول، 1431هـ-2010م (قرص مدمج).

² - تعمل مؤسسة البحوث والدراسات العلمية - وتُعرف اختصاراً (مبدع) - إلى جانب معهد الدراسات المصطلحية - ومقرهما مدينة فاس - على إصدار معجم تاريخي لألفاظ القرآن الكريم، بإشراف الأستاذ الشيخ الشاهد محمد البوشيخي، المدير السابق لمعهد الدراسات المصطلحية، والأمين العام الحالي لمؤسسة (مبدع)، وهو من المهتمين بعلم المصطلح عموماً، ومصطلح القرآن الكريم على وجه الخصوص . وقد جاء في التعريف بهذا المشروع قول المشرف عليه: " المعجم المفهومي للقرآن الكريم، هو غاية مطمح الدارسين، وإنجازه على وجهه الصحيح، هو قرّة عين العالمين؛ به يرجى تبين أنساق مفاهيم القرآن الجزئية، التي بها يتبين النسق المفهومي الكلي للقرآن، الذي به يتم الفهم الكلي النسقي للقرآن. وبه يرجى تجديد الفهم، الذي به يتم تجديد العمل، الذي به يتم تجديد الحال . وللوصول إليه، لا بد من الدراسة المصطلحية لمفهوم كل مصطلح قرآني على جذّة، وتلك تستلزم استيعاب تعريفات السابقين وجهودهم، في تبين المراد من كل مصطلح وبيانته. ولا ينهض بذلك الاستيعاب على وجه محرر مبسر، غير "المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة" .

ومما قاله أيضاً في هذا الصدد: " لقد آن الأوان لتوبة مصطلحية نصوح، يُردّ فيها وبها لمصطلحات القرآن الاعتبار، على أساس أن « هذا الأمر دين » " الشاهد البوشيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة، ضمن كتابه (دراسات مصطلحية)، دار السلام- القاهرة، الطبعة الثانية 1433هـ-2012م، ص: 130-131.

³ - مفهوم التقوى في القرآن والحديث: ص: 10 بتصرف.

العرب، واستقراء استعمال القرآن ثم السنة لبيان لتلك الألفاظ في جميع الموارد والمقامات؛ وذلك لبناء صورة صحيحة كاملة لهذا الدين القويم.¹ وفي هذا الإطار يؤكد الدكتور سعيد شبار على ضرورة عناية المهتمين بالدراسات القرآنية بالمصطلح الحامل للمضمون قائلاً: "إن القرآن الكريم - وهو يتنزل - كان يعطي ألفاظه - التي هي عماد الدين - معاني محكمة في العقيدة أو الشريعة إجمالاً أو تفصيلاً، ولو تتبع الباحث بالاستقراء الكامل مواطن ورود اللفظ الواحد لأمكنه الوقوف على معاني اللفظ الجمة وعلى حقيقته والمراد منه في هذا الموطن أو ذاك؛ سواء اتحدت المعاني أو اختلفت، ولكان ذلك خير معين لفهم المراد من كلام الله تعالى في كتابه."²

4- نفس الأمر ينطبق على الحديث النبوي الشريف الذي لم يخرج عن منهجية القرآن الكريم في ضبط معاني ومفاهيم المصطلحات، أو إعطائها مضامين ودلالات جديدة، أو الترغيب والندب إلى استعمال بعضها وكراهة استعمال بعضها الآخر، بل إننا نجد ذلك في السنة أكثر بما هي تفصيل وبيان لكتاب الله، مما يدل على أن اختيار وانتقاء الألفاظ الصحيحة من حيث المبنى والمعنى، هو شرط ومدخل مهم للدلالة على المعاني والمقاصد الشرعية المطلوبة.³

5- لم أجد - فيما بحثت - من الدارسين⁴، وأنا بصدد التمهيد لهذه الدراسة، من وفى هذا المصطلح (الكفر) من البيان والتبيين حقه، عن طريق الدرس المصطلحي العميق، و هذا الأمر يدعو إلى دراسة علمية منهجية لهذا المفهوم في القرآن الكريم: دراسة ترنو إلى استيعاب الجهود السابقة، وتقويمها، وتوظيفها توظيفاً صالحاً يعين على تقديم فهم شامل لهذا المصطلح.

6- محاولة الإسهام في تطبيق منهج جديد أصيل، هو منهج الدراسة المصطلحية، المرشح باقتدار لضبط مصطلحات القرآن الضبط التام، وتحقيق مقاصده العلمية والعملية، ولعل اختيار مفهوم الكفر المتشعب الحجم، والاجتهاد في تطبيق هذا المنهج على دراسته وعرضه، أن يسهم في التفتيح المنهجي، النظري والعملية في المصطلح عامة، والمصطلح القرآني خاصة.

7- تتجلى فائدة دراسة المفاهيم القرآنية على ضوء هذا المنهج في تحرير واقع البحث في المصطلح القرآني من المذهبية في الفكر، والعمومية في القول، وتعود بالمصطلح إلى مفهومه القرآني الخالص، المعبر

¹ - فريدة زمر، مفهوم التأويل في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة مفاهيم ومصطلحات قرآنية (1)، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م، ص: 20.

² - سعيد شبار، المصطلح: خيار لغوي وسمة حضارية، كتاب الأمة، العدد 78، رجب 1421هـ، السنة 20، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى 1421هـ-2000م، ص: 37.

³ - نفس المرجع، ص: 41-42 بتصرف.

⁴ - لقد اتصلت بفضيلة الشيخ الدكتور الشاهد البوشيخي، وسألته عما إذا كان مفهوم الكفر قد اشتغل عليه أحد الباحثين من قبل بمنهج الدراسة المصطلحية، فأجابني بالنفي، واقترح علي البحث فيه، وقد حبذا أستاذنا الدكتور سعيد شبار فكرة الموضوع ومنهج دراسته، وهذا ما شجعني على خوض غمار هذا البحث، فجزاهما الله عني خيراً، وللتذكير فقد أنجزت مجموعة من الرسائل الجامعية في معهد الدراسات المصطلحية بفاس، اهتمت بالبحث المصطلحي في القرآن الكريم استجابة لنداء المعهد، ومن بين المفاهيم الكبرى التي تم تناولها: الدين، التقوى، الجهاد، الآية، النعمة وغيرها.

عن التصور القرآني الخالص، وخاصة إذا ما روعيت الخصوصية المنهجية في دراسة المصطلح القرآني، سواء على صعيد أصول هذا المنهج أو على صعيد إجراءاته التطبيقية¹.

4- الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتقصي للدراسات التي تطرقت لموضوع الكفر كمفهوم قرآني، يتبين أنها - وعلى قلتها - لم تتناول هذا الموضوع من خلال منهج الدراسة المصطلحية، وعناوين هذه الدراسات تدل على ذلك، فضلاً عن كون كل منها عالج هذا المفهوم من زاوية خاصة، والبحوث التي اطلعت عليها هي الآتي:

- 1- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن محمد القرني (في الأصل رسالة ماجستير)، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى 1413هـ-1992م.
- 2- نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (في الأصل رسالة دكتوراه). مدار الوطن للنشر، الطبعة: الثالثة، 1427هـ.
- 3- الآيات القرآنية الواردة في الكفار: دراسة عقدية تحليلية، تمرة بنت ظافر الشهري، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، كلية التربية للبنات، قسم الدراسات الإسلامية، 1430هـ-2009م.
- 4- آيات الكفر في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، أول الدين يحيى الإندونيسي، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية -ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1434هـ/ 2012م.
- 5- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، محمد بن عبد الله بن علي الوهبي (في الأصل رسالة دكتوراه).
- 6- التكفير وضوابطه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي.
- 7- التكفير وضوابطه، إبراهيم بن عامر الرحيلي دار الإمام أحمد، الطبعة الشرعية الوحيدة.

5- المنهج المعتمد في البحث:

بالنسبة لمنهج البحث، سأسلك إن شاء الله تعالى، سبيل الدراسة المصطلحية لبحث الموضوع و سبر أغواره. ومعلوم أن هذا المنهج صاغه الشيخ الدكتور الشاهد البوشيخي، وتبناه معهد الدراسات المصطلحية بفاس، وهو مسطر في كتيب صغير للشيخ بعنوان " القرآن الكريم والدراسة المصطلحية "، و خلاصته أن المصطلحية مدارها على خمسة أركان:

الإحصاء أولاً للفظ،

ثم بعد ذلك الدراسة المعجمية له.

ثم بعد ذلك الدراسة النصية له.

ثم بعد ذلك الدراسة المفهومية له.

¹ - فريدة زمرد، مفهوم التأويل، مرجع سابق، ص: 25.

ثم بعد ذلك عرضه على نمط خاص ببيان تعريفه، وبيان صفاته بأنواعها، وبيان علاقاته بأنواعها، وبيان ضمائمه بأنواعها، وبيان مشتقاته بأنواعها.
وأخيرا بالدخول إلى عالم قضاياها بأبعادها¹.

فالدراسة المصطلحية - التي يطلق عليها كذلك علم اصطلاح النص- هي دراسة تهدف إلى تبين المفاهيم وبيانها، باتباع أصول وأدوات منهجية تعتمد الوصف ولا تستبعد الرؤية التاريخية، وتجمع بين التحليل والتركيب والاستقراء والاستنباط، كما يتجلى ذلك من خطواتها وإجراءاتها، سواء في الإعداد أو في العرض².

وهذا المنهج هو منهج وصفي تحليلي أساسا، يقوم على الاستقراء والتحليل ثم التركيب، وذلك عبر خمس مراحل أساسية مترابطة اصطلاح على تسميتها بأركان الدراسة المصطلحية، كما سبق ذكره.

أما كيفية تنزيل المنهج على الموضوع وفق مراحل الخمس، فنقدمها كالتالي³:

• في مجال الدراسة الإحصائية:

1- إحصاء ألفاظ الكفر في القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، مع الاطلاع على المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن أو لمواضيعه.

2- التصنيف الأولي لألفاظ الكفر ما بين الداليتين اللغوية والاصطلاحية، ثم الرجوع للتفسير قصد التأكد من دلالة مشتقات الكفر التي تحتل في بعض المواطن معناها اللغوي فقط أو معناها الاصطلاحي أيضا.

3- التصنيف النهائي لألفاظ المصطلح بمختلف صيغه ومشتقاته الفعلية والإسمية، ووضعها في جداول خاصة.

4- إحصاء الأحاديث النبوية الصحيحة التي ورد فيها لفظ الكفر أو أحد مشتقاته، وذلك من خلال الكتب الصحاح أو كتب التخریج التي صححت فيها الأحاديث وخاصة كتب الشيخ الألباني: صحاح السنن، والسلسلة الصحيحة، وصحيح الجامع الصغير وغيرها.

• في مجال الدراسة المعجمية:

1- الرجوع إلى المعاجم اللغوية والاصطلاحية المتوفرة، وترتيبها ترتيبا زمنيا، وتدوين المادة المعجمية التي تهم مصطلح الكفر في هذه المعاجم، من حيث الاشتقاق الصرفي ومن حيث الداليتين؛ اللغوية والاصطلاحية المستفادة من الشروح والاستشهادات وغيرها.

¹ - الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، مرجع سابق، ص: 15.

² - فريدة زمرد، مفهوم التأويل، مرجع سابق، ص: 30.

³ - لقد اتبعت - في تطبيق هذا المنهج - الرسائل الجامعية المنجزة في معهد الدراسات المصطلحية بفاس، وهي أكثر من ستين رسالة، ومن هذه الرسائل: مفهوم التقوى في القرآن والحديث، محمد البوزي، المقدمة، ص: 11 وما بعدها.

2- تسجيل تعاريف الكفر الواردة في تفاسير القرآن الكريم المتوفرة مع العلم أن المفسرين يُعرّفون الكفر عند أول مورد له في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } سورة البقرة/6.

3- تصنيف التعاريف المسجلة، وملاحظة مدى تطور الداليتين؛ اللغوية والاصطلاحية للفظ الكفر (بمختلف مشتقاته) عبر الحقب التاريخية، وذلك من خلال الشواهد الشعرية الجاهلية، أو من خلال تعاريف الكفر في كتب التراث الإسلامي.

4- تحديد مدار المصطلح وهو فعل (كفر) ومصدره الكفر، وأصله الكفر - بالفتح - أي: الستر والتغطية.

• في مجال الدراسة النصية:

بعد تدوين أهم ما ورد لدى المفسرين في شأن الكفر عبر سور القرآن الكريم خاصة منهم الذين يهتمون بتفسير ألفاظ الكفر بمختلف مشتقاته في القرآن، يتم تهيئة جدول لكل مشتق من مشتقات لفظ الكفر بمدخلين؛ عمودي وأفقي، العمودي لآيات الكفر أو مقاطعها (مورد اللفظ المدروس)، والأفقي لمعطيات تحليل النصوص وفق متطلبات التحليل والدراسة النصية ثم المفهومية، وهذه المعطيات هي:

. المخاطبون بالكفر في السياق.

. موقع الجملة والعامل النحوي فيها.

. المعنى الخاص للفظ الكفر أو ما يتعلق بالكفر حسب السياق.

. صفات المصطلح أو الحكم عليه (تبعاً للمتصف بالكفر).

. علاقات المصطلح (المتصف بالكفر).

. ضمائم المصطلح (ما ضم له لفظ الكفر أو ضم هو إليه).

. قضايا وملاحظات.

ونفس الجدول يستعمل في دراسة مشتقات لفظ الكفر في الأحاديث النبوية مع وضع (مقام الورد أو الموضوع العام الذي ورد فيه الحديث) مقابل السياق بالنسبة للقرآن.

ويمكن هذا الجدول بعد ملء خاناته من معالجة النصوص وتحليلها في مختبر الدراسة النصية بما يتيح من إمكانات تقطير المعلومات المصطلحية على حد تعبير الشيخ البوشخي تقطيراً، واستخراجها استخراجاً، وذلك في حدود الطاقة والمعرفة بالأساليب اللغوية والقرآنية منها على الخصوص.¹

• في مجال الدراسة المفهومية:

في هذا المجال يتم استخلاص أولاً: ما يتعلق بكل مشتق على حدة من حيث توفر كل العناصر السابقة في جدول الدراسة أو بعضها، وأقصد مجال الكفر، ثم الضمائم ونوعيتها والعلاقات وأنواعها، ثم الملاحظات العامة أو القضايا... الخ

¹ - محمد البوزي، مفهوم التقوى، مرجع سابق، ص: 12-13.

وثانيا: ما يتعلق بخصوصيات المشتقات الفعلية، وخصوصيات المشتقات الاسمية، وذلك في القرآن والحديث معا.

وثالثا: عناصر التعريف المقترح للمفهوم.

• العرض المصطلحي:

في هذه المرحلة يتم عرض كل الخلاصات والنتائج المتوصل إليها سواء كانت نتائج الدراسة المصطلحية المرحلية أو كانت نتائج دراسة القضايا بالتفصيل.

6- خطة البحث:

في ضوء ما تحدد من منهج الدراسة والعرض، يمكن وضع خطة للبحث في مقدمة وبابين وخاتمة، وتفصيل ذلك كالآتي:

فالمقدمة تشمل موضوع البحث ودوافع اختيار الموضوع وأهدافه، وكذا منهج تناوله ومحتوياته..

الباب الأول : الدراسة المصطلحية لمفهوم الكفر

ويتكون من ستة فصول كالآتي:

الفصل الأول : يخصص لبيان مفهوم الدراسة المصطلحية باعتبارها المنهج المتبع في دراسة مفهوم الكفر في

القرآن والحديث، وهو يدور على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم المصطلح القرآني وأهميته

المبحث الثاني : أهمية الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم

المبحث الثالث : منهج دراسة المصطلحات القرآنية من خلال مؤلفات الشيخ الدكتور الشاهد البوشيخي

الفصل الثاني : دلالة لفظ الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الكفر

المبحث الثاني : تعريف الكفر في القرآن الكريم والحديث الشريف

ويشمل الدرس الوصفي لموارد لفظ الكفر في القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم بيان دلالات هذه الموارد، وأخيرا المحصل في تعريف الكفر.

الفصل الثالث: خصائص مصطلح الكفر وصفاته في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفيه

مبحثان:

المبحث الأول: في صفات مصطلح الكفر في القرآن والحديث

المبحث الثاني: صفات مصطلح الكفر في صيغته الأصلية (المصدر) من خلال القرآن والحديث

الفصل الرابع: علاقات مصطلح الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المفاهيم المتألفة مع الكفر

المبحث الثاني: المفاهيم المتداخلة مع الكفر

المبحث الثالث: المفاهيم المتضادة مع الكفر

الفصل الخامس: ضmann مصطلح الكفر

ويشمل هذا الفصل الحديث عن ضmann الوصف والإضافة، وكذا الصيغ الإسنادية التي تتوفر فيها شروط الضمنية، والتي تفيد مفهوما جديدا خاصا مقيدا ضمن المفهوم العام المطلق للمصطلح المدروس.

الفصل السادس: المشتقات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : المشتقات الفعلية لمصطلح الكفر

المبحث الثاني: المشتقات الإسمية لمصطلح الكفر

أما الباب الثاني من البحث فيشتمل على فصول مخصصة لقضايا الكفر بالتفصيل، ودراستها في إطار التفسير الموضوعي، وهذا الأمر ستظهر تفاصيله وحيثياته بالدراسة الفعلية للموضوع إن شاء الله تعالى. و أشير إلى أن تحت كل مبحث مطالب تتضمن جزئياته حسبما يقتضيه البحث. ثم الخاتمة و تتضمن نتائج البحث وتوصياته، ثم الفهارس.

7- صعوبات البحث:

لا شك أن البحث مهما كان حجمه ومجاله، وكفاءة صاحبه، تعترض إنجازَه صعوبات، قلَّت أو كثرت، وإلا كان غير جدير بتسميته بحثا، والصعوبات التي تعترض الباحث إما صعوبات منهجية وهي الغالبة، وإما صعوبات ناتجة عن ندرة المادة المبحوثة وقلة مصادرها.

أما الصعوبات التي اعترضتني وأنا أبحث في مفهوم الكفر بمنهج الدراسة المصطلحية، فإنها ترجع إلى ثلاثة أسباب يتداخل فيها ما هو موضوعي يتعلق بالمجال وبالمنهج المعتمد، وما هو ذاتي يتعلق بقصور الباحث وقلة كفاءته العلمية والمنهجية.

فالصعوبات المتعلقة بمجال البحث (المفاهيم القرآنية) راجعة لخصوصية القرآن الكريم وهو كلام الله المقدس أولا، والمعجز ببلاغته ونظمه وألفاظه ثانيا، مما يجعل البحث فيه مغامرة غير مأمونة العواقب خاصة إذا لم يتسلح الباحث بأمانة التقوى ويتكوين متين في العلوم اللغوية والشرعية.

أما الصعوبات المنهجية فهي راجعة بالطبع لجدة منهج الدراسة المصطلحية وقلة التمرس به وتطبيقه، خاصة أن هذا البحث هو أول تجربة لي مع المنهج، ولولا توفيق الله عز وجل ثم استفادتي من الأطروحات المطبوعة التي اعتمدت منهج الدراسة المصطلحية للمفاهيم القرآنية، ما كان لهذا العمل أن يرى النور بإيجابياته وسلبياته.

وإذا كانت بعض البحوث يعاني أصحابها من قلة ما كُتب في مواضيعها، فإن الأمر بعكس ذلك في شأن موضوع الكفر، إذ قيل فيه وكتب عليه الكثير، وإن كان ذلك قلّ ما يفيد فيما نحن بصدده، من تدقيق المفهوم ورسم أبعاده وقضاياها من خلال النصوص، كما أخذت مني الجولات الأولى لإحصاء المصطلح والبحث في التفاسير والشروح وقتاً كبيراً، كان مردوده على البحث ليس بالكثير.

ومن أهم الصعوبات التي استشعرتها شساعة المساحة التي يشغلها الكفر في القرآن والحديث، وارتباطه بعدة مفاهيم ودخوله في جل الموضوعات أو كلها، مما جعل تحليل بعض القضايا غير واف بالمراد. فعلى سبيل المثال لو أخذنا فقط (علاقة الكفر بالشرك والنفاق والاستكبار...) لوجدنا أنها في حاجة إلى بحوث خاصة، لأن ما خلصنا إليه في شأنها لم يكن إلا ترجيحاً لما دلت عليه ظواهر النصوص المستشهد بها ليس إلا.

وقد عانيت أخيراً من التصارع مع الزمن، وتمنيت أن لو زيد في فترة إنجاز هذا البحث لكانت النتيجة أفضل وأفيد، والله تعالى المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الفصل الأول: منهج الدراسة المصطلحية للمفاهيم القرآنية

المبحث الأول : مفهوم المصطلح القرآني وأهميته

المطلب الأول : تعريف المصطلح وأهميته

عرّف العلماء القدامى المصطلح بأنه لفظ يتواضع عليه القوم لأداء مدلول معيّن، أو أنّه لفظ نُقل من اللغة العامة إلى اللغة الخاصة للتعبير عن معنى جديد. فقد أورد الجرجاني (ت816هـ) في كتابه التعريفات أربعة تعاريف فقال: " الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين. " ¹

وعرّفه أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) في كتابه " الكليات: "

" الاصطلاح هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: إخراج الشيء عن المعنى اللغويّ إلى معنى آخر لبيان المراد. " ²

وعرّفه مرتضى الزبيديّ (ت1205هـ) في معجمه " تاج العروس " بأنه: " اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص، قاله الخفاجي ³ " ⁴.

ومن تعاريف المعاصرين نختار بعض النماذج الموفية بالغرض:

يعرف الدكتور الشاهد البوشيخي المصطلح بكونه " اللفظ الذي يسمي مفهوما معينا داخل تخصص ما " ¹.

¹ - الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ، ص: 44.

² - أبو البقاء الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م، ص184.

³ - الشَّهابُ الْخَفَّاجِي (977 - 1069 هـ):

هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلاتنيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي.

من أشهر كتبه (ريحانة الألبا - ط) و (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل - ط) و (شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري - ط) و (طراز المجالس - ط) و (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض - ط) أربع مجلدات، و (عناية القاضي وكفاية الرازي - ط) وحاشية على تفسير البيضاوي، ثماني مجلدات. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002 م 238/1.

⁴ - أبو الفيض محمد بن محمد، الملقَّب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية 551/6.

ويشير الدكتور محمود حجازي إلى اتفاق المتخصصين في علم المصطلح على أفضل تعريف وهو: "الكلمة الاصطلاحية، أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد، أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح، هو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحقق بذلك وضوحه الضروري"².

إن من أهم ما يميز المصطلح كونه لفظا قد يكون مفردا أو مركبا. ولعل هذا ما كان واضحا في كلام الجرجاني.

ونحن في هذا المقام، لا بد من توضيح الفرق بين المصطلح والمفهوم: فالمفاهيم هي التصورات والمعاني والدلالات الكبرى، المتمركزة بالذهن، والتي " كثيرا ما تتجاوز البناء اللفظي، وتتخطى الجذر اللغوي، لتعكس كوامن فلسفة الأمة، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استتبطته ذاكرتها المعرفية "³.

أما المصطلح فهو "ما يصطلح جماعة من الناس - تجمعهم حرفة أو مصلحة أو سواهما - على إطلاق لفظ بإزاء معنى أو ذات، لا ينازعون فيما اصطلحوا عليه"⁴.

وقد أدرك العرب القدماء أهمية المصطلح ودوره في تحصيل العلوم، فقال القلقشندي⁵ (ت821هـ) في كتابه "صبح الأعشى: "

على أن معرفة المصطلح هي اللازم المحتّم، والمهمّ المقدّم، لعموم الحاجة إليه واقتصار القاصر عليه:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ⁶ 1.

¹ - الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين: قضايا ونماذج ونصوص، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، الطبعة الأولى 1430هـ - 2009م، ص: 54.

² - محمود حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، دون طبعة وتاريخ، ص 11-12.

³ - بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، مجموعة من باحثي المعهد العالمي للفكر الإسلامي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا ، 1418هـ / 1998م، 7/1.

⁴ - نفسه، 7/1.

⁵ - القلقشندي (756 - 821 هـ):

هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري الشافعي، كان أحد الفضلاء ممن برع في العربية وعرف الفرائض وشارك في الفقه وسمع الحديث ونظم ونثر وكتب في الإنشاء (صبح الأعشى في قوانين الإنشا) في أربع مجلدات.. مع تواضع ومروءة وخير. أنظر : عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي (ت 902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 8/2.

⁶ - " البيت من الكامل، وهو بلا نسبة، أنظر مادة (صنع) في لسان العرب، وتهذيب اللغة، وتاج العروس، وكتاب العين " إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م، 407/4.

وأشدد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أحد الأجواد في الإسلام قول الشاعر:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً ... حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

فإذا صنعت صنيعة فاعمل بها ... لله أو لذوى القرابة أو دع

فقال: هذان البيتان يبخلان الناس، أمطر المعروف مطرا فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا، وإن أصاب اللئام كنت أهلا لما صنعت" المبرد، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1421 هـ، ص: 35-36.

ونوّه التهانوي (ت بعد 1158هـ) في مقدّمة كتابه المشهور " كشف اصطلاحات الفنون " - الذي جمع فيه أهمّ المصطلحات المتداولة في عصره وعرفها - بأهمية المصطلح فقال:

" إنّ أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدوّنة والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به، إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً، ولا إلى انقسامه دليلاً"².

ويمكننا بإجمال أن نحدد أهمية المصطلح في النقاط الآتية:

- إنّ من أهم الطرق الموصلة إلى العلم معرفة مصطلحات أهله.
- المصطلح يمثل اللبنة الأولى من كل علم من العلوم، به يبدأ وبه ينتهي.
- المصطلح في أي مجال من المجالات المعرفية المختلفة يكون إما: واصفاً لعلم كان، أو ناقلاً لعلم كائن، أو مؤسساً لعلم سيكون.

المطلب الثاني: تعريف المصطلح القرآني

اهتم القرآن منذ لحظة نزوله بوضع المصطلح، وضبط مفاهيمه بحسب المقتضيات والسياقات. وبما أن المصطلحات - كما يقول أهل هذا الشأن - هي مفاتيح العلوم، فإن البدء بها إتيان للعلوم من أبوابها؛ وبما أن القرآن الكريم أصل العلوم والمعارف، فحق على الباحثين والدارسين ضبط مصطلحاته، وتحرير مفاهيمها؛ لأنها أصل الاصطلاح الشرعي.

و" يقصد بالمصطلح القرآني، إجمالاً: كل لفظ قرآني عبر عن مفهوم قرآني، وتفصيلاً: كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، مفرداً كان أو مركباً، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية، جعلت منه تعبيراً عن مفهوم معين، له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي"³، فيدخل فيه " كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الإسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤول بالإسمية"⁴.

إن ما أعطى للمصطلحات القرآنية اصطلاحيتها، هو الاستعمال القرآني المطرد بمدلول خاص، وبصيغ خاصة. وقد أشار أحمد بن حمدان الرازي⁵ (ت322هـ) إلى هذه الخصوصية الدلالية، حيث قال: " إن الأسماء

¹ - أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، 1987م/31.

² - التهانوي، محمد بن علي الحنفي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - 1996م، ص 44.

³ - الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، مرجع سابق، ص 30 .

⁴ - الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، مرجع سابق، ص: 130.

⁵ - أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ = 934 م):

هو أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامي الليثي، أبو حاتم الرازي: من زعماء الإسماعيلية وكتابهم. له تصانيف، منها (الإصلاح) و (أعلام النبوة - خ) في المكتبة المحمدية الهمدانية، نشر جزء منه في مذهبهم، و (الزينة - خ) في فقه اللغة والمصطلحات، يقع في خمسة مجلدات، طبع منه جزآن، و (الجامع) في الفقه. الأعلام، 119/1. وقال ابن حجر العسقلاني: " ذكره أبو الحسن بن بانويه في "تاريخ الري" وقال: كان

التي هي مشتقة من ألفاظ العرب، ولم تعرف قبل ذلك، مثل: المسلم والمؤمن والمنافق والكافر، لم تكن العرب تعرفها، لأن الإسلام والإيمان والنفاق والكفر ظهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر نعمة، ولا تعرفه من معنى الكفر بالله (...) وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان (...). أما المنافق فإنه لا ذكر له في كلام العرب"¹.

ويبدو جليا ارتباط المصطلح القرآني بالنص الذي يرد فيه، والنسق القرآني العام، لذلك يمكن أن نقول: إن ما يميز المصطلح القرآني، هو ثنائية المفهوم القرآني المطرد، والموقع داخل الرؤية النسقية القرآنية. ولن يكون مجديا الالتفات إلى من يتخرج حرجا غير مبرر في أن يعتبر الألفاظ القرآنية مصطلحات لمجرد أن لفظ "مصطلح" يوحي إحياء ضبابيا إلى التواضع الإنساني. ومن ثم تنزيهه عن واضع المصطلحات القرآنية، الله جل وعلا.²

المبحث الثاني : أهمية الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم

المطلب الأول : أهمية المصطلح القرآني

تعتبر اللغة السبيل الأول الموصل إلى فهم القرآن الكريم، والألفاظ هي مفاتيح فهم هذه اللغة، ولذلك كانت الألفاظ القرآنية محط درس وعناية منذ نزول القرآن الكريم. وكثيرا ما كان تفسير المفردة كافيا للدلالة على معاني الآيات، كما نجد ذلك في التفسير المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتفسير المأثور عن الصحابة. ويكفي أن نمثل لذلك بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للفظ الظلم، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } سورة الأنعام/82، شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينما لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: { يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } سورة لقمان(13)"³.

فسر النبي صلى الله عليه وسلم الشرك بالظلم، وأزال ببيانه هذا الإشكال الذي حصل للصحابة في فهم الآية. ثم إن فهم الألفاظ القرآنية عليه يتوقف فهم القرآن الكريم كله، وهذا أمر نبه عليه العلماء قديما وحديثا، فقد تحدث الراغب الأصفهاني(ت502هـ) رحمه الله في مقدمة كتابه "المفردات" عن أهمية الألفاظ في تحصيل

من أهل الفضل والأدب والمعرفة باللغة وسمع الحديث كثيرا وله تصانيف، ثم أظهر القول بالإلحاد وصار من دعاة الإسماعيلية وأضل جماعة من الأكابر ومات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة. " ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 2002 م، 448/1.

¹ -، أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م، 146/1.

² - محمد الأحمد، مفهوم الحياة في القرآن الكريم والحديث الشريف، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)- فاس، دار السلام- القاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م، ص: 37-38.

³ - صحيح البخاري، كتاب استنباط المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، الحديث 6538، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ - 1987م، 2542/6.

معاني القرآن الكريم وأحكامه، فقال : " إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني ألفاظ القرآن الكريم في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يمكن أن يبينه... فألفاظ القرآن هي لب الكلام، وزيدته وواسطته وكرائمه؛ وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم؛ وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ¹."

ونبه على هذا الأمر من المحدثين العلامة الهندي عبد الحميد الفراهي (ت1349هـ) في مقدمته الأولى من كتابه "المفردات" حيث قال: " لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام. وبعضُ الجهل بالجزء يُفضي إلى زيادة جهلٍ بالمجموع. وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه. فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر، وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة ²."

ولا تقف خطورة الجهل بالمفردة القرآنية عند حد الجهل بالمعاني والنظم، بل تتعدى ذلك إلى سوء الفهم وسوء التأويل، " وذلك بأن المرء قلماً يقف على جهله، بل يتجاوز موقفه، فيتوهم من اللفظ ضد ما أريد، فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة. ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكلّ ما يدل عليه من العلوم والحكم... وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها ³."

يظهر من كلام الراغب - وهو الذي عاش مع القرآن وتبحر في ألفاظه - والفراهي أن مفتاح فهم القرآن الكريم ومراد الله من كلامه الكريم هو فقه ألفاظ القرآن، والتي نسميها المصطلحات القرآنية، بل إن فقه المصطلح القرآني كان الأساس في بناء العلوم الشرعية كلها، من تفسير وفقه وأصول وغيرها. وهذا ليس غريباً، وإنما أنشئت هذه العلوم لتبين مراد الله من وحيه.

وحتى نبرز اهتمام العلماء بالمصطلح القرآني نعرض نماذج لجهودهم في خدمته والاعتناء به.

المطلب الثاني : جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني

أولاً : جهود القدماء

لقد تناول العلماء على اختلاف تخصصاتهم وتباين مذاهبهم المصطلح القرآني بالدرس؛ فمنهم أهل التفسير والفقهاء وأصحاب الأصول والكلام والصوفية واللغويون وغيرهم.

وفيما يلي أورد نماذج - على سبيل المثال - لمؤلفات ثلة من أولئك العلماء:

¹ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، ص: 54-55.

² - الفراهي، عبد الحميد الهندي، مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي-بيروت الطبعة: الأولى، 2002م، ص 95.

³ - نفسه، ص 95-96.

✓ جهود المفسرين:

اتخذت جهودهم منحيين، فهناك من اعتنى منهم بالجانب التفسيري في مؤلفات عرفت بتفسير غريب القرآن، ونخص منها بالذكر¹:

1- تفسير غريب القرآن المنقول عن ابن عباس (ت68 هـ)، والذي قام بطبعه فؤاد عبد الباقي تحت عنوان "معجم غريب القرآن".

2- غريب القرآن لأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت202 هـ).

3- غريب القرآن للنضر بن شميل (ت203 هـ).

4- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210 هـ).

5- غريب القرآن للأصمعي (ت213 هـ).

6- غريب القرآن للأخفش الأوسط (ت215 هـ).

7- غريب القرآن للقاسم بن سلام (ت224 هـ).

8- غريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي (ت231 هـ).

9- غريب القرآن لابن قتيبة (ت276 هـ).

10- غريب القرآن لأبي حيان الأندلسي (ت745 هـ) المسمى "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب"، أشرف على طبعه في عام 1936م محمد سعيد بن مصطفى الوردى النعساني.

11- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (ت756 هـ).

12- وأهم هذا النوع من الدراسة وأكثره انتشارا كتاب الراغب الأصفهاني (ت502 هـ): المفردات في غريب القرآن.

أما النوع الثاني فيمكن أن يوصف بالدراسات المصطلحية مع بعض التجاوز، ويمكن التمثيل له بالمصنفات التالية²:

1- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت276 هـ).

2- كتاب الزينة في الألفاظ الإسلامية لأبي حاتم الرازي (ت277 هـ).

3- الكليات لأبي البقاء الكفوي (ت577 هـ).

4- كتاب عجائب القرآن للفخر الرازي (ت606 هـ).

5- كتاب بصائر ذوي التمي في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (ت817 هـ).

✓ جهود الفقهاء:

يعتبر مجال الفقه من أخصب المجالات مصطلحا. ويمكن تقسيم مصطلحات لغة الفقهاء إلى نوعين: مصطلحات فرعية، وأخرى أصلية.

¹ - حسين محمد نصار، كتب غريب القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: 19 وما بعدها.

² - محمد الينبي، مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) - فاس، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى 1435هـ/2014م، ص 44.

أما المصطلحات الفرعية فيخضع بعضها للتغيير " بتغير الزمان والمكان، ويتجدد بعضها، ويموت بعضها بسبب تغير أعراف الناس وتجدها وانقراضها"¹. لكن المصطلحات " الأصلية الأساسية الكبرى هي عند الفقهاء، وهذا النوع من المصطلحات مأخوذ من الألفاظ القرآنية، على نحو من الأنحاء في الأخذ"². ولم يتسن للفقهاء استنباط أحكامهم لولا الاهتمام بالدرس المتكامل للمصطلح القرآني. ويظهر ذلك في أمور؛ منها: البحث عن المعاني اللغوية والاصطلاحية للفظ، إضافة إلى الاستدلال بالأدلة القرآنية في المقام الأول قبل أي دليل شرعي آخر، دون أن ننسى ما تركوه من تفاسير فقهية؛ كتفسير الجصاص (ت 370هـ) أو تفسير القرطبي (ت 671هـ) وغيرهما. غير أن ما توج أعمالهم هو ما ألفوه في المصطلحات الفقهية من قبيل تأليف " تحرير ألفاظ التنبيه " للإمام النووي (ت 676هـ) .

✓ جهود الصوفية:

بذل علماء الصوفية جهدهم في تحديد معاني الألفاظ والعبارات التي تدل على السير إلى الله، وترويض النفس التي تريد سلوك هذا الطريق. وهذه الألفاظ هي التي لها ارتباط بالمصطلح القرآني، كمصطلحات الصبر والشكر والذكر والإنابة والاستقامة والورع والزهد والكرم والجود والتوبة وغيرها. ونجد من المؤلفات في هذا الباب ما أفرده أصحابه للمصطلحات الصوفية، مثل الرسالة القشيرية³ للقشيري⁴ (ت 465هـ)، وكتاب التعريفات للشرif الجرجاني (ت 816هـ)، أو ما كانت المصطلحات مبنوثة في ثناياه، كما هو الشأن في موسوعة الإمام الغزالي (ت 505هـ) " إحياء علوم الدين"، وكتاب " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" لابن قيم الجوزية (ت 751هـ). هذه أمثلة على وجه الإيجاز لجهود بعض القدماء في الاعتناء بالمصطلح القرآني، فماذا عن المعاصرين؟

ثانيا: الدراسات الحديثة:

أما في العصر الحديث، فبضاعة القوم في هذا الشأن مزجاة، وهي على قلتها، بعيدة في منهجها عن منهج الدراسة المصطلحية بميزاته العلمية وآلياته الإجرائية، وقد قامت الدكتوراة فريدة زمرد ببحث حول هذه

¹ - محمد الروكي، جهود الفقهاء في دراسة المصطلح القرآني، مجلة دراسات مصطلحية ، العدد2، 1423هـ/ 2002 م، ص: 27.

² - نفسه.

³ - قال مؤلفها رحمه الله في المقدمة: " هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيري، إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام، في سنة سبع وثلاثين وأربع مائة ". القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة وتاريخ، 15/1.

⁴ - القشيري (376 - 465 هـ):

الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر صاحب "الرسالة" والتفسير الكبير. وكان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. أنظر : الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002 م، 366/12. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م، 395/13-396.

الدراسات خلصت فيه إلى أن " النظر في هذه النماذج يبين غياب منهج الدرس المصطلحي: أصولاً وإجراءات في دراسة المصطلحات، مما جعل هذه الدراسات تميل إلى أسلوب الدراسة الأدبية أو الفكرية، أو التفسير الموضوعي.¹ وفي ما يلي نذكر ما صنف في هذا المجال²:

- مصطلحات قرآنية - صالح عزيمة.
 - في المصطلح الإسلامي - إبراهيم السامرائي.
 - مفاهيم قرآنية - محمد أحمد خلف الله.
 - من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك - محمد البهي.
 - المصطلحات الأربعة في القرآن - أبو الأعلى المودودي.
 - مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة - محمد علي الجوزو.
 - الهجرة والنصرة في القرآن الكريم - موسى بناي العليلي.
 - السمع والبصر في القرآن الكريم - علي محمد سلامة.
 - الألوان في القرآن الكريم - عبد المنعم الهاشمي.
- لكن لا يفوتنا أن نشيد بدراسات قيمة للمصطلح القرآني في الآونة الأخيرة مع مجموعة من الباحثين في إطار الدراسات المصطلحية عموماً. ويعتبر الباحثون المغاربة من الرواد في هذا الباب، يظهر ذلك من إنشاء معهد متخصص في الدراسات المصطلحية³ بفاس، تحت إشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله، ودوريات متخصصة في ذلك، كمجلة "دراسات مصطلحية".

المطلب الثالث : دواعي الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم

إن البحث في هذا الموضوع بهذا المنهج كان وما يزال فريضة شرعية، وحاجة علمية وضرورة حضارية، وبيان ذلك فيما يلي:

-
- ¹ - مفهوم التأويل في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 67 وما بعدها.
 - ² - نفسه ، ص 70 وما بعدها.
 - ³ - قام هذا المعهد بطبع عدة أطروحات اعتمدت منهج الدراسة المصطلحية في بيان المفاهيم القرآنية، وقد حصلت بفضل الله على تسعة منها، استفدت منها غاية الاستفادة في فهم المنهج نظرياً وتطبيقياً، وهي:
 - مفهوم التأويل في القرآن دراسة مصطلحية، فريدة زمرد.
 - مصطلح القافية: من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني - دراسة مصطلحية -، محمد أزهرى.
 - مفهوم التقوى في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، محمد البوزي.
 - مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الطبيب البوهالي.
 - مفهوم الجهاد في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، عبد الرحمن البوكيلي.
 - مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث الشريف: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، عبد المجيد بن مسعود.
 - مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم، مصطفى أوعيشة.
 - مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، محمد الينبيعي.
 - مفهوم الحياة في القرآن الكريم والحديث الشريف، محمد الأحمدى.

أما كونه فريضة شرعية فلأن " الوحي - قرآنا وسنة - مجموعة من المفاهيم، إذا حصلت حصلت كليات الدين، وإذا لم تفقه لم يفقه الدين، وإنما يفقه الدين بفقه المفاهيم والأنساق التي يؤويها، ذلك بأن النسق نسق مفاهيم، ومجموع المفاهيم منسوقة أفقيا وعموديا هو صورة الدين. وإلى هذا مرد الصحة وعدمها في سلم الأولويات، الثابت والمتغير، وإلى هذا مرد عديد من التشوهات التي أصابت التصورات لدى عدد من الفرق والطرق والجماعات، ومفتاح الوصول إلى علم ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، قرآنا وسنة، هو دراسة ألفاظ القرآن الكريم، ومفتاح هذا المفتاح الذي يحل المفردات والمركبات، هو الدراسة المصطلحية لتلك الألفاظ¹، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، لذلك كانت دراسة ألفاظ القرآن الكريم وفق منهج الدراسة المصطلحية واجب من أكد الواجبات الشرعية، وعسى أن يكون فهم القرآن بهذا المنهج، من الفهم الذي يؤتاه الله من يشاء من عباده.

أما كون هذا الأمر حاجة علمية، فلأن القرآن الكريم يتميز - من جملة ما يتميز به - بسياقة نصوصه ومحورية مصطلحاته ونسقيتها²:

1- إن المصطلح القرآني مطبوع بطابع النسقية والنظام الذي يطبع القرآن الكريم كله، فلا تكاد تنظر في مصطلح إلا وتجد نفسك مشدودا إلى مصطلحات آخر تتعالق معه نوعا من التعالق، وإلى ضمائم له يمتد عبرها إلى دلالات جديدة، وكما كان فهم بعض القرآن الكريم في عرف السلف متوقف على فهم بعضه الآخر، كذلك هي مصطلحاته تتمايز بأضدادها، وتتحدد خصائصها المفهومية من خلال مواقعها من غيرها من المصطلحات، والكشف عن هذه العلائق والضمائم والخصائص والمواقع إنما يتم بالدرس المصطلحي.

2- أن المصطلح القرآني هو أصل مصطلحات العلوم، فلا يكاد يتبادر إلى ذهن مجال من مجالات العلوم والمعرفة، إلا ونجد له مصطلحات دائرة في القرآن الكريم، مستعملة فيه بشكل من الأشكال، حاملة لدلالة من الدلالات، سواء كانت من مصطلحات العلوم الشرعية، أو من مصطلحات العلوم الإنسانية، أو من مصطلحات العلوم المادية. وبسبب هذه المركزية، فإن الدارس لهذه المصطلحات في المجالات العلمية والتخصصات التي آلت إليها واستعملت فيها فيما بعد، لا مناص له من دراستها في أصل دلالتها، إذ يلزم من معرفة المآلات معرفة الأصول، وبذلك تتكشف له مناحي التطور في تلك الدلالة. وهذا الأمر لا يتأتى إلا بالدرس المصطلحي لهذا المصطلح في الأصل الذي خرج من رحمه، أي في القرآن الكريم.

وقد نبه الإمام الشاطبي (ت790هـ) على أهمية " سياقية " النصوص واستقراء المصطلح في كل موارده، ضمن بيانه لِمآخذ البدع وأسبابها، فقال: " ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها ببعض؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، ...

¹ - الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص 99-100 بتصرف.

² - فريدة زمرد، مفهوم التأويل، مرجع سابق ص 84-85 بتصرف.

وما مثلها إلا مثل الإنسان الصحيح السوي، فكما أن الإنسان لا يكون إنساناً حتى يُسْتَنْطَقَ فَلَا يَنْطِقُ؛ لا باليد وحدها، ولا بالرجل وحدها، ولا بالرأس وحده، ولا باللسان وحده، بل بجملته التي سمي بها إنساناً. كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها ...
فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضاً كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة متحدة.¹

أما كون الدراسة المصطلحية للألفاظ القرآنية ضرورة حضارية، فلأنها " تتعلق ماضياً بفهم الذات، وحاضراً بخاطب الذات ومستقبلاً ببناء الذات، ولن تستطيع الأمة العودة شاهدة على الناس كما هو مقتضى التكليف، ولا الشهود الحضاري المنتظر إلا بعد الاستيعاب التام لما كان وما هو كائن وتحليله وتعليقه ثم التركيب الصحيح لما ينبغي أن يكون انطلاقاً مما كان.
والدراسة المصطلحية مفتاح كل ذلك، فللفهم السليم لابد من فهم المصطلح، وللتعليل السليم والاستنباط السليم لابد من فقه المصطلح، وللتقويم القويم والتركيب الصحيح لابد من ضبط المصطلح².
فاللهم اهدنا الصراط المستقيم والمنهج القويم.

المبحث الثالث: منهج دراسة المصطلحات القرآنية من خلال مؤلفات الشيخ الدكتور الشاهد البوشيخي

المطلب الأول : مصادر منهج الدراسة المصطلحية

من أجل فهم معالم هذا المنهج، يمكن التمييز في مسار الشيخ الدكتور الشاهد البوشيخي التطويري والتطبيقي بين مرحلتين علميتين متكاملتين، واكبهما همٌّ أكبر يتعلق بإعداد مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:

- الأولى: مرحلة الدراسات النقدية .

- الثانية: مرحلة الدراسات القرآنية.

ويمكن استنتاج معالم تطور منهج الدراسة المصطلحية من مؤلفات الشاهد البوشيخي الثلاثة الآتية:

(1) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب: البيان والتبيين للجاحظ³:

وعناصر المنهج فيه هي⁴:

¹ - الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عبد الهادي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م، 311/1-312.

² - الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية-1415هـ-1995، ص: 3.

³ - أصل الكتاب رسالة جامعية لنيل الدبلوم الدراسات العليا، سجلت سنة 1972م ونوقشت سنة 1977م ونشرت سنة 1982م .

⁴ - الشاهد البوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية، مرجع سابق، ص 15 - 18، بتصرف.

1- إحصاء موارد المصطلح إحصاء دقيقاً، " لا يهمل مستعملا من مستعملات المادة الاصطلاحية اسما كان أم فعلا، ومفردا كان أم مركبا، ولا يرصد فقط المواد القطعية أو الظاهرة الاصطلاحية... وإنما يتعداها إلى الضعيفة والضعيف الاصطلاحية ".

2- دراسة المواد الاصطلاحية بالمعاجم اللغوية فالاصطلاحية دراسة تضع نصب عينيها مدار المادة علامه؟ ومأخذ المستعمل اصطلاحيا ممّه؟ وشرح المصطلح- إن كان قد تُعرض له - بمه؟ ".

3- دراسة المواد الاصطلاحية بالنصوص المحصاة، وتتضمن:

- تفهم المصطلح بالمقارنة مع ما يأتلف معه " فالنضاد والترادف، والاقتران والتعاطف، والتقابل والتناظر، والعموم والخصوص، والإضافة والإطلاق، كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم".
- تصنيف نتائج التفهم حسب معاني كل مصطلح، وخصائص وعلاقات كل معنى.
- تحديد معنى أو معاني المصطلح .

وأما طريقة العرض، فقد سارت على الشكل الآتي:

1- عنونة كل مادة بأهم مصطلح فيها.

2- تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهم في المعاجم.

3- دراسة المصطلح الأهم دراسة مصطلحية، تعتمد على:

- تحديد معنى أو معاني المصطلح.
- ذكر صفات المصطلح، من خصائص ونعوت وعيوب، وأحوال ورود كإضافة أو إطلاق، أو إسمية أو وصفية، أو تعريف أو تنكير.
- ذكر العلاقات التي تربط المصطلح أو تفصله عن سواه.
- عرض ضmann المصطلح حسب الترتيب الهجائي.

(2) مصطلحات النقد العربي لدى الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج ونصوص¹:

اعتمد فيه² جمع النصوص وتصنيفها، وإحصاء المصطلحات المستخرجة من هذه النصوص، ودراسة نماذج مختارة من المصطلحات، مع مراعاة الترتيب التاريخي، وتلمس التطور الذي طرأ على المصطلح المدروس . أما طريقة العرض؛ فكانت بعنوان المادة بأهم مصطلح فيها تنبيهها عليه، وتحديد معنى المصطلح أو معانيه في المعاجم، تحديدا يشبه ما ذكر قبل، ودراسة المصطلح الأهم دراسة مصطلحية، تحاول التطرق لكل ما اقترن بالمصطلح، منظمة له في خانات أبرزها:

أ- تحديد معنى المصطلح أو معانيه الأساسية، تحديدا يحرص ما أمكن على مراعاة ما تقتضيه طبيعة التحديد ووظيفته.

ب- ذكر أحوال وروده، من كثرة أو قلة، أو إسمية أو وصفية، أو تعريف أو تنكير، أو إضافة أو إطلاق.

ت- ذكر نعوته وعيوبه التي نعت بها أو عيب.

¹ - أصل الكتاب أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، نوقشت سنة 1990م ونشرت سنة 1993م .

² - ينظر: الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي، ص: 11-12.

- ث- ذكر مرادفاته ومقابلاته.
- ج- ذكر أجزائه وأنواعه .
- ح- ذكر إضافاته وعطفه.
- خ- ذكر مستفادات أخرى من مجموع نصوصه، أهمها، مقارنته بمشابهه، وتلمس التطور الدلالي له.
- د- دراسة الباقي من المادة مع اعتبار المصدر الأصل .
- ذ- مراعاة الترتيب التاريخي .
- ر- ترتيب المواد المدروسة كلها . " الترتيب المفهومي المفضل في ميدان المصطلح "
- ز- اعتبار المدروس كله في علاقة بعضه ببعض، كالمادة الواحدة.
- (3) نظرات في المصطلح والمنهج¹: وهو مضمون المطلب التالي:

المطلب الثاني : تعريف الدراسة المصطلحية وأركانها

- عرف الشاهد البوشيخي فيه (أي نظرات في المصطلح والمنهج) الدراسة المصطلحية بأنها:
- "ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم، وفق منهج خاص، بهدف تبين وبيان المفاهيم التي عبرت، أو تعبر عنها تلك المصطلحات، في كل علم، في الواقع والتاريخ معا"². وحدد أركانها الخمسة في:
- (1) الإحصاء؛ ويقصد به:
- إحصاء لفظ المصطلح: "مفردا أو مجموعا، معرفا أو منكرا، إسما أو فعلا، مضموما الى غيره، أو مضموما إليه غيره"³.
 - وإحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي.
 - وإحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح.
 - وإحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه.
- (2) الدراسة المعجمية: "ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية دراسة تبتدئ من أقدامها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام

¹ - يتضمن الكتاب ثلاث كلمات:

" أهم ما في الأولى: الخطة العلمية اللازمة لمواجهة الطوفان المفهومي.

وفي الثانية: نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين الجويني (ت478هـ) به في كتابه الكافية، وفيها عرض لمنهج الدراسة المصطلحية يعرض لأول مرة بتلك الصورة.

وفي الثالثة: مقترحات في كيفية الاستفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات " أنظر: الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، مرجع سابق، من ص: 41 إلى ص: 64.

² - نفسه، ص 44.

³ - نفسه، ص 48.

مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح¹.

(3) الدراسة النصية: "ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه، من صفات وعلاقات وضمائم، وغير ذلك².

(4) الدراسة المفهومية: "من تعريف له يحدده بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم. وصفات له تخصه، كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضييق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنوع التي ينعت بها أو يعاب. وعلاقات له تربطه بغيره، كالمرادفات والأضداد وما إليها، والفصول والفروع وما إليها، وضمائم إليه تكثر نسله وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف. ومشتقات حوله من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي، وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها³.

(5) العرض المصطلحي، وفيه:

➤ التعريف: ويتضمن المعنى اللغوي ولا سيما الذي يترجح أن منه أخذ المعنى الاصطلاحي، والمعنى الاصطلاحي العام في الاختصاص، ومفهوم المصطلح المدروس.

➤ الصفات، وفيها:

- الصفات المصنفة التي تحدد وظائف المصطلح ومواقعه.
 - الصفات المبنية التي تحدد مدى قوة أو ضعف اصطلاحية المصطلح.
 - الصفات الحاكمة التي تقيد حكما على المصطلح، كالنوع والعيوب.
- العلاقات: وفيها علاقات الائتلاف، كالترادف والتعاطف، وعلاقات الاختلاف كالتضاد، وعلاقات التداخل والتكامل، كالعموم والخصوص، والأصل والفرع.
- الضمائم: وأبرز أشكالها ضمائم الإضافة، سواء أضيف المصطلح إلى غيره أم أضيف إليه غيره، وضمائم الوصف، سواء أكان المصطلح واصفا أم موصوفا.
- المشتقات: "وتتضمن كل لفظ اصطلاحى ينتمي لغويا ومفهوميا إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس".
- القضايا: "وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح، مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن إلا بعد التمكن منها حق التمكن⁴.

¹ - نفسه، ص 48-49.

² - نفسه، ص 49.

³ - نفسه، ص 49-50.

⁴ - نفسه ص 50-52.

وعمل الشاهد البوشيخي بحماس لا يفتر من أجل إعداد مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية¹ ، فأسس معهد الدراسات المصطلحية بفاس من أجل تحقيق هذا المشروع.

المطلب الثالث : دراسة المفاهيم القرآنية بمنهج الدراسة المصطلحية

لم يقتصر الدكتور الشاهد البوشيخي على مجال الدراسات النقدية، بل ارتقى بالمسألة المصطلحية، بعدما وجد أن " الإشكال المصطلحي في الأمة اليوم عميق، وخطير ودقيق"²، فنقل منهجه إلى ميدان الدراسات القرآنية .

وبعد تشخيص حال الأمة مع كتاب ربها، خلص إلى الملاحظات المنهجية الآتية:

1- إن الأمة تعاني من أمر المصطلح الأصل " الذي به قامت، وعليه قامت، وله قامت، المصطلح الذي كانت به الأمة الوسط، وبه كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه كان رجالها شهداء على الناس: مصطلح القرآن والسنة البيان"³.

2- لا يمكن أن نجد فهمنا إن لم نجد منهجنا؛ لأن " تدبرا يسيرا لأول ما نزل من الهدى هدى الله-جل وعلا- يرشد إلى أن قراءة بمنهج معين، لتحصيل فهم معين، هي أول الطريق وشرط البدء: إنها القراءة باسم الله، إنها { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } سورة العلق/1"⁴.

3- يجب تجاوز المنهجيات الفاسدة التي أفرزتها قرون الضعف والانحطاط، والمقذوفات المنهجية المدمرة التي صباها الغرب على الأمة صبا⁵.

4- الدين في جانبه المعنوي التصوري نسق من المفاهيم، أصلها في كتاب الله عز وجل، وبيانها في بيانه السنة، من تمكن من تلك المفاهيم، ومن نسقها العام، تمكن من الصورة الصحيحة لهذا الدين.⁶

وحدد كيفية دراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية بمنهج الدراسة المصطلحية بما يلي⁷:

1- الإحصاء: إحصاء جميع مشتقات الجذر اللغوي للفظ، في جميع الآيات التي ورد بها في القرآن كله.

¹ - أنظر معالم هذا المشروع في كتابه (دراسات مصطلحية)، ص 11 وما بعده.

² - الشاهد البوشيخي، قول في المصطلح، ضمن مجلة دراسات مصطلحية، العدد 1 ، ص 6، نقلا عن الطبيب البوهالي، مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ-2011م. ص: 62.

³ - نفسه ص63.

⁴ - الشاهد البوشيخي، نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية، ضمن كتابه (دراسات مصطلحية) ص: 101.

⁵ - نفسه ص: 101-102، بتصرف.

⁶ - نفسه ص 102.

⁷ - نفسه ص 103-104 باختصار.

- 2- تصنيف جميع النصوص المحصاة بعد استخلاصها .
- 3- دراسة معاني المشتقات في المعاجم اللغوية.
- 4- تفهم مفهوم المشتق الأهم في كل نص من النصوص التي ورد بها.
- 5- تصنيف نتائج التفهم حسب العناصر المكونة للمفهوم، من:
- سمات دلالية لا يمكن تعريف لفظها مع الاستغناء عن بعضها.
 - ثم حسب العلاقات التي للمفهوم مع ما انتلف معه ضربا من الائتلاف، كالترادف، أو مع ما اختلف معه ضربا من الاختلاف، كالتضاد.
 - ثم حسب الضمائم، أي الأشكال التي ورد عليها لفظ المفهوم مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره ، كإضافة لفظ المفهوم إلى غيره، أو إضافة غيره إليه، وما أشبه .
 - ثم حسب القضايا التي ترتبط بالمفهوم أو يرتبط بها، مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها، كالأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع، والوظائف، والتأثير، والتأثر.
- 6- تعريف لفظ المفهوم تعريفا يحيط بكل عناصر المفهوم التي استخلصت من مجموع نصوصه.
- 7- تحرير ما تقدم تحريرا يراعي طبيعة المجال العلمي، وطبيعة المادة المفهومية، وطبيعة المنهج الدارس، فإذا تم ذلك في درس كل مفهوم، وكل مادة، أمكن الخلوص في النهاية إلى تركيب النسق المفهومي العام للخلوص إلى الفهم الكلي للنسقي للقرآن الكريم.
- هذا، وإنني استخرت الله عز وجل ثم استشرت مع فضيلة الشيخ البوشيخي في اعتماد هذا المنهج للبحث في مفهوم الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي، فأبدى موافقته باعتبار أن هذا المفهوم لم يتناول بالدراسة المصطلحية، ونصحتني بالصبر وطول النفس حتى تحقيق المراد إن شاء الله تعالى، { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } سورة هود/88.

الفصل الثاني: دلالة لفظ الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

إن وضع تعريف دقيق وسليم لمصطلح (الكفر) في القرآن الكريم والحديث الشريف يستلزم - من جملة ما يستلزم - تتبع دلالة اللفظ في المعاجم اللغوية، قصد تذوقه ومعرفة مأخذه ومداره، ثم في المعاجم الاصطلاحية، ثم بعد ذلك تتبعه في كل النصوص القرآنية والحديثية التي تضمنته، ولبلوغ هذه الغاية قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

الأول: خصص لبيان الدلالة اللغوية والاصطلاحية للمصطلح.

والثاني: خصص لبيان الدلالة المفهومية للمصطلح من خلال موارده القرآنية والحديثية .

المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الكفر

المطلب الأول : الدلالة اللغوية

تدور مادة (ك ف ر) في اللسان العربي حول أصل يدل على التغطية والستر، ومنه تفرعت معاني سائر الصيغ والاستعمالات.

ومنه قول لبيد¹ (ت 41 هـ):

يَغْلُو طَرِيقَةً مَتْنِهَا مُوَاتِرًا ... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا². " أي غطاها "³.

فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ) - إمام المعجميين - أسس لهذا المعنى بذكر بعض الشواهد، فصار على نهجه أصحاب المعاجم بعده، وذكروا في الغالب نفس الشواهد من شعر العرب ونثرهم. قال الخليل : " والرجل يَكْفُرُ درعه بثوب كَفْرًا، إذا لبسه فوقه، فذلك الثوب كافر الدرع. والكافر: الليل والبحر، ومغيب الشمس.

وكل شيء غطى شيئاً فقد كَفَرُهُ⁴."

وقال ابن دريد (ت 321 هـ): " وأصل الكفر التغطية على الشيء والستر له... وكفر الرجل عن يمينه، كأنه غطى عليها بالكفارة. وكل مغط كافر. قال الشاعر:

فَتَذْكُرًا ثَقُلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا ... أَلْقَتْ ذِكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ⁵

، أي في الليل، لأنه يغطي الأرض، وذكاء: الشمس. وكفر السحاب السماء: إذا غطاها "⁶.

¹ - لبيد بن ربيعة الشاعر المشهور، أدرك الإسلام، وهو صحابي جليل، كان فارساً شجاعاً سخياً، مات سنة 41 هـ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، 5/ 675.

² - أبو زيد القرشي (ت 170 هـ)، جوهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 254.

³ - ابن دريد الأزد، جوهرة اللغة، مادة كفر، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م، 787/2.

⁴ - الفراهيدي، معجم العين، مادة كفر، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 5/ 357.

⁵ - هذا البيت أورده ابن السكيت (ت 244 هـ)، قال : " قال ثعلبة بن صعيير المازني يذكر النعامة والظليم، وأنهما تذكران بيضهما فأسرعا إليه:

إليه:

فَتَذْكُرًا ثَقُلًا رَثِيدًا بَعْدَ مَا ... أَلْقَتْ ذِكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ

ذكاء يعني الشمس، أي بدأت في المغيب، والكافر الليل، والرثد متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض، وهو متاع مرثود ورثيد " إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة، 1949م، ص 49.

⁶ - ابن دريد، جوهرة اللغة، مادة كفر، 786/2-787.

أما ابن فارس (ت395هـ) كعادته في التأصيل للألفاظ والمصطلحات فيقول: "الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه. والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه"¹.

والناظر في المعاجم اللغوية يجد أن مختلف استعمالات مادة (ك ف ر) كلها ترجع إلى هذا المعنى: وهو التغطية والستر.

قال ابن السكيت (ت244هـ): "ومنه سمي الكافر كافراً، لأنه ستر نعم الله."²
وقال الأزهري (ت370هـ): "والكفارات سميت كفارات، لأنها تُكْفَرُ الذنوب، أي تسترها، مثل كفارة الأيمان، وكفارة الظهار، والقتل الخطأ.. وكافور الطَّلعة: وعاءها الذي ينشق عنها، سمي كافوراً: لأنه قد كفرها، أي غطاها."³
وقال الجوهري (ت396هـ): "والكفر بالفتح: التغطية... ورماد مكفور: إذا سفت الريح التراب عليه حتى غطته."⁴

والكافر: الليل المظلم، لأنه ستر كل شيء بظلمته.

والكافر: الزارع، لأنه يغطي البذر بالتراب، والكفار: الزراع⁵، والمتكفر: الداخل في سلاحه.⁶

وقال ابن سيده (ت458هـ) "وكَفَر نعمة الله يكفُرها كُفُوراً، وكُفَرنا، وكَفَر بها: جَدَّها وسترها... والجمع: كُفَّار، وكَفَرَة، وكِفَّار، قال القُطامي⁷:

وَشَقَّ الْبَحْرُ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى ... وَغُرِّقَتِ الْفَرَاغَةُ الْكِفَّارُ"⁸.

وقال الراغب الأصفهاني (ت502هـ): "والتكفير: ستر الإثم وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل"¹.

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة كفر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م. 191/5.

² - إصلاح المنطق لابن السكيت، ص 340.

³ - الأزهري، تهذيب اللغة، مادة كفر، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 114/10.

⁴ - قال الأصمعي (ت216هـ): أنشدنا أبو مهدي:

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... قد درست غير رماد مكفور" إصلاح المنطق لابن السكيت، ص 126.

⁵ - جاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) "والكافر الزارع لستره البذر بالتراب، والكفار الزراع، ونقول العرب للزارع: كافر لأنه يكفر بكفر البذر المبذور بتراب الأرض المثارة.. ومنه قول الله جل وعز: { كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ } سورة الحديد/20، أي أعجب الزُّرَّاع نباته." لسان العرب، مادة كفر، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ، 144/5.

⁶ - الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، مادة كفر، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م. 808-807/2.

⁷ - القُطامي (ت نحو 130 هـ):

القطامي واسمه عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد، ولقب القطامي ببيت قاله، ويكنى أبا سعيد. وكان شاعراً فحلاً، كثير الأمثال في شعره. وكان نصرانياً، وهو شاعر إسلامي مقل مجيد. أنظر: معجم الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت384هـ)، تصحيح وتعليق: الأستاذ كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1402 هـ - 1982 م، 244/1. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، 21/24.

⁸ - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم - مادة (ك ف ر)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 2000م، 4/7.

وقال الزمخشري (ت538 هـ): "كفر الشيء وكفره: غطّاه، يقال: كفر السحاب السماء، وكفر المتاع في الوعاء، وكفر الليل بظلامه، وليل كافر.. وكفرت الريح الرّسم .. وتكفّر بثوبك: اشتمل به. وطائر مكفر: مغطّى بالريش"².

نستنتج إذن، من تتبع استعمالات الجذر (كفر) في المعاجم اللغوية، أن أصل الوضع استعماله في الأعيان ثم استعير للمعاني، وكلها تدور حول التغطية والستر.

لذلك فإن الدلالة اللغوية التي ترجع إليها مشتقات الجذر كفر يمكن حصرها في معنى كلي جامع: التغطية. أما لفظ **الكفر بالضم** فقد ورد بعدة معان يمكن إجمالها فيما يلي:

1- قال الليث (ت175هـ): **الكُفر**: نقيض الإيمان، (آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت³)، ويقال لأهل دار الحرب: قد كَفَرُوا، أي: عصوا وامتنعوا.⁴

2- **والكُفر**: نقيض الشكر. كَفَر النعمة، أي: لم يشكرها⁵، وهو " جحود النعمة...وقد كفره كفورا وكفرانا. وقوله تعالى: { إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ نَّارٌ } سورة القصص، الآية 48، أي جاحدون⁶.

ورجل مكفّر، وهو المحسان الذي لا تشكر نعمته.⁷ وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى { فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ } سورة الأنبياء / 94.⁸

3- قال شمر⁹ (ت 255 هـ): " والكفر أيضا بمعنى البراءة، كقول الله تعالى حكاية عن الشيطان في خطيئته إذا دخل النار { إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ } سورة إبراهيم/ 22، أي تبرأت¹.

¹ - المفردات في غريب القرآن، ص: 717.

² - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة: ك ف ر، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م. 140/2.

³ - قال الجوهري: " طَعَا يَطْعُو وَيَطْعُو طُعْيَانًا، أي جاوز الحدّ. وكلّ مجاوز حدّه في العصيان فهو طاغ. " الصحاح في اللغة، مادة (طغا)، 2412/6، والطاغوت: من الطُعْيَانِ، يقع على المذكر والمؤنث. وزنه: " فعولت " إنّما هو " طغيوت "، قدمت الياء قبل الغين، وهي مفتوحة وقبلها فتحة فقلبت ألفًا. أنظر: ابن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، مادة (ط غ ي)، 9/6، المخصص لنفس المؤلف، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 151/5.

ومنه " الطّاغُوتُ: عبارة عن كلّ متعدّد، وكلّ معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع. قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } [البقرة/ 257]، { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ } سورة النساء/ 60" المفردات، مادة (طغي) ص 520-521.

ويطلق الطّاغُوتُ أيضا على اللأث، والعزى، والكاهن، والشيطان، وكلّ رأس ضلال، والأصنام، ومردّة أهل الكتاب، فلُعُوتٌ من طَعُوتٌ جمعه طَوَاغِيْتُ وطَوَاغٍ. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (طغي) ص: 1307.

⁴ - الفراهيدي، كتاب العين، مادة كفر 356/5، الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (كفر)، 110/10.

⁵ - كتاب العين، مادة (كفر)، 356/5.

⁶ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (كفر)، 807/2.

⁷ - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ك ف ر)، 140/2.

⁸ - مفردات الراغب، ص: 714.

⁹ - شمر بن حمدويه الهروي أبو عمرو، نحوي، لغوي، راوية للأخبار والأشعار. رحل في شببته إلى العراق، وأخذ عن ابن الاعرابي والأصمعي والفراء وأبي حاتم السجستاني وغيرهم، ثم رجع إلى خراسان، وأخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث. من تصانيفه: الجيم، غريب الحديث، السلاح، والجمال والأودية. أنظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 4/ 306.

ونفس المعنى أكدّه الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) قائلا: " وقد يعبر عن التبري بالكفر نحو: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ} سورة العنكبوت/ 25" ²، ومنه قوله تعالى: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ } سورة فاطر/ 14.

4- وقد يرد الكفر بمعنى التكذيب ³ والجد والإنكار، ومنه قولهم: كفرني حقي أي: جحدني ⁴.

المطلب الثاني : الدلالة الاصطلاحية

عرفت المعاجم الاصطلاحية - التي درست المصطلح القرآني - الكفر بمعان تدور حول جحود العبد و تكذيبه لأصول الإسلام وعدم الإيمان بها.

فالراغب الأصفهاني (ت 502هـ) يقول : " والكافر على الإطلاق: متعارف فيمن يجحد الوجدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتها " ⁵.

ونقل نفس المعنى السمين الحلبي (ت 756هـ) بعد أن ذكر تأصيله اللغوي فقال: " الكفر أصله التغطية والستر، وسمي الكافر الشرعي كافراً لأنه ستر الحق وغطى عليه...وغلّب الكفر في تغطية الحق والدين...والكافر على الإطلاق من جحد الوجدانية أو النبوة أو الشريعة " ⁶.

وكاد الكفوي (ت 1094هـ) يجمع كل ما تفرق عند غيره من معاني الكفر، فقال : " الكفر شريعة: عدم الإيمان عما من شأنه.

والكفر ضد الإيمان، يتعدى بالباء نحو قوله تعالى: { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ } سورة البقرة، آية 256.

والكفر: تغطية نعم الله بالجحود، وهو في الدين أكثر.

والكفران: أكثر استعمالاً في جحود النعمة، والكفور فيهما جميعاً.

والكفار: في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً، والكفرة: في جمع كافر النعمة أكثر استعمالاً.

¹ - لسان العرب لابن منظور، مادة (كفر)، 144/5.

² - مفردات الراغب، ص: 716.

³ - قال السمين الحلبي (ت 756هـ): " وقد يعبر بالكفر عن التكذيب، ولذلك تعدى تعديته لقوله تعالى: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ } سورة النساء/ 136." عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 409/3.

⁴ - الباقلائي (ت 403هـ)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية لبنان، طبعة 1407هـ - 1987م، ص: 394.

⁵ - مفردات الراغب، ص: 714-715.

⁶ - السمين الحلبي، عمدة الحفاظ 406-408. وهو النفس التعريف الذي ذكره الفيروزآبادي (ت 817هـ) في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مادة كفر، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 361/4، وذكره أيضاً محمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031هـ) في كتابه " التوقيف على مهمات التعاريف"، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ. ص: 606.

والكفر: ملة واحدة، لأن شريعة محمد ﷺ هي الحق بلا شك، والناس بالنسبة إليها فرقتان: فرقة تقر بها وهم المؤمنون قاطبة، وفرقة تنكر بأجمعهم، وهم الكفار كافة. فبهذا الاعتبار كالملة الواحدة، وإن اختلفوا فيما بينهم، فصاروا كأهل الأهواء من المسلمين¹.

وقال التهانوي (ت بعد 1158هـ): "الكفر شرعا خلاف الإيمان عند كل طائفة".²

وهذه التعريفات، وإن اختلفت في ألفاظها، فهي متقاربة في المعنى، ومدارها على معنيين: إما تعريف الكفر باعتبار مصادته للإيمان، كما في تعريف الكفوي والتهانوي، وإما تعريف الكفر بجحد ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كما في بقية التعريفات.

كما يلاحظ على التعريفات أنها قد عرفت الكفر، وحددت مفهومه في الاصطلاح الشرعي بما يقتضي حصره في الكفر الأكبر³، وهذا هو حقيقة الكفر في استعمال القرآن والحديث عند الإطلاق، وإن كان يطلق مقيدا على الكفر الأصغر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) رحمه الله: "وفرق بين معنى الاسم المطلق إذا قيل كافر أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للإسم في جميع موارد، كما في قوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"⁴.

فقوله: (يضرب بعضكم رقاب بعض) تفسير للكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الإسم المطلق إذا قيل: كافر أو مؤمن".⁵

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

يتبين لنا عند الموازنة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للفظ الكفر، أن هذا الأخير مستقى من الأول الذي عليه مدار مادة (كفر) أي التغطية والستر، كما دلت على ذلك أقوال العلماء المحققين. قال الليث (ت 175هـ) : " يقال: إنه سُمِّيَ الكافر كافراً لأن الكُفر غطَّى قلبه كله".¹

¹ - الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت. ص: 763.

² - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م، 1368/2.

³ - سنعرف فيما يأتي من البحث إن شاء الله تعالى أن الكفر ينقسم في خطاب الشرع إلى قسمين: كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر غير مخرج من الملة. أنظر: الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول: أقسام الكفر.

⁴ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) الحديث 6666، 2593/6. صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» ، الحديث 65، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، 81/1.

⁵ - ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1369هـ. ص: 70.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ): " وأما الكافر فيقال والله أعلم: إنما سمي كافرا لأنه متكفر به، كالمتكفر بالسلاح وهو الذي قد ألبسه السلاح حتى غطّى كل شيء منه، وكذلك غطى الكفر قلب الكافر. " ²

وقال ابن قتيبة (ت 276 هـ): " أمّا الكافر: فهو من قولك كَفَرْتَ الشيء إذا غَطَيْتَهُ.. ومنه كافور النخل وهو قشر الطَّلعة تقديره فاعُول، لأنه يَغْطِي الكُفْرَ ³ ومنه قيل: ليلٌ كافر لأنه يَسْتُرُ كل شيء .. فكأن الأصل في قولهم كافر، أي: سائر لنعم الله عليه، وكان بعض المُحدِّثين يذهب في قول رسول الله ﷺ: " لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " ⁴ إلى التكلّف في السلاح، يريد ترجعوا بعد الولاية أعداء، يتكفّر بعضهم لبعض في الحرب. " ⁵

وقال الأزهرى (ت 370 هـ) مؤكدا قول ابن السكيت (ت 244 هـ) السابق ⁶ : " وما قاله ابن السكيت: فهو بين صحيح، والنعم التي سترها الكافر هي: الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له، وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة، والكتب المنزلة، والبراهين الواضحة: نعم منه - جلّ اسمه - بينة، ومن لم يصدّق بها وردّها فقد كفر نعمة الله أي: سترها وحجبها عن نفسه. " ⁷

وقال ابن فارس (ت 395 هـ): " والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق. " ⁸

وقال الكفوي (ت 1094 هـ): " الكفر: كل شيء غطى شيئا فقد كفره، ومنه سمي الكافر لأنه يستتر نعم الله " ⁹.

فظهر بهذا ارتباط المعنى الاصطلاحي للكفر بالمعنى اللغوي، وأن المعنى الاصطلاحي مستمد من المعنى اللغوي، وإن اختلفت أقوال العلماء في وجه الترابط بينهما بعد اتفاقهم أن معنى الستر والتغطية كامن في المعنى الاصطلاحي ، والله أعلم.

¹ - الأزهرى، تهذيب اللغة - مادة كفر 112/10، ابن منظور، لسان العرب، مادة كفر 144/5. قال الأزهرى (ت 370 هـ) : " ومعنى قول الليث : قيل له كافر لأن الكفر غطى قلبه، يحتاج إلى بيان يدل عليه، وإيضاحه: أن الكفر في اللغة معناه التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح: كافر، وهو الذي غطاه السلاح.

وفيه قول آخر: وهو أحسن مما ذهب إليه الليث، وذلك أن الكافر لما دعاه الله جل وعز إلى توحيدهِ فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها، فلما رد ما دعاه إليه من توحيدهِ كان كافرا نعمة الله أي: مغطيا لها بإبائه حاجبا لها عنه. " الأزهرى، تهذيب اللغة - مادة كفر، 112/10

² - أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، الطبعة الأولى، 1384 هـ - 1964 م، 3/13.

³ - " الكُفْرُ وعاء الطلع " أنظر لسان العرب لابن منظور، مادة (جفر)، 142/4، ومرتضى الرّبّيدى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، 443/21.

⁴ - سبق تخريجه.

⁵ - ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولى، 1397 هـ. 247/1-248.

⁶ - وهو قوله : " ومنه سمي الكافر كافرا، لأنه ستر نعم الله " إصلاح المنطق، ص: 340.

⁷ - تهذيب اللغة - مادة كفر، 113/10

⁸ - معجم مقاييس اللغة، مادة كفر 191/5.

⁹ - الكفوي، الكليات، ص: 742.

المبحث الثاني: تعريف الكفر في القرآن والحديث

القصد من هذا المبحث، وضع تعريف للفظ الكفر انطلاقاً من دلالاته في مجموع النصوص التي ورد بها في المجالين معاً: القرآن الكريم والحديث الشريف. وللوصول إلى هذا الغرض، لزم قطع المراحل التالية :

المرحلة الأولى : الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس إحصاء ووصفاً.

المرحلة الثانية : تحليل أحجام ورود وصيغها.

المرحلة الثالثة : تحليل دلالات ورود الجزئية التي تضمنها كل مورد، والتي ستكون عناصر تعريف مصطلح الكفر في القرآن والحديث.

المطلب الأول: الدرس الوصفي لموارد لفظ الكفر في القرآن الكريم

يقصد بالدرس الوصفي لموارد اللفظ: إحصاء مواطن ورود المصطلح في الآيات المشتملة عليه، ووصف أشكال هذه الموارد (الصيغ الاشتقاقية التي وردت بها) .

1- إحصاء الموارد في القرآن الكريم:

وردت مادة (كفر) في القرآن الكريم وروداً واسعاً من خلال ثمانية عشر اشتقاقاً تكون في مجموعها خمس مائة وستة وعشرين موضعاً (526) ، يقتصر الدرس منها على ثلاثة عشر اشتقاقاً تنتمي إلى نفس المجال المفهومي للفظ الكفر، كما هو مبين في الجدول التالي:

حجم الورد	الاشتقاق
37	الكفر (مصدر)
3	الكفور (بالضم مصدر)
223	كفر (فعل ماض)
54	يكفر (فعل مضارع)
2	أكفر (فعل أمر)
6	كافر (اسم فاعل)
127	كافرون (جمع المذكر السالم)
19	كفار (جمع كثرة)
1	كفرة (جمع كثرة)

1	كوافر (صيغة منتهى الجموع)
9	كَفُورٌ (بالفتح صيغة مبالغة)
5	كَفَّار (صيغة مبالغة)
1	أكفر (اسم تفضيل)
488	المجموع

2- تصنيف الموارد حسب ترتيب النزول:

أ - في القرآن المكي:

وردت مادة (كفر) في القرآن المكي مائتين وأربعة عشر مرة (214)، وذلك في السور الآتية وفق ترتيب النزول¹:

المجال	مواضع الورود (السورة ورقم الآية)	أشكال الورود	حجم الورود	عدد آيات الورود
القرآن المكي	القلم(2) : 51	- كفروا	1	1
	المزمل(3) : 17	- كَفَرْتُمْ	1	1
	المدثر(4): 10-31(2)	- الْكَافِرِينَ - كَفَرُوا - الْكَافِرُونَ	3	2
	الكافرون(17): 1	- الْكَافِرُونَ	1	1
	البروج(26): 19	- كَفَرُوا	1	1
	ق(33) : 2- 24	- الْكَافِرُونَ - كَفَّارٍ (جاحد أن الله هو الإله الحق، كثير الكفر والتكذيب	2	2
	البلد(34): 19	- كَفَرُوا	1	1
	الطارق (35) : 17	- الْكَافِرِينَ	1	1

¹ - وذلك بحسب الترتيب الذي ذكره الزركشي (ت794هـ) في البرهان وعلق عليه بقوله: " فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهي خمس وثمانون سورة " البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، 1376هـ - 1957م، 1/194. وقد أشرت إلى ترتيب نزول السور التي وردت فيها الآيات موضوع الدراسة بالرقم الموجود بين قوسين ().

3	3	- الْكَافِرُونَ - كُفِرَ - أَكْفَارُكُمْ	القمر(36): 8 - 14 - 43
4	5	- كَفَرُوا(3) - الْكَافِرُونَ - الْكَافِرِينَ	ص (37) : 2 - 4 - 27 (2) 74 - (
8	8	- كَافِرِينَ (أربع مرات) - كَافِرُونَ (2) - كَفَرُوا (2)	الأعراف (38) : 37 - 45 - 50 - 66 - 76 - 90 - 93 - 101
3	3	- كَفَرُوا - تَكْفُرُونَ - الْكَافِرِينَ	يس (40) : 47 - 64 - 70
6	6	- كَفَرُوا (2) - الْكَافِرِينَ (2) - كفورا - الْكَافِرُ	الفرقان (41) : 4 - 26 - 32 - 50 - 52 - 55
4	10	- كَفَرُوا (3) - كُفُورٍ (متمادٍ في الكفر مُصِرٌّ عليه.) - كَفَرَ - كُفْرٌ (3) - الْكَافِرِينَ (2)	فاطر(42): 7 - 14 - 26 - 36 (2) - 39 (6)
5	5	- كَفَرُوا (2) - كَفَرَ - كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ - الْكَافِرِينَ	مريم (43): 37 - 73 - 77 - 82 - 83
1	1	- وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ	الشعراء(46): 19
2	2	- كَافِرِينَ - كَفَرُوا	النمل(47): 40 (2) - 43 - 67
4	4	- يَكْفُرُوا - كَافِرُونَ	القصص(48): 48 (2) - 82 - 86

		- الْكَافِرُونَ - لِلْكَافِرِينَ		
6	6	- لِلْكَافِرِينَ - كَفُورًا - كَفَرْتُمْ - كُفُورًا (2) - كَفَرُوا	الإسراء (49): 8-27-67- 69-89-98-99	
4	5	- الْكَافِرُونَ - كَفَرُوا - يَكْفُرُونَ (2) - الْكَافِرِينَ	يونس (50): 2-4(2)-70- 86	
7	7	- كَفَرُوا (4) - يَكْفُرُ - كَافِرُونَ - الْكَافِرِينَ	هود (51): 7-17-19-27- 42-60-68	
2	2	- كَافِرُونَ (2)	يوسف (52): 37 - 87	
1	1	- كَفَرُوا	الحجر (53): 2	
8	9	- كَفَرُوا (3) - تَكْفُرُونَ - يَكْفُرُونَ - يَكْفُرُ - كَافِرِينَ (3)	الأنعام (54): 1-7-25- 30-70-89-122-130	

المجال	مواضع ورود	أشكال ورود	حجم ورود	عدد آيات ورود
القرآن المكي	الصفات(55): 170	- فَكْفَرُوا	1	1
	لقمان(56): <u>12</u> - 23 (2) - 32	- كَفَرَ - كُفِرَ - كُفِرَ	3	2
	سبأ(57): 3 - 7 - 17 (2) - 31 33 (2) - 34 - 43 - 53	- كَفَرُوا (7) - الْكُفُورَ - نَكْفُرَ - كَافِرُونَ	10	8
	الزمر(58): 3 - 7 (2) - 8 - 32 35 - 59 - 63 - 71 (2)	- كَفَّارٌ (كَفَّارَ بآياته وحججه) - تَكْفُرُوا - الْكُفْرَ - بِكُفْرِكَ - لِلْكَافِرِينَ (3) - كَفَرُوا (2)	9	7
	غافر(59): 4 - 6 - 10 (2) - 12 14 - 22 - 25 - 42 50 - 74 - 84 - 85	- كَفَرُوا (4) - فَتَكْفُرُونَ - كَفَرْتُمْ - الْكَافِرُونَ (2) - الْكَافِرِينَ (3) - لَأَكْفُرَ - كَفَرْنَا	13	12
	فصلت(60): 7 - 9 - 14 - 26 - 27 29 - 41 - 50 - 52	- كَافِرُونَ - لَتَكْفُرُونَ - كَافِرُونَ - كَفَرُوا (5) - كَفَرْتُمْ	9	9
	الشورى(61): 26 - 48	- الْكَافِرُونَ - كُفُورٌ	2	2
		- لَكُفُورٌ	4	4

		- كَافِرُونَ (2) - يَكْفُرُ	الزخرف (62): 15 - 24 - 30 - 33.
2	2	- كَفَرُوا (2)	الجاثية (64): 11 - 31
6	7	- كَفَرُوا (5) - كَفَرْتُمْ - تَكْفُرُونَ	الأحقاف (65): 3 - 6 - 7 - 10 - 11 - 20 - 34 (2)
1	1	- كَفَرُوا	الذاريات (66): 60
1	1	- كَفَر	الغاشية (67): 23
8	9	- فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ - أَكْفَرْتَ - كَفَرُوا (4) - كُفْرًا - لِلْكَافِرِينَ (2)	الكهف (68): 29 - 37 - 56 - 80 100 - 102 (2) - 105 106
9	10	- الْكَافِرِينَ (2) - كَفَرُوا (3) - يَكْفُرُونَ - الْكَافِرُونَ - كَفَر - الْكُفْرِ - كَفَرْتَ	النحل (69): 27 - 39 - 55 - 72 - 83 84 - 88 - 106 - 107 112
2	2	- الْكَافِرِينَ - كَفَّارًا	نوح (70): 26 - 27
7	7	- لِلْكَافِرِينَ - كَفَرْتُمْ - تَكْفُرُوا - كَفَرْنَا - كَفَرُوا (2) - كُفْرًا	إبراهيم (71): 2 - 7 - 8 - 9 - 13 - 18 22 - 28
4	5	- كَفَرُوا (4) - كَافِرُونَ	الأنبياء (72): 30 - 36 (2) - 39 - 94 - 97
3	3	- كَفَرُوا (2) - الْكَافِرُونَ	المؤمنون (73): 24 - 33 - 117

2	2	- كَافِرُونَ - كَفَرُوا	السجدة(74): 10 - 29
1	1	- كَفَرُوا	الطور(75): 42
4	4	- كَفَرُوا(2) - الْكَافِرُونَ - الْكَافِرِينَ	الملك(76): 6 - 20 - 27 - 28
1	1	- الْكَافِرِينَ	الحاقة(77): 50
2	2	- لِلْكَافِرِينَ - كَفَرُوا	المعارج(78): 2 - 36
1	1	- الْكَافِرُ	النبا(79): 40
1	1	- كَفَرُوا	الانشقاق(82): 22
6	7	- لَكَافِرُونَ - كَافِرِينَ - كَفَرُوا(2) - كَفَرَ - كُفِرَ - يَكْفُرُونَ	الروم(83): - 8 - 13 - 16 - 34 - 44(2) - 45 - 51 - 58
7	7	- كَفَرُوا(3) - الْكَافِرُونَ - الْكَافِرِينَ(2) - يَكْفُرُونَ	العنكبوت(84): 7 - 12 - 23 - 25 - 47 - 52 - 54 - 66 - 67 - 68
2	2	الْكُفَّارِ(2)	المطففين(85): 34 - 36
	214		مجموع مواضع الورد في القرآن المكي

ب- في القرآن المدني:

أما في القرآن المدني، فقد وردت مادة (كفر) مائتين وتسعة وستين مرة (269)، وذلك في السور الآتية وفق ترتيب النزول:

المجال	مواضع الورود	أشكال الورود	حجم الورود	عدد آيات الورود
القرآن المدني	البقرة(1): 6-19-24-26-28-34-39-41-61-85-88-89(3)-(2)90-91-93-98-99-102(3)-104-105-108-109-121-126-152-161(2)-171-171-191-212-217(2)-250-253-254-256-257-276-286-276-258-264-271	- كَفَرُوا (11) - الْكَافِرِينَ (11) - تَكْفُرُونَ (2) - كَافِرٍ (2) - يَكْفُرُونَ (2) - يَكْفُرُهُمْ (2) - يَكْفُرُوا - يَكْفُرُ - كَفَرَ (4) - فَلَا تَكْفُرُ - الْكُفَرُ - كُفَارًا - يَكْفُرُ (2) - كُفَّارٌ - كُفْرٌ - الْكَافِرُونَ - كُفَّارٍ	45	38
	الأطفال(2): -14 -12 -7 -15 -18 -29 -30 -35 -36(2) -38 -50 -52 -55 -59 -65 -73	- الْكَافِرِينَ (2) - كَفَرُوا (12) - الْكَافِرِينَ - تَكْفُرُونَ	16	15
	آل عمران(3): 4-10-12-13-19-21-28-32-52-55(2)-56-70-72-80-86-90(2)-91(2)-97-98-100-101-106استفهام-	- كَفَرُوا (16) - كَافِرَةٌ - يَكْفُرُ - يَكْفُرُونَ (2) - الْكَافِرِينَ (5) - الْكُفْرَ (5) - تَكْفُرُونَ (3)	39	36

		- آمَنُوا وَجِئَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ - كُفُّوا - كُفَّارٌ - كَفَرٌ - كَافِرِينَ - أَكْفَرْتُمْ	112-115 - 116 127-131 - 141 147-149 - 151 156-167 - 176 177-178 - 193 195-196
5	5	- الْكَافِرِينَ (4) - كَفَرُوا	الأحزاب(4): 1-8 -25 48-64
6	6	- كَفَرُوا (2) - تَكْفُرُونَ - الْكُفَّارِ (3)	الممتحنة(5): 1-2-4 - 5-10 -11 -13
27	37	- كُفَّارٌ - كَفَرُوا (12) - يَكْفُرُهُمْ (4) - يَكْفُرُوا - تَكْفُرُونَ - الْكَافِرِينَ (10) - تَكْفُرُوا (2) - يَكْفُرُ - كُفُّوا - يُكْفَرُ - يَكْفُرُونَ - نَكْفُرُ - الْكَافِرُونَ	النساء(6): 18-31 - 37 - 42 46-51 - 56 - 60 76-84 - 89(2)- 101(2)-102(2)- 131-136 - 137(3)- 139-140 (2) - 141(2)-144 - 150(2)-151(2)- 155(2)-156 -161 167-168 - 170
2	2	- كَفَرُوا (2)	الحديد(8): 15-19 -20
9	10	- كَفَرُوا (7) - الْكَافِرِينَ (2) - كُفَّارٌ	محمد(9): 1-2 -3 -4 8-10 -11 -12 -32 34(2)
11	11	- كَفَرُوا (7) - الْكَافِرِينَ (2) - يَكْفُرُونَ - الْكُفَّارُ (رواية حفص) (حفص)	الرعد(10): 5-7 -14 -27 -30 31-32 -33 -35 42الكافر.(رواية حفص الكفار)-(43

3	3	- كَفَرُوا (2) - الْكَافِرِينَ	الإنسان (12): 3-4-24
2	2	- كَفَرُوا (2)	البينة (14): 1-6
3	4	- كَفَرُوا (2) - اكْفُرْ - كَفَرَ	الحشر (15): 2-11 (2)16
3	3	- كَفَرُوا (2) - كَفَرَ	النور (17): 39-55-57
8	9	- كَفَرُوا (6) - كَفُورٍ - لَكَفُورٍ - الْكَافِرِينَ	الحج (18): -44 -38 -25 -19 (2)72 -66 -57 -55
1	1	- كَفَرُوا	المنافقون (19): 3
2	2	- الْكَافِرِينَ (2)	المجادلة (20): 4-5
1	1	- الْكُفْرَ	الحجرات (21): 7
3	3	- كَفَرُوا (2) - الْكُفَّارَ	التحریم (22): 7-8-9 - 10
2	2	- الْكَافِرُونَ - كَفَرْتُ	الصف (23): 8-14
5	5	- كَافِرٍ - كَفَرُوا (4)	التغابن (25): 2-5-6 - 7-9-10
5	7	- الْكَافِرِينَ - كَفَرُوا (4) - الْكُفَّارِ (2)	الفتح (26): 5-13-22 - (2)25 - (2)26 - (2)29
27	31	- الْكَافِرِينَ (4) - كَفَرُوا (11) - الْكُفْرِ (5) - الْكَافِرُونَ - كَافِرُونَ (3) - كَفَرْتُمْ - الْكُفَّارَ (4) - كُفْرًا (2)	التوبة (27): 2-3-12 - 17-23 - (2)26 -30 -32 - (3)37 - (2)40 - 49-54 -55 -66 68-73 - (2)74 -80 84-85 -90 -97 107-120 -123 -125

23	25	- كَفَرُوا (9) - يَكْفُرُ (2) - كَفَر (4) - الْكُفْرِ (2) - الْكَافِرُونَ - الْكَافِرِينَ (3) - الْكُفَّارَ - كُفْرًا (2) - كَافِرِينَ	المائدة(28): - 3 - 5 - 10 - 12 - 12 - 17 - 36 - 41 - 44 - 45 - 54 - 57 - 61 - 64 - 65 - 67 - 68 (2) - 72 - 73 (2) - 78 - 80 - 86 - 89 (2) - 95 - 102 103 - 110 - 115	
	269		مجموع مواضع الورد في القرآن المدني	

ويبين الجدولان التاليان حساب النسب المئوية لآيات وألفاظ الورد، في مجموع آيات وألفاظ كل سورة:

1- القرآن المكي:

السورة	عدد آياتها	عدد ألفاظها	عدد آيات الورد	عدد ألفاظ الورد	آيات الورد (%)	ألفاظ الورد (%)
القلم	52	300	1	1	1.92	0.33
المزمل	20	200	1	1	5.00	0.50
المدثر	56	256	2	3	3.57	1.17
الكافرون	6	27	1	1	16.67	3.70
البروج	22	109	1	1	4.55	0.92
ق	45	373	2	2	4.44	0.54
البلد	20	82	1	1	5.00	1.22
الطارق	17	61	1	1	5.88	1.64
القمر	55	342	3	3	5.45	0.88
ص	88	735	4	5	4.55	0.68
الأعراف	206	3342	8	8	3.88	0.24
يس	83	733	3	3	3.61	0.41

0.67	7.79	6	6	897	77	الفرقان
1.29	8.89	10	4	778	45	فاطر
0.51	5.10	5	5	972	98	مريم
0.08	0.44	1	1	1322	227	الشعراء
0.17	2.15	2	2	1165	93	النمل
0.28	4.55	4	4	1437	88	القصص
0.38	5.41	6	6	1559	111	الإسراء
0.27	3.67	5	4	1839	109	يونس
0.36	5.69	7	7	1947	123	هود
0.11	1.80	2	2	1795	111	يوسف
0.15	1.01	1	1	658	99	الحجر
0.29	4.85	9	8	3057	165	الأنعام
0.12	0.55	1	1	865	182	الصافات
0.55	5.88	3	2	550	34	لقمان
1.13	14.81	10	8	884	54	سبا
0.76	9.33	9	7	1177	75	الزمر
1.06	14.12	13	12	1227	85	غافر
1.13	16.67	9	9	796	54	فصلت
0.23	3.77	2	2	860	53	الشورى
0.48	4.49	4	4	835	89	الزخرف
0.41	5.41	2	2	488	37	الجاثية
1.09	17.14	7	6	645	35	الأحقاف
0.28	1.67	1	1	360	60	الذاريات
1.09	3.85	1	1	92	26	الغاشية
0.57	7.27	9	8	1583	110	الكهف
0.54	7.03	10	9	1846	128	النحل

0.88	7.14	2	2	227	28	نوح
0.84	13.46	<u>7</u>	<u>7</u>	<u>830</u>	<u>52</u>	إبراهيم
0.43	3.57	5	4	1174	112	الأنبياء
0.29	2.54	3	3	1052	118	المؤمنون
0.53	6.67	2	2	374	30	السجدة
0.32	2.04	1	1	312	49	الطور
1.20	13.33	4	4	333	30	الملك
0.38	1.92	1	1	261	52	الحاقة
0.92	4.55	2	2	217	44	المعارج
0.57	2.50	1	1	174	40	النبا
0.93	4.00	1	1	108	25	الإنشقاق
0.86	10.00	7	6	817	60	الروم
0.72	10.14	7	7	978	69	العنكبوت
1.18	5.56	2	2	169	36	المطففين

2- القرآن المدني:

السورة	عدد آياتها	عدد ألفاظها	عدد آيات الورود	عدد ألفاظ الورود	آيات الورود (%)	ألفاظ الورود (%)
البقرة	286	6272	38	45	13.29	0.72
الأنفال	75	1244	15	16	20.00	1.29
آل عمران	200	3499	36	39	18.00	1.11
الأحزاب	73	1303	5	5	6.85	0.38
الممتحنة	13	352	6	6	46.15	1.70
النساء	176	3762	27	37	15.34	0.98
الحديد	29	575	2	2	6.90	0.35
محمد	38	541	9	10	23.68	1.85
الرعد	43	855	11	11	25.58	1.29
الإنسان	31	243	3	3	9.68	1.23

2.13	25.00	2	2	94	8	البينة
0.89	12.50	4	3	447	24	الحشر
0.23	4.69	3	3	1319	64	النور
0.70	10.26	9	8	1279	78	الحج
0.56	9.09	1	1	180	11	المنافقون
0.42	9.09	2	2	475	22	المجادلة
0.28	5.56	1	1	353	18	الحجرات
1.18	25.00	3	3	254	12	التحريم
0.88	14.29	2	2	226	14	الصف
2.07	27.78	5	5	242	18	التغابن
1.25	17.24	7	5	560	29	الفتح
1.24	20.93	31	27	2506	129	التوبة
0.88	19.17	25	23	2837	120	المائدة

المطلب الثاني: الدرس الوصفي لموارد لفظ الكفر في الحديث الشريف

اقتصرت في هذه الدراسة على الكتب التسعة¹ لتوفر الخدمة الحاسوبية بخصوصها، إلا أن الإحصاء الدقيق للمادة في هذه المتن تحول دونه عقبات، أهمها :

أولاً: ورود المادة في غير الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ ، حيث نجدها في تراجم الأبواب، وفي الأحاديث الموقوفة.

ثانياً: كثرة الأحاديث المكررة في المصنف الواحد وفي مجموعها.

ثالثاً: اختلاف الألفاظ في الرواية الواحدة.

رابعاً: ورود الصحيح وغيره في هذه المصنفات، باستثناء صحيح البخاري ومسلم، مما يستدعي جهداً للنظر في أقوال أهل العلم في درجة ما لم يرد في الصحيحين.

¹ - موطأ الإمام مالك، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، مسند الإمام أحمد بن حنبل و سنن الدارمي.

ولتجاوز هذه الصعوبات والخلوص إلى نتائج تقترب من العلمية، تم جمع الأحاديث المرفوعة الصحيحة التي وردت فيها مادة (كفر) في الكتب التسعة حيث بلغ الإحصاء أكثر من أربع مائة حديثاً (411) ، ومع حذف المكرر من هذه الأحاديث نحصل على مائة وستة وثلاثين حديثاً (136)، فكانت نتائج هذا التتبع ما يلي :

الاشتقاق	حجم الورود
الكفر (مصدر)	23
كفر (فعل ماض)	14
يكفر (فعل مضارع)	2
كافر (اسم فاعل)	65
كافرون (جمع المذكر السالم)	8
كفار (جمع كثرة)	20
كفرة (جمع كثرة)	2
مكفور (اسم مفعول)	1
أكفر (اسم تفضيل)	1
المجموع	136

بعد هذا الدرس الوصفي لمواطن ورود لفظ (الكفر) في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ننتقل إلى تحليل هذه الموارد حجماً وشكلاً، وذلك هو مضمون المطلب الثالث إن شاء الله عز وجل.

المطلب الثالث: دلالات موارد لفظ الكفر في القرآن والحديث

عرفنا في المطلبين السابقين مجموعة من المعطيات الوصفية والإحصائية لموارد مصطلح الكفر في القرآن الكريم والحديث الصحيح، وهي بلا شك توجي بدلالات وأبعاد مختلفة قد تسهم إذا أحسن توظيفها في تجلية المفهوم وبيانه، ومن ثم تحديد المراد به في استعمال القرآن الكريم والحديث النبوي. لذلك كان تفصيل هذه المعطيات وتحليلها هو مدار هذا المطلب.

1- ملاحظات عن حجم الورد:

- مجموع السور التي تضمنت مشتقات الكفر هو خمس وسبعون سورة (75)، تمثل نسبتها إلى مجموع سور القرآن المائة والأربعة عشرة (65.78 %).
- عدد السور المكية المعنية (52) تشكل نسبة (69.33 %) من السور المعنية بألفاظ الكفر في القرآن الكريم، و (61.17 %) من مجموع السور المكية في القرآن الكريم (85).
- عدد السور المدنية المعنية (23) تشكل نسبة (30.66 %) من السور المعنية بألفاظ الكفر، وتمثل نسبة (79.31 %) من مجموع السور المدنية في القرآن الكريم (29).

ومن خلال جدول إحصاء الموارد في القرآن الكريم السابق يتبين مدى توزيع حصيص مصطلح الكفر بمختلف مشتقاته على السور المكية والمدنية، ونستفيد من القراءة الأولية في الجدول ما يلي :

- مجموع المشتقات الواردة في السور المكية (214) يشكل نسبة (44.30 %) من الحصيص الكلي (483)، ومعدل توزيعها على السور المعنية المكية أكثر من أربع مرات لكل سورة (4.11 %).

- مجموع المشتقات الواردة في السور المدنية (269) يشكل نسبة (55.69 %) من الحصيص الكلي (483)، ومعدل توزيعها على السور المعنية المدنية أكثر من إحدى عشر مرة ونصف لكل سورة (11.69 %).

- يستنتج مما سبق أن كثافة مصطلح الكفر في القرآن المدني (269) أعلى بقليل منها في القرآن المكي (214) بشكل عام، كما أن السور الأكثر احتواءً للفظ الكفر هي سور مدنية (البقرة ورد فيها المصطلح 45 مرة، وفي آل عمران 39، النساء 37، التوبة 31، المائدة 25).

أما أبرز السور المكية، فهي: سورة غافر (13) مرة، فاطر وسبأ والنحل (10) مرات، الأنعام والزمر وفصلت والكهف (9) مرات، الأعراف (8) مرات، هود والأحقاف وإبراهيم والروم والعنكبوت (7) مرات.

2- تحليل معطى حجم الورد :

أول ما يلاحظ من خلال معطى الإحصاء :

- أن حضور المصطلح في القرآن الكريم قوي جداً، سواء في السور المكية¹ أو المدنية، " مما يدل على قوة البنية المفهومية للمصطلح : قوة تظهر جليا من خلال كثرة صفاته وضمائمه، وتشعب

¹ - وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) قائلا: " الكافر المكذب أعظم كفرا، وكذلك الجاحد المكذب حسدا مع استيقان صدق الرسل، والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء ". تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م، 335/12.

علاقاته، وتعدد معانيه، وتنوع قضاياها الممتدة داخل النص القرآني كله".¹ فحجم الورود دال على منزلة هذا المفهوم البالغة الخطورة، فالقرآن الكريم حرص من بداية سورة الفاتحة في قوله تعالى: { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } { الآية (7) على إيراد موضوع الكفر وبيانته بتفصيل، فلا تكاد تقلب صفحة من القرآن الكريم إلا وتجد لهذا الموضوع ذمًا أو تحذيرًا أو بيانًا لسوء عاقبة أصحابه، مما يدل على حجمه الكبير في نسق المفاهيم القرآنية.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " فالأمر الذي يعنى به القرآن الكريم - بحيث يكرره ويؤكد في أكثر من سورة وأكثر من مناسبة، وبأكثر من أسلوب - يدل بوضوح على أن له أهمية ومنزلة وأثرًا في الدين والحياة، توجب الالتفات إليه والتنبيه عليه، وإعطائه حقه من التأمل والعناية الفكرية والعاطفية العملية، على قدر حجمه في القرآن".²

إن عدد النص على مصطلح ما في القرآن الكريم يرد مناسبًا للحجم الذي ينبغي أن تحتله دلالاته في حياة الأفراد والأمة، فوجب الاهتمام به بقدر اهتمام القرآن به، فما أبدعها من قاعدة منهجية!³

- ثم إن التقارب الملحوظ بين حجم ورود المصطلح المدروس في القرآن المكي والمدني مؤشر يدل على البعد العقدي للمصطلح من جهة، ومن جهة ثانية يدل على استمرار التنبيه على أن قضية الكفر من القضايا الخطيرة التي ينبغي على الطائفة المؤمنة الحذر منها كل الحذر، بعد الانتقال من مرحلة بناء العقيدة إلى مرحلة بناء المجتمع والدولة ونظمهما المختلفة. والدليل على ذلك آيات من السورة المدنية توجه الخطاب التحذيري للصحابة رضي الله عنهم، منها:

قوله تعالى في سورة البقرة: { أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } { الآية (108) }.

وفي سورة النساء يقول عز وجل في موضعين: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } { الآية (136) } ، { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا } { الآية (131) }.

ويقول سبحانه في سورة آل عمران: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } { الآيتان 100-101 }.

¹ - محمد الزبيدي، مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دار السلام ، القاهرة، الطبعة الأولى 1435هـ/2014م، ص: 89.

² - يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق، الطبعة الثانية 1420هـ، ص 451.

³ - عبد الرحمن البوكيلي، مفهوم الجهاد في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، طبع طوب بريس - الرباط، الطبعة الأولى، 2015م، ص 35.

كما ورد الخطاب القرآني محذرا للناس أجمعين من الكفر في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } سورة النساء/170.

3- تحليل معطى شكل الورد:

عند تحليل الصيغ والأشكال الصرفية والاشتقاقية التي ورد بها مفهوم الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي بدت لنا الملاحظات التالية :

بلغ مجموع الصيغ الإسمية للفظ الكفر (مصدرا واسم فاعل وصيغة مبالغة وجمع تكسير...) مائتين وتسعة صيغة (209)، بنسبة 42.82%، أما الصيغ الفعلية فبلغ مجموعها مائتين وتسعة وسبعين صيغة (279)، بنسبة 57.17%.

من هذا التصنيف يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

* ورود مادة (كفر) في القرآن الكريم بمختلف الصيغ هو إمعان في بيان خطورة هذا المفهوم على كيان المجتمع المسلم، وتحذير المؤمنين أفرادا وجماعات منه، حفاظا على عقيدتهم مما يعكر صفاءها أو ينسف بنيانها.

* كثرة الصيغ الفعلية يظهر خضوع مفهوم الكفر " لسنة التغيير التي يمثلها حدث الفعل وأزمته"¹. فالكفر بالأساس فعل ممارس أكثر منه صفة: " إنه رفض لدين الله وصد عن سبيله، وتكذيب لرسله عليهم الصلاة والسلام. لقد ارتبط بحركة الإعراض التي قابلت بها الأمم السابقة دعوة الأنبياء عبر التاريخ "².

وهكذا جاء ورود بصيغة الفعل الماضي مائتين وثلاثة وعشرين مرة (223)، مسبوقا باسم الموصول (الذين) في أغلب المواضع. " واختيار طريق الموصولية في وصف الكفار لما تومئ إليه الصلة من وجه صدور ما قالوه وما فعلوه من أقوال قبيحة وأفعال شنيعة كلها تجسد الكفر. كما أن التعبير بصيغة الماضي دلالة على تمكن الكفر منهم ورسوخهم فيه."³

وورد فعلا مضارعا أربعة وخمسين مرة (54) مما يفيد تجدد الكفر من الكفار وثباتهم عليه.

وورد مبنيا للمجهول في موضع واحد في قوله تعالى: { وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا } سورة القمر/(13-14)

* وجاء مصدر كفر في القرآن الكريم بثلاث صيغ وهي : الكفر، والكفور بضم الكاف والكفران. فالمصدر "كُفْر" جاء في عدة آيات وفي سور متعددة وهو الأكثر (37 مرة)، كقوله جل ذكره في وصف الأعراب: { الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا } سورة التوبة/97. والمصدر "كُفُور" جاء في مواضع من كتاب الله لكنه قليل (ثلاث مرات)، منها

¹ - مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص: 133.

² - مصطفى أوعيشة، مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى 1435هـ/2014م ص: 31.

³ - نفسه ، ص : 69.

قوله سبحانه: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } سورة الفرقان/50، وأما المصدر " كفران " على وزن فُعْلان فإنه جاء في آية واحدة من سورة الأنبياء وهو قوله تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ } سورة الأنبياء/94. وورد هذا المصدر في الشعر حيث قال ربيعة¹:

أراني ولا كفران لله راجعا بخُفْيَ حنينٍ من نوال بن حاتم²

وباستقراء استعمال القرآن لهذه الصيغ المختلفة في مواضع وموضوعات مختلفة من آياته، ندرك لطائف ولمسات بيانية بين هذه المصادر الثلاثة من حيث الاستعمال.

فالكفران يستعمل كثيرا في جحود النعمة، واستعماله فيه أكثر من استعمال الكفر، قال الله تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ } سورة الأنبياء /94، والكفر يستعمل في الدين أكثر من الكفران، كقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } سورة آل عمران/177، ولفظ الكفور يستعمل فيهما معا: في جحود النعمة والدين على السواء، فيكون أشمل وأعم، كقوله سبحانه وتعالى: { فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا } سورة الإسراء / 99. وهذا ما استنبطه الراغب في مفرداته، قال: " والكُفْرَانُ في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكُفْرُ في الدين أكثر، والكُفُورُ فيهما جميعا "³.

وجاء اسم الفاعل من الفعل " كفر " كافر، ويجمع على كُفَّار وكُفَّار بكسر الكاف، كما يجمع جمع المذكر السالم (كافرون). وقد استعمل القرآن الكريم هذه الجموع سوى الجمع كُفَّار⁴، و ورد لفظ " الكافرون " وهو الأكثر استعمالا من بين هذه الجموع (127مرة) كقوله سبحانه وتعالى: { وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ } سورة البقرة/19. وجاءت صيغة "كُفَّار" أيضا في كثير من الآيات والصور (19مرة) منها قوله جل وعلا في بيان سوء عاقبة من مات على الكفر: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } سورة البقرة /161.

أما جمع " كفرة " فجاء في موضع واحد في قوله سبحانه في نهاية سورة عبس: { أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } سورة عبس/42.

ويمكننا أن نقول إن القرآن الكريم يذكر أشخاصا موصوفين بالكفر بأنواع من صيغ الجمع، منها جمع المذكر السالم (كافرون) ومنها جموع التكسير (كُفَّار و كفرة)، كما يذكرهم بصيغة الاسم الموصول الذي يأتي بعده الفعل الماضي، وهي عبارة "الذين كفروا" التي وردت (152مرة).

¹ - هو ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيزار بن لجأ الأسدي أبو ثابت الرقي الشاعر، مولده ومنشأه في الرقة، استقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد فأجازه وأجزل صلتة، وهو من المكثرين المجيدين وكان ضريرا، توفي عام 198هـ. أنظر: الرومي، ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، 3/ 1303، الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، 16/ 271.

² - ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، 1/ 241.

³ - المفردات في غريب القرآن، ص 714.

⁴ - الجمع كفار بالكسر، جاء في بيت القطامي الذي سبق ذكره:

وَعُرِّقَتِ الْفَرَاغَةُ الْكِفَّارُ.

وَشُقَّ الْبَحْرُ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى

وبالنظر إلى الاستعمال المتنوع لهذه الصيغ المختلفة في موضوعات متعددة طرح هذا السؤال: ما الفروق الدلالية بين تلك الجموع المتحدة في أصلها اللغوي لاستجلاء جانب من روعة نظم القرآن ؟

" لقد كرم الله اللغة العربية بهذا القرآن، قال الله تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } سورة الزخرف/3، ومن أجل ذلك كانت العربية تتمتع بخصائص، قل أن توجد في غيرها من اللغات"¹، وهذه الخصائص كثيرة متعددة، منها ما يتعلق بالحروف العربية، ومنها ما يتعلق بالكلمات، ومنها ما هو خاص بمعنى هذه الكلمات.

فكلمات القرآن بجميع تصريفاتها وموضوعاتها، تتباين معانيها باختلاف صيغها وأوزانها بناء على ما قرره علماء العربية وفقهاؤها من أن زيادة المبنى يتبعها بالضرورة زيادة في المعنى. لذلك نجد الراغب الأصفهاني فرق بين الكفار والكفرة في مفرداته، فقال: " والكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً كقوله: { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ } [الفتح/29]. والكفرة في جمع كافر النعمة أكثر استعمالاً، وفي قوله: { أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } [عبس/42] ألا ترى أنه وصف الكفرة بالفجرة ؟ والفجرة قد يقال للفساق من المسلمين"².

والفرق بين صيغتي الكفار والكافرين: أن الكفار جمع تكسير يفيد الكثرة كما يقول النحاة (أي فوق العشرة)، فالتشديد فيه للمبالغة في الوصف، وأغلب ما جاءت في السور المدنية (21 مرة) مقارنة مع السور المكية (مرتان فقط)، ويطلق في اصطلاح القرآن الكريم أكثر ما يطلق على المشركين-عبدة الأوثان والأصنام- والذين فيهم عداوة وبغضاء وكيد للمسلمين، وكانوا كثيرين عدداً، مثل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ } سورة التوبة/73، ففرق بين الكفار والمنافقين، والمنافقون كفار بلا ريب. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنُتُمْ مُؤْمِنِينَ } سورة المائدة/57، وقد يطلق ويراد به عموم الكافرين كما في قوله تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } سورة الفتح/29/.

وأما صيغة " الكافرون " فهي جمع المذكر السالم، والتي تدل على القلة (أي من الثلاثة إلى العشرة)، فهي أعم من الكفار، وتدل على أن الكفر صفة ملازمة لهم ثابتة فيهم، سواء كانوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، أو كانوا من المشركين-عبدة الأوثان والأصنام- فكل هؤلاء يطلق عليهم اسم الكافرين.

وجاء الأمر في سورة (الكافرون) من الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم بوصف الكافرين: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } الآية (1)، لأنه لا يوجد لفظ أبشع ولا أشنع من هذا اللفظ، فهو صفة ذم عند جميع الخلق، كما لا يوجد لفظ أبلغ في الكشف عن حقيقة هؤلاء، وأشد وقعا عليهم من لفظ (الكافرين)، فهو ثمرة للجهل، وصفة ذم ثابتة.

¹ - فضل حسن عباس، الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، مجلة مركز بحوث السنة والسير، العدد الرابع، 1409 هـ/1989م. ص: 498.

² - المفردات في غريب القرآن، ص: 716.

هذا فيما يتعلق بصيغ الجموع المشتقة من مادة كفر، ونجد من ناحية أخرى، أن القرآن الكريم أكثر من التعبير عن أهل الكفر بذكر الاسم الموصول، يليه الفعل الماضي، وهي عبارة "الذين كفروا" حيث وردت (152مرة)، قال أبو السعود (ت982هـ): "وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة"¹، وهذا التركيب يطلق على عموم الكفار من أهل الكتاب والمشركون الذين ينكرون الوحدانية أو النبوة أو الشريعة، والمنافقين، سواء كانوا حاقدين على المؤمنين، أو ليسوا كذلك، كقوله جل وعلا: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } سورة البقرة/105. ويستعمل خاصة للذين آمنوا ثم كفروا بعد ذلك، قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ ارْتَدَّوْا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ } سورة آل عمران/90.

هذا على مستوى النص القرآني، أما في الحديث النبوي الشريف، فإن موارد لفظ (الكفر) كثيرة أيضا، ولم تخرج عن عرف القرآن الكريم في الاستعمال، سواء من حيث الصياغة الإسمية والفعلية، أو من حيث الدلالة.

4- دلالة مشتقات الكفر على الأكبر أو الأصغر²:

عندما نتكلم في الشرع لا بد من الاستناد إلى الأدلة الشرعية كتابا وسنة، وأن نعلم معهود الخطاب في قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن نرد المراد من اللفظ إلى معهود الخطاب بحسب المتكلم، فإذا كان قول الله تعالى نرده إلى معهود الخطاب في كتاب الله تعالى، وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وإذا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم، نرد الخطاب إلى معهود خطابه صلى الله عليه وسلم، وهذا باتفاق العلماء.

يقول القاضي شهاب الدين القرافي (ت684 هـ): "فإن كان المتكلم هو الشرع حملنا لفظه على عُرْفِهِ"³، وقال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) في تفسيره: "الكفر إذا أطلق انصرف إلى الكفر في الدين"⁴.

وقال ابن حجر (ت852هـ): "عُرِفَ الشارع إذا أطلق الشرك إنما يريد به ما يقابل التوحيد، وقد تكرر هذا اللفظ في الكتاب والأحاديث حيث لا يُراد به إلا ذلك"⁵.

ومعنى الإطلاق في كلام أبي حيان وابن حجر، أي لم يرد ما يقيد ويصرفه عن حقيقته المطلقة، كقولك: الماء المطلق طاهر مطهر، أي الماء الذي لم يقيد بصفة من الصفات مثل ماء الورد. وحاصل ما سبق: أنه يجب مراعاة عُرْفِ المتكلم، فإذا دَلَّتْ عادته على استعمال لفظ معين في بيان معنى معين، فإنه لا يجوز القول بأنه أراد بلفظه معنى آخر حتى يأتي المتكلم بالقرائن الدالة على ذلك.

بناء على هذه القاعدة أقول:

¹ - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1/93.

² - سنعرف فيما يأتي من البحث إن شاء الله تعالى أن الكفر ينقسم في خطاب الشرع إلى قسمين: كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر غير مخرج من الملة. أنظر: الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول: أقسام الكفر.

³ - القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي، شرح تنقيح الفصول، طبعة دار الفكر، ص211.

⁴ - أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية / بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ - 2001 م. 3/505.

⁵ - العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ / 1/65.

بخصوص لفظ الكفر في القرآن الكريم: فقد ورد بجميع تصريفاته اللغوية في كتاب الله تعالى في أكثر من أربع مائة وثمانين موضعاً¹، جاء في مواضع معدودة منها - بحسب السياق - يحتمل التقييد من حيث الكفر الأصغر²، أما الألفاظ المطلقة - وهي الغالب - فجاءت في سياق الحديث عن الكفر الأكبر المخرج من الملة المستوجب للخلود في النار.

وأما لفظ الكفر في الحديث النبوي فيجب أن نرده إلى معهود الخطاب في كتاب الله تعالى، حتى لا نعارض القرآن بالسنة، والصحابة رضي الله عنهم لم يعهدوا من الخطاب النبوي إلا الكفر الأكبر بدليل ما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أريت الجنة فتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر منظرا كالיום قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء». قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن». قيل يكفرن بالله؟ قال «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى أحدهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط»³.

فهذا إقرار منه صلى الله عليه وسلم للصحابة على فهمهم بأن معنى الكفر في خطابه أن الأصل فيه المتبادر إلى الفهم: هو الكفر بالله المخرج من الملة، ولو كان يحتمل الأصغر لبينه لهم، عملا بالقاعدة الشرعية المشهورة: "لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة"⁴، لأن هذا أعظم أصل في الدين، ولقال لهم: ليس كل لفظ كفر أقوله يستوجب الخلود في النار أو غير ذلك.

فعندما قالوا: يكفرن بالله، بين لهم أنهم يكفرن العشير، لأن هذه أهم مسائل الدين، فلا يمكن أن يتركها صلى الله عليه وسلم دون بيان، وهو ما جاء إلا لدعوة الناس للخروج من الكفر إلى الإيمان، ولذلك عندما أشكل على الصحابة الكفر المتعلق بالنساء لما يعلمونه من إيمان نسائهم، سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام مباشرة، فبين لهم المعنى المراد، فعلمنا من هذه الحادثة:

أ- أن كل لفظ كفر ورد في الخطاب النبوي ولم يستفسر عنه الصحابة رضي الله عنهم، أو لم يأت نص نبوي يقيده، فهو كفر أكبر مخرج من الملة.

ب- أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون علم اليقين حقيقة الكفر، وأنه من الأمور البديهية في الدين، كونهم انتقلوا منه إلى الإيمان.

فلفظ الكفر في كتاب الله تعالى وفي السنة النبوية إذا أطلق فهو الأكبر، لأن الكفر حكم، والحكم يقتضي الفصل

¹ - تنتمي إلى نفس المجال المفهومي للفظ الكفر (نقيض الإيمان)، وهي التي تعلق بها البحث دون دراسة هذا اللفظ الذي استعمله القرآن على أصله اللغوي وهو التغطية والستر كقوله تعالى: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} سورة الحديد/20 فالكفار هنا هم الزراع، وقد وقفنا على هذا المثال في مطلب الدلالة اللغوية، فليُنظر هناك. وبالله التوفيق.

² - سيأتي ذكر هذه الآيات في مبحث تحليل الدلالات في كل موارد اللفظ إن شاء الله عز وجل.

³ - صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، رقم الحديث 1004، 375/1.

⁴ - قد استفاض بين أهل العلم قولهم: إن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع أو باطل أو لا يجوز. قال الأمدي: "تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز بالإجماع، إلا على رأي من يجوز التكليف بما لا يطاق" الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، 1404هـ، 245/1.

والبيان من غير إبهام، وليس وصفاً، ولذلك فهو ليس من الألفاظ المجملة المبهمة، إذ أن الحكم لا يحتمل أكثر من معنى.

ثم نذكر النقاط التالية ففيها مزيد من البيان والتوضيح:

* إذا جاء الكفر معرّفاً (كالكُفر، والكافر، والكفار، والكافرون)، فإنه لا يُراد به إلا الكفر الأكبر، وذلك لتصدير الاسم بالألف واللام المؤدية لحصول كمال المسمى، وهذا لا خلاف عليه بين أهل العلم بلغة العرب. " كقولك عمرو الشجاع، أي الكامل في الشجاعة، فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه، لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال.¹ وهذا بخلاف قولك (عمرو شجاع) فهذا التكرير لا يقصر الشجاعة على عمرو لوحده، بل هناك من الشجعان غيره. فظهر بذلك الفرق بين الإسم النكرة والمعرفة في إفادة كمال المعنى.

وعلى هذا، فقولك (فلان الكافر) هو إخبار عنه وحكم عليه بأنه كافر كفاً أكبر، لكون الخبر عنه جاء معرّفاً بآل الدالة على حصول كمال الكفر وبلوغه الغاية فيه.

وفي تقرير هذه القاعدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وفرق بين الكفر المعروف باللام كما في قوله صلى الله عليه وسلم: « ليس بين العبد وبين الكفر - أو الشرك - إلا ترك الصلاة »² وبين كفر منكر في الإثبات. ³

فإن كل كُفر ورد بصيغة الإسم المُعرّف بآل في الكتاب أو السنة فهو كفر أكبر، كلفظ (الكفر - الكافر - الكفار - الكافرون - الكوافر) لأن الألف واللام تدلان على استغراق الإسم لكمال المعنى، وهذا لا خلاف عليه بين أهل العلم وأهل اللغة.

* أما ألفاظ الكفر الواردة في السنة، فما كان منها بصيغة الإسم المعروف بال فهو كفر أكبر، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: « رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم »⁴.

* أما إذا ورد بغير صيغة التعريف، فالأصل فيه حملة على الكفر الأكبر حتى تقوم القرينة الصارفة له إلى الكفر

¹ - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم - بيروت الطبعة الرابعة، 1998م. ص 98.

² - سنن النسائي، كتاب الصلاة باب الحكم في ترك الصلاة، رقم الحديث 464، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها)، 232/1 وصححه الألباني.

³ - ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص: 70

⁴ - موطأ الإمام مالك، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في أمر الغنم، رقم الحديث 15، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ - 1985م، 970/2.

الأصغر، ودليل ذلك حديث كفران العشير الذي سبق ذكره .

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: "ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، قد يراد بها مسماهما المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يراد بها مطلق الحقيقة، والأول هو الأصل عند الأصوليين، والثاني لا يحمل الكلام عليه إلا بقرينة لفظية أو معنوية، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي، وتفسير السنة، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } سورة إبراهيم/ 4" ¹

*إن الكفر إذا كان نكرة احتمل أن يكون كفراً أصغر أو أكبر، ومعرفة دلالاته على أيهما يكون بالنظر في القرائن والجمع بين الأدلة، وهذا الكلام ينطبق على الكفر النكرة الوارد في الحديث النبوي، أما في القرآن فكل كفر ورد فيه بصيغة الاسم النكرة فهو الكفر الأكبر.

ومن أمثلة الكفر بصيغة الاسم النكرة في القرآن، ودلالاته على الكفر الأكبر قوله تعالى:

- { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا } سورة البقرة / 109
- { وَآمَنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } سورة البقرة/ 41

- { وَأَمَّا الْعُلَامَ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا } سورة الكهف/ 80
- { الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبًا كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا } إلى قوله { وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ } سورة الأعراف/ 92- 93

- { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } سورة الإسراء/ 89
- { وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ } سورة الزخرف/ 30
فهذه كلها أسماء نكرة : كُفَّارًا، كافر، كُفْرًا، كافرين، كفورًا، كافرون، وكلها تدل على الكفر الأكبر، وهكذا كل كفر ورد نكرة في القرآن.

* أما الكفر بصيغة الاسم النكرة في الحديث فيحتمل الكفر الأكبر أو الأصغر، فقله صلى الله عليه وسلم : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ² ، فالكفر فيه هو الأصغر، لأن القاتل العمد لا يكفر بدليل قوله سبحانه : { فَمَنْ غَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ } سورة البقرة/ 178، كما أن البغاة لا يكفرون مع الاقتتال كما في قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا } سورة الحجرات/ 9

أما الكفر النكرة الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم: « إلا أن تروا كفراً بواحاً » ³ الحديث، فهو الكفر

¹ - الدُرُّ السَّيِّئَةُ في الأجوبة النجديَّة، علماء نجد الأعلام، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م، 470/1.

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن رقم 5697، 2225/5.

³ - الحديث بتمامه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أمورا تتكرونها) رقم 6647 من حديث عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان" 2588 / 6.

الأكبر، والقرينة الدالة على ذلك وصفه بالبواح وهو الظاهر¹، وهناك قرينة أخرى وهي عموم الأحاديث الآمرة بالصبر على أئمة الجور مع ظلمهم وفسقهم، فَعَلِمَ أنه لا يرفع هذا الأمر بالصبر إلا وقوعهم في الكفر. وكذلك الكفر النكرة في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتتا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسّى كافراً، أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»². فالكفر فيه هو الأكبر بقرينة أنه جعله ضد الإيمان، وبقرينة قوله صلى الله عليه وسلم: «يبيع دينه».

وخلاصة القول :

الأصل أن يُحمل كل كُفر بأي صيغة ورد على الكفر الأكبر حتى تقوم القرينة الصارفة له إلى الأصغر، لأن هذا أصل وضع اللفظ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال في حديث موعظة النساء: «يكفرن»، قال الصحابة (يكفرن بالله؟)، فحمله الصحابة على الكفر الأكبر، حتى بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه الكفر الأصغر بقوله: «يكفرن العشير»، والله أعلم.

المطلب الرابع : تحليل المعاني والدلالات الجزئية لكل مورد

هذه هي المرحلة التي توصلنا إن شاء الله تعالى إلى تبين مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من لفظ الكفر، ومن ثم وضع تعريف للفظ يجمع جميع العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم إن أمكن. وبعد تتبع أقوال المفسرين والتدبر العميق لكل موارد لفظ الكفر في القرآن الكريم³ والحديث النبوي، وملاحظة سياقاتها، خلصت إلى أن معاني المصطلح تدور في سبع وحدات دلالية كالآتي:

¹ - قال ابن بطلال(ت449هـ) في شرح الحديث: "إلا أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام، فلا طاعة لمخلوق عليه... قال الخطابي(ت388هـ): (بواحاً) يريد ظاهراً بادياً، ومنه قوله: باح بالشئ يبوح به بوحاً وبوحاً، إذا أذاعه وأظهره" شرح صحيح البخارى . لابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد / الرياض الطبعة: الثانية- 1423هـ - 2003م، 9/10. وقال القاضي عياض(ت544هـ): "أجمع العلماء على أن الإمامة لا تتعدى لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل" شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ، 229/12.

² - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم 328 دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت، 1/76.

³ - قال ابن الجوزي(ت597هـ): "ذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه: أحدها: الكفر بالتوحيد، ومنه قوله تعالى في البقرة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) سورة البقرة/6، وفي سورة الحج: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } الآية 25، وهو الأعم في القرآن . والثاني: كفران النعمة، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: (وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) الآية (152)، وفي الشعراء: (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الآية (19)، وفي النمل: (أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) الآية 40 . والثالث: التبري . ومنه قوله تعالى في العنكبوت: (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) الآية 25، أي: يتبرأ بعضكم من بعض . وفي الممتحنة: (كَفَرْنَا بِكُمْ) الآية 4.

1- ضد الإيمان :

وهذا هو المعنى الغالب في اصطلاح القرآن الكريم والحديث النبوي، حيث ورد لفظ الكفر بمختلف مشتقاته في مقابل الإيمان مائة وأربعة وخمسين (154) مرة في القرآن الكريم، وثلاثة وأربعين (43) مرة في الحديث النبوي، وهذا الاستعمال يظهر ابتداء من أوائل سورة البقرة، فبعدما افتتح الله السورة بذكر صفات أهل الإيمان تثنى بذكر صفات أهل الكفر، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } سورة البقرة/6 وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »¹.

قال الليث (ت175 هـ): الكُفر: نقيض الإيمان، (آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت)².

وقال ابن تيمية (ت728هـ): " والكفر ضد الإيمان، فلا يزول عنه اسم الإيمان إلا واسم الكفر لازم له، لأن الكفر ضد الإيمان"³.

2- ضد الإسلام:

جاء هذا المعنى في سبعة مواضع من كتاب الله وهي:

✓ (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) سورة آل عمران/

80

✓ (الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)سورة المائدة/3

✓ (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) سورة التوبة/74

✓ (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) سورة يونس /84-86

✓ (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) سورة الحجر /2

✓ (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) سورة النحل/81-83

والرابع : الجحود، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) الآية 89.

والخامس: التغطية، ومنه قوله تعالى في الحديد (أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ) الآية 20، يريد الزراع الذين يغطون الحب .

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت الطبعة : الأولى - 1404هـ - 1984 م. ص 516-517.

¹ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان رقم16. 14/1.

² - الفراهيدي، كتاب العين، مادة كفر 356/5، الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة كفر 110/10.

³ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى 324/7.

✓ (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) سورة الصف/7-8

وورد لفظ الكفر في الحديث النبوي بهذا المعنى (ضد الإسلام) في ثلاثين موضعاً (30) أذكر منها:

- عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»¹.
- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»².
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه»³.
- عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد أسلمت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ألق عنك شعر الكفر» يقول أحلق، قال: وأخبرني آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لآخر معه: «ألق عنك شعر الكفر واختتن»⁴.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم الحديث 1731، 3/1357.

² - صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، رقم الحديث 6383، 6/2484.

³ - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} / سورة الحجرات/ 13، الحديث 3305، 3/1285.

⁴ - سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل، رقم الحديث 356، دار الكتاب العربي، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، والأحاديث مذيلة بأحكام الشيخ الألباني، 139/1، وحسنه الألباني.

- عن تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاء يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر » وكان تميم الداري يقول: " قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية"¹.

3- جحود شرع الله وحدوده وآياته الدالة على قدرته:

ورد هذا المعنى في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، وذلك في قوله سبحانه:

✓ (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) سورة العنكبوت/47

عن قتادة: (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) قال: إنما يكون الجحود بعد المعرفة.²

✓ (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ) سورة البقرة/89

✓ (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) سورة آل عمران/97

✓ (ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة المجادلة/4

✓ (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) الأعراف/50-51

✓ (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) سورة هود/59-60

✓ (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) سورة الإسراء/89

قال أبو السعود (ت982هـ) في تفسير هذه الآية: " وفيه من المبالغة ما ليس في أبوا الإيمان، لأن فيه دلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الإيمان، والتوقف في الأمر ونحو ذلك، وأنهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء."³

✓ (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) سورة الحج/66

¹ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث تميم الداري رضي الله تعالى عنه، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001م، رقم الحديث 16957، 154/28-155، قال المحققون: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف - الرياض، 32/1.

² - جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 50/20.

³ - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 5/ 194

قال الشنقيطي(ت 1393هـ) في بيان جحود الإنسان لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيتها: " وكفر الإنسان المذكور في هذه الآية في قوله : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ } مع أن الله أحياه مرتين ، وأماته مرتين ، هو الذي دل القرآن على استعباده وإنكاره مع دلالة الإيمانتين والإحياءتين على وجوب الإيمان بالمحيي المميت، وعدم الكفر به في قوله : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ } [البقرة : 28] الآية " ¹ .

4- ضد الشكر:

جاء الكفر بمعنى ضد الشكر في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى :

- ✓ (فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) سورة البقرة/152
- ✓ (فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) سورة النمل/40. قال الإمام الطبري(ت310هـ): " وقوله (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي) يقول : هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إلي عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله علي وعطائه الذي جاد به علي، ليلبوني، يقول : ليختبرني ويمتحنني، أشكر ذلك من فعله علي، أم أكفر نعمته علي بترك الشكر له ؟ وقد قيل : إن معناه : أشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني؟" ² .

فالكفر في الآية الكريمة ليس كفرا مخرجا عن ملة الإسلام، لأنه جاء مقابلا لشكر النعمة، فيفهم من سياق الكلام أن المراد ليلبوني أشكر نعمته وأقوم بحققها، أم أكفرها، يعني لا أؤدي شكرها.

ونفس المعنى ورد في الآيات التالية :

- ✓ (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) سورة إبراهيم/7
- ✓ (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) سورة لقمان/12
- ✓ (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) سورة الزمر/7
- ✓ (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) سورة الإنسان/3

أما في الحديث النبوي فورد في موضعين:

- عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أُعْطِيَ عطاء فوجد قُلَيْجَز به، فإن لم يجد قُلَيْثُن به، فمن أتى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره " ³ .

¹ - الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر - بيروت، 1415 هـ - 1995 م، 27/25.

² - تفسير الطبري، 468/19.

³ - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم 4815. 403/4، وحسنه الألباني.

- عن النعمان بن بشير قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم على المنبر: " من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب ".¹

5- جحود نعمة الله:

أما الكفر بمعنى جحود نعم الله وإنكارها، فجاء في ثلاثة عشر موضعاً، وهي قوله تعالى:
✓ (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) النساء/37
قال الحافظ ابن كثير (ت774هـ) في تفسير الآية: " والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدّها، فهو كافر لنعم الله عليه".²

✓ (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّ بِهَا وَإِن تَصِبْهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ)
سورة الشورى/48

قال الفخر الرازي (ت606هـ) في تفسير الآية: " والكفور الذي يكون مبالغاً في الكفران ولم يقل فإنه كفور، ليبين أن طبيعة الإنسان تقتضي هذه الحالة إلا إذا أدبها الرجل بالآداب التي أرشد الله إليها"³. وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات⁴. ومثل هذه الآية قوله سبحانه:
✓ (وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَنُوسُ كَفُورٌ) سورة هود/9
✓ (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) الزخرف/15 أي " لجحود للنعمة ظاهر جحوده؛ لأن نسبة الولد إليه كفر، والكفر أصل الكفران كله".⁵

ورجح سيد طنطاوي (ت1431 هـ) أن يكون الإنسان في الآية المراد به الكافر وليس الجنس: " والظاهر أن المراد بالإنسان في قوله - تعالى - : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ } الكافر والفاسق من بنى آدم، لأن الإنسان المؤمن لا يجحد نعم الله، وإنما يشكره تعالى عليها، أي: إن الإنسان الكافر والفاسق عن أمر ربه، لشديد الجحود لنعم ربه، مظهراً ذلك في أقواله وفي أفعاله ".⁶

¹ - مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه و سلم، رقم 18449، 390/30، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، 272/2.

² - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 303/2.

³ - الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الشافعي، مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي 616/27.

⁴ - تفسير ابن كثير، 216/7.

⁵ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي - بيروت، 245/4.

⁶ - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى 1998م، 68/13.

✓ (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) سورة إبراهيم/34

قال الزجاج(ت311هـ): هذا(الإنسان) اسم للجنس يقصد به الكافر خاصة، كما قال: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} سورة العصر/1-2. والإنسان غير المؤمن ظلومٌ كفَّارٌ.¹

وقال الشوكاني (ت 1250هـ): " ومعلوم أنه لو رام فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه لم يقدر على ذلك قط، ولا أمكنه أصلاً، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه الله في بدنه، فكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها...إن الإنسان لظلوم لنفسه بإغفاله لشكر نعم الله عليه، وظاهره شمول كل إنسان.

...كفار أي شديد كفران نعم الله عليه، جاحد لها، غير شاكر لله سبحانه عليها كما ينبغي ويجب عليه. " ²

ولله در أبي السعود حين أثنى على الله بما هو أهله في معرض تفسيره لهذه الآية قائلاً: " فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك، لا تلاحظك العيون بأنظارها ولا تطالعك العقول بأفكارها، شأنك لا يضاهي وإحسانك لا يتناهى، ونحن في معرفتك حائرون، وفي إقامة مراسم شكرك قاصرون، نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك، والتوفيق لأداء حقوق نعمتك، لا نحصي ثناءً عليك، لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك." ³

✓ (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَزُونَ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ

مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) سورة النحل/53-55

قال ابن عاشور(ت: 1393هـ): " والكفر هنا كفر النعمة ، ولذلك علّق به قوله تعالى : (بِمَا آتَيْنَاهُمْ)أي من النعم. وكفر النعمة ليس هو الباعث على الإشراك، فإن إشراكهم سابق على ذلك، وقد استصحبوه عقب كشف الضر عنهم ، ولكن شبهت مقارنة عودهم إلى الشرك بعد كشف الضر عنهم بمقارنة العلة الباعثة على عمل ذلك العمل. ووجه الشبه مبادرتهم لكفر النعمة دون تريث. " ⁴

ومثل هذه الآية قوله تعالى :

✓ (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا

آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سورة العنكبوت/65-66

✓ (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَاوُا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) سورة الروم/33-34

¹ - أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م، 3/ 164 .

² - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 3/ 132-133.

³ - تفسير أبي السعود، 50/5.

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، 1997م ، 14/ 178-179.

✓ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا

اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) سورة النحل/112

وأعظم هذه النعم هي بعثة رسول منهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) سورة الجمعة/2

✓ (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) سورة النحل/72

✓ (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) سورة العنكبوت/67

✓ (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هَ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) سورة الفرقان/50

قال الزمخشري(ت538هـ) في تفسير هذه الآية: "يريد: ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر، ليفكروا ويعتبروا، ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا، فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها"¹ ، فالكفور هنا جحود النعمة وعدم الشكر لله تعالى.

✓ (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) سورة الشعراء/19، قال الإمام ابن كثير(ت774هـ) في

تفسير هذه الآية: فقال {أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا} الآية، أي أما أنت الذي ربينا وفي بيتنا وعلى فراشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلاً، وحدثت نعمتنا عليك، ولهذا قال { وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } أي الجاحدين، قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.²

أما في الحديث الشريف، فجاء لفظ الكفر بمعنى جحود العبد نعم الله عليه في ستة مواضع :

- عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه وقال مرة إذا رفع مائدته قال: « الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور ». وقال مرة « الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى ربنا »³ .

قال الحافظ ابن حجر(ت852هـ) في شرح (ولا مكفور) " أي: غير مجحود "⁴ .

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت »⁵ .

¹ - تفسير الكشاف، 291/3.

² - تفسير ابن كثير، 6/137.

³ - صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه رقم 5143، 2078/5.

⁴ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، 180/1.

⁵ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، رقم 67، 82/1.

قال النووي(ت 676هـ) في شرح الحديث: " وفيه أقوال أصحها: أن معناه هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، والثاني أنه يؤدي إلى الكفر، والثالث أنه كفر النعمة والاحسان، والرابع أن ذلك في المستحل، وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة"¹.

- عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي عن جرير أنه سمعه يقول : « أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم ». قال منصور: « قد والله روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكني أكره أن يروى عني هاهنا بالبصرة».²

قال النووي(ت 676هـ): "أما تسميته كافرا ففيه الأوجه التي في الباب قبله"³. (يعني حديث اثنتان في الناس هما بهم كفر..)

- عن خالد بن زيد قال: كان عقبة يأتيني فيقول اخرج بنا نرمي، فأبطأت عليه ذات يوم أو تناقلت، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه المحتسب فيه الخير والرامي به ومنبله، فارموا واركبوا، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، وليس من اللهو إلا ثلاث: ملاعبة الرجل امرأته وتأديبه فرسه ورميه بقوسه، ومن علمه الله الرمي فتركه رغبة عنه فنعمة كفرها »⁴.

- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر »⁵.

قال النووي: " قيل فيه تأويلان أحدهما: أنه في حق المستحل، والثاني أنه كفر النعمة والاحسان وحق الله تعالى وحق أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرج من ملة الاسلام، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم (يكفرن) ثم فسره : بكفرانهن الإحسان وكفران العشير "⁶

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كفر بامرئ ادعاء نسب لا يعرفه أو جده وإن دق »⁷.

6- البراءة :

جاء هذا المعنى للفظ الكفر في سبعة مواضع من القرآن الكريم وهي:

¹ - شرح النووي على صحيح مسلم، 57/2.

² - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الآبق كافرا، رقم 68، 83/1 .

³ - شرح النووي على صحيح مسلم، 58/2.

⁴ - مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عمار الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 17321، تعليق محقق المسند : حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده. 558 / 28.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه، رقم 6386. 2485/6.

⁶ - شرح النووي على مسلم، 50/2.

⁷ - سنن ابن ماجه، كتاب الفرائض، باب من أنكر ولده، رقم الحديث 2744، دار الفكر - بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذبلة بأحكام الألباني عليها، 916 / 2، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

✓ (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ

وَيُلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ) سورة العنكبوت 25/

قال الراغب: " وقد يعبر عن التبري بالكفر نحو: { ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ... } الآية [العنكبوت/ 25] ، وقوله تعالى: { إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ } [إبراهيم/ 22] ¹.

✓ (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ) سورة الروم 13/.

قال العلامة السعدي (ت1376هـ) رحمه الله: " تبرأ المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرأ المعبودون وقالوا: { تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ } والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افتترقت أعمالهم في الدنيا. " ²

✓ (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة إبراهيم/22، أي : إني تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله.

✓ (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) سورة مريم/81-82

قال الطبري (ت310هـ): " فجددوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرؤوا منهم، وذلك كفرهم بعبادتهم. " ³

✓ (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) سورة فاطر/14

✓ (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسَنًا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) سورة غافر/83-84، يعني: تبرأنا مما كنا نعدل بالله ⁴.

✓ (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) سورة الأحقاف/6، بيانه قوله: { تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ } سورة القصص/63 ⁵.

7- - الستر والتغطية:

حيث استعمله القرآن على أصل وضعه اللغوي، وذلك في موضع واحد في قوله تعالى: { كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا } سورة الحديد/20 .
ومنه سُمي الزَّرَّاعُ كفاراً لأنهم يغطون البذر في الأرض.

¹ - المفردات في غريب القرآن، ص 716.

² - عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ - 2000 م، ص: 638.

³ - تفسير الطبري، 18/ 249.

⁴ - البغوي، معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م ، 7/ 160.

⁵ - نفسه، 7/ 252.

هذا وقد ورد لفظ الكفر في سياق المدح، بمعنى أنه مطلوب في كل دعوة باطلة، وهو الكفر بالطاغوت¹، حيث ورد في موضعين:

الأول قوله تعالى: { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } سورة البقرة/256.

قال ابن كثير: " أي: من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووجد الله فعبده وحده، وشهد أن لا إله إلا هو { فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصرائط المستقيم"².

والثاني قوله تعالى في سورة النساء: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } الآية/60

وورد كذلك بهذا المعنى في سياق المدح في موضعين من الحديث النبوي:

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بني الإسلام على خمس: على أن يعبد الله، ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان ».³

— عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لقوم: « من وحد الله تعالى وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل ».⁴

المحصل في تعريف الكفر:

انطلاقاً من تلك المعاني الجزئية التي دل عليها المصطلح بمنطوقه تارة وبمفهومه تارة أخرى، يمكن أن نستخلص المعنى الكلي الذي لزم " الكفر " في كل موارد، ونؤطره ضمن التعريف التالي :

الكفر في اصطلاح القرآن والحديث: ضد الإيمان، بعد قيام الحجة، فيكون قولاً وعملاً واعتقاداً وتركاً، كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد. وهو شعب وأجزاء، والكفر منه ما هو أكبر، وهو: ما نقض أصل الإيمان، أو كله، وهذا يخرج من الملة. ومنه ما هو أصغر، وهذا لا يخرج من الملة، لكن صاحبه تحت المشيئة الإلهية. والكفر حكم شرعي، لا يثبت إلا من طريق الشارع.

تحليل عناصر التعريف :

الكفر ضد الإيمان، وهذا باستقراء موارد اللفظ في نصوص الوحيين، حيث ورد المصطلح في مقابل الإيمان مائة وأربعة وخمسين (154) مرة في القرآن الكريم، وثلاثة وأربعين (43) مرة في الحديث النبوي، كقوله تعالى: { إِنَّ

¹ - الطاغوت يطلق على كل ما عبد من دون الله، وعلى الكاهن والشيطان، وكل رأس في الضلالة. أنظر: الفروق اللغوية لأبي هلال

العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص: 247، الصحاح في اللغة للجوهري، مادة (طاغ) 2413/6.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 683/1.

³ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، الحديث 16، 45/1.

⁴ - مسند أحمد، مسند المكين، حديث طارق بن أشيم الأشجعي أبي مالك، رقم الحديث 15875، تعليق المحققين: إسناده صحيح على شرط مسلم 212/25.

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ { سورة البقرة /6، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن »¹.

وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة²، خلافاً لمن حصر الكفر في التكذيب أو الجحود بالقلب أو باللسان، ونفى أن يكون بالعمل أو بالترك³.

نقل محمد بن نصر المروزي⁴ (ت294هـ) عن طائفة من أصحاب الحديث قولهم: " الكفر ضد الإيمان"⁵. وقال شيخ الحنابلة الحسن بن علي البربهاري⁶ (ت329هـ) " ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يردَّ آيةً من كتاب الله عزَّ وجلَّ، أو يردَّ شيئاً من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يصليَّ لغير الله أو يذبح

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه ، باب أين ركز النبي صلى الله عليه و سلم الراية يوم الفتح كتاب المغازي رقم الحديث 1560/4032،4

² - مصطلح " أهل السنة " يطلق باعتبارين: الأول: يطلق فيما يقابل الروافض، فعلى هذا الاعتبار يدخل في أهل السنة الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ، بل والمعتزلة أيضاً.

الثاني: يطلق لفظ أهل السنة، فيما يقابل البدعة ؛ ويراد بذلك : أهل السنة المحضة ؛ فلا يدخل فيه إلا من التزم العقيدة الصحيحة من السلف وأهل الحديث. فعلى هذا الاعتبار لا يدخل في هذا اللقب من خلط أصوله الكلامية، بأصول بدعية ؛ لمخالفتهم أهل السنة في كثير من الأصول والمسائل. قال ابن تيمية : " فلفظ " أهل السنة " يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة. " ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 2/221.

ولهذا سمو أهل السنة لأنهم متمسكون بها، وسموا أهل الجماعة لأنهم مجتمعون عليها. وأول من أثر عنه هذا اللفظ الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، إذ قال في تفسير قوله تعالى: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } [آل عمران/106]: " يعني: يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة " ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ، 2/ 92.

³ - محمد بن محمود الخضير، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الثالثة، 1430هـ/2009م، 1/127.

⁴ - محمد بن نصر (202 - 294 هـ):

ابن الحجاج المروزي الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ. مولده ببغداد، في سنة اثنتين ومائتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند.

ذكره الحاكم، فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث. ويقال: إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق.

له كتب كثيرة، منها (القسامة) في الفقه، قال أبو بكر الصيرفي: لو لم يكن له غيره لكان من أفقه الناس، وكتاب (ما خالف به أبو حنيفة عليا وابن مسعود).. مات في المحرم، سنة أربع وتسعين ومائتين. أنظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، 11/23-25.

⁵ - محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، 1406هـ، 2/517.

⁶ - البربهاري (233 - 329 هـ):

الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد: شيخ الحنابلة في وقته، من أهل بغداد. كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه، وكثر مخالفوه.. له مصنفات، منها (شرح كتاب السنة)، والبربهاري نسبة إلى (البريهار) وهي أدوية كانت تجلب من الهند ويقال لجاليها البربهاري، ولعلها ما يسمى اليوم بالبهارات. أنظر: الزركلي، الأعلام، 2/201

لغير الله، وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام¹، فالبريهاري هنا أطلق الفعل ولم يقيده بالاعتقاد².

وقال ابن فارس (ت:395هـ): "والكفر ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها"³.

وقال ابن حزم (ت:456هـ) معرفاً للكفر: "وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان"⁴.

وحكى ابن تيمية (ت:728هـ) الإجماع على هذا، فقال: "الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتد شيئاً ولم يتكلم به"⁵.

وقال أيضاً: "الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعتة مع العلم بصدقته، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم"⁶.

وقال موضحاً عدم اشتراط التكذيب وحده للكفر: "الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله، حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"⁷.

وقال الحافظ ابن قيم الجوزية (ت:751هـ): "وشعب الإيمان قسمان: قولية، وفعلية، وكذلك شُعبُ الكفر نوعان: قولية وفعلية، ومن شُعبِ الإيمان القولية: شعبةٌ يوجب زوالها زوالَ الإيمان، فذلك من شُعبِ الفعلية ما يوجب زوالَ الإيمان. وكذلك شُعبُ الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياريّاً، وهي شعبة من شعب الكفر، فذلك يكفر بفعل شعبةٍ من شُعبه كالسُّجود للصَّنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل"⁸.

وقال السبكي (ت:756هـ) في "الفتاوى": "التكفير حكمٌ شرعيٌّ سببه جحدُ الرُّبوبيّة أو الوحدانيّة، أو الرسالة، أو قول أو فعل حكمَ الشَّارعُ بأنّه كفر، وإن لم يكن جحداً"⁹.

¹ - البريهاري، الحسن بن علي بن خلف أبو محمد، شرح السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، 1408هـ، ص: 31.

² - علوي بن عبد القادر السَّعَّاف، التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م، ص: 32.

³ - معجم مقاييس اللغة 5/191.

⁴ - الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، 1404هـ، 1/49-50.

⁵ - مجموع الفتاوى، 20/86.

⁶ - ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، 1391هـ، 1/140.

⁷ - مجموع الفتاوى، 12/335.

⁸ - ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الصلاة وحكم تاركها، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي. الناشر: الجفان والجابي، دار ابن حزم - قبرص - بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م، ص: 70.

⁹ - فتاوى السبكي، دار المعرفة - توزيع الباز، 2/586.

بعد قيام الحجة:

ومعنى هذا الضابط أن حكم الكفر وإطلاقه على من تلبس به يخضع عند العلماء لشروط لا بد من اجتماعها، وموانع لا بد من انتفاءها حتى نحكم على المعين المقارن للكفر قولاً أو عملاً أو اعتقاداً بأنه كافر بعينه خارج عن ملة الإسلام، وهي باختصار:

1. العلم وموانعه الجهل.

2. التكليف وموانعه عدم التكليف.

3. الاختيار وموانعه الإكراه.

4. القصد وموانعه الخطأ وألحق العلماء به التأويل.

وهذا بناء على قول الله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } سورة الإسراء/15، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } سورة الملك/ 8-9"¹

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية "إني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: أنني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى"².

وقال ابن قدامة المقدسي (ت620هـ): "فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشيء بغير دار الاسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره"³.

وسأخصص مبحثاً في الباب الثاني للتحدث عن هذا الموضوع بتفصيل ناقلًا كلام أهل العلم إن شاء الله تعالى. **الكفر يكون قولاً باللسان واعتقاداً بالجنان وعملاً بالأركان**، مثل الإيمان، لأن الكفر نقيضه، فله المراتب نفسها إذن، لكن بالنقيض. يقول ابن القيم (ت751هـ) رحمه الله: "فالكفر والإيمان متقابلان، إذا زال أحدهما خلفه الآخر"⁴.

يعني " إذا وجد أحدهما ارتفع الآخر، فيكون تعريف الكفر من باب معرفة الشيء بضده."⁵

ونقل محمد بن نصر المروزي قول طائفة من أصحاب الحديث:

" أن الكفر ضد الإيمان، إلا أن الكفر كفران:

- كفر هو جحد بالله، وبما قال، فذلك ضده الإقرار بالله، والتصديق به، وبما قال.

- وكفر هو عمل، ضد الإيمان الذي هو عمل"¹.

¹ - تفسير القرآن العظيم، 52/5.

² - مجموع الفتاوى، 229/3-231.

³ - المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، دون طبعة، 1388هـ - 1968م، 11/9.

⁴ - الصلاة وحكم تاركها - ابن قيم الجوزية، ص 69.

⁵ - فتحي بن عبدالله الموصللي، التبيان في تأصيل مسائل الكفر والإيمان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الاولى، 1424هـ ص:199.

ولإيضاح هذه المسألة أقول وبالله التوفيق:

1- مما يدل على أن الكفر يكون قولاً باللسان قوله تعالى: (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ

أَبِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) سورة التوبة/ 65-66

قال ابن تيمية في تفسيره للآية: " فقد أخبر تعالى أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام".²

وقال أيضا " فبين أنهم كفار بالقول مع أنهم لم يعتقدوا صحته".³

ف " من استهزأ بالله، أو بكتابه أو برسوله صلى الله عليه وسلم، أو بدينه، كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء؛ إجماعاً".⁴

وقال ابن حزم (ت456هـ): " ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام قول الله تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا } إلى قوله: { يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا } سورة الكهف/35-42 فأثبت الله له الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى إذ شك في البعث".⁵

وقوله تعالى: { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ } سورة التوبة/74

وقوله تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } سورة النحل/106

يقول ابن تيمية: " ومعلوم أنه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط، لأن ذلك لا يكره الرجل عليه، وهو قد استثنى من أكره، و لم يرد من قال واعتقد، لأنه استثنى المكره وهو لا يكره على العقد والقول، وإنما يكره على القول فقط، فلم أنه أراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، وأنه كافر بذلك، إلا من أكره وهو مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدرا من المكرهين فإنه كافر أيضا، فصار من تكلم بالكفر كافرا إلا من أمره فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان".⁶

ومن الكفر بالقول: دعاء غير الله تعالى لقوله تعالى: { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } سورة المومنون/117

¹ - تعظيم قدر الصلاة ، 517/2-518.

² - مجموع الفتاوى، 220/7.

³ - ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 523/1.

⁴ - سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض، ص553.

⁵ - علي بن أحمد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة، 109/3.

⁶ - ابن تيمية، الصارم المسلول، 523/1.

وقوله سبحانه: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيَنْ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } سورة الأعراف/37

وقوله: { ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } سورة فاطر/13-14

وفي ذلك يقول ابن تيمية: " فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات : فهو كافر بإجماع المسلمين"¹.

2- ومن صور الكفر (كفر الجوارح) الذي هو فعل: التولي والإعراض، أو السجود بنية التقرب لغير الله تعالى، والذبح والنذر.

أخرج أبو بكر الخلال² (ت311 هـ) في كتابه "السنة" بسنده عن الحميدي قال: " وأخبرت أن قوما يقولون : « إن من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، أو يصلي مسند ظهره مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن، ما لم يكن جاحداً، إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه، إذا كان يقر الفروض واستقبال القبلة ، فقلت : هذا الكفر بالله الصراح ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفعل المسلمين ، قال الله جل وعز : { حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } سورة البينة/5. قال حنبل : قال أبو عبد الله ، أو سمعته يقول : « من قال هذا فقد كفر بالله ، ورد على الله أمره ، وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء به »"³.

وقال إسحاق بن راهويه (ت238 هـ) : " ومما أجمعوا على تكفيره، وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد، فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى، ومما جاء من عنده، ثم قتل نبياً، أو أعان على قتل نبي، ويقول قتل الأنبياء محرم، فهو كافر "⁴.

وقال ابن تيمية: " الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعتة مع العلم بصدقته، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم "⁵.

¹ - مجموع الفتاوى، 124/1.

² - أبو بكر الخلال (ت311 هـ) :

أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، الخلال: مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة، من أهل بغداد. كانت حلقاته بجامع المهدي. قال ابن أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة. وقال الذهبي: جامع علم أحمد ومرتبّه. من كتبه (تفسير الغريب) و (طبقات أصحاب ابن حنبل - خ) ، و (الحث على التجارة والصناعة والعمل - خ) و (السنة) و (العلل) و (الجامع لعلوم الإمام أحمد) في الحديث. أنظر : الأعلام للزركلي، 206/1.

³ - السنة لأبي بكر بن الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م، 586/3.

⁴ - تعظيم قدر الصلاة، 930/2.

⁵ - درء تعارض العقل والنقل، 140/1.

3- وأما كفر الاعتقاد المناقض لقول القلب أو عمله ، فكتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم باطنا، أو بغضه ومعاداته مع اعتقاد صدقه، أو اعتقاد حل الزنا أو الخمر، أو اعتقاد أن أحدا يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، أو غير ذلك من الاعتقادات المكفرة التي تناقض قول القلب أو عمله¹.

لكن ينبغي أن يعلم أن كفر التكذيب قليل في أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال ابن القيم: " فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } سورة النمل/14 وقال لرسوله { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام/33 وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح إذ هو تكذيب باللسان².

وقال ابن تيمية: " وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم، وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصدقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم، أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم، فيكونون من أكفر الناس، كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق"³.

4- والكفر يكون بالترك، كترك الصلاة عند جمهور السلف⁴ ودليلهم في ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم والإمام أحمد عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »⁵. وقوله صلى الله عليه وسلم: « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »⁶.

¹ - محمد بن محمود الخضير، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل، مرجع سابق 1/133.

² - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م، 1/346.

³ - مجموع الفتاوى، 191/7.

⁴ - ذكر الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" الخلاف الوارد في هذه المسألة بين أصحاب الحديث وبسط القول فيها فقال: " ذكرنا الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في إكفار تاركها، وإخراجها إياه من الملة، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها، ثم جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم مثل ذلك، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك. ثم اختلف أهل العلم بعد ذلك في تأويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة رضي الله عنهم في إكفار تاركها، وإيجاب القتل على من امتنع من إقامتها" - ثم أورد مقالة الفريق الأول وقال: " قد حكينا مقالة هؤلاء الذين أكفروا تارك الصلاة متعمداً، وحكينا جملة ما احتجوا به، وهذا مذهب جمهور أهل الحديث. وقد خالفهم جماعة أخرى من أصحاب الحديث، فأبوا أن يكفروا تارك الصلاة، إلا أن يتركها جحوداً أو إباءً واستكباراً واستكافاً ومعاندة فحينئذ يكفر. وقال بعضهم: تارك الصلاة كتارك سائر الفرائض عن الزكاة، وصيام رمضان، والحج. وقالوا: الأخبار التي جاءت في الإكفار بترك الصلاة نظير الأخبار التي جاءت في الإكفار بسائر الذنوب " تعظيم قدر الصلاة، 2/924-929.

⁵ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم الحديث 82، 88/1.

⁶ - سنن الترمذي، كتاب الإيمان باب ترك الصلاة، رقم الحديث 2618، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، 5/13 وصححه الألباني

وأخرج أهل السنن من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »¹.

بل هو إجماع الصحابة² فعن عبد الله بن شقيق العقيلي : قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة³.

ولكن هاهنا مسألة مهمّة، وهي أنّ أصحاب الحديث الذين لم يكفّروا تارك الصلاة؛ كما نقل عنهم المروزيّ قالوا: " الأخبار التي جاءت في الإكفار بترك الصلاة نظير الأخبار التي جاءت في الإكفار بسائر الذنوب" فهم نظروا إلى الأدلة التي ظاهرها التعارض، فجمعوا بينها ورجّحوا عدم إكفار تارك الصلاة كتارك الصوم والزكاة، إلّا إذا تركها جُحوداً أو إباءً أو استنكافاً... كما أنّهم لم يعدّوا من يكفّر تاركها بمثابة الخارج الذين يكفّرون بالذنوب، وهذا إقرارٌ منهم أنّ تارك العمل قد يخرج من الملة، لكن لم يترجّح عندهم ذلك في شأن تارك الصلاة⁴.

ومن ذلك (أي الكفر الذي يكون بالترك) ترك الفرائض بالكلية، قال عبد الله بن أحمد حدثنا سويد بن سعيد الهروي قال: سألتنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء فقال: يقولون الايمان قول، ونحن نقول: الايمان قول وعمل، والمرجئة⁵ أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء، لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر⁶.

¹ - سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ترك الصلاة، رقم الحديث 2621، 13/5. سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم 463، 231/1، وصححه الألباني.

² - أنظر: الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل، مرجع سابق 134/1.

³ - الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان رقم 12، 48/1. سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ترك الصلاة، رقم الحديث 2622، 14/5 وصححه الألباني.

⁴ - علوي بن عبد القادر السقّاف، التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، مرجع سابق، ص: 19-20

⁵ - المرجئة لغة : من الإرجاء: وهو التأخير والإمهال، قال تعالى: { قَالُوا أَزِجُّهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } الشعراء/36. أي: أمهله.

وفي الاصطلاح : كانت المرجئة في آخر القرن الأول تطلق على فئتين ، قال ابن عيينة رحمه الله : الإرجاء على وجهين: قوم أرجوا أمر علي وعثمان، فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل" أبو جعفر الطبري، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، 2/ 659 وقال الطبري رحمه الله : "والصواب من القول في المعنى الذي من أجله سميت المرجئة مرجئة أن يقال: إن الإرجاء معناه ما بينا قبل من تأخير الشيء، فمؤخر أمر علي وعثمان رضي الله عنهما إلى ربهما، وتارك ولايتهما والبراءة منهما: مرجئاً أمرهما، فهو مرجئ، ومؤخر العمل والطاعة عن الإيمان مرجئهما عنه، فهو مرجئ"، غير أن الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب المتخلفين في الديانات في دهرنا هذا، هذا الاسم فيمن كان من قوله: الإيمان قول بلا عمل، وفيمن كان من مذهبه أن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوبه " تهذيب الآثار، 2/ 660

واستقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على المعنى الثاني ، وهو القول بأن الإيمان قول بلا عمل، أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان ، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

⁶ - عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، كتاب السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 347/1-348.

ويقول الشيخ بكر أبو زيد (ت1429هـ): " الكفر يكونُ بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالشك وبالنكاح، وليس محصوراً بالتكذيب بالقلب كما تقوله المرجئة، ولا يلزم من زوال بعض الإيمان زوال كُله كما تقوله الخوارج".¹

وأما كون الكفر شعباً وأجزاء، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».² فهو إذن شعب ومراتب، بعضها أعلى من بعض، وقد قسم العلماء الإيمان إلى: أصول، وفروع، وكذلك الكفر، فإن من الأعمال ما يزيل الإيمان بالكلية وينقض الأصل، ومن الأعمال ما ينقص الإيمان نقصاً يذم به، وثمة أعمال تضعف الإيمان. فمما نقله محمد بن نصر المروزي عن بعض المحدثين ما نصه: " ولنا في هذا قدوة بمن روي عنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين: إذ جعلوا للكفر فروعاً، دون أصله، لا تنتقل صاحبه عن ملة الإسلام.

كما أثبتوا للإيمان من جهة العمل فرعاً للأصل، لا ينقل تركه عن ملة الإسلام".³ وفصل الإمام ابن القيم هذه المسألة بتأصيل فقال: " الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان".⁴

وقال أيضاً: " شعب الإيمان قسمان قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية، ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياريًا، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه: كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل".⁵

وهذا ما أثبته شيخه ابن تيمية رحمه الله بكلام جامع، فقال: " فجميع ما نهى الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه، كما أن كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله".⁶

وإذا ثبت أن الكفر شعب، والإيمان كذلك، بعضها أعلى، وبعضها أدنى، فإنه تبعاً لذلك يمكن أن يجتمع في الرجل شعبة - غير مخرجة من الملة - من شعب الكفر وإيمان، وهذا على أصول أهل السنة والجماعة، بخلاف المرجئة والخوارج والمعتزلة.

¹ - بكر بن عبد الله أبو زيد، درء الفتنة عن أهل السنة، دار العاصمة، الطبعة: الثانية 1419هـ. ص49

² - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان رقم 35، 63/1.

³ - تعظيم قدر الصلاة، 520/2.

⁴ - الصلاة وحكم تاركها، ص: 70

⁵ - نفسه، ص: 70

⁶ - ابن تيمية، جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م، 292/2.

فقد بوب البخاري في صحيحه بابا بعنوان: باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة، وأورد فيه حديث عمر بن الخطاب أن رجلا على عهد النبي صلى الله عليه و سلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم، وكان النبي صلى الله عليه و سلم قد جلده في الشراب، فأتي به يوما، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به ؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: « لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله »¹.

وعلق الحافظ ابن حجر (ت852هـ): " على ترجمة هذا الباب بقوله : " يشير إلى طريق الجمع بين ما تضمنه حديث الباب من النهي عن لعنه، وما تضمنه حديث الباب الأول: لا يشرب الخمر وهو مؤمن، وأن المراد به نفي كمال الإيمان، لا أنه يخرج عن الإيمان جملة "².

قال ابن تيمية مقررًا هذا الأصل: " ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر، يصير كافرا الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا، حتى يقوم به أصل الإيمان "³.

ف " لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد، أن يسمّى مؤمنا، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر، أن يسمّى كافرا وإن كان ما قام به كفر، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم، أو من أجزاء الطب، أو من أجزاء الفقه، أن يسمّى عالما، أو طبيبا، أو فقيها، وأما الشعبة نفسها، فيطلق عليها اسم الكفر، كما في الحديث: « اثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت »⁴، وحديث: « من حلف بغير الله فقد كفر »⁵، ولكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق "⁶.

هذا التحرير وهذه الاستدلالات ينتج :

أن الكفر منه ما هو أكبر، وهو: ما نقض أصل الإيمان، أو كله، وهذا يخرج من الملة.

ومنه ما هو أصغر، كفعل كبيرة، وهذا لا يخرج من الملة، لكن صاحبه تحت مشيئة الله تعالى؛ إن شاء غفر له أو عذبه.

وهذا الأمر مشهور معروف بين العلماء قد تواردوا عليه، ولا أظن ذا علم ينكره، أو يتطرق إليه شك فيه.

وبضرب ابن القيم مثلا لبيان الفرق بين النوعين، فيقول:

¹ - صحيح البخاري، كتاب الحدود، رقم الحديث 6398، 2489/6

² - فتح الباري شرح صحيح البخاري، 75/12-76

³ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص: 70

⁴ - سبق تخريجه.

⁵ - سنن الترمذي، كتاب النذور والأيمان عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم 1535،

110/4

⁶ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، دراسة وتحقيق: عبد

الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م 466/1

" فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر وكفر أصغر فالكفر الأكبر : هو الموجب للخلود في النار والأصغر : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى - وكان مما يتلى فنسخ لفظه- : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم »¹.

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إثنان في أمي هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة »²

وقوله في السنن : « من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »³.

وفي الحديث الآخر : « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد »⁴.

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض »⁵ ...

والقصد: أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة، فالسعي : إما شكر وإما كفر، وإما ثالث، لا من هذا ولا من هذا، والله أعلم⁶.

انطلاقا من هذا التحليل نستخلص أن: الكفر نقيض الإيمان، كليا أو جزئيا. والكفر هنا للجنس وليس للعهد، فيشمل الكفرين الأصغر والأكبر. فليس نقيضه بمعنى انتفاء الإيمان بإطلاق، بل تارة ينتفي الإيمان كليا، وهذا في الأكبر، وتارة يضعف، وهذا في الأصغر.

إذن، الكفر في العموم ينتفي معه الإيمان، أو يضعف.

والكفر حكم شرعي، لا يثبت إلا بنص من الشارع⁷: أي لا دخل فيه للاجتهاد والاستنباط إلا ما كان من إجماع⁸ إجماع⁸ أو قياس صحيح⁹ مكتمل الشروط.

ذلك لأن الكفر (الأكبر) أو التكفير حكم شنيع، يخرج فاعله من الدين، و يحكم بخلوده في النار ، فليس من حق أحد سوى الله تعالى، الذي أنزل الدين وبين حدوده.

¹ - صحيح البخاري ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا حبلت، الحديث 6442 ، 6 / 2503.

² - سبق تخريجه.

³ - سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض. رقم 135 ، 1 / 242.

⁴ - مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم 9536 ، وحسنه محقق المسند، 15 / 331.

⁵ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، رقم الحديث 65، 1 / 81.

⁶ - مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، 1 / 344-346.

⁷ - كتكفير الله تعالى للنصارى أصحاب عقيدة التثليث: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } سورة المائدة 73

⁸ - مثل ما ذكره القاضي عياض (ت 544هـ): " وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره، كتكفير الخوارج بإبطال الرجم ". الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر - بيروت، 1409 هـ - 1988 م، 2 / 286.

⁹ - مثل " قوله سبحانه : { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِرُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } [التوبة : 64-66] وهذا نص في أن الاستهزاء بالله و بآياته و برسوله صلى الله عليه وسلم كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى، و قد دلت هذه الآية على أن كل من تنتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم جادا أو هازلا فقد كفر " الصارم المسلول - ابن تيمية، 1 / 37.

قال الغزالي (ت 505هـ) رحمه الله في فيصل التفرقة: " الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً؛ إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدرکه شرعي، فيدرك إما بنص، وإما بقياس على منصوص".¹
وقال القاضي عياض (ت 544هـ) في الشفا: " فصل في بيان ما هو من المقالات كفر، وما يتوقف أو يختلف فيه، وما ليس بكفر.

اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه، موردہ الشرع، ولا مجال للعقل فيه".²
وقال ابن تيمية (ت 728هـ): " الكفر حكم شرعي، متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم صواب القول وخطأه، وليس كل ما كان خطأ في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته".³

إذن مصطلح الكفر ومفهومه في خطاب القرآن الكريم والحديث النبوي كان واضحاً وضوحاً بيناً، وما بدأ هذا المصطلح يضطرب في أذهان المسلمين، إلا عندما ضعف المسلمون في تطبيق دين الله على أنفسهم، وبالتالي -ولأن فاقد الشيء لا يعطيه- لم يستطيعوا أن يبلغوا دين الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وبقدر بعدهم عن هذا الدين بقدر بعدهم عن المفاهيم الصحيحة التي جاء بها، ومنها مفهوم الكفر. ولهذا يجب أن ينصب الجهد على عملية تحديد المفاهيم وإعادة الحيوية لها على مستوى الدلالة الشرعية كتاباً وسنة، وعلى مستوى الممارسة العملية، لما يسميه علماؤنا جيل التلقي.

ردود العلماء على الأشاعرة والمرجئة في تعريفهم للكفر:

يرى الأشاعرة⁴ أن الكفر هو التكذيب، أو الجهل بالله تعالى، وأن ما كان من أمور الكفر المجمع عليها كالسجود للصنم وعبادة الأفلاك ليس كفراً في نفسه، لكنه علامة على الكفر، ويجوز أن يكون فاعل ذلك في

¹ - الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق: محمود بيجو، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م، ص: 26.

² - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 282/2.

³ - درء تعارض العقل والنقل، 140/1.

⁴ - الأشاعرة فرقة تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ) رحمه الله، في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة، فهي ظهرت في القرن الرابع وما بعده. وقد مر أبو الحسن الأشعري بمراحل، كان في الأولى منها معتزلياً وبقي عليها نحو من أربعين سنة، ثم رجع عن الاعتزال إلى رأي عبد الله بن سعيد بن كلاب (وابن كلاب جاء في زمان كان الناس فيه صنفين: فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفات كلها الذاتية والفعلية، والجهمية ينكرونها، فجاء ابن كلاب وأثبت الصفات الذاتية، ونفى ما يتعلق منها بالمشيئة، فلذلك قرر الأشعري هذه العقيدة)، وتأثر به، وهي المرحلة الثانية، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد بن كلاب، وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره، كما أخبر الإمام ابن خزيمة عنه، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405هـ / 1985م، 174/11-175، وابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل، 81/2. واختلف العلماء هل رجع الأشعري عن قول ابن كلاب إلى مرحلة ثالثة فوافق أهل السنة والجماعة موافقة تامة، أم بقي على ذلك ولم يرجع؟ فطائفة رأت أنه رجع إلى قول أهل السنة، قال ذلك الحافظ ابن كثير، ومن المعاصرين: الشيخ حافظ الحكمي. واستدلوا على ذلك بكلامه في كتاب الإبانة - وهو آخر كتبه - حيث قال: " قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتمدون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نصر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تحقق: فؤاد حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1397هـ، ص: 20.

الباطن مؤمنا، ومنهم من يقول: هذه الأمور جعلها الشارع علامة على التكذيب، فيحكم على فاعلها بوجود التكذيب في قلبه وانتفاء التصديق منه.

قال الباقلاني (ت403هـ): "باب القول في معنى الكفر: إن قال قائل: وما الكفر عندكم؟ قيل له: ضد الإيمان، وهو الجهل بالله عز وجل، والتكذيب به، السائر لقلب الإنسان عن العلم به، فهو كالمغطي للقلب عن معرفة الحق... وقد يكون الكفر بمعنى التكذيب والجد والإنكار، ومنه قولهم: كفرني حقي أي جحدني. وليس في المعاصي كفر غير ما ذكرناه، وإن جاز أن يسمى أحيانا ما جعل علما على الكفر كفرا، نحو عبادة الأفلak والنيران، واستحلال المحرمات، وقتل الأنبياء، وما جرى مجرى ذلك مما ورد التوقيف به وصح الإجماع على أنه لا يقع إلا من كافر بالله ومكذب له وجاحد به"¹.

وقال الإيجي²: "المقصد الثالث: في الكفر: وهو خلاف الإيمان، فهو عندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه به ضرورة. فإن قيل: فساد الزنار ولابس الغيار بالاختيار لا يكون كافرا؟ قلنا: جعلنا الشيء علامة للتكذيب، فحكمنا عليه بذلك"³.

والحاصل أن الأشاعرة لا يرون الكفر إلا تكذيب القلب أو جهله، ولا يرون عملا أو قولاً هو كفر بذاته، وأن من حكم بكفره، فلذهاب التصديق من قلبه، أو يقال: هو كافر ظاهرا، وقد يكون مؤمنا باطنا. وهم يلتقون مع جهم⁴ في هذا التأصيل.

فهذا تصريح منه برجوعه إلى مذهب السلف الذين يمثلهم الإمام أحمد.

والقول الثاني: أن الأشعري لم يرجع عن مذهب الكلابية رجوعا كاملا، وإنما اقترب من أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل.

ورجّح هذا القول ابن تيمية وابن القيم وغيرهما، يقول ابن تيمية: "الأشعري، وإن كان من تلامذة المعتزلة ثم تاب، فإنه كان تلميذ الجبائي ومال إلى طريقة ابن كُلاب وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أمورا أخرى، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم. "مجموع الفتاوى، 228/3.

وغالب المتأخرين من الأشاعرة، لا يلتزمون مذهب أبي الحسن الأشعري، بل خلطوا مذهبهم بكثير من أصول الجهمية والمعتزلة، وخالفوا الأشعري في كثير من أقواله، فهم ينفون صفة الاستواء لله والعلو والنزول واليد والعين والقدم والكلام وهذه الصفات كلها يخالفون فيها الأشعري نفسه.

¹ - الباقلاني، محمد بن الطيب، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ - 1987م، 393-394.

² - الإيجي (832 - 905 هـ):

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي، معين الدين: مفسر، من فقهاء الشافعية. ولد بـ "إيج" بنواحي شيراز، وتعلم بها وبكرمان وخراسان. وتولى الإفتاء ببلده. وحج سنة 867 هـ وسكن مكة أكثر من عشر سنين. قال السخاوي: "وانتفع به جماعة، وعمل "تفسيرا" في مجلد ضخيم، وقال صاحب كشف الظنون: له "جوامع التبيين في التفسير". معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م، 2/ 549.

³ - الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، كتاب المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، 544-545/3.

⁴ - جهم بن صفوان (ت128هـ):

أبو محرز الراسبي، مولاها، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. قال ابن حزم: كان يخالف مقاتلا في التجسيم، وكان يقول: الإيمان عقد بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن سلم بن أحوز قتل جهم لإنكاره أن الله كلم موسى. "الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6/ 204.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، ويكرم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين غاية الإهانة، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن. قالوا: وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار؛ لأن هذه الأقوال أماره على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود، وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد به الشهود، فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة، قالوا: فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه. فالكفر عندهم شيء واحد، وهو الجهل، والإيمان شيء واحد، وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو. وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة¹.

وقال: " فهؤلاء القائلون بقول جهم والصالحين قد صرحوا بأن سب الله ورسوله، والتكلم بالتثليث وكل كلمة من كلام الكفر ليس هو كفراً في الباطن، ولكنه دليل في الظاهر على الكفر، ويجوز مع هذا أن يكون هذا الساب الشاتم في الباطن عارفاً بالله موحداً مؤمناً به"².

ولابن حزم (ت456هـ) كلام قوي في الرد على الأشاعرة في هذه المسألة، ومن ذلك قوله: " ونقول للجهمية³ والأشعرية في قولهم: إن جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان كل ذلك باللسان فإنه ليس كفراً، لكنه دليل على أن في القلب كفراً: أخبرونا عن هذا الدليل الذي ذكرتم، أنقطعون به فتثبتونه يقيناً، ولا تشكون في أن في قلبه جحداً للربوبية وللنبوة، أم هو دليل يجوز ويدخله الشك، ويمكن أن لا يكون في قلبه كفر؟ ولا بد من أحدهما، فإن قالوا: إنه دليل لا نقطع به قطعاً ولا نثبت به يقيناً، قلنا لهم: فما بالكم تحتجون بالظن الذي قال تعالى فيه: { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } سورة النجم/28"⁴.

وقال أيضاً: " وأما قولهم: إن شتم الله تعالى ليس كفراً، وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو دعوى؛ لأن الله تعالى قال: { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ } التوبة:74، فنص تعالى على أن من الكلام ما هو كفر. وقال تعالى: { أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ } النساء/40، فنص تعالى أن من الكلام في آيات الله تعالى ما هو كفر بعينه مسموع. وقال تعالى: { لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً } التوبة:65-66، فنص تعالى على أن الاستهزاء بالله تعالى أو

¹ - مجموع الفتاوى، 188/7-189.

² - ابن تيمية، شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم كتاب «الإيمان الأوسط»، دراسة وتحقيق: علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1423 هـ، ص172.

³ - الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان، قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً، لا مؤثرة، ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تنفيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى. الجرجاني، التعريفات، ص: 80.

⁴ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، 120/3-121.

بآياته أو برسول من رسله كفر مخرج عن الإيمان، ولم يقل تعالى في ذلك: إني علمت أن في قلوبكم كفراً، بل جعلهم كفاراً بنفس الاستهزاء، ومن ادعى غير هذا فقد قَوَّلَ الله تعالى ما لم يقل، وكذب على الله تعالى".¹

وقال: "وأما الأشعرية فقالوا: إن شتم من أظهر الإسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم، وإعلان التكذيب بهما باللسان بلا تقية ولا حكاية، والإقرار بأنه يدين بذلك، ليس شيء من ذلك كفراً، ثم خشوا مبادرة جميع أهل الإسلام لهم فقالوا: لكنه دليل على أن في قلبه كفراً. فقلنا لهم: وتقطعون بصحة ما دل عليه هذا الدليل؟ فقالوا: لا".²

وقال في المحلى: "وأما سب الله تعالى، فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد إلا أن الجهمية والأشعرية، وهما طائفتان لا يعتد بهما، يصرحون بأن سب الله تعالى، وإعلان الكفر ليس كفراً، قال بعضهم: ولكنه دليل على أنه يعتقد الكفر، لا أنه كافر بيقين بسبه الله تعالى. وأصلهم في هذا أصل سوء خارج عن إجماع أهل الإسلام، وهو أنهم يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط وإن أعلن بالكفر وعبادة الأوثان بغير تقية ولا حكاية لكن مختاراً في ذلك الإسلام. قال أبو محمد: وهذا كفر مجرد؛ لأنه خلاف لإجماع الأمة، ولحكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة ومن بعدهم؛ لأنه لا يختلف أحد - لا كافر ولا مؤمن - في أن هذا القرآن هو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر أنه وحي من الله تعالى - وإن كان قوم من الروافض ادعوا أنه نقص منه، وحُرِّفَ - فلم يختلفوا أن جملته كما ذكرنا. ولم يختلفوا في أن فيه التسمية بالكفر، والحكم بالكفر قطعاً على من نطق بأقوال معروفة، كقوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } سورة المائدة/72، وقوله تعالى: { وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ } التوبة:74، فصح أن الكفر يكون كلاماً. وقد حكم الله تعالى بالكفر على إبليس، وهو عالم بأن الله خلقه من نار وخلق آدم من طين، وأمره بالسجود لآدم وكرمه عليه، وسأل الله تعالى النظرة إلى يوم يبعثون. ثم يقال لهم: إذ ليس شتم الله تعالى كفراً عندكم، فمن أين قلتم: إنه دليل على الكفر؟ فإن قالوا: لأنه محكوم على قائله بحكم الكفر؟ قيل لهم: نعم، محكوم عليه بنفس قوله، لا بمغيب ضميره الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فإنما حكم له بالكفر بقوله فقط، فقوله هو الكفر، ومن قطع على أنه في ضميره وقد أخبر الله تعالى عن قوم { يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } سورة آل عمران:167، فكانوا بذلك كفاراً، كاليهود الذين عرفوا صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، وهم مع ذلك كفار بالله تعالى قطعاً بيقين، إذ أعلنوا كلمة الكفر".³

¹ - الفصل، 114/3.

² - نفسه، 156/4.

³ - ابن حزم الأندلسي، المحلى بالآثار، دار الفكر - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، 435 / 12 - 436.

الفصل الثالث: خصائص مصطلح الكفر وصفاته في القرآن الكريم والحديث النبوي

تقديم :

بعد أن فرغت من تعريف الكفر الذي هو اللب والنواة¹، أبدأ في هذا الفصل بحول الله وقوته الحديث عن الصفات والعلاقات، فالتعريف لا يكتمل إلا ببيان المعرف من حيث خصائصه وصفاته وعلاقاته بغيره من المصطلحات داخل المتن المدروس: فالحديث عن الصفات المميزة للفظ الكفر، والتي تعتبر اللحم والكسوة²، لبيان المقومات الذاتية التي تميز المفهوم داخل الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة. والحديث عن العلاقات لإبراز العلاقات التي تربط المفهوم بغيره من المصطلحات التي تدور معه في كل النصوص المدروسة.

ويقتضي تحديد خصائص مصطلح الكفر وصفاته - تبعاً للمنهج المعتمد في البحث - إبراز تجليات هذه الخصائص والصفات من خلال ما يلي: "

- طبيعة وجود المصطلح، وموقعه، ووظيفته في سياق المفاهيم القرآنية، التي تمثل الجهاز المصطلحي أو المفاهيمي موضوع الدراسة.
- درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحيته، ودرجة هذا الاتساع المتمثلة في أبعاد المفهوم، أي في معانيه الجزئية والكلية المرتبطة بمفاهيم أخرى، والتي ترسم أو تحدد خريطة المفهوم المدروس.
- الصفات الحاكمة أو الأحكام القيمية التي تفيد حكماً على المصطلح - أو بالأحرى على مضمونه - مدحاً أو ذماً³.

ومما يجدر التنبيه عليه أن خصائص مصطلح الكفر، وصفاته مبنوثة ضمن ضمائم، وعلاقاته، ومشتقاته، مما يجعل تفصيل الكلام حول الصفات قد يؤدي إلى تناول العلاقات والمشتقات قبل أوانها، ولأجل نقادي ما يتوقع من التكرار نقتصر هنا على الصفات الواردة مع صيغة المصدر (الكفر)، على أن ترد صفات المشتقات معها في فصل المشتقات إن شاء الله تعالى.

¹ - الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، ضمن سلسلة دراسات مصطلحية، ص: 33.

² - نفسه، ص: 33.

³ - مثاله: الكفر ظلم، قال تعالى في تقرير هذه الصفة: { وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } سورة البقرة/ 254.

⁴ - محمد البوزي، مفهوم التقوى، ص: 129.

المبحث الأول: في صفات مصطلح الكفر في القرآن والحديث

إن الوقوف على صفات المصطلح من أهم ما يوضح ماهيته ويحدد هويته، ويعمق معرفته، لذلك كانت معرفة صفات الكفر من أهم ما يعين على الإحاطة بحده وتبين مفهومه. ويقودنا الحديث عن الصفات إلى ضرورة بيان ثلاثة أنواع من الصفات، حسب المنهج الإجرائي الخاص بالدراسة المصطلحية:

1- الصفات المصنفة:

وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة، كالوظيفة التي يؤديها، والموقع الذي يحتله، وغير ذلك.¹

وحددت الدكتورة فريدة زمرد لدراسة هذه الخصائص الكشف عن أمور ثلاثة:

"الأول: موقع المصطلح داخل النسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم.

الثاني: حجم وروده من جهة، وقيمته الدلالية المتجلية في معانيه وعلاقاته وصفاته وضمائمه والقضايا المتفرعة عنه من جهة أخرى.

الثالث: موقعه داخل أسرته المفهومية المكونة من المصطلحات التي تصب معه في نفس المجال الدلالي.²

- ففيما يتعلق بالموقع داخل النسق الكلي للقرآن الكريم، فلا يمكن تحديده على الأقل في هذا الوقت، لأن دون ذلك دراسة جميع المصطلحات المكونة للنسق المفهومي القرآني.³

- أما فيما يتعلق بحجم الورود، فإن مصطلح الكفر - كما مر - ورد بكثرة في القرآن الكريم، وقد انعكس ذلك مباشرة على حجم الصفات والعلاقات والضمائم والاشتقاقات والقضايا المرتبطة بالمصطلح بشكل عام.

- وفيما يتعلق ببيان موقع المصطلح داخل أسرته المفهومية، فإن الكفر - كما سبق وكما سيأتي إن شاء الله - من المصطلحات القرآنية الضخمة المتشعبة ذات الفروع والجنوع، وله علاقة وطيدة مع باقي المصطلحات، بل مع القرآن كله، لأن القرآن ما أنزله الله إلا ليبين طريق الإيمان وشعبه ويحذر من الكفر وسبله وظلماته، بل جعل القرآن الناس فريقين لا ثالث لهما، قال الله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } سورة التغابن/2.

¹ - الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص: 33.

² - فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص: 146.

³ - تقول الدكتورة فريدة زمرد في هذا الصدد: " إن تحديد موقع المصطلح داخل النسق المفهومي القرآني أمر متعذر من جهة تشعب النسق المفهومي القرآني، لأن تحديد هذا الموقع لن يستطاع إلا بعد دراسة مجموع المفاهيم والمصطلحات المكونة لهذا النسق، وهذا أمر تحول دونه الآن الحوائل. فهذا عمل مجموعات بحث عميقة الإعداد، وكثيرة العدد، وقوية العدة. " مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص: 146.

إذا تبين هذا، فمصطلح الكفر ينطوي على مفهوم عقدي واسع يرتبط بمجموعة من المفاهيم الكلية التي تؤدي إليه أو يؤدي إليها، ومن ثم فهذا المفهوم يتقاطع مع مفاهيم كبرى متعددة منها: الظلم والطغيان والتكذيب والجحود والشك والشرك والنفاق والفسق والاستكبار والضلال والفتنة والطاغوت والصد عن سبيل الله والاستهزاء والفساد والإفساد والافتراء والإعراض والإجرام والشقاق والإلحاد والجدال بالباطل والفجور والجاهلية والعصيان والاعتداء والردة والمكر والخيانة والكيد...

2- الصفات المبيّنة:

وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح وغير ذلك¹، وهذا بطبيعة الحال ينطبق على غير مصطلحات القرآن والحديث، لما يشعر هذا الإطلاق " الضعف الاصطلاحي " من سوء أدب مع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أنا نعتبر أن مصطلحات القرآن الكريم والحديث النبوي كلها قوية الاصطلاحية، فالله تعالى يقول في مدح كتابه: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } سورة الزمر/23، والرسول صلى الله عليه وسلم قد كان أوتي جوامع الكلم².

3- الصفات الحاكمة:

وهي الصفات التي تفيد حكماً على المصطلح³، سواء جاءت واصفة للمصطلح، أو جاء المصطلح واصفاً لها كالنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب وغير ذلك. وبعبارة أخرى: هي الصفات التي تضيف حكماً على المصطلح تحسيناً أو تقبيحاً، وللاشارة " فإن صفات المصطلح أو المفهوم القرآني لا تنحصر في نوع المشتقات الإسمية التي تسمى نعوتاً في النحو، بل تتخذ أشكالاً وصيغاً أخرى تتسجم مع التصور القرآني العام، وذلك كالحكم بالحلية أو الحرمة أو الكراهية أو باستحقاق الفاعل الأجر والثواب... إلخ. وهي أحكام تدل بطريقة غير مباشرة على صفات حاكمة تحكم للمصطلح أو عليه⁴.

وتستفاد بالنسبة لمصطلح الكفر - غالباً - من الجمل الفعلية أو الإسمية الواصفة لأعمال الكافرين وأقوالهم، أو المبيّنة لسوء مصيرهم جزائهم عند الله.

¹ - الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج ضمن سلسلة دراسات مصطلحية، ص: 33

² - أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبيناً أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي " قال أبو عبد الله (البخاري): وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين أو نحو ذلك " صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، الحديث 6611، 379/21.

³ - الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج ضمن سلسلة دراسات مصطلحية، ص: 33.

⁴ - محمد البوزي، مفهوم التقوى، ص: 133.

المبحث الثاني: صفات مصطلح الكفر في صيغته الأصلية (المصدر) من خلال القرآن والحديث

لم يرد لمصطلح الكفر في صيغته المصدرية صفات صريحة ومباشرة، خاصة في القرآن الكريم، وإنما وردت في تراكيب تمثل غالباً ضمائم المصطلح كما سبق ذكره. أما في الحديث النبوي فقد جاء لفظ الكفر موصوفاً بنعت واحد اقترن به وهو البواح. وفيما يلي أهم الصفات الممكنة استفادتها من التراكيب المشار إليها مع بعض التجوز:

(1) الكفر البواح :

وردت هذه الصفة الواسفة لمصطلح الكفر في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان من طريق جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت - وهو مريض - قلنا: أصلحك الله، حدثنا بحديث ينفعك الله به، سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان.¹

أصل معنى البواح في كلام العرب الظهور والكشف والجهر بالشيء.

قال ابن فارس (ت 395هـ): "الباء والواو والحاء أصل واحد، وهو سعة الشيء وبروزه وظهوره"²، وباح ما كتمت، وباح به صاحبه، وباح بسرّه: أظهره.³

وقال ابن منظور (ت 711هـ): "وفي الحديث (إلا أن يكون معصيةً بواحاً) أي جهاراً، يقال: باح الشيء وأباحه إذا جهر به"⁴.

وقال الفيروزآبادي (ت 817هـ): "وأمره بمعصية بواحاً ظاهراً مكشوفاً"⁵.

فما معنى الكفر البواح الوارد في الحديث؟

¹ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أموراً تتكرونها)، وقال عبد الله بن زيد: قال النبي صلى الله عليه وسلم (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)، الحديث (7055-7056)، 47/9. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، الحديث 1709، 1470/3، وأخرجه كذلك الإمام أحمد، تنمته مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت، رقم 22679، 353/37.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (بَوَح)، 315/1.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بوح)، 416/2.

⁴ - نفسه.

⁵ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص 214.

مدار الحديث على الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ولا يخفى أن أهمية معرفة هذا الأمر تتجلى في أنه يوقفنا على مجموع طرق الحديث؛ وذلك بتتبع ألفاظه عند الرواة عن هذا الصحابي.

وإذا تتبعنا روايات الحديث الأخرى وألفاظه نجدها على الشكل التالي:

1- عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، ولا تتنازع الأمر أهله، وإن رأيت أن لك¹، وعن عبادة بن الصامت، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال: " ما لم يأمروك بإثم بواحا²."

2- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بالطاعة في عسرك، ويسرك، وأثرة عليك، وأن لا تتنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بالكفر صراحاً»، وقال غير يحيى: « أن يأمروك بمعصية الله » قال البزار (ت292هـ): ولا نعلم روى يحيى بن أبي كثير، عن جنادة غير هذا الحديث، وقد روي هذا الكلام، عن عبادة من وجوه كثيرة³.

3- عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليك بالسمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تتنازع الأمر أهله وإن رأيت أنه لك". قال عمير: فحدثني خضير أو خضير السلمي أنه سمع من عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد «إلا أن يأمرك بإثم بواحا عندك تأويله من الكتاب» قال جفير أو خفير: قلت لعبادة: فإن أنا أطعته قال: يؤخذ بقوائمك فتلقى في النار، وليجئ هو فلينفذك⁴.

4- عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبادة" قلت: لبيك، قال: "اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومكرهك، وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك إلا أن تكون معصية لله بواحا"⁵.

¹ - مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 22735، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، 37/403.

² - مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 22737، وصححه المحققون، 37/404.

³ - البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (الأجزاء من 1 إلى 9)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م) رقم الحديث 2698، 143/7-144.

⁴ - الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أبيوب، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1984م، رقم الحديث 225، 141/1.

⁵ - محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م، الحديث 4566، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، 10/428.

فالكفر البواح إذن من مجموع هذه الطرق إنما هو " الإثم البواح " كما في رواية أحمد والطبراني، أو "معصية الله " كما في مسند البزار، أو " المعصية البواح " كما في رواية ابن حبان.

وبالرجوع إلى شرح الحديث، نجدهم ذكروا ثلاثة أقوال في معنى الكفر البواح:

الأول : قال الخطابي(ت388هـ): " وقوله: "إلا أن تتروا كفراً بواحاً" معنى البواح: الصُّراح¹، من

قولك: باح بالشيء يبوح به بُوْحًا وبواحًا، إذا صرح به، يريد القول الذي لا يحتمل التأويل، فإذا كان كذلك حل قتالهم، ومادام يحتمل وجْهًا من التأويل لم يجز ذلك، وهو معنى قوله: (عندكم من الله فيه برهان)، يريد نص آية أو توقيف لا يحتمل التأويل، كقوله عز وجل: { قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ } سورة النساء/174، أي كتاب الله، والله أعلم.²

فمعنى الكفر البواح حسب الخطابي: أنه الصريح، وهو الأمر الكفري الذي ارتكب وتدل عليه الأدلة الشرعية دلالة ظاهرة، وليس أمراً محتملاً أو ملتبساً أو خفياً، وهذا الاحتمال هو الأقرب، وهو ما تدل عليه رواية البزار: « وأن لا تتنازع الأمر أهله إلا أن يأمركم بالكفر صراحاً ».

القول الثاني: أن المراد بالكفر البواح أي: الكفر الظاهر المعلن به، وهذا الذي عليه جمع من

الشرح، قال البغوي (ت516هـ): " وقوله: « بواحاً » أي: جهاراً، يقال: باح بالسر، وأباحه: إذا جهر به³ .

وقال ابن الأثير (ت606هـ): " (إلا أن يكون كفراً بواحاً) أي: جهاراً، من باح بالشيء يبوح به إذا أعلنه⁴ .

القول الثالث: المراد بالكفر البواح المعاصي الظاهرة، قال النووي(ت676هـ): " والمراد بالكفر هنا

المعاصي، ومعنى " عندكم من الله فيه برهان " أي: تعلمونه من دين الله تعالى، ومعنى الحديث: لا تتنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تتروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم⁵ .

ويؤيد هذا القول ألفاظ الروايات السابقة عند أحمد و البزار والطبراني وابن حبان، فضلاً عن مناسبة الحديث حيث رواه عبادة بن الصامت لإنكار منكر رآه بالشام؛ فقد أخرج الشاشي (ت335هـ) بسنده عن

¹ - وهذا الوصف بدل البواح ورد في رواية البزار في مسنده، كما سبق ذكره.

² - أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م، 4/2328-2329.

³ - البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ - 1983 م، 47/10.

⁴ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (بوح)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م، 421/1.

⁵ - شرح النووي على صحيح مسلم، 229/12.

عبادة بن الصامت، مرت عليه قِطَارَةٌ وهو بالشام تحمل الخمر فقال: ما هذه؟ أَرَيْتُ؟ قيل: لا، بل خمر تباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها ولم يذر منها رَاوِيَةً إِلَّا بَقَرَهَا، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان إلى أبي هريرة فقال: ألا تمسك عنا أخاك عبادة بن الصامت: إما بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وإما بالعشي فيقعد بالمسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وَعَيْبُنَا فأمسك عنا أخاك، فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال: يا عبادة، ما لك ولمعاوية؟ ذره وما حَمَلَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة: 134] قال: يا أبا هريرة، لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه ما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، ومن وفى الله له الجنة بما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، فلا يكلمه أبو هريرة بشيء، فكتب فلان إلى عثمان بالمدينة أن عبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله، فإما أن يكف عنا عبادة بن الصامت، وإما أن أخلي بينه وبين الشام، فكتب عثمان إلى فلان أدخله إلى داره من المدينة، فبعث به فلان حتى قدم المدينة فدخل على عثمان الدار وليس فيها إلا رجل من السابقين بعينه ومن التابعين الذين أدركوا القوم مُتَوَافِرِينَ فَلَمْ يُهِمَّ عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار، فالتفت إليه فقال: ما لنا ولك يا عبادة؟ فقام عبادة قائماً وانتصب لهم في الدار فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا القاسم يقول: «سيلي أموركم من بعدي رجال يُعَرِّفُونَكُمْ ما تتكرون، وَيُنْكَرُونَ عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تضلوا بربكم». فوالذي نفس عبادة بيده، إن فلانا لمن أولئك فما راجعه عثمان بحرف¹.

فالكفر البواح إذن حسب هذه الرواية ليس الكفر المخرج من الملة، وإنما هو المعصية البواح التي تظهر ويُعلن بها فيجب عند ذلك الإنكار، فعبادة رضي الله عنه احتج بهذه البيعة عند إنكار ما رآه من المنكر، ولم يذكر في قضية إنكاره للمنكر الكفر المخرج من الملة، فهو يتحدث عن إثم بيع الخمر فقط.

إذن من خلال الأقوال السابقة فخلاصة تعريف الكفر البواح نجملها فيما يلي:

أ- هو الكفر الصريح الذي لا يحتمل التأويل، وهو الذي يكون بنص آية أو حديث كما قال الخطابي، والمراد: أن يحصل به اليقين أنه كفر.

ب- هو الظاهر الواضح، فيخرج عن ذلك الكفر الخفي ككفر المنافقين، الذين لم يعلنوا نفاقهم، فحكم الكفر إنما يتناول من أظهر الكفر، كما أن حكم الإسلام إنما يتناول من أظهر الإسلام، والقاعدة في ذلك: الأحكام تجري على مقتضى الظاهر، والله يتول السرائر.

¹ - الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج (ت335هـ)، المسند، رقم الحديث 1258، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1410هـ، 172/3-174.

ت - هو الكفر المعلن، بمعنى: ذبوعه وانتشاره.

ث - تأويل الكفر الوارد في الحديث بالمعاصي كما نُقل عن النووي رحمه الله.

(2) أهل الكفر ملعونون:

ورد هذا الحكم بلعن الكافرين في ثمانية وعشرين (28) موضعا¹ من القرآن الكريم، وفي موضعين من الحديث النبوي.

من هذه المواضع قوله عز وجل: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } سورة البقرة/88.

هذه الآية وردت في سياق إخبار القرآن ببعض الدعاوى الباطلة التي كان يدعيها اليهود الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والرد عليها بما يدحضها.

وذكر ابن كثير (ت774هـ) في تفسير قوله تعالى (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) قولين:

" أحدهما: عن ابن عباس: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) أي: لا تفقه... وقال السدي: يقولون: عليها غلاف، وهو الغطاء. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، في قوله: (غُلْفٌ) قال: يقول: قلبي في غلاف، فلا يَخْلُصُ إليه ما تقول.

الثاني: وقال عطية العوفي: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) أي: أوعية للعلم...بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر، كما كانوا يَمُنُّون بعلم التوراة. ولهذا قال تعالى: (بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)، أي: ليس الأمر كما ادعوا، بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها، كما قال في سورة النساء: (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: 155]²

أي: أنهم مطرودون ملعونون، بسبب كفرهم، فقليلًا المؤمن منهم، أو قليلًا إيمانهم، وكفرهم هو الكثير.³ وأصل اللعن: الطرد والإبعاد، فاللعنة من العباد الطرد، ومن الله العذاب.⁴

أما فيما يتعلق بهذه الآية من حكم اللعن، فقد اتفق العلماء على جواز لعن الكفار عامة، واختلفوا في الكافر على التعيين، فقال القاضي أبو بكر بن العربي المعافري (ت543هـ): " قال لي كثير من أشياخي : إن الكافر المعين لا يجوز لعنه؛ لأن حاله عند الموافاة لا تعلم، وقد شرط الله تعالى في هذه

¹ - سورة البقرة/88-89-161، سورة آل عمران/87، سورة النساء/46-47-52، سورة المائدة/13-61-64-78، سورة الأعراف/44-45، سورة التوبة/68، سورة هود/18-19-60-99، سورة الرعد/25، سورة القصص/42، سورة الأحزاب/57-64-68، سورة غافر/50-51-52، سورة محمد/23، سورة الفتح/6.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1/324-325.

³ - تفسير السعدي، ص: 58.

⁴ - أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م 2/190.

الآية¹ في إطلاق اللعنة الموافقة على الكفر، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقوام بأعيانهم من الكفار.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: دخل على النبي صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشيء فأغضباه فلعنهما²؛ وإنما كان ذلك لعلمه بمآلهما³.

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله، كجواز قتاله وقتله.

وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إن عمرو بن العاص هجاني، قد علم أنني لست بشاعر فالعنه، اللهم واهجه عدد ما هجاني "⁴ فلعنه. وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله، وانتصف بقوله: " عدد ما هجاني "، ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف..

وفي صحيح مسلم: " لعن المؤمن كقتله "⁵، وكذلك إن كان ذمياً يجوز إصغاره، فكذلك لعنه "⁶.

وقال ابن كثير (ت774هـ): " لا خلاف في جواز لعن الكفار، وقد كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وعن بعده من الأئمة، يلعنون الكفرة في القنوت وغيره؛ فأما الكافر المعين، فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لا ندري بما يختم له، واستدل بعضهم بهذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) سورة البقرة/161، وقالت طائفة أخرى: بل يجوز

¹ - يقصد قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } سورة البقرة/161.

² - قال الإمام النووي (ت676هـ) في شرحه على مسلم مبيناً إشكالية اللعن الوارد في هذا الحديث: " فإن قيل كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك، فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان: أحدهما أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بأماره شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

والثاني: أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله تربت يمينك وعقرى حلقى، وفي هذا الحديث (لا كبرت سنك)، وفي حديث معاوية (لا أشبع الله بطنه) ونحو ذلك، لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف صلى الله عليه وسلم أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقرية وطهوراً وأجراً، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه، وقد سبق في هذا الحديث أنهم قالوا: ادع على دوس، فقال: اللهم اهد دوساً، وقال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، والله أعلم" شرح النووي على مسلم، 152/16-153.

³ - تبرير ابن العربي للعن غير موافق لما ورد في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة عند استفسارها عن لعن الرجلين كما في الحديث بتمامه: " عن عائشة، قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشيء، لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما، وسبهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً، ما أصابه هذان، قال: «وما ذاك» قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: " أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأبي المسلمين لعنته، أو سببته فاجعله له زكاة وأجر " صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجر ورحمة، رقم 2600، 4/2007.

⁴ - الحديث أخرجه أبو بكر محمد بن هارون الروياني (ت307هـ) في مسنده، رقم الحديث 382، تحقيق: أيمن علي أبو يمان، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416هـ، 1/257-258، ولم أقف - فيما اطلعت عليه من كتب التخریج - على درجته.

⁵ - الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، الحديث 110، 1/104.

⁶ - أبو بكر بن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م، 1/74-75.

لعن الكافر المعين، واختار ذلك الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي..، واستدل غيره بقوله، عليه الصلاة والسلام، في صحيح البخاري في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله "¹. قالوا: فعلة المنع من لعنه؛ بأنه يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن، والله أعلم.²

وبين القرطبي (ت671هـ) تعليل هذا الحكم فقال: " ليس لعن الكافر بطريق الزجر له عن الكفر، بل هو جزاء على الكفر وإظهار قبح كفره، كان الكافر ميتاً أو مجنوناً. وقال قوم من السلف: إنه لا فائدة في لعن من جن أو مات منهم، لا بطريق الجزاء ولا بطريق الزجر، فإنه لا يتأثر به. والمراد بالآية³ على هذا المعنى أن الناس يلعنونه يوم القيامة ليتأثر بذلك ويتضرر ويتألم قلبه، فيكون ذلك جزاء على كفره كما قال تعالى: { ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً } سورة العنكبوت/25، ويدل على هذا القول أن الآية دالة على الإخبار عن الله تعالى بلعنهم، لا على الأمر "⁴.

وبالنسبة للحديث النبوي: وردت هذه الصفة الحاكمة بلعن الكفار فيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: لأَقْرَبَنَّ صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أبو هريرة يقنت في الركعة الأخرى من صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده، فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار.⁵

وفي رواية أبي داود: « فيدعو للمؤمنين ويلعن الكافرين »⁶، وعند النسائي: « فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفرة »⁷.

قال ابن عبد البر القرطبي (ت463هـ) في تعليقه على الرواية الأولى: " وهذا معناه عندي أنه ليس سنة مسنونة فيواظب عليها في القنوت، ولكنه مباح فعله اقتداء بالسلف في ذلك لمن شاء "⁸. وروى الإمام مالك عن داود بن الحصين؛ أنه سمع الأعرج يقول: « ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان »¹، والناس هم الصحابة رضي الله عنهم.

¹ - سبق تخريجه.

² - تفسير القرآن العظيم، 473/1-474.

³ - يقصد قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } سورة البقرة/161.

⁴ - تفسير القرطبي، 188/2-189.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد، الحديث 764، 158/1.

⁶ - سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب القنوت في الصلوات، الحديث 1442، 1/540، وصححه الألباني.

⁷ - سنن النسائي، كتاب التطبيق، باب القنوت في صلاة الظهر، الحديث 1075، وصححه الألباني، 202/2.

⁸ - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، 76/2.

قال ابن عبد البر (ت463هـ) في شرح هذا الأثر: " ففيه إباحة لعن الكفرة كانت لهم ذمة أو لم تكن، وليس ذلك بواجب، ولكنه مباح لمن فعله غضبا لله في جردهم الحق وعداوتهم للدين وأهله.

وأما قوله في رمضان فمعناه: أنهم كانوا يقتنون في الوتر من صلاة رمضان، ويلعنون الكفرة في القنوت، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه في القنوت على رعل وذكوان وبني لحيان الذين قتلوا أصحاب بئر معونة².

وروى ابن وهب عن مالك في القنوت في رمضان: إنما يكون ذلك في النصف الآخر من الشهر، وهو لعن الكفرة: يلعن الكفرة ويؤمن من خلفه...

قال مالك: فإن دعا الإمام على عدو للمسلمين واستسقى لم أر بذاك بأسا... ومن فعل الصحابة وجلة التابعين بالمدينة في لعن الكفرة في القنوت، أخذ العلماء لعن الكفرة في الخطبة الثانية من الخطبة والدعاء عليهم³.

(3) الكفر ضلال عن صراط الله المستقيم:

تستفاد هذه الصفة الحاكمة من قوله عز وجل: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) سورة البقرة/108.

قال الراغب (ت502هـ) في تعريف الضلال⁴: " الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، قال تعالى: (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) سورة الإسراء/15، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج، عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا⁵.

وقال محمد متولي الشعراوي (ت1419هـ): " الضال هو الذي ضل الطريق فاتخذ منها غير منهج الله، ومشى في الضلالة بعيدا عن الهدى وعن دين الله. ويقال ضل الطريق أي: مشى فيه وهو لا يعرف السبيل إلى ما يريد أن يصل إليه، أي أنه تاه في الدنيا فأصبح وليا للشيطان وابتعد عن طريق الله المستقيم⁶.

¹ - موطأ مالك، كتاب الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان، الحديث 6، 115/1.

² - الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « أتاه رعل وذكوان وعصبة وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار، قال أنس: كنا نسبيهم القراء، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوه، ففقت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبني لحيان. قال قتادة: وحدثنا أنس أنهم قرؤوا بهم قرآنا " أَلَا بَلَّغُوا عَنَا قَوْمَنَا بِأَنَّ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فِرْضِي عَنَا وَأَرْضَانَا". ثم رفع ذلك بعد « صحيح البخاري، باب العون بالمدد، كتاب الجهاد والسير، الحديث 2899، 1115/3.

³ - ابن عبد البر، الاستنكار، 73/2-75.

⁴ - أنظر بتفصيل معنى الضلال لغة واصطلاحا في مبحث علاقات الإلتاف: ص: 117.

⁵ - المفردات في غريب القرآن، ص: 509.

⁶ - تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، نشر عام 1997م، 90/1.

وبالرجوع إلى في تفسير الآية، قال ابن عطية الأندلسي (ت541هـ): " وكني عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر بالتبدل.

و(ضل) أخطأ الطريق، و(السواء) من كل شيء الوسط والمعظم، ومنه قوله تعالى (فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ) سورة الصافات /55.

و(السبيل) عبارة عن الشريعة التي أنزلها الله لعباده، لما كانت كالسبب إلى نيل رحمته كانت كالسبيل إليها ¹.

وبين ابن كثير (ت774هـ) معنى هذه الآية فقال: " والمراد أن الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء، على وجه التعنت والافتراء، كما سألت بنو إسرائيل موسى، عليه السلام، تعنتاً وتكذيباً وعناداً، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أي: من يشتت الكفر بالإيمان (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي: فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال، وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم، إلى مخالفتهم وتكذيبهم والافتراء عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها، على وجه التعنت والكفر، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ يَصْطَلُونَهَا وَيُنْسِ الْفِرَارُ) سورة إبراهيم /28، 29 ².

والخطاب في الآية بحسب السياق يشمل الذين اختاروا الكفر بدلا عن الإيمان، وأيضا المسلمين تحذيرا لهم من الإعراض عن شريعة الله، قال البقاعي (ت885هـ): " وكثيراً ما كان يتنزل طوائف من الناس عند تبدل الآيات وتناسي الأحكام، وبحسب ما يقع في النفس من تناقل عنه أو تحامل على قبوله، يلحقه من هذا الضلال عن سواء هذا السبيل؛ وفيه إشعار بأن الخطاب للذين آمنوا ³.

وقد ورد هذا الحكم بضلال من اختار الكفر على الإيمان في قوله تعالى أيضا: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ زَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ } سورة آل عمران/90.

(4) الكفر أعظم إثماً ووزراً عند الله:

¹ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ، 195/1-196.

² - تفسير ابن كثير، 381/1-382. وقال أبو السعود (ت982هـ) في تفسير الآية: " (وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ) أي يختاره ويأخذه لنفسه (بالإيمان) بمقابلته بدلاً منه، وقرئ ومن يُبدل من أبدل وكان مقتضى الظاهر أن يقال : ومن يفعل ذلك أي السؤال المذكور أو إرادته، وحاصله: ومن يتزك النقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة التي هي خير محض وحق بحث واقتراح غيرها (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي عدل وجاز من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصِل إلى معالم الحق والهدى، وتاه في تبه الهوى وتردى في مهاوي الردى ". تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، 145/1.

³ - برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 102/2-103.

جاء هذا الحكم في قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ } سورة البقرة/217.

قال البغوي (ت516 هـ) في تفسيره : " قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) يعني رجباً، سمي بذلك لتحريم القتال فيه.

(قِتَالٌ فِيهِ) أي عن قتال فيه (قُلْ) يا محمد (قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) عظيم، تم الكلام هاهنا، ثم ابتداء فقال (وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي فصدكم المسلمين عن الإسلام (وَكُفْرٌ بِهِ) أي كفركم بالله (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي بالمسجد الحرام، وقيل وصدكم عن المسجد الحرام (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ) أي إخراج أهل المسجد (مِنْهُ أَكْبَرُ) وأعظم وزراً (عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ) أي الشرك الذي أنتم عليه { أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ }¹.

والتفضيل في قوله : (أَكْبَرُ) : تفضيل في الإثم، أي كل واحد من تلك المذكورات أعظم إثماً²، حيث " كان المشركون يفتنون المسلمين عن دينهم بالتعذيب والإخافة ليردوهم إلى الكفر، وهذا أكبر عند الله من القتل، وهم ما زالوا مقيمين على الكفر، وعلى محاولة فتنة المسلمين ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، وعلى محاولة منع الإسلام من الانتشار، والقضاء عليه إن أمكنهم ذلك، لاستحكام عداوتهم للمسلمين.³ " وقد جاء في الحديث النبوي ما يقرر فظاعة جريمة الكفر وأنه أكبر الكبائر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم، أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال " أن تجعل لله نداً وهو خلقك "، قلت: إن ذلك لعظيم⁴.

قال النووي (ت676هـ) في استنباطه لأحكام هذا الحديث: " ففيه أن أكبر المعاصي الشرك، وهذا ظاهر لا خفاء فيه⁵.

(5) الكفر والطبع على القلوب :

وردت الصفة الحاكمة بالطبع على القلوب في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، منها ثمان آيات صرح القرآن فيها بالطبع على قلوب الكافرين⁶، من هذه المواضع قوله تعالى في سياق تقرير كفر اليهود: { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } سورة النساء/155.

¹ - تفسير البغوي (معالم التنزيل)، 248/1.

² - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 329/2.

³ - أسعد حومد، أيسر التفاسير، الطبعة الرابعة 1419هـ - 2009م، 96/1.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا } سورة البقرة/22، رقم 7082، 6/ 2734.

⁵ - شرح النووي على صحيح مسلم، 81/2.

⁶ - سورة النساء/155، سورة الأعراف/101، سورة التوبة/87، سورة يونس/74، سورة النحل/108، سورة الروم/59، سورة غافر/35، سورة المنافقون/3.

وأصل الطبع في اللغة الختم على الشيء وإغلاقه فلا يدخل إليه شيء.

قال الخليل بن أحمد (ت170هـ): " والطَّبْعُ: الختم على الشيء... والطَّابِعُ: الخاتم. وطَبَعَ الله الخَلْقَ: خَلَقَهُمْ. وطَبَعَ على القلوب: خَتَمَ عليها."¹

وقال الزجاج (ت311هـ): " معنى ختم في اللغة وطبع معنى واحد، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألا يدخله شيء، كما قال عز وجل: { أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } سورة محمد/24.² وقال ابن فارس (ت395هـ): " الطاء والباء والعين أصل صحيح، وهو مَثَلٌ على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يُخْتَمَ عندها، يقال: طبعت على الشيء طابعاً...ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر، كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور، فلا يوفق لخير"³.

ومن هذا الأصل قالوا: طَبَعَ الإنسان وسجيته، قال الأزهري (ت370هـ): " وطبع الله الخلق على الطباع التي خلقها فأنشأهم عليها، وهي خلائقهم. ويجمع طبع الإنسان طباعاً، وهو ما طبع عليه من طباع الإنسان في مأكله ومشربه، وسهولة أخلاقه وحزونتها، وعسرهما ويسرها، وشدته ورخاوته، وبخله وسخائه."⁴

ويطلق الطبع في اللغة كذلك على الدنس، قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ): " الطَّبْع: الدنس والعَيْب، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع، يُقَالُ مِنْهُ: رجل طَبِيعٌ."⁵

وقال الزمخشري (ت538هـ): "وأصل الطَّبْع الدنس والصدأ الَّذِي يَغْشَى السَّيْفَ فيغْطِي وَجْهَهُ، من الطَّبْع وَهُوَ الخَتْم، يُقَالُ سيف طبع، ثم استعير للدنس فِي الْأَخْلَاقِ والشَّيْنِ فِي الْخُلُقِ."⁶

وبالنظر إلى الآية، فإن الله تعالى عدد فيها مجموعة من الجرائم التي ارتكبتها اليهود، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهي نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله، (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ)⁷، قال الطبري (ت310هـ): "يعني: يقولون: عليها غشاوة وأغطية عما تدعونا إليه، فلا نفقه ما تقول ولا نعقله.

¹ - معجم العين، مادة (طبع) 23/2.

² - أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعراجه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م، 82/1.

³ - معجم مقاييس اللغة، مادة (طَبَعَ) 438/3.

⁴ - تهذيب اللغة، مادة (طَبَعَ) 110/2.

⁵ - غريب الحديث لأبي عبيد، 219/2، و" طبع الرجل فهو طَبِيعٌ، إذا أتى عيباً" أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت328هـ)، شرح شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة: الخامسة، ص: 594.

⁶ - الزمخشري جار الله، الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية، 353/2.

⁷ - قال ابن قيم الجوزية (ت751هـ): "قسم الصحابة رضى الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان:

(بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)، يقول جل ثناؤه: كذبوا في قولهم: "قلوبنا غلف"، ما هي بغلف، ولا عليها أغطية، ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعاً بكفرهم بالله.¹

وبين الطبري في موضع آخر من تفسيره صفة "الطبع على القلب" فقال: "أخبر صلى الله عليه وسلم أَنَّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها²، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع. والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله: { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ } سورة البقرة/7، نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها. فذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضه خاتمته وحله رباطه عنها.³

وقال القرطبي(ت671هـ): "الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم... وهو معنى يخلقه الله في القلب يمنع من الإيمان به، دليله قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ { [الحجر: 12-13]. وقال: (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ) [الانعام: 25]، أي لئلا يفقهوه⁴.

وقال في بيان معنى الختم في قوله تعالى: { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ } سورة البقرة/7: "الختم يكون محسوسا... ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته. وعلى السمع: عدم فهمهم للقرآن إذا تلى عليهم أو دعوا إلى وحدانيته.

"القلوب أربعة: قلب أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمى، وقلب تمدد مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما".
ثم قال: وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكيا عن اليهود: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) [البقرة: 88]، وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه... وهذه الغشاوة هي الأكنة التي ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهي أكنة على القلوب ووقر في الأسماح، وعمى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى: (وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) [الإسراء: 45-46]، فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولّى أصحابها على أدبارهم نفورا. "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، 13-12/1.

¹ - تفسير الطبري، 363/9.

² - يعني الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين: 14]، وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة ويل للمطففين، الحديث 3334، وحسنه الألباني، 434/5.

³ - تفسير الطبري، 261/1.

⁴ - تفسير القرطبي، 187/1.

وعلى الأبصار: عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعات، هذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم.¹

وهذا الطبع والختم عقوبة وجزاء حتمي على إعراض الكافرين عن الحق الذي دعاهم الرسل إليه، وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك، يقول الشيخ عبد الرحمن حَبَنَكَة الميداني (ت1425هـ): " فالطبع على القلوب كناية عن بلوغها مستوى من القسوة وجفاف عواطف الخير، فهي لا تتأثر ببيان، ولا تستجيب لموعظة، فكأنها بيوت مقفلة مطبوع عليها، أو قطعة من المعدن قد علاها الصدأ فغشاها.

وسبب هذا الطبع الذي تصاب به قلوبهم كفرهم وتماديهم في الغي، واستغراقهم في معاصيهم وذنوبهم. وهذه النتيجة هي من السنن الكونية التي حذر الله أهل القرى منها، فقال تعالى في سورة الأعراف/100-101: { أُولَئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ }.

فأوضح الله تعالى في هذا النص أن من سنن كونه الطبع على قلوب الكافرين، فهو نتيجة تحصل بسبب ما يكسب الكافرون بكفرهم وجحودهم من ذنوب، وبسبب طول الأمل عليهم وهم مكذبون.² وقد ذكر القرآن الكريم أصناف الشخصية الكافرة التي استحق أصحابها الطبع على قلوبهم ضمن سنن الله الثابتة، وهي ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الشخصية العدوانية، وفي الإشارة إلى هذا الصنف يقول الله تعالى: { كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ } سورة يونس/74

الصنف الثاني: الشخصية الجاهلة، والتي لا تريد أن تعلم الحق، يقول الله تعالى عن هذا الصنف: { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } سورة الروم/59.

الصنف الثالث: الشخصية المستكبرة الجبارة التي لا تدع للحق رغم ظهوره، يقول الله تعالى: { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } سورة غافر/35.

(6) الكفر محبط للعمل:

تستفاد هذه الصفة من عدة آيات مثل قوله تعالى: { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } سورة التوبة /17.

¹ - نفسه، 186/1.

² - عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، 1412هـ - 1992م، ص:

قال أبو جعفر الطبري (310هـ): " يقول تعالى ذكره: ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، يقول: إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها، لا للكفر به، فمن كان بالله كافراً، فليس من شأنه أن يعمرَ مساجد الله." ¹

وقال الزجاج (ت311هـ): " (شَاهِدِينَ) حال، المعنى ما كانت لهم عمارة المسجد الحرام في حال إقرارهم بالكفر" ²، أي حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر.

وفائدة المجيء بهذه الجملة (شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ): الإشعار بأن كفرهم كفر صريح، وأنهم يعترفون به اعترافاً لا يملكون إنكاره، ولا يسعهم إلا إقراره. ³

وقال الرازي (ت606هـ): " وذكروا في تفسير هذه الشهادة وجوها:

الأول: وهو الأصح أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الأوثان وتكذيب القرآن وإنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك كفر، فمن يشهد على نفسه بكل هذه الأشياء فقد شهد على نفسه بما هو كفر في نفس الأمر، وليس المراد أنهم شهدوا على أنفسهم بأنهم كافرين.

الثاني: قال السدي: شهادتهم على أنفسهم بالكفر، هو أن النصراني إذا قيل له من أنت فيقول: نصراني، واليهودي يقول: يهودي، وعابد الوثن يقول: أنا عابد الوثن.

الثالث: أن الغلاة منهم كانوا يقولون: كفرنا بدين محمد وبالقرآن، فلعل المراد ذلك.

الرابع: أنهم كانوا يطوفون عراة يقولون: لا نطوف عليها بثياب عصينا الله فيها، وكلما طافوا شوطاً سجدوا للأصنام، فهذا هو شهادتهم على أنفسهم بالشرك.

الخامس: أنهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك " ⁴.

ثم بين سبحانه في ختام الآية سوء عاقبتهم فقال: { أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ }.

والحَبْطُ: مصدر حَبَطَ عمله يَحْبِطُ حَبْطاً وَحُبُوطاً ⁵، وهو في معاجم اللغة بمعنى الفساد والبطلان، قال الخليل (ت170هـ): " وحبط عمله: فسد، وأحبطه صاحبه، والله محبط عمل من أشرك " ⁶.

وقال ابن فارس (ت395هـ): " الحاء والباء والطاء أصل واحد يدل على بطلان أو ألم. يقال: أحبط الله عمل الكافر، أي أبطله " ⁷.

¹ - تفسير الطبري، 165/14.

² - أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 437/2.

³ - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998م، 227/6.

⁴ - تفسير الرازي، 9/16.

⁵ - إصلاح المنطق لابن السكيت، ص: 69.

⁶ - معجم العين للفراهيدي، مادة (حبط) 174/3.

⁷ - مقاييس اللغة، مادة (حبط) 129/2.

ومن الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة أن الأعمال لا تُقبل مع الكفر، ولا يبطلها كلّها غير الكفر، دل عليه قوله تعالى: { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ } سورة التوبة/54، قال ابن تيمية (ت728هـ): " ولا يحبط الأعمال غير الكفر؛ لأن من مات على الإيمان فإنه لا بد من أن يدخل الجنة، ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها، ولا ينافي الأعمال مطلقاً إلا الكفر، وهذا معروف من أصول أهل السنة ¹ .

وقال الإمام النووي (ت676هـ): " أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقرباً إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث ² بأن يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي بما فعله متقرباً به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعنق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها ³ .

وروت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: " لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ⁴ .

فهذا عبد الله بن جدعان الذي كان كثير الإطعام للضيوف، ويصل أرحامه، ويطعم المساكين لم ينفعه ذلك في الآخرة؛ لكونه مات وهو كافر جاحد بيوم البعث والنشور.

ومن صور الكفر التي تحبط العمل:

أولاً: الشرك ⁵ بالله عز وجل، والشرك نوعان: أكبر وأصغر ⁶؛ فأما الشرك الأكبر فهو يحبط العمل كله ويخرج صاحبه من الملة. وهو أعظم ذنب عصى ابن آدم ربه به؛ فهو أبغض ذنب عند الله عز وجل، ومن مات عليه فلن يغفر الله له، قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } سورة النساء/48.

¹ - ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، 59/1.

² - وهو ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها » صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعتيل حسنات الكافر في الدنيا، الحديث 2808، 4/2162.

³ - شرح النووي على صحيح مسلم، 150/17.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، الحديث 214، 196/1.

⁵ - ومن صور الشرك عدم إخلاص العمل لله تعالى، قال سبحانه: { وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } سورة الفرقان/23، الفرقان/23، قال ابن كثير: " فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معا، فتكون أبعد من القبول حينئذ " تفسير ابن كثير، 103/6.

⁶ - أنظر تعريفهما في مبحث علاقات التداخل.

ولقد بلغ الخطاب الإلهي في تقرير هذه الحقيقة الشرعية وهو يخاطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التخليط على أمته؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم على شرف منزلته لو أشرك لحبط عمله؛ فكيف بسائر الناس؟ لكنه صلى الله عليه وسلم لا يشرك بالله لأن الردة تستحيل منه شرعا؛ فهو المعصوم الذي عصمه الله تعالى، ومع ذلك قال له ربه تبارك وتعالى: **{ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }** سورة الزمر/65، وقال تعالى مخبرا عن الرسل جميعا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: **{ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }** سورة الأنعام/88 أما الشرك الأصغر، فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه (على القول الراجح). قال الشيخ حافظ الحكمي¹ (ت 1377هـ): " والشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكُ أَكْبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ

وَالثَّانِ شِرْكُ أَصْغَرُ وَهُوَ الرِّيَاءُ ... فَسَرَّهُ بِهِ خِتَامُ الْأَنْبِيَاءِ

" و النوع «الثان» من نوعي الشرك «شرك أصغر» لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب «وهو الرياء» اليسير في تحسين العمل «فسره به» أي: فسر الشرك الأصغر بالرياء «ختام الأنبياء» محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»² 3.

ثانيا: السخرية بالدين وأهله، قال تعالى: **{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }** سورة التوبة/65-66 ثالثا: كراهية شيء من الدين؛ فقد قال عز وجل: **{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }** سورة محمد/9، لذلك فليحذر من لا يعجبه شيء من شرع الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لا يوافق هواه فيكرهه فيحبط عمله.

رابعا: اتباع ما يسخط الله تعالى من المعاصي وكراهية العمل بما يرضيه عز وجل من الطاعات؛ لقوله تعالى: **{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }** سورة محمد/28.

¹ - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (1342 - 1377 هـ): فقيه أديب، من علماء (جازان) بين الحجاز واليمن. ولد في قرية (السلام) التابعة لمدينة المضاي، جنوبي جازان. ونشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم وهو يواصل رعي غنمه. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، وألف كتباً طبع أكثرها على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز، توفي بمكة. من كتبه المطبوعة، وكلها رسائل: (الجوهر الفريدة في العقيدة) و (اللولؤ المكنون في أحوال السند والمتون) و (النور الفائض في علم الفرائض) و (الأصول في نهج الرسول) و (منظومة) في الحث على طلب العلم و (سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، و (معارج القبول) شرح لها، و (أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة). الأعلام للزركلي، 159/2.

² - الحديث بتمامه أخرجه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: " الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 23630، 39/39، وحسنه محققو المسند.

³ - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990م، 489/2.

(7) الكفر والتبعية الفردية (عاقبة الكفر تعود على الكافر وحده):

جاءت هذه الصفة الحاكمة في قوله تعالى: { مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ }¹ سورة الروم/44-45. والآية وردت في سياق بيان عدل الله تعالى في أن ما يناله كل مكلف من الجزاء فهو نتيجة حتمية لعقيدته وعمله، قال الزمخشري (ت538هـ) في معرض تفسيره للآية: " (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار، لأن من كان ضاره كفره؛ فقد أحاطت به كل مضرة...وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه.²

فهذا التركيب من جوامع الكلم لدلالته على ما لا يحصى من المضار في الكفر على الكافر، وأنه لا يضر غيره، مع تمام الإيجاز، وهو وعيد لأنه في معنى: من كفر فجزأه عقاب الله، فاكتمني عن التصريح بذلك اكتفاء بدلالة (على) من قوله (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وبمقابلة حالهم بحال من عمل صالحاً بقوله: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ)³.

فعدل الله قائم في الدنيا والآخرة، ومن اختار الكفر على الإيمان فلن يضر إلا نفسه، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً، ولا يدفع أحد عن أحد شيئاً.

(8) كفر الكافر غير مرضي لله تعالى:

وردت هذه الصفة في قوله تعالى: { إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } سورة الزمر/7.

قال البغوي (ت516هـ): " قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى: { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } سورة الحجر/42، فيكون عامّاً في اللفظ خاصاً في المعنى، كقوله تعالى: (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) سورة الإنسان/6، يريد بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر.

¹ - قال الرازي (ت606هـ): " وفيه لطيفة، وهي أن الله عندما أسند الكفر والإيمان إلى العبد قدم الكافر فقال: { مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ } سورة الروم/44، وعندما أسند الجزاء إلى نفسه قدم المؤمن فقال: { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا } ثم قال تعالى: { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } لأن قوله { مَنْ كَفَرَ } في الحقيقة لمنع الكافر عن الكفر بالوعيد ونهي عن فعله بالتهديد وقوله: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا } لتحريض المؤمن، فالنهي كالإبعاد والتحريض للنقرير، والإبعاد مقدم عند الحكيم الرحيم، وأما عندما ذكر الجزاء بدأ بالإحسان إظهاراً للكرم والرحمة " تفسير الرازي، 106/25.

² - تفسير الزمخشري، 3/483.

³ - تفسير ابن عاشور، 21/116.

ومعنى الآية: لا يرضى لعباده أن يكفروا به، يروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل، وإن كان بإرادته.¹

وبين السعدي (ت1376هـ) الحكمة من عدم رضا الله عن من كفر من الناس فقال: " قوله تعالى: { إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ } لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيه لكم محض فضله وإحسانه عليكم.

(وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله.²

(9) الكفر متاع قليل:

وردت هذه الصفة في مواضع من القرآن، منها قوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } سورة الزمر/8.

قال الزجاج (ت311هـ): " قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) لفظ هذا لفظ أمر، ومعناه التهديد والوعيد، ومثله: (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) سورة النحل/55 ومثله: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) سورة الكهف/29، ومثله قوله لمن يتهدده: عُدْ لِمَا أَكْرَهُ وَحَسْبُكَ، فأنت لست تأمره في المعنى، وإنما تتوعده وتتهدده.³

فهذا الأسلوب كثير الاستعمال في القرآن، " وليس المراد منه الأمر بل الزجر، وأن يعرفه قلة تمتعه في الدنيا، ثم يكون مصيره إلى النار"⁴.

وأصل المتاع في كلام العرب: الانتفاع الذي يعقبه الزوال، قال الخليل: " والمتاع: ما يستمتع به الانسان في حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كل شيء.

والدنيا متاع الغرور، وكل شيء تمتعت به فهو متاع، تقول: إنما العيش متاع أيام ثم يزول.⁵ وقال الأزهري (ت370هـ): فأما المتاع في الأصل فكل شيء ينتفع به ويتبلغ به ويتزود؛ والفناء يأتي عليه في الدنيا "⁶.

¹ - تفسير البغوي، 109/7.

² - تفسير السعدي، ص719 - 720.

³ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 347-346/4.

⁴ - تفسير الرازي، 428/26.

⁵ - معجم العين، مادة (متع)، 83/2.

⁶ - تهذيب اللغة، مادة (متع)، 173/2.

قال ابن عاشور في تفسير الآية: " والتمتع: الانتفاع الموقت... والباء في { بِكُفْرِكَ } ظرفية أو للملابسة وليست لتعدية فعل التمتع. ومتعلق التمتع محذوف دل عليه سياق التهديد، والتقدير: تمتع بالسلامة من العذاب في زمن كفرك أو متكسباً بكفرك تمتعاً قليلاً فأنت آتِل إلى العذاب لأنك من أصحاب النار، ووصف التمتع بالقليل لأن مدة الحياة الدنيا قليل بالنسبة إلى العذاب في الآخرة"¹.

ومثل هذا المعنى جاء في قوله تعالى: { لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } سورة آل عمران/ 196 – 197.

قال ابن كثير (ت774 هـ): " يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مُتَرَفُونَ فيه، من النعمة والغبطة والسرور، فعَمَّا قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مُرْتَهِنِينَ بأعمالهم السيئة، فإنما نَمَدَّ لهم فيما هم فيه استدراجاً، وجميع ما هم فيه (مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)

وهذه الآية كقوله تعالى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) [غافر:4]، وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس:69، 70]، وقال تعالى: (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ) [لقمان:24] ، وقال تعالى: (فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا) [الطارق:17]، أي: قليلاً وقال تعالى: (أَقْمَنَ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) [القصص:61]².

وثمة أمر هنا لا بد من الإشارة إليه وهو: أن الله تعالى قد جعل - لعمارة الأرض، والتمتع من خيراتها، والانتفاع بما فيها، وبلوغ أسباب القوة - سنناً كونية، هي جارية على العباد كلهم؛ فمن أخذ بأسباب القوة بلغها، بإذن ربه، لكن الشأن فيمن يبلغ ذلك، كما شرع له ربه، ثم يستعمله فيما يوصله، ويوصل العباد إلى مرضاة الله تعالى، قال عز وجل: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } الاسراء/18-20.

ولهذا قال شداد بن أوس رضي الله عنه: " إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قاهر، ولكل بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا."³

¹ - تفسير ابن عاشور، 344/23.

² - تفسير ابن كثير، 192/2.

³ - ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة:

1421هـ/2000م، 1/ 277.

على أننا أيضا ننبه هنا إلى أن ذلك لا يعني أن يترك المؤمنون أسباب القوة، يتمتع بها الكفار، ويصدون الناس بها عن سبيل الله، بل إن المؤمن مأمور بعمارة الأرض على منهج ربه عز وجل، قال الله تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلُوبُهُمْ مُتَمِّسَةٌ بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ } [البقرة: 177]، وأمر الله تعالى عباده بالأخذ بأسباب القوة، كل القوة، في مواجهة عدوهم: { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ } [سورة الأنفال/60].

الفصل الرابع: علاقات مصطلح الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي

تقديم:

لا يمكن الإحاطة بالمصطلح علما، وفقه دلالاته داخل الخطاب القرآني إلا بمكابدة الضرب في شعاب البحث في العلاقات التي تربطه - نوعا من الربط - بغيره من المصطلحات الدائرة معه في نصوصه، وذلك بإعمال السياق في دراسة هذا الخطاب أولا، وما تستدعيه أصول الدراسة المصطلحية ثانيا، وتقتضيه أيضا قواعد التفسير¹.

فتحديد أي مفهوم يتوقف على تحديد علاقته أو علاقاته بالمفاهيم الأخرى الدائرة معه في المجال العلمي أو النسق المفهومي موضوع الدراسة، سواء العلاقة الواصلة له بغيره، أو الفاصلة إياه عن غيره². وإذ قد تبين من خلال التعريف، والصفات، أن مصطلح الكفر قوي الاصطلاحية، واسع الدلالة، فإن الكشف عن طبيعة الأسرة المفهومية التي ينتمي إليها، قد تزيد دلالاته ظهورا وبيانا، إذ الألفاظ بمجاوراتها ومعطوفاتها تظهر وتبين³.

ونظرا لكثرة المفاهيم المتعاقبة مع الكفر وتداخلها مع الصفات والضمائم أحيانا وورودها مع المشتقات أيضا، فقد تم حصر العلاقات والمفاهيم المراد دراستها في هذا الفصل في المفاهيم التي نراها أقرب إلى عائلة الكفر، وذلك في ثلاث مجموعات.

ويبين الجدولان الآتيان هذه الشبكة المفاهيمية المتعاقبة مع الكفر تآلفا أو تداخلا أو تضادا في القرآن والحديث، مع تحديد نسبة ورود كل مفهوم في النص المدروس (القرآن والكتب التسعة).

1- جدول علاقات مصطلح الكفر في القرآن الكريم:

المفاهيم المتآلفة	المفاهيم المتداخلة	المفاهيم المتضادة
التكذيب (39) مرة	الظلم (58) مرة	الإيمان (154) مرة
الضلال 21. الضلالة 2/ الإضلال 11	الشرك 30+ (الند 2. أنداد 1=3)+ تعدد الآلهة 1	الهداية 32+ الهدى 17+ الاهتداء 3
الصد عن سبيل الله 14+ الصد	النفاق 18	الإسلام 13

¹ - فريدة زمرد، مفهوم التأويل، ص: 157 بتصرف.

² - محمد البوزي، مفهوم التقوى، ص: 143.

³ - محمد الينبيعي، مفهوم الآية، ص: 117.

عن آيات الله 1+ الصد عن الهدى 1+ الصد عن المسجد الحرام 1 (17)	الفسق 11+الفسوق 1	
الاستكبار 16+ التكبر 3	أهل الكتاب 12/ أوتوا الكتاب 4	الإحسان 6
الفتنة 13	العصيان 9	الصلاح 27+ الإصلاح 3
الاستهزاء 11+ الهزؤ 7+ السخرية 2	الردة 7	توحيد العبادة 18+ توحيد الألوهية 6+ توحيد الربوبية 4+ توحيد الأسماء 2
الإعراض 10	المكر 7+ مكر السيء 1	الحق 34
الكذب 8+ الافتراء 7	اليهود 5	التقوى 28+ كلمة التقوى 1
الإجرام 8	الاعتداء 5+ العدوان 1	البيئات 11+ البيئة 3+ البيان
الطغيان 6 + الطاغوت 4	الإثم 2/ السيئات 1/ الخطيئة 1	التوبة 10
الجحود 6/الباطل 6/ الفساد 3 + الإفساد 3	الإسراف 2	الشهادة 9
الشیطان 4 + عبادة الشيطان 1+ الشیاطين 1	النَّصَارَى 1/ التثليث 1	الاتباع 8+ اتباع الحق 1
الشَّقَاقُ 5		الآية 6+ الآيات 3
الجدال/ في الله - في آيات الله(2)- بالباطل...4		التصديق 6/ الجهاد 6
الشك 4+ الارتياح 3+ المرية 3+ الريبة 2+ الامتراء 1		الصلاة 5+ السجود 3+ الركوع 1/ الزكاة 4/ الحج 1
العلو 3/ التولي 3/ ييغونها عوجا 3/ الفجور 3		الهجرة 5/ صراط مستقيم 5
الإلحاد 2/ البغي 2/ العناد 2/ اتباع الهوى 2/ السعي في آيات الله معاجزين 2/ النفور 2/ الغرور 2/ الترف 2/ الظلمات 2/ الجَاهِلِيَّة 1+ الجهل 1		آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ 2 آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ 3
تولي الكفار 1/ الكتمان 1/ الجبت 1/ الاستضعاف 1/ العزة 1/ اتباع الباطل 1/ المحادة 1/ الإباء 1/ العتو 1/ التجبر 1/ السحر 1/ الوثنية 1/ التزوير/ الزور 1		الطاعة 4/ الإخلاص 4/ الذكر 4/ الإنابة 4/ النصره 4/ النور 4

الصدق 3/التوكل 3/ الشكر 3/ الصبر 3/ الولاء 3/ الولاية 3/ أخذ الميثاق 3		
اليقين 2 + الاستيقان 1		
التذكر 2/ ذكرى 1		
الدعوة إلى الله 2/ الاستجابة 2/ الدعاء 2/ الحاكمية 2/ الخشية 2 / البر 2/ دين الحق 2		
طاعة الله 1 / طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم 1/		
سواء السبيل 1/ الخشوع 1/ الاعتصام بالله 1 / / الريانية 1/الإخبارات 1 / العلم 1/ أوتوا العلم 1/ الدين القيم 1/ العهد 1/ السبيل 1/ الاقتداء 1/ الاستخلاف 1 /الاذكار 1/ التفكير 1/ الصدقة 1/ الاستقامة 1 الاستغفار 1/ حِكْمَةٌ بِالْعَقَّةِ 1/ الرشد 1/ الخوف من الله 1/ نور الله 1/ الْحَوَارِيُّونَ 1		

2- جدول علاقات مصطلح الكفر في الحديث النبوي:

المفاهيم المتألفة	المفاهيم المتداخلة	المفاهيم المتضادة
المسيح الدجال 4	النفاق 6	الإيمان 43
الجاهلية 3 / الكذب 3	الشرك 5	الإسلام 32
الضلالة 2 + الضلال 1	الفسوق 2+الفسق 1	الزكاة 7
التكذيب 2/الخبث 2/	العصيان 2	توحيد العبادة 2+ توحيد الألوهية 5+ توحيد الربوبية 1
الصد عن سبيل الله 1/التجبر 1/ الطغيان 1/ الكيد 1/ العرافة 1/	الفجور 1	الاهتداء 2+ الهداية 1

		الكهانة 1/ الجدل 1/ المراء 1/ الريبة 1/ الشيطان 1/ العداوة 1
التقوى 3/ الهجرة 3/ الصلاة 3	أهل الكتاب 1	
الصلاح 2/ التصديق 2/ الإخلاص 2/ حب الله 2/ التوبة 2		
حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم 1/ الفقه 1/ الحكمة 1/ النفس الطيبة 1/ التسديد 1/ الشهادة 1 (الموت في المعركة) /الرحمة 1/ الصدق 1/ البر 1/ الثبات 1/ الجهاد 1/ الغزو في سبيل الله 1/ الدين 1		

أما من حيث دراسة هذه العلاقات في مواردها، فيمكن الاكتفاء بتحليل نماذج من النصوص فقط، التي هي بمثابة عينة تمثيلية للعلاقات المتعددة والمتشابهة الموارد، ونقدم ذلك في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول : المفاهيم المتألفة مع الكفر

المطلب الأول: الكفر والتكذيب في القرآن والحديث

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والتكذيب:

حسب ما توصلت إليه في الدراسة الإحصائية، فقد وجدت أن لفظ الكفر اقترن بلفظ التكذيب في سياقات القرآن الكريم في تسعة وثلاثين موضعاً (39)، وفي الأحاديث النبوية المحصية لم يتجاوز العدد موضعين فقط. وقد ورد مفهوم التكذيب لازماً عشر مرات، ومتعدداً تسعة وعشرين مرة إلى العبارات التالية:

- التكذيب بآيات الله (15)
- التكذيب بالرسول (7)
- التكذيب بالحق (2)
- التكذيب بقاء الله

- التّكذيب بقاء الآخرة
- التّكذيب بالساعة
- التّكذيب بالصدق
- التّكذيب بالكتاب

2- مفهوم " التّكذيب بآيات الله " لغة واصطلاحاً:

أ- التّكذيب:

الكَذِبُ نقيضُ الصّدقِ، كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً وَكُذِبَ وَكُذِبَتْ وَكُذِبَتْ.¹
والأكاذيب: أحاديث الباطل، الواحدة أكذوبة.²

والصّدقُ والكذب أصلهما في القول، ماضياً كان أو مستقبلاً، وعدا كان أو غيره، ولا يكونان بالقصد الأوّل إلّا في القول، ولا يكونان في القول إلّا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام.³
فالكذب: " إخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به مع العلم بأنه كذلك ".⁴
وكُذِبَتْهُ: نسبتَه إلى الكذب صادقاً كان أو كاذباً،⁵ والصدوق لا يكذب، وتكذّب: تكلف الكذب، وكُذِبَ به: جعله كاذباً بأن وصفه بالكذب.⁶

وكذب بالتشديد يقتصر على مفعول واحد، وبالتخفيف يتعدى إلى مفعولين، يقال: كذّبتني الحديث: إذا نقل الكذب، وقال خلاف الواقع، وكذا صدق نحو: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا) سورة الفتح (27).⁷
ب- الآية :

لفظ الآية في اللغة ورد بأربعة معان هي:

أ- العلامة⁸، والجمع آياتٍ وآيٍ وآياءٍ جمعُ الجمع نادرٌ⁹، قال النابغة¹⁰:

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (كذب) 704/1.

² - ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (ب - ذ - ك) 304/1-305.

³ - المفردات في غريب القرآن، مادة (صدق) ص: 478.

⁴ - أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 556.

⁵ - المفردات، مادة (كذب) ص: 704.

⁶ - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (كذب)، 127/2.

⁷ - الكليات، ص: 768.

⁸ - الفراهيدي، كتاب العين، مادة (آيا) 441/8، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (أبي)، 168/1.

⁹ - لسان العرب، مادة (آيا) 56/14.

¹⁰ - النّابغة الذّبياني (توفي نحو 18 ق هـ / نحو 604م):

زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضريّ، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضلّه على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية... شعره كثير، جمع بعضه في (ديوان - ط) صغير. وكان أحسن

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا، فَعَرَفْتُهَا * لِسِنَّةِ أَعْوَامٍ، وَذَا الْعَامِ سَابِعٌ¹

وقال الراغب الأصفهاني(ت502هـ): " والآية: هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات"².

ثم استعيرت " للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل"³، " لأنها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها"⁴. ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار »⁵. أي باعتبار الحب والبغض علامة على ذلك.

ب- الآية بمعنى الشخص، " وآيَةُ الرَّجُلِ: شَخْصُهُ، يُقَالُ: تَأَيَّيْتُ آيَتَهُ: أَيِ تَعَمَّدْتُ شَخْصَهُ"⁶.

ت- الآية بمعنى العبرة⁷، قال عز وجل: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) سورة

يونس/92

ث- الآية بمعنى الجماعة، قال الخليل(ت170هـ): " خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم..ومنه آية القرآن، لأنها جماعة حروف"⁸.

أما معنى الآية في استعمال القرآن الكريم، فهو حسب التعريف الذي توصل إليه الدكتور محمد الينبيعي من خلال دراسته لهذا المفهوم في القرآن والحديث: " الآية هي ما تستيقنه نفوس أهل النظر من البيانات المشهودة أو المسموعة التي جعلها الله دليلا على وحدانيته وصدق أنبيائه وحقيقة رسالته"⁹.

✓ معنى (التأكيد بآيات الله) في الآيات (مقام الورد):

شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمرا طويلا. ومما كتب في سيرته (النابعة الذبياني - ط) لجميل سلطان. الأعلام - الزركلي 54-55.

¹ - أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، نشره محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م، ص: 75.

² - المفردات، مادة (أي) ص: 101.

³ - البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، 74/1.

⁴ - تفسير أبي السعود، 93/1.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم الحديث 17، 14/1.

⁶ - صاحب بن عباد، المحيط في اللغة، (ما أوله الألف)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، 1414 هـ - 1994 م، الطبعة: الأولى، 10 / 472، الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (أيا) 2275/6.

⁷ - أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مادة (ع و ي)، المكتبة العلمية - بيروت. 32/1.

⁸ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (أبي)، 168/1، ابن منظور، لسان العرب، مادة (أيا) 56/14.

⁹ - مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، مرجع سابق ص: 94.

قال الإمام الطبري (ت310هـ): "آيات الله: حُجَّجَ وأدُلَّتْهُ على وحدانيَّتِهِ وربوبيَّتِهِ، وما جاءت به الرُّسُلُ من الأعلام والشواهد على ذلك، وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربِّها"¹.

وقال ابن عطية الأندلسي (ت542هـ): "آيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام: فقسم عام في كل شيء إذ حيثما وضعت نظرك وجدت آية، وهنا فكرة العلماء، وقسم معتاد غبًا كالرعد والكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجهلة فقط، وقسم خارق للعادة، وقد انقضى بانقضاء النبوة"².

فآيات الله تشمل "الآيات الكونية المثبتة لوجود الله تعالى، وآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام، وآيات الكتب التي أنزلت إليهم"³.

وفعل الكذب حين يرد مقترنا بـ "آيات" فإن معناه ينصرف إلى تكذيب الصادق دون الكاذب، قال الراغب (ت502هـ): "وما جاء في القرآن ففي تكذيب الصادق، نحو: (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) سورة آل عمران/11"⁴.

فالتكذيب بالآيات إذن هو جحودها وإنكارها وعدم التصديق بها بالرغم من أنها دالة على صدق الدعوة والداعية.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والتكذيب بآيات الله:

علاقة التعاطف:

- حيث ورد التكذيب بآيات الله معطوفا على الكفر بنفس هذه العبارة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) في سبع آيات موزعة على ست سور، خمس منها مدنية؛ هي قوله تعالى:
- (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) سورة البقرة/39
 - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) سورة المائدة/الآية 10 والآية 86
 - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) سورة الحج/57
 - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) سورة الحديد/19
 - (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) سورة التغابن/10
- وواحدة مكية هي قوله تعالى:
- (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) سورة الروم/16
- هذا العطف ورد في سياق واحد في جميع المواضع، وهو المقابلة بين تبشير المؤمنين الذين اتبعوا هدى الله، وما سينالونه من أجر عظيم وثواب جزيل، وإنذار الكافرين الذين كذبوا بآيات الله ورسله المتكبين

¹ - تفسير الطبري، 552/1.

² - تفسير ابن عطية، 467/3.

³ - محمد الينبيعي، مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، ص: 146.

⁴ - المفردات، مادة (كذب) ص: 704.

هداه، وما سيلاقونه من حساب شديد وعذاب مهين، كما تُبين ذلك الخاتمة التي ختمت بها الآيات. وسأكتفي بتحليل السياق الدلالي للموضع الأول نظراً للتشابه الحاصل في تلك الموارد.

يقول الله عز وجل: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} سورة البقرة/38-39 مصطلح "آيات" في هذا الموضع والمواضع الستة الأخرى "يتنازعها فعلا الكفر والتكذيب"¹، وبيان ذلك "أن الآيات ناطقة بصدقها، دالة على مدلولها، محيطية بالقلوب، مستحوذة على الأفهام، فإن المنسلخ منها يعتمد إلى سترها² أولاً، ثم التكذيب بها ثانياً"³.

وقد ورد في معنيهما في هذا السياق عدة أقوال، قال البيضاوي (ت685هـ): "كفروا بالله، وكذبوا بآياته"⁴، أو كفروا بالآيات جناناً، وكذبوا بها لساناً، فيكون الفعلان متوجهين إلى الجار والمجرور"⁵، وقال أبو السعود (ت982هـ): "والذين كفروا برؤسنا المرسله إليهم، وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم"⁶، وقال ابن عاشور (ت1393هـ): "والمراد بالذين كفروا: الذين أنكروا الخالق وأنكروا أنبياءه وجدحوا عهده كما هو اصطلاح القرآن.. والمراد بآياتنا هنا آيات القرآن، أي وكذبوا بالقرآن أي بأنه وحي من عند الله"⁷.

"وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة.. وإيراد نون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة، وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها"⁸.

قال الحرالي⁹ (ت638هـ): "هذا من أسوأ الكفر، لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله عز وجل علماً على غيب عهده، وهي ما تدركه جميع الحواس من السماء والأرض وما بينهما، كما قال تعالى: {

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 446/1.

² - وهو المعنى اللغوي لمادة (ك ف ر) كما سبق بيانه.

³ - مفهوم الآية في القرآن والحديث، ص: 162.

⁴ - وهي " التي أنزلها على الأنبياء عليهم السلام، أو أظهرها بأيديهم من المعجزات " تفسير أبي السعود 93/1.

⁵ - تفسير البيضاوي، 74/1.

⁶ - تفسير أبي السعود، 93/1.

⁷ - التحرير والتنوير، 446-445/1.

⁸ - تفسير أبي السعود، 93/1.

⁹ - الحرالي الأندلسي:

علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم النجيب، الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي، المتوفى: 637 هـ، وحرالته: قرية من أعمال مرسية. وُلِدَ بمراكش. وأخذ العربية عن أبي الحسن بن خروف، وأبي الحجاج ابن نمر. وحج، ولقي العلماء، وجال في البلاد، وتغرب. وشارك في فنون عديدة. ومال إلى النظريات وعلم الكلام. وأقام بحماة، وبها مات. وله " تفسير " فيه أشياء عجيبة الأسلوب. وتكلم ووعظ بحماة. وصنف في المنطق، وفي الأسماء الحسنى، وغير ذلك. وله عبارة حلوة إلى الغاية وفصاحة وبيان. وكان من أحلم الناس بحيث يُضربُ به المثل.

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ { سورة الشورى/29، لأن الحق تعالى أظهر الكون كتابة دالة على أمره، وجعل في العقل نوراً يُقرأ به كتابه، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار، فهو إما تابع هدى بنور العقل وتبنيه الإيمان، وإما صاحب نار، فقال: (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)، لأنه لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من تقبل الإيمان بتتزيل الأمر اختصت كلمة العذاب بالذين تأكد كفرهم بالآيات المرئية بتكذيبهم بالآيات المنزلة، فكفروا بما رأوا فكانوا عمياً، وكذبوا بما سمعوا فكانوا صُمّاً.¹

أما العطف في كل هذه الآيات فهو من نوع " عطف الخاص على العام للتأكيد "²، قال الشوكاني مقرراً هذه العلاقة: " التكذيب بالآيات كفر، فهو من باب عطف الخاص على العام "³.

كذلك ورد عطف التكذيب باليوم الآخر على الكفر في قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) سورة المؤمنون/33

فهؤلاء الزعماء والكبراء من قوم هود جمعوا بين الكفر بالحق لما جاءهم حيث " وُصفوا بذلك ذمّاً لهم وتنبهياً على غلوهم في الكفر"، والتكذيب " بلقاء ما في الآخرة من الحساب والثواب والعقاب، أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث "⁴.

والتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أنها وصفت هؤلاء الجاحدين بالغنى، وأنهم أصلاء في الكفر، وفي التكذيب باليوم الآخر، " ولا شيء يفسد الفطرة، ويطمس القلوب، ويعمي النفوس والمشاعر عن سماع كلمة الحق، كالترف والتمرغ في شهوات الحياة "⁵.

أما في الحديث النبوي فقد ورد الكفر مقترناً بالتكذيب في موضعين من مسند الإمام أحمد هما:

1- عن عبيد بن رفاعه الزرقى، عن أبيه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: " اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن

من كتبه "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل - خ" في التفسير، قال ابن حجر: جعله قوانين كقوانين أصول الفقه، و" المعقولات الأول " منطق، و" الوافي " فرائض، و" تفهيم معاني الحروف - خ " و" الإيمان التام بمحمد عليه السلام - خ " و" السر المكتوم في مخاطبة النجوم - خ ". أنظر : شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م، 14/ 245-246، الأعلام للزركلي 4/256-257.

¹ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1/300-301.

² - مفهوم التقوى في القرآن والحديث، ص: 149.

³ - الشوكاني، فتح القدير، 2/79.

⁴ - تفسير أبي السعود بتصريف، 6/133.

⁵ - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 10/32.

هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم خوف، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق¹.

نلاحظ من خلال هذا الحديث دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الكفرة بالهلاك، وقد استحقوا هذا الدعاء عليهم لكونهم مكذابين لرسول الله، صادين غيرهم عن سبيله، مستمرين على ذلك. فجمعوا بين الكفر والتكذيب والصد عن سبيل الله، وهذا أسوأ الكفر.

2- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: " ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء"².

نلاحظ كذلك في هذا الحديث عطف التكذيب على الكفر، فهو من باب عطف الخاص على العام.

المطلب الثاني: الكفر والضلال

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والضلال:

اقترن لفظ الكفر بلفظ الضلال في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعا³(21)، ولفظ الضلالة في موضعين⁴(2)، وفي الحديث النبوي مرة واحدة لكل من اللفظين⁵(2)، وهذه النسبة المرتفعة لاقتزان الكفر بالضلال توحى بكون أهل الكفر يعيشون في ضلال لا ينفكون عنه، ما داموا متكبين عن طريق

¹ - مسند الإمام أحمد، مسند المكيين، حديث عبد الله الزرقى، ويقال عبيد بن رفاعة الزرقى، رقم 15492، رجاله ثقات، 24/246-247، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب دعوات النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 699، دار الصديق، الطبعة الأولى: 1421هـ، 1/254.

² - مسند الإمام أحمد، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، رقم 24864، وصححه المحققون، 41/356.

³ - سورة البقرة/108، سورة آل عمران/90، سورة النساء/88-136-167، سورة المائدة/12، سورة التوبة/37، سورة الرعد/14، سورة إبراهيم/3-18، سورة مريم/38، سورة الفرقان/9، سورة القصص/50، سورة سبأ/8.

⁴ - سورة مريم/75، سورة الروم/53.

الحق، رافضين لهدى الله الذي جاءهم به أنبيأؤه، مصداقا لقوله عز وجل: { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } {سورة يونس/32}.

2- مفهوم الضلال لغة واصطلاحاً:

أصل الضلال في اللغة ضياع الشيء وعدم الاهتداء له، قال الخليل (ت170هـ): " ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاع..

وتقول: ضَلَلْتُ مكاني إذا لم تهتد له: وضَلَّ إذا جَارَ عن القَصْد...ورجلٌ مُضَلَّلٌ أي لا يوفق لخير، صاحبُ غَوَايَاتٍ وَبَطَالَاتٍ.¹

وقال ابن فارس (ت395هـ): " الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه. يقال: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضِلُّ، لغتان. وكل جائر عن القصد ضال. والضلال والضلالة بمعنى...ومما يدل على أن أصل الضلال ما ذكرناه قولهم أضل الميت، إذا دفن، وذلك كأنه شيء قد ضاع.²

ثم استعير في الاصطلاح لمن عدل عن سبيل طاعة الله، قال الراغب (ت502هـ): " الضَّلَالُ: العدولُ عن الطَّرِيقِ المستقيم، ويزادُه الهداية، قال تعالى: (فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) [سورة الإسراء/ 15]، ويقال الضَّلَالُ لكلِّ عدولٍ عن المنهج، عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فَإِنَّ الطَّرِيقَ المستقيم الذي هو المرتضى صعب جداً، قال النبي صَلَّى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تُحْصُوا»³... والضَّلَالُ من وجه آخر ضربان:

ضَلَالٌ في العلوم النَّظَرِيَّة، كالضَّلَالِ في معرفة الله ووجدانيته، ومعرفة النَّبُوَّة ونحوهما، المشار إليهما بقوله: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [سورة النساء/ 136].

وضَلَالٌ في العلوم العمليَّة، كمعرفة الأحكام الشرعيَّة التي هي العبادات، والضَّلَالُ البعيدُ إشارةً إلى ما هو كفر كقوله على ما تقدّم من قوله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ [النساء/ 136]⁴.

¹ - معجم العين، مادة (ضل)، 8/7-9.

² - مقاييس اللغة، مادة (ضل)، 356/3.

³ - الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أنَّ خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، الحديث 36، 34/1، وأحمد في المسند، الحديث 22378، 60/37، وغيرهما من طرق صحاح. أنظر الشيخ الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - 1405 - 1985، 2/135.

⁴ - المفردات، مادة (ضل) ص 509-510.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والضلال:

أ- علاقة تلازم واقتضاء:

ورد ما يدل على هذه العلاقة إما في أسلوب التأكيد بحرف " إن " حيث يؤكد الله على ضلال الذين كفروا، أو في أسلوب الشرط حيث يكون الضلال معلقا على الكفر، وفيما يلي نماذج من الآيات المتضمنة لهذه العلاقة:

- في سياق تحذير المؤمنين من الاستماع إلى وساوس اليهود، تثبيتاً لقلوبهم، وتقوية لإيمانهم، قال تعالى: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) سورة البقرة/108.

والمراد أن الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء، على وجه التعنت والاقتراح، كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام، تعنتاً وتكذيباً وعناداً، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أي: من يشتتر الكفر بالإيمان (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أي: فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال، وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم، إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها، على وجه التعنت والكفر¹.

- في سياق بيانه سبحانه سوء مصير من يكفر بشيء مما يجب الإيمان به، وذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) سورة النساء/136

الخطاب في الآية لعموم المؤمنين تشريفاً لهم وتكريماً بوصف الإيمان، وتكليفاً والزاماً بما يقتضيه منهم الإيمان من تصديق بكل أصول الدين وتحذير من الكفر بشيء من ذلك²، فمن تلبس بذلك " فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن السبيل القويم بعداً كبيراً، لأنه بكفره بذلك يكون قد خالف الفطرة، وانحرف عما يقتضيه العقل السليم، وأوغل في الشرور والآثام إيغالا شديداً، يؤدي به إلى خزي الدنيا وعذاب الآخرة³.

- في سياق تأكيده سبحانه ما عليه الكافرون من ضلال عن الحق وبعدهم منه بعداً عظيماً شاسعاً كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا) سورة النساء/167،

¹ - تفسير ابن كثير، 1/381-382.

² - قال أبو السعود (ت 982هـ): " وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أنه بالكفر بأحدهما لا يتحقق الإيمان أصلاً، وجمع الكتب والرسول لما أن الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكل، وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلاً عليه، وتقديم الملائكة والكتب على الرسول لأنهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسول في إنزال الكتب " تفسير أبي السعود، 2/243.

³ - التفسير الوسيط لطنطاوي، 3/346.

لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال، ولأن المُضِلَّ يكون أعرقَ في الضلال وأبعدَ من الإقلاع عنه¹. ومن اللمسات البيانية في وصف هؤلاء الكفار بالضلال البعيد ما ذكره الطاهر بن عاشور بقوله: " والضلال الكفر لأته ضياع عن الإيمان، الذي هو طريق الخير والسعادة، فإطلاق الضلال على الكفر استعارة مبنية على استعارة الطريق المستقيم للإيمان. ووصف الضلال بالبعيد مع أن البعد من صفات المسافات هو استعارة البعد لشدة الضلال وكماله في نوعه، بحيث لا يدرك مقداره²."

ب- علاقة الإسناد باستعمال أداة الاستدراك (لكن):

- تستفاد من قوله تعالى - في سياق إخباره عن اختلاف اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، في عيسى عليه السلام، فمن غال فيه وجاف بعدما بين تعالى حاله من كونه بشراً رسولاً، وليس إلهاً ولا ابن إله -: { فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } سورة مريم/37-38. فقوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) تهديد ووعد شديد لمن كذب على الله، وافترى، وزعم أن له ولداً. ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حُلماً وثقة بقدرته عليهم؛ فإنه الذي لا يعجل على من عصاه³.

قال ابن عاشور (ت1393هـ): "والاستدراك بقوله: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أفاد أنهم متلبسون بالضلال المبين، وهو من سوء الحال لهم لما يتبعه من اضطراب الرأي والتباس الحال على صاحبه⁴، و" أوقع الظاهر أي الظالمين موقع الضمير إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم⁵، فلا أظلم ممن نسب إلى الله الولد، وهو سبحانه الغني عن خلقه، وكلهم مفتقر إليه. فالكافرون ظالمون لأنفسهم بكفرهم بربهم، ضالون عن سبيله باتباعهم أهواءهم، " وليس لهم عذر في هذا الضلال، لأنهم بين معاند ضال على بصيرة، عارف بالحق، صادف عنه، وبين ضال عن طريق الحق، متمكن من معرفة الحق والصواب، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساع في معرفة الحق من الباطل⁶."

- ومثله ما جاء في قوله عز وجل: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) سورة ق/24-27.

¹ - تفسير أبي السعود، 2/257.

² - التحرير والتنوير، 6/46.

³ - تفسير ابن كثير، 5/232.

⁴ - التحرير والتنوير بتصرف، 16/108.

⁵ - تفسير الزمخشري (الكشاف)، 3/17.

⁶ - تفسير السعدي، ص: 493.

في الآية كلام محذوف للكافر الملقى في جهنم دل عليه جواب القرين، حيث يحاول هذا الكافر أن يعتذر لله عن كفره ومعاندته وطغيانه بكون قرينه الشيطان هو من أطغاه، وزين له الكفر والمعاصي، فيستدرك عليه قرينه قائلاً: (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ).

فالاستدراك لدفع توهم أن يكون ما به من الطغيان بتلقيين القرين، فهو ينفي ذلك عن نفسه، ولذلك أتبع الاستدراك بجملة (كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)... لإفادة أن الضلال ثابت له بالأصالة ملازم لتكوينه.¹ نخلص إذن أن في كلتي الآيتين نجد إسناد وصف الضلال للكفار الظالمين أو للكفار العنيد، وذلك باستعمال أداة الاستدراك (لكن).

ت- علاقة التداخل (الخاص والعام):

- وردت هذه العلاقة بأسلوب الحصر في الجملة الإسمية، وذلك في سياق التأكيد على عدم قبول توبة الذين كفروا بعد إيمانهم، ثم ازدادوا كفراً وعناداً، وهو قوله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) سورة آل عمران/90، فجملة (وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) صفة حكمية على من كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفراً وجحوداً للحق، فأفاد الإسناد في هذه الجملة وصفهم بالضلال، قال ابن عادل الحنبلي(ت775هـ): " فَإِنْ قِيلَ: قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) ظاهره ينفي عدم كون غيرهم ضالاً، وليس الأمر كذلك؛ بل كل كافر ضال، سواء كفر بعد الإيمان، أو كان كافراً في الأصل، فالجواب: هذا محمول على أنهم هم الضالون على سبيل الكمال.

فإِنْ قِيلَ: إنه وصفهم - أولاً - بالكفر والغلو فيه، ثم وصفهم - ثانياً - بالضلال، والكفر أقبح أنواع الضلالة، والوصف إنما يراد للمبالغة، والمبالغة إنما تحصل بوصف الشيء بما هو أقوى منه حالاً، لا بما هو أضعف حالاً منه، فالجواب: قد ذكرنا أن المراد منه: أنهم هم الضالون على سبيل الكمال، وحينئذ تحصل المبالغة.² وهكذا يتضح التداخل بين مفهومي الكفر والضلال أفادته العلاقة الإسنادية بين الموصوف والصفة.

- كذلك وردت هذه العلاقة في الحديث النبوي، حيث اقترن لفظ الكفر بالضلال في موضع واحد، وهو ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي عامر الأشعري، قال: كان رجل قُتِلَ منهم بأوطاس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يَا أَبَا عامر أَلَا غَيَّرْتَ ؟ " فتلا هذه الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ

¹ - التحرير والتنوير، 16/314.

² - ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، 5/381.

أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ { [المائدة: 105]، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "أين ذهبتم؟ إنما هي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ - من الكفار - إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" ¹.
فقوله صلى الله عليه وسلم "ألا غيرت"، أي هذا المنكر، وإنما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون أبي عامر فهم من الآية عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ²، فأفهمه أن المراد بها الكفار، وقد فسرهما بذلك سعيد ابن جبير ومجاهد ³.

وقد نقل الخازن (ت741هـ) في سبب نزول الآية ما يفيد أن الضلال خاص بالكفار، قال: "قال سعيد بن جبير ومجاهد: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب - اليهود والنصارى - يعني عليكم أنفسكم لا يضرركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم.
وقيل: لما قبلت الجزية من أهل الكتاب قال بعض الكفار: كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض؟ فنزلت هذه الآية.

وقيل: إن المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم ف قيل لهم: عليكم أنفسكم واجتهدوا في صلاحها، لا يضرركم ضلال الضالين، ولا جهل الجاهلين إذا كنتم مهتدين" ⁴.
فخص النبي صلى الله عليه وسلم الضلال في الآية بأهل الكفر فكل كافر فهو ضال، ولا عكس، وهذا يجلي علاقة التداخل بين المفهومين.

¹ - مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث أبي عامر الأشعري، الحديث 17165، 397/28، وقد علق عليه الشيخ الألباني بقوله "الحديث صحيح الإسناد، ورجاله كلهم ثقات، وهو يلتقي في الجملة مع الأحاديث الكثيرة التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي كثيرة معروفة". محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، جزء 6- 1416 هـ - 1996 م، 6/ 128.

² - قال ابن كثير في بيان أن ترك الأمر والنهي ليس مما تدل عليه الآية أصلاً: "ليس في الآية مستدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا كان فعل ذلك ممكناً، وقد روى الإمام أحمد رحمه الله بسنده إلى قيس قال: قام أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عز وجل أن يعُمَّهُمُ بِعِقَابِهِ" مسند أحمد، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم 16، 197/1 "تفسير ابن كثير 212/3.

³ - الساعاتي (ت 1378 هـ)، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، 18/ 134.

⁴ - علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 85/2.

المطلب الثالث: الكفر والصد عن سبيل الله

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والصد:

اقترن لفظ الكفر بلفظ الصد في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً (17)¹ في سبع سور مكية ومثلها مدنية، منها أربعة عشر موضعاً جاء فيها الصد متعدياً بحرف الجر "عن" إلى سبيل الله، ومرة واحدة متعدياً إلى كل من آيات الله، و الهدى، والمسجد الحرام.

وقد جاء هذا اللفظ بعدة صيغ واشتقاقات، منها: الماضي (8) والمضارع (7) - مسندان في جميع الموارد إلى واو الجماعة - والمصدر (2)، وهذا يشير إلى أن الصد بالأساس فعل ممارس أكثر منه صفة، وهو عمل جماعي متجدد عند الكفار ومستمر معهم، يطبع سلوكهم مع الأنبياء، وأهل الدعوة والإصلاح على امتداد الزمن.

وفي الحديث النبوي اقترن اللفظان مرة واحدة وبنفس التعدية الغالبة في القرآن وهي الصد عن سبيل الله.

ومن خلال عدّ الآيات المكية والمدنية نلاحظ ازدياد عدد الآيات المدنية قليلاً، مع تساوي عدد السور المكية والسور المدنية، وهذا يوحي بأن الصد عن سبيل الله ابتدأ في العهد المكي وظل مستمراً ويزيادة في العهد المدني، وذلك أن كفار مكة لم يتوانوا في صد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه من المسلمين، ومارسوا عليهم جميع أنواع الإيذاء والتعذيب وبكافة الوسائل والطرق، فثبت المسلمون أمام هذا الابتلاء والتمحيص، واحتملوا الأذى في سبيل الله حتى جعل الله لهم فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة، حيث قويت شوكتهم وأصبحت لهم دولة وقوة مما جعل الحق يزداد على المسلمين، فوجد أكثر من عدو متربص، منهم: المنافقون واليهود وهؤلاء كانوا داخل المدينة، وهناك عدو خارجي، منهم: كفار قريش والقبائل العربية التي ما زالت على الكفر، بالإضافة إلى دولتي الفرس والروم اللتان تأييان أن تسلماً قيادة العالم يومها للمسلمين، فكانت المواجهة داخل المدينة وخارجها: إنها سنة الله في التدافع بين الحق والباطل قديماً وحديثاً ومستقبلاً، وستكون الغلبة والنصر بإذن الله للحق وأهله، والخزي والعار للباطل وأهله.

2- مفهوم الصد لغة واصطلاحاً:

1-2 معنى الصد لغة :

لفظ (صد) في اللغة يأتي على وجهين: أحدهما: الإعراض، والثاني: المنع.

¹ - سورة البقرة/217، آل عمران/99 النساء/160 - 167 الأعراف/45، الأنفال/37 سورة هود/19، سورة إبراهيم/3 النحل/88، سورة الحج/25.

قال ابن دريد (ت321هـ): " صَدَّ يَصُدُّ صَدًا وَصُدُودًا، إِذَا صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ، أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُ. وَأَصْدَدْتَهُ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ إِذَا صَرَفْتَهُ عَنْهُ.

وَقَدْ قُرِئَ: (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) وَيَصُدُّونَ، سورة الزخرف/57. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَصُدُّونَ: يَعْرِضُونَ وَيَصِدُّونَ: يَصِجُّونَ، وَاللَّهُ أَعْلَم.¹

وقال ابن فارس (ت395هـ): " الصاد والదال معظم بابه يؤول إلى إعراض وعدول... فالصد: الإعراض. يقال صَدَّ يَصُدُّ، وهو ميل إلى أحد الجانبين. ثم تقول: صَدَدْتُ فَلَانًا عَنِ الْأَمْرِ، إِذَا عَدَلْتَهُ عَنْهُ "².

وقال ابن منظور (ت711هـ): " ويقال صَدَّه عَنِ الْأَمْرِ يَصُدُّهُ صَدًّا مَنَعَهُ وَصَرَفَهُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) سورة النمل/43، يقال عن الإيمان، العادة التي كانت عليها لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس، فَصَدَّتْهَا الْعَادَةُ وَهِيَ عَادَتُهَا بِقَوْلِهِ (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) المعنى: صَدَّهَا كَوْنُهَا مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ عَنِ الْإِيمَانِ "³.

ونلاحظ أن المعاني اللغوية السابقة يجمعها الإعراض والعدول عن الحق.

2-2 في الاصطلاح⁴:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن معناه اللغوي، قال الراغب: " الصُّدُودُ وَالصَّدُّ قَدْ يَكُونُ انْصِرَافًا عَنِ الشَّيْءِ وَامْتِنَاعًا، نَحْوُ: (يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) [النساء/ 61]، وَقَدْ يَكُونُ صَرَفًا وَمَنَاعًا نَحْوُ: (وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) [النمل/ 24] "⁵.

وقال الكفوي (ت1094هـ): " والصد: هو العدول عن الشيء عن قلى، يستعمل لازماً بمعنى الانصراف والامتناع.. ومتعدياً بمعنى الصرف والمنع... ونظير صد: صدف، حيث يستعمل لازماً بمعنى أعرض، ومتعدياً بمعنى صدف غيره، (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا) سورة الأنعام/157، والآية محتملة لها كآية (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ) "⁶.

¹ - جمهرة اللغة، مادة (صدد)، 111/1.

² - مقاييس اللغة، مادة (صد) 282/3.

³ - لسان العرب، مادة (صدد)، 245/3.

⁴ - قال الدامغاني (ت478هـ): " (ص د د) على أربعة أوجه: الإعراض، المنع، الضحك، تَصَدَّى أَقْبَلَ، فوجه منها: يصدون أي يعرضون، قوله تعالى: (رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) سورة النساء/61 الثاني: الصد المنع، قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) سورة الحج/25، أي يمنعون الناس عن الإيمان و مثله كثير. الثالث: يصدون أي يضحكون قوله تعالى: (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) سورة الزخرف/57. الرابع: تصدى أقبل بوجهه عليه، قوله تعالى: (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) سورة عبس/6، تقبل بوجهك عليه " الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1980م، ص: 275-276.

⁵ - المفردات، مادة (صدد)، ص: 477.

⁶ - الكليات، ص: 28-29.

وقال المناوي(ت1031هـ): " الصد: المنع بالإغراء الصارف عن الأمر، ذكره بعضهم..وقال الحارلي(ت638هـ): الصد: الصرف إلى ناحية بإعراض وتكره.¹ فالصد عن سبيل الله: الإعراض والعدول والصرف والمنع عن طريق معرفة الله الصحيحة، ودينه القيم الذي رضي له عباده.

3- معنى سبيل الله:

من الألفاظ المركزية في القرآن الكريم لفظ السبيل، ومداره في اللغة على أمرين: " إرسال شيء من علو إلى سفلى، وعلى امتداد شيء. فالأول من قيلك: أسبلت الستر، وأسبلت السحابة ماءها وبمائها. (والثاني) والممتد طولاً: السبيل، وهو الطريق، سمي بذلك لامتداده"²، وجمعه سبل، قال تعالى: (وَأَنهَارًا وَسُبُلًا) سورة النحل/15، (وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا) سورة الزخرف/10³. وقال ابن منظور(ت711هـ): " السَّبِيلُ الطريقُ وما وَضَحَ منه، يُذَكَّرُ ويؤنث"⁴.

وفي الاصطلاح قال الراغب(ت502هـ): " السَّبِيلُ: يعني به طريق الحق، (لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) [الزخرف/ 37]، لأنَّ اسم الجنس إذا أُطلق يختصَّ بما هو الحقّ، وعلى ذلك: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ) [عبس/ 20]... ويستعمل السَّبِيلُ لكلِّ ما يتوصَّلُ به إلى شيء خيرا كان أو شراً، قال: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) [النحل/ 125] ، (وَلِتَسُبِّحَنَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام/ 55]، ويعبر به عن المحجّة، قال: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) [يوسف/ 108] " ⁵.

ولفظ السبيل ورد في القرآن الكريم مائة وستة وخمسين مرة (156) كلها بصيغة الاسم، منها خمسة وستون موضعاً (65) مضافاً إلى لفظ الجلالة (سبيل الله)، وإلى ضميره (سبيله) في أحد عشر موضعاً. أما مفهوم سبيل الله في هذه الموارد فهو طريق الله الذي رضي له عباده، ونسبه سبحانه إلى نفسه رفعا لشأنه، فهو الدين الذي شرعه، وطاعته وتوحيده...وعلى هذه المعاني دارت تعاريف العلماء.

فسبيل الله: « دين الله الذي ارتضى لعباده، وأمرهم بذلك، وإلى ذلك دعاهم رسله »⁶، و« طاعة الله »⁷، «⁷ و « شرعه وطريقه الذي دعا إليه »¹، « وسبيل الله الطريق المؤدي إلى عبادته، والمعرفة به »².
«²»

¹ - التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 213.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سبل)، 3/129-130.

³ - المفردات، مادة (سبل)، ص: 395.

⁴ - لسان العرب، مادة (سبل)، 11/319.

⁵ - المفردات، مادة (سبل)، ص: 395.

⁶ - نقله أبو منصور الماتريدي (ت333هـ) عن الحسن البصري في تفسيره (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م، 4/430.

⁷ - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م، 2/205. والواحي (ت 468هـ)

4- بيان نوع التعالق بين الكفر والصد عن سبيل الله:

أ- علاقة التعاطف:

✓ عطف الصد عن سبيل الله على الكفر:

ورد هذا العطف في ستة مواضع من القرآن الكريم، خمسة منها بنفس هذه الصيغة للماضي (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) في خمس آيات³، ومرة واحدة بصيغة المضارع: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)⁴. وجاء ذلك في سياقات متنوعة منها:

- في سياق بيان الله تعالى مصير الذين لم يكتفوا بالكفر، بل ضموا إليه صد الناس عن طريق الإسلام وذلك في قوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) سورة النحل/88، أي هؤلاء الكفار سينالون عذابهم ضعفين، أي: عذابا على كفرهم في أنفسهم، وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق، وهذا مثل قوله تعالى في المضلين الذين أضلوا غيرهم: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) [النحل : 25] الآية ، وقوله: (وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) [العنكبوت : 13].

قال ابن كثير(ت774هـ) في تفسير الآية: " وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم، كما قال الله تعالى: (قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف : 38]."⁵

- في سياق افتتاح سورة القتال بهذا الذم الشديد للكافرين، قال تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا⁶ وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) سورة محمد/1

قال سيد قطب رحمه الله: " فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إحياء بأن الله عدو للأولين ولي للآخرين، وأن هذه

الواحد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ ، ص: 446. والبعوي في تفسيره(معالم التنزيل)، 231/3.

¹- تفسير ابن عطية، 109/5.

²- تفسير ابن فورك(ت406هـ) (من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة)، دراسة وتحقيق: علل عبد القادر بندويش (ماجستير)، نشر جامعة أم القرى - الطبعة الأولى: 1430 - 2009م، ص: 411.

³- وهي: سورة النساء/167، سورة النحل/88، سورة محمد/1 و32 و34.

⁴- وهي الآية 25 من سورة الحج.

⁵- تفسير ابن كثير، 594/4.

⁶- اختلف أهل التأويل في " مَنْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ { الَّذِينَ كَفَرُوا } ؟ على وجوه، الأول: هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر، منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم، الثاني: كفار قريش، الثالث: أهل الكتاب، الرابع: هو عام يدخل فيه كل كافر . " تفسير الرازي، 32/28، وهذا القول هو الراجح كما قال ابن عطية: " ثم هي بعد تعم كل من دخل تحت ألفاظها " تفسير ابن عطية، 109 /5.

حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة " ¹.

فالذين كفروا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدّوا غيرهم عن الدخول في الإسلام (أَصْلَ أَعْمَالُهُمْ)، " عن ابن عباس قال: كانت لهم أعمال فاضلة، لا يقبل الله مع الكفر عملاً " ². وقد ذكر ابن عاشور (ت1393هـ) في تفسيره كلاماً جامعاً في معنى إضلال أعمال الكفار فقال: " وهذا اللفظ رشيق الموقع هنا، لأن الله أبطل أعمالهم التي تبدو حسنة، فلم يثبهم عليها من صلة رحم، وإطعام جائع، ونحوهما، ولأن من إضلال أعمالهم أن كان غالب أعمالهم عبثاً وسيئاً، ولأن من إضلال أعمالهم أن الله خيَّبَ سعيهم فلم يحصلوا منه على طائل فانهزموا يوم بدر، وذهب إطعامهم الجيش باطلاً، وأفسد تدبيرهم وكيدهم للرسول صلى الله عليه وسلم فلم يشفوا غليلهم يوم أحد، ثم توالى انهزاماتهم في المواقع كلها " ³.

- في سياق بيانه تعالى سوء مصير الذين صدوا غيرهم عن الإسلام واستمروا على كفرهم حتى ماتوا عليه، قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) ⁴ (سورة محمد/34، هذا الحكم كما قال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ): " عام في الموجب لانتفاء الغفران، وهو وفاتهم على الكفر. وقيل: هم أهل القلب ⁵، وقيل: نزلت بسبب عدي بن حاتم رضي الله عنه، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال: وكانت له أفعال بر، فما حاله؟ فقال: « في النار »، فبكى عدي وولى، فدعاه فقال له: « أبي وأبوك وأبو إبراهيم خليل الرحمن في النار » فنزلت. ⁶

✓ عطف الكفر على الصد عن سبيل الله:

¹ - تفسير الظلال، 6/ 3278.

² - ذكره السيوطي (ت 911هـ) في الدر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر - بيروت، 7/ 457.

³ - التحرير والتنوير، 74/26.

⁴ - قال ابن عطية: " وظاهر الآية العموم في كل ما تناولته الصفة. " تفسير ابن عطية، 5/ 122.

⁵ - قصة أهل القلب أخرجها البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنتظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاها، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك. فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام وهي جويرية، فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم سمى: اللهم عليك بعمر بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعتبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد، قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحوا إلى القلب قلب بدر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأتبع أصحاب القلب لعنة " صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى الحديث 498، 1/ 194.

⁶ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 9/ 476.

جاء هذا العطف في ثلاثة مواضع¹ في سياقات مختلفة، أذكر منها:

- في سياق بيان حكم القتال في الأشهر الحرم، وذلك في قوله سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ) سورة البقرة/217، ف" قوله تعالى: (وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ابتداء (وَكُفْرٌ بِهِ) عطف على (صَدٌّ)"²، قال ابن عطية(ت542هـ) في تفسيره: " ومعنى الآية على قول الجمهور: إنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام، وما تفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام، ومن كفركم بالله، وإخراجكم أهل المسجد عنه، كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر جرماً عند الله "³.

- قوله عز وجل: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) سورة الأعراف /44-45

الآية وردت في سياق ذكر القرآن الكريم مشهداً من حوار التقرير والتوبيخ الذي يوجهه يوم القيامة أصحاب الجنة إلى أصحاب النار الذين وصفهم الله بقوله: (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) " أي: يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويبغون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، حتى لا يتبعها أحد، { وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ } ... أي: جاحدون مكذوبون بذلك، لا يصدقونه ولا يؤمنون به. فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لا يخافون حساباً عليه، ولا عقاباً، فهم شر الناس أعمالاً وأقوالاً "⁴ فجاء - في نظم الآية - كفرهم بالآخرة معطوفاً معطوفاً على صدهم عن سبيل الله.

ب- تعليل الصد عن سبيل الله بالردة عن الإيمان:

جاء ذلك في قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) سورة المنافقون/2-3

الآية تتحدث عن جانب من الوسائل التي كان يستعملها المنافقون لكي يصدقهم من يسمعهم، حيث " أنهم إذا ظهر كذبهم، أو إذا جوبهوا بما يدل على كفرهم ونفاقهم، أقسموا بالإيمان المغلظة بأنهم ما قالوا أو فعلوا ما يسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى المؤمنين... فتمكنوا عن طريق هذه الأيمان

¹ - الموضع الثالث متشابه مع الموضع الثاني، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) سورة هود/18-19.

² - تفسير القرطبي، 45/3 .

³ - تفسير ابن عطية، 290/1.

⁴ - تفسير ابن كثير، 417/3.

الكاذبة من صد بعض الناس عن الصراط المستقيم، ومن تشكيكهم في صحة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم¹.

قال سيد قطب: " ويعلل حالهم هذه من شهادة مدخولة كاذبة، وأيمان مكذوبة خادعة، وصد عن سبيل الله وسوء عمل.. يعلله بأنهم كفروا بعد الإيمان، واختاروا الكفر بعد أن عرفوا الإسلام: « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ » فهم عرفوا الإيمان إذن، ولكنهم اختاروا العودة إلى الكفر"².

ت- تعليل إنفاق الكفار أموالهم للصد عن سبيل الله:

قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ) سورة الأنفال/36.

الآية فيها تأكيد لما يفعله الكفار من إنفاق أموالهم لمحاربة الإسلام وأهله، وصد الناس عن الدخول فيه، وتتوعدهم على ذلك بسوء المصير، قال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ): " المعنى أَنَّ الكفار يقصدون بنفقتهم الصدَّ عن سبيل الله وغلبة المؤمنين، فلا يقع إلا عكس ما قصدوا، وهو تتدمهم وتحسّرهم على ذهاب أموالهم، ثم غلبتهم والتمكن منهم أسراً وقتلاً وغنماً، والعطف بثم يقوّي أَنَّ الحسرة في الدنيا، وقيل الحسرة في الآخرة، وفي قوله: { فَسَيُنفِقُونَهَا } إلى آخره من الإخبار بالغيوب، لأنه أخبر بما يكون قبل كونه ثم كان كما أخبر، والإخبار بسين الاستقبال يدل على إنفاق متأخر عن وقعة أحد وبدر، وأنَّ ذلك إخبار عن علو الإسلام وغلبة أهله، وكذا وقع، ففتحو البلاد، ودوّخوا³ العباد، وملاً الإسلام معظم أقطار الأرض، واتسعت هذه الملة اتساعاً لم يكن لشيء من الملل السابقة "⁴.

قال سيد قطب: " وليس هذا الذي حدث قبل بدر وبعدها إلا نموذجاً من الأسلوب التقليدي لأعداء هذا الدين . . إنهم ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقوبات في وجه هذا الدين. وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل حين.. إن المعركة لن تكف، وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن. وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان؛ ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجرؤ عليها الطاغوت."⁵

¹ - التفسير الوسيط لطنطاوي، 401/14.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ، 6/ 3574.

³ - هذه العبارة من المجاز، وهي كناية عن إخضاع الغير لحكمك، قال الخليل الفراهيدي: " وَدَوَّخْنَاهُ: ذَلَّلْنَاهُ تَدْوِيخاً فِدَاخَ أَي: ذَلَّ وَخَضَعَ. وَدَوَّخْنَا الْبِلَادَ وَالنَّاسَ وَغَيْرَهُمْ أَي: وَطَنَّاهُمْ، قال: " حَتَّى يَدُوَّخَ لَنَا مَنْ كَانَ عَادَانَا " أَي: يَذِلُّ لَنَا " معجم العين، مادة (دوح)، 295/4 .

⁴ - البحر المحيط في التفسير، 317-316/5.

⁵ - في ظلال القرآن، 1507-1506/3.

ث - توعّد الكفار بالعذاب الشديد بسبب الصد عن سبيل الله:

ورد هذا الوعيد في سياقين:

- في سياق تهديد وتوعّد من كفر بدين الله وصد عنه، قال تعالى (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) سورة إبراهيم/2-3.

قال الرازي (ت606هـ): " بين تعالى صفة هؤلاء الكافرين الذين توعدهم بالويل الذي يفيد أعظم العذاب، وذكر من صفاتهم ثلاثة أنواع، الأول : قوله: (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)، يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيوية، ولا يكون الإنسان كذلك إلا إذا كان غافلاً عن الحياة الأخروية، وعن معائب هذه الحياة العاجلة.

النوع الثاني: قوله تعالى: { وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } .

واعلم أن من كان موصوفاً باستحباب الدنيا فهو ضال، ومن منع الغير من الوصول إلى سبيل الله ودينه فهو مُضل، فالمرتبة الأولى إشارة إلى كونهم ضالين، وهذه المرتبة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله إشارة إلى كونهم مضلين.

والنوع الثالث: من تلك الصفات قوله: { وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا }، واعلم أن الإضلال على مرتبتين:

المرتبة الأولى: أنه يسعى في صد الغير ومنعه من الوصول إلى المنهج القويم والصراط المستقيم.

والمرتبة الثانية: أن يسعى في إلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق ويحاول تقبيح صفته بكل ما يقدر عليه من الحيل، وهذا هو النهاية في الضلال والإضلال، وإليه الإشارة بقوله: { وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا }¹.

- في سياق تعداد جرائم اليهود الكافرين التي استحقوا عليها عقوبات حلت بهم، كتحريم بعض الطيبات عليهم، يقول سبحانه: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) سورة النساء/160-161، ف " جعل الله تعالى هذه العقوبة الدنيوية إزاء ظلم بني إسرائيل في تعنتهم وسائر أخلاقهم الذميمة"².

ومن جرائمهم في حق دين الله: (وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا)، قال الطبري (ت310هـ): " يعني: وبصدهم عباد الله عن دينه وسبله التي شرعها لعباده، صدًا كثيرًا، وكان صدُّهم عن سبيل الله: بقولهم على الله الباطل، وادعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب الله، وتحريف معانيه عن وجوهه. وكان من

¹ - تفسير الرازي، 60/19-61.

² - تفسير ابن عطية، 135/2 .

عظيم ذلك: جودهم نبوة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتركهم بيان ما قد علموا من أمره لمن جهل أمره من الناس" ¹.

المطلب الرابع : الكفر والاستهزاء

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والاستهزاء:

اقترن لفظ الكفر بلفظ الاستهزاء في القرآن الكريم إحدى عشر مرة (11)²، ولفظ الهُزء سبع مرات (7)³، ولفظ السخرية أربع مرات (4)⁴. ولم يرد أي اقتران للفظين في الحديث النبوي.

2- مفهوم الاستهزاء لغة واصطلاحاً:

جاء في معجم العين للخليل: " الهُزءُ: السُّخْرية، يقال: هَزِيءَ به يَهْزَأُ به، واستَهْزَأَ به، وتَهَزَّأَ به"⁵. واستَهْزَأْتُ به، وتَهَزَّأْتُ وهَزَأْتُ به أيضاً، هُزْأً وَمَهْزَأَةً. ورجلٌ هُزْأٌ بالتسكين، أي يُهْزَأُ به، وهُزْأَةٌ بالتحريك: يَهْزَأُ بالناس.⁶

وقول الله جلَّ وعزَّ (الله يستهزئُ بهم) ⁷، أي: يُجازيهم على هُزئهم بالعذاب، فسُمِّي جزاءُ الذَّنْبِ باسمه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) سورة الشورى/40⁸.

واصطلاحاً، الاستهزاء: ارتياد الهُزء⁹، من غير أن يسبق من الإنسان فعل يستهزأ به من أجله¹⁰.

¹ - تفسير الطبري ، 391/9.

² - سورة النساء/140، سورة الأنعام/5-10 (مرتان)، سورة التوبة/65، سورة هود/8، سورة الرعد/32، سورة الأنبياء/41 (مرتان)، سورة غافر/83، سورة الجاثية/33.

³ - سورة المائدة/57-58، سورة الكهف/56-106، سورة الأنبياء/36، سورة الجاثية/9-35.

⁴ - سورة البقرة/212، سورة الأنعام/10، سورة الأنبياء/41، سورة الزمر/56.

⁵ - معجم العين، مادة (هزء)، 75/4، وانظر معجم المقاييس، مادة (هزأ)، 52/6.

⁶ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (هزأ)، 84/1.

⁷ - ومن نظائره ما ذكره السيوطي (ت 911 هـ) قال: " قال ابن فارس: ومن هذا الباب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه، نحو: { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } سورة البقرة/14-15، أي يجازيهم جزاء الاستهزاء، { وَمَكْرَؤُاَ اللَّهِ } سورة آل عمران/54 . { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } سورة التوبة/79. { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } سورة التوبة/67. { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } سورة الشورى/40. ومثل هذا في شعر العرب قول القائل: أَلَا لَا يَجْهَلُن أَحَدٌ عَلَيْنَا... فنجهل فوق جهل الجاهلينا" عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ 1998 م. 269/1.

⁸ - الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (هزأ)، 196/6.

⁹ - المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 50.

¹⁰ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 254.

وقال ابن تيمية: " والاستهزاء هو السخرية، وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذما يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا (المنافقون) بالمطّوعين من المؤمنين في الصدقات"¹.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والاستهزاء/الهزاء:

أ- علاقة التعاطف:

✓ عطف الاستهزاء والهزاء على الكفر:

ورد هذا العطف في سياقين:

- في سياق نهى الله تعالى المسلمين عن مجالسة الكافرين بآيات الله والمستهزئين بها، قال سبحانه: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) سورة النساء/140.

قال القرطبي(ت671هـ): " الخطاب لجميع من أظهر الإيمان من محق ومنافق، لأنه إذا أظهر الإيمان فقد لزمه أن يمتثل أوامر كتاب الله، فالمنزل قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) سورة الأنعام/68. وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار² اليهود فيسخرّون من القرآن"³.

فنهى الله تعالى المؤمنين عن القعود معهم حتى يخوضوا في حديث غير الكفر والاستهزاء. ثم قال سبحانه: (إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ)، قال الرازي(ت606هـ): " والمعنى: أيها المنافقون أنتم مثل أولئك الأحبار في الكفر، قال أهل العلم: هذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكر يراه وخالف أهله وإن لم يباشر كان في الإثم بمنزلة المباشر بدليل أنه تعالى ذكر لفظ المثل ههنا"⁴.

¹ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م، 22/6.

² - قال الفيومي: " الحبر بالكسر المداد الذي يكتب به، وإليه نسب كعب فقيل: كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر، حكاه الأزهري عن الفراء. والحبر العالم والجمع أحبار، والحبر بالفتح لغة فيه. " المصباح المنير، 1/117. والله تعالى يقول عن بني إسرائيل: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } سورة التوبة/31، والمراد بالأحبار علماء اليهود الذين يحبرون الكلام ويحسنونه. والفرق بينه وبين الراهب أن الراهب بمعنى المتعبد الخاشع الزاهد. وأصله عند النصارى التخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها والزهد فيها، والعزلة عن أهلها.

أنظر: محاسن التأويل للقاسمي(ت1332هـ)، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ، 5/393

³ - تفسير القرطبي، 5/417.

⁴ - تفسير الرازي، 11/247.

- في سياق ذكر سبب مجازاة الكفار بعذاب جهنم يوم القيامة، قال عز وجل: (ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا) سورة الكهف/106، أي: إنما جازيناكم بهذا الجزاء جهنم، بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هُزُوءًا، استهزؤوا بهم، وكذبوهم أشد التكذيب.¹

✓ عطف الكفر على الهزء:

- في سياق نهى المؤمنين عن موالاته أعدائهم الذين استخفوا بتعاليم الإسلام وشعائره، قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) سورة المائدة/57.
- قال الطبري: " قرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة: (وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ) بالنصب، عطفاً بـ " الْكَافِرَ " على " الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا " .²

والخطاب في هذه الآية الكريمة جاء بعد نهيه تعالى في الآية المتقدمة³ عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وساق الكلام في تقريره، وحصر الولاية فيه سبحانه، حيث أعقبه منبهاً على علل أخرى توجب البراءة من " اتخاذ الكفار أولياء يهوداً كانوا أو نصارى، أو غيرهما. وكرر ذكر اليهود والنصارى بقوله: (مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ)، وإن كانوا مندرجين في عموم الكفار على سبيل النص على بعض أفراد العام لسبقهم في الذكر في الآيات قبل، ولأنهم أوغل في الاستهزاء، وأبعد انقياداً للإسلام، إذ يزعمون أنهم على شريعة إلهية. ولذلك كان المؤمنون من المشركين في غاية الكثرة، والمؤمنون من اليهود والنصارى في غاية القلة⁴.

وهذا تنفير من موالاته أعداء الإسلام وأهله، من الكتابيين والمشركين، الذين يتخذون شرائع الإسلام المطهرة { هُزُوءًا وَلَعِبًا } أي: " يستهزئون بها، { وَلَعِبًا } يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد كما قال القائل⁵: وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ والمراد بالكفار ههنا المشركون⁶.

مستفادة :

¹ - تفسير ابن كثير، 203/5.

² - تفسير الطبري، 431/10.

³ - وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) الآية سورة المائدة/51.

⁴ - أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 4/302.

⁵ - القائل هو أبو الطيب المتنبي، والبيت الذي بعده: وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ ... عَلَى قَدَرِ الْقَرَائِحِ وَ الْفُهْمِ " (الصاحب بن عباد (ت385هـ)،

الأمثال السائرة من شعر المتنبي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، الطبعة: الأولى، 1385هـ - 1965م، ص:35.

⁶ - تفسير ابن كثير، 140/3.

قال ابن عطية (ت542هـ): " فرقت الآية بين الكفار وبين الذين أوتوا الكتاب، من حيث الغالب في اسم الكفر أن يقع على المشركين بالله إشراك عبادة الأوثان، لأنهم أبعد شأواً في الكفر، وقد قال تعالى: (**جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ**) [التوبة: 73]، ففرق بينهم إرادة البيان والجميع كفار، وكان هذا لأن عباد الأوثان هم كفار من كل جهة. وهذه الفرق تلحق بهم في حد الكفر، وتخالفهم في رتب: فأهل الكتاب يؤمنون بالله وبيعض الأنبياء، والمنافقون يؤمنون بألسنتهم"¹.

ب - علاقة الإسناد:

هذه العلاقة وردت في قوله تعالى: (**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا**) سورة الكهف/56، حيث أسند فعلا الجدل بالباطل، واتخاذ آيات الله - وهي القرآن - وإنذارات الأنبياء هزواً إلى الذين كفروا، فالله عز وجل أرسل رسله وأيدهم بالمعجزات، ليدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شر، ويبشرون من آمن منهم بالجنة، وينذرون من كفر بالعذاب، " فقامت بذلك حجة الله على العباد، ومع ذلك يأبى الظالمون الكافرون، إلا المجادلة بالباطل، ليدحضوا به الحق، فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم، وفي دحض الحق وإبطاله، واستهزأوا برسول الله وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون"².

ت - عاقبة الاستهزاء حائقة³ بالكفار لا خلاص لهم منها:

وردت هذه العلاقة في ثلاثة مواضع متشابهة من حيث الصيغة التي ختمت بها، وهي قوله سبحانه: (**وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) سورة هود/8، سورة غافر/83، سورة الجاثية/33، أذكر منها الموضع الأول وهو:

- في سياق بيان موقف الكافرين من البعث والحساب، قال تعالى: (**وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) سورة هود/7-8،

¹ - تفسير ابن عطية، 2/209.

² - تفسير السعدي، ص 480.

³ - قال ابن عطية: " حاق معناه: حلّ وأحاط، وهي مستعملة في المكروه " تفسير ابن عطية، 3/153، وجاء في لسان العرب لابن منظور: " حاق يَحِيقُ فهو حائق، وقال الزجاج في قوله تعالى: (**وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) أي أحاط بهم العذاب الذي هو جزاء ما كانوا يستهزئون، كما تقول: أحاط بفلان عمله وأهلكه كسبه أي أهلكه جزاء كسبه ... وقال الفراء في قوله عز وجل: (**وَحَاقَ بِهِمْ**) في كلام العرب عادَ عليهم ما استهزؤوا به، وجاء في التفسير أحاط بهم نزل بهم، قال: ومنه قوله عز وجل (**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**) أي لا يرجع عاقبة مكروهه إلا عليهم " لسان العرب، مادة (حيق)، 10/71.

فهؤلاء الكفار لا يصدقون بوجود المعاد، بل يكذبون أشد التكذيب، ويقدحون فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، زاعمين أن ما يقوله من وقوع البعث ما هو إلا سحر بئس.

ثم بين سبحانه بعد ذلك لونا من ألوان غرور المشركين، وهو مقابلة رحمة الله تعالى - المتمثلة في تأخير العذاب عنهم - بالاستهزاء والاستعجال، حيث ألقت نفوسهم الشك والتكذيب، ولذا رد الله تعالى عليهم بقوله (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)، أي يوم يأتيهم العذاب الذي يستعجلون به لا يستطيع أن يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه دافع { وَحَاقَ بِهِمْ } : " وأحاط بهم، وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقاً ومبالغة في التهديد " ¹، { مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ } : " العذاب الذي كانوا به يستعجلون، وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون؛ لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء " ².

ث - الاستهزاء يخرج المرء من الإيمان إلى الكفر:

وذلك في موضع واحد وهو قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) سورة التوبة/65-66.

هذه الآية نزلت في سياق الرد على المنافقين عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم، حيث ذكر البغوي في تفسيره نقلا عن " الكلبي ومقاتل وقتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين، اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، والثالث يضحك.

قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم، ما أبعد من ذلك! وقيل كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك؛ فقال: احبسوا علي الركب، فدعاهم، وقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب.

قال ابن عمر: فلقد رأيت عبد الله بن أبيّ يشدد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، ما يلتفت إليه ولا يزيد عليه " ³.

¹ - تفسير البيضاوي، 129/3.

² - تفسير الزمخشري، 381 / 2.

³ - تفسير البغوي، 70-69/4.

قال الله تعالى مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك: (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)، " فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة"¹.

المطلب الخامس: الكفر والفتنة

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والفتنة:

ورد لفظ الكفر مقترنا بلفظ الفتنة في القرآن الكريم ثلاثة عشر مرة (13)²، و في الحديث النبوي ثلاث مرات (3).

2- مفهوم الفتنة لغة واصطلاحاً:

قال الأزهري (ت370هـ): " جماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليطيرون الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله جل وعز: (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) سورة الذاريات/13، أي يحرقون بالنار"³.

وقال ابن فارس (ت395هـ): " الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة"⁴. فهذا هو الأصل في معنى الفتنة في اللغة.

وفي الاصطلاح استعمل هذا المفهوم على أصله اللغوي، قال الراغب: " الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال فيهما: (وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء/ 35]"⁵

وقال ابن الأثير (ت606 هـ): " الفتنة: الامتحان والاختبار...وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار من المكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء"⁶.

وقال المناوي (ت1031هـ): الفتنة: البلية، وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة، ذكره الحرالي (ت638هـ)"⁷.

¹ - تفسير السعدي، ص: 342.

² - سورة البقرة/102-191-217، سورة النساء/101، سورة الأنفال/ 39-73، سورة التوبة/47-48-49-126، سورة يونس/85، سورة

المتحنة/5، سورة المدثر/31

³ - تهذيب اللغة، مادة (فتن) 211/14.

⁴ - معجم مقاييس اللغة، مادة (فتن) 472/4.

⁵ - المفردات، مادة (فتن)، ص: 623.

⁶ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (فتن)، 777/3.

⁷ - التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 256.

وورد مصطلح الفتنة في آيات القرآن الكريم بعدة معانٍ¹ لخصها ابن الأعرابي² (ت231هـ) بقوله: " الفتنة: الاختبار والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار"³، وذكر الكفوي (ت1094هـ) معانٍ أخرى بأدلتها من القرآن الكريم، فقال: "والفتنة أيضا: أيضا: الشرك (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً) سورة البقرة/193 والإضلال والقتل والصد والضلالة والقضاء والإثم والمرض والعبرة والعفو والاختبار والعذاب والإحراق والجنون."⁴

وخلاصة القول، فإن الفتنة سنة كونية في هذه الحياة، لا تخلو منها حياة الأمم والأفراد على حد سواء، دل على ذلك قوله تعالى: (وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) سورة الأنبياء/35، وتجدر الإشارة إلى أن الفتنة قد تضاف إلى الله سبحانه كما تضاف إلى الإنسان، يقول الراغب (ت502هـ) مبينا الفرق بينهما: " والْفِتْنَةُ من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد كالبليّة والمصيبة، والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضدّ ذلك، ولهذا يَدَمُّ الله الإنسان بأنواع الفتنة في كلّ مكان نحو قوله: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة/191]."⁵

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والفتنة:

أ- علاقة الإسناد:

هذه العلاقة وردت في موضعين، وذلك في قوله تعالى:

¹ - عد منها الدمغاني أحد عشر وجها، قال: " الفتنة: الشرك، الكفر، العذاب، الابتلاء، الإحراق بالنار، القتل، الصد، الضلال، المعذرة، الفتنة بعينها، الجنون " الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص: 347.

² - ابن الأعرابي (150 - 231هـ):

محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللغة، من أهل الكوفة، كان أحول. قال ثعلب: شهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة، ما رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. مات بسامراء.

له تصانيف كثيرة، منها (أسماء الخيل وفرسانها - خ) و (تاريخ القبائل) و (النوادر - خ) في الأدب و (تفسير الأمثال) و (شعر الأخطل - ط) و (معاني الشعر) و (الأنواء) رسالة، و (البئر - ط) رسالة، و (الفاضل - خ) أدب. أنظر: الأعلام للزركلي، 131/6

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتن) 317/13.

⁴ - الكليات، ص 692.

⁵ - المفردات، مادة (فتن) ص: 624، وزاد ابن القيم (ت751هـ) هذا الأمر وضوحا بالأمثلة فقال رحمه الله: " وأما الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه، أو يضيفها رسوله صلى الله عليه وسلم إليه كقوله: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) [الأنعام: 53] ، وقول موسى: (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) [الأعراف: 155]، فتلك بمعنى آخر، وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر، بالنعم والمصائب، فهذه لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية، وبين أهل الجمل وصفين، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا، ويتهاجروا لون آخر " ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ/1994م، 152/3.

- في سياق بيان تيسير الله على عباده فيما شرعه لهم من عبادات، حيث أباح لهم قصر الصلاة في حالة السفر للجهاد، والخوف من مباغطة العدو لهم: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا) سورة النساء/101.

- في سياق الإخبار عن إيمان ذرية - وهم الشباب - من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملئه أن يفتنهم بالعذاب، فيصدوهم عن دينهم: { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } سورة يونس/83-86

نلاحظ في السياقين معا إسناد الفتنة عن الدين إلى الكافرين، وذلك بتعذيب أهل الإيمان وترويعهم وصددهم عن دينهم وتسليط ما لا تستطيع النفس تحمله عليهم.

ب - علاقة التداخل (الخاص والعام):

وردت هذه العلاقة في سياقين:

- في سياق " أمر الله تعالى بقتل الكفار حيث كانوا في الحل والحرم، وفي الشهر الحرام، سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا، واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام"¹، قال عز وجل: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ² مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة البقرة/191-192.

قال الطبري: " يعني تعالى ذكره بقوله: " وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ "، والشرك بالله أشد من القتل. فتأويل الكلام: وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه، أشد عليه وأضر من أن يُقتل مقيماً على دينه متمسكا عليه، مُحَقَّقاً فيه... عن مجاهد في قول الله: " وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ " قال: ارتداد المؤمن إلى الوثن أشد عليه من القتل.³

¹ - تفسير الرازي، 5/ 289.

² - « قال الطبري: الخطاب للمهاجرين ، والضمير لكفار قريش » تفسير ابن عطية، 262/1، وقد بحثت عن قول الطبري هذا في تفسيره فلم أعر عليه.

³ - تفسير الطبري، 3/ 565-366.

- في سياق بيان حكم القتال في الأشهر الحرم، قال سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

سورة البقرة/217

قال البغوي (ت516هـ) في تفسيره: " (وَالْفِتْنَةُ) أي الشرك الذي أنتم عليه (أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) أي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرم، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة: إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرم فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرم ¹.

وقال ابن كثير (ت774هـ) في معنى الفتنة في هذه الآية: " كانوا يفتنون المسلم في دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل ².

فالشرك والردة اللذان فسر بهما لفظ الفتنة في هذين الموضعين داخلان في مفهوم الكفر من باب دخول الخاص في العام، فالعلاقة إذن علاقة تداخل بين اللفظين.

ت - علاقة الترادف:

جاءت هذه العلاقة في ستة مواضع، موضعان منها بنفس تركيب الآية:

- في سياق التحريض على قتال الكفار ليكون دينُ الله هو الظاهر على سائر الملل، قال الله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } سورة

البقرة/193

قال القرطبي في تفسير الآية: " قوله تعالى: " وَقَاتِلُوهُمْ " أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع، على من رآها ناسخة. ومن رآها غير ناسخة قال: المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: " فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ ³ والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار. دليل ذلك قوله تعالى: " وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ "، وقال عليه الصلاة والسلام: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ⁴، فدللت الآية والحديث

¹ - تفسير البغوي، 248/1.

² - تفسير ابن كثير، 576/1.

³ - أنظر الآية بتمامها في علاقة التداخل السابقة.

⁴ - تنمة لفظ الحديث في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) سورة التوبة/5، الحديث 25، 17/1، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، الحديث 22، 53/1.

على أن سبب القتال هو الكفر¹، لأنه قال: " حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً " أي كفر، فجعل الغاية عدم الكفر، وهذا ظاهر.

وقوله تعالى: " فَإِنْ انْتَهَوْا " أي عن الكفر، إما بالإسلام كما تقدم في الآية قبل، أو بأداء الجزية في حق أهل الكتاب، وإلا قوتلوا وهم الظالمون لا عدوان إلا عليهم. وسمي ما يصنع بالظالمين عدوانا من حيث هو جزاء عدوان، إذ الظلم يتضمن العدوان، فسمي جزاء العدوان عدوانا، كقوله: " وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا " [الشورى: 40]. والظالمون هم على أحد التأويلين: من بدأ بقتال، وعلى التأويل الآخر: من بقي على كفر وفتنة.²

وهذا التأويل الأخير قول عكرمة وقتادة: الظالم: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله.³

- ومثله قوله عز وجل في سياق الأمر بقتال الكفار إذا أصروا على الكفر وعدم الرجوع عما هم فيه من المشاقة والعناد، ولم يدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) سورة الأنفال/38-39.

أخرج الطبري بسنده عن ابن زيد، في قوله: " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ "، قال: حتى لا يكون كفر، " وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ "، لا يكون مع دينكم كفر.⁴

وتفسير الفتنة بالكفر - الذي هو أعم من الشرك - ذهب إليه كذلك الزجاج حيث " قال: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر، ويدل عليه قوله: { وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } " ⁵، والواحد ⁶ (ت468هـ) والشوكاني ⁷. وحكى الطبري عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي تفسيرهم للفتنة في هذه الآية بالشرك⁸، وعقب ابن عطية (ت542هـ) على ذلك بقوله: " ومن قال: المعنى حتى لا يكون شرك، فالآية عنده يريد بها الخصوص فيمن لا يقبل منه جزية، قال ابن سلام: وهي في مشركي العرب " ⁹.

¹ - سيأتي ذكر أقوال أهل العلم في هذه المسألة ومناقشتها في موضعها من البحث بتفصيل إن شاء الله تعالى.

² - تفسير القرطبي 2/353-354.

³ - تفسير ابن كثير، 1/526.

⁴ - تفسير الطبري، 13/539.

⁵ - تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ، 2/211.

⁶ - تفسير الواحدي، ص: 440.

⁷ - تفسير الشوكاني، 2/352.

⁸ - تفسير الطبري، 13/538.

⁹ - تفسير ابن عطية، 2/528.

ونقل الرازي (ت 606هـ) في تفسيره مظاهر هذه الفتنة، مع بيان علة قتال الكافرين، قال: " قال عروة بن الزبير: " كان المؤمنون في مبدأ الدعوة يفتنون عن دين الله، فافتتن من المسلمين بعضهم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يخرجوا إلى الحبشة، وفتنة ثانية وهو أنه لما بايعت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة، تأمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم، فأصاب المؤمنين جهد شديد، فهذا هو المراد من الفتنة، فأمر الله تعالى بقتالهم حتى تزول هذه الفتنة". وفيه وجه آخر، وهو أن مبالغة الناس في حبهم أديانهم أشد من مبالغتهم في حبهم أرواحهم، فالكافر أبداً يسعى بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وفي إلقاءهم في وجوه المحنة والمشقة، وإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة، وخلص الإسلام وزالت تلك الفتنة بالكلية " ¹.

ومن اللمسات البيانية في هذه الآية عن نظيرتها في سورة البقرة ² ما ذكره ابن عاشور حيث قال: " هذه الآية زيد فيها اسم التأكيد وهو (كله)، وذلك لأن هذه الآية أسبق نزولاً من آية البقرة، فاحتيج فيها إلى تأكيد مفاد صيغة اختصاص جنس الدين بأنه لله تعالى، لئلا يتوهم الاقتناع بإسلام غالب المشركين، فلما تقرر معنى العموم وصار نصاً من هذه الآية عدل عن إعادته في آية البقرة تطلباً للإيجاز " ³.

- قوله تعالى في سياق نهى المؤمنين عن موالاة الكفار: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْنِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) سورة الأنفال/73.

من بين التفاسير الواردة في الآية ما ذكره البغوي عن ابن إسحاق قال: جعل الله المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن (تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) فالفتنة في الأرض قوة الكفر، والفساد الكبير ضعف الإسلام. ⁴

- قوله عز وجل في سياق بيان المفسد المترتبة على خروج الكفار المنافقين مع المؤمنين في غزوة تبوك: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) سورة التوبة/47-48-49

ورد لفظ الفتنة في هذه الآيات - ثلاث مرات - يحمل معنى الكفر، كما هو ظاهر في النقول التالية:

¹ - تفسير الرازي، 15/ 483.

² - وهي الآية 193، سبق ذكرها في علاقة الترادف السابقة.

³ - التحرير والتنوير، 9/ 347.

⁴ - تفسير البغوي، 3/ 380.

أخرج الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا)، قال: هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك، يسلي الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال: وما يحزنكم؟ (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا)، ! يقولون: " قد جُمع لكم، وفُعل وفُعل، يخذلونكم " (وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ)، الكفر.¹

وقوله عز وجل: (لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أي: طلبوا صدًّا أصحابك عن الدين وردَّهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم، كفعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه.² وقوله تعالى: (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)³، ورد في هذه الفتنة أقوال أربعة:

أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الحرج، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: الإثم، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: العذاب في جهنم، ذكره الماوردي.⁴ ورجح الرازي (ت606هـ) المعنى الأول فقال: " والمعنى أنهم يحترزون عن الوقوع في الفتنة، وهم في الحال ما وقعوا إلا في الفتنة، فإن أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتمرد عن قبول التكليف ".⁵

نخلص إذن إلى أن لفظ الفتنة في المواضع الستة فسر بعض العلماء بالكفر، فالعلاقة إذن هي الترادف.

ث - فتنة السحر ردة إلى الكفر:

جاء ذلك في قوله تعالى في سياق التحذير من تعلم السحر، وأنه من عمل الشياطين، وجعل ذلك فتنة موقعة في الكفر المخرج من الملة، قال سبحانه: (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) سورة البقرة/102.

أخرج ابن أبي حاتم (ت327هـ) عن ابن عباس في قوله: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة:102] " قال: إن هاروت وماروت أهبطا إلى الأرض، فإذا أتاهما الآتي يريد

¹ - تفسير الطبري، 280/14.

² - تفسير البغوي، 56/4.

³ - ذكر الواحدي (ت468هـ) أن هذه الآية " نزلت في جد بن قيس المنافق، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما تجهز لغزوة تبوك قال له: "يا أبا وهب هل لك في جلد بني الأصفر، تتخذ منهم سراري ووصفاء؟" فقال: يا رسول الله، لقد عرف قومي أنني رجل مغرم بالنساء، وإنني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فلا تفتني بهن، وأذن لي في القعود عنك وأعنيك بمالي، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "قد أذنت لك"، فأُنزل الله هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) الآية " أسباب نزول القرآن، أبو الحسن الواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ، ص: 252.

⁴ - تفسير ابن الجوزي، 2/266.

⁵ - تفسير الرازي، 65/16.

السحر نهياه أشد النهي وقال له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أن السحر من الكفر¹.

وقال ابن كثير (ت774هـ): " وقال سُنيْد، عن حجاج، عن ابن جريج في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلا كافر.

وأما الفتنة فهي المحنة والاختبار...

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر، ويُستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار (ت292هـ): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، عن عبد الله بن مسعود، قال: « من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »، وهذا إسناد جيد، وله شواهد أخر² .³

المطلب السادس: الكفر والإعراض

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والإعراض:

ورد لفظ الكفر مقترنا بلفظ الإعراض في عشرة مواضع (10) في القرآن الكريم⁴، ولم أعثر على أي موضع في الحديث النبوي.

2- مفهوم الإعراض لغة واصطلاحاً:

جاء الإعراض في كتب المعاجم في مباحث الجذر " عرض " بمعنى: الصد والتولي عن الشيء، قال ابن دريد (ت321هـ): " وأعرضت عن فلان إعراضاً، إذا صدت عنه⁵، وقال الجوهري (ت393هـ):

¹ - الرازي، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ، 192/1.

² - الحديث أخرجه كذلك أبو بكر الخلال (ت 311هـ) بسنده، قال: حدثنا أبو عبد الله، قال: ثنا عبد الله بن نمير، قال: ثنا الحسن يعني ابن عمرو، عن فضيل، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله: « من أتى كاهنًا أو ساحرًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله » كتاب السنة، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م، الحديث رقم 1301، 116/4، وأخرجه أيضا أبو نعيم الأصبهاني (ت430هـ)، قال: حدثنا أبو بكر الطلحي، ثنا أبو حصين الوادعي، ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس، عن أبي إسحاق، ثنا هبيرة بن مريم، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم » حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405 هـ، 104/5.

³ - تفسير ابن كثير، 363/1.

⁴ - سورة الأنعام/4، سورة الإسراء/67، سورة الكهف/57، سورة الأنبياء/32، سورة سبأ/16، سورة يس/46، سورة فصلت/51، 13، سورة الأحقاف/3، سورة القمر/2

⁵ - الجمهرة، مادة (رضع)، 748/2.

(ت393هـ): " والإعراض عن الشيء: الصدُّ عنه"¹. وقال ابن الأثير (ت606 هـ): " أَعْرَضَ عن الشيء إذا وَلَّاهُ ظَهْرَهُ "². وجاء في المعجم الوسيط: " وأعرض لك الخير وعنه صدَّ وولَّى "³. وقال ابن منظور (ت711 هـ) في معنى التولي: " وتولى عنه: أعرض وولى هاربا أي أدبر...وقد ولى الشيء وتولى إذا ذهب هاربا ومدبرا، وتولى عنه إذا أعرض، والتولي يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنى الاتباع، قال الله تعالى: { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ } سورة محمد/38، أي إن تعرضوا عن الإسلام، وقوله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } سورة المائدة/51، معناه من يتبعهم وينصرهم "⁴.

هذا معنى الإعراض في اللغة، أما في الاصطلاح، فقال الكفوي (ت1094 هـ): " والإعراض : الانصراف عن الشيء بالقلب، قال بعضهم: المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك، إلا أن المعرض أسوأ حالا، لأن المتولي متى ندم سهل عليه الرجوع، والمعرض يحتاج إلى طلب جديد، وغاية الذم الجمع بينهما "⁵.

وقال الشعراوي (ت1418 هـ): " والإعراض هو أن تُعْطِيَ الشيء عَرْضَكَ بأن تبتعد عنه ولا تُقْبِلَ عليه، ولو أنك أَقْبَلْتَ عليه لَوَجَدْتَ فيه الخير لك. وأنت حين تُقْبِلُ على آيات الله ستجد أنها تدعوك للتفكير، فتؤمن أن لها خالقا فتلتزم بتعاليم المنهج الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. وأنت حين تُفَكِّرُ في الحكمة من الطاعة ستجد أنها تُريحك من قلق الاعتماد على أحد غير خالقك، لكن لو أخذت المسائل بسطحية؛ فلن تنتهي إلى الإيمان."⁶

وورد ذكر الإعراض - المرادف للتولي - في القرآن الكريم في واحد وثلاثين موضعا عبر أربع وستين آية⁷، ويمكن أن نستخلص من معاني الإعراض في استعمال القرآن ما يلي:

- 1 - يأتي بمعنى: عدم الاستماع لأوامر الله عز وجل، وعدم المبالاة بها أو التفكير فيها وهو الغالب.
- 2 - ويأتي بمعنى: عدم القبول لها، وهذا يأتي بعد الاستماع لها والتذكير بها.
- 3 - ويأتي بمعنى الامتناع والتولي عن الطاعة، وهذا يكون بعد الاستماع والقبول.
- 4 - ويأتي بمعنى: ترك العمل.
- 5 - ويأتي بمعنى: الصدود.

¹ - الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (عرض) 1084/3، لسان العرب، ابن منظور، مادة (عرض)، 165/7.

² - النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (عرض) 439/3.

³ - إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار، المعجم الوسيط. تحقيق / مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، 593/2.

⁴ - لسان العرب مادة (ولى) 405/15.

⁵ - الكليات، ص: 28.

⁶ - تفسير الشعراوي (الخواطر)، 13/ 7753.

⁷ - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1364 هـ-1945م، ص

6 - ويأتي بمعنى: ترك حكم الله، والانصراف عنه مع العلم بحقيقته.¹

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والإعراض:

أ- علاقة تخصيص:

ورد ما يدل على هذه العلاقة في أسلوب الحصر ويسمى القصر أيضاً: ويراد به تخصيص موصوف بصفة، وجاء ذلك في سياقين بنفس الآية، وهي قوله عز وجل: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ):

- في سياق بيان كفر الجاحدين بآيات الله تعالى -مهما تظاهرت الأدلة وتضافرت الحجج- وإعراضهم عنها، قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) سورة الأنعام/1-4

قال أبو السعود: " { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ } كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه، وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد، وفي الآية الثانية امتراءهم في البعث وإعراضهم عن بعض آياته...ف(ما) نافية، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، أو للدلالة على الاستمرار التجديدي، و(مِنْ) الأولى مزيدة للاستغراق، والثانية تبعيضية... والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها، والمعنى: ما ينزل إليهم آية من الآيات القرآنية الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها { إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } أي على وجه التكذيب والاستهزاء، وأما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فإتيانها ظهورها لهم².

فلقد بلغ الجحود والجهل عند هؤلاء الكفرة أنهم لا تأتئهم آية مسطورة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه أو منظورة إلا تلقوها بالإعراض، ولم يتفكروا فيها ليعتبروا، ف "هذه صفتهم دائماً قصداً للعناد لئلا يلزمهم الحجة"³.

- ومثله أيضاً قول الحق سبحانه في سياق بيان إعراض الكافرين عن من يدعوهم -على سبيل النصح والإرشاد- إلى ما فيه نجاتهم: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) سورة يس/45-46، فالآية تخبر عن "

¹ - الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، 378/6.

² - تفسير أبي السعود، 109/3.

³ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 20/7.

تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة¹.

وجواب قوله: { إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا } محذوف، معناه: وإذا قيل لهم ذلك لا يتقون أو يعرضون، وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى: { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ }²، ف " دأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة"³.

فأفاد أسلوب الحصر (وهو مجيء الكلام غير تام قبل إلاّ معتمداً على نفي) تخصيص الكفار بصفة الإعراض عن آيات الله وعدم النظر فيها والالتفات إليها مكابرة وعناداً.

ب- علاقة تلازم واقتضاء:

جاءت هذه العلاقة في موضع واحد تضمن أسلوب الشرط، حيث يكون الإعراض صفة لازمة للكفار عند رؤيتهم لكل آية بينة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، وقد وردت في سياق بيانه سبحانه موقف الكفار المشركين من معجزاته صلى الله عليه وسلم المتمثل في الإعراض عنها جحوداً وعناداً، قال تعالى: (أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقُّ الْقَمَرَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) سورة القمر/1-2

قال ابن عاشور: " فإن وقوع { آية }، وهو نكرة في سياق الشرط يفيد العموم. وجيء بهذا الخبر في صورة الشرط للدلالة على أن هذا ديدنهم ودأبهم... فهم مستمرّون عليه(الإعراض) كلما رأوا آية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم"⁴.

ت- علاقة الإسناد:

وردت هذه العلاقة في موضعين حيث أسند الإعراض فيهما إلى الكفار الجاحدين:

- في سياق تحريض الكافرين على التدبر في ملكوت السموات والأرض، لعل هذا التدبر يهديهم إلى الإيمان، لكن أبوا إلا الإعراض، قال عز وجل: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا⁵ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ

¹ - تفسير ابن كثير، 580/6.

² - تفسير الرازي، 26/286.

³ - تفسير الزمخشري، 4/19.

⁴ - التحرير والتنوير، 27/172.

⁵ - اختلف العلماء في تفسير معنى الرّق والفتق الواردين في هذه الآية على عدة أقوال مأثورة عن مفسري الصحابة والتابعين، نقلها سيد طنطاوي في تفسيره الوسيط، ثم نقل القول الراجح فقال: " وقد رجح بعض العلماء معنى كونهما " كَانَتَا رَتْقًا " بمعنى أن السماء لا ينزل منها مطر، والأرض لا تنبت، ففتق سبحانه السماء بالمطر والأرض بالنبات، هذا المعنى هو الراجح وتدل عليه قرائن من كتاب الله تعالى منها: أن قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا... } يدل على أنهم رأوا ذلك، لأن الأظهر في " رأى " أنها بصرية، والذي يروونه بأبصارهم هو أن السماء تكون لا ينزل منها مطر، والأرض لا نبات فيها، فيشاهدون بأبصارهم نزول المطر من السماء، وخروج النبات من الأرض.

بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (سورة الأنبياء/30-32)

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآيات: "إنها جولة في الكون المعروض للأُنظار، والقلوب غافلة عن آياته الكبار، وفيها ما يحير اللب حين يتأمله بالبصيرة المفتوحة والقلب الواعي والحس اليقظ... فالقرآن الكريم يوجه أنظار الكفار إلى عجائب صنع الله في الكون، ويستنكر ألا يؤمنوا بها وهم يرونها مبثوثة في الوجود: { أَفَلَا يُؤْمِنُونَ؟ } وكل ما حولهم في الكون يقود إلى الإيمان بالخالق المدبر الحكيم؟"¹.

ومن هذه الآيات العظيمة الدالة على عجب صنع الخالق سبحانه ما جاء في قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَّحْفُوظًا } أي "من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشُّهْب { وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا } الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته

ومنها : أنه - سبحانه - أتبع ذلك بقوله: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ }، والظاهر اتصال هذا الكلام بما قبله، أي : وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض، كل شيء حي.

ومنها: أن هذا المعنى جاء موضعاً في آيات أخرى، كقوله تعالى: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } سورة الطارق/11-12 والمراد بالرجع: نزول المطر من السماء تارة بعد أخرى، والمراد بالصدع : انشقاق الأرض عن النبات. واختار هذا القول ابن جرير وابن عطية والفخر الرازي "التفسير الوسيط، 203/9.

من جهة أخرى، فإن سيد قطب له رأي وجيه في موضوع تفسير هذه الحقائق الكونية الواردة في القرآن بالنظريات العلمية الحديثة، ينبغي أن نأخذ به لما يرمي إليه من النأي بالقرآن المطلق في حقائقه عن اجتهادات العلم البشري التي تصيب وتخطئ، قال رحمه الله : " وتقرير القرآن الكريم أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقنا، مسألة جدية بالتأمل، كلما تقدمت النظريات الفلكية في محاولة تفسير الظواهر الكونية، فحامت حول هذه الحقيقة التي أوردها القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاث مائة وألف عام.

فالنظرية القائمة اليوم هي أن المجموعات النجمية كالمجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس وتوابعها ومنها الأرض والقمر . . كانت سديماً، ثم انفصلت وأخذت أشكالها الكروية، وأن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت . . ولكن هذه ليست سوى نظرية فلكية تقوم اليوم وقد تنقض غداً، وتقوم نظرية أخرى تصلح لتفسير الظواهر الكونية بفرض آخر يتحول إلى نظرية..

ونحن أصحاب هذه العقيدة - لا نحاول أن نحمل النص القرآني المستيقن على نظرية غير مستيقنة، تقبل اليوم وترفض غداً. لذلك لا نحاول في هذه الظلال أن نوفق بين النصوص القرآنية والنظريات التي تسمى علمية، وهي شيء آخر غير الحقائق العلمية الثابتة القابلة للتجربة كتمدد المعادن بالحرارة وتحول الماء بخاراً وتجمده بالبرودة . . إلى آخر هذا النوع من الحقائق العلمية، وهي شيء آخر غير النظريات العلمية

...

إن القرآن ليس كتاب نظريات علمية، ولم يجيء ليكون علماً تجريبياً كذلك. إنما هو منهج للحياة كلها. منهج لتقويم العقل ليعمل وينطلق في حدوده، ولتقويم المجتمع ليعمل بالعدل والانطلاق دون أن يدخل في جزئيات وتفصيليات علمية بحتة. فهذا متروك للعقل بعد تقويمه وإطلاق سراحه .

وقد يشير القرآن أحياناً إلى حقائق كونية كهذه الحقيقة التي يقرها هنا: (أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن، وإن كنا لا نعرف منه كيف كان فتق السماوات والأرض، أو فتق السماوات عن الأرض، ونتقبل النظريات الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجملية التي قررها القرآن، ولكننا لا نجري بالنص القرآني وراء أية نظرية فلكية، ولا نطلب تصديقاً للقرآن في نظريات البشر، وهو حقيقة مستيقنة! وقصارى ما يقال: إن النظرية الفلكية القائمة اليوم لا تعارض المفهوم الإجمالي لهذا النص القرآني السابق عليها بأجيال!" في ظلال القرآن، 4/ 2375-2376.

¹ - في ظلال القرآن، 4/ 2375-2376.

وقدّرتِه وإرادتِه التي بعضُها محسوسٌ وبعضُها معلومٌ بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة { مُعْرِضُونَ } لا يتدبرون فيها، فيبفّقون على ما هم عليه من الكفر والضلال .¹

ومن الآيات الدالة على حفظ السماء من السقوط قوله سبحانه: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لِرُءُوفٍ رَحِيمٌ) سورة الحج/65، ومن الآيات الدالة على حفظها من التشقق والتفطر قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) سورة ق/6 وعلى حفظها من الشياطين قوله تعالى: (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) سورة الحجر/17، ومن الآيات الدالة على إعراض هؤلاء الكافرين عن النظر والاعتبار قوله سبحانه: (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) سورة يوسف/105.

- في سياق بيان موقف الكفار مما أنذرهم به القرآن من البعث والحساب، قال سبحانه: (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ) سورة الأحقاف/3

فالآية الكريمة قد وضحت أن هذا الكون لم يخلقه الله تعالى عبثاً، وإنما " ليعرف العباد عظمة خالقهما ويستدلوا على كماله، ويعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء، وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى { أَجَلٍ مُّسَمًّى } " ² ينتهي عنده هذا الخلق، وهو يوم القيامة. ومع دلالة هذا الكون الفسيح وما فيه من آيات على وحدانية الله وقدرته، فإن طائفة من الناس قد أبوا إلا الإعراض، قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ) قال الشوكاني: " أي : عما أنذروا وخوفوا به في القرآن من البعث والحساب والجزاء معرضون مولّون غير مستعدّين له، والجملة في محل نصب على الحال، أي: والحال أنهم معرضون عنه غير مؤمنين به"³.

ث - تعليل الإعراض بالكفران لنعمة الله:

جاءت هذه العلاقة في قوله تعالى في سياق بيان حفظه للناس - ومنهم الكفار - في حال اضطراب سفنهم وتعرضها للغرق، بسبب هيجان البحر وارتفاع أمواجه: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) سورة الإسراء/67

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: " (ضل) معناه تَلَفَ وَفُقِدَ، وهي عبارة تحقير لمن يدّعي إلها من دون الله. والمعنى في هذه الآية: أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة، وأن لها فضلاً، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علماً لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام، فَوَقَّهَهُمُ اللهُ من

¹ - تفسير أبي السعود، 6/65.

² - تفسير السعدي، ص 779.

³ - تفسير الشوكاني، 5/17.

ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل¹. (فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) أي عن الإخلاص، (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا) الإنسان هنا الكافر². وقيل: وَطُبِعَ الإنسان كفورا للنعم إلا من عصمه الله، فالإنسان لفظ الجنس³، وهذا الكفران " تعليل لما سبق من الإعراض"⁴. وجاءت صفة { كفورا } دلالة على المبالغة، ثم لم يخاطبهم بذلك، بل أسند ذلك إلى الإنسان لطفاً بهم وإحالة على الجنس، إذ كل أحد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله⁵.

المطلب السابع: الكفر والجحود

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والجحود:

ورد لفظ الكفر مقترباً بلفظ الجحود في ستة مواضع (6) في القرآن الكريم⁶، ولم أعر على أي موضع في الحديث النبوي.

2- مفهوم الجحود لغة واصطلاحاً:

قال ابن فارس (ت395هـ): " الجيم والحاء والdal أصل يدل على قلة الخير. يقال: عام جَدِّ قليل المطر...ومن هذا الباب الجحود، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح. قال الله تعالى: (وَجَحِّدُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغُورًا) سورة النمل/14⁸. وقال الفيروزآبادي (ت817هـ): " جحده حقه وبحقه، كمنعه، جَحْدًا وجحوداً: أنكره مع علمه"⁹. أما في الاصطلاح فقال الراغب (ت502هـ): " الْجُحُود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه"¹.

¹ - وهذا " كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة، فذهب هارباً، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعو الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه، فلأجدنه رؤوفاً رحيمًا. فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه، رضي الله عنه وأرضاه. " ذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره، 96/5.

² - وقال الزجاج: المراد بالإنسان الكفار " تفسير البحر المحيط، 82/7.

³ - تفسير القرطبي، 291/10.

⁴ - تفسير أبي السعود، 185 / 5.

⁵ - تفسير البحر المحيط، 82/7.

⁶ - سورة الأعراف/51، سورة هود/59، سورة العنكبوت/47، سورة لقمان/32، سورة فصلت/15-28.

⁷ - قال الكفوي: " فذكر الاستيقان بعد ذكر الجحود للتصريح بما تضمنه الجحود من العلم، والتشنيع عليهم بأن ذلك منهم من أقبح الكفر وأفحش الظلم، فكان موقعه نصاً أحسن موقع " الكليات، ص 1073.

⁸ - معجم مقاييس اللغة، مادة (جحد) 425/1-426.

⁹ - القاموس المحيط، ص:271.

وقال السمين الحلبي(ت 756 هـ) : " الجحد والجحد هو الإنكار."²

وبنفس تعريف الراغب عرف الكفوي(ت1094هـ) الجحد فقال: "الجحد : هو نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه"³. لكنه خصص الجحد بالقول دون الاعتقاد، فقال: " وأما الجحد فإنما يقال فيما ينكر باللسان دون القلب"⁴.

الفرق بين النفي والجحد:

قال المناوي(ت1031هـ): " الجحد إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النفي إذ هو إنكار نفس وجود المدعي "⁵.

وقال الكفوي(ت1094هـ): "والنافي إن كان صادقا يسمى كلامه نفيا، ولا يسمى جدّا مثاله: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) سورة الأحزاب/40، وإن كان كاذبا يسمى جدّا ونفيا أيضا مثاله: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) سورة النمل/13-14"⁶.

وورد مصطلح الجحد في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، في سور كلها مكية، بصيغة الفعلية: فعلا ماضيا في موضعين، وفعلا مضارعا في عشرة مواضع.

وورد الفعل مسندا إلى واو الجماعة تسع مرات، وهذا يدل على أن الجحد صفة متجددة مستمرة مع فئة من الناس في كل مجتمع، هي فئة المأ الكافرين المستكبرين.

والملاحظ في سياق موارد اللفظ أن فعل الجحد مرتبط إما بجحد آيات الله أو نعمته.

أما معناه في آيات الورد فيدور حول معنى واحد وهو: إنكار آيات الله البينات ومعجزاته الباهرات الدالة على وحدانيته وصدق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، رغم أنهم مستيقنون أنها من عند الله عز وجل، قال سبحانه (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) سورة النمل/14، قال الطبري: " عن قتادة: (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) سورة العنكبوت/47، قال: إنما يكون الجحد بعد المعرفة "⁷.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والجحد:

أ- علاقة الإسناد:

وردت هذه العلاقة في مواضع أربعة:

¹ - المفردات مادة (جحد) ص: 187.

² - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 308/1.

³ - الكليات، ص: 356.

⁴ - الكليات، ص: 160.

⁵ - التوقيف على مهمات التعاريف، ص 232.

⁶ - الكليات، ص: 889.

⁷ - تفسير الطبري، 50/20.

- قوله تعالى في سياق الإخبار عن مشهد من مشاهد يوم القيامة تدور محاورته حول استجداء أصحاب النار أصحاب الجنة بذلة وانكسار طالبين منهم أن يفيضوا عليهم مما أنعم الله عليهم به: (وَبَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) سورة الأعراف/50-51
 - وقوله تعالى مخبرا عن تكذيب عاد وثمود لرسولهم: (إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) سورة فصلت/14-15.
 - وقوله سبحانه في سياق الإخبار عما تَوَاصَى به الكفار فيما بينهم بخصوص موقفهم من القرآن: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) سورة فصلت/26-28.
 - وقوله عز وجل في سياق بيان جرائم عاد التي استحقوا بسببها العذاب الغليظ: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) سورة هود/59-60
- ففي هذه المواضع الأربعة، نجد إسناد وصف الجحود بآيات الله تعالى للذين كفروا مع قيام الحجة عليها، والحال أن جحودهم هذا، لا عن قصور في آيات الله البينات، وإنما ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها لأنها في غاية الظهور.
- يقول الطاهر بن عاشور في تفسير الآية الأخيرة: " والجحد: الإنكار الشديد، مثل إنكار الواقعات والمشاهدات. وهذا يدل على أن هوداً أتاهم بآيات فأنكروا دلالتها، وعدي { جحدوا } بالباء مع أنه متعد بنفسه لتأكيد التعدية، أو لتضمينه معنى كفروا، فيكون بمنزلة ما لو قيل: جحدوا آيات ربهم وكفروا بها، كقوله (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) سورة النمل/14".¹

ب - علاقة تخصيص:

ورد ما يدل على هذه العلاقة في أسلوب الحصر الذي يراد به تخصيص موصوف بصفة، حيث جاءت هذه العلاقة في موضعين:

¹ - التحرير والتنوير، 105/12.

- قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ) سورة العنكبوت/47.

قال أبو السعود (ت982هـ): " (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا { عِبَّرَ عَنِ الْكِتَابِ بِالْآيَاتِ لِلتَّبْيِيهِ عَلَى ظُهُورِ دَلَالَتِهَا عَلَى مَعَانِيهَا وَعَلَى كَوْنِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأُضِيفَتْ إِلَى نَوْنِ الْعِظَمَةِ لِمَزِيدِ تَفْخِيمِهَا وَغَايَةِ تَشْنِيعِ مَنْ يَجْحَدُ بِهَا، { إِلَّا الْكَافِرُونَ } الْمَتَوَعِّلُونَ فِي الْكُفْرِ الْمَصْمُومُونَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَصُدُّهُمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِيمَا يُؤَدِّيهِمْ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِّقَتِهَا، وَقِيلَ: هُمْ كَعَبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابِهِ¹ ".²

قال ابن عاشور: " فالتعريف في { الكافرون } للدلالة على معنى الكمال في الوصف المعرف، أي إلا المتوغلون في الكفر الراسخون فيه، ليظهر وجه الاختلاف بين { ما يجحد } وبين { الكافرون }، إذ لولا الدلالة على معنى الكمال لصار معنى الكلام: وما يجحد إلا الجاحدون³ ".³

فهذه الآيات من الوضوح والاستقامة بحيث لا ينكرها إلا من توغل في الكفر وأصر عليه إصراراً تاماً لا يرجع عنه، مهما ظهر له من دلالتها على كونها من عند الله تعالى، " وهذا حصر لمن كفر بالقرآن، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق، وإلا فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد. ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوباً، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد⁴ ".⁴

- قوله تعالى: (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) سورة لقمان/32.

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة حال الناس، عند ركوبهم البحر، وعلو الأمواج من حولهم كالسحب والجبال، أنهم يفزعون إلى الله ويخلصون الدعاء له وحده: { فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ } انقسموا فريقين:

فريق مقتصد، قال ابن كثير (ت774هـ): " قال ابن زيد: هو المتوسط في العمل. وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } [فاطر: 32]، فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضاً، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من

¹ - قال الخازن (ت741هـ) في تفسيره: " وذلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا، والجحود إنما يكون بعد المعرفة " (باب التأويل في معاني التنزيل، 3/382).

² - تفسير أبي السعود، 43/7.

³ - التحرير والتنوير، 9/21.

⁴ - تفسير السعدي، ص: 633.

الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه، والله أعلم.¹

وفريق يجحد وينكر آيات الله بمجرد زوال الخطر وعودة الرخاء، ولهذا قال: { وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ }، فالآية حصرت الجحود في الختار الكفور، قال ابن عطية (ت542هـ): " والختار القبيح الغدر، وذلك أن نعم الله تعالى على العباد كأنها عهود ومن يلزم عنها أداء شكرها، فمن كفر ذلك وجد به فكأنه ختر وخان، ومن «الختار» قول عمرو بن معدي كرب: وإنك لو رأيت أبا عمير ... ملأت يديك من غدر وختر."²

وقال سيد قطب: " والختار الشديد الغدر، والكفور الشديد الكفر؛ وهذه المبالغة الوصفية تليق هنا بمن يجحد آيات الله بعد هذه المشاهد الكونية، ومنطق الفطرة الخالص الواضح المبين."³

المطلب الثامن: الكفر والاستكبار

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والاستكبار:

ورد لفظ الكفر مقترناً بلفظ الاستكبار في ستة عشر موضعاً (16) في القرآن الكريم⁴، ولفظ التكبر في ثلاثة مواضع (3)⁵، ولا يوجد اقتران للفظين في الحديث النبوي.

2- مفهوم الاستكبار لغة واصطلاحاً:

تدور مادة (كبر) في المعاجم اللغوية حول معنى خلاف الصغر: قال ابن فارس (ت395هـ): " الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر. يقال: هُوَ كَبِيرٌ، وَكُبَارٌ، وَكُبَارٌ، قال الله تعالى: { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا } [نوح: 22]"⁶.

وفرق علماء اللغة بين كبر بالفتح والكسر، وكبر بالضم، فالصيغة الأولى تدل التقدم في السن، قال ابن دريد (ت321هـ): " والكِبَر ضد الصَّغَر. كَبَر يَكْبُرُ كِبَرًا إِذَا أَسْنُ"⁷. وأما كَبُر بالضم فتدل على المشقة

¹ - تفسير ابن كثير 351/6.

² - تفسير ابن عطية 355/4-356.

³ - تفسير الضلال، 5/2797.

⁴ - سورة البقرة/34، سورة الأعراف/75، سورة النحل/22-23 (مرتان)، سورة سبأ/31-32-33 (ثلاث مرات)، سورة فاطر/43، سورة ص/74-75 (مرتان)، سورة الزمر/59، سورة فصلت/15، سورة الجاثية/31، سورة الأحقاف/10-20 (مرتان).

⁵ - سورة النحل/29، سورة الزمر/72، سورة غافر/76.

⁶ - معجم مقاييس اللغة، مادة (كبر) 153/5.

⁷ - جهمرة اللغة، مادة (كبر) 327/1، الرازي، مختار الصحاح، مادة (كبر)، ص 586، الفيروزبادي، القاموس المحيط، مادة (كبر) ص: 468.

وعلى علو المنزلة، يقال: كَبُرَ الأمر، وخطب كبير. وكبر عليّ ذلك: إذا شقّ عليك ¹، ومنه قوله تعالى قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ كَبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ) سورة الأنعام/35، أي صعب وشقّ ²، " وَإِذَا أَرَدْتَ عَظَمَ الشَّيْءِ وَالْأَمْرِ قُلْتَ: كَبُرَ يَكْبُرُ كِبَرًا" ³ "وَكَبُرَ بِالضَّمِّ يَكْبُرُ، أي عَظُمَ، فهو كَبِيرٌ وَكُبَارٌ" ⁴. و" كبر الرجل في قدره، وكبر في سنّه" ⁵.

أما صيغة "استكبر" فمشتقة من كَبُرَ بالضم - بدلالة العظمة - على وزن استفعل بزيادة الألف والسين والتاء، بمعنى " تكبر"، حيث أن صيغة استفعل توافق في أحد معانيها " تفعل"، قال أبو حيان في تفسيره لقوله تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) سورة البقرة/34: " الاستكبار والتكبر: وهو مما جاء فيه استفعل بمعنى تفعل، وهو أحد المعاني الإثني عشر التي جاءت لها استفعل" ⁶. ويقال: استكبر الشيء: رآه كبيراً وعظم عنده ⁷، والتكَبَّرُ والاستِكْبَارُ: التعظم ⁸. والكِبَرُ: العَظَمَةُ والتَّجَبُّرُ ⁹، والكِبَرِيَاءُ: اسمٌ للتَّكَبُّرِ والعَظَمَةِ ¹⁰.

وفي الاصطلاح، نجد أن ألفاظ الاستكبار والكبر والتكبر متقاربة من حيث المعنى، يقول الراغب في مفرداته: " والكِبَرُ والتَّكَبُّرُ والاستِكْبَارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التَّكَبُّرُ: التَّكَبُّرُ على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة.

والاستِكْبَارُ يقال على وجهين:

أحدهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن. وهو ما قال تعالى: (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ) [البقرة/34] . (فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) [الأعراف/133] نبّه بقوله:

¹ - أساس البلاغة، مادة (كبر)، 119/2.

² - السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 365/3.

³ - الأزهرى، تهذيب اللغة ، مادة (كبر) 121/10.

⁴ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (كبر) 801/2 وانظر لسان العرب، مادة (كبر) 125/5.

⁵ - أساس البلاغة، مادة (كبر) 119/2.

⁶ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 245/1.

⁷ - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ، مادة (كبر)، 11/7، لسان العرب، مادة (كبر)، 125/5..

⁸ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (كبر) 801/2.

⁹ - الزبيدي، تاج العروس، مادة (كبر) 8/14.

¹⁰ - الفراهيدي، العين، مادة (كبر) 361/5.

(فَاسْتَكْبَرُوا) على تكبرهم وإعجابهم بأنفسهم، وتعظمهم عن الإصغاء إليه، ونبه بقوله: (وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) أنّ الذي حملهم على ذلك هو ما تقدّم من جرمهم، وأنّ ذلك لم يكن شيئاً حدث منهم بل كان ذلك دأبهم قبل.¹

أما مفهوم الاستكبار في القرآن الكريم فهو " إحساس وهمي بالعظمة، يوصف به الشيطان والإنسان، يدفعهما الى الامتناع عن قبول دعوة الحق "².

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والاستكبار:

✓ عطف الكفر على الاستكبار:

جاء هذا العطف في ثلاثة مواضع، وهي:

- قوله عز وجل في سياق إخباره أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجود تحية إكراماً له وإظهاراً لفضله، فأطاعوا جميعاً إلا إبليس امتنع عن السجود تكبراً وحسداً: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) سورة البقرة/34.

ففي هذه الآية جاءت " جملة { أبى واستكبر } استئنافاً بيانياً، وجملة { وكان من الكافرين } معطوف على الجمل المستأنفة "³.

- ومثله قوله عز وجل: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } سورة ص/71-74

- قوله تعالى في سياق رده سبحانه على الكافر - يوم القيامة حين يتحسر على تفريطه في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المطيعين لله عز وجل - بأنه كذب رسوله صلى الله عليه وسلم، واستكبر عن سماع آيات الله وعن اتباعها، وكان في الدنيا من الكافرين: { وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } سورة الزمر/54-59

¹ - المفردات، مادة (كبر) ص: 697، وانظر كذلك عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، مادة (كبر) 367/3.

² - مصطفى أوعيشة، مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم، ص: 32.

³ - التحرير والتنوير، 1 / 426.

✓ علاقة الإسناد: إسناد الكفر إلى المستكبرين

وذلك في قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام مع قومه: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } سورة الأعراف/75-76

✓ إسناد الأمر بالكفر إلى المستكبرين:

وذلك في قوله تعالى في سياق الإخبار عن تمادي الكفار في عنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن، وما أخبر به من أمر المعاد عن مواقف المستكبرين والمستضعفين الدليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَقْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } سورة سبأ/31-33

✓ تعليل عذاب الكفار الأخرى باستكبارهم:

جاء ذلك في سياق إخبار الله عن تقريع وتوبيخ الكفار على انشغالهم بملذات الدنيا عن العمل للآخرة، وتعليل استحقاقهم العذاب باستكبارهم عن اتباع الحق، وتعاطيهم الفسق والفجور: { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ } سورة الأحقاف/20.

المبحث الثاني: علاقات التداخل

الكفر في القرآن الكريم مفهوم عقدي قدحي ذو معنى كبير يندرج تحته كثير من المفاهيم العقدية الكبرى تشكل مجموعها أسرة مفهومية تحمل دلالة واحدة وهي: التكب عن صراط الله المستقيم والسير في سبل الغواية والضلال. (أنظر جدول نسب المفاهيم المتداخلة مع مفهوم الكفر في القرآن والحديث حسب الإحصاء الذي توصلت إليه: ص: 109-111)

المطلب الأول: الكفر والظلم

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والظلم:

من المفاهيم الأكثر حضوراً في سياقات حديث القرآن عن الكفر نجد مفهوم الظلم، حيث اقترنا معاً في أربعة وخمسين موضعاً (54)¹، أما في نصوص الحديث فلم يرد لهما أي اقتران في الكتب التسعة. وقبل تحليل نماذج من الآيات موارد التعالق بين لفظي الكفر والظلم نقدم تعريفاً لمفهوم الظلم كالتالي:

2- مفهوم الظلم لغة واصطلاحاً:

قال ابن فارس (ت395هـ): " الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه "²، وعن هذا الأصل قال الأزهري (ت370هـ) " يقال: ظلمه يظلمه ظلماً... ومن أمثال العرب في الشبه: من أشبه أباه فما ظلم. قال الأصمعي: ما ظلم، أي ما وضع الشبه في غير موضعه، قال: وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه."³ ومن معانيه :

¹ - سورة البقرة/193-254-258، سورة آل عمران/57-128-140-151، سورة النساء/160-168، سورة المائدة/72، سورة الأنعام/129، سورة الأعراف/37-44، سورة الأنفال/54، سورة التوبة/23-47، سورة يونس/85، سورة هود/18(مرتان) - 67، سورة إبراهيم/13-34، سورة النحل/28-113، سورة الإسراء/99، سورة الكهف/29-57، سورة مريم/38، سورة الأنبياء/97، سورة الحج/25-45-71، سورة المؤمنون/27-41، سورة الفرقان/4-8-27، سورة النمل/44، سورة القصص/50، سورة العنكبوت/49-68، سورة سبأ/31، سورة فاطر/37-40، سورة الزمر/32، سورة الأحقاف/10-12، سورة الذاريات/59، سورة الطور/47، سورة الحشر/17، سورة الصف/7، سورة التحريم/11، سورة نوح/24-28.

² - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ظلم) 468/3.

³ - تهذيب اللغة، مادة (ظلم) 274/14.

- الجور ومجاوزة الحد¹، وهو لا يخرج عن انتقاص المستحق؛ فالجور على حقوق الناس هو منع لهم من حقوقهم².
- الميل عن القصد³.

ومن هذه المعاني أخذ المعنى الاصطلاحي للظلم، فقال الراغب (ت502هـ): " قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: (إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان/13] ، وإياه قصد بقوله: (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود/18] والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ) إلى قوله: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الشورى/ 40

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) [فاطر/32].

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فإذا الظالم أبدا مبتدئ في الظلم، ولهذا قال تعالى في غير موضع: (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) سورة النحل/33⁴.

واشتهر إطلاق ظلم النفس في القرآن على الكفر وعلى المعصية⁵.

وبهذا المعنى فمفهوم الظلم يتضمن مفهوم الكفر كما يتضح في النماذج الآتية:

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والظلم:

عموما فإن الإطار العام للتعالق بين لفظي الكفر والظلم هو التداخل أي: العموم والخصوص: فكل كافر ظالم⁶، ويتجلى ذلك في الحالات/العلاقات التالية:

¹ - قال ابن الأثير (ت606هـ): " ومنه حديث الوضوء « فمن زاد أو نقص فقد أساء وظلم » أي أساء الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع، وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء " ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (ظلم)، 161/3، ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظلم)، 373/12.

² - محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م. 3/ 1370

³ - قال الأزهري: " وسمعتُ العَرَبَ يَقُولُ: أَلَزِمَ هَذَا الصَّوْبَ وَلَا تَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا، أَي لَا تُجْرِ عَنْهُ. " تهذيب اللغة، مادة (ظلم)، 14/ 276

⁴ - المفردات، مادة (ظلم)، ص: 537-538.

⁵ - التحرير والتنوير، 174/5.

⁶ - قال الشنقيطي (ت1393هـ): " وقد كثر إطلاق الظلم على الكفر في القرآن، كقوله: (إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان/13]، وقوله: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة/254]، وقوله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَاً مِنَ الظَّالِمِينَ) [يونس/ 106] ونحو ذلك من الآيات. و الظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق. " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 267/3.

وقال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى ب_آيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، فَظَلَمُوا بِهَا، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) سورة الأعراف/103:

علاقة تخصيص:

وردت هذه العلاقة بأسلوب الحصر - الذي يفيد التخصيص - في الجملة الإسمية، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} سورة البقرة/254.

واختلف المفسرون في تأويل قوله سبحانه: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) على قولين:

أحدهما: أن هذه العبارة لها متعلق بما سبق قبلها، فمن خلال سياق الآية يتضح أن الخطاب للمؤمنين بالنسبة إلى الإنفاق فرضاً ونفلاً، والمؤمن لا يوصف بالكفر، وعليه فإن لفظ (الكافرون) يمكن أن يفسر بمعنى: الذين ينكرون ويجحدون الزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم، قال الزمخشري (ت 538هـ): " (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون، فقال (وَالْكَافِرُونَ) للتغليظ، كما قال في آخر آية الحج (وَمَنْ كَفَرَ) [النور/55] مكان: ومن لم يحج، ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) [فصلت/6]"¹.

الثاني: أن الواو للاستئناف²، قال الألوسي (ت 1270هـ): "وبعضهم لم يتجاوز بالكفر وقال: إنه عبارة عن الكفر بالله تعالى حقيقة"³، وإلى هذا التوجيه ذهب الطبري (ت 310هـ)، قال: "وأما قوله: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) فإنه يعني تعالى ذكره بذلك: والجاحدون لله المكذبون به وبرسله (هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول: هم الواضعون جحودهم في غير موضعه، والفاعلون غير ما لهم فعله، والقائلون ما ليس لهم قوله"⁴.

"السياق يعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة مواجهة فرعون وملئه بالرسالة، ثم يعجل بالكشف عن خلاصة استقبالهم لها، كما يعجل بالإشارة إلى العاقبة التي انتهوا إليها. لقد ظلموا بهذه الآيات - أي كفروا وجحدوا - والتعبير القرآني يُكثر من ذكر كلمة «الظلم» وكلمة «الفسق» في موضع كلمة «الكفر» أو كلمة «الشرك».

وهذه من تلك المواضع التي يكثر ورودها في التعبير القرآني، ذلك أن الشرك أو الكفر هو أقبح الظلم، كما أنه كذلك هو أشنع الفسق. والذين يكفرون أو يشركون يظلمون الحقيقة الكبرى - حقيقة الألوهية وحقيقة التوحيد - ويظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلكة في الدنيا والآخرة. ويظلمون الناس بإخراجهم من العبودية لله الواحد إلى العبودية للطواغيت المتعددة والأرباب المتفرقة. وليس بعد ذلك ظلم، ومن ثم فالكفر هو الظلم «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» كما يقول التعبير القرآني الكريم. وكذلك الذي يكفر أو يشرك إنما يفسق ويخرج عن طريق الله وصراطه المستقيم إلى السبل التي لا تؤدي إليه - سبحانه - إنما تؤدي إلى الجحيم!

ولقد ظلم فرعون وملؤه بآيات الله: أي كفروا بها وجحدوا "في ظلال القرآن، 1344/3-1345

¹ - تفسير الزمخشري، 1/299.

² - محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص، دار اليمامة، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ، 1/380.

³ - الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، 6/2.

⁴ - تفسير الطبري، 5/384.

وقال ابن كثير (ت774هـ): " وقوله: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) مبتدأ محصور في خبره أي: ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا. وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولم يقل: والظالمون هم الكافرون ¹."

وجه هذا القول: أن للعرب أساليب بلاغية في الكلام، فمن هذه الأساليب أنه إن كان المبتدأ معرفة والخبر معرفة أفاد ذلك الحصر، فلفظ (الكافرون) هو المبتدأ و (الظالمون) هو الخبر²، وكلاهما معرف بآل التعريف، فأفاد ذلك الحصر³، أما (هم) فهو ضمير الفصل⁴.

قال ابن عاشور (ت1393هـ): " ولك أن تجعله قصرا حقيقيا، لأن ظلمهم لما كان أشد الظلم جعلوا كمن انحصر الظلم فيهم. والمراد بالكافرين ظاهرا المشركون، وهذا من بدائع بلاغة القرآن⁵."

وعلى الشيخ السعدي (ت1376هـ) إطلاق هذا الوصف (الظلم) عليهم قائلا: " وذلك لأن الله خلقهم لعبادته، ورزقهم، وعافاهم ليستعينوا بذلك على طاعته، فخرجوا عما خلقهم الله له، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، واستعانوا بنعمه على الكفر، والفسوق، والعصيان، فلم يبقوا للعدل موضعا، فلهذا حصر الظلم المطلق فيهم⁶."

وبين سيد قطب (ت1385هـ) مظاهر ظلم الكافرين فقال: " ظلموا الحق فأنكروه، وظلموا أنفسهم فأوردوها موارد الهلاك، وظلموا الناس فصدوهم عن الهدى وفتنهم عن الإيمان، وموهوا عليهم الطريق، وحرموهم الخير الذي لا خير مثله: خير السلم والرحمة والطمأنينة والصلاح واليقين.

¹ - تفسير ابن كثير، 1/ 671.

² - قال أبو جعفر النحاس (ت338هـ): " وَالْكَافِرُونَ ابتداء. هُمُ ابتداء ثان. الظَّالِمُونَ خبر الثاني وإن شئت كانت «هم» زائدة للفصل والظالمون خبر الكافرون. " أبو جعفر النحاس النحوي، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ، 1/ 125.

³ - قال بهاء الدين السبكي (ت773هـ) " والقصر: هو الحصر، وهو تخصيص أمر بآخر بإحدى الطرق الأربع ...، وهو يجرى بين الفعل والفاعل، وبين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والظرف والحال وغيرها.. وهو منقسم بالاستقراء إلى قصر حقيقي، وقصر غير حقيقي، أي: مجازي... وكل واحد من هذين ينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف... والثاني من الحقيقي: قصر الصفة على الموصوف، وهو يجرى كثيرا بين المبتدأ والخبر " بهاء الدين السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، 1/ 393-394.

⁴ - قال الدكتور فاضل السامرائي: " ضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، واشترط الجمهور أن يكون الأول معرفة، وأما الثاني فمعرفة، أو كالمعرفة... ولوجوده في الكلام أغراض وفوائد أهمها: 1 - الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع.. منه قوله: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: 254]، فلو حذف لاحتمل أن يكون (الظالمون) نعتا، والخبر محذوفا. 2 - الاختصاص والقصر: قد يأتي ضمير الفصل للدلالة على القصر " فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 1/ 47-48.

وجاء في (الكشاف) للزمخشري 1/ 46، في قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 5]. " و (هم) فصل، وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره. " أي للقصر.

⁵ - التحرير والتنوير، 3/ 16.

⁶ - تفسير السعدي، ص: 953.

إن الذين يحاربون حقيقة الإيمان أن تستقر في القلوب؛ ويحاربون منهج الإيمان أن يستقر في الحياة؛ ويحاربون شريعة الإيمان أن تستقر في المجتمع . . إنما هم أعدى أعداء البشرية وأظلم الظالمين لها ¹. إذن نستخلص من هذا التحليل أن الكافرين بالله هم الظالمون المستحقون لإطلاق هذا الوصف عليهم لنتاهي ظلمهم كما قال تعالى: (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) سورة لقمان/13؛ ويظهر هذا التعظيم في عدة مواضع من القرآن الكريم، يقول سبحانه: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) سورة الأنعام/21.

كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أعظم الظلم أن تجعل الله نداً وهو خلقك²؛ فهذا يدل على أن الشرك - الذي هو كفر - أعظم الذنوب، حيث يصرف الكافر العبادة - التي يتعين أن تكون لله - إلى مخلوق مثله. ومن ثمة فالتداخل واضح بشكل جلي بين مفهومي الظلم والكفر، فالظلم - بما هو وضع الشيء في غير موضعه - معنى عام يندرج تحته معنى الكفر، وبذلك تتضح العلاقة بين المفهومين بحيث تصبح علاقة عام بخاص، إذ يعتبر الكفر نوعاً من الظلم.

علاقة التعاطف (عطف الظلم على الكفر):

وردت هذه العلاقة في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لَهُمْ فِيهِمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } سورة النساء/168-169، فالآية أخبرت أن هؤلاء الكفار جمعوا بين فعلين: الكفر والظلم، " وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه، والمراد بالظلم هنا أعمال الكفر والاستغراق فيه " ³.

وقال البغوي (ت516هـ): " قيل: إنما قال "وظلموا" - مع أن ظلمهم بكفرهم - تأكيداً " ⁴.

وذكر القرطبي (ت671هـ) أن المخاطبين في الآية هم اليهود، جمعوا بين ثلاثة أنواع من الظلم، فقال: " ظلموا محمداً صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته، وأنفسهم إذ كفروا، والناس إذ كتموهم. " ⁵

وقال ابن عاشور (ت1393هـ): " عطفُ الظلم على الكفر في قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا) إمّا أن يراد به ظلم النفس، وظلم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وذلك اللائق بأهل الكتاب؛ وإمّا أن يراد به الشرك، كما هو شائع في استعمال القرآن كقوله: { إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان/13]، فيكون من

¹ - في ظلال القرآن، 1/ 285.

² - كما جاء في الصحيح من حديث ابن مسعود قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: " أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل الله نداً وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: « وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك ». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حيلة جارك» صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى: { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: 22] رقم الحديث 4207، 4/ 1626.

³ - تفسير السعدي، ص: 215.

⁴ - تفسير البغوي، 313/2.

⁵ - تفسير القرطبي، 20/6.

عطف الأخص على الأعم في الأنواع؛ وإمّا أن يراد به التعدي على الناس، كظلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بإخراجه من أرضه، وتأليب الناس عليه، وغير ذلك، وظلمهم المؤمنين بتعذيبهم في الله، وإخراجهم ومصادرتهم في أموالهم، ومعاملتهم بالنفاق والسخرية والخداع؛ وإمّا أن يراد به ارتكاب المفسد والجرائم ممّا استقرّ عند أهل العقول أنّه ظلم وعدوان¹.

قال الشوكاني: " ويجوز الحمل على جميع هذه المعاني²."

وبهذا البيان يظهر التداخل بين مفهوم الكفر ومفهوم الظلم من باب عطف الخاص على العام كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور، أو عطف العام على الخاص من باب أن الكفر - عند إطلاق الظلم - يدخل فيه.

المطلب الثاني: الكفر والشرك

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والشرك:

اقترن لفظ الكفر بلفظ الشرك في ثلاثين (30) موضعاً³ من القرآن الكريم⁴، وفي الحديث النبوي في خمسة مواضع (5)، وجاء ذلك في تراكيب متنوعة، وقبل إيراد نماذج من النصوص موارد التعالق، نقدم تعريفاً لمفهوم الشرك.

2- مفهوم الشرك لغة واصطلاحاً:

الشرك، بالتخفيف أي بإسكان الراء، أغلب في الاستعمال، يكون مصدراً واسماً، تقول: شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركاً، بكسر الأول وسكون الثاني، ويأتي: شركة، بفتح الأول وكسر الثاني فيها. ويقال: أشركته: أي جعلته شريكاً⁵.

وبناء على هذه الاشتقاقات يطلق لفظ الشرك على المعاني الآتية:

1- المشاركة والمصاحبة والمخالطة:

قال ابن فارس (ت395هـ): " الشَّرْكَةُ: وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه¹."

¹ - التحرير والتنوير، 47/6.

² - تفسير الشوكاني، 1/ 622.

³ - سورة البقرة/105-191، سورة آل عمران/151، سورة المائدة/72، سورة الأنعام/88-121، 89-122، سورة التوبة/1-30، 17-2، 31، سورة يوسف/37-38، سورة الرعد/33، سورة النحل/22-23، سورة الكهف/37-38، سورة المؤمنون/117، سورة النور/55، سورة القصص/86-87، سورة سبأ/33، سورة فاطر/39-40.

⁴ - واقترن الكفر بلفظ الأنداد في أربعة مواضع (4) من القرآن الكريم، والأنداد جمع ندّ، والندّ: العِدْلُ والمِثْل كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

⁵ - الجوهري، الصحاح، مادة (شرك) 4/ 1593 - 1594، والفريسي المقري، المصباح المنير، مادة (شرك) 1/ 311، بتصرف.

وقال الراغب: "الشَّرْكَةُ والمُشَارَكَةُ: خلط الملكين"².

2- النصيب :

قال الأزهري: " والأشراك أيضا جمع الشرك، وهو النصيب"³.

3- المصاهرة:

قال الخليل: " وتقول لأم المرأة: هذه شريكتي، وفي المصاهرة تقول: رغبتنا في شريككم وصهركم"⁴.

4- ويطلق أيضاً على التسوية:

قال ابن منظور: " وطريق مشترك: يستوي فيه الناس. واسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة كالعين ونحوها فإنه يجمع معاني كثيرة "⁵

الشرك في الاصطلاح:

أما استعمال القرآن لمادة الشرك، فهي تفصح عن موافقتها لأصل المعنى اللغوي، حيث جعله الراغب على قسمين، فقال: " وشرك الإنسان في الدين ضربان:

أحدهما: الشرك العظيم، وهو: إثبات شريك لله تعالى. يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) [النساء/48]، وقال: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [سورة النساء/116].

والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الأعراف/190]... ومن هذا ما قال صلى الله عليه وسلم: « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا »⁶ " ⁷.

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية "⁸.

¹ - مقاييس اللغة، مادة (شرك)، 265/3.

² - المفردات، مادة (شرك) ص 451.

³ - تهذيب اللغة، مادة (شرك)، 13/10.

⁴ - معجم العين، مادة (شرك) 293 / 5 ، وقال الأزهري: " وسمعت بعض العرب يقول: فلان شريك فلان إذا تزوج بابنته أو بأخته، وهو الذي يسميه الناس: الختن. " تهذيب اللغة، مادة (شرك)، 13/10.

⁵ - لسان العرب، مادة شرك، 449/10.

⁶ - الحديث بتمامه أخرجه البخاري في الأدب المفرد بسنده عن معقل بن يسار يقول : انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر، قال النبي صلى الله عليه و سلم: " والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره، قال: قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم " الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، رقم الحديث 716، ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة ، 1409 - 1989، وصححه الألباني. ص: 205.

⁷ - المفردات، ص: 452.

⁸ - تفسير السعدي، ص: 279.

ويمكن القول: " أن الشرك حقيقته في اتخاذ الند مع الله، سواء كان هذا الند في الربوبية أو الألوهية "¹. وقد نهى الله تعالى عن اتخاذ الأنداد معه بأي وجه من الوجوه فقال: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) سورة البقرة/22 ، قال الطبري(ت310هـ): " والأنداد جمع نَدٍّ، والنَّد: العِدْلُ والمِثْل...وكل شيء كان نظيراً لشيء وله شبيهاً فهو له ند "².

فأصل الشرك وحقيقته إذن إنما هو في التشبه والتشبيه، قال ابن القيم(ت751هـ): " حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به... فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية."³

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والشرك:

إن المتأمل في نصوص القرآن الكريم يلاحظ نوعاً من التداخل بين مفهومي الكفر والشرك في كثير من الموارد القرآنية، غير أن من العلماء من لم يفرق بينهما، ومنهم من فرق بينهما بأن جعل بينهما عموماً وخصوصاً، قال الإمام النووي(ت676هـ): " الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم."⁴

ومن بين الآيات الصريحة في دخول معنى الشرك في معنى الكفر النصوص التالية :

- قوله تعالى: { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } سورة البينة/1.

قال الشنقيطي: " ذكر هنا الذين كفروا، ثم جاءت من، وجاء بعدها أهل الكتاب والمشركون، مما يشعر بأن وصف الكفر يشمل كلاً من أهل الكتاب والمشركون، كما يشعر مرة أخرى أن المشركون ليسوا من أهل الكتاب لوجود العطف، وأن أهل الكتاب ليسوا من المشركون . وهذا المبحث معروف عند المتكلمين وعلماء التفسير، واتفقوا على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وأن المشركون هم عبدة الأوثان، والكفر يجمع القسمين . "⁵

¹ - أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، 1/121

² - تفسير الطبري، 1/368.

³ - ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، ص: 136.

⁴ - شرح النووي على صحيح مسلم، 2/71.

⁵ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 9/39.

- قوله عز وجل: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } سورة البقرة/105.

ذهب أكثر المفسرين إلى أن حرف الجر " من " في قوله (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) لبيان الجنس¹، وأن لفظ " المشركين " معطوف على " أهل الكتاب " فيكون بذلك لفظ الكافرين يشمل أهل الكتاب والمشركين، فقال الطبري (ت310هـ): " وأما "المشركين" فإنهم في موضع خفض بالعطف على " أهل الكتاب ". ومعنى الكلام: ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم.² وقال أبو جعفر النحاس (ت338هـ): " «المشركين» معطوف على أهل³، وقال أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ): "المعنى: ولا من المشركين⁴."

وقال ابن عطية (ت542هـ): " التقدير: ولا من المشركين، وعم الذين كفروا، ثم بين أجناسهم من اليهود والنصارى وعبد الأوثان.⁵

وقال الزمخشري (ت538هـ): " « مِنْ » الأولى للبيان، لأنَّ « الذين كفروا » جنس تحته نوعان: أهل الكتاب، والمشركون؛ كقوله تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) سورة البينة/1⁶، البينة/1⁶، وهو ما ذهب إليه الرازي⁷ والبيضاوي⁸، وأبو السعود⁹ (ت982هـ).

وقد يجتمع الكفر والشرك في شخص أو طائفة من وجه عام أو خاص كحال النصارى، فقد جمعوا بين الكفر بجحودهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والشرك بعبادة عيسى، قال ابن احزم (ت456هـ): " النصارى شركهم أظهر وأشهر من أن يجهله أحد، لأنهم يقولون كلهم بعبادة الأب والإبن وروح القدس، وأن المسيح إله حق¹⁰، فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركا، فالكفر أعم من الشرك بهذا الاعتبار، فبينهما إذن نوع من التداخل.

¹ - وقيل ب " أنها للتبويض، فتكون هي ومجروها في محل نصب على الحال، وتعلق بمحذوف أي: ما يودّ الذين كفروا كائنين من أهل الكتاب " ابن عادل الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، 2/ 362.

² - تفسير الطبري، 2/ 470.

³ - إعراب القرآن للنحاس، 1/ 73.

⁴ - أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م، 1/ 188.

⁵ - تفسير ابن عطية، 1/ 190.

⁶ - تفسير الزمخشري، 1/ 175.

⁷ - تفسير الرازي، 3/ 636.

⁸ - تفسير البيضاوي، 1/ 99.

⁹ - تفسير أبي السعود، 1/ 141-142.

¹⁰ - ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة، 3/ 124، وقال أيضا مقرا صحة الشرك والتشريك في القرآن من اليهود والنصارى وأنهم مشركون مستدلا بقوله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } سورة التوبة/31، قال: " فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم

وذهب ابن حزم(ت456هـ) إلى التسوية وعدم التفريق بين المفهومين، فقال: " كل كفر شرك، وكل شرك كفر، وأنهما اسمان شرعيان أوقعهما الله تعالى على معنى واحد... فقد صح أنهما اسمان نقلهما الله تعالى عن موضوعهما في اللغة إلى كل من أنكر شيئاً من دين الله الإسلام، يكون بإنكاره معانداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بلوغ النذارة إليه، وبالله تعالى التوفيق."¹

ويؤيد ما ذهب إليه ابن حزم ورود عدة آيات أطلق الله فيها على الكافر أنه مشرك وعلى المشرك أنه كافر، كقوله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) سورة المؤمنون/117، فالآية تذكر دعاء غير الله وهذا شرك، وقد سماه القرآن كفراً. وقوله تعالى في سورة التوبة: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) سورة التوبة/32-33، فسماهم كفاراً و مشركين، فدل ذلك على أن الكافر يسمى مشركاً، والمشرك يسمى كافراً.

والحاصل أن الكفر في مدلوله الخاص يدل على تكذيب ما يجب الإيمان به ومقتضياته، والشرك يدل على معنى العبادة والتقرب لغير الله، والمشرك في الحقيقة كافر لأنه أنكر شيئاً من حق الله وعبادته وصرفها لغيره، والكافر أيضاً قد يكون مشركاً وقد لا يكون مشركاً، وذلك مثل الملحد الذي ينكر وجود الرب ولا يتخذ معبوداً، قال الأزهري(ت370هـ): " وروي عن عبد الملك أنه كتب إلى سعيد بن جبير يسأله عن الكفر، فقال: الكفر على وجوه، فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلهاً آخر، وكفر بكتاب الله ورسوله، وكفر بادعاء ولد لله، وكفر مدعي الإسلام، وهو أن يعمل أعمالاً بغير ما أنزل الله: يسعى في الأرض فساداً ويقتل نفساً محرمة بغير حق، ثم نحو ذلك من الأعمال "².

وقال الكفوي(ت1094هـ): " ومن ينكر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً فهو كافر لا مشرك "³.

علاقة التعاطف:

✓ عطف الشرك على الكفر(عطف الخاص على العام):

هذه العلاقة وردت في ثلاثة مواضع:

ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباباً من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف " الفصل في الملل والأهواء والنحل، 3/ 125، والشرك في النصارى أظهر منه في اليهود وأكثر، كما قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } سورة المائدة/72.

¹ - ابن حزم ، المحلى بالآثار، 3/165-166.

² - تهذيب اللغة، مادة (كفر) 10/111.

³ - الكليات، ص: 765.

- في سياق أمر المستكبرين الضعفاء بالكفر بالله وجعل الشركاء له وذلك في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة سبأ/33

قال الطبري(ت310هـ): " وقوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول: شركاء.¹، فجملة (ونجعل) معطوفة على (نكفر).

- وقوله تعالى في سياق استنكار مؤمن آل فرعون دعوة قومه له للكفر والشرك بالله وهو يدعوهم إلى توحيد الله: (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ) سورة غافر/41-42، ففي هذه الآية عطف للشرك على الكفر، وفسر الرازي(ت606هـ) هذا العطف بقوله: " لما ذكر هذا المؤمن أنه يدعوهم إلى النجاة وهم يدعونه إلى النار، فسّر ذلك بأنهم يدعونه إلى الكفر بالله وإلى الشرك به، أما الكفر بالله: فلأن الأكثرين من قوم فرعون كانوا ينكرون وجود الإله، ومنهم من كان يقر بوجود الله إلا أنه كان يثبت عبادة الأصنام، وقوله تعالى: (وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) المراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكاً للإله؟².

- وقوله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) سورة إبراهيم/28-30.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا): " عطف على (بَدَّلُوا) و (أَحَلُّوا)، فالضمير راجع إلى (الذين) وهم أئمة الشرك. والجعل يصدق باختراع ذلك كما فعل عمرو بن لحي وهو من خُرَاعَة. ويصدق بتقرير ذلك ونشره والاحتجاج له، مثل وضع أهل مكة الأصنام في الكعبة ووضع هُبَل على سطحها³.

نلاحظ إذن من خلال هذه النصوص علاقة التداخل الحاصل بين مفهومي الكفر والشرك، وهذا من باب عطف الخاص على العام.

✓ عطف الكفر على الشرك (عطف العام على الخاص):

¹ - تفسير الطبري، 20 / 408.

² - تفسير الرازي، 27 / 519.

³ - التحرير والتنوير، 13 / 230.

وقد ورد كذلك عطف الكفر على الشرك في الحديث النبوي الذي أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »¹.

قال النووي(ت676 هـ): " هكذا هو في جميع الأصول من صحيح مسلم الشرك والكفر بالواو، وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الأصبهاني أو الكفر، ب (أو)، ولكل واحد منهما وجه، ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل، بل دخل فيه، ثم إن الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم"².

وقال ابن علان بن إبراهيم البكري(ت1057هـ): " الشرك والكفر من عطف العام على الخاص، فالشرك أن يعبد مع الله غيره من صنم أو نحوه، والكفر فعل ذلك وغيره من المكفرات"³. وعلى هذا فعطف الكفر على الشرك في رواية مسلم عطف عام على خاص، وبذلك فالعلاقة الرابطة بين المفهومين هي علاقة تداخل.

تعلييل الشرك بالكفر:

هذه العلاقة وردت في قوله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سورة العنكبوت/ 65-66، قال البغوي: " والمعنى لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة."⁴

وقال ابن كثير: " هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة؛ لأنهم لا يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهي لام التعلييل "⁵.

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم الحديث 82، 88/1، وأخرجه كذلك محمد بن نصر بن المزوري(ت294هـ) في كتابه تعظيم قدر الصلاة، باب ذكر إكفار تارك الصلاة، رقم الحديث 886، 873/2..

² - شرح النووي على صحيح مسلم، 71/2.

³ - محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى به: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1425هـ - 2004م، 6/ 563.

⁴ - تفسير البغوي، 6/ 255.

⁵ - تفسير ابن كثير، 6/ 295.

المطلب الثالث: الكفر والنفاق

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والنفاق:

من المفاهيم المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الكفر نجد مفهوم النفاق، حيث اقترن هذا المفهوم بالكفر اقتراناً الخاص بالعام في ثمانية عشر (18) موضعاً من القرآن الكريم¹، وفي الحديث النبوي في ستة مواضع (6). وجاء ذلك في سياقات مختلفة، وقبل إيراد نماذج من النصوص موارد التعالق، نقدم تعريفاً لمفهوم النفاق.

2- مفهوم النفاق لغة واصطلاحاً:

اختلف علماء اللغة في أصل النفاق على ثلاثة أقوال²، جمعها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328هـ) في كتابه "الزاهر في معاني كلمات الناس" حيث قال: "قال أبو عبيد³: إنما قيل له منافق لأنه نافق كاليربوع⁴، يقال: قد نافق اليربوع ونفق إذا دخل نافقاً⁵، قال: وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طُلب من النافق قَصَعَ فخرج من القاصعاء، وإذا طلب من القاصعاء نَفَقَ فخرج من النافق، قال: فقل له منافق لأنه يخرج من الإسلام من غير الوجه الذي دخل منه. وقال آخرون: المنافق مأخوذ من النفق⁶، وهو السرب، أي يتستر بالإسلام كما يتستر الرجل في السرب، قال الله عز وجل: (فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ) سورة الأنعام/35 أي سرباً في الأرض.

¹ - سورة البقرة/17-18-19، سورة آل عمران/167، سورة النساء/88-89، 138-140، 139، سورة المائدة/41، سورة

التوبة/66، 68، 97، 99، 73، سورة الأحزاب/23، 48، 24، سورة الحديد/15، سورة الحشر/11، سورة المنافقون/1-2-3، سورة التحريم/9

² - أنظر كذلك: الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د زبيدة محمد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415 - 1995، ص 425.

³ - أنظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، مادة (نفق) 13/3.

⁴ - أنظر كذلك: مجمل اللغة لابن فارس (ت 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م، 877/1.

⁵ - قال ابن دريد (ت 321هـ): "القاصعاء والنافق، وهما جحران من جحر اليربوع، فالقاصعاء: ما قَصَعَ فِيهِ، أي دَخَلَ فِيهِ، والنافق: ما خرج منه". جمهرة اللغة، (باب فاعلاء ممدود)، 3/ 1229.

⁶ - قال ابن دريد: "والنفق: السرب في الأرض وكذا فُسِّرَ فِي التَّنْزِيلِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ) سورة الأنعام/35، والله أعلم. وسُمِّيَ نافقاً اليربوع من هَذَا لِأَنَّهُ يَنْفُقُ فِيهِ، أي يَدْخُلُ فِيهِ، وَقَالَ قوم: يخرج منه، ومنه اشتقاق الْمُنَافِقِ لِخُرُوجِهِ عَنِ الدِّينِ، وَالِاسْمُ النَّفَاقُ ". جمهرة اللغة، مادة (فقق) 2/ 967.

وقال قوم: المنافق مأخوذ من النافقاء¹، وهو جُرْ يخرقه اليربوع من داخل الأرض، فإذا بلغ إلى جلدة الأرض أرقَّ التراب، حتى إذا رابه رَبَب دفع التراب برأسه وخرج، فقليل للمنافق منافق: لأنه يُضمر غير ما يُظهر، بمنزلة النافقاء ظاهره غير بيّن وباطنه حفر في الأرض².

ومن أهل اللغة من جمع بين القول الأول والثالث في تأصيل واحد للنفاق ولم يفرق بينهما، منهم ابن فارس حيث قال: "والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي: خرج منه، ويقال: نفق اليربوع من جحره، قالوا: ومنه اشتقاق النفاق لأن الإيمان يخرج من قلبه، أو يخرج هو من الإيمان³."

أما النفاق في الاصطلاح الشرعي فهو: القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد⁴، أو هو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفاً⁵ كما سبق بيانه.

والنفاق مداره على الكذب، قال ابن تيمية: " وأساس النفاق الذي يبنى عليه: الكذب، والمنافق لا بد أن تختلف سريرته وعلا نيته، وظاهره وباطنه. ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق. قال الله تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [البقرة: 10].

وقال تعالى: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) سورة التوبة/77.

وقال تعالى: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) سورة المنافقون/1 ومثل هذا كثير⁶.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والنفاق:

قرر أهل العلم أن الكفر له أنواع، وذكروا من تلك الأنواع: كفر النفاق⁷، فالنفاق إذاً نوع من أنواع الكفر، ولذا فكل نفاق كفر، وليس كل كفر نفاقاً، فالكفر يشمل النفاق وغيره.

¹ - انظر: غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، 1397هـ، 249/1.

² - الأتباري أبو بكر، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992م، 132/1.

³ - مجمل اللغة لابن فارس، 877/1.

⁴ - انظر: أبو بكر بن العربي (ت543هـ)، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، 82/1.

وهذا التعريف مأخوذ من وصفه تعالى للمنافقين بقوله: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) سورة آل عمران/167.

⁵ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 208/5.

⁶ - ابن تيمية، الإيمان الأوسط، ص: 576.

⁷ - سيأتي الحديث إن شاء الله تعالى عن هذا النوع من أنواع الكفر في الباب الثاني (القضايا): مبحث أقسام الكفر باعتبار بواعثه.

قال ابن أبي العز الحنفي(ت792هـ): " ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرا معا كان لكل منهما معنى"¹.
وقال أيضا : "ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الإفراد والاقتران.

منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة المائدة/5. ونظائره كثيرة. وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه "².
وقال الكفوي (ت1094هـ): " أو كفر نفاق: وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه"³، وقال أيضا "والكافر: اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان فهو المنافق"⁴، فالعلاقة بين المفهومين إذن هي علاقة تداخل (العموم والخصوص)⁵، وجاءت أغلب مواردها في أسلوب العطف، وفيما يلي نماذج من الآيات المتضمنة لهذه العلاقة:

✓ عطف الكفر على النفاق (عطف العام على الخاص):

ورد هذا العطف في السياقات التالية:

- في بيان سوء مصير أهل النفاق والكفر الأبدي بسبب إصرارهم على الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) سورة التوبة/68، قال الألوسي(ت1270هـ): " (وَالْكُفَّارَ) أي المجاهرين، فهو من عطف المغاير، وقد يكون من عطف العام على الخاص "⁶.

¹ - ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م، 2/453.

² - شرح العقيدة الطحاوية، 2/490.

³ - الكليات، ص: 765.

⁴ - الكليات، ص: 765.

⁵ - وقد ذكر الله سبحانه في أول سورة البقرة أصناف الناس من حيث العقيدة وجعلها ثلاثة، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت1206هـ): " إعلم رحمك الله - أن الله تعالى منذ بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وأعزّه بالهجرة والنصر، صار الناس ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون، وهم الذين آمنوا به ظاهرا وباطنا، وقسم كفار: وهم الذين أظهروا الكفر به، وقسم منافقون: وهم الذين آمنوا به ظاهرا لا باطنا، ولهذا افتتح الله سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة في صفة المنافقين. " محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

النجدي(ت1206هـ)، الجواهر المضية، دار العاصمة- الرياض، الطبعة: الأولى بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ، ص: 12
وذكر المنافقين على أنهم قسم ثالث لا يعني أنهم مغايرون لأهل الكفر، بل هم حقيقة منهم، قال الألوسي (ت1270هـ): " ولأن اختصاصهم بخلط الخداع والاستهزاء مع الكفر لا ينافي دخولهم تحت الكفرة المصريين؛ وبهذا الاعتبار صاروا قسماً ثالثاً فالقسمة ثنائية بحسب الحقيقة ثلاثية بالاعتبار " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 1/146.

⁶ - روح المعاني، 5/323.

- ومثله قوله سبحانه في سياق نهى المؤمنين عن مجالسة الكافرين بآيات الله والمستهزئين بها: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) سورة النساء/140.

قال الطبري(ت310هـ) في تفسير هذه الآية: " يقول: إن الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار، فموفق بينهم في عقابه في جهنم وأليم عذابه، كما اتفقوا في الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين، وتوازروا على التخذيل عن دين الله وعن الذي ارتضاه وأمر به أهله¹، فالله تعالى قرر في هذه الآية كون المنافقين مثل الكافرين في الكفر، فكما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا، فكذا يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة.²

- في سياق توبيخ المنافقين والكافرين يوم القيامة وتبييضهم من النجاة، قال جل ثناءه: (فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ³ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) سورة الحديد/15 قال الرازي: " أما قوله: (وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ففيه: عطف الكافر على المنافق يقتضي أن لا يكون المنافق كافراً لوجوب حصول المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، والجواب: المراد الذين أظهروا الكفر، وإلا فالمنافق كافر⁴.

فيكون عطف (وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) جمعاً للفريقين في توبيخ وتثديم واحد لاتحادهما في الكفر.⁵

✓ عطف النفاق على الكفر(عطف الخاص على العام):

جاء عطف النفاق على الكفر في خمسة مواضع من القرآن الكريم، وذلك في السياقات التالية:

- في سياق أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار والمنافقين، كلاً بما يليق به من السيف واللسان، وذلك لصددهم المستمر عن الدعوة الإسلامية، يقول عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) سورة التوبة/73 وقد وردت نفس الآية بنفس النظم في سورة التحريم، الآية 9.

قال الرازي(ت606هـ): " ذكرَ المنافقين مع أن لفظ الكفار يتناول المنافقين.⁶ فهذا من عطف الخاص على العام.

¹ - تفسير الطبري، 9/ 322.

² - تفسير الرازي بتصرف، 11/ 247.

³ - الضمير المتصل في (منكم) يعود على المنافقين.

⁴ - تفسير الرازي، 29/ 459.

⁵ - التحرير والتتوير، 27/ 388.

⁶ - تفسير الرازي، 30/ 573.

تضمنت الآية الكريمة الأمر بجهاد الكفار، وقد اتفق المفسرون على أنه يكون بالسيف، ووقع الخلاف في كيفية جهاد المنافقين باعتبار أنهم غير مظهرين لكفرهم.¹

وبين أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) وجه تقديم الكفار على المنافقين في نظم الآية فقال: " لما ذكر الله وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقوله: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ) سورة التوبة/68، ولما ذكر أمر الجهاد، وكان الكفار غير المنافقين أشد شكيمة وأقوى أسباباً في القتال وإنكاء بتصديهم للقتال، قال: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) فبدأ بهم".²

وذكر ابن عاشور الحكمة في الجمع بين الكفار والمنافقين في جهادهم معا قائلاً: " وقرن المنافقون هنا بالكفار: تنبيهاً على أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفار... وفائدة

¹ - قال الطبري (ت310هـ) في تفسير الآية: " يقول تعالى ذكره: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ)، بالسيف والسلاح (وَالْمُنَافِقِينَ).

واختلف أهل التأويل في صفة "الجهاد" الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به في المنافقين.

فقال بعضهم: أمره بجهادهم باليد واللسان، وبكل ما أطاق جهادهم به. عن ابن مسعود في قوله: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ)، قال: بيده، فإن لم يستطع قبلسانه، فإن لم يستطع فبقبله، فإن لم يستطع فليكفره في وجهه.

وقال آخرون: بل أمره بجهادهم باللسان. عن ابن عباس: فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

وقال آخرون: بل أمره بإقامة الحدود عليهم. عن الحسن قال: جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بالحدود، أقم عليهم حدود الله. " تفسير الطبري، 359-358 /14.

وعقب ابن العربي (ت543هـ) على هذه الأقوال مبيناً المقصد الشرعي من عدم لجوء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جهاد المنافقين بالسيف، فقال: " قال علماء الإسلام ما تقدم (يقصد الأقوال السابقة في تفسير صفة مجاهدة المنافقين)، فأشكل ذلك واستبهم، ولا أدري صحة هذه الأقوال في السند.

أما المعنى: فإن من المعلوم في الشريعة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجاهد الكفار بالسيف على اختلاف أنواعهم.

وأما المنافقون: فكان مع علمه بهم يعرض عنهم، ويكتفي بظاهر إسلامهم، ويسمع أخبارهم فيلغيها بالبقاء عليهم، وانتظار الفينة إلى الحق بهم، وإبقاء على قومهم، لئلا تنور نفوسهم عند قتلهم، وحذراً من سوء الشنعة في أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؛ فكان لمجموع هذه الأمور يقبل ظاهر إيمانهم، ويأدئ صلاتهم، وغزوهم، ويكل سرائرهم إلى ربهم، وتارة كان يبسط لهم وجهه الكريم، وأخرى كان يظهر التغيير عليهم.

وأما إقامة الحجة باللسان: فكانت دائمة، وأما قول من قال: إن جهاد المنافقين بإقامة الحدود فيهم لأن أكثر إصابة الحدود كانت عندهم، فإنه دعوى لا برهان عليها، وليس العاصي بمنافق، إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كامناً، لا بما تتلبس به الجوارح ظاهراً، وأخبار المحدودين يشهد مساقها أنهم لم يكونوا منافقين. " أحكام القرآن لابن العربي، 2/ 544.

ورجح الطبري (ت310هـ) بعد ذكر تلك الأقوال أنهم يجاهدون بالسيف مثل الكفار إذا أظهروا النفاق، قال: " إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر.. وأما من إذا أطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها، أنكرها ورجع عنها وقال: "إني مسلم"، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه، أن يحق بذلك له دمه وماله، وإن كان معتقداً غير ذلك، وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم " تفسير الطبري، 14/ 360.

وهو ما ذهب إليه البقاعي (ت885هـ) بقوله: " (وَالْمُنَافِقِينَ) أي: المساترين بما يليق بهم من الحجة إن استمروا على المساترة، والسيف إن احتجج إليه إن أبدوا نوع مظاهره ". نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 20/ 206.

وذهب ابن كثير (ت774هـ) إلى الجمع بين تلك الأقوال تبعاً للمصلحة، فقال: " وقد يقال: إنه لا منافاة بين هذه الأقوال، لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا بحسب الأحوال، والله أعلم. " تفسير ابن كثير، 4/ 178.

² - تفسير البحر المحيط، 5/ 463.

القرن بين الكفار والمنافقين في الجهاد: إلقاء الرعب في قلوبهم، فإنَّ كلَّ واحد منهم يخشى أن يظهر أمره فيعامل معاملة الكفار المحاربين فيكون ذلك خاضداً شوكتهم.¹

- في سياق تقرير قاعدة كلية عن طبيعة منافقي الأعراب، وهي بيان أنهم أشد كفرا ونفاقا، وأحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وذلك لجفائهم وبعدهم عن مصادر العلم، يقول سبحانه: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) سورة التوبة/97.

فلفظ (كفرا) تمييز منصوب، و(نفاقا) معطوف عليه، قال المنتجب الهمذاني(ت643هـ): " وجيء بقوله: (أَشَدُّ) مع كون كفر ثلاثياً²؛ لأجل المعطوف عليه وهو (نفاقاً)؛ لأنَّ فعله نافق"³.
قال الطبري(ت310هـ): " يقول تعالى ذكره: الأعراب أشدُّ جحوداً لتوحيد الله، وأشدَّ نفاقاً، من أهل الحضر في القرى والأمصار. وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم، وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوباً، وأقلُّ علماً بحقوق الله."⁴

وذكر الماتريدي(ت333هـ) في توجيه هذا الوصف الخاص بمنافقي الأعراب أمرين: " أحدهما: وأما الأعراب وأهل البادية فكانوا لا يسمعون الآيات والحجج، ولا خالطوا أهل رحمة ورأفة، فهؤلاء أقسى قلوباً وأضيق صدوراً، وأهل المدن والأمصار ألين قلوباً وأوسع صدوراً، فهم أسرع للإجابة وأولئك أبعد وأبطأ إجابة.

والثاني: أنهم وصفوا بأهل الجهل ما لم يوصف أهل المدن والأمصار، بذلك ما روي عن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الأخبار: " من بدا جفا "⁵؛ وذلك - والله أعلم - لأنهم كانوا لا يدخلون الأمصار والمدن ليتأدبوا ويتعلموا الآداب، فإذا كانوا كذلك فهم أجهل، والإيمان هو التصديق، والتصديق إنما يكون بعد العلم؛ لأنه ما لم يعلم لم يصدق، فإذا كانوا بالجهل ما وصفنا، كانوا أشد إنكاراً وتكذيباً من غيرهم⁶. " ¹

¹ - التحرير والتنوير، 265/10-266.

² - يعني أن اسم التفضيل يصاغ من (كفر) : أكفر .

³ - المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م، 308/3.

⁴ - تفسير الطبري، 14/ 429.

⁵ - الحديث أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من بدا جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عيد من السلطان قرباً، إلا ازداد من الله بعداً " رقم الحديث 8836، مسند الإمام أحمد، 14/ 430. وحسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م، 3/ 267.

⁶ - هذا الحكم الذي ذهب إليه الماتريدي رحمه الله اتخذ صفة العموم، ومن المفسرين من ذهب إلى عدم إطلاق هذا الحكم العام على جميع الأعراب، قال الألوسي: " والحكم على الأعراب بما ذكر من باب وصف الجنس بوصف بعض أفرادها كما في قوله تعالى : { وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا } [الإسراء : 67] إذ ليس كلهم كما ذكر، ويدل عليه قوله تعالى الآتي : { وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُّؤْمِنُ } [التوبة : 99] الخ ، وكان ابن

إلا أن هناك بعض الصفات التي يمدح عليه هؤلاء الأعراب في سيرتهم ذكرها ابن عاشور فقال: " فأما في الأخلاق التي تحمد فيها الخشونة والغلظة والاستخفاف بالعظائم مثل الشجاعة والصراحة وإباء الضيم والكرم فإنها تكون أقوى في الأعراب بالجملة، ولذلك يكونون أقرب إلى الخير إذا اعتقدوه وآمنوا به."²

- في سياق نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طاعة الكافرين والمنافقين، قال الله عز وجل: (يَا

أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) سورة الأحزاب/1

ومثله أيضا قوله تعالى في نفس السورة: (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) سورة الأحزاب/48

قال سيد طنطاوي: " وفي إيراد هذا النهي بعد الأمر بتقوى الله، إشارة وإيحاء إلى ما كان يبذله هؤلاء الكافرون والمنافقون من جهود عنيفة، لزرحة النبي صلى الله عليه وسلم عما هو عليه من حق، ولصرفه عن دعوتهم إلى الإسلام."³

وورد كذلك عطف النفاق على الكفر في الحديث النبوي في موضعين:

- روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع

ابن عمر رضي الله عنهما أخذ بيده، إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره، فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: (هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) سورة هود/18 "⁴.

سيرين كما أخرج أبو الشيخ عنه يقول: " إذا تلا أحدكم هذه الآية فليتل الآيات الأخرى، يعني بها ما أشرنا إليه " روح المعاني، 6/6. وقال ابن عاشور: " و (أشد) و (أجدر) اسما تفضيل، ولم يذكر معهما ما يدل على مفضل عليه، فيجوز أن يكونا على ظاهرهما فيكون المفضل عليه أهل الحضر، أي كفار ومنافقي المدينة، وهذا هو الذي تواطأ عليه جميع المفسرين.

ويجوز أن يكون (أشد) و (أجدر) مسلوبَي المفاضلة مستعملين لقوة الوصفين في الموصوفين بهما على طريقة قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } [يوسف: 33]. فالمعنى أن كفرهم شديد التمكن من نفوسهم ونفاقهم كذلك، من غير إرادة أنهم أشد كفراً ونفاقاً من كفار أهل المدينة ومنافقيها. " التحرير والتنوير، 11/11.

¹ - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، 5/455-456. وقال أبو حيان (ت745هـ): " وإذا كان الكفر متعلقاً بالقلب فقط، فالنقد أشد أسباب كفر، وإذا دخلت فيه أعمال الجوارح تحققت فيه الشدة. وكانوا أشد كفراً ونفاقاً .. وتربيتهم بلا سائس ولا مؤدب ولا ضابط، فنشأوا كما نشأوا لبعدهم عن مشاهدة العلماء ومعرفة كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولبعدهم عن مهبط الوحي. كانوا أطلق لساناً بالكفر والنفاق من منافقي المدينة، إذ كان هؤلاء يستولي عليهم الخوف من المؤمنين، فكان كفرهم سرّاً ولا يتظاهرون به إلا تعريضاً. " البحر المحيط في التفسير، 491/5.

² - التحرير والتنوير، 12/11.

³ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 170/11.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)، الحديث 2309، 862/2.

وفي رواية الإمام مسلم بصيغة الجمع: " وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رعوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله " ¹.

- وأخرج الإمام أحمد من حديث عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أحب لقاء الله عز وجل، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله عز وجل، كره الله لقاءه " ، فقالت عائشة: يا رسول الله، كَرَاهِيَةُ لِقَاءِ اللَّهِ أَنَّ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، فوالله إنا لنكرهه، فقال: لا ليس بذاك، ولكن العبد المؤمن إذا قضى الله عز وجل قبضه فرج له عما بين يديه من ثواب الله عز وجل، وكرامته، فيموت حين يموت، وهو يحب لقاء الله عز وجل، والله يحب لقاءه، وإن الكافر والمنافق إذا قضى الله عز وجل قبضه فرج له عما بين يديه من عذاب الله عز وجل، وهوانه، فيموت حين يموت، وهو يكره لقاء الله، والله يكره لقاءه " ².

ففي هذين الحديثين تم عطف المنافق على الكافر من باب عطف الخاص على العام لاتحادهما في سوء المصير يوم الحساب، فالعلاقة إذن علاقة تداخل.

المطلب الرابع: الكفر والفسق

1- موارد التعالق بين الكفر والفسق:

اقترن لفظ الكفر - في القرآن الكريم - بلفظ الفسق في أحد عشر (11) موضعاً ³، ولفظ الفسوق ⁴ في موضع واحد (1)، وورد في الحديث النبوي اقتران الكفر بالفسوق في موضعين (2)، وقبل إيراد نماذج من النصوص موارد التعالق، نقدم تعريفاً لمفهوم الفسق.

2- مفهوم الفسق لغة واصطلاحاً:

أصل الفسق لغة الخروج ⁵، قال الفراء (ت207هـ): " العربُ تَقُولُ، فَسَقْتُ الرُّطْبَةَ من جلدِها وقشرِها لخروجِها منه، وكأنَّ الفأرةَ إنَّها ⁶ سميت فويسقة لخروجِها من جحرِها عَلَى الناس " ¹.

¹ - صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، الحديث 2768، 2120/4.

² - مسند الإمام أحمد، الحديث 25831، 27/43، وصححه المحققون.

³ - سورة البقرة/26-99، سورة المائدة/59-81، سورة الأنعام/121، سورة الأعراف/102، سورة التوبة/80-84، سورة النور/55، سورة الأحقاف/20-35.

⁴ - قال تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ الْيُكْمِ الْإِيمَانِ وَرَبُّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ الْيُكْمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } سورة الحجرات/7

⁵ - وذهب الرازي إلى أن الفسق " قد يقرب من معناه الفجور، لأنه مأخوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من أن يصير إلى الموضع الذي يفسد إذا صار إليه، فشبه تعدي الإنسان ما حد له إلى الفساد بالذي فجر السد حتى صار إلى حيث يفسد " تفسير الرازي، 615/3.

⁶ - لعل هذه الكلمة وقع فيها تصحيف، والصحيح (إنما) التي تفيد الحصر، والله أعلم.

وقال الجوهري (ت393هـ): " وَفَسَقَ الرَّجُلُ يَفْسُقُ وَيَفْسِقُ أَيْضاً، عَنِ الْأَخْفَشِ، فَسَقًا وَفُسُوقًا أَيْ فَجَرَ. يُقَالُ فَسَقَ عَنْ أَمْرٍ رَبَّهُ، أَيْ خَرَجَ"².

ثم استعمل في الاصطلاح على أصله اللغوي، قال أبو بكر الأنباري (ت328هـ): " الفاسق معناه الخارج عن الإيمان إلى الكفر، وعن الطاعة إلى المعصية."³

وهو ما عرفه به ابن عطية بقوله: " والفسق في عرف الاستعمال الشرعي الخروج من طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان"⁴.

قال الشوكاني (ت1250هـ) معلقاً على هذا التعريف: " وهذا هو أنسب بالمعنى اللغوي، ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض"⁵. وهذه إشارة من الشوكاني للرد على الزمخشري في قصره الفسق على مرتكب الكبيرة، حيث قال: " والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين⁶، أي بين منزلة المؤمن والكافر"⁷.

وغالب استعمال القرآن للفسق⁸ في ارتكاب الكبيرة، ولذلك قال الأصفهاني في مفرداته: " وهو أعم من الكفر. والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، قال الله تعالى: (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) (يونس/ 33)، (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) (السجدة/18)، فقابل به الإيمان. فالفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق."⁹

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والفسق:

كما سبق بيانه آنفاً، فإن الفسق أعم من الكفر، فكل كافر فاسق، وليس كل فاسق كافراً، لذلك فالعلاقة التي تجمع المفهومين هي علاقة التداخل (العموم والخصوص).

¹ - أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى بدون تاريخ، 147/2، وهذا المعنى نقله عنه ابن قتيبة (ت276هـ) في غريب الحديث، 326/1، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة، مادة (فسق)، 502/4.

² - الصحاح في اللغة، مادة (فسق)، 1543/4.

³ - أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، 120/1.

⁴ - تفسير ابن عطية، 112/1.

⁵ - تفسير الشوكاني، 68/1.

⁶ - قوله « وهو النازل بين المنزلتين » هذا عند المعتزلة، وأما عند أهل السنة فهو مؤمن، والفسق لا يخرج عن الإيمان.

⁷ - تفسير الزمخشري، 119/1.

⁸ - ورد الفسق في استعمال القرآن على معان مختلفة، عد منها الدامغاني: " ستة أوجه: الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم، الشرك، المعصية من غير شرك، الكذب، الإثم، السب والشتم " قاموس القرآن، مادة (فس ق)، ص: 359.

⁹ - المفردات، مادة (فسق) ص: 636-637.

ومن بين الآيات الصريحة في دخول معنى الكفر في معنى الفسق النصوص التالية:

- قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) سورة البقرة/26-27

قال ابن كثير: " فالفسق يشمل الكافر والعاصي، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش، والمراد من الآية الفاسق الكافر، والله أعلم، بدليل أنه وصفهم بقوله: { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } وهذه الصفات صفات الكفار المبينة لصفات المؤمنين ¹.

- وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) سورة البقرة/99

قال الرازي: الكفر بالآيات من وجهين. أحدهما: جودها مع العلم بصحتها. والثاني: جودها مع الجهل وترك النظر فيها والإعراض عن دلائلها، وليس في الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه. وفي قوله: (إِلَّا الْفَاسِقُونَ) وجهان، أحدهما: أن كل كافر فاسق ولا ينعكس، فكأن ذكر الفاسق يأتي على الكافر وغيره فكان أولى.

الثاني: أن يكون المراد ما يكفر بها إلا الكافر المتجاوز عن كل حد في كفره.²

ففي هذه الآية الكريمة ورد ما يدل على علاقة التداخل والتناسب وهو: أسلوب الحصر الذي أفاد تخصيص الكفر بالآيات البينات بمن مرد على الفسق وبلغ فيه إلى النهاية القصوى، وهذا ما بينه ابن عاشور بقوله: " والمعنى: ما يكفر بهاته الآيات إلا من كان الفسق شأنه ودأبه، لأن ذلك يهيئه للكفر بمثل هذه الآيات، فالمراد بالفاسقين المتجاوزون الحد في الكفر المتمردون فيه. والإخبار وقع بالمضارع الدال على التجدد."³

- وردت هذه العلاقة كذلك بأسلوب الحصر في الجملة الإسمية، وذلك في سياق التأكيد على فسق من كفر بالله من بعد التمكين والاستخلاف، وهو قوله عز وجل: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } سورة النور/55.

قال أبو السعود في تفسير المقطع الأخير من هذه الآية:

¹ - تفسير ابن كثير، 1/ 210.

² - تفسير الرازي، 3/ 615.

³ - التحرير والتنوير، 1/ 625.

{ وَمَنْ كَفَرَ } أي اتَّصَف بالكُفر بأن ثبت واستمرَّ عليه، ولم يتأثر بما مرَّ من التَّرهيب والتَّرهيب، فإنَّ الإصرارَ عليه بعد مُشاهدة دلائل التَّوحيد كُفرٌ مستأنفٌ زائدٌ على الأصل، وقيل: كفرٌ بعد الإيمان وقيل: كفرٌ هذه النِّعمة العظيمة، والأوَّل هو الأنسبُ بالمقام، { بَعْدَ ذَلِكَ } أي بعد ذلك الوعدِ الكريم بما فُصِّل من المطالبِ العاليةِ المستوجبةِ لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها { فَأُولَئِكَ } البُعداءُ عن الحقِّ النَّاهون في تيه الغواية والضلال { هُمُ الْفَاسِقُونَ } الكاملون في الفسق والخروج عن حُدودِ الكُفر والطُّغيان.¹ ولعل الآية مشيرة إلى أهل الردة².

فجملته (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) صفة حُكمية على من كفر ردة بعد ظهور دين الله والاستخلاف العظيم للمؤمنين الموحدين على الوجه المشروح، فأفاد الإسناد في هذه الجملة وصفهم بالفسق وهو الخروج من الدين خروجاً كاملاً، وهكذا يتضح التداخل بين مفهومي الكفر والفسق أفادته العلاقة الإسنادية بين الموصوف والصفة.

- كذلك ورد التداخل بين مفهومي الكفر والفسوق في أسلوب العطف، وذلك في قوله عز وجل في سياق تعداد مظاهر فضل الله - تعالى - على المؤمنين؛ لكي يواظبوا على شكره: { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَّاهُ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } سورة الحجرات/7-8

وهذه الآية تأولها³ النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء المأثور الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله الزُّرْقِيِّ رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم استوتوا حتى أثنى على ربي، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: " اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين،

¹ - تفسير أبي السعود، 6/ 191.

² - نظم الدرر، 307/13.

³ - ذكرت هذه العبارة على غرار ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)، يتأول القرآن. " صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة ، باب التسييح والدعاء في السجود، الحديث 784، 281/1، قال النووي : " معنى يتأول القرآن: يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } سورة النصر/3 " شرح النووي على صحيح مسلم، 4/201.

وأحيانا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق"¹ في الآية وهذا الدعاء عطف الفسوق على الكفر، وهو من باب عطف العام على الخاص. وجاء أيضا **عطف الكفر على الفسوق** أي عطف الخاص على العام في الحديث النبوي الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يرمي رجل رجلا رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك."²

المطلب الخامس: الكفر والردة

1- موارد التعالق بين لفظي الكفر والردة:

من المفاهيم المرتبطة عند الحديث عن مفهوم الكفر نجد مفهوم الردة، حيث اقتربنا معا في القرآن الكريم في سبعة مواضع(7)³، أما في نصوص الحديث فاقترب اللفظان في موضع واحد، وهو حديث موقوف على الصحابي وحشي بن حرب.

2- مفهوم الردة لغة واصطلاحاً:

أصل الردة في اللغة من الارتداد وهو الرجوع. قال ابن فارس: " الرء والذال أصل واحد مطرد منقاس، وهو رجع الشيء. تقول: رددت الشيء أردته رداً. وسمي المرتد لأنه رد نفسه إلى كفره."⁴ وَالرَّدَّةُ: الرَّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وَمِنْهُ الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ.⁵ وتقول: رَدَّه إلى منزله، وَرَدَّ إليه جواباً: أي رجع...والارتداد: الرجوع، ومنه المُرْتَدُّ... وهذا أمر لا رادَّة له: أي لا فائدة له ولا رجوع...والرَّدَّةُ: الاسم من الارتداد⁶، لكن الرَّدَّة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره.⁷

¹ - مسند الإمام أحمد، مُسْنَدُ الْمُكَيَّنِينَ، الحديث 15492، 24/246، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م، ص: 259.

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، الحديث 5698، 5/2247.

³ - سورة البقرة/109-217(مرتان)، سورة آل عمران/100-149، سورة المائدة/54، سورة الأنعام/71

⁴ - مقاييس اللغة، مادة (رد)، 386/2.

⁵ - جمهرة اللغة لابن دريد، ردد، 110/1، وهو ما ذكره ابن منظور: " والاسم الردة، ومنه الردة عن الإسلام أي الرجوع عنه. وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه. " لسان العرب، مادة (ردد) 173/3.

⁶ - الصحاح في اللغة، (ردد)، 473/2.

⁷ - المفردات، مادة (رد) ص: 349.

واستعير هذا المعنى اللغوي في الاصطلاح للرجوع من الإيمان إلى الكفر، قال الراغب عن معنى الردة:

" وهو الرجوع من الإسلام إلى الكفر، قال تعالى: { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ } [البقرة/217] ¹ .

وعرفها المناوي (ت1031هـ) بقوله: " الردة: لغة، الرجوع عن الشيء إلى غيره. وشرعا: قطع الإسلام بنية أو قول أو فعل مكفر. ² "

فالردة هي الكفر بعد الإسلام طوعا؛ إما باعتقاد، أو بفعل، أو بقول، أو شك. وسيأتي بيان هذه الأحكام بتفصيل في باب القضايا إن شاء الله تعالى.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والردة:

الردة أمر طارئ على من دان بالإسلام ثم وقع في ما يخرج من دائرته. لذلك فهي تدخل في مفهوم الكفر من باب دخول الخاص تحت العام، فكل مرتد كافر وليس كل كافر مرتدا، فالعلاقة بينهما إذن علاقة تداخل، والأمثلة التالية توضح ذلك:

- قوله عز وجل في سياق بيان شدة عداوة الكفار للمؤمنين ودوامها، وسوء عاقبة من مات على ردة عن الإسلام: { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } سورة البقرة/217

قال القرطبي: " قوله تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ) خبر من الله تعالى، وتحذير منه للمؤمنين من شر الكفرة. قال مجاهد: يعنى كفار قريش ³... (وَمَنْ يَرْتَدِدْ) أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر (فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ) أي بطلت وفسدت... فالآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام. ¹ "

¹ - المفردات، مادة (رد) ص: 349.

² - التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 176 .

³ - هذه الآية وإن نزلت في كفار قريش فإن حكمها ينطبق على أعداء هذا الدين على مر التاريخ وإلى قيام الساعة، قال السعدي (ت1376هـ): " وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، ويثو الأطباء، وينو المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشكهم في دينهم. " تفسير السعدي، ص: 97. ويكشف سيد قطب (ت1385هـ) في تفسيره لهذه الآية عن عمق الشر في نفوس أعداء الأمة الإسلامية وأصالة العدوان في نواياهم وخططهم فقال: " وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر؛ وعلى فتنة المسلمين عن دينهم؛ بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم . وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل . . إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين؛ ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين. إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم، فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد. إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم . . إنه بهذا كله حرب على الباطل والبغي والفساد . ومن ثم لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون، ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه، ويردوهم كفارا في صورة من صور الكفر الكثيرة .

- ومثله أيضا هذه النصوص التي ورد فيها التحذير من الردة عن الإيمان وتوعد من يفعل ذلك بسوء العذاب، قال الله عز وجل:
- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } سورة آل عمران/100
- { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا } سورة النساء/137
- { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } سورة المائدة/5

ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين، وتتبع هذا المنهج، وتعيش بهذا النظام . وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتاً أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا. وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره، وكلما كَلَّتْ في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها . . والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهاها إلى الخطر؛ ويدعوها إلى الصبر على الكيد، والصبر على الحرب، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة؛ والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر " في ظلال القرآن، 1/227-228.

¹ - تفسير القرطبي، 3/46

المبحث الثالث: المفاهيم المتضادة مع الكفر

المطلب الأول: الإيمان

1- موارد العلاقة بين الكفر والإيمان في القرآن الكريم والحديث النبوي:

ليس من المبالغة القول: إن لفظ الإيمان هو الأكثر حضوراً في القرآن، ولا غرابة في ذلك، فإن الدعوة إلى الإيمان قطب أساس في القرآن؛ إذ هو خطاب الله عز وجل للمؤمنين أولاً: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ } سورة الفتح/4، ثم هو ثانياً خطاب للعالمين: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } سورة الأعراف/158.

وحسب ما توصلت إليه في إحصاء العلاقات، فقد وجدت أن لفظ الإيمان اقترن بلفظ الكفر في سياقات القرآن الكريم في مائة واثنين وخمسين موضعاً (152)¹، وفي الأحاديث النبوية وصل العدد إلى ثلاثة وأربعين موضعاً (43)، وتعزى كثرة هذا التعالق بين هذين المصطلحين إلى أن معظم الخطاب القرآني جاء لدعوة الناس إلى الإيمان الذي هو أصل الدين الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، مع التحذير في الآن نفسه من الكفر على اختلاف أنواعه، فخطاب القرآن إما: أمر بالإيمان وشعبه، أو نهي عن الكفر وشعبه.

فمن أول مجالات الدعوة في القرآن الكريم التي خاطب الله بها العباد دعوته إلى الإيمان به تعالى وحده، وإخلاص التوحيد له سبحانه، ونبذ الكُفر والشُرْك، والإعراض عن الخرافات والانحراف عن العقيدة الصحيحة بكل الأشكال والصور المخالفة للعقل والفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها، ألا وهي فطرة التوحيد والإيمان بالله: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } سورة الروم/30.

2- مفهوم الإيمان لغة واصطلاحاً:

الإيمان لغة :

الإيمان مصدر: آمن يؤمن إيماناً؛ فهو مؤمن²، وأصل آمن آمن بهمزتين لُئِنَت الثانية¹. واشتقاقه من الأمن²، وأصل الأمن كما ذكر الراغب: "طمأنينة النفس وزوال الخوف"³.

¹ - ابتداء من قوله سبحانه في سورة البقرة: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الآية 6، وانتهاء بقوله عز وجل في سورة البينة: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } الآيتان 6-7.

² - الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة (أمن)، 368/15.

ومدار المادة في المعاجم على أصليين، قال ابن فارس: " الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان⁴ " ⁵ لذلك فلفظ (آمن) يستعمل في لغة العرب على معنيين:

1 - فتارة يتعدى بنفسه، كـ " آمَنْتُ غَيْرِي من الأَمْنِ والأمان،"⁶ وآمنت الأسير بالمد أعطيته الأمان فأمن⁷، فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، و " آمَنْتُهُ ضِدُّ أَحَقَّتُهُ"⁸، وفي القرآن: { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } [قريش: 4] فالأمن نقيض الخوف⁹.

2 - وتارة يتعدى بالباء فيكون معناه التصديق. يقال " آمنت بالله، أو قال قائل: آمنت بكذا وكذا، فمعناه: صدّقت¹⁰ .

وفى التنزيل: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [يوسف:17] أي بمصدق¹¹، والإيمان بمعنى التصديق ضدهُ التكذيب، يقال آمَنَ به قومٌ وكذَّبَ به قومٌ¹².

إذن الإيمان لغة: له معنيان حسب الاستعمال؛ الأمن والتصديق، والمعنيان متداخلان. ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان. قال رحمه الله: " فكان تفسيره - أي الإيمان - بلفظ الإقرار¹³؛ أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا¹⁴ . وقال في موضع آخر: " الإيمان يفارق التصديق أي: لفظا ومعنى¹⁵ .

¹ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (أمن)، 5/ 2071.

² - تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: سيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت 5/ 337، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 291/7.

³ - المفردات، مادة (أمن)، ص: 90.

⁴ - أي متقاربان من فعل دنا.

⁵ - مقاييس اللغة، مادة (أمن) 1/ 133.

⁶ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (أمن)، لسان العرب، مادة (أمن) 13/ 21.

⁷ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (ء م ن)، 1/ 24.

⁸ - لسان العرب، مادة (أمن) 13/ 21.

⁹ - المحكم والمحيط الأعظم، مادة [أم ن] 10/ 492.

¹⁰ - تهذيب اللغة، مادة (أمن)، 15/ 369.

¹¹ - العين، مادة (أمن)، 8/ 389.

¹² - لسان العرب، مادة (أمن) 13/ 21.

¹³ - وهذا الأصل لم ينص عليه في أي معجم من المعاجم المعروفة رغم قرينه من معنى الإيمان، قال فيه الراغب: " وأصله من القُر، وهو البرد، وهو يقتضي السكون... وقال الشاعر: ولا قرار على زار من الأسد. أي: آمن واستقرّار" المفردات، مادة (قر) ص: 662، هذا عجز بيت، وشطره: أنبئت أن أبا قابوس أوعدني، وهو للنابعة من معلقته، والبيت في ديوانه ص: 36.

¹⁴ - مجموع الفتاوى، 291/7.

¹⁵ - نفسه، 7/ 530.

وقد حقق ذلك تحقيقاً نفيساً لا يوجد عند غيره، فأما من حيث اللفظ فقال: " يُقَالُ لِلْمُخْبِرِ إِذَا صَدَّقْتَهُ: صَدَّقَهُ، وَلَا يُقَالُ: آمَنَهُ وَآمَنَ بِهِ، بَلْ يُقَالُ: آمَنَ لَهُ كَمَا قَالَ: { فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ } سورة العنكبوت/26، وَقَالَ: { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ } سورة يونس/83" ¹، مراده: أن لفظ الإيمان يعدى إلى الضمير باللام عكس التصديق، فإنه يتعدى للضمير بنفسه، فهذا فرق في اللفظ.

أما في المعنى، فقال رحمه الله في رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق: "إنه -أي الإيمان- ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت كما يقال: كذبت. فمن قال: السماء فوقنا قيل له: صدق كما يقال: كذب. وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة؛ كقوله: طلعت الشمس وغربت أنه يقال: آمناه كما يقال: صدقناه.

ولهذا؛ الْمُحَدَّثُونَ والشهود ونحوهم؛ يقال: صدقناهم؛ وما يقال آمنا لهم؛ فإن الإيمان مشتق من الأمن. فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه الْمُخْبِرُ كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه الْمُخْبِرُ؛ ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في هذا النوع" ².

وقال أيضاً: "إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق، فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أو كذبت، ويقال: صدقناه أو كذبناه، ولا يقال لكل مخبر: آمنا له أو كذبناه؛ ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذب له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر. يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب" ³.

فنخلص من هذا التحليل إذن إلى أصول ثلاثة للإيمان في اللغة: الأمانة، التصديق، الإقرار، على ما فُرر من معانيها.

أما الإيمان في الاصطلاح - وبدون الدخول في الخلافات الكلامية - نقول: هو التصديق الجازم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به والإقرار به، والانقياد الكامل لما جاء به عن الله تعالى، وهذا المعنى جاء في مفردات الراغب بقوله: "إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح" ⁴، وهو مفهوم الإيمان عند أهل أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية: "اسم الإيمان يستعمل مطلقاً ويستعمل مقيداً، وإذا استعمل مطلقاً فجميع ما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة يدخل

¹ - نفسه، 290/7.

² - نفسه، 291/7.

³ - نفسه، 292/7.

⁴ - المفردات، مادة (أمن) ص: 91.

في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون الإيمان قولاً وعملاً يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدخلون جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه، وهذا مذهب الجماهير من أهل الحديث والتصوف والكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم¹. أي: "أن مسمى الإيمان يطلق عند أهل السنة والجماعة على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجزئ أحدها عن الآخر، وهذه الأمور الثلاثة جامعة لدين الإسلام: اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح². كما عرف الإيمان بما عرف به الإسلام في حديث ابن عباس في وفد عبد القيس الذي فيه: "أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟" قالوا الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس"³، والتداخل بين الإسلام والإيمان ورد فيه كلام كثير لأهل العلم، خلاصته ما جاء في قول ابن رجب الحنبلي (ت795هـ): "إذا أُفردَ كلٌّ من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذٍ، وإن قُرِنَ بين الاسمين، كان بينهما فرق".

والتحقيق في الفرق بينهما: أن الإيمان هو تصديق القلب، وإقراره، ومعرفته، والإسلام: هو استسلام العبد لله، وخضوعه، وانقياده له، وذلك يكون بالعمل، وهو الدين، كما سمى الله تعالى في كتابه الإسلام ديناً، وفي حديث جبريل سمى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والإحسان ديناً، وهذا أيضاً مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أُفردَ دخلَ فيه الآخر، وإنما يفرق بينهما حيث قُرِنَ أحدُ الاسمين بالآخر، فيكون حينئذٍ المراد بالإيمان: جنس تصديق القلب، وبالإسلام جنس العمل⁴.

والعلاقة بين الإسلام والإيمان شبهها ابن تيمية بالعلاقة بين الروح والجسد، قال: "والمقصود هنا أن الظاهر لا بد له من باطن يحققه ويصدق به ويوافقه، فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق، ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدق به ويوافقه، وظاهره يوافق باطنه ويصدق به ويحققه، فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان، فلا بد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان، فالباطن للباطن من الإنسان، والظاهر للظاهر منه"⁵.

¹ - مجموع الفتاوى، 642/7.

² - الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ص 26.

³ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، الحديث 53، 29/1.

⁴ - ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422 هـ - 2001 م، 111/1.

⁵ - مجموع الفتاوى، 268/13.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والإيمان:

نظرا لكثرة موارد الاقتران بين الكفر والإيمان، حيث - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - بلغت هذه الموارد مائة واثنين وخمسين موضعا (152) في القرآن الكريم، وثلاثة وأربعين (43) في الأحاديث النبوية - وفي جميع هذه المواضع نجد العلاقة الرابطة بين اللفظين هي علاقة التضاد - لذلك نكتفي بتحليل نماذج من هذه العلاقة في مواردنا، بيانها كما يلي:

- قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } سورة البقرة /6

هذا أول موضع من القرآن الكريم ذكر فيه لفظ الكفر، وقد ورد مقتربا في سياق واحد مع لفظ الإيمان. والآية جاءت في سياق بيان حال الكافرين، وما هم عليه من سوء الحال وقبيح الأوصاف. وقد اتفق أهل التفسير على أن هذه الآية غير عامة لوجود الكفار قد أسلموا بعدها¹، كأبي سفيان وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم.

قال ابن كثير في تفسير الآية: " يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } أي: غَطَوْا الحق وستره، وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك، سواء عليهم إنذارك وعدمه، فإنهم لا يؤمنون بما جنتهم به، كما قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } [يونس: 96، 97] وقال في حق المعاندين من أهل الكتاب: { وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ } الآية [البقرة: 145] أي: إن من كتب الله عليه الشقاوة فلا مُسْعِدَ له، ومن أضلّه فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة، فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم." ²

قال القرطبي (ت671هـ): " والكفر ضد الإيمان، وهو المراد في الآية." ³

- قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } سورة النساء/170.

الآية الكريمة وردت في سياق توجيه الله عز وجل ندائه إلى الناس جميعا يأمرهم فيه بالإيمان وينهاهم عن الكفر.

فبعد أن " قرر الله تعالى أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ووعد من أنكرها، خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الرد" ¹، تنبيهاً على أن الحجة قد لزمّت، ولم يبقَ بعد ذلك لأحد عذرٌ في عدم القبول ².

¹ - تفسير ابن عطية، 87/1.

² - تفسير ابن كثير، 173/1.

³ - تفسير القرطبي، 183/1.

وهذه الحجة تتمثل في ختم الله تعالى لرسالاته ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، يقول سيد قطب رحمه الله: " فهو رسول إلى العالمين، إلى الناس كافة - بعد ما غبرت الرسالات كلها خاصة بقوم كل رسول - فلم يكن بد من تبليغ عام في ختام الرسالات، يبلغ إلى الناس كافة: { لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } سورة النساء/165... فانقطعت هذه الحجة بالرسالة العامة للناس وللزمان، وكانت هي الرسالة الأخيرة. فإنكار أن هناك رسالة بعد أنبياء بني إسرائيل غير عيسى، أو بعد عيسى - عليه السلام - لا يتفق مع عدل الله، في أن يأخذ الناس بالعقاب بعد البلاغ.. ولم يسبق أن كانت هناك رسالة عامة. ولم يكن بد من هذه الرسالة العامة.. فكانت بعدل الله ورحمته بالعباد.. وكان حقاً قول الله سبحانه: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } سورة الأنبياء/107.. رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة كما يتجلى من هذا البيان.."³

فالآية الكريمة قد حضت الناس على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم يجئهم بشيء باطل، وإنما جاءهم بالحق الثابت الموافق لفطرة البشر أجمعين، ولأنه لم يجئهم بما جاءهم به من عند نفسه، وإنما جاءهم بما جاءهم به من عند الله تعالى، ولأنه لم يجئهم بما يفضي بهم إلى الشرور والآثام، وإنما جاءهم بما يوصلهم إلى السعادة في الدنيا وإلى الفوز برضا الله في الآخرة.⁴

تلك هي عاقبة المؤمنين، أما عاقبة الكافرين فقد حذر سبحانه منها بقوله: { وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا }، قال ابن كثير " أي: فهو غني عنكم وعن إيمانكم، ولا يتضرر بكفرانكم، كما قال تعالى: { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [إبراهيم: 8] وقال هاهنا: { وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } أي: بمن يستحق منكم الهداية فيهديه، وبمن يستحق العواية فيغويه { حَكِيمًا } أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره." ⁵

علاقة التعاطف:

- قال عز وجل: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } سورة التغابن/2.
- الآية وردت في سياق بيان الله سبحانه أن الناس في هذه الحياة من حيث الدين والعقيدة على طرفي نقيض: كافر ومؤمن، و" المعنى أن الله هو الذي خلقكم وقدر على قوم منكم الكفر، وعلى قوم منكم الإيمان، ثم بعد ذلك يهدي كلاً لما قدره عليه كما قال: (والذي قدّر فهدى) سورة الأعلى/3، فيسر

¹ - تفسير البيضاوي، 110/2.

² - تفسير أبي السعود، 258/2.

³ - في ظلال القرآن، 814/2.

⁴ - التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، 398 /3.

⁵ - تفسير ابن كثير، 476/2.

الكافر إلى العمل بالكفر، ويسر المؤمن للعمل بالإيمان، كما قال صلى الله عليه وسلم : « اعملوا فكل ميسر لما خُلق له »¹ 2.

ومن المعلوم أن هذا النص - وهو مما يدخل في قضايا الإيمان بالقدر - مما ضل فيه كل من القدرية³ والجبرية⁴، وأن أهل السنة يؤمنون أن كلاً بقدر الله ومشيتته⁵، ولا تعارض بين القدر والشرع ولا بين تقدير الله للمعاصي وبغضه لها، وأن إثبات القدر لا ينافي إسناد أفعال العباد إليهم حقيقة وأنهم يفعلونها باختيارهم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) في العقيدة الواسطية: " وقد أمر الله العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

¹ - الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة » قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: { فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى } [الليل: 5-6] الآية " صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب { فَسُنِّيْزُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: 10]، رقم 4949، 171/6، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم 2647، 2039/4.

² - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 195/8.

³ - القدرية هم نفاة القدر، الذين يقولون: لا قدر، ونسبوا التقدير إلى أنفسهم لا إلى الخالق، وقالوا إن الله ليست له قدرة ولا إرادة، وأفعال العباد مخلوقة لهم، وليس الله خالق لأفعالهم. أنظر : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م ص 315 . وهذا قول بين الضلال، وهو كفر بالله تعالى، وتكذيب للمعلوم من الدين بالضرورة. والمعتمد الصحيح الذي تضافرت عليه أدلة الكتاب والسنة إثبات علم الله تعالى السابق، وأنه كتب مقادير الخلائق جميعاً قبل أن يخلقهم، وأنه لا يقع في كونه إلا ما شاء وأراد. قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49] .

⁴ - الجبرية: من الجبر، وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجبرية: اثنان: متوسطة، تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية وخالصة لا تثبت، كالجهمية. التعريفات، ص: 74.

⁵ - رد الإمام ابن القيم (ت751هـ) رحمه الله بكلام نفيس على ضلال فرقتي القدرية والجبرية في مسألة القدر، فقال رحمه الله: " وقد جعل الله هذه الأمة هي الأمة الوسط في جميع أبواب الدين، فإذا انحرف غيرها من الأمم إلى أحد الطرفين كانت هي في الوسط، كما كانت وسطاً في باب أسماء الرب تعالى وصفاته بين الجهمية والمعتلة والمشبهة الممثلة... وكانت وسطاً في القدر بين الجبرية الذين ينفون أن يكون للعبد فعل أو كسب أو اختيار البتة، بل هو مجبور لا اختيار له ولا فعل، وبين القدرية النفاة الذين يجعلونه مستقلاً بفعله ولا يدخل فعله تحت مقدور الرب تعالى ولا هو واقع بمشيئة الله تعالى وقدرته، فأنبتوا له فعلاً وكسباً واختياراً حقيقة، وهو متعلق الأمر والنهي والثواب والعقاب، وهو مع ذلك واقع بقدرة الله ومشيتته، فما شاء الله من ذلك كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يتحرك ذرة إلا بمشيئته وإرادته... فلا ينطل الشرع بالقدر، ولا نكذب بالقدر لأجل الشرع، بل نؤمن بالمقدور ونصدق الشرع، فنؤمن بقضاء الله وقدره وشرعه وأمره، ولا نعارض بينهما فنبتل الأسباب المقدورة أو نقدح في الشريعة المنزلة، كما فعله الطائفتان المنحرفتان ... لكن الموفقون المهديون آمنوا بقدر الله وشرعه ولم يعارضوا أحدهما بالآخر ... فلولا القدر لما وجد الأمر، ولا تحقق على ساقه، ولولا الأمر لما تميز القدر ولا تبيّن مراتبه وتصاريفه، فالقدر مظهر للأمر والأمر تفضيل له، والله سبحانه له الخلق والأمر، فلا يكون إلا خالقاً أمراً، فأمره تصريف لقدره وقدره منفذ لأمره" ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية - بيروت، 242/2-244.

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم. والعبد هو: المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم. وللعباد قدرة على أعمالهم، وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التكوير: 28-29].

وهذه الدرجة من القدر، يكذب بها عامة «القدرية»، الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم: «مجوس هذه الأمة»¹.

ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه؛ حكمها ومصلحتها.²

وقد ذكر القرطبي أقوال الطائفتين من أهل العلم³ في تفسير هذه الآية، ولكل طائفة ما استدلت به. الأولى: عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله فرعون في بطن أمه كافرا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا»⁴.

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود: "فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها"⁵. وفي صحيح مسلم عن سهل ابن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»⁶.

¹ - الحديث بتمامه أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر، وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "القدرية مجوس هذه الأمة: إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم" سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، الحديث 4693، 4/357، وحسنه الألباني.

² - ابن تيمية، العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الثانية 1420هـ / 1999م، ص 107-108.

³ - أنظر تفسير القرطبي، 18/132-133.

⁴ - صحح الشيخ الألباني هذا الحديث بمجموع طرقه، ولفظه عند أكثر الرواة بتقديم خلق يحيى بن زكريا: "خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرا" قال الألباني في تخريجه للحديث: "سنده ضعيف جدا، ولكن الحديث صحيح بطرقه، وأهمها طريق أبي هلال الراسبي فهو جيد. وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا بلفظ: "إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم". أخرجه مسلم وغيره. (الخلق هنا: هو التقدير) "محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث 1831، مكتبة المعارف - الرياض، 4/446.

⁵ - متفق عليه، سبق تخريجه.

⁶ - الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، رقم الحديث 2898، 4/37، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث 112،

وقال: قال علمائنا: والمعنى تعلق العلم الأزلي بكل معلوم، فيجري ما علم وأراد وحكم. فقد يريد إيمان شخص على عموم الأحوال، وقد يريده إلى وقت معلوم. وكذلك الكفر. الثانية ما جاء في قوله: وقال جماعة من أهل العلم:

إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا. قالوا: وتام الكلام هو الذي خلقكم، ثم وصفهم فقال: فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ } [النور: 45] الآية. قالوا: فאלله خلقهم، والمشي فعلهم، واختاره الحسين بن الفضل قال: لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله: { فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ }. واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »¹ الحديث.

ثم نقل القرطبي كلاماً للزجاج - وقال عنه: وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأئمة - ونصه: " إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان. والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه، لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه، ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه، لأن وجود خلاف المقدور عجز، ووجود خلاف المعلوم جهل، ولا يليقان بالله تعالى. وفي هذا سلامة من الجبر والقدر"².

ولعل مما يشهد لقول الزجاج قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) سورة الصافات/96.

قال سيد قطب مبينا حرية اختيار الإنسان للإيمان أو الكفر، فليست المسألة جبراً: " فعن إرادة الله وعن قدرته صدر هذا الإنسان؛ وأودع إمكان الاتجاه إلى الكفر وإمكان الاتجاه إلى الإيمان؛ وتميز بهذا الاستعداد المزدوج من بين خلق الله؛ ونيطت به أمانة الإيمان بحكم هذا الاستعداد. وهي أمانة ضخمة وتبعة هائلة، ولكن الله كرم هذا المخلوق فأودعه القدرة على التمييز والقدرة على الاختيار؛ وأمده بعد ذلك بالميزان الذي يزن به عمله ويقيس به اتجاهه، وهو الدين الذي نزل على رسله، فأعانه بهذا كله على حمل هذه الأمانة، ولم يظلمه شيئاً"³.

فليس الأمر إذن جبراً وطبعاً، بمعنى أن الله تعالى خلق هذا كافراً وخلق هذا مؤمناً، ولا يمكن لهذا أن يؤمن ولا يمكن لهذا أن يكفر؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن للأمر بالإيمان معنى، فالله سبحانه وتعالى يقول : { فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } سورة التغابن/8، ويحذرننا من الكفر والشرك: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ

¹ - متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، الحديث 1385، 100/2، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، الحديث 2658، 2047/4.

² - وهذا ما قرره البيهقي أيضاً في تفسيره، 140/8.

³ - في ظلال القرآن، 6/3585.

شَيْئًا { سورة النساء / 36، ويتوعد الكافرين: { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { سورة الأحقاف/34.

فنصوص القرآن تدل على أن الإنسان العاقل مختار ويستطيع أن يسلك هذا الطريق أو ذاك، قال عز وجل: { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ { سورة البلد/10، وقال: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا { سورة الشمس/7-10 وقال تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا { سورة الإنسان/3.

فلو شاء الله أن يجبر الناس على الإيمان لجبرهم عليه، وكانوا مؤمنين كلهم، ولكن الله تعالى شاء أن يدع لهم اختيار الطريق، وأن يكونوا مسؤولين عن اختيارهم، وهذا عين العدل.

أما في الحديث النبوي، فقد اقترن لفظ الكفر بلفظ الإيمان في سياقات مختلفة، نذكر منها النماذج التالية:

عطف الإيمان على الكفر:

- روى الترمذي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة ».¹

عطف الكفر على الإيمان:

- أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا ».²

نلاحظ في الحديث الأول عطف الإيمان على الكفر وفي الحديث الثاني عطف الكفر على الإيمان، والعلاقة الرابطة بينهما هي علاقة التضاد.

- روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية، أتاكم أهل اليمن فهم أرق أفئدة، وألين قلوبا، والكفر قبل المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل، والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم ».³
- اختلف شراح الحديث في معنى قوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان يمان)، وذكروا في ذلك أقوالا، حكاها أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، قال رحمه الله: " قوله: الإيمان يمان، وإنما بدأ الإيمان من مكة لأنها مولد النبي عليه الصلاة والسلام ومبعثه، ثم هاجر إلى المدينة، ففي ذلك قولان:

¹ - سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ترك الصلاة، الحديث 2618، 13/5 وصححه الألباني.

² - مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث 8593، 14/251، وحسنه محققو المسند.

³ - مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث 8942، 14/506 وصححه محققو المسند.

أحدهما: فإنه يقال: إن مكة من أرض تهامة¹، ويقال: إن تهامة من أرض اليمن... فكان مكة على هذا التفسير يمانية.

والوجه الآخر: أنه يروى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام وهو يومئذ بتبوك ناحية الشام، ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة... ألا تراهم قالوا: الركن اليماني، فنسب إلى اليمن وهو بمكة لأنه مما يليها. ويذهب كثير من الناس في هذا إلى الأنصار، يقول: هم نصرُوا الإيمان، وهم يمانية، فنسب الإيمان إليهم على هذا المعنى. وهو أحسن الوجوه عندي².

وتعقبه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح (ت643هـ) رحمه الله فيما نقله عنه الإمام النووي (ت676هـ) بقوله: " لا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمله على أهل اليمن حقيقة، لأن من اتصف بشيء، وقوي قيامه به، وتأكد اطلاعه منه، ينسب ذلك الشيء إليه، إشعاراً بتمييزه به وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أعقاب موته كأويس القرني وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما، وشبههما ممن سلم قلبه وقوي إيمانه، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم: « الإيمان في أهل الحجاز »³ ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان، فإن اللفظ لا يقتضيه، هذا هو الحق في ذلك، ونشكر الله تعالى على هدايته له والله أعلم⁴. وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية وابن رجب رحمهما الله في تعليقهما على هذا الحديث:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ): " وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار، فبهم نَقَسَ الرحمن عن المؤمنين الكريات "⁵.

وقال ابن رجب (ت795هـ): " وهذا إشارة منه إلى أبي موسى الأشعري، ومن كان على طريقه من علماء أهل اليمن، ثم إلى مثل أبي مسلم الخولاني وأويس القرني، وطاوس، ووهب بن منبه، وغيرهم من علماء أهل اليمن، وكل هؤلاء من العلماء الريانيين الخائفين لله، فكلهم علماء بالله يخشونه ويخافونه، وبعضهم

¹ - تهامة: بكسر أوله. اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز، ومكة من تهامة. سميت تهامة: من التَّهم - بفتح التاء والهاء - وهو شدة الحر وركود الريح، وقيل سميت بذلك لتغير هوائها، يقال: تهم الدهر إذا تغير. انظر: مجمل اللغة لابن فارس، مادة (تهم)، 151/1، وتهذيب الأسماء واللغات، النووي، 3/ 44.

² - أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، 161/2-164.

³ - الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غلظ القلوب، والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز» صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، الحديث 53، 73/1.

⁴ - شرح النووي على مسلم، 2/ 33.

⁵ - مجموع الفتاوى، 398/6.

أوسع علما بأحكام الله وشرائع دينه من بعض، ولم يكن تميزهم عن الناس بكثرة قيل وقال، ولا بحث ولا جدال.¹

أما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: « والكفر قبل المشرق » فأحيل القارئ الكريم إلى مطلب ضميمية رأس الكفر حيث تم بسط كلام أهل العلم حول هذا المعنى بما يغني عن إعادته في هذا الموضع.

- أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار.² » وفي رواية: « من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا³، وفي رواية أحمد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتى يقذف في النار أحب إليه من أن يعود في الكفر بعد أن نجاه الله منه، ولا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين. »⁴

قال الإمام النووي في شرح الرواية الأولى: " هذا حديث عظيم، أصل من أصول الإسلام، قال العلماء رحمهم الله: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵."

وقال ابن رجب (ت795هـ): " فإذا وجد القلب حلاوة الإيمان أحس بمرارة الكفر والفسوق والعصيان، ولهذا قال يوسف عليه السلام: { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } [يوسف/33]... واعلم أن القدر

¹ - ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، 250/1. فأكثر أهل العلم على أن ذلك لا يشمل كل أهل اليمن، وإنما هو خاص بمن كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما قاربه ممن نصرُوا الإسلام في أول الأمر.

ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة إذ قال: « يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض ». فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت، قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فقال في الثالثة كلمة ضعيفة: " إلا أنتم « مسند الإمام أحمد، مسند المدنيين، حديث جبير بن مطعم، رقم الحديث 16779، وحسن إسناده محققو المسند، 335/27.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، الحديث 16، 14/1، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، الحديث 43، 66/1.

³ - شرح النووي على صحيح مسلم، 13/2.

⁴ - مسند الإمام أحمد، الحديث 13151، 397/20، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁵ - شرح النووي على صحيح مسلم، 13/2.

الواجب من كراهة الكفر والفسوق والعصيان هو أن ينفر من ذلك ويتباعد منه جهده ويعزم على أن لا يلبس شيئاً من جهده لعلمه بسخط الله له وغضبه على أهله.¹

وقال الحافظ ابن حجر: " قوله « وأن يكره أن يعود في الكفر » زاد أبو نعيم في المستخرج .. » بعد إذ أنقذه الله منه « وكذا هو في طريق أخرى للمصنف، والإنقاذ أعم من أن يكون بالعصمة منه ابتداء بأن يولد على الإسلام ويستمر، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة.²

ومن فقه الحديث، وما يستنبط منه:

- وجوب تقديم محبة الله ورسوله على كل ما سواههما.
- أن تمكن محبة الله في قلب المؤمن يقتضي كراهة الكفر بالله وأهله.
- التنفير من الكفر بالله والتحذير منه.
- ومن ثمة تتضح علاقة المنافاة والضدية بين الإيمان والكفر.

المطلب الثاني: الهداية

1- موارد الكفر والهداية / الهدى / الاهتداء في القرآن الكريم والحديث النبوي:

اقتران الكفر ب :	الهداية ³	الهدى ⁴	الاهتداء ⁵	المجموع
في القرآن الكريم	34	15	4	53
في الحديث النبوي	1	--	2	3

كما نلاحظ في الجدول، فقد بلغت موارد اقتران الكفر بلفظ الهدى بمشتقاته المختلفة ثلاثة وخمسين مرة في القرآن الكريم (53)، وثلاث مرات في الحديث النبوي (3)، حسب ما توصلت إليه في الإحصاء.

¹ - ابن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 58/1.

² - فتح الباري، 62/1.

³ - سورة البقرة/26، سورة آل عمران/86، 101 سورة النساء/51، 88-89، 137، 168، سورة المائدة/67، سورة الأنعام/89-90، سورة التوبة/37، 80، سورة الرعد/27، 33، 31، سورة النحل/104، 107، سورة الإسراء/9-10، 97-98، سورة القصص/50

⁴ - سورة البقرة/98-97، سورة آل عمران/72-73، سورة المائدة/44 سورة الأنعام/88-89 سورة الأعراف/50-51 سورة التوبة/32-33، سورة الكهف/56-57، سورة مريم/73-75، سورة القصص/50، 85-86، سورة سبأ/31-32

⁵ - سورة التوبة/17-18، سورة الكهف/56-57، سورة مريم/73-75، سورة الأحقاف/11.

وجاء ذلك في تراكيب متنوعة، وسأقتصر - كما في السابق - على إبراد نماذج من الآيات موارد التعالق، تعطينا صورة عن علاقة التضاد التي تجمع بين المفهومين.

2- مفهوم الهداية لغة واصطلاحاً:

ورد لفظ الهداية في المعاجم على معاني الدلالة والإرشاد والتقدم لذلك بلطف.

قال ابن فارس (ت395هـ): " الهاء والdal والحرف المعتل: أصلان، أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر بَعَثُهُ لَطَفٌ.

فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد... والأصل الآخر الهَدِيَّةُ: ما أهديت مَنْ لَطَفَ إلى ذي مودة" ¹.

فاللطف في الدلالة قيد دقيق تتميز به الهداية عن معنى الدلالة بإطلاق، وقد نبه الراغب في مفرداته على هذا المعنى قائلاً: " الهداية دلالة بلطف " ².

أما لفظا الهدى والاهتداء فهما من نفس الأصل اللغوي، مع بعض الخصوصيات في الاستعمال، قال الراغب: " والهُدَى والهِدَايَةُ في موضوع اللّغة واحد، لكن قد خصّ الله عزّ وجلّ لفظة الهدى بما تولّاه وأعطاه، واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو: { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ } [البقرة/5]، { قُلْ إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى } [الأنعام/71]... والاهتداء يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار، إمّا في الأمور الدنيويّة، أو الآخرويّة، قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا } [الأنعام/97]... وقوله: { فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ } [النمل/92] فَإِنَّ الْإِهْتِدَاءَ هَاهُنَا يَتَنَاولُ وَجْهَ الْإِهْتِدَاءِ مِنْ طَلَبِ الْهُدَايَةِ، وَمِنْ الْإِهْتِدَاءِ، وَمِنْ تَحْرِيبِهَا " ³.

فالاهتداء خاص بإدامة طلب الهداية، وعدم الفتور عن تحريها والتوبة من المعاصي وعدم الرجوع إليها، كما في قوله تعالى: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى } [طه/82].

واصطلاحاً، فإن هداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه، ذكرها الراغب (502هـ)، قال: " الأول: الهداية التي عمّ بجنسها كلّ مكلف من العقل، والفتنة، والمعارف الضرورية ⁴ التي أعمّ منها كلّ شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال: { رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه/50].

¹ - معجم مقاييس اللغة، مادة (هَدَى)، 43-42/6..

² - المفردات في غريب القرآن، مادة (هدى)، ص: 835.

³ - نفسه، ص: 839-838.

⁴ - كان ابن القيم (ت751هـ) موافقاً في تسمية هذا النوع بالهداية العامة حيث لم يحصرها في المكلفين، بل هي شاملة لكل المخلوقات، قال: " الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تعالى: (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (سورة طه: 50) أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشبّه فيها بغيره، وأعطى كلّ عضو شكله وهيئته، وأعطى كلّ موجود خلقه المختصّ به، ثم هداه ما خلقه له من الأعمال، قال: وللجماد أيضاً هداية تليق به، كما أنّ لكلّ نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختلفت أنواعها وصُورُها، وكذلك لكل عضو هداية تليق به، فهدي الرجلين للمشّي، واللسان للكلام، والعين لكشف المرئيات، وهلمّ جرّاً، وكذا هدى الزوجين من كلّ حيوان إلى الأزواج والتناسل وتربية الولد، والولد إلى التّقام التّدي عند وضعه، ومراتب هدايته سبحانه لا يُحصى إلا هو. " بدائع الفوائد، 36-35/2.

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك¹، وهو المقصود بقوله تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا } [الأنبياء/73].

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعنى بقوله تعالى: { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى } [محمد/17]، وقوله: { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } [التغابن/11] " ².

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله: { سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ } [محمد/5] ، { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ } [الأعراف/43] إلى قوله: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا }

وهذه الهدايات الأربع مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية، بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثالث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله ³.

وأما من جهة ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم، فإنه بلغ الغاية في الاهتمام بموضوع الهدى والهداية والاهتداء؛ ولذلك تعددت اشتقاقات هذا اللفظ في القرآن، حيث جاء في نحو خمسين ومائتي موضع، وجاء بصيغ متنوعة.

وقد تعددت معاني الهدى في القرآن الكريم، وجاءت على عدة وجوه رآها العسكري (ت395هـ) اثني عشر وجهاً⁴، فيما رآها الدامغاني (ت478هـ) ستة عشر وجهاً⁵، اتفقا في بعض الوجوه، واختلفا في البعض، وهي: البيان، والطريق أو دين الإسلام، والإيمان، والرشد، والدعاء أو الداعي، والمعرفة، والإلهام، والإصلاح، والتوحيد، والرسول والكتب، والقرآن، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم، والاستئذان بسنن الماضين، والاسترجاع عند المصيبة، واللفظ، وعدم الهداية إلى الحجة.

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والهداية:

1- قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } سورة البقرة/26.

¹ - سماها ابن القيم ب : " هداية البيان والدلالة والتعريف لِجُدَيِ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ وَطَرِيقِي النِّجَاةِ وَالْهَلَاكِ، وهذه الهداية لا تستلزم الْهُدَى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا يَنْتَفِي الْهُدَى معها، كقوله تعالى (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) (سورة فصلت:17) أي بَيِّنًا لَهُمْ وَأَرْشَدْنَاهُمْ وَذَلَّلْنَاهُمْ فَلَمْ يَهْتَدُوا " بدائع الفوائد، 37/2.

² - وهذه " هي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يَتَخَلَّفُ عنها، وهي المذكورة في قوله تعالى: (يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (سورة المدثر:31)، وفي قوله تعالى: (إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) (سورة النحل:37) " . بدائع الفوائد، 37/2.

³ - المفردات، مادة (هدى)، ص: 835 - 836.

⁴ - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، ص: 497 .

⁵ - قاموس القرآن، 473-476.

المقطع القرآني جاء في سياق إقامة الحجة في ضرب الأمثال، وأن ذلك من الحق سبحانه، حيث " ضرب الله هذين المتلین للمنافقين، وهما قوله: { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا } [البقرة: 17] وقوله { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ } [البقرة: 19] الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: { هُمْ الْخَاسِرُونَ } " ¹

ونقل ابن عطية (ت541هـ) " قول ابن قتيبة (ت276هـ): إنما نزلت لأن الكفار أنكروا ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت " ².

وذهب الرازي (ت606هـ) إلى أن الآية نزلت في سياق الرد على كل طوائف الكفار الذين ورد ذكرهم من أول سورة البقرة، ف " احتمال الكل هاهنا قائم، لأن الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مضى من أول السورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود، وذكر المنافقين، وذكر المشركين، وكلهم من الذين كفروا" ³.

يقول محمد سيد طنطاوي (ت1431هـ): " والاستحياء في أصل اللغة انقباض النفس وانكسارها من خوف ما يعاب به ويذم. وهذا المعنى غير لائق بجلال الله، لذا ذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمة، وهو ترك ضرب الأمثال بها.

والمعنى: إن الله لا يترك أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، وإطلاق الفعل كالاستحياء على ما يترتب عليه كترك الفعل، مألوف في الكلام البليغ حيث يكون المراد واضحاً. ومذهب السلف: إمرار هذا وأمثاله على ما ورد، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات. " ⁴

ومما جاء في تأويل قوله جل ثناؤه: { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } عند الطبري، قوله: " وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ، ومعنى الكلام: أن الله يُضِلُّ بالمثل الذي يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر... فيزيد هؤلاء ضلالاً إلى ضلالهم، لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له، وأنه لما ضربه له موافق. فذلك إضلال الله إياهم به. و"يهدي به"، يعني بالمثل، كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق ما ضربه الله له مثلاً وإقرارهم به، وذلك هداية من الله لهم به. " ⁵

¹ - تفسير الطبري، 399/1.

² - تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)، 110/1.

³ - تفسير الرازي، 361/2.

⁴ - التفسير الوسيط، 1/ 83.

⁵ - تفسير الطبري، 408/ 1.

فالهداية هنا خاصة بالمؤمنين المصدقين لكلام الله، أما الذين كفروا فاستحقوا " الإضلال: وهو الصرف عن الحق إلى الباطل"¹ وذلك لتكذيبهم واستنكارهم، وفي ذلك يكون المثل سبباً في ضلال الذين يجانبون الحق وسبباً في هداية المؤمنين به.

فيستفاد إذن من الآية الكريمة أن الكفر والإنكار لضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، والاعتراض على الله في ذلك مانع لحصول الهداية إلى الحق، وإنما يزدادون بإنكارهم تخطأً في ظلمات جهلهم، مما يدل على المنافاة والضدية بين الكفر والهداية.

2- قال عز وجل: { هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ } سورة الجاثية/11.

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق توعد الكفار - المكذبين بآيات الله - بشدة العذاب، وابتدأ الله الآية بقوله عز وجل { هَذَا هُدًى }، أي القرآن " كامل في كونه هدى"². فهو " بيان ودليل على الحق، يهدي إلى صراط مستقيم، من اتبعه وعمل بما فيه، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها، ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع."³ فالقرآن الكريم في أعلى درجات الهداية وأكملها، وفسر البقاعي(ت885هـ) هذه الهداية بقوله: " فالذين اهتدوا بآيات ربهم لأنهم - لم يغتروا بالحاضر لكونه زائلاً - فاستعملوا عقولهم فأمنوا به لهم نعيم مقيم، { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } أي ستروا ما دلتهم عليهم مرأى عقولهم به، هكذا كان الأصل، ولكنه نبه على أن كل جملة من جملة، بل كل كلمة من كلماته دلالة واضحة عليه سبحانه فقال: { بآيات ربهم } أي وهذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن إليهم، فضلوا عن السبيل لتقريطهم في النظر لغرورهم بالحاضر الفاني...

الآية من الاحتباك: ذكر الهدى أولاً دليلاً على الضلال ثانياً، والكفر والعذاب ثانياً دليلاً على ضدهما أولاً، وسره أنه ذكر السبب المسعد ترغيباً فيه، والمشقي ترهيباً منه "⁴.

إذن ففي الآية تقابل مضمرة بين المهتدين بآيات القرآن العاملين بها، والكافرين بها المستكبرين عنها، وبذلك فالعلاقة هي علاقة المنافاة والضدية بين الهدى والكفر.

3- قال عز وجل: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ

هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ } سورة الأحقاف/11

¹ - تفسير البغوي، 77/1.

² - تفسير الرازي، 672 / 27.

³ - تفسير الطبري، 64 / 22.

⁴ - نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، 74-73/18.

الآية وردت في سياق ذكر بعض أقاويل الكفار الباطلة في حق القرآن الكريم والمؤمنين به، وهذه من الشبه التي يلقيها القوم لإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

جاء في تفسير ابن كثير (ت774هـ) للآية قوله رحمه الله: وقوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه. يعنون بلالا وعماراً وصُهيياً وخباباً وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشاً، وأخطأوا خطأ بيناً، كما قال تعالى: { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا } [الأنعام: 53] أي: يتعجبون: كيف اهتدى هؤلاء دوننا¹؛ ولهذا قالوا: { لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ }².

ثم أخبر تعالى عما يقولون عناداً وتكبراً وكفراً عند تعمد الإعراض: { وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ }.

" أي لما لم يصيبوا الهدى بالقرآن ولا بمن جاء به عادوه ونسبوه إلى الكذب، وقالوا هذا إفك قديم³، كما قالوا: أساطير الأولين. وقيل لبعضهم: هل في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال نعم؟ قال الله تعالى: (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ) ومثله (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) [يونس: 39]."⁴ فالناس أعداء ما جهلوا.

يستفاد من السياق إذن حصول التضاد بين الكفر بالقرآن وتحقيق الاهتداء به والانتفاع بما فيه من الحق، ومن ثمة تتضح علاقة المنافاة والصدية بين الاهتداء والكفر.

¹ - قال الماوردي (ت450هـ): " وهذه المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه من أقبح المعارضات لانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم : لو كان ما أنتم عليه خيراً ما عدنا عنه ، ولو كان تكذيبكم للرسول خيراً ما سبقتمونا إليه ". النكت والعيون (تفسير الماوردي)، 5/ 275.

² - تفسير ابن كثير، 7/ 278.

³ - قال ابن كثير: " وهذا هو الكبير الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بطل الحق، وغمط الناس) " تفسير ابن كثير، 7/ 279، وهذا الحديث بتمامه رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: « إن الله جميل يحب الجمال، الكبير بَطْرُ الحق، وَغَمَطُ الناس » قال النووي (ت676هـ): " (وغمط الناس) ومعناه احتقارهم، يقال في الفعل منه: غمطه بفتح الميم يغمطه بكسرهما وغمطه بكسر الميم يغمطه بفتحها، أما (بطل الحق) فهو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا " شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، الحديث 91، 89/2.

⁴ - تفسير القرطبي، 16/ 190.

4- قال عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } سورة البقرة/264.

هذه الآية نفت هداية الله للقوم الكافرين، وقد ورد كذلك ما يشبه هذا النفي في ثلاثة مواضع أخرى¹. والخطاب في الآية ورد في سياق نهى المؤمنين عن إبطال تبرعاتهم بتعدادها على من تُصدَّق بها عليه، وإذلاله بالكلمة التي تمس كرامته، كمن ينفق ماله مراعاة للناس، ولا يبغي بعمله رضا الله ولا ثواب الآخرة، وقد شبه الله هذا الكافر المرائي في إنفاقه بقوله: " (كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) كمثل حجر أملس، (عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) مطر عظيم القطر، (فَتَرَكَهُ صَلْدًا) أملس نقياً من التراب، (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا) لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثواباً...

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) إلى الخير والرشاد، وفيه تعريض بأن الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفات الكفار، ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها"². وقال السمرقندي(ت375هـ): " (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) يعني لا يرشدهم إلى الإسلام والإخلاص، ولا يوفقهم الله، بل يخذلهم مجازاة لكفرهم"³.

فهؤلاء " الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا "⁴، كما قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } سورة النحل/104.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا، ولهم عذاب أليم موجه في الآخرة"⁵. وفي مثل هؤلاء يقول تعالى أيضاً: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } سورة الأعراف/146.

فهؤلاء هم الذين لا يهديهم الله عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه، وهذه الهداية المنفية عن الكفار خاصة بهداية التوفيق، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فإنه سبحانه نصبها لجميع الناس، فلم يدع أمة إلا بعث فيها نبياً، قال سبحانه: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) سورة الرعد/7.

¹ - وهي: سورة المائدة (67)، سورة التوبة (37)، سورة النحل (107).

² - تفسير البضاوي، 1/ 158.

³ - أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، 201/1.

⁴ - تفسير السعدي، ص: 336.

⁵ - تفسير ابن كثير، 4/ 604.

أما من كان من أهل الكفر والضلال، ثم تاب إلى الله واهتدى، فهؤلاء من الذين وفقهم الله للهداية، وكتبهم عنده من السعداء، وسبقت لهم منه الحسنى سبحانه.

وقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا زِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ».

والحاصل: أن هؤلاء الكفار الذين لا يهديهم الله هم الذين حقت عليهم كلمة الله بالعذاب، وعلم الله تعالى أنهم معاندون لا يؤمنون مهما جاءهم من الآيات، وبهذا تتبين علاقة المنافاة والضدية بين الكفر والهداية.

أما في الحديث النبوي، فقد ورد لفظ الكفر مقترنا بالهداية في حديث واحد، ومقترنا بالاهتداء في حديث كذلك، وذلك في علاقات بيانها كالتالي:

- أخرج ابن ماجه بسنده عن عبد الحميد بن سلمة، عن أبيه، عن جده، أن أبويه اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أحدهما كافر والآخر مسلم، فخيرته فتوجه إلى الكافر، فقال: « اللهم اهده » ، فتوجه إلى المسلم، فقضى له به.¹

فقول النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء للولد: « اللهم اهده » أي: أرشد هذا الولد إلى ما هو سبب في هدايته². وإنما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يختار الكافر منهما، فيربيه على الكفر. فجاء الدعاء النبوي بالهداية رحمة بالولد من العيش في بيئة الكفر، ومن ثمة تتضح علاقة المنافاة والضدية بين الهداية والكفر.

- روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق فأقعدته، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأما إذ آمنت فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره.

وإن كان كافرا أو منافقا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا، فيقول: لا دريت، ولا تليت، ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك،

¹ - سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب تخيير الصبي بين أبويه، رقم الحديث 2352، 788/2، وصححه الألباني.

² - محمد الأمين بن عبد الله الأثيوبي الهزري، شرح سنن ابن ماجه المسمى « مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى »، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018 م، 462/13.

فأما إذ كفرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين"، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك¹، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) (سورة إبراهيم/27)².

قال السندي (ت1138هـ): " « ولا تليت » أي ولا قرأت، أصله تلوت قلبت الواو ياء للازدواج، كذا قيل، ويجوز أن يكون معناه ولا تبعت أهل الحق، أي ما كنت محققاً للأمر ولا مقلداً لأهله، والله تعالى أعلم.³

وجاء في شرح الساعاتي (ت1378هـ) لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا دريت ولا تليت ولا اهتديت " أي: " لا فهمت ولا قرأت القرآن ولا اتبعت من يدري "⁴.

ويحتمل أن يكون معنى « ولا اهتديت » أي: ولا اهتديت إلى معرفة الحق واتباعه، والله أعلم. يستفاد إذن من الحديث النبوي نفي الاهتداء عن الكافر، وهذا ما يؤكد علاقة التضاد بين الكفر والاهتداء.

المطلب الثالث: الإسلام

1- موارد العلاقة بين الكفر والإسلام في القرآن الكريم والحديث النبوي:

اقترن لفظ الكفر بلفظ الإسلام في القرآن الكريم في ثلاثة عشرة موضعاً (13)⁵، وفي الحديث النبوي بلغ الاقتران بينهما اثنين وثلاثين مرة (32)، وهذا يكشف عن ارتفاع نسبة الورد في الحديث مقارنة مع نسبته في القرآن. ومرد هذه النسبة المرتفعة إلى تركيز النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته الناس - على اختلاف طوائفهم من مشركين وأهل كتاب ومجوس وغيرهم - على تسمية الدين الذي بعثه الله به إلى الناس بما سماه الله في القرآن: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } سورة آل عمران/19، وبيانه صلى

¹ - " إلا هيل عند ذلك " أي: أوقع في الهول والفرع، على بناء المفعول، من الهول، قال الفيروزآبادي: " هَالَهُ هَوْلًا أَفْزَعُهُ، كَهَوَّلَهُ، فَاهْتَالَ. وَالهَوْلُ الْمَخَافَةُ مِنَ الْأَمْرِ لَا يَدْرِي مَا هَجَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ " القاموس المحيط، ص 1073.

² - مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم الحديث 11000، 32-33-34، وصححه محققو المسند.

³ - أبو الحسن السندي، فتح الودود في شرح سنن أبي داود، تحقيق: محمد زكي الخولي، (مكتبة لينة - دمنهور - مصر)، (مكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة)، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010م، 505/4.

⁴ - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، 109/8.

⁵ - سورة آل عمران/19-52-80، سورة المائدة/3-44، سورة يونس/86، سورة الحجر/2، سورة النحل/83، سورة النمل/42-44، سورة الروم/53، سورة لقمان/22، سورة الصف/7.

الله عليه وسلم أن دين الأنبياء واحد مصداقا لقوله تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } سورة آل عمران/67.

2- مفهوم الإسلام لغة واصطلاحاً:

الإسلام في اللغة " مأخوذ من الاستسلام وهو الانقياد والطاعة " ¹، وذلك " لأنه يسلم من الإباء والامتناع. " ² ومنه قول الله تعالى: { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ } سورة الصافات/103، أي: فلما استسلم إبراهيم وإسماعيل لأمر الله وانقادا له. ويعني كذلك الخضوع. ³

والإسلام في الشرع هو دين الله الذي جاء به الأنبياء والرسل إلى الناس كافة، إلى أن ختمت شرائعه ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } سورة المائدة/3، وقال سبحانه: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } سورة آل عمران/19. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم معنى الإسلام في حديث جبريل عليه السلام، بقوله صلى الله عليه وسلم: " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " ⁴.

ومن التعريفات الاصطلاحية الجامعة نذكر ما يلي:

قال الراغب: " والإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } سورة الحجرات/14.

والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ } سورة البقرة/131، وقوله: { إِنْ تَسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ } سورة النمل/81، أي: منقادون للحق مذعنون له " ⁵.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) رحمه الله: " لفظ " الإسلام " يجمع معنيين: أحدهما: الانقياد والاستسلام.

¹ - غريب الحديث، ابن قتيبة، 328/1، المقاييس، مادة (سلم)، 90/3.

² - المقاييس، مادة (سلم)، 90/3.

³ - لسان العرب، مادة (سلم)، 289/12.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم الحديث 8، 36/1.

⁵ - المفردات، ص: 423.

والثاني: إخلاص ذلك وإفراده، وعنوانه قول لا إله إلا الله، وله معنيان: أحدهما: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء؛ كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين والشرعة والمنهاج... وله مرتبتان: أحدهما: الظاهر من القول والعمل وهي المباني الخمس. والثاني: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن¹.

وجماع الأمر فإن "الإسلام هو العبودية، وهو تسليم النفس لرضى الله تعالى بالكلية، وبه يتقرب العبد إلى مولاه، ويرفع منزلته حسب كماله في الإسلام".²

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والإسلام:

نجد في جميع مواضع الورود العلاقة الرابطة بين الكفر والإسلام هي علاقة التضاد، لذلك نكتفي بتحليل نماذج من هذه العلاقة في مواردها كما يلي:

- قوله عز وجل في سياق التأكيد على انحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام³، وكفر من خالف أصول من دان بغيره: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } سورة آل عمران/19. قال ابن كثير: " وقوله: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل، كما قال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: 85] "⁴.

ثم بين سبحانه أن اختلاف أهل الكتاب في شأن الدين الحق-الإسلام- لم يكن عن جهل منهم بحقيقته، وإنما كان سببه البغي والحسد فقال تعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ

¹ - مجموع الفتاوى، 7/ 635-636.

² - عبد الحميد الفراهي، مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، مرجع سابق، ص: 148.

³ - قال ابن عاشور: " فقلوه : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } صيغة حصر، وهي تقتضي في اللسان حصر المسند إليه، وهو الدين، في المسند، وهو الإسلام، على قاعدة الحصر بتعريف جزئي الجملة، أي لا دين إلا الإسلام ، وقد أكد هذا الانحصار بحرف التوكيد. " التحرير والتنوير، 3/190.

⁴ - تفسير ابن كثير، 2/25.

بَغْيًا بَيْنَهُمْ }، قال الشوكاني (ت 1250هـ): " فيه الإخبار بأن اختلاف اليهود والنصارى كان لمجرد البغي بعد أن علموا بأنه يجب عليهم الدخول في دين الإسلام بما تضمنته كتبهم المنزلة إليهم "1. قال ابن عاشور (ت 1393هـ): " وقد لَمَحَت الآية إلى أَنَّ هذا الاختلاف، والبغي كُفْرٌ، لأنَّه أفضى بهم إلى نقض قواعد أديانهم، وإلى نكران دين الإسلام، ولذلك ذِيلَه بقوله: { وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }...

فَبَنُو إِسْرَائِيلَ عبدوا العجل والرسولُ بين ظهرائِهِمْ، وعبدوا آلهة الأمم غير مرة، والنصارى عبدوا مريم والمسيح، ونقضوا أصول التوحيد، وادَّعوا حلول الخالق في المخلوق "2.

فقررت الآية إذن أن الإسلام هو الدين المرضي الصحيح عند الله، كما قال تعالى: { وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } سورة المائدة/3، وما وقع فيه أهل الكتاب من اختلاف بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم - الذي أقام الحجة عليهم بوجوب اتباع دينه كما في كتبهم - ففترقوا شيعاً وأحزاباً، هذا الاختلاف كفر بالإسلام، فالمناسبة بينهما من جهة التضاد.

- قوله سبحانه في سياق بيان أن موقف بني إسرائيل من عيسى عليه السلام بعد أن جاءهم بالبينات كان موقف الكافر به الجاحد لرسالته باستثناء الحواريين³: { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } سورة آل عمران/52/

قال ابن عطية: " { فَلَمَّا أَحَسَّ } ومعنى أحس: علم من جهة الحواس بما سمع من أقوالهم في تكذيبه ورأى من قرائن الأحوال وشدة العداوة والإعراض..و { الْكُفْرَ } هو التكذيب به "4، قال: { مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ } أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟⁵، فانتدب له طائفة من بني إسرائيل - الحواريون - فآمنوا به وأزروه ونصروه.

¹ - فتح القدير، 1/ 374.

² - التحرير والتنوير، 3/ 199-200.

³ - الحواريون جمع حوارى، وهم شيعه عيسى عليه السلام. يقال: كانوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرون الثياب، و"التَّحْوِير" للثياب وغيرها: تبييضها. أنظر غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، السنة: 1398هـ - 1978 م، ص: 464. وقيل: كانوا صِبَّادِينَ لاصطيادهم نفوس النَّاس من الحيرة، وقودهم إلى الحق، وقال بعض العلماء: إِنَّمَا سَمَّوا حوارِيَّين لأنهم كانوا يطهِّرون نفوس النَّاس بإفادتهم الدِّين والعلم المشار إليه بقوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب/33]. أنظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (حور)، ص: 263.

والصحيح كما جزم به ابن كثير أن الحوارى الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال: « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِييَ الرَّبُّبُ ». تفسير ابن كثير، 46/2. وهذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله، رقم 3514، 3/ 1362.

⁴ - تفسير ابن عطية، 1/ 442.

⁵ - تفسير ابن كثير، 2/ 45.

وقولهم: { **واشهد بآنا مسلمون** } إقرار منهم بأن دينهم الإسلام، وأنه دين كل الأنبياء صلوات الله عليهم¹.

فظهر بذلك التضاد الحاصل في هذه الآية بين الكفر والإقرار بالإسلام.

- قوله جل جلاله في سياق بيان أن الكافرين سيندمون بسبب كفرهم - في وقت لا ينفع فيه الندم - ويتمنون أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين: { **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** }² سورة الحجر/2

قال الشنقيطي: " وأقوال العلماء في هذه الآية راجعة إلى شيء واحد، لأن من يقول إن الكافر إذا احتضر وعاین الحقيقة تمنى أنه كان مسلماً، ومن يقول إنه إذا عاین النار ووقف عليها تمنى أنه كان مسلماً، ومن يقول إنهم إذا عاینوا إخراج الموحدين من النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين، كل ذلك راجع إلى أن الكفار إذا عاینوا الحقيقة ندموا على الكفر وتمنوا أنهم كانوا مسلمين"³.

المطلب الرابع: الإحسان

1- موارد الكفر والإحسان:

اقترن لفظ الكفر بلفظ الإحسان في القرآن الكريم في ستة مواضع (6)⁴، في حين لم يرد لهما اقتران في الحديث النبوي.

2- مفهوم الإحسان لغة واصطلاحاً:

أصل الإحسان لغة مصدر أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا من: " الحسن ضد القبح، يقال رجل حسن وامرأة حسناء... والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوي"⁵.
والإحسان: ضد الإساءة.. والحسنة ضد السيئة. وفي التنزيل: { **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** } سورة الأنعام/160... وأحسن به الظن، نقيض أساءه.¹

¹ - تفسير الرازي، 8/ 234.

² - وبين الله هذا المعنى في مواضع أخرى كقوله: { **وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** } [الأنعام: 27] وقوله: { **حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا** } [الأنعام : 31] الآية، وقوله : { **وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** } [الفرقان : 27] إلى غير ذلك من الآيات.

³ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 2/ 252.

⁴ - سورة آل عمران/148، سورة التوبة/120، سورة العنكبوت/69، سورة لقمان/22، سورة الزمر/58، سورة الأحقاف/12.

⁵ - المقاييس، مادة (حسن)، 58/2.

" والإحسان يقال على معنيين:

أحدهما: متعدّ بنفسه؛ كقولك: أحسنتُ كذا وفي كذا، إذا حسنتَهُ وكملتَهُ...

وثانيهما: متعدّ بحرف جرٍّ؛ كقولك: أحسنتُ إلى كذا، أي: أوصلتُ إليه ما يَنفَعُ به².

وحسنتُ الشيءَ تحسناً زَيْنُهُ³.

والإحسان في الشرع تتعد معانيه بتعدد مجالاته، لأن الله كتب الإحسان على كل شيء كما جاء في الحديث عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْحَ، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته⁴ ". وبالنظر إلى مجموع النصوص الواردة في الإحسان، فإنه يستعمل كما قال الراغب على وجهين:

" أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً⁵.

وهذا ما شرحه العلامة عبد الرحمن السَّعْدِي (ت1376هـ) بقوله: " الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق، بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه⁶، وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح، والتكميل لها. وإحسان في حقوق الخلق... كالقيام ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات، بإعطاء جميع ما عليك من الحقوق... والإحسان إلى البهائم، حتى في الحالة التي تزهق فيها نفوسها⁷ ".

3- بيان نوع التعالق بين الكفر والإحسان:

¹ - ابن سيده ، المحكم والمحيط، مادة (الحَاءُ وَالسَّيْنُ وَالْثُون) 198/3-199.

² - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 142/1-143.

³ - لسان العرب، مادة (حسن)، 114/13.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، الحديث 1955، 1548/3.

⁵ - المفردات، مادة (حسن)، ص: 236.

⁶ - وهو ما جاء في جواب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المتفق عليه من حديث أبي هريرة " قال ما الإحسان ؟ قال: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، الحديث 50، 27/1. قال التهانوي (ت1158هـ) في بيان مفهوم الإحسان هنا: " والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية .. أي تعبد مخلصاً في نيتك، واقفاً في الخضوع " كشف اصطلاحات الفنون والعلوم. 1/ 292.

⁷ - السعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م، ص: 141.

- قوله عز وجل في سياق المقابلة بين حسن عاقبة الأخيار المحسنين، وسوء عاقبة الأشرار الكافرين: { وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } سورة لقمان/22-23

قال السعدي في بيان هذا الاختلاف الحاصل بين المحسن والكافر: " { وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ } أي: يخضع له وينقاد له بفعل الشرائع مخلصاً له دينه، { وَهُوَ مُحْسِنٌ } في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعاً، قد اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

أو: ومن يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، وهو محسن فيها، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه.

أو ومن يسلم وجهه إلى الله، بالقيام بحقوقه، وهو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم. والمعاني متلازمة، لا فرق بينها .. فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين، على وجه تقبل به وتكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم و { اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } أي: بالعروة التي من تمسك بها، توثق ونجا، وسلم من الهلاك، وفاز بكل خير.

ومن لم يسلم وجهه لله أو لم يحسن، لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثمَّ إلا الهلاك والوبار¹.

فالإسلام وما يتطلبه من إحسان في عبادة الله وإحسان إلى النفس والخلق بجميل القول والفعال يقع على النقيض من الكفر بالله وبشرعه الداعي إلى كل خير، وبذلك تظهر علاقة المنافاة والضدية بين الإحسان والكفر.

ونفس هذه العلاقة الضدية جاءت في النصوص التالية:

- قال الله تعالى: { وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } سورة آل عمران/147-148

- وقال سبحانه: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } سورة العنكبوت/68-69.

- وقال عز من قائل: { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا

¹ - تفسير السعدي، ص: 650.

يَطَّوْنُ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ { سورة التوبة/120.

المطلب الخامس : التوحيد

1- موارد الكفر والتوحيد في القرآن الكريم والحديث النبوي:

اقتران الكفر ب :	توحيد العبادة ¹ العبادة ¹	توحيد الألوهية ²	توحيد الربوبية ³	المجموع
في القرآن الكريم	18	3	3	24
في الحديث النبوي	2	5	1	8

كما نلاحظ في الجدول، فإن موارد اقتران الكفر بالتوحيد - بتقسيماته - بلغت أربعة وعشرين مرة في القرآن (24)، وثمان مرات في الحديث (8)، حسب الإحصاء. وجاء ذلك في سياقات مختلفة، وسأقتصر - كما في السابق - على إيراد نماذج من الآيات موارد التعالق، تعطينا صورة عن علاقة التضاد التي تجمع بين المفهومين.

2- مفهوم التوحيد لغة واصطلاحاً:

كلمة التوحيد في اللغة ترجع إلى لفظة "وحد"، وفروع هذه الكلمة تدور على معنى الانفراد ونفي الشركاء، وانقطاع النظر والشبيه.

قال الخليل بن أحمد (ت170هـ): " الْوَحْدُ: الْمُتَفَرِّدُ...والرجل الوحيد ذو الوحدة، وهو المنفرد لا أنيس معه ⁴ .

وفلانٌ واحدٌ دهره، أي لا نظير له، وفلان لا واحد له، وأُوْحِدَهُ الله: جعله واحدَ زمانه⁵.
وَوَحَّدَهُ تَوْحِيدًا جَعَلَهُ وَاحِدًا...والله الْأَوْحَدُ وَالْمُتَّوَحِّدُ: ذُو الْوَحْدَانِيَّةِ¹.

¹ - توحيد العبادة في الاصطلاح هو نفسه توحيد الألوهية، لكن ذكرت هذين المفهومين منفصلين في الجدول باعتبار ألفاظ الورد في القرآن الكريم والحديث، لا باعتبار وجود فرق في المعنى.

ومواضع الاقتران هي: سورة المائدة/72، سورة الأعراف/65-66-73، سورة التوبة/30-31 سورة يونس/2-3 سورة هود/26-27 سورة يوسف/37-40 سورة الرعد/35-36 سورة مريم/36-37 سورة المؤمنون/23-32، سورة النور/55.

² - سورة التوبة/30-31، سورة الرعد/30، سورة فصلت/6-7.

³ - سورة يونس/2-3، سورة الرعد/30، سورة فصلت/9.

⁴ - كتاب العين، مادة (وحد)، 280/3-281، وانظر لسان العرب، مادة (وحد) 446/3.

⁵ - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (وحد)، 548/2.

والتوحيد في الاصطلاح كما قال الجرجاني(ت816هـ): " ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة "². وبعبارة العلماء المعاصرين: " أفراد الله- تعالى- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات "³.

وبالتتبع والاستقراء لنصوص الوحي قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام، قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي(ت1393هـ) رحمه الله: " وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

الثاني: توحيده جل وعلا في عبوديته.

النوع الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته "⁴.

وقد اجتمعت في قوله تعالى: { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } سورة مريم/65 "⁵.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: " هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف⁶: أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في (تاج

¹ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص:324.

² - التعريفات للجرجاني، ص: 96.

³ - القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت1421هـ)، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الثانية- 1424هـ، 11/1، وانظر مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي (ت 1415هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ، ص: 3.

⁴ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 17/3-18، وانظر: طريق الهجرتين لابن القيم، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1394هـ، ص:30، وابن أبي العز الحنفي (ت792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، 24/1، ولوامع الأنوار للسفاري (ت1188هـ) ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - 1402 هـ - 1982 م، 128/1.

⁵ - القول المفيد على كتاب التوحيد، مرجع سابق، 12/1.

⁶ - هذا التقسيم موجود مع بداية التصنيف والتدوين لمسائل العقيدة، ومن الأدلة على ذلك بعض النصوص الواردة عن السلف في بيان ذلك، أكتفي بذكر نصين:

النص الأول: للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت387هـ) حيث قال في كتابه (الإبانة) ما نصه: " وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقد موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه" الإبانة الكبرى لابن بطة، 149/6. وكلامه هذا صريح في أن أصل الإيمان بالله وتوحيده مبني على هذه الأقسام الثلاثة.

النص الثاني: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت395هـ) رحمه الله، حيث فصل ويوب في كتابه: (كتاب التوحيد) في الأقسام الثلاثة للتوحيد، فمن تبويباته:

1- ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل، وأنه أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

(العروس)، وشيخنا الشنقيطي في (أضواء البيان) وآخرون، رحم الله الجميع. وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم وفعل وحرف)، والعرب لم تَفُ بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء¹. وفي هذا إبطال لما ادَّعاه بعض المبتدعة من استحداث ابن تيمية لهذا التقسيم.

وفيما يلي بعض الأمثلة من الآيات التي ورد فيها لفظ الكفر في علاقة تضاد مع التوحيد:

توحيد العبادة:

قال الله عز وجل: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } سورة المائدة /72

وقال سبحانه: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا } سورة هود/25-27

توحيد الألوهية:

قال تعالى: { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ } سورة الرعد/30

وقال سبحانه: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } سورة فصلت/6-7

توحيد الربوبية:

قال جل جلاله: { قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ } سورة فصلت/9.

2- ذكر معرفة بدء الخلق، قال الله تعالى مخبرا عن وحدانيته وتفرده بالخلق من غير ظهير ولا معين: (مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) سورة الكهف/51.

3- ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنة التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر، قال الله تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } سورة الأعراف/180 الآية، وقال: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) سورة مريم/65.

قال ابن عباس: " معناه: هل تعلم أحدا يقال له: الله، غيره "، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة » " التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده، تحقيق: د علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة: الأولى، 1423 هـ-2002 م، 1/61-82، 2/14. وهذا الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا، الحديث 6957، 2691/6.

¹ - بكر أبو زيد، التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الثانية، 1410 هـ، ص: 30، حاشية رقم 2 ضمن الردود.

الفصل الخامس: ضمائـم مصطلح الكفر

تقديم:

إذا كانت العلاقات تكشف عن طبيعة الشبكة الدلالية التي ينتمي إليها المصطلح، وطبيعة موقعه في شجرة المصطلحات القرآنية، و " من شأنها أن تزيد المصطلح بيانا ووضوحا - إذ بضدها وبمقابلاتها تتميز الألفاظ - ¹، فإن " من شأن الشكل التركيبي الذي يرد عليه المصطلح (ضمائـم المصطلح) أن يضيفي دلالة جديدة، تختلف عن دلالاته حين كان مفردا ² " ³.

والمقصود بالضميمة كما عرفها الدكتور الشاهد البوشيخي: " كل مركب مصطلحي مكوّن من لفظ المصطلح المدروس، مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره، لتقيد الضميمة المركب في النهاية مفهوما جديدا خاصا مقيدا ضمن المفهوم العام المطلق للمصطلح المدروس، فكأن المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهوميا من داخله ⁴ .

ويرى الدكتور محمد البوزي أن " أشكال الضمائـم كثيرة لا تتحصر في ضمائـم الوصف والإضافة فحسب، بل نجد في القرآن صيغا إسنادية وجملا وتعابير تتوفر فيها شروط الضميمة، كقوله تعالى إخبارا عن إبليس: (وَلَأْمَرْنَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ)، سورة النساء/119، التي تدل على ضميمة " تغيير خلق الله " وكذا قوله سبحانه: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) سورة يونس/3، و قوله: (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) سورة محمد/21، حيث تمثل كل من الضميتين معنى خاصا مستقلا عن مفهوم الأمر ⁵ .

وحيث إن ضمائـم مصطلح (الكفر) المزمع دراستها في هذا الفصل كلها ضمائـم الإضافة ولم يبد فيها ما يستوجب لها ترتيبا معينا، فقد تركت على ترتيب السور التي وردت فيها في المصحف، وهي ضمائـم المصطلح بصيغته الأصلية (المصدر)، أما ضمائـم مشتقاته فستأتي في مواطنها مع المشتقات بحول الله وقوته. أما عن كيفية دراسة الضميمة فإنه " لا يتأتى إلا بعد تفكيك ذلك التركيب، وتحليل مكوناته اللغوية والدلالية، والمقصود بتفكيك الضميمة: دراسة ما ضم إلى المصطلح فيها من ألفاظ دراسة تروم بيان معناها اللغوي والاصطلاحي مع بيان مواردها وما حفها من علاقات داخل تلك الموارد ⁶ .

¹ - مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص: 177.

² - مثل: الكفر / الكفر الاعتقادي - كفر النعمة...

³ - محمد أزهرى، مصطلح القافية: من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني - دراسة مصطلحية -، مطبعة نذير ، بني ملال-المغرب، 1435هـ/2014م، ص: 88.

⁴ - الشاهد البوشيخي، نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين به في كتابه "الكافية"، ضمن سلسلة دراسات مصطلحية، ص: 51.

⁵ - مفهوم التقوى في القرآن والحديث ، ص: 223.

⁶ - مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص: 181 بتصرف.

المبحث الأول: ضميمة تبدل الكفر بالإيمان

المطلب الأول: موردها

وردت هذه الضميمة في قوله تعالى: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) سورة البقرة/108

المطلب الثاني: دلالتها

هذا التركيب (تبدل الكفر بالإيمان) مكون من ضميمة إضافية أسند فيها (التبدل) إلى (الكفر)، وتحليلها يقتضي التعرف على المراد بالتبدل، وأما المراد بالكفر والإيمان فلا يخرج عن معنييهما المعروفين سابقا، ثم التعرف على ما يفيد التركيب.

أ- معنى التبدل:

يقول ابن فارس (ت395هـ): " الباء والدا ل أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يقال: هذا بدل الشيء وبديله.¹ وبادلت الرجل مبادلةً وبدالاً، إذا أعطيته شروى² ما تأخذ منه³. و" أبدله بخوفه أمناً وبدله مثله. وبدل الشيء: غيَّره. وتبدلت الدار بإنسها وحشاً⁴.

ب- مفهوم (تبدل الكفر بالإيمان) في الآية:

قال الطبري (ت310هـ): " يعني جل ثناؤه بقوله: (وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ)، ومن يستبدل " الكفر"، ويعني بـ "الكفر"، الجحود بالله وبآياته، (بِالْإِيمَانِ)، يعني بالتصديق بالله وبآياته والإقرار.⁵ وقال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ): " (وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أي: من يأخذ الكفر بدل الإيمان، وهذه كناية عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر، كما جاء في قوله: (اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) سورة البقرة/16... وقال أبو العالية: الكفر هنا: الشدة، والإيمان: الرخاء، وهذا فيه ضعف، إلا أن يريد أنهما مستعاران في الشدة على نفسه والرخاء لها عن العذاب والنعيم. وأما المعروف من شدة أمور الدنيا ورخائها، فلا تفسر الآية بذلك، والظاهر حمل الكفر والإيمان على حقيقتيهما الشرعية، لأن من

¹ - معجم مقاييس اللغة، مادة (بدل)، 210/1.

² - قال الخليل: " وشروى الشيء: مثله، وفلان شروى فلان، أي: مثله، قالت الخنساء: أخوين كالصقيرين لم ... يرَ ناظرٌ شرواهما " معجم العين، مادة (شري)، 282-283.

³ - ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (ب د ل) 300/1.

⁴ - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ب د ل)، 50/1.

⁵ - تفسير الطبري، 494/2.

سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ما سأل مع ظهور المعجزات ووضوح الدلائل على صدقه، كان سؤاله تعنتاً وإنكاراً، وذلك كفر.¹

فالأية² كما رجح الطبري " خطاب من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعتاب منه لهم على أمر سلف منهم، مما سُرَّ به اليهود، وكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، فكرهه الله لهم، فعاتبهم على ذلك، وأعلمهم أن اليهود أهل غش لهم وحسد وبغي، وأنهم يتمنون لهم المكاره، ويبغونهم الغوائل، ونهاهم أن ينتصحوهم، وأخبرهم أن من ارتد منهم عن دينه فاستبدل بإيمانه كفراً، فقد أخطأ قصد السبيل.³

والاستفهام في الآية الكريمة للإنكار، وفي أسلوبها مبالغة في التحذير من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من تعنت مع رسولهم، إذ جعل محط الإنكار إرادتهم للسؤال، وفي النهي عن إرادة الشيء، نهى عن فعله بأبلغ عبارة.⁴

وهذا الإنكار منوط بـ " أسئلة التعنت والاعتراض، كما قال تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً) سورة النساء/153 وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ) سورة المائدة/101، فهذه ونحوها، هي المنهي عنها.

وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد أمر الله به كما قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) سورة النحل/43 " ⁵.

فنخلص إذن إلى القول بأن ضميمة تبدل الكفر بالإيمان يراد بها اختيار الكفر وترك الإيمان ردةً، وذلك بالتطعن في الدين وطرح الأسئلة المخرجة جرياً على أسلوب التعنت أو زيغ القلوب بعد هدايتها، وهذا مآله الخروج عن صراط الله المستقيم إلى الجهل والضلال.

¹ - البحر المحيط في التفسير، 1/ 556.

² - قال ابن الجوزي (ت597هـ): " وفي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال، أحدها : أنهم قريش ، قاله ابن عباس ومجاهد . والثاني : اليهود ، قاله مقاتل . والثالث : جميع العرب، قاله أبو سليمان الدمشقي . " زاد المسير في علم التفسير، 1/ 99-100، لكن السياق يقتضي أن الآية موجهة للصحابه كما ذهب إلى ذلك الطبري(ت310هـ)، وذكره الرازي(ت606هـ) - وإن لم يرجح هذا القول - قال : "وهو قول الأصم والجبائي وأبي مسلم ، واستدلوا عليه بوجه، الأول : أنه قال في آخر الآية : { وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ } وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين. الثاني : أن قوله : { أَمْ تُرِيدُونَ } يقتضي معطوفاً عليه وهو قوله : { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا } [البقرة : 104] فكأنه قال: وقولوا انظروا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟ الثالث: أن المسلمين كانوا يسألون محمداً صلى الله عليه وسلم عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى عليه السلام ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه" تفسير الرازي، 3/ 643 ، ورجحه ابن عاشور حيث قال : " وقوله : { تُرِيدُونَ } خطاب للمسلمين لا محالة بقرينة قوله : { رَسُوكُمْ } " التحرير والتنوير، 1/ 666.

³ - تفسير الطبري، 2/ 495.

⁴ - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 1/ 243.

⁵ - تفسير السعدي، ص: 62.

المبحث الثاني: ضميمة زيادة الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في موضعين هما:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) سورة آل عمران/90.

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) سورة النساء/137.

والضميمة ضميمة إضافية أضيفت فيها الزيادة للكفر، فلنتعرف هنا على مفهوم الزيادة، وعلى مفاد الضميمة للمصطلح الأم، وذلك كالتالي:

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى الزيادة:

الزيادة: ضد النقصان. والمزيد من كل شيء: الاستكثار منه والزيادة فيه، يُقال: عند الله المزيد من النعيم.¹

والزيادة: النمو... تقول: زاد الشيء يزيد زيدا وزيادةً، أي ازداد. وزاده الله خيرا، وزاد فيما عنده.² وازداد الشيء مثل: زاد، وازددت مالا زدته لنفسي زيادة على ما كان، واستزاد الرجل: طلب الزيادة، ولا مُستزاد على ما فعلت أي: لا مزيد.³

ب- مفهوم (زيادة الكفر) في الآية:

اختلف المفسرون في كيفية ترتب الكفر بعد الإيمان، ثم زيادة الكفر، على عدة أقوال، فنقل البغوي (ت516هـ) في تحديد المتوعدين بهذا التهديد، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) وبيان معنى زيادة الكفر خمسة تأويلات: " قال قتادة والحسن: نزلت في اليهود، كفروا بعباسي عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني: ذنوبا في حال كفرهم. وقال مجاهد: نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم، ثم ازدادوا كفرا أي: أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه.

¹ - ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (دزي)، 2/ 644.

² - الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (زيد)، 2/ 481.

³ - الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (زيد)، 1/ 261.

وقال الحسن: ازدادوا كفرًا، كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفرًا، وقيل: ازدادوا كفرًا بقولهم: نتريص بمحمد ريب المنون.

وقال الكلبي: نزلت في الأحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد، لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا: نقيم على الكفر ما بدا لنا، فمتى أردنا الرجعة ينزل فينا ما نزل في الحارث، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، فمن دخل منهم في الإسلام قُبِلَت توبته، ونزل فيمن مات منهم كافرا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) الآية.¹

ويمكن أن يقال: إن الآية الكريمة على عمومها، فهي تتناول كل من آمن ثم ارتد عن الإيمان إلى الكفر، وازداد كفرًا بمقاومته للحق، وإيذائه لأتباعه، وإصراره على كفره وعناده وجوده.² ثم أخبر تعالى أن توبة هؤلاء لن تقبل، وهذا كما قال القرطبي (ت671هـ): "مشكل لقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) [الشورى: 25]، فقيل: المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت.

قال النحاس (ت338هـ): وهذا قول حسن، كما قال عز وجل: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء: 18]. وروي عن الحسن وقتادة وعطاء.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »³ 4.

وبعضهم حمل عدم قبول توبتهم على أنهم ماتوا على الكفر، وإلى هذا المعنى اتجه صاحب الكشاف فقد قال: " فإن قلت: قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرًا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى { لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ } ؟ قلت: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو

¹ - تفسير البغوي، 64/2-65، ورجح ابن عطية (ت541هـ) تبعا للسباق أن الآية تحتل أن " تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريمتهم ونكايتهم في الدين، وهم الذين أشار إليهم بقوله: (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [آل عمران: 86]، فأخبر عنهم أنهم لا تكون لهم توبة فيتصور قبولها... أي قد جعلهم الله من سخطه في حيز من لا تقبل له توبة إذ ليست لهم، فهم لا محالة يموتون على الكفر. " تفسير ابن عطية، 470/1.

² - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 176/2.

³ - وهذا يكون عند الاحتضار، أي ما لم تبلغ الروح حلقومه. والحديث أخرجه الترمذي في سننه بسند حسن عن ابن عمر، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، رقم 3537، 5/ 547، وحسنه أيضا الألباني.

⁴ - تفسير القرطبي، 4/ 130.

الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم.¹

ونخلص مما سبق أن ضميمة زيادة الكفر ارتبطت بالردة عن الإيمان إلى الكفر، " والضابط أن المرتد يكون فاعلاً للزيادة بأن يقيم ويصر فيكون الإصرار كالزيادة، وقد يكون فاعلاً للزيادة بأن يضم إلى ذلك الكفر كفرًا آخر.² كالطعن في الدين والاستهزاء بالله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله والعدواة لأهل الإيمان وفتنتهم، وموالاته أهل الكفر وغير ذلك.

المبحث الثالث: ضميمة المسارعة في الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في قوله تعالى: (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة آل عمران/176 وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة المائدة/41

المطلب الثاني: دلالتها

أ - معنى المسارعة:

السُرْعَةُ: نقيض البطء. تقول منه: سَرَعَ سِرْعًا، فهو سَرِيعٌ...والمُسَارَعَةُ إلى الشيء: المبادرة إليه... وسارِعوا إلى كذا وتسارِعوا إليه بمعنى³. وسَرَعان الناس وسَرَعائهم - أوائلهم المستبِقون إلى أمر، وسَرَعانُ الخيل - أوائلها وسارَعَتْ إلى الأمر مُسَارَعَةً - بادرت⁴

¹ - تفسير الزمخشري، 382/1، وبين الزمخشري تجليات زيادة هؤلاء المرتدين في كفرهم فقال: " ثم ازدادوا كفرًا بإصرارهم على ذلك، وطعنهم في كل وقت، وعداوتهم له (أي للنبي صلى الله عليه وسلم)، ونقضهم ميثاقه، وفتنتهم للمؤمنين، وصددهم عن الإيمان به، وسخرتهم بكل آية تنزل " تفسير الزمخشري، نفس الصفحة والجزء.

² - تفسير الرازي، 286 / 8.

³ - أنظر الصحاح في اللغة، مادة (سرع)، 1228 / 3، القاموس المحيط، مادة (س ر ع) ص: 727، لسان العرب مادة (سرع) 151/8

⁴ - ابن سيده، المخصص، 263 / 1.

والمسارعة " كالتسارع والإسراع، قال الله عز وجل: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) سورة آل عمران/133 وقال جل وعز: (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) سورة المؤمنون/56...ويقال : تسرع بالأمر: بادراً¹.

ب- مفهوم (المسارعة في الكفر) في الآية:

قال ابن الجوزي(ت597هـ): " وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس .

والثاني: المنافقون، قاله مجاهد.

والثالث: كفار قريش قاله الضحاك.

والرابع : قوم ارتدوا عن الإسلام، ذكره الماوردي.

وقيل: معنى مسارعته في الكفر: مظاهرتهم للكفار، ونصرهم إياهم².

قال القفال رحمه الله: ولا يبعد حمل الآية على جميع أصناف الكفار بدليل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) [المائدة/41] إلى قوله : (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا) [المائدة:41] فدللت هذه الآية على أن حزنه كان حاصلًا من كل هؤلاء الكفار.³

وهو ما رجحه أبو حيان الأندلسي(ت745هـ) بقوله: " والأولى حمله على العموم كقوله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) سورة المائدة/41⁴.

قال ابن عطية(ت541هـ): " والمسارعة في الكفر هي: المبادرة إلى أقواله وأفعاله والجد في ذلك⁵.

وفسرها الزمخشري (ت538هـ) بقوله: " يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشدَّ رغبة⁶.

وبين الرازي(ت606هـ) معنى المسارعة في الكفر بتفصيل بحسب كل فريق ممن ذكرهم ابن الجوزي فقال:

فكفار قريش منهم " من يسارع في الكفر بأن يقصد جمع العساكر لمحاربتك...وإبطال هذا الدين وإزالة هذه الشريعة، وهذا المقصود لا يحصل لهم، بل يضمحل أمرهم وتزول شوكتهم، ويعظم أمرك ويعلو شأنك".

¹ - مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (سرع)، 192/21.

² - زاد المسير في علم التفسير، 350/1.

³ - تفسير الرازي، 436/9.

⁴ - تفسير البحر المحيط، 442/3.

⁵ - تفسير ابن عطية، 544/1.

⁶ - تفسير الزمخشري، 443/1.

والمناققون: " مسارعته هي أنهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب وقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر، أو بسبب أنهم كانوا يقولون إن محمداً طالب ملك، فتارة يكون الأمر له، وتارة عليه، ولو كان رسولا من عند الله ما غلب¹، وهذا كان ينفر المسلمين عن الاسلام ، فكان الرسول يحزن بسببه"².

وفسرت المسارعة في الكفر بمعنى الردة، ونقل الرازي(ت606هـ) توجيهها قويا في ترجيح هذا القول بأن المسارعة - وهي شدة الرغبة في الكفر - إنما تناسب من كفر بعد الإيمان، قال: " قال القاضي: ويقوي هذا الوجه (أي قوم من الكفار أسلموا، ثم ارتدوا) بأن المستمر على الكفر لا يوصف بأنه يسارع في الكفر، وإنما يوصف بذلك مَنْ يكفر بعد الإيمان.

وأيضاً فإن إرادته ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة لا تليق إلا بمن قد آمن واستوجب ذلك، ثم أحبط. وأيضاً فإن الحزن إنما يكون على فوات أمرٍ مقصودٍ، فلما قدر النبي صلى الله عليه وسلم الانتفاع بإيمانهم - ثم كفروا - حزن صلى الله عليه وسلم عند ذلك؛ لفوات التكاثر بهم، فأمنه الله من ذلك، وعرفه أن وجود إيمانهم كعدمه في أن أحواله لا تتغير.³

ثم إن المسارعة في الكفر بدل المسارعة إلى الإيمان، صدرت كذلك من " رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وأصحابه الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لمتاع الدنيا"⁴، وكان الأولى أن

¹ - من الأخطاء التي تجري على السنة بعض خطباء الجمعة وأقلام بعض الباحثين قولهم إن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضي الله عنهم انهزموا في غزوة أحد بسبب مخالفة الرماة، وهذا غير صحيح البتة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهزم في أحد ولا في غيرها، ومن قال بهزيمة النبي صلى الله عليه وسلم فقد خالف النقل الصحيحة الصريحة ووقائع التاريخ المتواترة، وقد نص أهل العلم على كفر من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم، وقالوا: إنه يقتل، وهل يستتاب قبل القتل، أو يقتل بدون استتابة؟ قولان . قال العلامة خليل المالكي (ت 776هـ) في المختصر: "واستتيب في هُزَمٍ أَوْ أُعْلِنَ بِتَكْذِيبِهِ " مختصر العلامة خليل، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1426هـ/2005م، ص: 239.

أما في غزوة أحد، فإن المسلمين تكبدوا فيها خسائر فادحة، وولى بعضهم وانكشفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق معه إلا مجموعة من الصحابة ثم عادوا إليه، وظلوا يدافعون عنه حتى تراجع العدو، فلم ينهزموا ولم يفروا. وعن هذه الغزوة يقول الله تعالى: (أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة آل عمران: 165، فسمى ما وقع للصحابة مصيبة وليس هزيمة.

ويقول الله تعالى في أولئك الذين تولوا وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعته: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ { سورة آل عمران: 155، وفرق بين القول بهزيمة النبي صلى الله عليه وسلم وبين تولي بعض الجيش أو أكثره وانكشافه عنه صلى الله عليه وسلم، ومواجهته ومن معه للعدو مباشرة . وما وقع يوم أحد كان نتيجة لأخطاء معروفة، وسنن الله تعالى لا تحابي أحدا ولو كان الأنبياء والصحابة، ولذلك حكم عزيمة. وقد صرح الله تعالى بنصره لرسوله وعباده المؤمنين فقال : (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) سورة المجادلة/21 ، كما قال تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) سورة الروم: 47.

وهذا ما حدث بالفعل وشاهده الناس في الواقع، فقد انتصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رغم المصائب التي أصابتهم في أحد وفي غيرها، فكيف يقال بعد ذلك إن المسلمين هزموا في غزوة أحد ؟؟؟

² - تفسير الرازي، 436/9.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه.

يساعوا إلى الإيمان بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لما أوحى إليه، لتضافر الأدلة على صدق دعوته في كتبهم، لكن الحسد منعهم من ذلك.

وفي التعبير عن هذا المعنى بجملة (يسارعون في الكفر) صور فنية من بلاغة القرآن، وهي أن هؤلاء " المغالين في الكفر يسارعون فيه ويمضون بعنف واندفاع وسرعة كأنما هنالك هدف منصوب لهم يسارعون إلى بلوغه!

وهو تعبير مصور لحالة نفسية واقعية. فبعض الناس يرى مشتدّاً في طريق الكفر والباطل والشر والمعصية، كأنه يجهد لنيل السبق فيه! فهو يمضي في عنف واندفاع وحماسة كأن هناك من يطارده من الخلف، أو من يهتف له من الأمام إلى جائزة تُنال!¹.

وعدى يسارعون ب (في) دون (إلى) للدلالة على أنهم مستقرون فيه مديمون لملابسته، ومثله: (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) [المؤمنون: 61]...وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الإرادة، واستمرارها² ولمح البقاعي(ت885هـ) لمسة بيانية في مناسبة العذاب العظيم للمسارعة في الكفر فقال: " ولما كانت المسارعة في ذلك عظيمة ختمت الآية بقوله: (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قد عم جميع ذواتهم، لأن المسارعة دلت على أن الكفر قد ملأ أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم.³

وجملة القول: فإن ضميمة المسارعة في الكفر يراد بها: مبادرة أهل الكفر من المشركين والمنافقين واليهود والمرتدين وغيرهم إلى الوقوع في الكفر سريعاً حرصاً عليه ورغبة فيه أشد رغبة، وتأبيده والعمل به عند سنوح الفرص، من غير تريث أو تدبر أو تفكير في عاقبة أمرهم.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/ 523

² - الشوكاني، فتح القدير، 1/ 462

³ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 5/ 133-134

المبحث الرابع: ضميمة أئمة الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في قوله تعالى في سياق الحديث عن المشركين: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) سورة التوبة/12، وفي الحديث الذي أخرج الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب في شأن أسرى بدر، وفيه: " فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها"¹.

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى الإمام لغة واصطلاحاً:

¹ - الحديث بتمامه أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأناه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُُمِدِّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ } [الأنفال: 9] فأمد الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستقبلاً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة»، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين، قال أبو زميل، قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكَّنَّا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتُمَكَّنِّي من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أبكي للذي عَرَضَ علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عَرَضَ علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِإِنْسِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَوْ أُسْرِيَ حَتَّىٰ يَبْذَلَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: 67] إلى قوله {فَقُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: 69] فأحل الله الغنيمة لهم " صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، الحديث 1763، 3/ 1383-1384-1385

الإمامة في اللغة مصدر من الفعل (أَمَّ) ¹ بمعنى الاقتداء بشخص واتباعه في أمر مُقَدَّم فيه، تقول: " أَمَّهُمْ وَأَمَّ بِهِمْ: تَقَدَّمَهُمْ، وهي: الإمامة، والإمام: ما انْتَمَّ به من رئيسٍ أو غيره " ².

و " كلَّ من اقْتَدَى به، وقُدِّم في الأمور فهو إمامٌ، والنبي عليه الصلاة والسلام إمام الأمة، والخليفة: إمام الرعية...والقرآن: إمام المسلمين...والمُصْحَفُ الذي يُوَضَّعُ في المساجد يُسَمَّى الإمام...والجمع: الأئمة " ³.

" وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَالْأَصْلُ فِي (أَيِّمَّة): أُمَمَةٌ، لِأَنَّهُ جَمَعَ (إِمَامًا) مِثْلَهُ: مِثَالٌ وَأَمَثَلَةٌ. وَلَكِنْ الْمِيمِينَ لَمَّا اجْتَمَعَتَا أُدْغِمَتِ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ، وَأُلْقِبَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى الْهَمْزَةِ، فَقِيلَ: أَيْمَّةٌ " ⁴.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ } سورة الحجر/79، يَقُولُ: فِي طَرِيقٍ لَهُمْ يَمْرُونَ عَلَيْهَا فِي أَسْفَارِهِمْ. فَجَعَلَ الطَّرِيقَ إِمَامًا، لِأَنَّهُ يُؤَمُّ وَيُتَّبَعُ ⁵.

ويقال إمامنا هذا حَسَنُ الْإِمَّةِ، أَيِ حَسَنُ الْقِيَامِ بِإِمَامَتِهِ إِذَا صَلَّى بِنَا، وَأَمَمْتُ الْقَوْمَ فِي الصَّلَاةِ إِمَامَةً وَأَنْتُمْ بِهِ أَيِ اقْتَدَى بِهِ ⁶.

ومن ذلك: الإمام بمعنى (قائد الجند) لتقدمه ورياسته.. (والدليل) إمام السفر، (والحادي) إمام الإبل، وإن كان وراءها لأنه الهادي لها ⁷.

ومن هذا المعنى اللغوي أخذ المعنى الاصطلاحي، قال الراغب: " والإمام: المؤتم به، إنسانا كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتابا، أو غير ذلك محققا كان أو مبطلا، قال تعالى: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان/74]، وقال: (وَاجْعَلْنَا لَهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) [القصص/ 41] " ⁸.

وقال ابن عاشور (ت1393هـ): " والإمام: حقيقته الشيء الذي يجعله العامل مقياسا لعمل شيء آخر ويطلق إطلاقا شائعا على القدوة " ⁹.

هذا، وقد ورد لفظ الإمام في القرآن الكريم اثني عشر مرة، منها سبعة مواضع بصيغة الإفراد، والباقي بصيغة الجمع.

¹ - والأَمُّ بالفتح أيضا: " القصدُ، يقال: أَمَّهُ أُمَّةً وَتَأَمَّمَهُ، إذا قصده " الجوهري، الصحاح في اللغة، مادة (أَمَّ) 1865/5، وقال الراغب: " والأَمُّ: القصد المستقيم، وهو التوجه نحو مقصود، وعلى ذلك: (وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ) سورة المائدة/2 " المفردات، مادة (أَمَّ) ص:87.

² - الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص:1077.

³ - معجم العين، مادة (أَمَّ) 428/8-429.

⁴ - تهذيب اللغة، مادة (أَمَّ) 458/15.

⁵ - نفسه.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (أَمَّ)، 22/12.

⁷ - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (أَمَّ)، 245 /31.

⁸ - المفردات، مادة (أَمَّ) ص:87.

⁹ - التحرير والتنوير، 24/26.

واستعمل اللفظ على خمسة أوجه كما قال الدامغاني وهي: " القائد، الكتاب، اللوح المحفوظ، التوراة، الطريق الواضح.

فوجه منها: القائد في الخير، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة لإبراهيم: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) سورة البقرة/124 " يعني قائدا في الخير¹ يقتدي بمثالك وبسنتك.

الثاني: كتاب بني آدم، كقوله تعالى في سورة الإسراء/71: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)، يعني بكتابهم الذي عملوا في الدنيا.

الثالث: اللوح المحفوظ، قوله تعالى في سورة يس/12: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)، يعني في كتاب وهو اللوح المحفوظ.

الرابع: التوراة، قوله تعالى في سورة هود/17 " وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً " يعني التوراة إماما يقتدي به ورحمة لمن آمن به.

الخامس: الطريق الواضح، فذلك قوله تعالى في سورة الحجر/79 لقرية لوط وشعيب: (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) يعني بالطريق الواضح².

ب - المقصود ب (أئمة الكفر) في الآية:

اختلف أهل التأويل في المراد ب (أئمة الكفر) على عدة أقوال يمكن إجمالها في أربعة:

أحدها : قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول.³ وهو قول الضحاك فيما رواه عنه الطبري بسنده إليه، قال في قوله: (فَقَاتِلُوا أئمةَ الكُفْرِ)، يعني رؤوسَ المشركين، أهل مكة.⁴

الثاني : أنهم أهل فارس والروم، ذكره غير واحد عن مجاهد⁵.

الثالث : أنهم الديلم، روي عن الحسن البصري⁶.

¹ - كما ورد اللفظ بمعنى: من يؤتم بهم في الشر، كقوله تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يُدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ) سورة القصص/41، أي " وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتّم بهم أهل العتوّ على الله والكفر به، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار " تفسير الطبري 583/19، وكما في الآية التي نحن بصدد دراستها، لكن إذا أطلق لفظ الإمام فإنه لا ينصرف إلى أئمة الباطل، لأنه ورد ذكرهم في القرآن الكريم بهذا اللفظ مقيدا بأعمالهم الإجرامية.

² - الدامغاني، قاموس القرآن، ص: 44-45.

³ - الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص: 243.

⁴ - تفسير الطبري، 14/155.

⁵ - ابن عادل الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، 10/34.

⁶ - السيوطي، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، 4/136.

والقول الرابع : أنَّ أهل هذه الآية لم يُقاتلوا وقت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: لم يُقاتل أهل هذه الآية بعد¹، وظاهره أنَّ الآية لم تنزل في أناس موجودين وقت نزولها، بل نزلت فيمن يأتي بعد.

والقول الأول في الآية: يُقَوِّيه أنَّها نزلت بعد مقتل صناديد قريش في بدر، وأسلم من بقي منهم بعد الفتح، فلم يبق ممن يواجهه المسلمون إلاَّ الفرس والروم، وهذا يعضده ما رواه ابن أبي حاتم (ت327هـ) وابن عساكر (ت571هـ)،² من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفيير مرسلاً أنه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى الناس حين وجههم إلى الشام قال: " إنكم ستجدون قوما محوقة رؤوسهم³، فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف، فوالله لأن أقتل رجلاً منهم أحبُّ إليَّ من أن أقتل سبعين من غيرهم، وذلك بأن الله يقول: (فَقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفْرِ)"⁴، والقوم الذين يعينهم هم كالقساوسة إلاَّ أنَّهم يشهدون الحرب ويحرِّضون ويحرِّضون على القتال⁵.

¹ - أخرجه ابن أبي شيبة (ت235هـ) في مصنفه: (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار) تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ، الأثر 37148، 452/7.

² - روى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن جبير أن أبا بكر لما وجه الجيش إلى الشام قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم أمرهم بالمسير إلى الشام وبشرهم بفتح الله إياها حتى تبنوا فيها المساجد، فلا تعلم أنكم إنما تأتونها تلهياً، والشام أرض شبيعة يكثر لكم فيها من الطعام فأياي والأشهر، أما ورب الكعبة لتأشن ولتبطرن وإنني موصيكم بعشر كلمات فاحفظوهن: لا تقتلن شيخاً فانياً ولا صبياً صغيراً ولا امرأة، ولا تهدموا بيتاً، ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تعقرن بهيمة إلاَّ لأكل، ولا تحرقوا نخلاً ولا تعزقوه ولا تعصر، ولا تغل، وستجدون قوما قد حبسوا أنفسهم فدعوهما وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين محلقة رؤوسهم، فاضربوا مقاعد الشيطان منها بالسيوف، والله لئن أقتل رجلاً منهم أحبُّ إليَّ من أن أقتل سبعين من غيرهم، ذلك بأن الله قال: (فَقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أيمانَ لَهُمْ) " ابن عساكر، تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م، 75/2-76.

³ - جاء في لسان العرب لابن منظور: " الحَوْقُ: الكنس. وفي حديث أبي بكر حين بعث الجند إلى الشام: كان في وصيته: ستجدون أقواماً محوقة رؤوسهم؛ أراد أنهم حلقوا وسط رؤوسهم فشبه إزالة الشعر منه بالكنس، ويجوز أن يكون من الحوق وهو الإطار المحيط بالشئ المستدير حوله" لسان العرب، مادة حوق، 71/10.

⁴ - رواه ابن أبي حاتم في كتابه: تفسير القرآن العظيم، 1761/6.

⁵ - علل ابن تيمية (ت728هـ) تحريض الصديق رضي الله عنه على قتال هؤلاء بقوله: " وأما الراهب الذي يعاون أهل دينه بيده ولسانه: مثل مثل أن يكون له رأي يرجعون إليه في القتال أو نوع من التحريض: فهذا يقتل باتفاق العلماء إذا قدر عليه وتؤخذ منه الجزية وإن كان حبيساً منفرداً في متعبده... وإنما تميزوا على غيرهم (أي من سائر النصارى) بما يغلظ كفرهم ويجعلهم أئمة في الكفر مثل التعبد بالنجاسات وترك النكاح واللحم واللباس الذي هو شعار الكفر، لا سيما وهم الذين يقيمون دين النصارى بما يظهرونه من الحيل الباطلة ... والراهب عندهم شرطه ترك النكاح فقط، وهم مع هذا يجوزون أن يكون بتركاً وبطرقاً وقسيساً وغيرهم من أئمة الكفر الذين يصدر عن أمرهم ونهيهم.. فهؤلاء لا يتنازع العلماء في أنهم من أحق النصارى بالقتل عند المحاربة، وبأخذ الجزية عند المسالمة، وأنهم من جنس أئمة الكفر الذين قال فيهم الصديق رضي الله عنه ما قال وتلا قوله تعالى: { فَقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفْرِ } . ويبين ذلك أنه سبحانه وتعالى قد قال: { إِنَّ كَثيراً مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } سورة التوبة/34، وقد قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } سورة التوبة/31، فهل يقول عالم: إن أئمة الكفر الذين يصدون عوامهم عن سبيل الله، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويرضون بأن يتخذوا أرباباً من دون الله: لا يقاثلون ولا تؤخذ منهم الجزية؛ مع كونها تؤخذ من العامة الذين هم أقل منهم ضرراً في الدين وأقل أموالاً؛ لا يقوله من يدري ما يقول. " مجموع الفتاوى، 660-662

وأرجح الأقوال - والله أعلم - هو القول بأن الآية نزلت في مشركي قريش عموماً، فإن فواتح سورة التوبة كلها فيهم، وسياق الآية دليل على ذلك، وفي الآيات الدلالة الواضحة على الثأر بينهم وبين المسلمين في قوله تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) سورة التوبة/14.

ومن الدليل على نزول الآية في قريش قوله تعالى في الآية التي قبلها محرضاً المؤمنين على قتالهم: (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) سورة التوبة/13، فالذين هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم وبدؤوا أول مرة هم مشركو قريش، أما من عداهم كالروم ونحوهم فلم يكن لهم في إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم أو الهمة بذلك سابقة.

ولا يلزم من ذكر أئمة الكفر أن يكون المراد أئمة قريش وصناديدهم، بل قريش أئمة الناس وكفارهم أئمة الكفر، فأنتمهم أئمة لهم، وهم أئمة للناس أجمعين في الإسلام وفي الكفر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم " ¹.

ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب في قصة أسرى بدر، وفيه قول عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها " ²، وقد كان هذا بعد مقتل أبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأميرة بن خلف وأكثر أكابر قريش، ولم يكن في الأسرى أبو سفيان، وليس في الأسرى ممن ذكره المفسرون في تعداد أئمة الكفر إلا سهيلاً بن عمرو، فالظاهر إذن أن المراد بأئمة الكفر قريش بعمومها، والله أعلم.

وقد اعترض الكيا الهراسي (ت504هـ) - وتبعه في ذلك القرطبي (ت671هـ) - على تعيين أئمة الكفر في صناديد قريش، لأن أبا جهل وأميرة بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ونحوهم قُتلوا في بدر، وليسوا موجودين وقت نزول الآية، ولم يبق من مشركي قريش وقت نزول الآية إلا مسلم أو مسلم ³. ولا يفهم من كون قريش صاروا بعد الفتح بين مسلم أو مسلم أن الآية لم تنزل فيهم، بل ظاهر من سياق الآيات أنها نزلت خصوصاً في المسلمين والمسلمين منهم؛ فقد ذكر الله عز وجل عهدهم فقال: (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) سورة التوبة/7، ثم ذكر الإسلام بعد آيات فقال: (فَإِنْ تَابُوا

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } الحجرات/ 13 ، رقم الحديث 3305، 1288/3، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش. رقم الحديث 4805، 2/6.

² - صحيح مسلم، سبق تخريجه، 1383/3.

³ - الكيا الهراسي، عماد الدين بن محمد الطبري، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1405 هـ، 183/4، تفسير القرطبي، 84/8.

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (سورة التوبة/11، ثم ذكر نقض العهد بعد ذلك: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (سورة التوبة/12، ولازم من ذكر نقض العهد تقدم العهد، فقد تحدثت الآيات عن نوعين، هما المسلم والمعاهد¹، وهذه هي حال قريش بعد الفتح، فالآية مطابقة لهم تمام المطابقة.

ومن هنا يظهر أن قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: " لم يقاتل أهل هذه الآية بعد"، إنما هو في أحد الصنفين: وهم المعاهدون الذين ينقضون العهد، أمَّا الصنف الثاني: وهو من تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ودخلوا في الإسلام ثم نكثوا العهد من بعد ذلك، وطعنوا في الدين، فهؤلاء يقاتلون بنص الآية، فقد وقع من المرتدين في خلافة الصديق رضي الله عنه، وقاتلهم ومعه الصحابة كلهم، وفيهم حذيفة، ولهذا استدل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذه الآية بعينها في قتال مانعي الزكاة، كما ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة التوبة/25.

ومع أن هذه الآيات إذن كانت في المشركين، زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي مستمرة مع أئمة الكفر في كل زمان ومكان، ولهذا قال ابن عطية (ت541هـ): " وأصوب ما في هذا أن يقال: إنه لا يعني بها معين، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين، واقتضت حال الكفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون الإشارة إليهم أولاً بقوله { أئمة الكفر }، وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة، إذ الذي يتولى قتال النبي صلى الله عليه وسلم والدفع في صدر شريعته هو إمام كل من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة، ثم تأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيل جيل³، وهو ما ذهب إليه ابن كثير بقوله: " والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش، فهي عامة لهم ولغيرهم، والله أعلم " ⁴.

ت - معنى إمامة الكفر في الآية:

عرفنا سابقا معنى الإمامة في الكفر، وما دل عليه المعنى اللغوي من الدلالة إلى الكفر والقُدوة فيه، ودلالة بعض الآيات على معاني للإمامة عامّة، كقوله تعالى عن أئمة الدين والإيمان كإبراهيم وإسحاق

¹ - يقول ابن القيم: " فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول (براءة) على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب" ابن قيم الجوزية زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ/1994م، 145/3.

² - تفسير ابن كثير، 4/111.

³ - تفسير ابن عطية، 3/12.

⁴ - تفسير ابن كثير، 4/117.

ويعقوب عليهم الصلاة والسلام: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) سورة الأنبياء/73، أو دلالة بعضها على الإمامة في الكفر خاصة كقوله تعالى عن فرعون وقومه: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) سورة القصص/41.

وأما إمامة الكفر في الآية فقد وردت في سياق أمره تعالى بقتال الناكثين عهدهم الطاعنين في الدين؛ فمن هنا ذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصودين في الآية استحقوا الإمامة في الكفر بنكثهم العهد وطعنهم في الدين، وهذا ما أورده القرطبي (ت671هـ) في تفسيره حيث قال: " فيحتمل أن يكون المراد " فقاتلوا أئمة الكفر " أي من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلا ورأسا في الكفر، فهو من أئمة الكفر على هذا.¹

وهذا ما نقله أيضا أبو حيان (ت745هـ): " وقيل: من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين صار رأساً في الكفر، فهو من أئمة الكفر "².

ومعنى الطعن في الدين: " أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه "³، قال السعدي: " ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، { فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ } أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليلد على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر "⁴.
وعد ابن القيم من صور الطعن في الدين الدعوة إلى الملل الباطلة كما يفعل المبشرون من النصارى، قال: " ولما كانت الدعوة إلى الباطل مستلزمة - ولا بد - للطعن في الحق، كان دعاؤهم إلى دينهم وترغيبهم فيه طعنا في دين الإسلام "⁵.

ونص بعض العلماء على أن الإمامة في الكفر متعلقة بالطعن في الدين وحده دون نكث العهود، قال ابن تيمية (ت728هـ): " إنه سماهم أئمة الكفر لطعنهم في الدين وأوقع الظاهر موقع المضمّر لأن قوله { أُمَّةَ الْكُفْرِ } إما أن يعنى به الذين نكثوا أو طعنوا أو بعضهم، والثاني لا يجوز، لأن الفعل الموجب للقتال صدر من جميعهم، فلا يجوز تخصيص بعضهم بالجزاء، إذ العلة يجب طردها إلا لمانع، ولا مانع، ولأنه علل ذلك ثانيا: بأنهم لا أيمان لهم، وذلك يشمل جميع الناكثين الطاعنين، ولأن النكث والطعن وصف مشتق مناسب لوجوب القتال، وقد رتب عليه بحرف الفاء ترتيب الجزاء على شرطه،

¹ - تفسير القرطبي، 84/8.

² - البحر المحيط في التفسير، 5/379.

³ - تفسير القرطبي، 82/8.

⁴ - تفسير السعدي، ص: 330.

⁵ - ابن القيم، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى،

1418هـ - 1997م، 3/1255.

وذلك نص في أن ذلك الفعل هو الموجب للثاني، فثبت أنه عنى الجميع، فيلزم أن الجميع أئمة كفر. وإمام الكفر هو الداعي إليه المتبع فيه، وإنما صار إماما في الكفر لأجل الطعن، فإن مجرد النكت لا يوجب ذلك، وهو مناسب، لأن الطاعن في الدين يعيبه ويذمه ويدعو إلى خلافه، وهذا شأن الإمام، فثبت أن كل طاعن في الدين فهو إمام في الكفر، فإذا طعن الذمي في الدين فهو إمام في الكفر فيجب قتله لقوله تعالى: { فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ } ولا يمين له، لأنه عاهدنا على أن لا يظهر عيب الدين وخالف¹.

وهذا ما أكدته بقوله أيضا: " لأن كل واحد من المعاهدين إنما عاهده بأمانة الله وكفالاته وشهادته، فثبت أن كل من طعن في ديننا بعد أن عاهدناه عهدا يقتضي أن لا يفعل ذلك فهو إمام في الكفر لا يمين له، فيجب قتله بنص الآية، وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الناكث الذي ليس بإمام، وهو من خالف بفعل شيء مما صولحوا عليه من غير الطعن في الدين".²

وقد تبع ابن قيم الجوزية (ت751هـ) شيخه ابن تيمية في رأيه هذا ووضع فصلا من كتابه " أحكام أهل الذمة" بعنوان: [كل من طعن في ديننا فهو من أئمة الكفر]³.

هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآيات ما يأتي:

- استدلل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين، إذ هو كافر.. وقال ابن المنذر: أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم عليه القتل. وممن قال ذلك: مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.⁴

- أخذ بعضهم من قوله تعالى: (إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ) أن الكافر لا يمين له على الحقيقة.

قال الفخر الرازي (ت606هـ): وبه تمسك أبو حنيفة رحمه الله في أن يمين الكافر لا يكون يمينا. وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين. ومعنى الآية عنده: أنهم لما لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان. والدليل على أن أيمانهم أيمان أنه- سبحانه- وصفها بالنكت في قوله: { وَإِنْ تَكُونُوا أَيْمَانَهُمْ.. } ولو لم يكن منعقدا لما صح وصفها بالنكت⁵.

- دل قوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ) على أن قتال المؤمنين للكفار لا يراد به سلب أموالهم ولا هتك أعراضهم.. وإنما المراد به الرجاء في هدايتهم، والأمل في انتهائهم عن الكفر وسوء الأخلاق. قال صاحب الكشاف: " قوله (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ) متعلق بقوله (فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ)،

أي: ليكن غرضكم في مقاتلتهم- بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم- أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه. وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد¹.

¹ - الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص: 17.

² - نفسه، ص: 18.

³ - ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة، 3/1385-1386.

⁴ - تفسير القرطبي، 82/8.

⁵ - تفسير الرازي، 15/535.

وقال سيد قطب موضحاً هذا المقصد الشرعي من قتال الكافرين: " يكون القتال لهم؛ لعلهم حينئذ أن يثوبوا إلى الهدى . . كما سبق أن قلنا: إن قوة المعسكر المسلم وغلبته في الجهاد قد ترد قلوباً كثيرة إلى الصواب؛ وتريهم الحق الغالب فيعرفونه؛ ويعلمون أنه إنما غلب لأنه الحق؛ ولأن وراءه قوة الله؛ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما أبلغهم من أن الله غالب هو ورسوله. فيقودهم هذا كله إلى التوبة والهدى، لا كرهاً وقهراً ، ولكن اقتناعاً بالقلب بعد رؤية واضحة للحق الغالب كما وقع وكما يقع في كثير من الأحيان.²

المبحث الخامس: ضميمة استحباب الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) سورة التوبة/23.

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى الاستحباب:

الحُبُّ تَقْيِضُ البُغْضِ والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ... والاستحبابُ كالاستحسان... والحُبُّ المَحْبُوبُ، وكان زيدُ بن حارثة رضي الله عنه يُدْعَى حِبًّا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.³
والاستحباب طلب المحبة يقال: استحَب له، بمعنى أحبه، كأنه طلب محبته.⁴
واستحَبَّه عليه أي آثره عليه واختاره. ومنه قوله تعالى: (فاستَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) واستحَبَّه أحبه ومنه المُسْتَحَبُّ⁵

وقد ورد لفظ الاستحباب في أربعة مواضع من القرآن، بصيغة الجمع فعلا ماضيا ومضارعا، كلها في سياق الذم والإنكار، وهي: الآية موضوع الدراسة، وقوله تعالى: { الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } سورة إبراهيم/3، وقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) سورة النحل/107، وقوله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) سورة فصلت/17، والملاحظ أن هذا الفعل (الاستحباب) ارتبط بإيثار ما هو باطل (الكفر/العمى) وفان (الحياة الدنيا) على ما هو حق (الإيمان/الهدى) وبقا (الآخرة).

¹ - تفسير الزمخشري، 2/ 251.

² - في ظلال القرآن، 3/ 1607.

³ - ابن منظور، لسان العرب مادة (حِب)، 1/ 289.

⁴ - تفسير الرازي، 16/ 17.

⁵ - زين الدين الرازي ، مختار الصحاح مادة (ح ب ب)، ص 65.

ب- مفهوم ضميمة استحباب الكفر في الآية:

نقل البغوي في أسباب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال، قال: " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ } قال مجاهد: نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده، يقولون: ننشدك بالله أن لا تضيعنا. فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم¹ واستنادا إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن ظاهر هذه المخاطبة أنها لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة² في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين. وهذا ما سنفصل فيه القول في موضعه من البحث إن شاء الله. وبالرجوع إلى أقوال المفسرين في الآية، فإن الله نهى المؤمنين عن موالة من استحبوا الكفر على الإيمان " - أي أحبوه حباً متمكناً، فالسين والتاء للتأكيد - في ظاهر أمرهم أو باطنه، إذا اطلعوا عليهم وبدت عليهم أمارات ذلك"³.

و { اسْتَحْبُوا } متضمنة معنى فضلوا وآثروا، ولذلك تعدت ب «على»⁴.

ثم إنه تعالى بعد أن نهى عن مخالطتهم، وكان لفظ النهي، يحتمل أن يكون نهى تنزيه وأن يكون نهى تحريم، ذكر ما يزيل الشبهة فقال: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } قال ابن عباس: يريد مشركاً مثلهم لأنه رضي بشركهم، والرضا بالكفر كفر، كما أن الرضا بالفسق فسق⁵. وهذا الحكم استحققه الموالون " لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"⁶.

مستفادة:

قال سيد قطب رحمه الله: " إن هذه العقيدة لا تحتل لها في القلب شريكاً؛ فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة؛ ولا أن يترهبين ويزهد في طيبات الحياة . . كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب،

¹ - معالم التنزيل، 24/4.

² - تفسير ابن عطية، 17/3.

³ - التحرير والتنوير، 151 / 10. بتصرف يسير .

⁴ - تفسير ابن عطية، 18-17/3.

⁵ - تفسير الرازي، 17/16.

⁶ - تفسير السعدي، ص: 332.

ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة. فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة؛ على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

وهكذا تنقطع أواصر الدم والنسب، إذا انقطعت أصرة القلب والعقيدة، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله. فله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جميعاً، فإذا لم تكن فلا ولاية بعد ذلك، والحبل مقطوع والعروة منقوضة.¹

وخلاصة القول: فإن إفادة ضميمية استحباب الكفر لمصطلح الكفر تتجلى في كون الكفر أكسبته هذه الضميمة الإضافية تأكيداً وإصراراً عليه لا يُرجى معه الإقلاع عنه، وهذا الاستحباب صادر عن اختيار وتفضيل للكفر على الإيمان، فهو درجة أعلى في مراتب الكفر.

المبحث السادس: ضميمية كلمة الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في قوله تعالى في سياق بيان ما كان عليه المنافقون من كذب وفجور، ومن خيانة وغدر: { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا } سورة التوبة/74.

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى كلمة:

قال ابن فارس (ت395هـ): " الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح.

فالأول: الكلام. نقول: كلمته أكلمه تكليماً، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته. ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلمات وكَلِمًا.. قال الله تعالى: { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ } [النساء: 46].
والأصل الآخر الكَلَمُ، وَهُوَ الْجُرْحُ؛ وَالْكَلامُ: الْجَرَاحَاتُ².

¹ - في ظلال القرآن، 3/ 1615.

² - مقاييس اللغة، مادة (كلم)، 5/ 131، ومنه " قراءة ابن عباس ومجاهد وابن جبير: { وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ } سورة النمل/82، تكلمهم، بفتح التاء وسكون الكاف، أي تخرجهم " أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 8/ 269.

وعبر الراغب (ت502هـ) عن هذين الأصلين بلفظ آخر فقال: "الكلم: التأثير المدرك بإحدى الحاستين، فالكلام: مدرك بحاسة السمع، والكلم: بحاسة البصر، وكلمته: جرحته جراحة بأن تأثيرها"¹. وذكر ابن منظور في بيان الأصل الأول: "والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها، وخطبة بأسرها، يقال: قال الشاعر في كلمته"²، أي في قصيدته"³، أي أن الكلمة يتسع مدلولها في اللغة، وفي القرآن الكريم أيضاً، قال الراغب: "وقوله: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) الآية [الأنعام/ 115]، فالكلمة هاهنا القضية، فكل قضية تسمى كلمة، سواء كان ذلك مقالا أو فعلا، ووصفها بالصدق، لأنه يقال: قول صدق، وفعل صدق"⁴.

وإذا كان لمدلول الكلمة هذه الدلالة المتنوعة فما موقع (كلمة الكفر) من ذلك؟

ب- معنى (كلمة الكفر) لدى المفسرين:

يستعرض النص في عمومها حالة المنافقين في كثير من مواقفهم، ويشير إلى ما أرادوه مراراً من الشر للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين⁵. واتفق المفسرون بأن " هذه الآية تدل على أن أقواماً من المنافقين، قالوا كلمات فاسدة، ثم لما قيل لهم إنكم ذكرتم هذه الكلمات خافوا، وحلفوا أنهم ما قالوا"⁶. ثم ذكروا - فيما نقله الماوردي - في سبب نزولها ثلاثة أقوال، وهي تكشف عن كذب المنافقين وغدرهم: " أحدها : أنه الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير، ثم حلف أنه ما قال، وهذا قول عروة ومجاهد وابن إسحاق . والثاني : أنه عبد الله بن أبي بن سلول. قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قاله قتادة.

والثالث : أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك¹، قاله الحسن ."²

¹ - المفردات، مادة كلم، ص: 722.

² - كقول النبي صلى الله عليه وسلم في ما رواه عنه أبو هريرة : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، باب أيام الجاهلية، الحديث 3628، 3/ 1395، أما تنمة هذا البيت التي يذكرها البعض وهي : "وكل نعيم لا محالة زائل " فلا تثبت صحتها عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنظر: السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، 41/ 24.

³ - لسان العرب، مادة (كلم)، 522/12.

⁴ - المفردات ، مادة (كلم)، ص: 723 .

⁵ - في ظلال القرآن، 1677/3.

⁶ - تفسير الرازي، 103/16.

ورجح ابن العربي هذا القول الأخير³ فقال: " وهو الصحيح؛ لعموم القول، ووجود المعنى فيه وفيهم، وجملة ذلك اعتقادهم وقولهم إنه ليس بنبي".⁴

وقال القشيري (ت465هـ) في تفسير { كَلِمَةُ الْكُفْرِ } : وهي طَعْنُهُمْ في نُبُوَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلُّ مَنْ وَصَفَ المعبودَ بصفاتِ الخلق أو أضاف إلى الخلق ما هو من خصائص نعت الحق فقد قال كلمة الكفر .⁵

وقال الطاهر بن عاشور: " وكلمة الكفر الكلام الدالّ عليه... فكلمة الكفر جنس لكلّ كلام فيه تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، كما أطلقت كلمة الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله. فالكلمات الصادرة عنهم على اختلافها، ما هي إلاّ أفراداً من هذا الجنس كما دلّ عليه إسناد القول إلى ضمير جماعة المنافقين".⁶

ثم ردّ الله على المنافقين وكذبهم وبين أنهم حلفوا كذباً، فقال: { وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ } وهي ما تقدّم بيانه على اختلاف الأقوال السابقة، " تحقيقاً لتكذيبهم فيما أنكروه"⁷، " وأكّد صدور كلمة الكفر منهم، في مقابلة تأكيدهم نفي صدورها، بصيغة القسم ليكون تكذيب قولهم مساوياً لقولهم في التأكيد".⁸ وقال تعالى: { بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ } ولم يقل بعد إيمانهم، لأن ذلك لم يتجاوز ألسنتهم.⁹

وبين البقاعي (ت885هـ) أن هؤلاء المنافقين جمعوا بين شعب الكفر بأقسامها الثلاثة فقال: " ولما كان هذا السياق لصنف يجددون الاستخفاف بالله تعالى بما دل عليه المضارع كل وقت، دل على أن إقرارهم بالإيمان كذب، وأفعالهم صور لا حقائق لها، فعبّر بالإسلام فقال: { وكفروا } أي اظهروا الكفر { بعد إسلامهم } أي بما ظهر من أفعالهم وأقوالهم، وذلك غاية الفجور... { وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا } أي من

¹ - نقل ابن عطية موضحاً قول الحسن فقال: " وقال الحسن: هم المنافقون من إظهار الشرك ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم بما لم ينالوا" تفسير ابن عطية، 60/3.

² - تفسير الماوردي (النكت والعيون)، 383/2.

³ - ويؤيد هذا الترجيح ما استخلصه ابن عاشور من أكثر الآيات التي فضحت سرائر المنافقين، حيث قال في تفسير نفس الآية: " لما كان معظم ما أخذ على المنافقين هو كلمات دالة على الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من دلائل الكفر، وكانوا إذا نُقِلَ ذلك عنهم تنصّلوا منه بالإيمان الكاذبة، عُقِبَت آية الأمر بجهادهم بالتنبيه على أنّ ما يتصلّون به تنصّل كاذب، وأن لا ثقة بخلفهم " التحرير والتنوير، 268/10.

⁴ - أحكام القرآن لابن العربي، 545/2.

⁵ - القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الثالثة ، 47/2

⁶ - التحرير والتنوير، 269 / 10.

⁷ - تفسير الماوردي (النكت والعيون)، 383/2.

⁸ - التحرير والتنوير، 268 / 10.

⁹ - تفسير ابن عطية، 60/3.

قتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو إخراجهم من المدينة، فجمعوا بين أنواع الكفر: القول والفعل والاعتقاد¹.

ونخلص مما ذكره أهل التفسير في الآية أن ضميمته " كلمة الكفر " تشمل كل ما نطق به المنافقون من أقوال قبيحة يقصدون بها الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين.

المبحث السابع: ضميمته رأس الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدّادين² أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم³."

وفي رواية أحمد عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال: " رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان " ⁴.

وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: « فلما كان يوم بدر، حصل لي دِرْعَان، فلقيني أمية، فقال: خُذني وابني، فأنا خير لك من الدّرعين، أفتدي منك، فراه بلال، فقال: أميةُ رأسُ الكفر، لا نجوتُ إن نجا أمية، فقتلها، ولا أسيري⁵ ».

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى رأس:

¹ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 8/ 548.

² - قال الحافظ ابن حجر: " قوله: (الفدّادين) بتشديد الدال عند الأكثر، وحكى أبو عبيد عن أبي عمرو الشيباني أنه خففها، وقال: إنه جمع فدان، والمراد به البقر التي يحرق عليها، وقال الخطابي: الفدان آلة الحرث والسكة، فعلى الأول فالفدادون جمع فدان وهو من يعلو صوته في إبله وخيله وحرثه ونحو ذلك، والفديد هو الصوت الشديد، وحكى الأخفش وواه أن المراد بالفدّادين من يسكن الفدّاد جمع فدد، وهي البراري والصحاري، وهو بعيد. وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الفدّادين هم أصحاب الإبل الكثيرة من المائتين إلى الألف، وعلى ما حكاه أبو عمرو الشيباني من التخفيف فالمراد أصحاب الفدّادين على حذف مضاف، ويؤيد الأول لفظ الحديث الذي بعده " وغلظ القلوب في الفدّادين عند أصول أذناب الإبل، وقال أبو العباس: الفدادون هم الرعاة والجمالون، وقال الخطابي: إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم، وذلك يفضي إلى قساوة القلب. " فتح الباري شرح صحيح البخاري، 6/ 352.

³ - موطأ مالك، سيق تخريجه.

⁴ - مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الحديث 4751، 8/ 373، وصححه محققو المسند.

⁵ - ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى، الحديث رقم 6025. 8/ 192، وأخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف بدون عبارة " أميةُ رأسُ الكفر " صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حرباً في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز، الحديث 2179، 2/ 807.

قال الخليل: "رأس كل شيء: أعلاه، ثلاثة رؤوس (جمع القلة)، والجمع (الكثرة): الرؤوس. وفحل رأس: وهو الضخم الرأس، وأنا رأسهم ورئيسهم، وترأس عليهم ورأسوني على أنفسهم... وسحابة رئاسة: التي تتقدم السحاب." ¹

وقال ابن الأثير (ت606هـ): "رأس القوم يرأسهم رئاسة: إذا صار رئيسهم ومقدمهم" ².

وقال الفيروزآبادي (ت817هـ): "الرأس أعلى كل شيء، وسيد القوم... ورأس المال: أصله" ³.

ب - معنى رأس الكفر في الحديث:

المقصود برأس الكفر عند شراح الحديث النبوي أعظمه وأشدّه، كما لقب عبد الله بن أبي بن سلول برأس المنافقين ⁴، وذلك لغلوه وتوغله في النفاق حتى صار إمام المنافقين في زمانه، قال أبو الوليد الباجي (ت474هـ): "قوله صلى الله عليه وسلم: «رأس الكفر» يريد - والله أعلم - معظمه وشدته. وقوله صلى الله عليه وسلم: «نحو المشرق» ⁵ يحتل أن يريد - والله أعلم - فارس، ويحتمل أن يريد به أهل نجد، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم، ويؤيد هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم: «والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر» وهؤلاء كانوا أهل نجد." ⁶

إلا أن غالب تفسيرات الشراح تميل إلى أن المراد بهم هم فارس ومن وراءهم من العجم، وذلك لأنهم مجوس، لا شريعة ولا كتاب لهم، ولا يؤمنون بأي رسول أو نبي، قال ابن عبد البر (ت463هـ): "أما قوله رأس الكفر نحو المشرق: فهو أن أكثر الكفر وأكبره كان هناك لأنهم كانوا قوما لا كتاب لهم، وهم فارس ومن وراءهم، ومن لا كتاب له فهو أشد كفرا من أهل الكتاب، لأنهم لا يعبدون شيئا ولا يتبعون رسولا، فهذا والله أعلم معنى قوله: رأس الكفر نحو المشرق" ⁷.

¹ - معجم العين، مادة (رأس)، 7/ 294.

² - ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، مادة (رأس)، 2/ 443.

³ - القاموس المحيط، ص547.

⁴ - ورد هذا اللقب على لسان مجموعة من الصحابة، كما في الحديث الطويل الذي أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه في سبب نزول سورة المنافقون، وفيه قال زيد بن أرقم: فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين... الحديث 3313، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة المنافقين، 5/ 415، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

وحديث جابر رضي الله عنه قال: مات رأس المنافقين بالمدينة، وأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكفنه في قميصه، فصلى عليه وكفنه في قميصه وقام على قبره، فأنزل الله: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) سورة التوبة/84، سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب في الصلاة على أهل القبلة، الحديث 1524، قال الشيخ الألباني: منكر بذكر الوصية، 1/ 488.

⁵ - وتخصيص المشرق بهذا الذم علقه كما قال ابن العربي فيما نقله عنه المناوي: "إنما ذم المشرق لأنه كان مأوى الكفر في ذلك الزمن ومحل الفتن ثم عمه الإيمان وأيا ما كان فالحديث من أعلام نبوته لأنه إخبار عن غيب وقد وقع." المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 4/4.

⁶ - أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر الطبعة: الأولى، 1332 هـ، 7/ 290.

290/7.

⁷ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، 18/ 142.

وقال زين الدين العراقي (ت806هـ): " قوله « رأس الكفر نحو المشرق»¹ كان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال ذلك لأنه كان مملكة الفرس، وهم أهل تجبر، وغير متمسكين بشرع ولا كتاب، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق، وكذلك يأجوج ومأجوج، وهو كذلك منشأ الفتن العظيمة في الدين بالبدع، وفي الدنيا بالقتل وسفك الدم، ولو لم يجرى من فتنة المشرق إلا خروج الترك على المسلمين وسفكهم دماءهم وإذهابهم علومهم، وتخريبهم مدائنهم لكفى في ذلك."²

وقال ابن حجر (ت852هـ) في شرح هذا الحديث: " في ذلك إشارة إلى شدة كفر المجوس، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة، وكانوا في غاية القسوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملوكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم... واستمرت الفتن من قبل المشرق"³.

ومن العلماء من أجاز أن يكون الكفر الوارد في هذا الحديث يراد به كفران نعمة الإسلام، بمعنى عدم الالتزام بحق الأخوة الإيمانية في الأمن على الأنفس والأموال، والوقوع في الاقتتال الداخلي بين صفوف المسلمين، قال أبو بكر الكلاباذي (ت380هـ): " قوله صلى الله عليه وسلم: « رأس الكفر قبل المشرق » يجوز أن يكون المراد فيه كفر النعمة، لا كفر الجحود، وذلك أن أكثر الفتن التي كانت في الإسلام ظهرت من قبل المشرق، وهو العراق وما وراءه، فإن الجمل وهو أعظم الفتن التي كانت في الإسلام بعد قتل عثمان رضي الله عنه كان بالعراق، وكذلك الصفين والنهروان، وقتل الحسين رضي الله عنه بالعراق، وفيها كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين، وفتنة الجمام، قالوا: قتل فيها خمسمائة من قراء التابعين، ثم فتنة أبي مسلم كان ظهوره من قبل المشرق، هذا وغيرها من الفتن والأحداث أكثرها كانت من قبل المشرق، وسبب الفتنة وإراقة دماء المسلمين كفران نعمة الإسلام.

ويجوز أن يكون المراد فيه الكفر الذي هو ضد الإيمان، ويكون ذلك خروج الدجال، فإن أكثر الروايات على أن خروجه يكون من قبل الترك."⁴

¹ - وفي حديث آخر يحمل نفس الدلالة بزم أهل المشرق لكن بعبارة أخرى، وهو ما رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز " صحيح مسلم، ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، كتاب الإيمان، الحديث 53، 73/1.

² - أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، طرح التنزيه في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد لنفس المؤلف) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم ولي الدين، ابن العراقي (ت826هـ)، الطبعة المصرية القديمة، 235/7-236.

³ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 352/6.

⁴ - ثم استدلل الكلاباذي على كلامه الأخير بهذا الحديث فقال: " حدثنا حاتم بن يحيى، ح الحماني، ح علي بن مسهر، عن عاصم بن كليب، كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا « أن أعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق » في حديث ساقه. " الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد - أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م، ص 74-75.

المبحث الثامن: ضميمة آية الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص قال: سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال: من أقرأكها؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير هذا، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله كذا وكذا، ثم قرأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هكذا أنزلت، فقال الآخر: يا رسول الله، فقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أليس هكذا يا رسول الله؟ قال: هكذا أنزلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأبي ذلك قرأتكم فقد أحسنتم، ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر أو آية الكفر».¹

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى آية الكفر :

سبق أن تعرفنا بتفصيل على معنى لفظ (آية) في اللغة والاصطلاح وفي استعمال القرآن²، وقد وقفنا على تعريف الراغب الأصفهاني (ت502هـ) للآية بقوله: " والآية: هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثم وجد العلم علم أنه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنه لا بدّ له من صانع.³

فالآية هي العلامة الظاهرة الملازمة للشيء حسياً كان أو معنوياً، والحديث نهى عن المراء في القرآن، وبيّن أن المراء فيه يُخشى على صاحبه الكفر والمروق عن الدين أو هو علامة على ذلك، فما معنى المراء في القرآن؟

قال ابن دريد (ت321هـ): " والمراء: مصدر ماريثه مراءً ومماراةً، من المجادلة. ومن أمثالهم: دع المراء لقلة خيره.⁴

¹ - مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، الحديث 17821، 29 / 355 وصححه محققو المسند.

² - أنظر في مبحث علاقات الائتلاف: مطلب الكفر والتكذيب بآيات الله.

³ - المفردات، مادة (أي) ص: 101.

⁴ - جمهرة اللغة، مادة (رموي) 2 / 1069.

وقال الأزهرى: " والمراء أيضًا: من الافتراء والشك... وأصله في اللغة: الجدل وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها، من مزيت الشاة، إذا حلبتها واستخرجت لبنها...
قال الليث: المزية: الشك؛ ومنه: الامتراء، والتماري في القرآن. يُقال: تمارى يَتَمَارَى تمارياً، وامترى امتراء، إذا شك.¹

فالمراء إذن يطلق على الجدل والخصومة والشك، وهذه كلها معان مضمومة.
وقد رجعت إلى شروح الحديث النبوي فوجدت أن العلماء ذكروا في معنى المراء في القرآن خمسة أقوال فيما وقفت عليه، وهي:

أحدها:

أن المراد المراء في قراءاته دون تأويله ومعانيه، كما ورد في سبب ورود الحديث، وهو أن ينكر بعض القراءات الثابتة، قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ): " ليس وجه هذا الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل، ولكنه عندنا على الاختلاف في اللفظ، أن يقرأ الرجل القراءة على حرف، فيقول له الآخر: ليس هو هكذا، ولكنه هكذا على خلافه.

وقد أنزلهما الله جميعاً... فإذا جحد هذان الرجلان كلُّ منهما ما قرأ صاحبه، لم يؤمن أن يكون ذلك قد أخرج به إلى الكفر لهذا المعنى.² لأنه نفى حرفاً أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقد استبعد ابن بطة (ت387هـ) وقوع هذا النوع من المراء، وبين أنه لم يبق له وجود، بعدما جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه وأزيل الخلاف الذي وقع آنذاك بين القراء، قال رحمه الله: " قد كان، وزال وكفى المؤمنين مؤنته، وذلك بفضل الله ورحمته، ثم بجمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس كلهم على إمام واحد باللغات المشهورة المعروفة" ثم يضيف في شرح الحديث: " فإن كلاً صواب وكلام الله، فلا تنكروه، ولا يرد بعضكم على بعض، فيكذب بالحق، ويرد الصواب الذي جاء عن الله عز وجل، فإن رد كتاب الله والتكذيب بحرف منه كفر، فهذا الوجه من المراء الذي هو كفر قد ارتفع ذلك، والحمد لله ³.

القول الثاني:

المراد بالمراء الجدل في آيات العقائد - كآيات القدر والوعيد والأسماء والصفات - التي مبناها على الاعتقاد والتسليم دون آيات الأحكام، قال الخطابي (ت388هـ): " وقال بعضهم إنما جاء هذا في الجدل بالقرآن في الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما كان في معناه، على مذهب أهل الكلام والجدل، وعلى معنى ما يجري من الخوض بينهم فيها دون ما كان منها في الأحكام وأبواب التحليل والتحريم والحظر والإباحة، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تنازعوا فيما بينهم وتحاجوا بها عند

¹ - تهذيب اللغة، (باب الرَاء وَالْمِيم) 204/15.

² - غريب الحديث، 2/ 236-234.

³ - ابن بطة، الإبانة الكبرى، 614/2.

اختلافهم في الأحكام، ولم يتخرجوا عن التناظر بها وفيها. وقد قال سبحانه { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } [النساء: 59]، فلم أن النهي منصرف إلى غير هذا الوجه، والله أعلم.¹

فالجدال في العقائد منهي عنه لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين، أمّا آيات الأحكام والحلال والحرام فلا تدخل في معنى الحديث، لأن فقهاء الصحابة وقع بينهم التنازع والاختلاف في فروع الأحكام ولم يتخرجوا عن التناظر بها وفيها، قال ابن عبد البر: " وقد أجمع أهل العلم بالسنن والفقه - وهم أهل السنة - عن الكف عن الجدال والمناظرة فيما سبيلهم اعتقاده بالأفئدة مما ليس تحته عمل، وعلى الإيمان بمتشابه القرآن والتسليم له، ولما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث الصفات كلها، وما كان في معناها، وإنما يبيحون المناظرة في الحلال والحرام وما كان في سائر الأحكام يجب العمل بها"، ونقل بسنده - ما يعضد ذلك - عن مالك أنه قال: " إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والكلام والبحث والنظر إلا فيما تحته عمل، وأما ما سبيله الإيمان به واعتقاده والتسليم له فلا يرون فيه جدالا ولا مناظرة "².

القول الثالث:

وهو قريب من القول السابق، وهو الجدال في متشابه القرآن الذي حذر الله منه، وهو ما رجحه ابن بطة (ت387هـ)، قال: " وهو المراء الذي بين أصحاب الأهواء وأهل المذاهب والبدع، وهم الذين يخوضون في آيات الله، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، يتأولونه بأهوائهم، ويفسرونه بأهوائهم، ويحملونه على ما تحمله عقولهم، فيضِلُّونَ بذلك، وَيُضِلُّونَ من اتبعهم عليهم "³.

ونقله البغوي (ت516هـ) فقال: " وقيل: المراء: هو الجدال المشكك، وذلك أنه إذا جادل فيه، أداه إلى أن يرتاب في الآي المتشابهة منه، فيؤديه ذلك إلى الجحود، فسماه كفرا باسم ما يخشى من عاقبته إلا من عصمه الله. "⁴

ويؤيد القولين السابقين الحديث الذي رواه ابن ماجه بسنده عن عائشة، قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } إلى قوله: { وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [آل عمران: 7]، فقال: يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عناهم الله، فاحذروهم "⁵.

¹ - معالم السنن، 297/4.

² - الاستنكار، 513/2.

³ - الإبانة الكبرى لابن بطة، 617/2.

⁴ - شرح السنة، 261/1.

⁵ - سنن ابن ماجه، أبواب السنة، باب اجتناب البدع والجدل، الحديث 47، 32/1. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009 م، تعليق المحققين: إسناده صحيح.

القول الرابع:

الشك في آية من القرآن كما في قوله تعالى: (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) سورة هود/17، وهذا ما عبّر عنه ابن عبد البر (ت463هـ) بقوله: " والمعنى إنما يتماهى اثنتان في آية يجدها أحدهما ويدفعها وبصير فيها إلى الشك، فذلك هو المراء الذي هو الكفر.. كما قال عز وجل: { وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ } [الحج: 55]، والمراء والملاحاة غير جائز شيء منهما، وهما مذمومان بكل لسان"¹.

القول الخامس:

قال البيضاوي (ت685هـ): " المراد بـ(المراء فيه): التدارؤ، وهو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن، ليدفع بعضه ببعض، فيطرق إليه قدحا وطعنا، ومن حق الناظر في القرآن أن يجتهد في التوفيق بين الآيات والجمع بين المختلفات ما أمكنه، فإن القرآن يصدق بعضه بعضا، فإن أشكل عليه شيء من ذلك، ولم يتيسر له التوفيق، فليعتقد أنه من سوء فهمه، وليكله إلى عالمه، وهو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } [النساء: 59]."² فهذه أقوال أهل العلم في معنى حديث « المراء في القرآن كفر » وهي كلها صحيحة، ولفظ الحديث يحتملها جميعاً، ولا تعارض بينها، والله أعلم.

ومن المراء المحرم أيضا في القرآن أن يحمل البعض الآية على معنى ضعيف يخالف الحق، وينظر على ذلك مع ظهوره الحق على خلاف ما ذهب إليه، قال النووي (ت676هـ): " يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق، فمن ذلك أن يظهر فيه دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه، ويحتمل احتمالا ضعيفا موافقة مذهبه، فيحملها على مذهبه، وينظر على ذلك مع ظهورها في خلاف ما يقول، وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المراء في القرآن كفر »"³.

وبالرجوع إلى ضميمه آية الكفر واستنادا إلى كلام العلماء السابق فإن المراء في القرآن والخصومة فيه والتعاطي لتأويله بالآراء والأهواء لنصرة الباطل، وابتغاء الفتنة بغير علم آية ظاهرة وعلامة على الكفر والضلال.

¹ - جامع بيان العلم وفضله، 2/ 928، ومن هذا القبيل أيضا: المراء في تنزيل القرآن، وذلك بأن يمتري أحد ويشك في كون القرآن منزلا من الله تعالى، فهذا كفر أيضا، لأنه شك فيما أخبر الله به كما قال سبحانه: { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [السجدة: 2].

² - القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب - نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام 1433 هـ - 2012م، 1/ 159.

³ - النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، 1414 هـ - 1994م، ص: 168.

المبحث التاسع: ضميمة أهل الكفر

المطلب الأول: مورها

ردت هذه الضميمة في الحديث الذي رواه الدارمي (ت255هـ) في سننه عن عبد الله بن موهب قال: سمعت تميما الداري يقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، ما السنة في الرجل من أهل الكفر يُسَلَّمُ على يَدَيَّ رجل من المسلمين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِمَحْيَاةٍ وَمَمَاتِهِ »¹.

المطلب الثاني: دلالتها

أ- معنى أهل:

قال الخليل بن أحمد: " أَهْلُ الرَّجُلِ: زَوْجُهُ، وَأَخَصُّ النَّاسِ بِهِ. وَالتَّأَهُلُ: التَّزْوُجُ. وَأَهْلُ الْبَيْتِ: سَكَانُهُ، وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ: مَنْ يَدِينُ بِهِ، وَمَنْ هَذَا يُقَالُ: فَلَانُ أَهْلُ كَذَا أَوْ كَذَا."²
وقال الفيروزآبادي (ت817هـ): " أَهْلُ الرَّجُلِ عَشِيرَتُهُ، وَذَوُو قُرْبَاهُ، جَ أَهْلُونَ وَأَهَالٍ وَأَهَالٌ وَأَهْلَاتٌ..وَأَهْلُ الْأَمْرِ وَلَاتُهُ.. وَ لِلْمَذْهَبِ مَنْ يَدِينُ بِهِ.. وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْوَاجُهُ وَبَنَاتُهُ وَصِهْرُهُ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، أَوْ نِسَاؤُهُ، وَالرِّجَالُ الَّذِينَ هُمْ آلُهُ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ أُمَّتُهُ. وَمَكَانٌ أَهْلٌ: لَهُ أَهْلٌ"³.
و يأتي لفظ الأهل بمعنى الاستحقاق، قال ابن سيده: " وهو أَهْلٌ لكذا، أي مستوجب له، الواحد والجمع في ذلك سواء، وعلى هذا قالوا: الْمُلْكُ لِلَّهِ أَهْلُ الْمُلْكِ."⁴
ف" أهل الشيء: مستحقه، وأصله: أنه ملازم الشيء وخاصته"⁵.

والأهل في القرآن الكريم ورد مائة وستة وعشرين مرة (126) مضافا إلى مفرد أو ضمير، يكون قرينة لمعرفة معنى الأهل في الآية، فأهل الشيء: هم أصحابه الملازمون له، أو الأولى بهذا الشيء من غيرهم، يقول ابن عاشور: " والأهل: الفريق الذين لهم مزيد اختصاص بما يضاف إليه اللفظ، فمنه أهل الرجل عشيرته، وأهل البلد المستوطنون به، وأهل الكرم المتصفون به"⁶.
وما جاء في القرآن يؤكد ذلك، فأهل القرية، وأهل المدينة، وأهل القرى، وأهل مدين، وأهل يثرب، وأهل النار، هم أصحابها وساكنوها المقيمون فيها الملازمون لها.

¹ - سنن الدارمي، كتاب الفرائض، باب في الرجل يوالي الرجل، الحديث 3076، 1970/4 وصحح المحقق حسين سليم إسناده.

² - معجم العين، مادة (أهل)، 89/4.

³ - القاموس المحيط، ص: 963.

⁴ - المحكم والمحيط الأعظم، مادة (أهل)، 356/4.

⁵ - التحرير والتنوير، 334/29.

⁶ - نفسه، 330/2.

وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وأهل الذكر، هم أصحابه وحملته، ومنه قوله تعالى: (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) سورة المدثر/56.

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) قال: أنا أهل أن أتقى فلا يشرك بي غيري، وأنا أهل لمن اتقى أن لا يشرك بي غيري أن أغفر له ¹.

ب- معنى أهل الكفر:

فأهل الكفر إذن هم من ينطبق عليهم وصف الكفر- الذي هو ضد الإيمان- فهم أصحابه الملازمون له في اعتقاداتهم وأقوالهم وأفعالهم كالمشركين واليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم.

المبحث العاشر: ضميمة شعر الكفر

المطلب الأول: مورها

وردت هذه الضميمة في الحديث الذي رواه أبو داود عن عُثَيْم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد أسلمت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: « ألق عنك شعر الكفر » يقول أحلق، قال: وأخبرني آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لآخر معه: « ألق عنك شعر الكفر واختتن » ².

المطلب الثاني: دلالتها

قال ابن فارس: " الشعر، معروف، والجمع أشعار، وهو جمع جمع، والواحدة شعرة. ورجل أشعر: طويل شعر الرأس والجسد...والشُّعار: ما وَلِيَ الجسدَ من الثَّياب، لَأَنَّهُ يَمَسُّ الشَّعْرَ الذي على البَشَرَةِ " ³. قال العلامة آبادي (ت1329هـ) في شرح الحديث: " ليس المراد والله أعلم أن كل من أسلم أن يحلق رأسه حتى يلزم له حلق الرأس كما يلزم الغسل، بل إضافة الشعر إلى الكفر يدل على حلق الشعر الذي هو للكفار علامة لكفرها، وهي مختلفة الهيئة في البلاد المختلفة، فكفرة الهند ومصر لهم في موضع من الرأس شعور طويلة لا يتعرضون بشيء من الحلق أو الجز أبداً، وإذا يريدون حلق الرأس يحلقون كلها إلا ذلك المقدار، وهو على الظاهر علامة مميزة بين الكفر والإسلام، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم جدَّ عُثَيْم ومن كان معه أن يحلقا شعرهما الذي كان على رأسهما من ذلك الجنس، والله أعلم ⁴.

¹ - السنة لابن أبي عاصم (ت287هـ)، باب في الوعد والوعيد وإن الله فيه خياراً ومشينة، تحقيق الألباني، وقد حسنه لغيره في تخريجه " ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم " رقم الحديث 969. وقال ابن عاشور في تفسير الآية: { هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى } يفيد قصر مستحق اتقاء العباد إياه على الله تعالى، وأن غيره لا يستحق أن يُتَّقَى، ويتجنب غضبه كما قال: { وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ } [الأحزاب/ 37]... ومعنى { أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ } : أن المغفرة من خصائصه، وأنه حقيق بأن يغفر لفرط رحمته وسعة كرمه وإحسانه " التحرير والتنوير، 334/29.

² - سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل، رقم 356، 139/1، وحسنه الألباني.

³ - معجم مقاييس اللغة، مادة (شعر) 193/3.

⁴ - عون المعبود شرح سنن أبي داود 15-16/2.

الفصل السادس: المشتقات

المبحث الأول: دراسة مشتقات الفعل الماضي

لقد سبق القول - ضمن مبحث إحصاء مصطلح الكفر - بأن مجموع صيغ الفعل الماضي الواردة في القرآن الكريم هي مائتان وثلاثة وعشرون (223)، والواردة في الحديث النبوي أربعة عشر (14)، وفيما يلي دراسة مختصرة لحالات ورود هذه الصيغ:

المطلب الأول: صيغة { كَفَرُوا } في القرآن الكريم والحديث النبوي

1- مواردها ودلالاتها:

وردت هذه الصيغة في القرآن مائة وواحد وتسعين مرة (191)¹، وفي الحديث مرتين (2)²، والملاحظ أن هذا الفعل جاء مثبتا مسبوqa باسم الموصول (الذين) في مائة واثنين وخمسين (152) موضعا من القرآن. قال أبو السعود: " وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة."³ كما أن " اختيار طريق الموصولية في وصف الكفار لما تومئ إليه الصلة من وجه صدور ما قالوه وما فعلوه من أقوال قبيحة وأفعال شنيعة كلها تجسد الكفر. كما أن التعبير بصيغة الماضي دلالة على تمكن الكفر منهم ورسوخهم فيه."⁴

2- صفات المصطلح المشتق: { كَفَرُوا }

صفات المشتق هنا صفات الفاعلين المسند إليهم فعل { كَفَرُوا } حقيقة أو حكما، نفيا أو إثباتا. ومن خلال القراءة في النصوص السابقة وغيرها مما أشير إلى أرقامها في الإحالات نجد أن صفات الذين كفروا إما أنها صفات حكمية تثبت لهم الجزاء، أو صفات فعلية تذكر بأعمالهم القبيحة. وهذه الصفات مثبتة بكثرة في ثانيا الآيات، وحيث لا يتسع المقام لإيرادها كلها نكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال:

¹ - وتبتدئ هذه المواضع من سورة البقرة الآية 6، وهي قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } إلى سورة البينة الآية 6، وهي قوله عز وجل: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ }.

² - **الموضع الأول:** أخرجه أبو داود في سننه من طريق مسلم بن أبي بكر، قال: سمعت أبي، يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة، عند نهر يقال له: دجلة، يكون عليه جسر، يكثر أهلها، وتكون من أمصار المهاجرين - قال ابن يحيى: قال أبو معمر: وتكون من أمصار المسلمين - فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه، صغار الأعين، حتى ينزلوا على شط النهر، فيتفرق أهلها ثلاث فرق: فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكَفَرُوا، وفرقة يجعلون دَرَارِيَهُمْ خلف ظهورهم، ويقاتلونهم وهم الشهداء " سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في ذكر البصرة، رقم 4306، 113/4، وحسنه الألباني

الموضع الثاني: أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم، أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فَإِنْ كَفَرُوا أَهْلَكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قال: " لا، بل أستأني بهم " فأُنزل الله عز وجل هذه الآية: { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً }

[الإسراء: 59]. مسند الإمام أحمد، رقم 2333، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

³ - تفسير أبي السعود، 93/1.

⁴ - مصطفى أوعيشة، مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم: مرجع سابق، ص: 69.

فالذين كفروا:

- لَا يُؤْمِنُونَ. سورة البقرة/6
- أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. سورة البقرة/27
- أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. سورة البقرة/39
- أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ. سورة البقرة/161-162.
- صُمُّ بُحْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. سورة البقرة/171
- أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. سورة البقرة/257

- لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. سورة آل عمران/4
- لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَولَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ. سورة آل عمران/10

3- علاقات المصطلح المشتق: { كَفَرُوا }

إن قراءة في النصوص القرآنية موارد فعل { كَفَرُوا } تفيد أن هذا الفعل له ارتباط بعدة مفاهيم وبالعلاقات متنوعة، أهمها:

- علاقات التعاطف: وتتجلى في علاقات: كَفَرُوا/ كَذَّبُوا - كَفَرُوا/ عَصَوْا - كَفَرُوا/ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - كَفَرُوا/ ظَلَمُوا.

وقد سبق بيان هذا التعاطف ضمن علاقات المصطلح الأم (الكفر)¹.

- علاقات جزائية أو سببية: وتتجلى في علاقات: كفروا/ أصحاب الجحيم - كفروا/ عذاب أليم - كفروا/ سخط الله عليهم - كفروا/ الخاسرون... إلخ، وهذه مرت معنا ضمن صفات المصطلح، والكلام على العلاقات الجزائية له مبحث خاص سنتحدث عنه ضمن القضايا إن شاء الله تعالى.
- علاقات تداخل أو علاقات إسنادية: لأن الصفات أو المفاهيم أسندت للذين كفروا، وتتجلى خاصة فيما سميناه بالصفات الفعلية، ومنها علاقات: الكفر/ الضلال² - الكفر/ الفتنة³ - الكفر/ الفسق⁴ - الكفر/ الاستهزاء⁵ - الكفر/ الإعراض⁶... إلخ

4- ضمائم المصطلح المشتق: { كَفَرُوا }

وردت لمصطلح { كَفَرُوا } ضمائم متعددة يجمع بينها قاسم مشترك يتمثل في الكفر بالله وبكتابه وبرسوله صلى الله عليه وسلم، بيان هذه الضمائم كالتالي:

¹ - ينظر فصل العلاقات: علاقة الكفر بالتكذيب ، وعلاقة الكفر بالصد عن سبيل الله، وعلاقة الكفر بالظلم .

² - سورة آل عمران/90.

³ - سورة النساء/101.

⁴ - سورة البقرة/26-27.

⁵ - سورة الكهف/56.

⁶ - سورة الأنبياء/30-32 .

كَفَرُوا بِهِ (القرآن) البقرة/89، سبأ/53، الصافات/170
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ. سورة آل عمران/4، الأنفال/52، الزمر/63
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ. العنكبوت/23
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ. الكهف/105، الجاثية/11
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا. النساء/56، الإسراء/98، البلد/19
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ. الأنعام/1، الرعد/5، إبراهيم/18، الملك/6
كَفَرُوا بِاللَّهِ. العنكبوت/52
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. التوبة/54-80-84
كَفَرُوا بِالذِّكْرِ. فصلت/41
كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ. الممتحنة/1
الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا (أربع مرات): سورة الأعراف/66-90، سورة هود/27، سورة المؤمنون/24
قُلُوبُ الَّذِينَ كَفَرُوا سورة آل عمران/151، الأنفال/12
يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. سورة التوبة/30
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا. الممتحنة/5، المدثر/31
وسنقتصر على دراسة ضميمة { كَفَرُوا رَبَّهُمْ } على سبيل المثال:

أ- مورها:

وردت هذه الضميمة في موضعين من القرآن الكريم، وهما: قوله عز وجل: { أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ } سورة هود/60، وقوله سبحانه: { أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لثَمُودَ } سورة هود/68.

ب- دلالتها:

معنى الرب والربوبية:

قال أبو بكر الأنباري (ت328هـ): " والربّ ينقسم على ثلاثة أقسام:

يكون الرب: المالك.

ويكون الرب: السيّد المطاع. قال الله عز وجل: { فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا } سورة يوسف/41، معناه: فيسقي سيده.

ويكون الرب: المصلح. من قولهم: قد رب الرجل الشيء يَرْبُّهُ رَبًّا، والشيء مريبٌ: إذا أصلحه.¹

فهذه ثلاثة أصول ترجع إليها معاني كلمة الرب.

والى الأصل الأخير ذهب الراغب في مفرداته فقال: " الرّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام، يقال رَبَّه، وربّاه وربّيته... فالرّبّ مصدر مستعار للفاعل².

¹ - ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، 1/ 467.

² - المفردات في غريب القرآن، مادة (رب)، ص: 336.

أما معنى كلمة الرب من حيث هي اسم الله تعالى فقال ابن جرير رحمه الله: " فرَبْنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: السيد الذي لا شِبْهَ لَهُ، ولا مِثْلَ فِي سُودِّهِ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر"¹.

وعلى هذا إذا ذكر اسم الرب معرّفاً فلا يطلق إلا على الله تعالى، وبالإضافة فيقال لله ولغيره بحسب الإضافة، قال الراغب: "ولا يقال الرَّبُّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: { بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ } [سبأ/ 15] .

وبالإضافة يقال له ولغيره، نحو قوله: { رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة/1]، و{ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ } [الصافات/ 126] ، ويقال: رَبُّ الدَّارِ، وَرَبُّ الْفَرَسِ لصاحبهما، وعلى ذلك قول الله تعالى: { اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } [يوسف/42] ، وقوله تعالى: { ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ } [يوسف/ 50]².

ومصدر رَبٌّ يَرْبُ: الربوبية والربابة، إلا أن الربابة لا تقال في الله، وإنما في غيره، قال الراغب: " والربوبية مصدر، يقال في الله عَزَّ وَجَلَّ، والربابة تقال في غيره"³.

أما صفة الربوبية لله تعالى فتدل على " أن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدن، ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له ولا مماثل، ولا سمي له ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، ومقتضيات أسمائه وصفاته، قال الله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } [الأنعام: 1]⁴ ت - إفادتها للمصطلح الأم:

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: { أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ } سورة هود/60: " يقال: « كفر فلان ربه وكفر بربه »، « وشكرت لك، وشكرتك ». وقيل: إن معنى كَفَرُوا رَبَّهُمْ: كفروا نعمة ربهم. "⁵، " وقيل: الكفر هو الجحد فالتقدير: ألا إن عاداً جحدوا ربهم "⁶. وكل هذه الأقوال تحتلها الآية.

مما سبق يتبين أن الدلالة الاصطلاحية للضميمة هي كفر عاد وثمود بمن خلقهم ورزقهم ورباهم، وفيه معنى الجحد لربوبية الله المقتضية لألوهيته.

¹ - تفسير الطبري، 142/1.

² - المفردات في غريب القرآن، مادة (رب)، ص: 336.

³ - نفسه، ص: 337.

⁴ - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت1377هـ)، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق: حازم القاضي، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة: الثانية، 1422هـ، ص: 23.

⁵ - تفسير الطبري، 367/15.

⁶ - تفسير الرازي، 367/ 18.

المطلب الثاني: صيغة { كَفَرَ } في القرآن الكريم والحديث النبوي

أولاً: في القرآن الكريم

1- مواردها ودلالاتها:

ورد فعل { كَفَرَ } في القرآن الكريم عشرين مرة (20)¹، بما فيها صيغة المبني للمجهول في موضع واحد²، وحالات وروده تكاد تكون ذات نسق واحد حيث يرد الفعل مثبتاً مسنداً لفاعل مبهم - دال على العموم - إما اسم موصول أو اسم شرط، كلاهما يعود على عموم الكفار، وذلك في سياق الذم والترهيب بذكر سوء العذاب المتوقع به كل من آثر الكفر على الإيمان، ومن ذلك :

- قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } سورة البقرة/126.
- { وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ } سورة لقمان/23-24.
- { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا } سورة فاطر/39.

2- صفات المصطلح المشتق {كَفَرَ}:

- تقرير الله أن من قال إن الله هو المسيح بن مريم بأنه قد كفر واستحق بذلك عذاب جهنم. سورة المائدة/72
- توعده الله من كفر - بقوله بعقيدة التثليث - بالعذاب الأليم. سورة المائدة/73
- من كفر مرتداً بعد إيمانه، فعليه غضب من الله. سورة النحل/106
- من كفر بعد الاستخلاف والأمن والتمكين، وجدد نِعَمَ الله، فأولئك بلغوا النهاية في الفسق والخروج عن طاعة الله. سورة النور/55.
- من كفر فعليه عقوبة كفره، وهي خلوده في النار. سورة الروم/44
- من تولى وكفر فجزاؤه يوم القيامة العذاب الأكبر، الذي لا عذاب فوقه. سورة الغاشية/ 23 .

3- علاقات المصطلح المشتق {كَفَرَ}:

- علاقات فعل {كَفَرَ} أيضاً متنوعة ومتعددة - مثل علاقات { كَفَرُوا } - وأنواعها كالتالي:
- علاقات تداخل مثل: الكفر/ الشياطين- السحر، سورة البقرة/102، الكفر/ الشرك- التثليث، سورة المائدة/72-73. الكفر/ الفسق، سورة النور/55...
- علاقات اختلاف مثل: الكفر/ الإيمان، سورة البقرة/126-127، الكفر/ الهداية، سورة البقرة/258

¹ - سورة البقرة/102/ 126/ 253/ 258، سورة آل عمران/97، سورة المائدة/12/ 17/ 72/ 73، سورة النحل/106، سورة مريم/77 سورة النور/55 سورة النمل/40 ، سورة الروم/44، سورة لقمان/12/ 23 ، سورة فاطر/39، سورة الحشر/16، سورة الغاشية/ 23 .

² - وهو قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرْ . تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ } { سورة القمر/13-14

- علاقات ائتلاف: الكفر/الضلال، سورة المائدة/12

- علاقات إسنادية: { وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } سورة النور/55

وكل هذه العلاقات سبق ذكرها في فصل العلاقات الخاصة بالمصطلح المصدر : الكفر .

4- ضمائ المصطلح المشتق: { كَفَرَ }:

وردت في موضعين هما: { كَفَرَ بِاللَّهِ } سورة النحل/106، { كَفَرَ بِآيَاتِنَا } سورة مريم/77. ونلاحظ أن فعل كفر هنا تعدى بالباء إلى لفظ الجلالة ولفظ الآيات، لذلك فإن الضميتين هما: الكفر بالله والكفر بالآيات.

دلالتهما:

اسم الجلالة " الله " علم على " الإله المستحق للألوهية دون ما سواه... وخص ببناء لا يشرك فيه سواه، ولا يدعيه أحد.¹، فهذا الاسم هو اللفظ الجليل الجامع لكل صفات الكمال التي لا بد أن يتصف بها الخالق العظيم، ومعناه " المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.²

فمعنى الكفر بالله إذن هو عدم الإيمان به، " وكفر بالله أي ستر وجود الله جل جلاله . والذي يستر لابد أن يستر موجوداً، لأن الستر طارئ على الوجود . والأصل في الكون هو الإيمان بالله . وجاء الكفار يحاولون ستر وجود الله. فكان الأصل هو الإيمان ثم طرأت الغفلة على الناس، أفستروا وجود الله سبحانه وتعالى ليقبوا على سلطانهم أو سيطرتهم أو استغلالهم أو استغلالهم على غيرهم من البشر.³

أما الكفر بالآيات فيعني التكذيب بها وجودها وإنكارها وعدم التصديق بها بالرغم من أنها دالة على صدق الدعوة والداعية.

والكفر بآيات الله له نماذج وصور، ذلك أن الآيات ذات استعمالات متعددة كما عرفنا سابقاً، فقد يكون كفراً بآيات كونية من حيث دلالاتها على التوحيد، أو الحكمة الكونية، وقد يكون كفراً بالمعجزات النبوية، أي إنكارها، والتشكيك بصدقها، أو إرجاعها لقوى خفية، وقد يكون كفراً بالنعمة الربانية، وذلك لعدم شكر المنعم سبحانه، أو بإرجاعها لغير الله تبارك وتعالى.

ثانياً: في الحديث النبوي

1- مواردها ودلالاتها:

ورد فعل { كَفَرَ } في الحديث النبوي تسع مرات (09)، ومن أمثلة ذلك:

¹ - الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت337هـ)، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م، ص: 31.

² - عبد الرحمن السُّعْدِي، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ، ص: 164.

³ - تفسير الشعراوي، 1/ 137.

- عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أمير على جيش أو سرية، أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: « اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله... »¹ الحديث.

- عن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال: « وتفعلون ؟ » قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: « إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب التوبة والرحمة ».²

- عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ».³

وباستقراء موارد فعل { كَفَرَ } نلاحظ ما يلي:

- ورود الفعل - مثبتاً مسنداً لفاعل مبهم دال على العموم - في جملة شرطية بحيث يكون تارة فعل الشرط أو جوابه تارة أخرى مقروناً بالفاء، وذلك في سياق الذم والترهيب.

- ورود الفعل في موضع واحد مقروناً باسم الموصول (الذي)⁴.

2- صفات { كَفَرَ } في الحديث النبوي:

غير موجودة.

3- علاقاته:

العلاقات قليلة تتجلى خصوصاً في:

- علاقات اختلاف مثل: الكفر / الإيمان - الإسلام - الصلاة - التوبة

- علاقات ائتلاف: الكفر / تصديق الكهنة والعرافين - الفجور

- علاقات جزائية:

كفر / عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

كفر / النار.

4- ضمائمه:

من خلال تتبع الأحاديث الواردة نجد الضمائم الثلاثة التالية:

¹ - رواه مسلم في صحيحه، سبق تخريجه.

² - مسند الإمام أحمد، الحديث 2166، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

³ - أخرجه أهل السنن، سبق تخريجه.

⁴ - وهو الحديث الذي أخرجه النسائي عن يزيد بن خالد الجهني قال: مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « ألم تسمعوا ماذا قال ربكم الليلة قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح طائفة منهم بها كافرين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، فأما من آمن بي وحمدني على سقايي فذاك الذي آمن بي وكفر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك الذي كفر بي وآمن بالكوكب » سنن النسائي، كتاب الاستسقاء، كراهية الاستمطار بالكوكب، الحديث 1525، 3/ 164، وصححه الألباني.

كفر بالله - كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم - كفر بي الناس، وقد سبق تناول ضميمتي الكفر بالله والكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبقي أن نتناول الضميمة الثالثة، والجواب عنها فيما يلي:

ضميمة « الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »:

أ - مورها:

الضميمة وردت في الحديث الذي رواه أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »¹.

ب - دلالتها:

عبارة « ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » هي نفسها وردت في قوله تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ } سورة البقرة/4، والمراد الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الأقوال التالية:

قال الطبري(ت310هـ): " عن ابن عباس أي: يصدّقونك بما جئت به من الله جلّ وعز "2. وقال الواحدي (ت468هـ) والبعوي(ت516هـ) وابن عطية(ت541هـ) : " يعني القرآن "3.

ت - إفادتها للمصطلح الأم:

يتبين إذن أن ضميمة « الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » يراد بها عدم الإيمان بالوحي الذي أنزله الله على النبي صلى الله عليه وسلم والمتمثل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: صيغة { كَفَرَتْ } في القرآن الكريم والحديث النبوي

1 - مواردها ودلالاتها:

وردت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا } سورة الكهف/37-38 الآية جاءت في سياق رد المؤمن على صاحبه الكافر - صاحب الجنين - واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتراض.

وهذا الاستفهام كما قال ابن كثير: " إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } [البقرة:280] أي: كيف تجحدون ربكم، ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا

¹ - مسند الإمام أحمد،، سبق تخريجه.

² - تفسير الطبري، 1/244-245

³ - تفسير الواحدي، ص: 91، تفسير البغوي، 1/63، تفسير ابن عطية، 1/86.

مستندًا إلى شيء من المخلوقات لأنه بمثابة؛ فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله، لا إله إلا هو، خالق كل شيء¹.

2- العلاقات:

علاقة تداخل: الكفر/الشرك

3- الضمان:

الضميمة كما في الآية: { أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ } هي: الكفر بالخالق، ومعناها لا يخرج عما سبق في معنى الكفر بالله.

في الحديث النبوي:

وردت كذلك هذه الصيغة (كَفَرْتَ) في موضع واحد في الحديث النبوي، وهو ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيها الناس ! إن هذه الأمة تنبئ في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق فأقعه، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: صدقت، ثم يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كَفَرْتَ بربك، فأما إذ آمنت فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافرا أو منافقا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا، فيقول: لا دريت، ولا تليت، ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كَفَرْتَ به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين» فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } [إبراهيم:27].²

ويمكن اختصار دراسة صيغة (كَفَرْتَ) في الحديث النبوي في الجدول التالي:

الحديث	الصفات	العلاقات	الضمان
وإن كان كافرا أو منافقا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا، فيقول: لا دريت، ولا تليت، ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كَفَرْتَ به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار	صفات حكمية: كَفَرْتَ به/ ويفتح له باب إلى النار	علاقات الكفر/ الإيمان علاقة الكفر/ النفاق	كَفَرْتَ به (الكفر بالله) تداخل:

¹ - تفسير ابن كثير، 5/ 158.

² - مسند الإمام أحمد، الحديث 11000، 32/17 وصححه محققو المسند.

المطلب الرابع: صيغة { كَفَرْتُ } في القرآن الكريم

الآية	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل/112	صفات حكمية: أَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	- -	كَفَرْتُ بِأَنْعُمِ اللَّهِ (الكفر بأنعم الله)
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } سورة الصف/14	صفات جزائية/حكمية: تأييد الطائفة التي آمنت على التي كفرت	علاقات اختلاف: الكفر/ الإيمان	- -

المطلب الخامس: صيغة { كَفَرْنَا } في القرآن الكريم

الآية	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } سورة إبراهيم/9	- -	علاقة انتلاف: الكفر/ الشك - الريبة	كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ (الكفر بالرسالة)
{ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ } سورة غافر/84	وردت هذه الصيغة هنا في سياق المدح، لكن حيث لا ينفع الإيمان عند معاينة العذاب، { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا } " وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقَالُ العثرات، ولا تنفع المعذرة" ¹ .		
{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } سورة الممتحنة/4	وردت هذه الصيغة كذلك في هذا الموضع في سياق مدح أتباع نبي الله إبراهيم عليه السلام الذين تبرؤوا من قومهم المشركين وكفروا بدينهم وأنكروا ما هم عليه من الكفر، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء أبدًا ما داموا على كفرهم، حتى يؤمنوا بالله وحده.		

¹ - تفسير ابن كثير، 160/7.

المطلب السادس: صيغة { كَفَرْتُمْ } في القرآن الكريم

الآية	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } سورة آل عمران/106	صفات حكمية: ذوق العذاب بسبب الكفر	علاقات الكفر/ الإيمان اختلاف:	- -
{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } سورة التوبة/65-66		علاقة اختلاف: الكفر/ الإيمان علاقة الكفر/الاستهزاء انتلاف:	
{ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا } الإسراء/69	صفات حكمية: الإغراق بسبب الكفر		
{ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } سورة غافر/12		علاقة اختلاف: الكفر/ التوحيد علاقة الكفر/الشرك تداخل:	
{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } سورة فصلت/52	صفات جزائية/ حكمية: الكفر ضلال	علاقة الكفر/الضلال-الشقاق انتلاف:	كَفَرْتُمْ بِهِ (الكفر بالقرآن)
{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } سورة الأحقاف/10		علاقة الكفر/الإيمان-الهداية علاقة الكفر/الاستكبار علاقة تداخل: الكفر/الظلم انتلاف:	كَفَرْتُمْ بِهِ (الكفر بالقرآن)
{ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } سورة المزمل/17		علاقة الكفر/التقوى اختلاف:	كَفَرْتُمْ يَوْمًا (الكفر بيوم القيامة)

المبحث الثاني: دراسة مشتقات الفعل المضارع

المطلب الأول: صيغة { أَكْفَرُ } في القرآن الكريم

وردت هذه الصيغة في موضع واحد، هو قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون يستنكر دعوة قومه له للإفلاق عن التوحيد وأن يتمسك بدينهم: { تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ } سورة غافر/42

العلاقات: علاقة تداخل الكفر / الشرك.

الضمائم: الكفر بالله.

المطلب الثاني: صيغة { تَكْفُرُ } في القرآن الكريم

وردت هذه الصيغة في موضع واحد في سياق النهي عن الكفر:

{ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } البقرة/102.

العلاقات: علاقة ائتلاف: الكفر / الفتنة

المطلب الثالث: صيغة { يَكْفُرُ } في القرآن الكريم¹ والحديث النبوي

الآية/ الحديث	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ } سورة البقرة/99		علاقات تداخل أو إسنادية: الكفر/ الفسق	الكفر بالآيات
{ الَّذِينَ اتَّخَذُوا كِتَابَ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } سورة البقرة/121	صفات حكمية: الخاسرون	علاقة ائتلاف: الكفر/ الإيمان	الكفر بالكتاب
{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } سورة آل عمران/19		علاقة ائتلاف: الكفر/ الإسلام	الكفر بآيات الله
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } سورة النساء/136	صفات جزائية/حكمية: الكفر ضلال	علاقة ائتلاف: الكفر/ الإيمان علاقة ائتلاف: الكفر/ الضلال	الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
{ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } سورة المائدة/5	صفات جزائية/حكمية: الكفر محبط للعمل مع	علاقة ائتلاف: الكفر/ الإيمان	الكفر بالإيمان

¹ - سورة البقرة/99-121، سورة آل عمران/19، سورة النساء/136، سورة المائدة/5/ 115 سورة الأنعام/89، سورة هود/17 سورة الكهف/29، سورة الزخرف/33.

		الخسران في الآخرة	
		صفات حكمية: نيل العذاب الأليم	{ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } سورة المائدة/115
الكفر بالنبوة	علاقة اختلاف: الكفر/ الهداية		{ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّبَعْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } سورة الأنعام/88-89
الكفر بالقرآن	علاقة اختلاف: الكفر/ الإيمان	صفات جزائية/حكمية: التوعد بالنار	{ أَقَمْنَا كَنْ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } سورة هود/17
الكفر بالرحمن			{ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيَبْتَغِيَهُمْ سَفًّا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } سورة الزخرف/33
	علاقة اختلاف: الكفر/ الإيمان		وردت هذه الصيغة { يَكْفُرْ } في سياق التهديد: { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا } سورة الكهف/29
			ووردت كذلك في سياق المدح: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } سورة البقرة/256
الكفر بآيات الله	علاقة اختلاف: الكفر/الاستهزاء		وورد هذا الفعل مبنيًا للمجهول في موضع واحد: { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } سورة النساء/140
	علاقة اختلاف: الكفر/الإسلام	صفات جزائية/حكمية: القتل جزاء على الكفر بعد الإسلام	عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بثلاث: أن يزني بعد ما أحصن، أو يقتل إنسانا فيقتل، أو يكفر بعد إسلامه فيقتل » ¹ .
			ووردت كذلك في سياق المدح: عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « بني الإسلام

¹ - سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، الحكم في المرتد، الحديث 4058 ، 7 / 103، وصححه الألباني.

		على خمس: على أن يعبد الله، وَيَكْفُرَ بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» ¹ .

المطلب الرابع: صيغة { نَكْفُرُ } في القرآن الكريم

الآية	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا .أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } سورة النساء/150-151	التفريق بين الله ورسله صفات حكمية: أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا	علاقة اختلاف: الكفر/الإيمان	الكفر بالله ورسله
{ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ } سورة سبأ/33		علاقة انتلاف: الكفر/الاستكبار علاقة تداخل: الكفر/الشرك(اتخاذ الأنداد)	الكفر بالله

المطلب الخامس: صيغة { تَكْفُرُونَ } في القرآن الكريم

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم خمسة عشر مرة (15)²:

الآية	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } سورة البقرة/28			الكفر بالله
{ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } سورة البقرة/85	صفات جزائية: الجزئي جزاء على الكفر	علاقة اختلاف: الكفر/الإيمان	الكفر ببعض الكتاب
{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } سورة آل عمران/70		علاقة تداخل: الكفر/أهل الكتاب	الكفر بآيات الله
{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ		علاقة تداخل:	الكفر بآيات الله

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، الحديث 16، 45/1.

² - سورة البقرة/28-85، سورة آل عمران/70-98-101-106، سورة النساء/89، سورة الأنعام/30، سورة الأنفال/35، سورة يس/64، سورة غافر/10، سورة فصلت/9، سورة الأحقاف/34، سورة الممتحنة/2.

	الكفر/أهل الكتاب		شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ { سورة آل عمران/98
	علاقة اختلاف: الكفر/الاعتصام بالله- الهداية		{ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَلَّىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { سورة آل عمران/101
	علاقة اختلاف: الكفر/ الإيمان	صفات حكمية: ذوق العذاب بسبب الكفر	{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { سورة آل عمران/106
			{ وَذُوقُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرْتُمْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً...{ سورة النساء/89
	علاقة اختلاف: الكفر/الحق	صفات حكمية: ذوق العذاب بسبب الكفر	{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { سورة الأنعام/30
		صفات حكمية: ذوق العذاب بسبب الكفر	{ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { سورة الأنفال/35
		صفات حكمية: دخول جهنم بسبب الكفر	{ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { سورة يس/63-64
	علاقة اختلاف: الكفر/ الإيمان	صفات حكمية: نزول مقت الله	{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ { سورة غافر/10
الكفر بالله	علاقة تداخل: الكفر /الشرك(اتخاذ الأنداد)		{ قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ { سورة فصلت/9
	علاقة اختلاف: الكفر/الحق	صفات حكمية: ذوق العذاب بسبب الكفر	{ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { الأحقاف/34
		صفات فعلية: العداوة للمؤمنين- بسط اليد واللسان بالسوء	{ إِنَّ يَنْفَعُكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ { سورة الممتحنة/2

المبحث الثالث: صيغة فعل الأمر بالكفر في القرآن الكريم

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضعين، نتناولهما باختصار في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: صيغة (اكفروا)

قال عز وجل في سياق " سرد بعض المسالك الخبيثة التي سلكها اليهود لكيد الإسلام والمسلمين فبدأ ببيان مسلك لئيم من مسالكهم الكثيرة ، وهو أن بعضهم كان يظهر الإيمان لفترة من الوقت ثم يرجع عنه إلى الكفر، ليوهم ضعاف الع قول أنه ما رجع عن الإسلام إلا بعد أن دخله فوجده ديناً ليس بشيء - في زعمه"¹ : { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } سورة آل عمران/72-73.

أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن الصيّف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوةً ونكُفُر به عشيّةً، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعوا عن دينهم! فأُنزل الله عز وجل فيهم: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } إلى قوله: { وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } سورة آل عمران/71-73.²

وإذا تأملنا في هذه الآيات الكريمة نراها قد حكّت عن هذه الطائفة من اليهود طريقتهم الماكرة اللئيمة لصرف بعض المسلمين عن الإسلام، وذلك بالدخول فيه ثم الخروج منه فيقولون: لو كان صحيحاً لما خرج منه أهل العلم والكتاب، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

المطلب الثاني: صيغة (اكفر)

وردت في سياق ضرب الله المثل بالشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر و زينه له ودعاه إليه، فلما اغتر به وكفر تبرأ منه وتصل، يقول الحق سبحانه: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } سورة الحشر/16.

قال السعدي في تعليقه على هذه الآية: " وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاققت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلّى عنهم. واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له "³.

¹ - سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 141/2.

² - تفسير الطبري، 6/ 504.

³ - تفسير السعدي، ص: 853.

المبحث الثالث: المشتقات الإسمية لمصطلح الكفر

وردت المشتقات الإسمية للفظ الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بعشر صيغ وهي : الكُفُور (بالضم مصدر)، كافر (اسم فاعل)، كافرون (جمع المذكر السالم)، كُفَّار (جمع كثرة)، كفرة (جمع كثرة)، كوافر (صيغة منتهى الجموع)، كُفُورٌ (بالفتح صيغة مبالغة)، كُفَّار (صيغة مبالغة)، أكفر (اسم تفضيل) و مكفور (اسم مفعول).

ولكون المقام لا يسمح بدراسة كل هذه الصيغ، وتجنباً للإطالة، سنقتصر إن شاء الله تعالى على تحليل بعض النماذج في المطالب التالية:

المطلب الأول: صيغة المصدر المشتق (كُفُور) في القرآن الكريم

وردت هذه الصيغة في القرآن في ثلاثة مواضع¹، موضعان منها متشابهان، وهما:

1- قوله تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } سورة الإسراء/89.

هذه الآية جاءت في سياق تبين الله وتنويعه للناس في هذا القرآن من كل مثل ينبغي الاعتبار به؛ إلا أن أكثر الناس أبوا إلا الجحود والإنكار لحجج الله وأدلته.

2- وقوله سبحانه في سياق ذكر بعض من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الإنعام: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } سورة الفرقان/50

اختلف المفسرون في ضمير صَرَّفْنَا على أقوال²، و" التحقيق أن الضمير راجع إلى ماء المطر المذكور في قوله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } [الفرقان : 48] كما روي عن ابن عباس وابن مسعود ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد، خلافاً لمن قال : إن الضمير المذكور راجع إلى القرآن كما روي عن عطاء الخراساني وصدر به القرطبي³.

أي: أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب فمر على الأرض وتعداها وجاوزها إلى الأرض الأخرى، فأمطرته...وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة. { لِيَذَكَّرُوا } أي: ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة

¹ - سورة الإسراء /89- 99، سورة الفرقان/50.

² - قال الرازي: " اختلفوا في الهاء في قوله: ولقد صرفناه وذكروا فيه ثلاثة أوجه: أحدها: وهو الذي عليه الجمهور أنه يرجع إلى المطر... وثانيها: وهو قول أبي مسلم: أن قوله: صرفناه راجع إلى المطر والرياح والسحاب والأظلال وسائر ما ذكر الله تعالى من الأدلة وثالثها: ولقد صرفناه أي هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويستدلوا به على الصانع، والوجه الأول أقرب لأنه أقرب المذكورات إلى الضمير. " تفسير الرازي، 473/24.

³ - الشنقيطي، أضواء البيان، 62/6-63.

أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات. أو: ليذكر من منع القطر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه، فيقلع عما هو فيه.¹

ولما كان القرآن قائداً ولا بد لمن أنصف إلى الإيمان، دل على أن المتخلف عنه إنما هو معاند بقوله: { فَأَبَى } أي لم يرد { أَكْثَرُ النَّاسِ } أي بعنادهم { إِلَّا كُفُورًا } مصدر كفر مبالغاً فيه.²

الموضع الثالث: قوله تعالى في سياق تقرير البعث والرد على ما استكره المشركون في شأنه رداً يقنع كل ذي عقل سليم: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا } سورة الإسراء/99

أي: { فَأَبَى الظَّالِمُونَ } المشركون { إِلَّا كُفُورًا } جحوداً بذلك الأجل وهو البعث والقيامة.³

نلاحظ هنا في هذه الآية ورود علاقة تداخل بين الكفر والظلم.

المطلب الثاني: صيغة اسم الفاعل مفرداً (كافر) في القرآن الكريم والحديث النبوي

أولاً: في القرآن الكريم

ورد اسم الفاعل (كافر) في القرآن الكريم خمس مرات⁴، في سياقات مختلفة: التحذير/ النهي، بيان قسمي قسمي الناس: مؤمن /كافر، بيان حسرة وندامة الكافر.

الآية	الصفات	العلاقات	الضمائم
{ وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُوا } سورة البقرة/41		علاقة اختلاف: الإيمان- التصديق- التقوى	أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ
{ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } سورة البقرة/217	صفات جزائية/حكمية: فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	علاقة تداخل: الكفر / الردة	
{ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا } سورة الفرقان/55	ظهيراً: معيناً للشيطان على معصية الله سبحانه. ⁵	علاقة تداخل: الكفر/ الشرك (يفهم من دلالة النص)	
{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا		علاقة اختلاف:	

¹ - تفسير ابن كثير، 6/ 115-116.

² - تفسير البقاعي (نظم الدرر)، 13/ 404.

³ - تفسير الواحدي، ص: 649.

⁴ - سورة البقرة/41-217، سورة الفرقان/55، سورة التغابن/2، سورة النبا/40.

⁵ - الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص: 782.

	الكفر/الإيمان	تَعْمَلُونَ بَصِيرًا { سورة التغابن/2
		{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } سورة النبأ/40

ضميمة (أول كافر) بالقرآن:

وردت هذه الضميمة في قوله تعالى: { وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } سورة البقرة/41.

جاءت الآية في سياق أمر الله عز وجل بني إسرائيل بأن يؤمنوا بالقرآن الكريم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المصدق لكتابهم التوراة، والتعريض بهم لتكذيبهم وجحودهم.

دلالة لفظ الأول في اللغة:

اختلف أصحاب المعاجم في اشتقاق لفظ الأول، هل هو أفعال التفضيل أم فوعل¹. أما من قال من اللغويين: هو أفعال، فقد اختلفوا على قولين ذكرهما الخليل دون ترجيح، فقال: "

فأما الأوائل من الأول، فمنهم من يقول: تأسس بنائه من همزة وواو ولاج. ومنهم من يقول: تأسيسه من واوين بعدهما لام، ولكل حجة²..

والأول والأولى بمنزلة أفعال وفعل. وجمع أول: أولون: وجمع أولى: أوليات، كما أن جمع الأخرى: أخريات. فمن قال: إن تأليفها من همزة وواو ولاج فكان ينبغي أن يكون أفعال منه: أول، ممدود كما تقول من آب يؤوب: أوب، ولكنهم احتجوا بأن قالوا: أدغمت تلك المد في الواو لكثرة ما جرى على الألسن.

ومن قال: إن تأليفها من واوين ولاج جعل الهمزة ألف أفعال وأدغم إحدى الواوين في الأخرى وشددهما³. ونقل ابن دريد عن بعض اللغويين: " وأول، قال قوم: هو فوعل أيضا، ليس أفعال، كان الأصل وولا فقلبت الواو الأولى همزة وأدغمت واو فوعل في عين الفعل، وهي واو، فقالوا: أول⁴. ورغم هذا الاختلاف في الأصل الاشتقاقي للفظ الأول، فقد اتفقوا على أصله الدلالي وهو السبق، وذلك هو " مبتدأ الشيء⁵ ".

¹ - أنظر: الصحاح للجوهري، مادة (وأل)، 1838/5.

² - رجح الراغب القول الأول فقال: " والأول أفصح لقلة وجود ما فاؤه وعينه حرف واحد" المفردات في غريب القرآن، مادة (أل)، ص: 100

³ - وإلى هذا الرأي ذهب الزجاجي (ت337هـ) قائلا: " وزن أول «أفعال» وفاؤه وعينه واوان، والدليل على أنه أفعال وليس « بفوعل» كما ذهب إليه بعض النحويين اتصال «من» به، ولا تتصل إلا « بأفعال»، فيقال: «أنا أول من فلان» ومؤنثه الأولى كقولك: «زيد أفضل من فلان» ومؤنثه الفضلى، فتقول في المذكر: الأول، والأولان، والأولون كقولك: الأفضل، والأفضلان، والأفضلون في جمع السلامة، وفي جمع التكسير الأوائل كقولك: الأفضل، وأصله الأوائل فأبدل الواو همزة لاجتماع واوين في الجمع، بينهما ألف بادلت العرب الواو في مثل هذا همزة ". عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م، ص: 204.

⁴ - معجم العين، مادة (أول)، 368/8.

⁵ - الجمهرة، (باب ما جاء على فوعل)، 1177/2.

معنى { أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ } في الآية:

قال ابن كثير : "وأما قوله: { أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ } فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير، وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة، فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم."²

ثانيا: صيغة اسم الفاعل مفردا (كافر) في الحديث النبوي

1- موارده ودلالاته:

ورد اسم الفاعل في الحديث النبوي واحدا وستين مرة (61)، على عدة حالات جلها في سياقات الترهيب والتحذير من الكفر، وذلك ببيان صفات الكافر وأعماله وسوء مصيره عند لقاء الله، وكذا بيان بعض الأحكام الخاصة في معاملته، ومن أمثلة ذلك الأحاديث التالية:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ليس من بلد إلا سيطوه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقبٌ، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ ، فيخرج الله كل كافر ومنافق ».³

- عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه »، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت قال: « ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره لقاءه ».⁴

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومئذ - يعني يوم حنين -: « من قتل كافرا فله سلبه ».⁵

2- صفات المصطلح المشتق (الكافر):

نظرا لكثرة هذه الصفات نقصر على ذكر بعضها على سبيل المثال:

- الصفات الفعلية:

¹ - ذكر ابن فارس معنى الابتداء ضمن الأصل الأول من أصلي مادة (أول)، قال : " الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاءه. أما الأول فالأول، وهو مبتدأ الشيء" معجم مقاييس اللغة، 1/ 158، وقال الزجاج (ت 311هـ): ومعنى (أَوَّل) في اللغة - على الحقيقة ابتداء الشيء" معاني القرآن وإعرابه، 1/ 445.

² - تفسير ابن كثير، 1/ 243.

³ - صحيح البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة الحديث 1782، 2/ 665.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه، الحديث 6142، 5/ 2386.

⁵ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السلب يعطى القاتل، الحديث 2720، 3/ 23، قال أبو داود: هذا حديث حسن. وصححه الألباني.

الشرة في الأكل: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف كافر، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه. ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء»¹.

- الصفات الحكمية:

لا توارث بين المؤمن والكافر:

- عن أسامة بن زيد أنه قال قال زمن الفتح: يا رسول الله أين تنزل غدا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وهل ترك لنا عقيل من منزل » ثم قال: « لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن »². لا يُقتل مؤمن بكافر:

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم، وهم يد على من سواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُنْسَرِعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده »³.

3- العلاقات:

علاقة اختلاف مع الإيمان كما في الأحاديث السابقة.

علاقة ائتلاف مع الطغيان كما في حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا، ولو عاش لأرهمق أبويه طغيانا وكفرا »⁴. علاقة تداخل مع الدجال - النفاق كما في الحديث السابق: « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة... الحديث »⁵.

4- الضمان:

مثل ضمان الوصف نحو:

" ضيف كافر " كما في الحديث السابق، و " غلاما كافرا ظريفا " كما في الحديث الطويل في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام.. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: « وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، قال: أقتلت نفسا زكية بغير نفس - لم تعمل بالحنث... الحديث »⁶.

¹ - موطأ الإمام مالك، كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معي الكافر، الحديث 10، ص: 924.

² - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح، الحديث 4032، 4/1560.

³ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السرية تروى على أهل العسكر. الحديث 2753، 3/34، قال الألباني: حسن صحيح.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، الحديث 2661، 4/2050.

⁵ - سبق تخريجه.

⁶ - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف، الحديث 4449، 4/1754.

وضمائم الإضافة مثل " كيد الكافر " كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل. قوله {إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات: 89] ، وقوله: { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا } [الأنبياء: 63]. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حبيبته، فقال: إنكم لم تأتونني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأنته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر»¹.

المطلب الثالث: صيغة جمع المذكر السالم (كافرون) في القرآن الكريم والحديث النبوي

أولاً: في القرآن الكريم

1- موارده ودلالاته:

صيغة اسم الفاعل (الكافرون) وردت بكثرة في القرآن الكريم، حيث بلغ إحصاء هذا المشتق مائة وسبعة وعشرين مرة (127) على الشكل التالي:

- معرفاً بال التعريف: الْكَافِرُونَ (20 مرة) / الْكَافِرِينَ (55)

- نكرة : كَافِرُونَ (16) / كَافِرِينَ (36)

واستعمال القرآن لهذه الصيغة باستفاضة يدل من جهة على كثرة أهل الكفر، حيث ذكر الله عز وجل في عدة آيات أن كثيراً من الناس ضالون/ مضلون/ فاسقون/ مشركون/ لا يشكرون، وهذه كلها من صفات الكافرين. ومن جهة أخرى فهذه الصيغة تدل على أن الكفر صفة ملازمة لهم، ثابتة في قلوبهم، ظاهرة من خلال أقوالهم وأفعالهم، سواء كانوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، أو كانوا من المشركين-عبدة الأوثان والأصنام- أو أهل كتاب من اليهود والنصارى، فكل هؤلاء يطلق عليهم اسم الكافرين.

2- صفاته وعلاقاته:

الصفات الملاحظة لاسم الفاعل (الكافرون) إما صفات فعلية تتعلق بأقوال الكافرين وأفعالهم، وإما صفات حكمية تتعلق بأحكام الجزاء وسوء المصير، وتحمل ضمناً دماً للكافرين وتنفيراً من أحوالهم. أما المفاهيم المتعاقبة مع لفظ (الكافرين) فهي نفسها الواردة ضمن سياق ذكر صفات المصطلح، وفيما يلي نماذج من هذه الصفات والعلاقات على سبيل المثال:

¹ - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء: 125] ، الحديث 3179 ، 1225/3.

العلاقات	الصفات الحكمية/الجزائية	الصفات الفعلية للكافرين	موارد الصفات والعلاقات
اختلاف: التصديق	فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ	عدم التصديق بالقرآن الكريم	{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } سورة البقرة/89
اختلاف: الإيمان علاقة إسنادية (تداخل) : الظلم	وَالْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ	هُمُ	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } سورة البقرة/254
اختلاف: طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم	فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ		{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } سورة آل عمران/32
اتئلاف: الفتنة		إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (تقرير عداوة أهل الكفر لأهل الإيمان)	{ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا } سورة النساء/101
اختلاف: الإيمان		إن الله لا يجعل للكافرين سبيلا يحو به دولة المؤمنين ¹ .	{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } سورة النساء/141
اختلاف: الهداية	الله لا يهدي الكافرين ولا يوفقهم للخير بسبب كفرهم. ²		{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } سورة المائدة/67
اختلاف: النور اتئلاف: الظلمات	كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ		{ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْبَبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } سورة الأنعام/122
تداخل: الظلم اتئلاف: التكذيب		افتراء الكذب على الله - التكذيب بآياته	{ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ قَالُوا هَذَا بَشَرٌ أَمْثَلُنا بَشَرًا مِثْلُنا وَقَالُوا غَيْرُنا يَسْمَعُ أَوْ يُؤْخَذُ بِهِ وَلَا يَفْقَهُوا قَوْلَ اللَّهِ وَكَلَّمَ اللَّهُ الْفَاطِمَةَ بَنِيَّ السَّامِ وَالْكَافِرِينَ } سورة الأعراف/37

¹ - تفسير القرطبي، 420/5، وانظر فيه بقية الأقوال في تفسير الآية.

² - تفسير السعدي، ص: 239

{ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ } سورة الأعراف/101	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (الطبع على قلوبهم)	اختلاف: الإيمان انتلاف: التكذيب
{ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } سورة الأنفال/7-8	وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ: إرادة الله نافذة في الكافرين	اختلاف: الحق انتلاف: الباطل
{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ¹ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ } سورة الأنفال/13-14	الخلاف والعداوة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.	إنتلاف: المشاققة / الشقاق

3- ضمام المصطلح المشتق (الكافرون):

وردت لهذا المصطلح ضمام كثيرة نذكر منها:

- جزاء الكافرين حيث وردت في آيتين:

قال الله تعالى: { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } سورة البقرة/191.

وقال سبحانه في سياق الحديث عن غزوة حنين: { ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } التوبة/26

- القوم الكافرين (9مرات)².

القوم الكافرون (مرة واحدة): { يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَسَّسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيِّنُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ } سورة يوسف/87

قَوْمٍ كَافِرِينَ (مرتان): { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ } سورة الأعراف/93.

{ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ } سورة النمل/43

معنى لفظ (القوم):

القَوْمُ: الرجال دون النساء، لا واحد له من لفظه. قال الله جل وعز: { لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ } سورة الحجرات/11، وقال زهير:

وما أدري وسوف أخال أدري ... أقوم آل حصنٍ أم نساء؟!

وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته.¹

¹ - " أي: خالفوهما فساروا في شق، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق - وهو مأخوذ أيضا من شق العصا، وهو جعلها فرقتين ". تفسير ابن كثير، 26/4.

² - سورة البقرة/ 250-264-286، سورة آل عمران/147، سورة المائدة/67-68، سورة التوبة/37، سورة يونس/86، سورة النحل/107.

وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع، لأن قوم كلّ نبيّ رجالٌ ونساء. وجمع القوم أقوام، وجمع الجمع أقوام... والقوم يذكر ويؤنث، لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كان للآدميين يذكر ويؤنث، مثل رَهْطٍ ونَفَرٍ، قال تعالى: { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ } سورة الأنعام/66 فذكر. وقال تعالى: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ } سورة الشعراء/105 فأنت².

فمعنى " القوم الكافرين " إذن هم الرجال والنساء الذين اختاروا الكفر على الإيمان، فكفروا بالله وجحدوا ألوهيته. - دابر الكافرين:

يقول تعالى: { وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } سورة الأنفال/7-8.

معنى لفظ (دابر):

قال ابن فارس: " الدال والباء والراء: أصل هذا الباب أن جله في قياس واحد، وهو آخر الشيء وَخَلْفُهُ خِلَافٌ قُبْلُهُ.

فمعظم الباب أن الدُّبْرَ خِلَافُ الْقُبْلِ.. ودائرة الطائر: الإصْبَعُ التي في مؤخر رجله... ودَبَرَ النهار وأدبر، وذلك إذا جاء آخره، وهو دُبْرُهُ... ودائرة الحافر: ما حاذى مؤخر الرسغ. وقطع الله دابرهم، أي: آخر من بقي منهم.³ أما قوله تعالى: { وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ } فقطع الدابر عبارة عن الاستئصال، والمراد أن المؤمنين يريدون العير للفوز بالمال، والله تعالى يريد أن يتوجهوا إلى النفير، لما فيه من إعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين⁴.

- كيد الكافرين: وردت في موضعين:

قال الله تعالى: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكَُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ } سورة الأنفال/17-18 وقال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } سورة غافر/25.

معنى لفظ (كيد):

الكَيْدُ: ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموما وممدوحا، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر، ويكون بعض ذلك محمودا، قال تعالى: { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ } [يوسف/76]⁵.

¹ - معجم العين، مادة (قوم)، 5/ 231.

² - الجوهري، الصحاح، مادة (قوم)، 5/ 2016-2017.

³ - مقاييس اللغة، مادة (دبر) 2/ 324.

⁴ - تفسير الرازي، 15/ 459 بتصرف يسير.

⁵ - المفردات، مادة (كيد)، ص 728.

أما قوله تعالى: { وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ } سورة الأنفال/18، فقال الطبري: " يقول: واعلموا أن الله مع ذلك مُضْعَفٌ " كيد الكافرين "، يعنى: مكرهم، حتى يَذْلُوا وينقادوا للحق، أو يُهْلَكُوا ¹. ويعني بـ "كيدهم": غوائلهم غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين، ومكرهم بهم ليصدّوهم عن الهدى وسبيل الحق ².

فهذه بشارة من الله تعالى لعباده المؤمنين، " أنه أعلمهم تعالى بأنه مُضْعَفُ كيد الكافرين فيما يستقبل، مُصَغَّرًا أمرهم، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار، والله الحمد والمنة. ³ فلا مجال إذن للخوف، ولا مجال إذن للهزيمة، للهزيمة، ولا مجال إذن لأن يولي المؤمنون الأدبار عند لقاء الكفار ⁴.

- مخزي الكافرين:

يقول سبحانه: { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ } سورة التوبة/2

معنى (المخزي):

الخزي ذل مع افتضاح ⁵، ويأتي بمعنى الإبعاد كقولهم: أخزاه الله، أي أبعده ومقتنه. ومن هذا الباب قولهم: خَزِيَ خَزِي الرجل: استحيا من قبح فعله خَزَايَةً، فهو خَزِيَانٌ؛ وذلك أنه إذا فعل ذلك واستحيا تباعد ونأى ⁶. وأما قوله تعالى: { وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ } [التوبة: 2] فمعناه: واعلموا أن الله مذل الكافرين، ومورثهم العار في الدنيا والنار في الآخرة ⁷.

ثانيا: صيغة جمع المذكر السالم (الكافرون) في الحديث النبوي

وردت صيغة { الكافرون } في الحديث النبوي ستة مرات (6) كما هو مبين في الجدول التالي:

طرف الحديث	الصفات الفعلية/الحكمية	العلاقات	الضمائم
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فالיום لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأبي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلِك؟ فينظر، فإذا هو بذخ متلطح،	- وعلى وجه آزر قفرة وغبرة - فأبي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ - إني حرمت الجنة على الكافرين - فيلقى في النار - العصيان		

¹ - تفسير الطبري، 449/13.

² - نفسه، 156 / 7.

³ - تفسير ابن كثير 32/4.

⁴ - تفسير الضلال، 1491 / 3.

⁵ - الفروق اللغوية للعسكري، ص: 250.

⁶ - معجم مقاييس اللغة، مادة (خزو) 179/2.

⁷ - تفسير الطبري، 112 / 14.

			فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار... البخاري، ح3172
بالنظر إلى مجموع روايات الحديث نجد الضمائم التالية: بها كافرين/ به كافرين/ كافرين بالذي آمن بي	علاقة اختلاف: الإيمان		عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألم تروا إلى ما قال ريكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين. يقولون الكواكب والكواكب ¹ . »
	علاقة اختلاف: توحيد الألوهية(3)- الربوبية- الإخلاص علاقة تداخل: الشرك		عن أبي الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير على المنبر يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة يقول: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ² . »
			عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرين بصعيد واحد... قال: فينطلقون إلى نوح عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً... ³
		والكافرون لا مولى لهم	حديث ابن مسعود في غزوة أحد: فجاء أبو سفيان، فقال: اعل هبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قولوا الله أعلى وأجل "، فقالوا: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا عزي، ولا عزي لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قولوا الله مولانا، والكافرون لا مولى لهم ⁴ ... » ⁴
		الطاعون رجس على الكافرين	عن أبي عسيب، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأْمْسَكْتُ

¹ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، الحديث 72، 84/1.

² - سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، الحديث 1508، 557/1، وصححه الشيخ الألباني.

³ - مسند الإمام أحمد، الحديث 15، 193/1، وحسن إسناده محققو المسند.

⁴ - مسند الإمام أحمد، الحديث 4414، 418/7، قال محققو المسند: حسن لغيره.

		الحمى بالمدينة، وأُرْسِلَتْ الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة، ورجس على الكافرين « ¹ .

المطلب الرابع: صيغة جمع التكسير (الكُفَّار) في القرآن الكريم والحديث النبوي

أولاً: في القرآن الكريم

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم² وفي الحديث النبوي بنسب متساوية، وهي إحدى وعشرون مرة (21):

الآية	الصفات الفعلية/الحكمية	العلاقات	الضمائم
{ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا واصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } سورة البقرة/109	صفات فعلية: حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ	اختلاف: الإيمان- الحق تداخل: أَهْلِ الْكِتَابِ/ الردة	
{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ } سورة البقرة/161-162	صفات حكمية: عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ		
{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ } سورة التوبة/68	صفات حكمية: التوعد بالنار - وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ	تداخل: النفاق	
{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } سورة التوبة/73. سورة التحريم/9	وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ	تداخل: النفاق	جَاهِدِ الْكُفَّارَ (مجاهدة الكفار)
{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } سورة التوبة/120.		اختلاف: الصلاح- الإحسان	مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ (إغاية الكفار)
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ	صفات حكمية: الغلظة عليهم	اختلاف: الإيمان-	قتال الكفار

¹ - مسند الإمام أحمد، الحديث 20767 ، 34 / 366، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

² - سورة البقرة/109-161، سورة آل عمران/91 ، سورة النساء/18، سورة المائدة/57، سورة التوبة/68-73-120-123، سورة الرعد/42، سورة محمد/34، سورة الفتح/29(مرتان)، سورة القمر/43، سورة الحديد/20، سورة الممتحنة/10-11-13، سورة التحريم/9، سورة المطففين/34-36.

	النقوى	وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ { سورة التوبة/123
وَهُمْ كُفَّارٌ	الصد عن سبيل الله	{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ { سورة محمد/34
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ (الكفار) لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (إغاضة الكفار)	اختلاف: الإيمان - الصلاح - الركوع - السجود	{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا { سورة الفتح/39
	اختلاف: الإيمان - الهجرة	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ { سورة الممتحنة/10
	اختلاف: الإيمان - النقوى	{ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ { سورة الممتحنة/11
	اختلاف: الإيمان	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ { سورة الممتحنة/13
	اختلاف: الإيمان	{ قَالِیَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ { سورة المطففين/34-36

ثانيا: صيغة جمع التكسير (الكفار) في الحديث النبوي

طرف الحديث	الصفات الفعلية/الحكمية	العلاقات	الضمائم
روى مالك أن عبد الله بن سهل الأنصاري، ومُحَيِّصَةَ بن مسعود خرجا إلى خيبر فنفقا في حوائجهما، فقتل عبد الله بن سهل، فقدم محيصة، فأتى هو وأخوه حُوَيْصَةُ وعبد الرحمن بن سهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب عبد الرحمن ليتكلم لمكانه من أخيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَبُرَ كَبْرُ»، فتكلم حويصة ومحيصة			قوم كفار

			فذكرا شأن عبد الله بن سهل، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتخلفون خمسين يمينا، وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم؟ قالوا: يا رسول الله، لم نشهد، ولم نحضر، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فتبرئكم يهود بخمسين يمينا»، فقالوا: يا رسول الله، كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ قال يحيى بن سعيد: فزعم بشير بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَدَّاهُ مِنْ عِنْدِهِ » ¹ .
كفارهم	اختلاف: الإسلام	كفارهم أتباع لكفارهم	عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الناس أتباع لقريش في هذا الشأن، كُفَّارُهُمْ أَتْبَاعُ لِكُفَّارِهِمْ، ومسلموهم أتباع لمسلميهم » ² .
قوم كفار	اختلاف: الإيمان		عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم للمقداد: « إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته ؟ فذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل » ³ .
		يضرب بعضهم رقاب بعض	عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض » ⁴ .
	اختلاف: الإيمان	جواز لعن الكفار عامة	عن أبي هريرة قال: لأقرين صلاة النبي صلى الله عليه وسلم. فكان أبو هريرة يقنت في الركعة الأخرى من صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده، فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار ⁵ .
كفار قريش			حديث حذيفة بن اليمان قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حُسَيْلٌ قال: فَأَخَذْنَا كُفَّارُ قَرِيشَ، قالوا: إنكم تريدون محمدا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لَنُنَصِّرَنَّ إِلَى

¹ - الموطأ، كتاب القسامة، باب تبدئة أهل الدم في القسامة، الحديث 2، ص: 878-879.

² - مسند الإمام أحمد، الحديث 9132، 66/15، قال محققو المسند: حديث صحيح.

³ - صحيح البخاري، كتاب الديات، الحديث 6472، 6/2518.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى { وَمَنْ أَحْيَاهَا } / المائدة /32، الحديث 6474، 6/2518.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد، الحديث 764، 1/275.

			المدينة، ولا نقاتل معه، فأثينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم» ¹ .
ثياب الكفار			عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» ² .
ضميمة قتال الكفار	علاقة اختلاف: الإسلام		عن ابن عباس، قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله ثلاث أعطينهن، قال: «نعم» قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها، قال: «نعم» قال: ومعاوية، تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» ⁴ .
ضميمة: (بني الكفار) قوله " بني الكفار " منادى بحذف حرف النداء، وفيه مبالغة في إهانتهم ما ليس في أيها الكفار، فإنه دل على أن كفرهم راسخ فيهم لما أنهم كانوا كذلك من القديم، وأنه تقليد فيهم لا يهتدون بنور البصيرة حتى يتركوه. ⁶		فلهي أسرع فيهم من نضح النبل (الشعر يؤثر فيهم ما لا يؤثر فيهم غيره)	عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول: خلوا بني الكفار عن سبيله /// اليوم نضركم على تنزيله. ضرباً يزيل الهام عن مقيله /// ويذهل الخليل عن خليله. فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل» ⁵ .
أرواح الكفار	اختلاف: الإيمان	أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك	عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ... وإن الكافر إذا احتضر، أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون:

¹ - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، الحديث 1787، 3/ 1414.

² - قال النووي: " اختلف العلماء في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر، فأباحها جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك، لكنه قال: غيرها أفضل منها، وفي رواية عنه أنه أجاز لبسها في البيوت وأمنية الدور، وكرهه في المحافل والأسواق ونحوها، وقال جماعة من العلماء: هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا " شرح النووي على صحيح مسلم، 14/ 54

³ - صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، الحديث 2077، 3/ 1647.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه، الحديث 2501، 4/ 1945.

⁵ - سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في إنشاد الشعر، الحديث 2847، 5/ 139 وصححه الشيخ الألباني.

⁶ - رشيد أحمد الكنكوهي (ت 1323هـ)، الكوكب الدري على جامع الترمذي، جمعها ورتبها: محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (ت 1334 هـ)، تحقيق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، مطبعة ندوة العلماء الهند، 1395 هـ، 3/ 428.

			اخرجني ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار» ¹ .
ضميمة: قتال الكفار	اختلاف: الهجرة		عن عبد الله بن واقد السعدي قال: وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كلنا يطلب حاجة، وكنت آخرهم دخولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إني تركت من خلفي وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت، قال: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» ² .
	اختلاف: الإيمان	فيقول: لا ما أصابني نعيم قط	عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار، فيقال اغمسوه في النار غمسة، فيغمس فيها. ثم يقال له: أي فلان هل أصابك نعيم قط؟ فيقول لا ما أصابني نعيم قط. ويؤتى بأشد المؤمنين ضرا وبلاء، فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة، فيغمس فيها غمسة، فيقال له: أي فلان، هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول ما أصابني قط ضر ولا بلاء» ³ .
	عطف النفاق على الكفر		حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله، سله الله عز وجل على الكفار والمنافقين» ⁴ .
ضميمة: قتال الكفار	علاقة اختلاف: الإسلام الإيمان الهجرة الجهاد		عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك»، قال: فأبي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»، قال: وما الإيمان؟ قال: «تؤمن بالله وملأته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت»، قال: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة»، قال: فما الهجرة؟ قال: «تهجر سوء»، قال: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد»، قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم»... الحديث ⁵ .
ذراري الكفار		هم مع آبائهم	عن عبد الله بن أبي قيس أنه سأل عائشة أم المؤمنين عن ذراري الكفار فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم مع آبائهم» فقلت: يا رسول الله بلا عمل، قال: «الله عز وجل أعلم بما كانوا عاملين» ⁶ .

¹ - سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، الحديث 1833، 8/4، وصححه الشيخ الألباني.

² - سنن النسائي، كتاب البيعة، ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة، الحديث 4172، 146/7، وصححه الشيخ الألباني.

³ - سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، الحديث 4321، 1445/2، وصححه الشيخ الألباني.

⁴ - مسند الإمام أحمد، الحديث 43، 1/216، قال محقق المسند: حديث صحيح بشواهده.

⁵ - مسند الإمام أحمد، الحديث 17027، 251/28، قال محقق المسند: حديث صحيح.

⁶ - مسند الإمام أحمد، الحديث 24545، 95/41، قال محقق المسند: حديث صحيح.

الباب الثاني: قضايا الكفر في إطار التفسير الموضوعي

الفصل الأول: أقسام الكفر وأحكامه

تقديم:

لقد أمرنا الله عز وجل بالاعتصام بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتكام إليهما في كل صغيرة وكبيرة، مع التمسك بطريقة سلف هذه الأمة من علمائها الربانيين في فهمهما؛ من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، مما ضل عنه اليوم غالبية فرق أهل القبلة؛ فنرى الخلافات قد دبّت بينهم في كثير من أمور الدين، ومن أهمها: مبحث الكفر والتكفير.

والخلل - والله أعلم - يرجع إلى عدم الفهم، والجهل التام بمنهج أهل السنة والجماعة.

فقد افترق الناس في تحديد ما هو كفر، وكذا شروط التكفير وموانعه، فعند بعضهم أن من تلفظ بالشهادتين لا يمكن تكفيره بحال، ويرى آخرون أن التكفير يكون بالكبيرة، كما لا يرى آخرون الحكم بإسلام من نطق بالشهادتين، وصلى، وصام، وأدى الفرائض ما لم يتحققوا من إسلامه بشروط حدوها لم ترد في الكتاب والسنة.

وأما أهل السنة والجماعة فوسط بين هؤلاء وأولئك؛ فهداهم الله لالتزام الحق بالدليل الشرعي في وصف الفعل، وفي حكم الفعل؛ فالتزموا بالنصوص الشرعية في تحديد ما هو كفر وما ليس بكفر؛ فمنهج أهل السنة والجماعة هو التوسط والاعتدال في الأمور كلها، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } سورة البقرة/ 143.

وباستقراء النصوص قرآنا وسنة، فإن الكفر منه ما هو أكبر، وهو: ما نقض أصل الإيمان، أو كله، وهذا يخرج من الملة. ومنه ما هو أصغر، وهو: ما حصل بترك فريضة واجبة من غير جحود أو فعل كبيرة من غير استحلال، وهذا لا يخرج من الملة، لكن صاحبه تحت المشيئة.

فالكفر - كما قرر أهل العلم - وصف شرعي، لا يثبت إلا من طريق الشارع؛ فتحصيل حكم، على اعتقاد، أو قول، أو فعل، بأنه كفر يكون من طريقين:

الأول: الدليل القطعي: ثبوتاً ودلالة.

الثاني: الإجماع

الثالث: القياس الصحيح.

أما التكفير فهو عملية إيقاع لوصف الكفر على الفاعلين. والقرآن الكريم والحديث النبوي تضمنا أحكاماً عديدة من هذا النوع؛ فقد وقع فيهما تكفير أهل الكتاب والوثن، ووقع فيهما تكفير الفاعلين - من غير تعيين - لأعمال كفرية صدرت منهم.

المبحث الأول: أقسام الكفر

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان لا يصح ولا يقبل إلا بأمرين هما معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وهما: الاستسلام لله بالتوحيد، والبراءة من الكفر بجميع أنواعه. ولا يمكن للشخص أن يتبرأ من شيء ويحذره إلا بعد أن يعرفه ويتبينه، فعلم بهذا ضرورة تعلم التوحيد للعمل به وتحقيقه، ومعرفة الكفر للحذر منه ومجانبته.

المطلب الأول: أقسام الكفر باعتبار حكمه

يرد لفظ الكفر في القرآن والحديث - تبعاً لاستقراء الموارد - مراداً به أحياناً الكفر المخرج من الملة، وأحياناً يراد به الكفر غير المخرج من الملة، ذلك أن الكفر ذو أصول وشعب متفاوتة، منها ما يوجب الكفر المخرج من الملة، ومنها ما هو من المعاصي، لا يقتضي بالضرورة الخروج من الدين.¹ وذلك أن للكفر شعباً كما أن للإيمان شعباً، وكما أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فكذا الكفر اعتقاد وقول وعمل.

¹ - من أصول أهل السنة والجماعة؛ أنه من الممكن أن يجتمع في العبد بعض شعب الإيمان، وبعض شعب الكفر أو النفاق التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته، قال ابن تيمية: " وقد يجتمع في العبد نفاق وإيمان، وكفر وإيمان " مجموع الفتاوى، 353/7، وقال ابن القيم بعد ذكره لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق الحديث 34، 21/1، قال: " فدل على أنه يجتمع في الرجل نفاق وإسلام. وكذلك الرياء شرك، فإذا رأى الرجل في شيء من عمله اجتمع فيه الشرك والإسلام... فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الإيمان، وقد يسمى بذلك الشعبة مؤمناً وقد لا يسمى، كما أنه قد يسمى بشعبة من شعب الكفر كافر، وقد لا يطلق عليه هذا الاسم " الصلاة وأحكام تاركها، ص: 61.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: { هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ } سورة آل عمران/167: " استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال؛ فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان " تفسير ابن كثير، 2/160. وقال العلامة السعدي رحمه الله: " وفي هذه الآية دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى. " تفسير السعدي، ص: 156.

وينبغي على هذا الأصل أصل آخر وهو أن من قامت به شعبة من شعب الكفر الأصغر فإن ذلك لا يزيل عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق، وفي تقرير هذا الأصل يقول ابن القيم: " وها هنا أصل آخر، وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيمانا، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيمانا وشعبة النفاق نفاقاً وشعبة الكفر كفراً. وقد يطلق عليه الفعل كقوله صلى الله عليه وسلم: " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر، ومن حلف بغير الله فقد كفر ". رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ.

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرماً إنه فعل فسوقاً وإنه فسق بذلك المحرم، ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه. " الصلاة وأحكام تاركها، ص: 62.

وقد فصل الإمام ابن القيم هذا الأصل بكلام لا مزيد عليه فقال رحمه الله: " الكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما خلفه الآخر، ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إمطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول بالإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمطة الأذى عن الطريق...

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.¹

ومن النصوص الدالة على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل أيكفرن بالله ؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط »².

فدل هذا الحديث على انقسام الكفر إلى قسمين: كفر أكبر وهو الكفر بالله، وكفر أصغر وهو كفر النعمة والإحسان، ولذا ترجم البخاري لهذه الحديث بقوله: (باب كفران العشير وكفر دون كفر).

قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح هذه الترجمة فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح: " مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيماناً كذلك المعاصي تسمى كفراً، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة"³.

وكذلك فعل أبو العباس القرطبي (ت656هـ) حيث ترجم بنفس ترجمة البخاري في شرحه لصحيح مسلم.⁴

فالكفر في اصطلاح أهل العلم - بالنظر إلى حكمه- نوعان، وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

قال الإمام محمد بن نصر المروزي (ت294هـ): " الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة، والآخر لا ينقل عنها"⁵. وقال ابن الأثير (ت606هـ): " والكفر صنفان: أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو ضده، والآخر الكفر بفرع من فروع الإسلام، فلا يخرج به عن أصل الإيمان."⁶

وقال ابن القيم (ت751هـ): " الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

¹ - الصلاة وأحكام تاركها، ص55.

² - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر، رقم الحديث 29، 19/1، صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار رقم 907، 2/626.

³ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1/83.

⁴ - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، 1/268.

⁵ - محمد بن نصر بن الحاج المروزي، تعظيم قدر الصلاة، 2/526.

⁶ - النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/186.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار.

والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود»¹.

فمجمل كلام أهل العلم أن "الكفر كفران، كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما، وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان ولا ينافي مطلقه وهو الكفر العملي، الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله ولا يستلزم ذلك."² وبيان ذلك فيما يلي:

القسم الأول: كفر أكبر "يضاد الإيمان من كل وجه"³، يستوجب الخروج من ملة الإسلام⁴، أو عدم الدخول فيها فيها أصالة، وصاحبه محكوم عليه بالخلود في النار إذا مات على ذلك. والنصوص الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى كقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } سورة آل عمران/91.

وقوله سبحانه: { قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ. الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ ثَمَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } سورة النحل/27-28-29

وهذا القسم يشمل أنواعا كثيرا كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني: الكفر الأصغر

يطلق الكفر الأصغر على الذنوب التي سماها الشرع كفراً، ولكنه لم يحكم على أصحابها بالخروج من الإسلام، حيث عرفه ابن القيم (ت751هـ) بقوله: " لا يضاد الإيمان"⁵، فالضابط فيه أنه من جملة المعاصي التي لا تنافي أصل الإيمان.

وقال أيضاً: " المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر، الذي هو العمل بالطاعة، فالسعي إما شكر، وإما كفر، وإما ثالث، لا من هذا ولا من هذا، والله أعلم."⁶

وقال حافظ الحكمي (ت1377هـ): " وأصغر ينقص الإيمان وينافي الملة ولا يخرج صاحبه منه"⁷.

وعرفه الباحث عبد الله بن عبد الحميد بقوله: " هو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: (كفر دون كفر) ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله عز وجل إذا لم يتب منه؛ وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل

¹ - ابن قيم الجوزية، 344/1-345.

² - حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة، ص: 96.

³ - الصلاة وأحكام تاركها، ص: 56.

⁴ - وهو ما يسمى بالمرتد، وسيأتي الحديث عنه بتفصيل إن شاء الله تعالى.

⁵ - الصلاة وأحكام تاركها، ص: 57.

⁶ - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 346/1.

⁷ - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم

- الدمام، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م، 1019/3.

الزجر والتهديد؛ لأنها من خصال الكفر، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب.

وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار، وصاحب هذا الكفر ممن تتألم شفاعة الشافعين¹. وقد ورد إطلاق لفظ الكفر على الكفر الأصغر في الكتاب² والسنة في مواضع كثيرة، أذكر منها ما يلي:

أ- يراد به كفر النعمة:

(1) قال تعالى: { فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } سورة البقرة/152

قال القرطبي: " ولا تكفرون؛ أي لا تكفروا نعمتي وأيادي. فالكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب"³. وقال السعدي: " ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: { وَلَا تَكْفُرُونِ } المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجدها، وعدم القيام بها، ويحتمل أن يكون المعنى عاما، فيكون الكفر أنواعا كثيرة، أعظمه الكفر بالله"⁴.

(2) قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } سورة إبراهيم/7

قال الطبري: " وقوله: (وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ، يقول: ولئن كفرتم ، أيها القوم ، نعمة الله ، فجدتموها بترك شكره عليها وخلافه في أمره ونهيه ، وركوبكم معاصيه (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)"⁵

(3) قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } سورة النور/55

قال البغوي: " قوله عز وجل: { وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ } أراد به كفران النعمة، ولم يرد الكفر بالله، { فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } العاصون لله. قال أهل التفسير: أول من كفر بهذه النعمة وجدد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا."⁶

ومن العلماء من فسر الكفر بالأكبر، وله وجه معتبر في ذلك، قال ابن عطية: " ويحتمل أن يريد الكفر والفسق المخرجين عن الملة وهو ظاهر قول حذيفة بن اليمان فإنه قال: كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفاق، وقد ذهب ولم يبق إلا كفر بعد إيمان"⁷.

ب- وكذلك ورد الكفر في عدة آيات بالمعنى اللغوي لكلمة الكفر وهو **الستر والتغطية**:

¹ - عبد الله بن عبد الحميد، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: الشيخ عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض- الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ص: 249

² - أكثر من خمسة عشر موضعا: سورة البقرة/152، سورة إبراهيم/7-22، سورة النور/55، سورة النمل/40، سورة لقمان/12، سورة النحل/72، سورة مريم/82، سورة الإسراء/67، سورة الشعراء/19 سورة آل عمران/115، سورة العنكبوت/25، سورة فاطر/14 سورة غافر/84 سورة الممتحنة/4، سورة الأحقاف/6

³ - تفسير القرطبي، 2/ 172.

⁴ - تفسير السعدي، ص: 74.

⁵ - تفسير القرطبي، 16/ 528.

⁶ - تفسير البغوي، 6/ 59.

⁷ - تفسير ابن عطية، 4/ 193.

قال تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } سورة النحل/72.

قال ابن كثير: " { وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } أي: يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره.¹

ت- كما ورد لفظ الكفر في آيات أخر بمعنى التبرأ كقوله تعالى: { وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } سورة العنكبوت/25، " أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر".²

وأما السنة فقد جاء في كثير من الأحاديث النبوية، إطلاق الكفر على الأصغر، ومن ذلك:

- كفران العشير والإحسان:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن » قيل: أيكفرن بالله. قال: « يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط ».³

- الحلف بغير الله تعالى: لقوله صلى الله عليه وسلم: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ».⁴

فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام، ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.

- قتال المسلم: لقوله صلى الله عليه وسلم: « سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر ».⁵

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض ».⁶

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان، لقول الله تعالى:

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا } سورة الحجرات، الآية: 9.

- الطعن في النسب، والنياحة على الميت:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت ».⁷

- الانتساب إلى غير الأب:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر ».⁸

وقال صلى الله عليه وسلم: « ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب؛ فليتبوأ مقعده من النار ».⁹

¹ - تفسير ابن كثير، 4/ 587.

² - تفسير السعدي، ص: 629.

³ - سبق تخريجه.

⁴ - رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، الحديث 1535، 4/ 110، وصححه الألباني.

⁵ - سبق تخريجه.

⁶ - سبق تخريجه.

⁷ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، الحديث 67، 82/1.

⁸ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه، الحديث 6386، 6/ 2485.

⁹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل، الحديث 3317، 3/ 1292.

وأنواع الكفر الأصغر كثيرة ؛ فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفراً، ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر؛ فهو كفر أصغر. قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ): " وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها: أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون"¹.

وقال ابن عبد البر القرطبي (ت 463هـ) بعد إيراده لبعض من الأحاديث المذكورة آنفاً: " ومثل هذا كثير من الآثار التي وردت بلفظ التغليب وليست على ظاهرها عند أهل الحق والعلم لأصول تدفعها أقوى منها من الكتاب والسنة المجتمع عليها والآثار الثابتة أيضاً من جهة الإسناد"².

المطلب الثاني: أقسام الكفر باعتبار بواعثه

السبب الرئيس للكفر هو اتباع الهوى، فالهوى عدو العقل، وبينما يقود العقل إلى الإيمان، فإن الهوى يقود إلى الكفر، وكل الأسباب التي ذكرت في القرآن للكفر مثل الظلم والعلو والاستكبار هي صور متعددة لاتباع الهوى، حيث يظن الكافر أن اتباعه للحقيقة سيحرمه من تحقيق رغباته العاجلة: { كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } سورة القيامة/20-21، فيكفر بالحق ويؤثر الحياة الدنيا، لذا سميت المعصية كفراً أصغر لأنها إعراض عن الحق واتباع للهوى.

" والكفر ظلمات بعضها أشد ظلاماً من بعض، والكفار أصناف، بعضهم أشد إغلالاً في الكفر والضلال من بعض، وشتان بين كفر أبي لهب، وأبي جهل، وبين كفر غيرهم من حواشي القوم."³ وقد اجتهد العلماء رحمهم الله في ذكر أنواع الكفر العامة وأصوله الرئيسية التي تنفرع عنها سائر صورته، وترجع إليها كافة فروعها.

قال القاضي عياض (ت 544هـ): " واعلم أن من استخف بالقرآن، أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جده، أو حرفاً منه، أو آية أو كذب به، أو بشيء منه.. أو بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبتته.. على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع."⁴

وذكر الإمام البغوي (ت 516 هـ) أن " الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق... وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له."⁵ ونقله عنه ابن الأثير في

¹ - أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الإيمان ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 86.

² - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، 15/17.

³ - عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، 1465/16.

⁴ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 2/ 304.

⁵ - تفسير البغوي، 64/1.

وذهب ابن القيم(ت751هـ) إلى أن "الكفر الأكبر، خمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق".²

وقال الشيخ حافظ الحكمي(ت1377هـ): "أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق"³.

فحصل مما ذكره العلماء أن أنواع الكفر وأصوله ترجع إلى سبعة أنواع:

أولاً: كفر الإنكار والتكذيب

عرفه البغوي(ت516هـ) بقوله: "أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به"⁴، وفي معناه قال ابن القيم: "فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } سورة الأنعام/33.

وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح، إذ هو تكذيب باللسان.⁵

وبين الراغب(ت502هـ) أن تكذيب اللسان ناشئ عن إنكار القلب، وهو ما عبر عنه ابن القيم بقوله "اعتقاد كذب الرسل"، قال: "الإنكار: ضد العرفان. يقال: أنكرت كذا، ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل. قال تعالى: { فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } سورة يوسف/58، وقد يستعمل ذلك فيما ينكر باللسان، وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب، لكن ربما ينكر اللسان الشيء وصورته في القلب حاصلة، ويكون في ذلك كاذباً".⁶

ثانياً: كفر الجحود

قال البغوي في تعريفه: "أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه، ككفر اليهود، قال الله تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ } سورة البقرة/89"⁷.

وهو مثل كفر فرعون وقومه، قال تعالى: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } سورة النمل/14.

وبين ابن القيم أن "كفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول صلى الله عليه وسلم.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبراً أخبر الله به عبداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض. وأما جحد ذلك جهلاً،

¹ - النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/186.

² - مدارج السالكين، 1/346.

³ - معارج القبول، 2/593.

⁴ - تفسير البغوي، 1/64.

⁵ - مدارج السالكين، 1/346.

⁶ - المفردات، مادة (نكر) ص: 823.

⁷ - تفسير البغوي، 1/64.

أو تأويلا يعذر فيه صاحبه، فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو تكذيبا.¹

ثالثا: كفر العناد (الإباء)

قال الخليل: "عَنْدَ الرَّجُلِ يَعْذُ عُنْدًا وَعُنُودًا فهو عاند وعنيد، إذا طغى وعتا، وجاوز قدره، ومنه: المعاندة، وهو أن يعرف الرجل الشيء ويأبى أن يقبله أو يقر به".²

وعرفه البغوي فقال: "وكفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به، ككفر أبي طالب³ حيث يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا⁴

وهو ما سماه ابن القيم ب: "كفر الإباء والاستكبار⁵ نحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباء واستكبارا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: {أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} سورة المؤمنون/ 47، وقول الأمم لرسولهم: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} سورة إبراهيم/ 10⁶.

ومن أدلة هذا النوع قوله تعالى عن الوليد بن المغيرة المعاند للحق المبارز لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالمحاربة: {كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} سورة المدثر/ 16.

¹ - مدارج السالكين 347/1-348، والحديث بتمامه أخرجه الإمام مالك عن عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال رجل - لم يعمل حسنة قط - لأهله إذا مات فحرقوه، ثم أذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فلما مات الرجل، فعلوا ما أمرهم به. فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: «لم فعلت هذا؟» قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم، قال: « فغفر له». موطأ الإمام مالك، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، الحديث 51، 240/1، والحديث متفق عليه.

² - معجم العين، مادة (عند) 42/2.

³ - كما ورد عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: « يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله »، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى فيه: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } سورة التوبة/ 113 الآية " صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، رقم 1294، 1/ 457.

⁴ - تفسير البغوي 64/1، قال ابن القيم: " فإنه صدقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر. " مدارج السالكين 347/1.

⁵ - جاء في تهذيب اللغة للأزهري: " والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا. " مادة (كبر)، 10/ 121

⁶ - مدارج السالكين 346/1-347.

رابعاً: كفر النفاق

قال البغوي في تعريفه: "وأما كفر النفاق: فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب"¹. وعرفه ابن القيم بقوله: "وأما كفر النفاق فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب"². والنفاق كالكفر والشرك والفسق، درجات ومراتب؛ منها ما هو مخرج من الإسلام، ومنها ما هو غير مخرج منه، وقد اختلفت عبارات الأئمة في إيضاح هذين النوعين:

فبعض الأئمة كالترمذي، وابن العربي المالكي³، وابن كثير⁴، وابن حجر⁵ قسموا النفاق إلى نفاق اعتقادي- اعتقادي- وهو المخرج من الملة- وإلى نفاق عملي، قال الإمام الترمذي رحمه الله في تعليقه على حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقاً، وإن كانت خصلته منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، مَنْ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»: "هذا حديث حسن صحيح، وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا روي عن الحسن البصري، شيء من هذا أنه قال: "النفاق نفاقان: نفاق العمل، ونفاق التكذيب"⁶.

وبعض الأئمة كابن تيمية وابن القيم وابن رجب⁷ يعبرون عن ذلك بتقسيم النفاق إلى الأكبر المخرج من الملة وإلى نفاق أصغر غير مخرج من الملة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) رحمه الله: "فمن النفاق ما هو أكبر ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره؛ بأن يظهر تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم...وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها: مثل أن يكذب إذا حدث..."⁸. ويقول أيضاً: "والنفاق كالكفر، نفاق دون نفاق، ولهذا كثيراً ما يقال: كفر ينقل عن الملة، وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال: الشرك شركان أصغر وأكبر"⁹.

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان أقسام النفاق: "وهو نوعان: أكبر، وأصغر. فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به..."¹⁰.

¹ - تفسير البغوي 64/1.

² - مدارج السالكين 347/1.

³ - أنظر عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية- بيروت، 82/1.

⁴ - أنظر تفسير ابن كثير، 176/1.

⁵ - أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، 89/1.

⁶ - سنن الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في علامة المنافق، رقم 2632، وحسنه الألباني، 19/5.

⁷ - أنظر جامع العلوم والحكم، 174/1.

⁸ - مجموع الفتاوى، 435-434 / 28.

⁹ - مجموع الفتاوى، 524 / 7.

¹⁰ - مدارج السالكين، 355-354/1.

فالخلاف بين التقسيمين إذن من باب الخلاف الاصطلاحي لا أكثر.

خامسا: كفر الإعراض

قال ابن القيم في تعريفه: "وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة"¹.
وفصل ذلك في موضع آخر فقال: "إن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها. الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض والثاني: كفر عناد. وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل."²

ومن أدلة هذا النوع قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ} سورة الأحقاف/3.

سادسا: كفر الشك

شَكَّ يَشْكُ شَكًّا، والشك: ضد اليقين.³

وعرفه ابن القيم بقوله: "وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره"⁴، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها، ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك"⁵.
فالشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يكذبه، ولا يجزم بوقوع البعث⁶ ولا عدم وقوعه، ونحو ذلك... وهذا كفر بإجماع العلماء.⁷
ومن الأمثلة التي ذكرها العلماء حول كفر الشك: **الشك في كفر الكافر**، قال القاضي عياض: "ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك."⁸

¹ - مدارج السالكين، 347/1.

² - ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1394هـ، ص 414.

³ - جمهرة اللغة، مادة (ش ك ك)، 1/ 139.

⁴ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة". صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار، رقم الحديث 41/1، 147. هذا الحديث يدل على اشتراط اليقين بالشهادة وعدم الشك حتى يدخل قائلها الجنة و ينجو من النار، وعليه فمن شك في شهادة التوحيد فإنه لا يدخل الجنة لانتفاء هذا الشرط وهو اليقين.

⁵ - مدارج السالكين، 347/1.

⁶ - كقوله تعالى عن صاحب الجنيتين: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُئِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا}. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا } سورة الكهف/36-38. قال ابن حزم في الفصل 195/3: "فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى، إذ شك في البعث". وقال الشنقيطي: "وقوله في هذه الآية الكريمة: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ بعد قوله: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً}، يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى" أضواء البيان، 3/ 277.

⁷ - سليمان بن سحمان النجدي (ت1349هـ)، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، تحقيق: عبد السلام بن برجس، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ/ 1992م، ص: 374.

⁸ - الشفاء، 2/ 286.

وذكر شيخ الإسلام حكم من لم يكفر الكافر سواء كان كافراً أصلياً كاليهود والنصارى، أو من ثبت كفره يقيناً كالباطنية فقال رحمه الله في رده على أهل الحلول والاتحاد: " وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى، ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه، فهذا كله كفر باطناً وظاهراً بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين"¹.

سابعاً: كفر الاستهزاء

كالاستهزاء بالله تعالى، أو آيات القرآن، أو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى: { قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } سورة التوبة/65-66.

قال أبو البقاء الحنفي (ت1094هـ): " والفعل الموجب للكفر هو الذي يصدر عن تعمد، ويكون الاستهزاء صريحاً بالدين، كالسجود للصنم وإلقاء المصحف في القاذورات"².

فهذه هي أقسام الكفر باعتبار بواعثه، على ما جاءت في تقسيمات العلماء المحققين، فما يقوم في الناس من أصناف الكفر مرجعها ومنشؤها لا يخرج عن هذه الأقسام، والله أعلم.

المطلب الثالث : أقسام الكفر باعتبار كونه أصلياً أو طارئاً

من المقرر شرعاً أن الله خلق الناس حنفاء وفطروهم على التوحيد والإسلام، يقول عز من قائل: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } سورة الروم/30، فهو فطرة الله التي فطر الناس عليها لأنه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر، فالأصل الإسلام والتوحيد، والكفر والشرك والردة أمور طارئة بنص كلام النبي صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »³، ولذلك انقسم الناس إلى مسلم وكافر بعد ما بعث الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والكافر إما: كافر أصلي لم يدخل في الإسلام من قبل، وإما كافر بعدما أسلم وهو الذي يسميه العلماء بالمرتد⁴.

فينقسم الكفر بهذا الاعتبار إلى نوعين:

¹ - مجموع الفتاوى، 368/2.

² - الكليات ، ص: 764.

³ - متفق عليه، سبق تخريجه.

⁴ - قال أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ): " والكافر: اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان فهو المنافق، وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو المرتد، وإن قال بإلهين أو أكثر فهو المشرك، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي، وإن قال بقديم الدهر وإسناد الحوادث إليه فهو الدهري، وإن كان لا يثبت الباري فهو المعطل، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق فهو الزنديق" الكليات، ص: 765.

النوع الأول: كفر أصلي¹

وهو كفر من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من سائر ملل الكفر التي لم تدخل في الإسلام، فكل من لم يدخل في الإسلام ابتداءً فهو كافر أصلي.

والكفار الأصليون ينقسمون إلى ثلاثة أصناف²:

أحدها: أهل كتاب، ومنهم: اليهود والنصارى، وهم بنو إسرائيل، أهل التوراة والإنجيل، الذين عناهم الله بقوله: { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ } سورة المائدة/5، وقوله تعالى: { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا } سورة الأنعام/156³.

الصنف الثاني: مختلف فيهم، هل كان لهم كتاب أم شبهة كتاب؟ وهم عدة فرق:

1- الصابئون⁴:

قال ابن قدامة: " اختلف فيهم السلف كثيرا، فروي عن أحمد أنهم جنس من النصارى. ونص عليه الشافعي، وعلق القول فيهم في موضع آخر. وعن أحمد أنه قال: بلغني أنهم يسبتون، فهؤلاء إذا يشبهون اليهود. والصحيح فيهم أنهم إن كانوا يوافقون النصارى أو اليهود في أصل دينهم، ويخالفونهم في فروعه، فهم ممن وافقوه، وإن خالفوهم في أصل الدين، فليس هم منهم. والله أعلم.⁵"

وقال ابن القيم في بيان عقيدتهم: " وهذه أمة كبيرة من الأمم الكبار، وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم.

وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} سورة البقرة/62.

¹ - ذكر الكاساني الحنفي (ت587هـ) أن الكفرة أصناف أربعة: صنف منهم ينكرون الصانع أصلاً، وهم الدهرية المعطلة، وصنف منهم يقولون بالصانع وينكرون توحيدهم، وهم الوثنية والمجوس، وصنف منهم يقولون بالصانع وتوحيدهم والرسالة في الجملة، لكنهم ينكرون رسالة نبينا محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - وهم اليهود والنصارى - علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م، 102/7-103.

² - أنظر روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م، 304/10، وقال ابن قدامة (ت620هـ): " الكفار ثلاثة أقسام؛ قسم أهل كتاب، وهم اليهود والنصارى، ومن اتخذ التوراة والإنجيل كتاباً، كالسامرة والفرنج ونحوهم... وقسم لهم شبهة كتاب، وهم المجوس... وقسم لا كتاب لهم، ولا شبهة كتاب، وهم من عدا هذين القسمين، من عبدة الأوثان، ومن عبد ما استحسن، وسائر الكفار" المغني لابن قدامة 9/212.

³ - أنظر: أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي 44/2، وابن قدامة المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة، دون طبعة، 1388هـ - 1968م، 130/7.

⁴ - قال الطبري في تعريف هذه الطائفة: " و"الصابئون" جمع "صابئ"، وهو المستحدث سوى دينه دينا، كالمترد من أهل الإسلام عن دينه. وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره، تسميه العرب: "صابئاً". يقال منه: " صباً فلان يصبأ صبأً ". ويقال: " صبأت النجوم". إذا طلعت. "وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا"، يعني به: طلع. "ثم ذكر اختلاف أهل التأويل فيمن يلزمه هذا الاسم من أهل الملل، قال: " فقال بعضهم: يلزم ذلك كل من خرج من دين إلى غير دين. وقالوا: الذين عنى الله بهذا الاسم، قوم لا دين لهم. وقال آخرون: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلية. وقال آخرون: بل هم طائفة من أهل الكتاب" تفسير الطبري، 145/2.

⁵ - المغني لابن قدامة، 130/7

فذكرهم في الأمم الأربعة الذين تنقسم كل أمة منهم إلى ناجٍ وهالك...
وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل، وهم أهل دعوته، وكانوا بحرّان، فهي دار الصابئة.
وكانوا قسمين: صابئة حنفاء، وصابئة مشركين...

وأصل دين هؤلاء فيما زعموا: أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً، ولهذا سُموا صابئة أي: خارجين، فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله إلا ما رأوه فيه من الحق.

وكانت كفّار قريش تُسمّي النبي صلى الله عليه وسلم الصابئ، وأصحابه الصُّبابة...
والمقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم، فالحنفاء منهم: شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية، والمشركون: شاركوا عبّاد الأصنام، ورأوا أنهم على صواب.¹

2- نصارى بني تغلب من العرب:

اختلف العلماء في إلحاقهم بالنصارى، فذهب ابن عباس إلى إلحاقهم بهم، وأباح ذبائحهم، وبه قال الشعبي والشافعي، وجمع كثير من السلف، وذهب علي وابن عمر وعائشة إلى عدم إلحاقهم بالنصارى، لأنهم عرب، ولا يحللون ما تحلل النصارى، ولا يحرمون ما يحرمون.²

3- المتمسكون بصحف إبراهيم وشيث وزبور داود:

وهؤلاء " ليسوا بأهل كتاب، ولا تحل مناكرتهم ولا ذبائحهم. وهذا قول الشافعي. وذكر القاضي أبو الطيب فيهم وجهاً آخر، أنهم من أهل الكتاب، وتحل ذبائحهم، ونكاح نسائهم، ويقرون بالجزية؛ لأنهم تمسكوا بكتاب من كتب الله عز وجل، فأشبهوا اليهود والنصارى.³

4- المجوس⁴:

القول بأن المجوس من أهل الكتاب قال به قائلون من العلماء، وذكروا أنه كان لهم كتاب ثم رفع، ولذا أخذت منهم الجزية⁵ دون غيرهم من المشركين على هذا القول، واتفق العلماء على أنهم لا يناكحون ولا تؤكل ذبائحهم بخلاف اليهود والنصارى.

¹ - ابن القيم، إغاثة اللهفان في مصادب الشيطان، تحقيق: محمد عزيز شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ، 1008/2-1010. وانظر كلمة المحقق وتوجيهه في تصحيح الخطأ الشائع في عنوان هذا الكتاب، قال: " سماء المؤلف في مقدمته "إغاثة اللهفان في مصادب الشيطان" كما هو مثبت بداخل جميع النسخ... وتصحفت "في" بـ "من" في معظم طبعات الكتاب " أنظر مقدمة التحقيق، ص: 6.

² - أنظر: أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي 44/2، وتفسير القرطبي، 78/6.

³ - المغني، 130/7.

⁴ - قال ابن القيم (ت751هـ) في تعريفهم: " والمجوس تعظم الأنوار، والنيران، والماء، والأرض، ويقرون بنبوة (زرادشت)، ولهم شرائع يصيرون إليها، وهم فرق شتى.

منهم: المزدكية، أصحاب مَزْدَك الموبّد، والموبّد عندهم: العالم القدوة، وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها. ومنهم: الخرمية أصحاب بابك الخرمي، وهم شر طوائفهم، لا يقرون بصانع، ولا معاد، ولا نبوة، ولا حلال، ولا حرام. إغاثة اللهفان، ابن القيم، 1006/2.

⁵ - أنظر مفهوم الجزية والمقصود من تشريعها والرد على الطاعنين في مشروعيتها فيما يأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

قال البغوي (ت516هـ): " واختلفوا في أن المجوس: هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ فروي عن علي رضي الله عنه قال: " كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا، وقد أسري على كتابهم، فرفع من بين أظهرهم". واتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف أهل الكتابين.¹

الصنف الثالث: من ليس له ولا شبهة (كتاب)، كعبدة الأوثان والملائكة والشمس، ومن في معانهم² كالدهريين³ والفلاسفة⁴.

فهذه هي أقسام النوع الأول وهو الكفر الأصلي بحسب امتلاكهم لكتب سماوية أم لا. وهؤلاء كلهم كفار، والواجب تكفيرهم، وهذا من المعلوم المجمع عليه لدلالة الآيات في ذلك وصراحتها، منها قوله تعالى: { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } سورة البينة/1، وقوله تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران/19]، { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران/85].

النوع الثاني: كفر طارئ وهو كفر الردة⁵

¹ - تفسير البغوي، 35/4، وبين المحقق ابن القيم رحمه الله عدم صحة هذا القول، فقال أثناء ترجيحه للقول بأن الجزية تؤخذ من عموم المشركين ما لفظه: " وقد أخذها- يعني الجزية- رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجوس وهم عباد النار لا فرق بينهم وبين عبدة الأوثان، ولا يصح أنهم من أهل الكتاب ولا كان لهم كتاب، ولو كانوا أهل كتاب عند الصحابة رضي الله عنهم لم يتوقف عمر رضي الله عنه في أمرهم ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » بل هذا يدل على أنهم ليسوا أهل كتاب، وقد ذكر الله سبحانه أهل الكتاب في القرآن في غير موضع، وذكر الأنبياء الذين أنزل عليهم الكتب والشرائع العظام ولم يذكر للمجوس - مع أنها أمة عظيمة من أعظم الأمم شوكة وعددا وبأسا - كتابا ولا نبيا، ولا أشار إلى ذلك، بل القرآن يدل على خلافه كما تقدم، فإذا أخذت من عباد النيران فأبي فرق بينهم وبين عباد الأوثان؟ " أحكام أهل الذمة، 89/1-90.

² - روضة الطالبين للنووي 305/10.

³ - قال ابن الجوزي (ت597هـ) في تعريف الدهرية: " أوهم إبليس خلقا كثيرا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكن، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه " تلييس إبليس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م، ص: 40. وهم الذين ينكرون الخالق، ويقولون لا إله ولا صانع للعالم، وأن هذه الأشياء وجدت بلا خالق، { سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا } سورة الإسراء/43.

⁴ - قال ابن القيم في بيان مذهبهم: " الفلاسفة اسم جنس لمن يُجَبُّ الحكمة ويؤثَرها. وقد صار هذا الاسم في عُرف كثير من الناس مختصا بمن خَرَجَ عن دِيانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه. وأخص من ذلك: أنه في عُرف المتأخرين اسمٌ لأتباع أرسطو... فهو أول من عُرف أنه قال بقدَم هذا العالم. والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه، وإثبات الصانع، ومُباينته للعالم، وأنه فوق العالم، وفوق السَّمَاوَاتِ بذاته، كما حكاه عنهم أعلم الناس في زمنه بمقالاتهم: أبو الوليد بن رُشد في كتابه "مناهج الأدلة" " إغاثة اللهفان من مصابيد الشيطان، 257/2-258.

⁵ - من المؤلفات في هذا الباب: كتاب (أَلْفَاظُ الْكُفْرِ) لِبدر الرشيدي الحنفي (ت768هـ)، ذكر فيه الألفاظ المكفرة عند الحنفية. وصنف ابن حجر الهيتمي (ت974هـ) في هذا النوع كتابا مستقلا سماه: الإعلام بقواطع الإسلام، ذكر فيه أنواعا كثيرة من الأقوال والأفعال، كل واحد منها ذكر أنه يُخرج من الإسلام ويكفر به المُعين عند علماء الشافعية مع الإشارة إلى ما عده غيرهم من أهل المذاهب الأخرى ألفاظا مكفرة، قال الهيتمي: " أحببت في هذا التأليف تحرير الألفاظ المكفرة التي ذكرها أصحابنا وغيرهم، فإن هذا باب منتشر جداً، وقد اضطربت فيه أفكار الأئمة وعباراتهم، وزلت فيه أقدام كثيرين، ولخطر أمره وحكمه كان حقيقاً بالإفراد بالتأليف ". أنظر: الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر، تحقيق: محمد عواد العواد، دار التقوى- سوريا، الطبعة: الأولى، 1428هـ/ 2008م، ص 46.

وهو حالة معينة من حالات الكفر، وهو الكفر بعد الإيمان والدخول في الإسلام، لا الكفر الأصلي. وهذا الذي يسميه العلماء بالردة، فالمرتد لغة: هو الراجع، ومنه قوله تعالى: { وَلَا تَزْنُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } سورة المائدة/21.

قال الأصفهاني: " والازْتِدَادُ والِرْدَةُ: الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الرِّدَّة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره ¹."

وقد سبق لنا أن تعرفنا على معنى الردة في الاصطلاح وذكرنا مجموعة من أقوال أهل العلم في ذلك²، خلاصتها أن الردة هي الرجوع عن الإسلام بارتكاب ناقض من نواقضه القولية أو القلبية أو العملية³، قال أبو بكر (المشهور بالبكري) الدماطي(ت 1302هـ): " وحاصل الكلام على أنواع الردة أنها تنحصر في ثلاثة أقسام: اعتقادات وأفعال وأقوال، وكل قسم منها يتشعب شعبا كثيرة ⁴."

قال الشيخ عليش المالكي مفتي الديار المصرية الأسبق(ت1299هـ) في شرحه على مختصر خليل: " وسواء كَفَرَ (ب) قول (صريح) في الكفر، كقوله كفر بالله أو برسول الله أو بالقرآن أو الإله اثنان أو ثلاثة أو المسيح ابن الله أو العزيز ابن الله (أو) ب (لفظ يقتضيه)، أي يستلزم اللفظ الكفر استلزاما بينا كجحد مشروعية شيء مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة، فإنه يستلزم تكذيب القرآن أو الرسول، وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث ونفي صفات الألوهية عنه جل جلاله وعظم شأنه. (أو) ب (فعل يتضمنه) أي يستلزم الفعل الكفر استلزاما بينا (كإلقاء) أي رمي (مصحف) أي

وكتب في هذا الموضوع كذلك قاسم بن صلاح الدين الخاني (ت1109هـ) رسالة في ألفاظ الكفر، وأيضاً توجد رسالة ثانية في ألفاظ الكفر لمؤلفها تاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد بن عبد العزيز، قال محققها الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس: " وقفت على رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي وهي مخطوطة في مكتبة الموسوعة الفقهية بالكويت برقم 293 وعدد صفحاتها 35 صفحة ونسخت سنة 774هـ، فألفيتها رسالة نافعة موضوع ألفاظ الكفر" أنظر: الجامع في ألفاظ الكفر لمجموعة من المصنفين، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م هو يشتمل على أربعة كتب هي: ألفاظ الكفر - بدر الرشيد الحنفي، الإعلام بقواطع الإسلام - ابن حجر الهيتمي الشافعي، رسالة في ألفاظ الكفر - قاسم بن صلاح الدين الخاني، رسالة في ألفاظ الكفر - أبو المعالي الحنفي، ص: 421.

وألف من المعاصرين الشيخ علوي بن عبد القادر السقَّاف كتاب (التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد) وهو رسالة في المكفرات القولية والعملية من خلال أقوال العلماء ابتداء من عصر التابعين إلى العلماء المعاصرين على اختلاف المذاهب الأربعة. وانظر: كتاب "توافض الإيمان القولية والعملية" للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الثالثة 1427هـ، ص: 36 - 46، فقد ذكر نقولاً عن جمع من العلماء تبين أن الكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح، ومن هؤلاء: محمد بن نصر المروزي، وابن الجوزي، وابن حزم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتاج الدين السبكي، وابن القيم، وابن كثير، وابن الوزير، وابن نجيم الحنفي.

¹ - مفردات القرآن، ص: 349 .

² - انظر : مفهوم الردة لغة واصطلاحاً في مطلب الكفر والردة ضمن مبحث علاقات التداخل.

³ - تحصل الردة بما يحصل به الكفر سواء أي: بالقول والفعل والاعتقاد على ما سبق بيانه بتفصيل في المحصل في تعريف الكفر أنظر: ص 69 من البحث.

⁴ - أبو بكر بن محمد شطا الدماطي، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين)، دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، 4/149.

الكتاب المشتمل على النقوش الدالة على كلام الله تعالى (ب) شيء (قذر)¹.

فالردة هي الرجوع عن الإسلام بارتكاب ناقض من نواقضه القولية أو القلبية أو العملية، والردة صورة من صور الكفر التي تدور بمجموعها حول التكذيب والجحود.

المبحث الثاني: أحكام الكافرين في الدنيا والآخرة

المطلب الأول: أحكام الكافر في الآخرة

تطافرت نصوص الكتاب والسنة على كون الكفار - على اختلاف بواعث كفرهم - الذين بلغتهم دعوة الإسلام فقابلوها بالرفض أنه لا فرق بينهم في أحكام الآخرة، قال الكوفي: "وَالْجَمْعُ سَوَاءٌ فِي أَنْ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى بِوَاحِدٍ مِنْهَا (أي أنواع الكفر) لَا يَغْفَرُ لَهُ"²، فكلهم متوعد بالخلود في النار يوم القيامة، لا يخرجون منها بحال³، نعوذ بالله من ذلك.

¹ - محمد بن أحمد بن محمد عlish، أبو عبد الله المالكي، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر - بيروت، بدون طبعة، 1409هـ/1989م، 205/9 - 206.

² - الكليات، ص: 765.

³ - واستشكل في قوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوذٍ } سورة هود/106-108.

قال ابن كثير: "اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (زاد المسير) وغيره من علماء التفسير، ونقل كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه التفسير، واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وابن سنان، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضا أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين، من الملائكة والنبیین والمؤمنين، حتى يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: لا إله إلا الله، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة. وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة، وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة - أقوال غريبة. وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير، عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي، ولكن سنده ضعيف، والله أعلم. " تفسير القرآن العظيم، 4/ 351-352.

وقال ابن جرير: " وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار، خالدين فيها أبدا إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة.. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يدخل قوما من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا، وأنا إن جعلناه استثناء في ذلك، كنا قد دخلنا في قول من يقول: "لا يدخل

فمن القرآن قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } سورة آل عمران/116.

وقوله: { وَعَذَابُ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ } سورة التوبة/68.

وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } سورة البينة/6.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " يخبر تعالى عن مآل الفجار، من كفره أهل الكتاب، والمشركون المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسله: أنهم يوم القيامة { فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أي: ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون" ¹.

كما دلت السنة على دخول الكفار النار وخلودهم فيها، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه " ². وفيه أيضا عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون " ³.

وهذا كما قال الله إخبارا عن أهل النار: { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ } [الزخرف:77] وقال تعالى: { لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا } [فاطر:36] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

لذلك كان علينا جميعا أن نصرف من وقتنا وطاقتنا في رد الناس إلى ربهم وهدايتهم حتى يتوب عليهم ويسلمهم من العذاب، ولا يهلك على الله إلا هالك.

وقد صرح العلماء بتأبيد عذاب الكفار في جهنم ناقلين الإجماع على ذلك.

الجنة فاسق ، ولا النار مؤمن"، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا فسد هذان الوجهان، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث " جامع البيان، 15 / 484-485.

وخلاصة القول، فإن هذه المسألة مبحوثة قديما، ومن أحسن من بين التوفيق بين الآيات المتعارضة فيها ابن القيم رحمه الله في كتابيه: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة، ص: 261، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت 1398هـ/1978م، ص 257، وما بعدها ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي(ت1393هـ) في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، فقد شفى فيها الغليل عند قول الله تعالى: { قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } سورة الأنعام/128، وعند قوله تعالى: { لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا } سورة النبأ/23. أنظر : محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع : مكتبة الخراز - جدة، الطبعة : الأولى 1417هـ - 1996م، ص: 93.

¹ - تفسير ابن كثير 457/8.

² - صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم 2850، 2189/4.

³ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، رقم 185، 172/1.

قال أبو الحسن الأشعري(ت324هـ): " قال المسلمون كلهم إلا جهماً أن الله يخلد أهل الجنة في الجنة ويخلد الكفار في النار".¹

وقال القرطبي(ت671هـ) بعد ذكر الأحاديث في خلود الكفار في النار: " هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة... فمن قال: إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية، وبجملتها خاوية على عروشها، وأنها تقنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول".²

وقال ابن رجب الحنبلي(ت795هـ): " وعذاب الكفار في النار، لا يفتر عنهم، ولا ينقطع، ولا يخفف، بل هو متواصل أبداً".³

وقال السفاريني(ت1188هـ): " وأما أهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم، كلما مر عليهم زمن أولد لهم الخلود فلا يُفتر عنهم العذاب ولا ينقطع، ولا إن بكى أحدهم واستغاث ينتفع، فعذابهم متواصل في دار الهوان بما كانوا يكفرون".⁴

هذا، وقد نقل القاضي عياض(ت544هـ) الإجماع على أن الكفار لا تنتفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا بتخفيف عذاب، لكنهم بإضافة بعضهم للكفر كبائر المعاصي، وأعمال الشر، وأذى المؤمنين، وقتل الأنبياء والصالحين، يزدادون عذاباً، كما قال تعالى: { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } الآيات".⁵

ثم إنهم مع ذلك، فهم ليسوا في درجة واحدة من العذاب، بل يتفاوتون في ذلك بحسب شدة كفرهم وطغيانهم وصددهم عن سبيل الله، كقوله تعالى: { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } سورة النحل/88.

قال ابن كثير: " أي: عذابا على كفرهم، وعذاباً على صددهم الناس عن اتباع الحق، كما قال تعالى: { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ } [الأنعام/ 26]، أي: ينهون الناس، عن اتباعه، ويبتعدون هم منه أيضاً... وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم، كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم، كما قال الله تعالى: { قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف : 38]".⁶

¹ - أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م، 1/ 125.

² - القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة: الأولى، 1425هـ، ص: 926.

³ - ابن رجب الحنبلي، التخييف من النار والتعريف بحال دار البوار، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان - دمشق، الطبعة: الثانية، 1409 هـ - 1988م، ص: 194.

⁴ - لوامع الأنوار البهية للسفاريني، 2/ 228.

⁵ - القاضي عياض، شرح صحيح مسلم المسمى: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء - مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998م، 1/ 597 والآيات بتمامها: { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ } سورة المدثر/42-46.

⁶ - تفسير ابن كثير 4/ 593.

وفي تقرير هذا التفاوت في عذاب الكفار يقول القاضي عياض: " وكذلك الكافر يُعَذَّبُ بكفره، ثم يزداد إجرامه وإفساده في الأرض وعُتوه، وكثير إحداثه في العباد والبلاد، فذاك يُعَذَّبُ أشدَّ العذاب كما قيل في فرعون¹، ومن لم يكن بهذه السبيل عُذِّبَ بقدر كفره، فكان أخف عذاباً ممَّنْ عُذِّبَ أشدَّ العذاب، فليس إذاً عذابُ أبنى طالب كعذاب أبنى جهل وإن اجتمعا في الكفر، ولا عذاب عاقِر الناقة من قوم ثمود كعذاب غيره من قومه، ولا عذاب قتلة عيسى² ويحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء كغيرهم من الكفار³."

المطلب الثاني: أحكام الكافر الأصلي في الدنيا

الأحكام التي ذكرناها في المطلب السابق تتعلق بأحكام الآخرة، وهي خاصة بمصير من بلغته رسالة الإسلام فرفضها وأصر على كفره حتى مات على ذلك، فهو متوعد بالنار يوم القيامة خالداً فيها { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } سورة الكهف/49.

وأما في الدنيا، فإن للكفار أحكام أخرى حيث إن الشريعة الإسلامية تفرق بينهم بحسب عدائهم للمجتمع المسلم، إذ الكفار الأصليون - باعتبار مسالمتهم وحربهم - على قسمين، أجملهم الإمام ابن القيم (ت 751هـ) بقوله: " الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد؛ وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان⁴." وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: " كان المشركون على منزلتين من النبي صلى الله عليه و سلم والمؤمنين، كانوا مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونهم، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونهم⁵."

ولهذا الاعتبار " فلا يستوي في الشريعة أبو طالب وأبو جهل، نعم كلاهما كفر بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن أحدهما أعلن العداء لدين الحق وحارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بينما دافع الآخر عن الحق، وحماه، وذاد عن حياضه؛ وإن لم يؤمن به، فلا سواء في أحكام الدنيا بين هذا وذاك⁶." والحديث عن أحكام هذه الأصناف نجله - حسب ما ورد في كتب الفقه - كما يلي:

أولاً : أهل العهد وهم أنواع:

1- الذميون (أهل الذمة):

¹ - المقصود قوله تعالى: { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } سورة غافر/46، قال ابن القيم (ت 751هـ): " وهذا تنبيه على أن فرعون نفسه في الأشد من ذلك، لأنهم إنما دخلوا أشد العذاب تبعاً له، فإنه هو الذي استخفهم فأطاعوه، وغرهم فاتبعوه. ولهذا يكون يوم القيامة إمامهم وفرطهم في هذا الورد، قال تعالى: { يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ } [هود: 98] . والمقصود: أنهم استحقوا أشد العذاب لغلظ كفرهم، وصدهم عن سبيل الله وعقوبتهم من آمن بالله. " ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتین، ص: 409.

² - يقصد: من اجتمعوا على قتله، لأن الله تعالى قال عن عيسى عليه السلام: { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ } سورة النساء/157.

³ - إكمال المعلم بفوائد مسلم، 597/1.

⁴ - أحكام أهل الذمة، 873/2.

⁵ - صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن، الحديث 4982، 2024/5.

⁶ - منقذ بن محمود السقار، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م، ص: 4.

الذمة في اللغة " بمعنى العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق"¹.

وفي اصطلاح العلماء ف(أهل الذمة) هم الكفار المقيمون تحت ولاية المسلمين وفي دولتهم، حيث أعطاهم المسلمون العهد والميثاق على حقن دمائهم وحمايتهم ونصرتهم بشرط أن يعطوا الجزية، قال ابن القيم: ولفظ " الذمة والعهد " يتناول هؤلاء² كلهم في الأصل، وكذلك لفظ " الصلح "، فإن الذمة من جنس لفظ العهد، والعقد.

وقولهم: " هذا في ذمة فلان " أصله من هذا: أي في عهده، وعقده...ولكن صار - في اصطلاح كثير من الفقهاء - " أهل الذمة " عبارة عن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم³.

فأهل الذمة هم " الكفار المقيمون تحت ذمة المسلمين بالجزية "⁴ أي بدفعها.

وبين الدكتور منقذ السقار المعاني السامية والدقيقة التي يحملها هذا المصطلح (أهل الذمة) ردا على وسائل الإعلام التي تنفت سمومها حول هذا المفهوم حتى يحسبه كثيرون سبة شنيعة فقال : " فأهل ذمة المسلمين هم - كما قال سليمان الجبرمي(ت1221هـ) - أهل: "عهدهم وأمانهم وحرمتهم"⁵.

و(ذمة الله وذمة رسوله) وصف جميل يشتمل على الكثير من التكريم، وقد أمر به في حق المسلمين الذين عهد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن دمائهم وأموالهم، قال صلى الله عليه وسلم : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فَلَا تُخْفَرُوا الله في ذمته⁶ »⁷، وكذلك فإن من ذمة الله التي يرقبها المسلم ما لا يعطاه إلا المؤمن الذي يصلي الفجر في جماعة، قال صلى الله عليه وسلم: « من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يَطْلُبُكُمُ الله من ذمته بشيء فَيُدْرِكُهُ فَيَكْبَهُ في نار جهنم⁸ »، فمن كان هذا حاله فهو في أمان الله وعهده وضمانه؛ فلا ينبغي أن يتعرض له أحد بالإيذاء.

وهذا المعنى الرفيق هو ما نريده حين نسمي مواطنينا غير المسلمين (أهل ذمة الله ورسوله)، أي لهم عهد من

¹ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (نم) 168/2.

² - يقصد: أهل الذمة وأهل الهدنة وأهل الأمان.

³ - أحكام أهل الذمة، 873/2-874.

⁴ - ابن الميزد (ت909هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرق، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، دار المجتمع، جدة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م، 289/2. قال محمود الأرناؤوط: « قَيِّدْ نِسْبَتَهُ بِكسر الميم مُعْظَمَ مَنْ تَرَجَّمَ لَهُ، وهو الأشبه عندي ». (هامش شذرات الذهب 62/10).

⁵ - سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرِمِيّ المصري الشافعي، التجريد لنفع العبيد (حاشية الجبرمي على شرح المنهج)، مطبعة الحلبي، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1369هـ - 1950م 4/263.

⁶ - قال ابن رجب: " قوله: « فلا تخفروا الله في ذمته »، أي: لا تغدروا بمن له عهد من الله ورسوله، فلا تقوا له بالضمان، بل أوفوا له بالعهد، بالعهد،

وهو مأخوذ من قولهم: أخفرت فلانا، إذا غدرت به " فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب، 3/58.

⁷ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، حديث 384، 153/1.

⁸ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة حديث 657، 1/454.

الله ورسوله بالأمان، فينبغي على كل مسلم رعايته وعدم التعرض لهم بالإيذاء"¹.

وهذا العهد بالأمان منوط بإعطاء الجزية " وسبب وضع الجزية فهو قوله تعالى: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } سورة التوبة(29)"².

والجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة، وتسميتها بذلك للاجتراء بها عن حقن دمهم³.

وقال أبو الوليد الباجي الأندلسي(ت474هـ): " الجزية إنما تؤخذ منهم على وجه العوض لإقامتهم في بلاد المسلمين والذب عنهم والحماية لهم"⁴.

وقد أمر الله بأخذ الجزية من المقاتلين دون غيرهم كما نصت الآية على ذلك، قال القرطبي(ت671هـ):

" قال علماؤنا رحمة الله عليهم: والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين، لأنه تعالى قال: { قَاتِلُوا الَّذِينَ } إلى قوله: { حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ } سورة التوبة/29، فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل... وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماع الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني⁵.

وعن أسلم، مولى عمر أن عمر، كتب إلى عماله: " لا تضربوا الجزية على النساء والصبيان، ولا تضربوها إلا على من جرت عليه موسى"⁶ أي ناهز الاحتلام.

واتفق الفقهاء على أخذ الجزية من أهل الكتاب والمجوس، واختلفوا فيمن سواهم من الكفار، قال ابن قدامة:

" ولا نعلم بين أهل العلم خلافا في هذين القسمين (يعنى أهل الكتاب والمجوس) في قبول الجزية منهم وإقرارهم على دينهم"⁷.

وعرض ابن القيم أقوال المذاهب في هذه المسألة ثم خلاص إلى أن القول الراجح قبول الجزية من جميع

الكفار على اختلاف أصنافهم استنادا إلى حديث⁸ بريدة رضي الله عنه، قال: "إن الجزية تؤخذ من كل كافر،

¹ - التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، ص: 5.

² - أحكام أهل الذمة، 79/1.

³ - المفردات في غريب القرآن، مادة (جزأ) ص: 195.

⁴ - أبو الوليد الباجي، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332هـ، 2 / 175.

⁵ - تفسير القرطبي، 8 / 112.

⁶ - أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، 6 / 429.

⁷ - المغني: 212/9 بتصرف.

⁸ - المقصود حديث بريدة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في " صحيحه " قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش، جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأبتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من

هذا ظاهر هذا الحديث وَلَمْ يَسْتَنْتِ مِنْهُ كَافِرًا مِنْ كَافِرٍ. ولا يقال: هذا مخصوص بأهل الكتاب خاصة، فإن اللفظ يأبى اختصاصهم بأهل الكتاب، وأيضا فسرايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجيوشه أكثر ما كانت تقاتل عبدة الأوثان من العرب.

ولا يقال: إن القرآن يدل على اختصاصها بأهل الكتاب، فإن الله سبحانه أمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال المشركين حتى يعطوا الجزية، فيؤخذ من أهل الكتاب بالقرآن ومن عموم الكفار بالسنة، وقد أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجوس وهم عباد النار لا فرق بينهم وبين عبدة الأوثان¹.

وفي زمننا الحاضر، هناك من المغرضين من يعيب على المسلمين ما قرره القرآن من الجزية على الذين رفضوا الدخول في الإسلام، واعتبروها نوعاً من الإكراه على الإسلام، وأنها جزاء وعقوبة على الكفر، وأن فيها ظلماً لأهل الذمة إلى غير ذلك من المزاعم التي تصدر ممن حُرِّم التحقيق والإنصاف، وقد ناقش الدكتور منقذ السقار هذه الادعاءات ورد عليها بكلام أهل العلم وخلص إلى أن " الجزية نظام عرفته الأمم قديماً كما شرعته الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، بيد أن الإسلام سما بهذه الشريعة، وأضاف إليها ضمانات فريدة في مقابل دنائير معدودة سارع أهل الذمة إلى دفعها²."

وحكم أهل الذمة المعاهدين الذين يسكنون المسلمين في ديارهم ويدفعون الجزية أنهم يخضعون للأحكام الإسلامية³ في غير ما أقرروا عليه في خاصة أمورهم وما تعلق بدينهم من شرائع، ولهم على المسلمين الكف

أن تخفروا ذمة الله و ذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا» صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، الحديث 1731، 1357/3.

¹ - أحكام أهل الذمة، 89/1، وانظر بقية الأصناف التي تؤخذ منهم الجزية ومقدارها في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي، الباب الثالث عشر: "في وضع الجزية والخراج"، دار الحديث - القاهرة، ص: 221.

² - منقذ السقار، التعايش مع غير المسلمين، مرجع سابق ص: 51، ومما جاء في كلامه أيضا: " ليست - كما زعم بعض الفقهاء وتلقفها المتربصون - عقوبة ينالها الكافر على كفره، فإن عقوبة الكفر لن تكون بضعة دنائير .

ولو كانت الجزية عقوبة على الكفر لما أسقطت عن النساء والشيوخ والأطفال لاشتراكهم في صفة الكفر، بل لو كان كذلك لزداد مقدارها على الرهبان ورجال الدين، بدلاً من أن يُعفوا منها.

وقد تبين لنا أن الله هو يتولى حساب من كفر به في الآخرة: { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } (الزمر: 14 - 15). "التعايش مع غير المسلمين، ص: 41

³ - قال علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت885هـ): " لا يجوز عقد الذمة إلا بشرطين: بذل الجزية، والتزام أحكام الملة من جريان أحكام المسلمين عليهم.. يلزم الإمام أن يأخذهم بأحكام المسلمين في ضمان النفس والمال والعرض، وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه" **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، 4/ 232. أي يجب على الإمام أخذ أهل الذمة بحكم الإسلام في النفس، والمال، والعرض، وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه كالزنى، لا فيما يعتقدون حله كالخمر والخنزير فلا يعاقبون عليه، لكن يمنعون من إظهاره. وذكر ابن حزم شرطاً آخر وهو إقرارهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وإن لم يؤمنوا به، وعدم الطعن في الإسلام، قال: " ولا يقبل من يهودي، ولا نصراني، ولا مجوسي: جزية، إلا بأن يقرروا بأن محمداً رسول الله إلينا، وأن لا يطعنوا فيه، ولا في شيء من دين الإسلام؛ لحديث ثوبان الذي ذكرنا آنفاً ولقول الله تعالى: { وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُنَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ } [التوبة: 12].

عنهم وحمايتهم.

قال الماوردي (ت450هـ): " ويلتزم - أي الإمام - لهم ببذلها حقين: أحدهما الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين"¹.

والغرض من عقد الذمة مع الكتابي والمجوسي: أن يترك القتال، مع احتمال دخولهما الإسلام عن طريق مخالطتهما للمسلمين، ووقوفهما على محاسن الدين، فكان عقد الذمة للدعوة إلى الإسلام، لا للرغبة في المال. ويتلخص مما تقدم أن وصف الكافر بالذمي لا يصح إلا إذا كان ممن يدفع الجزية للمسلمين. وهذا غير موجود في زماننا هذا، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت1421هـ) رحمه الله: " أهل الذمة هم: الذين بقوا في بلادنا، وأعطيناهم العهد والميثاق على حمايتهم ونصرتهم بشرط أن يبذلوا الجزية. وقد كان هذا موجوداً حين كان الإسلام عزيزاً، أما اليوم فإنه غير موجود، إلا أن يشاء الله وجوده في المستقبل"². وهذا العقد لا يجوز إلا من الإمام أو نائبه كما سيأتي في الكلام على أهل العهد.

2- أهل الهدنة:

الهدنة، هي السكون، تقول: هَدَنْتُ أَهْدِنُ هُدُوناً إذا سكنتَ فلم تَتَحَرَّكْ³، وتعني كذلك الصلح⁴، وهادنته مهادنةً، إذا وادعته الحرب.. وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « هُدْنَةُ عَلَى دَخْنٍ »⁵، أي موادة تحتها عداوة⁶.

وهو قول مالك، قال في المستخرجة: من قال من أهل الذمة: إنما أرسل محمد إليكم لا إلينا فلا شيء عليه، قال: فإن قال لم يكن نبيا قتل". **المحلى بالآثار**، 5/ 375-376، وحديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه مسلم وغيره، قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» ثم ذكر الحديث، وفي آخره: إن اليهودي قال له: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف. **صحيح مسلم**، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما رقم 315، 252/1. قال ابن حزم في تعليقه على الحديث: " ففي هذا الخبر ضرب ثوبان - رضي الله عنه - اليهودي إذ لم يقل: رسول الله، ولم ينكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصح أنه حق واجب، إذ لو كان غير جائز لأكرهه عليه - وفيه أن اليهودي قال له: إنك لنبي، ولم يلزمه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ترك دينه". **المحلى بالآثار**، 375/5.

¹ - الأحكام السلطانية للماوردي، ص: 223.

² - محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1422 - 1428 هـ، 5/ 213-214.

³ - كتاب العين، مادة (هدن) 4/ 26.

⁴ - أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، 2/ 87.

⁵ - الحديث أخرجه أبو داود بطوله من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إن الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر... قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير شر؟ قال: «فتنة وشر»، قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟ قال: «يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه» ثلاث مرار، قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟ قال: «هدنة على دخن، وجماعة على أقذاء، فيها - أو فيهم -» قلت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: «لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه» قال: قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شر؟ قال: «فتنة عمياء، صماء، عليها دعاة على أبواب النار، فإن تَمُتْ يا حذيفة وأنت عاض على جذلٍ، خير لك من أن تتبع أحدا منهم». سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم 4248، 4/ 155، وحسنه الألباني.

⁶ - ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (دنه)، 2/ 687.

وبهذا المعنى عرف الفقهاء أهل الهدنة، فهم الكفار الذين صالحهم إمام المسلمين أو هادئهم على ترك القتال بينهم، قال ابن القيم: " أهل الهدنة، فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مال، أو غير مال، لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد، وأهل الصلح، وأهل الهدنة"¹.

ولا يعقد هذا العهد إلا للإمام أو نائبه كما هو الحال في عقد الذمة. قال ابن قدامة المقدسي (ت620هـ): " ولا يجوز عقد الهدنة ولا الذمة إلا من الإمام أو نائبه؛ لأنه عقد مع جملة الكفار، وليس ذلك لغيره، ولأنه يتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة، ولأن تجويزه من غير الإمام يتضمن تعطيل الجهاد بالكلية، أو إلى تلك الناحية، وفيه افتيات"² على الإمام.

فإن هادئهم غير الإمام أو نائبه، لم يصح. وإن دخل بعضهم دار الإسلام³ بهذا الصلح، كان آمناً؛ لأنه دخل معتقدا للأمان، ويرد إلى دار الحرب، ولا يقر في دار الإسلام؛ لأن الأمان لم يصح"⁴.

ثم بين ابن قدامة التزامات الحاكم المسلم تجاه هذا العقد فقال: " وإذا عقد الهدنة، لزمه الوفاء بها؛ لقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ } [المائدة:1]. وقال تعالى: { فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ } [التوبة:4]، فإن نقضوا العهد، جاز قتالهم؛ لقول الله تعالى: { وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ } [التوبة:12]... وإذا عقد الهدنة، فعليه حمايتهم من المسلمين وأهل الذمة؛ لأنه آمنهم ممن هو في قبضته وتحت يده، كما آمن من في قبضته منهم. ومن أئلف من المسلمين أو من أهل الذمة عليهم شيئاً، فعليه ضمانه، ولا تلزمه حمايتهم من أهل الحرب، ولا حماية بعضهم من بعض؛ لأن الهدنة التزام الكف عنهم فقط."⁵

3- المستأمنون (أهل الأمان):

الأمان والأمانة بمعنى. وقد أمنت فأنا آمن. وأمنت غيري، من الأمن والأمان... والله تعالى المؤمن، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم... والأمن: ضد الخوف"⁶. واستأمن الحربي: استجار ودخل دار الإسلام مستأمناً. وهؤلاء قوم مستأمنون. ويقول الأمير للخائف: لك الأمان أي قد أمنتك."⁷

أما المستأمنون: فهو جمع المستأمن بكسر الميم اسم فاعل، ويصح بالفتح اسم مفعول، والسين والتاء

¹ - أحكام أهل الذمة 2/ 874.

² - قال الجوهري: " الافتيات: افتعال من الفت، وهو السبق إلى الشيء دون ائتمار من يؤتمر. تقول: افتات عليه بأمر كذا، أي فاتته به. وفلان لا يُفتات عليه، أي لا يعمل شيء دون أمره " معجم الصحاح، مادة [فت] 260/1.

³ - سيأتي الحديث عن تقسيم العلماء البلاد إلى دار الإسلام ودار الكفر إن شاء الله تعالى.

⁴ - المغني لابن قدامة، 298/9.

⁵ - نفسه، 299/9.

⁶ - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (أمن)، 2071/5.

⁷ - الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (أ م ن)، 35/1.

للصيرورة: أي من صار مؤامناً¹.

ف(أهل الأمان): هم غير المسلمين - من أهل الحرب- الذين يقيمون في دار الإسلام إقامة مؤقتة²، وعقد الأمان يشبه اليوم تأشيرة الدخول والإقامة، قال النووي(ت676هـ): " المُستأمن هو الحربي الذي دخل دار الإسلام بأمان"³.

وقال ابن عبد البر(ت463هـ): " وأمان كل مسلم حضر العسكر جائز لكل كافر، وسواء كان المسلم حراً أو عبداً أو امرأة إذا كان بالغاً عاقلاً جاز أمانه " وهذا " قول مالك وجمهور أهل العلم"⁴.

وقال ابن قدامة: " يجوز عقد الأمان لجميع الكفار وآحادهم، لقول الله تعالى: { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } [التوبة: 6] "⁵.

فالمستأمن إذن هو الكافر الذي دخل دار الإسلام، وأعطاه أحد المسلمين الأمان، ويحرم بذلك دم المؤمن وماله، قال ابن قدامة: " وجملته أن الأمان إذا أعطي أهل الحرب، حُرِّمَ قَتْلُهُمْ وَمَالُهُمْ وَالتَّعَرُّضُ. ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار، ذكر كان أو أنثى، حراً كان أو عبداً. وبهذا قال الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق، وابن القاسم، وأكثر أهل العلم."⁶

واستدل الجمهور على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: " وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر⁷ مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل "⁸، وروى عبد الرزاق(ت211هـ) والبيهقي(ت458هـ) أن زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم أجارت زوجها أبا العاص بن الربيع « فأمضى النبي صلى الله عليه وسلم جوارها»⁹، كما أمضى صلى الله عليه وسلم جوار أم هانئ¹⁰.

¹ - حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م، 4/166.

² - جمهور الفقهاء على وجوب توقيت مدة الأمان، وقال بعض الحنابلة يصح مطلقاً بدون توقيت. أنظر: المغني لابن قدامة، 9/244، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت977هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م، 6/53.

³ - يحيى بن شرف النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1408هـ، ص: 325.

⁴ - ابن عبد البر القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد ولد ماديك، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة: الثانية، 1400هـ/1980م، 1/468-469.

⁵ - ابن قدامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م، 4/161.

⁶ - المغني ، 9/241.

⁷ - قال الخطابي (ت388هـ) : " وقوله: يسعى بها أدناهم فمعناه: أن يحاصر الإمام قوماً من الكفار فيعطي بعض أهل عسكر المسلمين أماناً لبعض الكفار فإن أمانه ماض وإن كان المجبر عبداً وهو أدناهم وأقلهم...وقوله: فمن أخفر مسلماً، يريد نقض العهد " أبو سليمان الخطابي، معالم السنن، شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م، 2/224.

⁸ - صحيح البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، الحديث 3008، 3/1160.

⁹ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، كتاب الجهاد، باب الجوار، وجوار العبد والمرأة، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، الطبعة: الثانية، 1403هـ، الحديث 9442، 5/224. أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، كتاب السير، باب أمان المرأة،

تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، الحديث 18179، 9/162.

¹⁰ - الحديث أخرجه البخاري بسنده أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تسترته فسلمت عليه، فقال: (من هذه)، فقلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: (مرحباً بأم هانئ). فلما فرغ من غسله قام

وفصل ابن القيم أقسام المستأمنين الذين يدخلون بلاد المسلمين لغير الاستيطان، فقال: " وهؤلاء أربعة أقسام: رسل، وتجار، ومستجبرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاعوا دخلوا فيه، وإن شاعوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة، أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهاجروا، ولا يقتلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحق بمأمنه ألحق به، ولم يُعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان.¹

ويندرج- في هذا الزمن- في هؤلاء: سفراء الدول المعادية ودبلوماسيهم وصحفيهم ومن في حكمهم. والفرق بين أمان الذمي وبين المستأمن هو: أن أمان الذمي مؤبد، وأمان المعاهد والمستأمن مؤقت بمدة إقامته. مما تقدم تبين لنا أن أنواع الكفار الثلاثة المتقدمة إذا دخلوا بلاد المسلمين بعهد أو أمان، أو أقاموا بينهم؛ فهم في ذمة المسلمين وعهدهم، والله يقول: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } سورة الإسراء/34. فلا يجوز التعرض لهم بأذى أو قتل، لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»².

وقال صلى الله عليه وسلم: « من قتل معاهداً³ لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً⁴، قال الحافظ ابن حجر: " والمراد به - أي : المعاهد - من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية، أو هدنة سلطان، أو أمان من مسلم¹ ».

فصلي ثماني ركعات ملتحقاً في ثوب واحد، فقلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (قد أجرنا من أجرته يا أم هانئ) . صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب أمان النساء وجوارهن، الحديث 3000، 1157/3.

¹ - أحكام أهل الذمة، 874/2، وانظر بقية من يلحق بالمستأمن من الكفار الحربيين وحالات دخولهم دار الإسلام: شرح السير الكبير، محمد بن أحمد السرخسي (ت 483هـ)، الشركة الشرقية للإعلانات، بدون طبعة، 1971م، 1/ 551، و ابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، الكافي في فقه الإمام أحمد ، 4/ 163.

² - سنن أبي داود، كتاب الخراج ، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلوا بالتجارات، الحديث 3054 ، 3/ 136 ، وصححه الألباني. قال العظيم آبادي (ت 1329هـ): " (أو انتقصه) أي نقص حقه وقال الطيبي: أي عابه .. (أو كلفه فوق طاقته) أي في أداء الجزية أو الخراج بأن أخذ ممن لا يجب عليه الجزية أو أخذ ممن يجب عليه أكثر مما يطيق (فأنا حجيجه) أي خصمه ومحاجه ومغالبه بإظهار الحجج عليه " أبو عبد الرحمن، شرف الحق الصديقي، العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ، 8/ 211

³ - قال ابن الأثير: " يجوز أن يكون (معاهدا) بكسر الهاء وفتحها على الفاعل والمفعول، وهو في الحديث بالفتح أشهر وأكثر. " النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (عهد)، 3/ 325.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، الحديث 2995، 3/ 1155، " وسئل فضيلة الشيخ العثيمين (ت 1421هـ) رحمه الله: البعض يتأول في مسألة أهل الذمة بدعوى عدم وجود ولي الأمر العام أو الخلافة، أو لعدم وجود أهل الذمة أصلاً بدعوى عديدة، ولذلك لا يجدون غضاضة في دعوة الناس للاعتداء على غير المسلمين من المعاهدين؟

فأجاب بقوله: أنا أوافق على أنه ليس عندنا أهل ذمة؛ لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤدون الجزية، وهذا مفقود منذ زمن طويل، لكن لدينا معاهدون ومستأمنون ومعاهدون عامة، ومعاهدة خاصة، فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعملٍ أو تجارة وسمح له بذلك فهو: إما معاهد أو مستأمن فلا يجوز الاعتداء عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أن من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة" . فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله- عز وجل- محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمن أخل بذلك فقد

وعن رفاعه بن شداد القتباني قال: " قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ؛ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولَ كَافِرًا ²."

ولهذه العقود شروط ونواقض مذكورة في كتب الفقه، وانظر لها: " أحكام أهل الذمة " لابن القيم رحمه الله.

ثانيا: أهل الحرب

وهم القسم الثاني من الكفار من غير أهل الذمة والعهد والأمان في تصنيف الفقهاء، يقول ابن القيم: " فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول (براءة) على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب. ³ " ويطلق العلماء على هذا القسم مسمى الحربيين أو المحاربين، فما تعريفهم؟ وما حكم الشرع فيهم؟

الحرب: نقيض السلم.. وفلانٌ حَرْبٌ فلانٍ أي يُحَارِبُهُ، ودار الحرب: بلادُ المشركين الذين لا صلحَ بينهم وبين المسلمين. ⁴

وفلان حَرْبٌ لي، أي عدو مُحَارِبٌ وإن لم يكن مُحَارِبًا. مذكر، وكذلك الأنثى ⁵. ويفهم من هذا الكلام أن لفظ الحربي - الذي هو نسبة إلى الحرب - يحمل دلالة المحارب الذي بينه وبين الطرف الآخر حرب قائمة فعليا أو متوقعة، بجامع العداوة بينهما.

أما معنى الكافر الحربي في اصطلاح الفقهاء: فنسبة إلى الحرب، وهو الذي ليس بينه وبين المسلمين عهد ولا أمان ولا عقد ذمة، قال البعلي الحنبلي (ت709هـ): "الحَرْبِيُّ" منسوبٌ إلى الحرب، وهو القتالُ، ودار الحرب، أي: دارُ التباعُد والبغضاء، فالحربي سمي بذلك بالاعتبار الثاني - أي التباعُد والبغضاء ⁶. وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية ما نصه: " أهل الحرب أو الحربيون: هم غير المسلمين الذين لم يدخلوا في

أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق، فهذا هو الذي يرجى خيره وفلاحه. " مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - 1413هـ، 25 / 492-493.

¹ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، 12 / 259.

² - قال الألباني في تخريج هذا الحديث: " أخرجه البخاري في " التاريخ " والطحاوي في " المشكل " والخرائطي والطبراني في " الصغير " وأبو نعيم في " الحلية " من طرق عن السدي عن رفاعه بن شداد به. وهذا سند حسن " سلسلة الأحاديث الصحيحة، الحديث 440، 1 / 802.

³ - ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ / 1994م، 3 / 145.

⁴ - كتاب العين للفراهيدي، مادة (حرب) 3 / 213.

⁵ - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، الحاء والراء والباء، 3 / 312.

⁶ - محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى 1423هـ - 2003 م، ص: 269.

عقد الذمة، ولا يتمتعون بأمان المسلمين ولا عهدهم.¹

وحدد الدكتور عثمان جمعة ضميرية أن هذا المفهوم الفقهي يشمل عدة أصناف وهم: " الكفار الذين يقاتلون المسلمين بالفعل ويكيدون لهم، والكفار الذين أعلنوا الحرب على الإسلام وأهله، بأن ضيقوا على المسلمين وحاصروهم اقتصاديا، أو فتنهم عن دينهم، أو ظاهروا أعداء الإسلام على المسلمين، والكفار الذين ليس لهم عهد مع المسلمين ولو لم يحاربوهم ولم يظاهروا عليهم، فهؤلاء كلهم يسمون في الاصطلاح الفقهي أهل الحرب أو الحربيين، ولا يشترط أن تكون الحرب قائمة فعلا، وإن كانوا من الناحية التاريخية الواقعية قد ناصبوا الدولة المسلمة العداء والخصام والحرب."²

وعلى هذا فالمراد بالحربيين كل كافر سوى من تقدم ذكره من محقوني الدماء.

والأصل في أهل دار الحرب أنهم حربيون مباحو الدم والمال، يجوز قتالهم عند الجمهور متى ما بلغتهم دعوة الإسلام فامتنعوا عنها³.

قال ابن حزم (ت456هـ): " فمن غزا فليقتل الكفار.. فإن إخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام فرض يعصي الله من تركه قادرا عليه، وكل معصية فهي أقل من تركهم في الكفر وعونهم على البقاء فيه، ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار"⁴.

¹ - الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من 1404 هـ - 1427 هـ)، الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، 104/7.

² - أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، ص: 313.

³ - قال أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (ت372هـ) " قال مالك: لا يُقاتل المشركون ولا يبيّنون حتى يُدعوا إلى الله ورسوله، فيسلموا أو يؤدوا الجزية، قال ابن القاسم: وكذلك إن أتوا إلى بلادنا " خلف بن أبي القاسم محمد ، أبو سعيد ابن البراذعي، التهذيب في اختصار المدونة، دراسة وتحقيق: محمد الأمين ولد محمد سالم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م، 47/2. وقال الماوردي الشافعي: " والمُشْرِكُونَ في دار الحرب صنفان:

صنف منهم بلغتهم دعوة الإسلام فامتنعوا منها وتابوا عليها، فأمر الجيش مخير في قتالهم بين أمرين يفعل منهما ما علم أنه الأصلح للمسلمين، وأنكأ للمشركين؛ من بيّتهم ليلا ونهارا بالقتال والتحريق، وأن يندهم بالحرب وبصافهم بالقتال.

والصنف الثاني: لم تبلغهم دعوة الإسلام، وقل أن يكونوا اليوم؛ لما قد أظهر الله من دعوة رسوله، إلا أن يكون قوم من وراء من يقابلنا من الترك والروم في مبادئ المشرق وأقاصي المغرب لا نعرفهم، فيحرم علينا الإقدام على قتالهم غرة وبياتا بالقتل والتحريق، وأن نبداهم بالقتل قبل إظهار دعوة الإسلام لهم، وإعلامهم من معجزات النبوة وإظهار الحجة بما يقودهم إلى الإجابة، فإن قاموا على الكفر بعد ظهورها لهم حاربهم، وصاروا فيه كمن بلغتهم الدعوة، قال الله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل: 125]. الأحكام السلطانية، ص: 72.

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي: " ويدعى عبدة الأوثان قبل أن يحاربوا " 210/9، " ويقاتل أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويقاتل من سواهم من الكفار حتى يسلموا. " 212/9.

وقال بدر الدين العيني الحنفي (ت855هـ): " (وقاتل الكفار واجب وإن لم يبدؤوا) يعني الكفار الذين امتنعوا عن قبول الإسلام وعن أداء الجزية يجب قتالهم وإن لم يبدؤونا بالقتال. " البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 98-97/7. وانظر المحلى بالآثار، 340/5، والأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى (ت458هـ)، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1421 هـ - 2000 م، ص: 47، وأصول العلاقات الدولية في فقه الشيباني، ص: 313-314.

⁴ - ابن حزم، المحلى بالآثار، 352/5.

ويدل على ذلك ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»¹.

إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أن الأحكام المتعلقة بالكفار الحربيين، إنما تكون مع مشروعية الجهاد، جاء في الموسوعة الفقهية :

" الحرب - كما هو معروف - حالة عداء وكفاح مسلح بين فريقين، تقتضي إباحة الدماء والأموال، وهذا يقتضي بحث حالة العدو في غير حالة العهد، وفي حالة العهد:

أ - في غير حالة العهد: الحربي غير المعاهد مهدر الدم والمال، فيجوز قتل المقاتلين؛ لأن كل من يقاتل فإنه يجوز قتله، وتصبح الأموال من عقارات ومنقولات غنيمة للمسلمين، وتصير بلاد العدو بالغبلة أو الفتح ملكاً للمسلمين، ويكون ولي الأمر مخيراً في الأسرى بين أمور: هي القتل، والاسترقاق، والامن (إطلاق سراح الأسير بلا مقابل) ، والفداء (تبادل الأسرى أو أخذ المال فدية عنهم) ، وفرض الجزية على الرجال القادرين. فإن قبلوا الجزية وعقد الإمام لهم الذمة، أصبحوا أهل ذمة، ويكون لهم ما للمسلمين من الإنصاف، وعليهم ما عليهم من الانتصاف..

ولا تتحقق هذه الأحكام إلا بمشروعية الجهاد"².

ويشترط - كما ذكر في الفتاوى الهندية - لإباحة الجهاد شرطان: " أحدهما: امتناع العدو عن قبول ما دعي إليه من الدين الحق، وعدم الأمان والعهد بيننا وبينهم.

والثاني: أن يرجو (الإمام) الشوكة والقوة لأهل الإسلام باجتهاده أو باجتهاد من يعتقد في اجتهاده ورأيه وإن كان لا يرجو القوة والشوكة للمسلمين في القتال، فإنه لا يحل له القتال لما فيه من إلقاء نفسه في التهلكة."³ وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون تجاه أعدائهم الحربيين:

أ- الشدة في قتالهم حسب ما تقتضيه المصلحة:

قال تعالى: { فَإِذَا تَفَفَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ } سورة الأنفال/57.

قال ابن كثير: "معناه: غلظ عقوبتهم، وأثخنهم قتلاً؛ ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة".⁴

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } سورة التوبة/123.

¹ - متفق عليه، سبق تخريجه.

² - الموسوعة الفقهية الكويتية، 107/7-108.

³ - الفتاوى الهندية، تأليف: لجنة من العلماء برئاسة نظام الدين البليخي، دار الفكر، الطبعة: الثانية، 1310 هـ، 2/188.

⁴ - تفسير ابن كثير، 4/79.

قال الرازي: " وهذه الآية تدل على الأمر بالتغليظ عليهم، ونظيره قوله تعالى: { وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ } [التوبة: 73] وقوله: { وَلَا تَهْنُوا } [آل عمران: 139] ، وقوله في صفة الصحابة رضي الله عنهم: { أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ } [المائدة: 54] وقوله: { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ } [الفتح: 29] وللمفسرين عبارات في تفسير الغلظة، قيل شجاعة وقيل شدة وقيل غيظا.

واعلم أن الغلظة ضد الرقة، وهي الشدة في إحلال النعمة، والفائدة فيها أنها أقوى تأثيرا في الزجر والمنع عن القبيح".

ثم بين أن الأمر بالغلظة لا يكون مطردا حتى لا يكون ذلك سببا في تنفير الناس عن الدين، قال: " قد يحتاج الأمر تارة إلى الرفق واللفظ، وأخرى إلى العنف، ولهذا السبب قال: { وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً } تنبيها على أنه لا يجوز الاقتصار على الغلظة البتة، فإنه ينفر ويوجب تفرق القوم".

فهذه الغلظة في زمن الحرب مما تقتضيه مصلحة الدعوة، وليست قاعدة مطردة في القتال والمواجهة مع الأعداء لما يوجب ذلك من التنفير عن الإسلام، و" إنما تعتبر فيما يتصل بالدعوة إلى الدين، وذلك إما بإقامة الحجة والبينة، وإما بالقتال والجهاد¹، فأما أن يحصل هذا التغليظ فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة والمؤكلة فلا".²

ثم قال: { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } والمراد: أن يكون إقدامه على الجهاد والقتال بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه، فإذا رآه قبل الإسلام أحجم عن قتاله، وإذا رآه مال إلى قبوله الجزية تركه³.

ب - عدم الغدر والخيانة إذا وقع الصلح والهدنة معهم:

جاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق، وجعل الوفاء بالعهود والمواثيق وتحريم الغدر والخيانة في الظاهر والباطن من أحكامه القطعية النافذة على الأفراد والجماعات في السلم والحرب، مع المؤمن والكافر، وليس مجرد شعار يستعمل حيناً، ويهمل حيناً آخر، قال تعالى: { وَإِنْ اسْتَفْضَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } سورة الأنفال/72.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به يقال هذه غدرة فلان ».⁴

وقد ردّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا بصير للمشركين، وأبى أن يقبله بعد أن عاد إليه وفاءً بالعهد الذي بينه وبين المشركين في صلح الحديبية¹.

¹ - ولذلك قال الله تعالى في آية أخرى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئَسُّ الْمَصِيرُ } سورة التحريم/9، قال القرطبي: " أمره أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله، والمنافقين بالغلظة وإقامة الحجة " تفسير القرطبي، 18/201.

² - تفسير الرازي، 16/175-176.

³ - نفسه، 16/174.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، الحديث 1736، 3/1361.

وإذا خشي المسلمون من الكفار نقضًا للعهد فعليهم أن يردوا إليهم عهدهم: { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } سورة الأنفال/58.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ)، يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهده وينقض عقده، ويغدر بك، وذلك هو الخيانة والغدر (فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) الغادرين.²

وعن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو بَرْدُونٍ³ وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفَاءٌ لَا غَدَرٍ، فنظروا فإذا عمرو بن عبسة فأرسل إليه معاوية فسأله، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فَلَا يَشُدُّ عُقْدَهُ وَلَا يَحْلُلُهَا حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء» فرجع معاوية.⁴

قال الخطابي (ت388هـ) في شرح هذا الحديث: "وفيه دليل على أن العهد الذي يقع بين المسلمين وبين العدو ليس بعقد لازم لا يجوز القتال قبل انقضاء مدته، ولكن لا يجوز أن يفعل ذلك إلا بعد الإعلام به والإنذار فيه، ويشبه أن يكون عمرو إنما كره مسير معاوية إلى ما يتاخم بلاد العدو والإقامة بقرب دارهم من أجل أنه إذا كان مسيره إليهم في أيام الهدنة حتى ينيخ بقرب دارهم، كان إيقاعه بهم قبل الوقت الذي يتوقعونه، فكان ذلك داخلا عند عمرو في معنى الغدر."⁵

وقال البغوي (ت516هـ): "وإن نقض أهل الهدنة عهدهم، له أن يسير إليهم على غفلة منهم، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة... ومن دخل إلينا رسولا، فله الأمان حتى يؤدي الرسالة، ويرجع إلى مأمنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن النواحة: «لولا أنك رسول لضربت عنقك»⁶."

¹ - صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، الحديث 2581، حيث جاء في بنود الصلح الذي أبرمه النبي صلى الله عليه وسلم مع سهيل بن عمرو نائبا عن قريش - وكان لا زال مشركا - وتحل من العمة: "فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا... ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين " 974/2.

² - تفسير الطبري 14/25.

³ - "قال الطيبي: المراد بالفرس هنا العربي، وبالبردون (بكسر الموحدة وفتح الذال المعجمة) التركي من الخيل " عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، 312/7.

⁴ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، رقم 2761، 38/3، وصححه الألباني.

⁵ - معالم السنن، 318/2.

⁶ - الحديث بسياقه وتامه أخرجه الحاكم (ت405هـ) وغيره عن القاسم بن عبد الرحمن المسعودي، عن أبيه قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن ها هنا قوما يقرعون من قراءة مسيلمة، فقال عبد الله: «أكتاب غير كتاب الله، أو رسول غير رسول الله بعد فشو الإسلام؟» فرداه فجاء إليه بعد، فقال: يا عبد الله، والذي لا إله غيره أنهم في الدار ليقرؤون على قراءة مسيلمة، وإن معهم لمصحفا فيه قراءة مسيلمة، وذلك في زمان عثمان رضي الله عنه، فقال عبد الله لقرظة وكان صاحب خيل: «انطلق حتى تحيط بالدار

وقال ابن القيم: " ولما أسرت قريش حذيفة بن اليمان وأباه أطلقوهما، وعاهدوهما أن لا يقاتلهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا خارجين إلى بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»² 3".

فهذه النصوص الشرعية وأقوال العلماء شاهدة بعظمة هذا الدين في الوفاء بالعهود المبرمة مع الأعداء وعدم الغدر بهم.

ج - عدم قتل من لا يقاتل غالباً منهم، كالمرأة والصبيان والشيخ الفاني والأجير والعابد في صومعته:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وُجِدَت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان⁴.

وعن رباح بن ربيع، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبعث رجلاً فقال: «انظر علام اجتمع هؤلاء» فجاء فقال على امرأة قتيل، فقال «ما كانت هذه لتقاتل». قال وعلى المقدمة خالد بن الوليد فبعث رجلاً فقال «قل لخالد لا يقتلن امرأة ولا عسيفاً»⁵.

والمراد بالعسيف هو من يكون عمله بعيد الصلة بالأعمال القتالية، قال الشوكاني: "وأما العبد؛ فلم يرد ما يدل على عدم جواز قتله... ولا يصح قياسه على العسيف؛ لأن العسيف لا يقاتل، وإنما هو لحفظ المتاع والدواب، وإن قاتل جاز قتله"⁶.

د - حل دمائهم وأموالهم:

فتأخذ من فيها» ، ففعل فأثاه بثمانين رجلاً، فقال لهم عبد الله: «ويحكم أكتاب غير كتاب الله تعالى، أو رسول غير رسول الله؟» فقالوا: نتوب إلى الله، فإننا قد ظلمنا، فتركهم عبد الله لم يقاتلهم، وسيرهم إلى الشام، غير رئيسهم ابن النواحة أبي أن يتوب، فقال عبد الله لقرظة: «اذهب فاضرب عنقه، واطرح رأسه في حجر أمه، فإني أراها قد علمت فعله ففعل» التعليق - من تلخيص الذهبي 4378 - صحيح.

ثم أنشأ عبد الله يحدث بحديث، فقال: إن هذا (ابن النواحة) جاء هو وابن أثال رسولين من عند مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تشهد أني رسول الله؟» فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا إنك رسول لقتلتك»، فجرت السنة يومئذ أن لا يقتل رسول. «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين ، كتاب المغازي والسرايا، رقم الحديث 4378، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990م، 54/3-55.

¹ - شرح السنة، 11/ 167.

² - الحديث أخرجه مسلم وغيره من حديث حذيفة بن اليمان، قال: ما منعتني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم» صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، رقم 1787، 3/ 1414.

³ - زاد المعاد في هدي خير العباد، 5/ 81.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، الحديث 2852 ، 3/ 1098.

⁵ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، رقم 2671 ، 3/ 6، وصححه الألباني.

⁶ - الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، دون تاريخ، ص: 952.

قال تعالى: { وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } سورة الأحزاب/27.

قال الطبري: " وملككم بعد مهلكهم أَرْضَهُمْ ، يعني مزارعهم ومغارسهم وَدِيَارَهُمْ، يقول: ومساكنهم وَأَمْوَالَهُمْ، يعني سائر الأموال غير الأرض والدور. ¹"

المطلب الثالث: حكم الكافر المرتد، والرد على الشبهات المثارة حوله²:

قضية قتل المرتد جاءت في الشريعة في غاية الوضوح، وعليها أدلة صحيحة صريحة لا تأويل فيها، وعليها عمل الصحابة، وحكى فيها أهل العلم الإجماع عليها.

والمرتد هو التارك لدين الإسلام بعد الدخول فيه، كما سبق بيانه، وهو شر من الكافر الأصلي، لأنه عرف الحق ثم خرج عنه، وهذا بخلاف من لم يعرف الحق ولا اهتدى بنور الإسلام، كما أن المفسدة التي تترتب على ردة المسلم عن دينه أعظم بكثير من مفسدة بقاء الكافر الأصلي على كفره، قال الشافعي (ت: 204هـ) رحمه الله: " ولا رجع عن الإيمان أبداً أشد ولا أبين كفراً ممن أخبر الله عز وجل عن كفره بعد إيمانه. ³"

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ): " والمرتد شر من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة ⁴." وقال الخطيب الشربيني (ت 977هـ): " هي (الردة) أفحش الكفر وأغلظه حكماً، محبطة للعمل إن اتصلت بالموت ⁵." فلا أكفر ممن ذاق طعم الإيمان ثم نكص على عقبيه وارتمى إلى حمأة الكفر مرة أخرى.

وقد ثبتت عقوبة المرتد بالسنة الصحيحة وإجماع الأمة، إلا أنه وُجد في العصر الحديث من خالف هذا الإجماع وأنكر هذه العقوبة، وحاول إلغائها؛ إما بالطعن في مصدرها كحكم شرعي زعما منه أنها غير منصوص عليها في القرآن⁶، وإما بالاستدلال بآيات تدعو إلى حرية الاعتقاد المنافية لها، أو بالطعن في

¹ - تفسير الطبري 20 / 250.

² - لقد شغب كثير ممن ينتسب إلى الإسلام على هذا الحد الشرعي الحكيم، جهلاً أو تجاهلاً، عما وراءه من الحكم العظيمة والمراعاة للمصالح العليا للمجتمع المسلم، ولكثرة ما أثير حول حد الردة من شبهات، فإننا نحيل القارئ على الدراسات والأبحاث والمقالات المتخصصة في هذا الموضوع، ومن ذلك كتاب: عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين للدكتور عبد العظيم المطعني. وكتاب: قتل المرتد إذا لم يتب للدكتور عبد الله الأهل.

وكتاب: عقوبتا الزاني والمرتد ودفع الشبهات للدكتور عماد الشربيني.

وفي مثل هؤلاء خصص الشاطبي (ت 790هـ) في كتابه الاعتصام فصلاً بعنوان: وجوه مخالفة أهل البدع لطريق الحق، وذكر فيه ثمانية من أوجه الانحراف في الاستدلال، منها: ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم. انظر: الاعتصام، 1/ 294.

³ - تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - السعودية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006 م، 2 / 940.

⁴ - مجموع الفتاوى، 2 / 193.

⁵ - شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م، 5 / 427.

⁶ - من هؤلاء: الشيخ محمد رشيد رضا (ت 1354هـ) غير أنه لا ينكر ثبوت حكم الردة بالسنة وعمل الصحابة، حيث يقول: " ليس في القرآن أمرٌ بقتل المرتد، بل فيه ما يدل على عدم قتل المرتدين المسالمين الذين لا يحاربون المسلمين، ولا يخرجون عن طاعة الحكومة، فقد جاء في

الأحاديث التي تنص بوضوح على ثبوتها، أو تأويلها، أو غير ذلك من الادعاءات التي مؤداها إنكار هذا الحكم الثابت.

والظاهر أنه لم تنص آيات القرآن الكريم على عقوبة دنيوية للردة، لكن بعض العلماء حاول استنباطها من سياق بعض الآيات وعموم دلالاتها:

(1) استدل الإمام الشافعي (ت204هـ) على وجوب قتل المرتد بعموم الآيات التي جاءت صريحة في قتال وقتل الكافرين والمشركين إلا من استثناه الشرع، وهم الذميون والمستأمنون، فلما كان المرتد كافراً وليس ذمياً ولا مستأمناً كان داخلاً في عموم هذه الآيات، قال رحمه الله: "الذي أبحث به دم المرتد ما أباح الله به دماء المشركين"¹، قال الله تبارك وتعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال: 39] وقال عز وجل: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ} [البقرة: 177]، ثم بين علة هذا الحكم بكون جريمة الردة أعظم وأكبر من الكفر الأصلي، فقال: "حكم المرتد حكم الذي لم يزل كافراً محارباً وأكبر منه؛ لأنه قد خرج من الذي حُقِّنَ به دمه ورجع إلى الذي أُبِيحَ الدم فيه والمال، والمرتد به أكبر حكماً من الذي لم يزل مشركاً؛ لأن الله عز وجل أحبط بالشرك بعد الإيمان كل عمل صالح قدم قبل شركه"².

(2) من هذه الآيات كذلك: قوله تعالى: {يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمْ

تفسيرنا لقوله تعالى: {إِنْ اغْتَرَّوْكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} (النساء: 90) من سورة النساء ما نصه: (وفي الآية من الأحكام - على قول من قالوا إنهم كانوا مسلمين أو مظهرين للإسلام، ثم ارتدوا - أن المرتدين لا يقتلون إذا كانوا مسلمين لا يقتلون، ولا يوجد في القرآن نصٌ بقتل المرتد، فيجعل ناسخاً لقوله: {إِنْ اغْتَرَّوْكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ...} (النساء: 90) إلخ. نعم ثبت في الحديث الصحيح الأمر بقتل من بدل دينه، وعليه الجمهور، ويؤيد الحديث عمل الصحابة "حرية الدين وقتل المرتد - مجلة المنار، عدد رجب - 1340هـ مارس - 1922م، 23/185.

ومن هؤلاء أيضاً طه جابر العلواني (ت1437هـ) حيث يقول: "فلا وجود لهذا الحد في القرآن المجيد، وهو المصدر المنشئ الأوحد لأحكام الشريعة" لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م، ص148. وفي هذا الكلام إنكار صريح لمصدرية السنة النبوية في التشريع، والمجاهرة بالمخالفة لأصول الشريعة المجمع عليها بين علماء الأمة. وقد حذر عليه الصلاة والسلام من رد السنة والأخذ فقط بالقرآن الكريم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه. ألا، لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقّبهم بمثل قراه" رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، الحديث 4606، 4/328، وصححه الألباني.

قال الإمام الشوكاني (ت1250هـ) بعد حكي أقوال أئمة الإسلام وأعلامهم في ثبوت هذا الأصل: "والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام". الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، 1/97. وقد ثبت رجم الزاني المحصن في السنة الصحيحة مع أن الرجم لم يذكر في كتاب الله تعالى.

¹ - كتاب الأم، 1/ 295

² - كتاب الأم، 6/ 169

اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ { سورة التوبة/ 74، فبين تعالى أنه يدعو من كفر بعد إسلامه إلى التوبة، وإلا فإنهم يعرضون أنفسهم لعذاب الله في الدنيا: "ومن ذلك تسليط المؤمنين عليهم " ¹ بالقتل كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين²، قال أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ) " وإنما قال: في الدنيا، لأنهم أَمَرُ بِقَتْلِهِمْ"³، وقال أبو منصور الماتريدي (ت333هـ): " الأمر بالجهاد والقتل والخوف، هذا التعذيب في الدنيا"⁴.

فهذا العذاب في الدنيا - على القول بهذا التفسير - إذن هو حد الردة بعد استتابتهم، وعلة ذلك كما قال ابن تيمية: " كونهم أظهروا الكفر والردة، ولهذا دعاهم إلى التوبة فقال: { فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا } عن التوبة { يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } سورة التوبة/74، وهذا إنما هو لمن أظهر الكفر فيجاهده الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد والعقوبة "⁵.

(3) قوله تعالى: { وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } سورة البقرة/217.

يرى ابن عاشور أن في هذه الآية إشارة إلى معاقبة المرتد بالقتل، قال: " وقد أشار العطف في قوله: "فَيَمُتْ" بالفاء المفيدة للتعقيب إلى أن الموت يعقب الارتداد، وقد علم كل أحد أن معظم المرتدين لا تحضر آجالهم عقب الارتداد، فَيَعْلَمُ السامع حينئذ أن المرتد يعاقب بالموت عقوبة شرعية، فتكون الآية بها دليلا على وجوب قتل المرتد."⁶

هذا فضلا عن أن عدم ذكر عقوبة الردة في القرآن الكريم لا يعني بالضرورة عدم مشروعيتها. فالقرآن الكريم حرم أشياء كثيرة، ولكنه نص على العقوبة الدنيوية لبعض تلك المحرمات فقط، ويكفي هنا أن نورد عقوبة شرب الخمر، فقد حرم الله الخمر، ولم ينص على عقوبة دنيوية لها في كتابه، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عاقب شارب الخمر بعقوبة قدرها الصحابة رضي الله عنهم بنحو أربعين ضربة. ثم زاد الصحابة في خلافة عمر بن الخطاب على تلك العقوبة، وجعلوا عقوبة شارب الخمر ثمانين جلدة⁷.

هذا بخصوص ما ذكره بعض العلماء والمفسرين في حكم الردة في القرآن، أما في السنة الصحيحة فقد ثبت

¹ - سعيد حوى (ت1409هـ)، الأساس في التفسير، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ، 4/ 2328

² - أنظر: تفسير الطبري، 14/ 368، الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي (ت427هـ)، 5/ 71، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القرطبي المالكي (ت437هـ)، 4/ 3075، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (ت468هـ)، 2/ 512، تفسير القرطبي، 8/ 208، تفسير البيضاوي (ت685هـ)، 3/ 90، فتح القدير للشوكاني (ت1250هـ)، 2/ 437 وغيرها من التفسير.

³ - معاني القرآن وإعرابه، 2/ 462.

⁴ - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، 5/ 431.

⁵ - مجموع الفتاوى، 7/ 273.

⁶ - التحرير والتنوير، 2/ 335.

⁷ - أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر، فجلده بجريدتين نحو أربعين»، قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانين، « فأمر به عمر». صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الخمر، رقم الحديث 1706، 3/ 1330.

الحكم بوجوب قتل المرتد، لذلك نجد ما من كتاب من كتب الحديث أو الفقه قديما وحديثا إلا وتطرق لهذا الباب وأحكامه وما يترتب عليه، وقد وردت أدلة صريحة في إثبات حد الردة، ومن هذه الأدلة:

1- ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة¹ فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من بدل دينه فاقتلوه »².

فهذا الحديث من أقوى أحاديث الباب سنداً وممتناً، فهو من ناحية السند صحيح، وقد رواه الجماعة³ إلا مسلماً، ومن ناحية الدلالة فمعناه عام حيث بين أن علة القتل هي الارتداد عن الإسلام لا غير، قال ابن حجر (ت852هـ): " المراد: من بَدَّلَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِدِينٍ غَيْرِهِ، لأن الدين في الحقيقة هو الإسلام، قال الله تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } سورة آل عمران/19... ويؤيد تخصيصه بالإسلام: ما جاء في بعض طرقه فقد أخرجه الطبراني من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس رفعه: « من خالف دينه المسلمين فاضربوا عنقه »⁴.

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى وتمسكوا به، فراوي الحديث ابن عباس ذكره عندما سمع بخبر حرق علي رضي الله عنه للمرتدين، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، بل أقتلهم بالسيف، فإنه لا يعذب بالنار إلا خالقها⁵. فابن عباس أقر بمبدأ القتل، لكن بين أن اجتهد علي في طريقة التنفيذ كان خلاف ما هو منصوص عليه.

وقد شكك المنكرون لعقوبة المرتد في صحة هذا الحديث على أساس أنه مروى من طريق عكرمة مولى ابن عباس، وعكرمة تكلم بعض أهل العلم في عدالته⁶، قال ابن حجر: " وقد تعقب جماعة من الأئمة ذلك، وصنفوا

¹ - الزنديق، بالكسر: من التثوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، جمع: زنادقة أو زناديق، وقد تزندق، والاسم: الزندقة. ثم أصبح يطلق على كل من أنكر أصلاً من أصول العقيدة وفي الإلحاد عموماً، كما قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: من طلب العلم بالكلام تزندق، وقال يزيد بن هارون: من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: 891، خلق أفعال العباد للإمام البخاري، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف الرياض، ص 30، وشرح الطحاوية لابن أبي العز، ص: 179.

² - صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمردة واستتابتهم، الحديث 6524، 2537/6، وهذا الحكم عام عند الجمهور يشمل الذكر والأنثى، وخصه الحنفية بالذكر، وقد جاء في حديث معاذ: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن قال له: "أيا رجل ارتد عن الإسلام، فادعه، فإن عاد، وإلا فاضرب عنقه، وأيا امرأة ارتدت عن الإسلام، فادعها، فإن عادت، وإلا فاضرب عنقها". وسنده حسن، قاله الحافظ في "الفتح" 284/12، وهو نص في موضع النزاع، فيجب المصير إليه. المسند 119/5 الهامش 1.

³ - سنن أبي داود كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، الحديث 4353، سنن ابن ماجه كتاب الحدود، باب المرتد عن دينه، الحديث 2535، 2535، سنن الترمذي كتاب الحدود، باب ما جاء في المرتد، الحديث 1458، سنن النسائي كتاب تحريم الدم، الحكم في المرتد، الحديث 4059، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الحديث 1871

⁴ - فتح الباري، 12/ 272.

⁵ - مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام النشر: 1400 هـ، ص 320.

⁶ - لخص ابن حجر في إرشاد الساري (مقدمة فتح الباري) أقوال أهل الجرح والتعديل في عكرمة، فذكر أن الذين طعنوا في عدالته احتجوا لذلك بثلاثة أمور: أولها: اتهامه بالكذب، والثاني: أنه كان يرى رأي الخوارج، والثالث: أنه كان يقبل جوائز الأمراء. وقال في التعقيب على ذلك: " فأما البدعة (أي القول برأي الخوارج) فإن ثبتت عليه فلا تضر حديثه، لأنه لم يكن داعية، مع أنها لم تثبت عليه. وأما قبول الجوائز فلا

في الذب عن عكرمة منهم: الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، وأبو عبد الله بن منده، وأبو حاتم بن حبان، وأبو عمر بن عبد البر وغيرهم¹، وهؤلاء كلهم من كبار علماء الحديث. والقاعدة عند المحدثين أن " من ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح وما تسقط العدالة بالظن"².

لذلك نجد - فيما ذكره ابن حجر في ترجمته لعكرمة - أن علماء الجرح والتعديل قد وثقوه وعدلوه، ولم يقبلوا فيه تجريحا، بل إنهم دافعوا عنه.³

ومما جاء في توثيق العلماء له ما ذكره ابن عبد البر القرطبي(ت463هـ) بقوله: " عكرمة مولى ابن عباس من جلة العلماء، لا يقدح فيه كلام من تكلم فيه، لأنه لا حجة مع أحد تكلم فيه "⁴. ونقل عن المروزي أنه قال: " وعكرمة قد ثبتت عدالته بصحبة ابن عباس وملازمته إياه، وبأن غير واحد من أهل العلم رويوا عنه وعدلوه، وما زال أهل العلم بعدهم يروون عنه، قال: وممن روى عنه من جلة التابعين: محمد بن سيرين وجابر بن زيد وطاوس والزهري وعمر بن دينار ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم"⁵.

وبهذا يظهر لنا إجماع عامة أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة والأخذ عنه وتلقي حديثه بالقبول، فلا حجة إذن لمن يشكك في صحة الحديث الذي رواه عن ابن عباس « من بدل دينه فاقتلوه»، خصوصا وقد ورد بروايات أخرى صحيحة غير رواية عكرمة، منها رواية أحمد عن قتادة، عن أنس، أن عليا، أتى بأناس من الرُّطَّ⁶ يعبدون وثنا، فأحرقهم، فقال ابن عباس: إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من بدل دينه فاقتلوه »⁷.

2- وهذا التطبيق العملي لحكم الردة تجلّى أيضا فيما ثبت في الصحيحين أن معاذ بن جبل زار أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما، وكانا أميرين في اليمن، فلما قدم عليه، قال: إنزل، وألقى له وسادة، وإذا رجل عنده مَوْثَقٌ، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديا فأسلم، ثم راجع دينه دِينَ السَّوءِ فَتَهَوَّدَ، قال: لا أجلس حتى يقتل، قَضَاءُ الله ورسوله، فقال: إجلس، نعم، قال: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فَأَمَرَ

يقدح أيضا إلا عند أهل التشديد، وجمهور أهل العلم على الجواز، كما صنف في ذلك ابن عبد البر. وأما التكنيب فسنبين وجوه رده بعد حكاية أقوالهم، وأنه لا يلزم من شيء منه قدح في روايته " إرشاد الساري 425/1.

¹ - ابن حجر، إرشاد الساري(فتح الباري شرح صحيح البخاري)، 425/1.

² - نفسه، 429/1.

³ - من هذه الشهادات التي نقلها ابن حجر: " قال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا احتج بعكرمة، وقال جعفر الطيالسي عن ابن معين: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة فاتهمه على الإسلام... وقال النسائي في التمييز وغيره: ثقة، وقال المروزي: قلت لأحمد بن حنبل يحتج بحديثه قال نعم، وقال المروزي أيضا: أجمع عامة أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة، واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو ثور ويحيى بن معين، ولقد سألت إسحاق عن الاحتجاج بحديثه فقال: عكرمة عندنا إمام أهل الدنيا وتعجب من سؤالي إياه" وغير ذلك من شهادات العلماء على توثيق عكرمة والاحتجاج بحديثه. أنظر: ابن حجر، إرشاد الساري، 429/1.

⁴ - التمهيد، 27/2.

⁵ - التمهيد، 33/2.

⁶ - " الرُّطَّ ، هم جنس من السودان والهنود " ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (رطط) 302/2.

⁷ - مسند أحمد، رقم الحديث 2966، 5/ 119، تعليق محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

به فُقِّلَ¹، وفي رواية أحمد: " فقال: قضى الله ورسوله: " أن من رجع عن دينه فاقتلوه " أو قال: " من بدل دينه فاقتلوه "².

3- وفي الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة »³.

وبالنظر إلى الروايات الأخرى لهذا الحديث يتبين أن المراد بهذا الأخير: المرتد الذي ثبتت ردة عن الإسلام من غير اشتراط خروجه على المسلمين بالسلاح كما يدعي المنكرون لحد الردة، ففي رواية أبي داود من حديث عثمان رضي الله عنه: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كُفِّرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ... »⁴ وعند النسائي أيضا من حديث عثمان: « أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل »⁵.

فكلمة (التارك للجماعة)⁶ وصف كاشف؛ لأن كل مرتد عن دينه هو مفارق للجماعة، وهذا ما نص عليه شراح الحديث، فقال ابن دقيق العيد (ت702هـ): " وكذلك " المفارق للجماعة " كالنفسير لقوله " التارك لدينه " والمراد بالجماعة: جماعة المسلمين، وإنما فراقهم بالردة عن الدين، وهو سبب لإباحة دمه بالإجماع"⁷، وقال وقال ابن حجر: " والمراد بالجماعة جماعة المسلمين أي فارقهم أو تركهم بالارتداد، فهي صفة للتارك أو المفارق، لا صفة مستقلة، وإلا لكانت الخصال أربعا "⁸، وفي هذا رد على قولهم أن قتل المرتد يكون فقط لمن سعى في هدم المجتمع المسلم، فهذا القول مخالف لظاهر النصوص الآمرة بقتل المرتد، فإننا نجد أن الأحاديث الآمرة بقتل المرتد ليس فيها أي دلالة على أن القتل إنما يكون فقط للمرتد المحارب. فلفظ الحديث " من بدل دينه فاقتلوه " لفظ عام يتناول كل من ارتد عن دين الإسلام سواء أساء للمسلمين أو لم يسيء، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم السبب في قتله هو ردة لا محاربتة للدين، فمن ادعى تخصيص العقوبة

¹ - صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، رقم الحديث 6525، 2537/6، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، رقم الحديث 1733، 1456/3.

² - مسند الإمام أحمد، رقم 22015، 36/343.

³ - صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى { أُنْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ } الآية.. سورة المائدة/45، الحديث 6484، 2521/6، صحيح صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم رقم 1676، 3/1302، قال الترمذي رحمه الله ، بعد روايته لهذا الحديث (1458): " هذا حديث صحيح حسن والعمل على هذا عند أهل العلم في المرتد " سنن الترمذي، 4/59 وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: " وفقه هذا الحديث، أن من ارتد عن دينه حل دمه، وضربت عنقه، والأمة مجتمعة على ذلك، وإنما اختلفوا في استتابة " التمهيد " 5 / 306.

⁴ - سنن أبي داود، كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم، رقم الحديث 4504، 4/290، وصححه الألباني .

⁵ - سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد 4057، 7/103، وصححه الألباني.

⁶ - فقرر الردة بمفارقة الجماعة، ولهذا المرتد الذي لا يعلن ارتداده ولا يدعو إليه لا يعاقب، والمنافقون - وهم كفار لم يعلنوا كفرهم - كانوا يعيشون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم وهم معروفون له، وبعضهم معروف لكثير من الصحابة من خلال فلتات ألسنتهم أو مواقفهم ولم يعاقبوا على نفاقهم. والله أعلم.

⁷ - ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1426 هـ - 2005 م، 1/425.

⁸ - فتح الباري، 12/201-202.

بالمردت المحارب فعليه أن يأتي بالدليل المخصص. فلا بد من الدليل وليس الإدعاء والتقول بدون علم ولا هدى؛ بل العلة في قتل المرتد هو الحفاظ على الدين وليس محاربة المرتد للإسلام والمسلمين، العلة هي الكفر والخروج من الإيمان، ولهذا يستوي في ذلك الرجل والمرأة، فإن ارتدت المرأة فإنها تقتل وتدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام: "من بدل دينه فاقتلوه".

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما المرتد فالمبنيح عنده - أي الإمام أحمد - هو الكفر بعد الإيمان، وهو نوع خاص من الكفر؛ فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه، بخلاف من لم يدخل فيه"¹، وقال أيضاً: "إن الردة على قسمين: ردة مجردة، وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها، وكلتاها قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها؛ والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعم القسمين، بل إنما تدل على القسم الأول (الردة المجردة)، كما يظهر ذلك لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد، فيبقى القسم الثاني (الردة المغلظة)، وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبه"².

وعوم الأحاديث السابقة يدل على وجوب قتل المرتد سواء كان محارباً أو غير محارب. والقول بأن المرتد الذي يقتل هو المحارب للدين فقط مخالف لهذه الأحاديث، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم السبب في قتله هو رده لا محاربه للدين.

4- وعن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن قال له: «أيا رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد وإلا فاضرب عنقه، وأيا امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها»³.
5- وفي السنة من النصوص الواردة في قتل الساحر⁴، والناكح امرأة أبيه¹ - باعتبار ردتها على قول الجمهور - ما ينضم إلى ما تقدم أيضاً.

¹ - مجموع الفتاوى، 102/20.

² - الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص: 366.

³ - حسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح، وذكر خلاف الفقهاء في المرأة المرتدة: هل تقتل، أم تحبس حتى تسلم، أو تسترق، وقتلها قول الجمهور خلافاً للحنفية الذين خصوا حديث الباب (من بدل دينه فاقتلوه) بالذكر، وتمسكوا بحديث النهي عن قتل النساء، وحمل الجمهور النهي على الكافرة الأصلية إذا لم تباشر القتال ولا القتل، قال: "وقتل أبو بكر في خلافة امرأة ارتدت، والصحابه متوافرون فلم يُنكر ذلك عليه أحد، وقد أخرج ذلك ابن المنذر، وأخرج الدارقطني أثر أبي بكر من وجه حسن... وهو (أي حديث معاذ) نص في موضع النزاع، فيجب المصير إليه، ويؤيده اشتراك الرجال والنساء في الحدود كلها: الزنا والسرقه وشرب الخمر والقذف "فتح الباري 268/12-272.

⁴ - فقد أخرج الحاكم في المستدرک على الصحيحين عن جندب الخير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حد الساحر ضربة بالسيف» كتاب الحدود، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، رقم الحديث 8073، 401/4، [التعليق - من تلخيص الذهبي] 8073 - صحيح غريب.

وثبت في "سنن أبي داود" عن بجالة بن عبدة أنه قال: جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: أقتلوا كل ساحر.. فقتلنا في يوم ثلاثة سواحر" كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية من المجوس، رقم 3045، 133/3، وصححه الألباني، وصح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتهما فقتلت. رواه مالك في "الموطأ" كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، الحديث 14، 871/2، وهذا الحد مختص بمن وصل به سحره إلى الوقوع في الكفر، قال الترمذي: "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلاً" سنن الترمذي.

وبذلك فإن مجموع هذه النصوص الحديثية يبطل شبهتين أخريين لمنكري حد الردة، وهما:

✓ دعوى عدم تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الحد، وللجواب على هذا الاعتراض لا بد من التنبيه على مسألة أصولية، وهي أن عدم فعل النبي صلى الله عليه وسلم للحد لا ينفي الحكم، فليس كل ما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم فعله هو نفسه. فقد ثبت حكم المرتد بأنه يقتل بنص كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يشترط للدلالة عليه مع القول ثبوت فعله صلى الله عليه وسلم، حيث إن دلالة القول تكفي لإثبات الحكم، بل هي أقوى في الدلالة على الحكم من الفعل. وعليه فلا متمسك للمنكرين بعدم الفعل، لأنه في هذه الحال يكون هذا الإشكال من باب التعارض، فيقدم القول على الفعل، إن لم يمكن الجمع، وهذه مسألة معروفة عند أهل الأصول، قال المرداوي الحنبلي (ت885هـ): "التَّحْقِيقُ أَنَّ الْقَوْلَ أَقْوَى فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحُكْمِ، وَالْفِعْلُ أَدْل عَلَى الْكَيْفِيَّةِ"².

وبين أبو بكر ابن العربي (ت543هـ) تعلق السحر بالكفر من وجهين، أحدهما وهو: "حقيقته أنه كلام مُؤَلَّفٌ يُعْظَمُ به غير الله تعالى، وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات.

والثاني: أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر؛ لأنه تعالى قال: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ} [البقرة: 102] من السحر {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} بقول السحر وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا به وبتعليمه، وهاروت وماروت يقولان: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ، وهذا تأكيد للبيان. "أحكام القرآن لابن العربي، 48/1، وهذا ما نقله القرطبي (ت671هـ) عن بعض العلماء أن "السحر - في كلام أهل الصناعة - لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار، أو تعظيم الشيطان، فالسحر إذا دال على الكفر على هذا التقدير، والله تعالى أعلم. "تفسير القرطبي، 48/2.

¹ - روى الترمذي عن البراء، قال: مر بي خالي أبو بردة بن نيار ومعه لواء، فقلت: أين تريد؟ قال: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه» سنن الترمذي، أبواب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فيمن تزوج امرأة أبيه، رقم الحديث 1362، 635/3، وصححه الألباني.

وعن معاوية بن قرة عن أبيه، قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رجل تزوج امرأة أبيه، أن أضرب عنقه وأصفي ماله" سنن ابن ماجه، كتاب الحدود باب من تزوج امرأة أبيه من بعده، رقم 2608، 869/2، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. وفي رواية أخرى كما ذكر شعيب الأرناؤوط والمحققون معه لسنن ابن ماجه: «وأخمس ماله». سنن ابن ماجه بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م. 631/3.

وعند الدارمي: «وأخذ ماله» سنن الدارمي، كتاب النكاح باب الرجل يتزوج امرأة أبيه، الحديث 2285، 1438/3 [تعليل المحقق] إسناد حسن وهو على شرط مسلم.

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذا الحد سببه الردة وليس الوقوع على المحارم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم على الرجل بحد الزنا (الرجم أو الجلد) بل أمر بأخذ ماله، ورده لبيت مال المسلمين، قال الطحاوي (ت321هـ): "فلما لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم الرسول بالرجم، وإنما أمره بالقتل ثبت بذلك أن ذلك القتل ليس بحد للزنا، ولكنه لمعنى خلاف ذلك. وهو أن ذلك المترج، فعل ما فعل من ذلك على الاستحلال كما كانوا يفعلون في الجاهلية فصار بذلك مرتدا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُفْعَلَ بِهِ مَا يُفْعَلُ بالمرتد " أبو جعفر الطحاوي، شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ، 149/3.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن تخميس المال دل على أنه كان كافرا لا فاسقا، وكفره بأنه لم يحرم ما حرم الله ورسوله." مجموع الفتاوى، 92/20.

² - أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي، التخبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د.

أحمد السراح، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، 2813 /6

وقال زَكْرِيَا الأنصاري الشافعي (ت926هـ): " فيرجح الخبر الناقل لقول النبي صلى الله عليه وسلم على الناقل لفعله، والناقل لفعله على الناقل لتقريره، لأن القول أقوى في الدلالة على التشريع من الفعل، لأن الفعل محتمل للتخصيص به صلى الله عليه وسلم. ¹

✓ دعوى أن أحاديث الردة أخبار آحاد لا يُحتج بها في الحدود: ومن هؤلاء الشيخ محمد شلتوت حيث يقول عن "عقوبة الاعتداء على الدين بالردة " ما نصه: "وقد يتغير وجه النظر في هذه المسألة (قتل المرتد)، إذا لوحظ أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين"²، لكنه لم يورد أسماء الفقهاء القائلين بهذا، ولا أشار إلى دليلهم في ذلك.

وهذه دعوى باطلة من أساسها، فقد تتابع الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من علماء الأمة على الاحتجاج بالسنة والرجوع إليها في كل صغيرٍ وكبيرٍ، من غير تفريق بين متواترها وآحادها، حتى شذت طوائف عبر التاريخ إلى يومنا هذا، لم تقم للسنة وزناً، ولم ترفع بها رأساً، فمنهم من رفضها جملة وتفصيلاً، وأنكر أن تكون أصلاً من أصول التشريع، زاعمين أن في القرآن غنية لهم عن كل ما سواه، ومنهم من لجأ إلى التشكيك في أخبار الآحاد (وهي ما لم تجمع شروط التواتر) زعماً منهم أنها لا تفيد اليقين، ولم يعتمدوا إلا ما تواتر نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأسقطوا بذلك جملة من الأحاديث الصحيحة الثابتة التي تعارض ما ابتدعوه في أبواب الدين، وقد فُتدت دعواهم من قديم، حيث خصص الإمام الشافعي (ت204هـ) باباً كاملاً في كتاب الرسالة لتأصيل قبول خبر الواحد³ الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم والاحتجاج به، قال: " ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم من أهل العلم بالبلدان...ومحدثي الناس، وأعلامهم بالأمصار: كلهم يُحفظ عنه تثبيت خبر الواحد عن رسول الله، والانتفاء إليه، والإفتاء به، ويقبله كل واحد منهم عن من فوقه، ويقبله عنه من تحته.

ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد، والانتفاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبتته، جاز لي.⁴

ومن جهة أخرى، فإن النظر إلى طرق الحديث وما انضم إليه من الروايات المختلفة يصل به إلى درجة التواتر المعنوي، على اعتبار أن قتل المرتد كان معروفاً مشهوراً بين الصحابة رضي الله عنهم،

¹ - زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، أبو يحيى السنيكي، غاية الوصول في شرح لب الأصول، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، دون طبعة وتاريخ، ص: 151.

² - القصاص، محمود شلتوت، مطبعة العلوم، القاهرة، 1946م، ص 87 - 88.

³ - خبر الواحد في اللغة: ما يرويه شخص واحد، وفي الاصطلاح: ما لم يجمع شروط التواتر. ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ص: 55، قال محقق الكتاب: " ليس المقصود بخبر الواحد هو ما يبدو من ظاهر اللفظ، بحكم دلالة اللغة؛ لأن الإطلاق إطلاق اصطلاحي، وليس إطلاقاً لغوياً. فليس المراد بخبر الواحد ما يرويه شخص واحد فقط، وإنما المراد به ما ليس بمتواتر، وهو الآحاد بأقسامه الثلاثة، لأن الاستعمال استعمال اصطلاحى. " نفس الصفحة. قلت: وأقسام الآحاد كما هو معلوم في مصطلح الحديث هي: المشهور والعزيز والغريب.

⁴ - الشافعي، كتاب الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م، 450/1-453.

وقد لاحظ العلامة أحمد شاکر هذا المعنى فقال في رده على مقالة الشيخ شلتوت: " فإن الأمر بقتل المرتد عن الإسلام لم يثبت بما يسميه المؤلف العلامة "حديث الآحاد"، وإنما هو شيء ثابت بالسنة المتواترة، معلوم من الدين بالضرورة، لم يختلف فيه العلماء"¹.

6- الإجماع: فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال المرتدين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يعرف بينهم مخالف²، ونجد هنا أشهر واقعة متعلقة بالردة، وهي اتفاق الصحابة على مجاهدة المرتدين والمعاندين³ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان المرتدون طوائف⁴: فمنهم من رجع عن الإسلام إلى الكفر، ومنهم من اتبع المدعين للنبوة، ومنهم من أنكر فرضية الزكاة، ومنهم من أبى دفعها إلى أبي بكر الصديق، فقاتلهم الصحابة جميعاً، وسموا قتالهم قتال مرتدين⁵، وألزمهم جميعاً بحكم الإسلام¹.

¹ - جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاکر (مع أهم تعقبات الشيخ على دائرة المعارف الإسلامية)، جمعها وأعدّها واعتنى بها: عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل، دار الرياض، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 346/1.

² - الخلاف الذي يذكره العلماء هنا هو اختلاف الصحابة ومن بعدهم في علة قتال مانعي الزكاة، هل هي امتناعهم عن أدائها أم كفرهم؟ على قولين، أنظر تفصيل ذلك في الإحالات الموالية.

³ - من الأبحاث الجيدة التي تناولت موقف الصحابة من أهل الردة ما كتبه الباحث الدكتور: سلطان العميري في بحث بعنوان " تحرير موقف الصحابة من المرتدين " حيث كشف في هذا البحث عن حقيقة موقف الصحابة من حادثة الردة، وبيّن أبعادها الشرعية. وقد عالج الموضوع من خلال دراسة ثلاث قضايا:

الأولى: تحرير موقف الصحابة في حكم المرتدين، وهل كانوا يكفرون كل أصنافهم أم لا؟!

الثانية: تحرير موقف الصحابة في قتالهم، وهل كانوا مجمعين على ذلك أم لا؟!

والنتيجة النهائية للبحث في هذه القضية هي: أن وجوب قتال المرتدين ثابت بإجماع الصحابة، فهو من المسائل المجمع عليها التي لا يدخل الخلاف فيها في دائرة الاجتهاد، وأن ما أجمع عليه الصحابة ليس مجرد فعل سياسي مصلحي محض، وإنما هو أمر شرعي له دلالات شرعية عديدة.

الثالثة: بيان السبب المؤثر والمناطق الحقيقي الذي دعا الصحابة لقتالهم.

والنتيجة التي وصل إليها الباحث: أن قتال الصحابة للمرتدين إنما كان لأجل البعد الديني، وهو الارتداد عن الإسلام والانخلاع منه، أو لأجل أنهم لم يلتزموا بشريعة من شعائره الأساسية.

ثم ناقش المؤلف الرؤية المعاصرة التي تفسّر حروب الردة تفسيراً سياسياً، وبيّن أنها رؤية مخالفة للأدلة والشواهد المنقولة، وهي أيضاً لم تعتمد على مبررات صحيحة سالمة من الخلل، وبالتالي فإنها رؤية خاطئة غير مقبولة.

سلطان العميري " تحرير موقف الصحابة من المرتدين " مجلة البيان، السنة 27، العدد 300، 1432 هـ - 2012 م، ص 32.

⁴ - جعلهم ابن عبد البر " ثلاثة أنواع: قوم كفروا وعادوا إلى ما كانوا عليه من عبادة الأوثان، وقوم آمنوا بمسيلمة، وهم أهل اليمامة، وطائفة منعت الزكاة، وقالت: ما رجعنا عن ديننا، ولكن شحنا على أموالنا وتأولوا قوله تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً } [التوبة: 103] فقالوا: المأمور بهذا رسول الله لا غيره " الاستذكار، 214/3

⁵ - ممن نص على ذلك:

- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، فإنه لما ذكر قضية الإقرار بالزكاة والامتناع عن أدائها حكم على الممتنعين - رغم إقرارهم بها - بالكفر، ثم قال: " والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق رحمة الله عليه بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة، كجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك سواء، لا فرق بينهما في سفك الدماء، وسبي الذرية، واغتنام المال، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها ". كتاب الإيمان، ص: 17.

- أبو يعلى الفراء (ت 458 هـ) حيث يقول: " وأيضاً فإنه إجماع الصحابة، وذلك أنهم نسبوا الكفر إلى مانع الزكاة، وقاتلوه وحكموا عليه بالردة، ولم يفعلوا مثل ذلك بمن ظهرت منه الكبائر، ولو كان الجميع كفاراً لسوّوا بين الجميع " مسائل الإيمان، حققه وعلق عليه: سعود بن عبد العزيز

الخلف، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى: 1410 هـ، ص: 330-331

لذلك كان هذا الحكم (قتل المرتد عن الدين) محل إجماع بين أهل العلم في المذاهب الأربعة، قال ابن المنذر (ت319هـ): "وأجمع أهل العلم أن شهادة شاهدين يجب قبولهما على الارتداد، ويقتل المرء بشهادتهما إن لم يرجع إلى الإسلام"².

- وممن يدل ظاهر كلامه على نقل إجماع الصحابة على كفر كل المرتدين وقتالهم على ذلك : الجصاص (ت370هـ) ، فإنه قال معلقاً على قوله تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } سورة النساء/65 ، قال: " وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسي ذراريهم، لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان. " أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م، 268/2.

إلا أن هناك فريقاً آخر من العلماء يرى بأن أهل الردة صنفان: صنف كافر خارج عن ملّة الإسلام، وصنف باق على الملّة، ولكنه بغى بمنع الزكاة.

من هؤلاء: الإمام الشافعي (ت204هـ) ، فإنه نص على ذلك بوضوح حيث يقول: " وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربان: منهم قوم أغرؤا بعد الإسلام، مثل طليحة ومسيلمة والعنسي وأصحابهم، ومنهم قوم تمسكوا بالإسلام ومنعوا الصدقات " مستدلاً ب " قول عمر لأبي بكر: أليس قد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ثم قال الشافعي:

" في قول أبي بكر: هذا من حقها، لو منعوني عناقاً مما أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " معرّفةً منهُمَا مَعَا بأن مِمَّنْ قَاتَلُوا مَنْهُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْإِيمَانِ، ولولا ذلك ما شك عمر في قتالهم، ولقال أبو بكر قد تركوا لا إله إلا الله فصاروا مشركين " كتاب: الأم، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة، سنة النشر: 1410هـ/1990م، 4/ 227-228.

وممن قرر هذا القول الخطابي حيث يقول: " ومما يجب أن يعلم أن أهل الردة كانوا صنفين: صنف منهم ارتدوا عن الدين وناذبوا الملّة وعادوا إلى الكفر، وهم الذين عناهم أبو هريرة بقوله: " وكفر من كفر من العرب " وهذه الفرقة طائفتان: إحداها أصحاب مسيلمة ... وأصحاب الأسود العنسي .. وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم مدعية النبوّة لغيره، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه ... والطائفة الأخرى: ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة إلى غيرهما من جماع أمر الدين، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية... والصنف الآخر: هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجب آدائها إلى الإمام، وهؤلاء على الحقيقة أهل بغى ". معالم السنن، 3/2-4.

قلت: في قول الإمام الخطابي هذا نظر، فإن من أنكر وجوب الزكاة يكفر إجماعاً، قال ابن الأثير (ت606هـ): " من أنكر فرضية أحد أركان الإسلام كان كافراً بالإجماع ". النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/187

وقد ذكر أهل السير أن مانعي الزكاة لم يكونوا جميعاً منكبين لفرضيتها، بل منهم من أقر بها وامتنع من دفعها تَوَلّوا، قال ابن كثير (ت774هـ): " وجعلت وفود العرب تقدم المدينة، يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، واحتج بقوله تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة: 103] قالوا: فلما ندفع زكاتها إلا إلى من صلاته سكن لنا " البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م، 6/342.

وممن ذكر ذلك أيضاً: ابن حزم، فإنه قال في سياق كلامه عن أصناف المرتدين: " والقسم الثاني: قوم أسلموا ولم يكفروا بعد إسلامهم، لكن منعوا الزكاة من أن يدفعوها إلى أبي بكر رضي الله عنه، فعلى هذا قتلوا ". المحلى بالآثار، 12/116

¹ - أنظر: ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م، 1/136

² - محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإجماع، تحقيق ودراسة: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1425 هـ / 2004 م، ص: 128

فقد روى الإمام مالك في موطنه في كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام ، روى عن زيد بن أسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من غير دينه فاضربوا عنقه » ، ثم قال رحمه الله تعالى: "وأما من خرج من الإسلام إلى غيره، وأظهر ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل"¹.

ومما ورد بشأن ذلك الإجماع ما جاء في كتاب التمهيد لابن عبد البر: " من ارتد عن دينه حل دمه، وضربت عنقه، والأمة مجتمعة على ذلك "²، وقال أيضا: " فالقتل بالردة على ما ذكرنا لا خلاف بين المسلمين فيه، ولا اختلفت الرواية والسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه"³. وإنما وقع الاختلاف في الاستتابة. وقال المزني(ت264هـ) صاحب الإمام الشافعي: " باب حكم المرتد، قال الشافعي رحمه الله: ومن ارتد عن الإسلام إلى أيِّ كُفرٍ، كان مولودا على الإسلام أو أسلم ثم ارتد، قُتِلَ "⁴.

وقال الكاشاني الحنفي(أو الكاساني، يروى بكليهما) (ت587هـ): " وكذا العرب لما ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعت الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم "⁵.

وقال ابن قدامة(ت620هـ) بعد ذكر الأدلة: " وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد. وروي ذلك عن أبي بكر، وعمر وعثمان، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، وخالد، وغيرهم، ولم ينكر ذلك، فكان إجماعا."⁶ فهذا القول هو السائد في الفقه الإسلامي، وأدلته التي ذكرنا معروفة ومستفيضة، وجرى به العمل على مر التاريخ الإسلامي⁷ من غير تكير من أحد من أهل العلم، فهو حكم مجمع عليه في هذه المسألة، وهو وجوب حد

¹ - موطأ الإمام مالك، كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام، الحديث 15، 736/2

² - التمهيد، 306/5.

³ - التمهيد، 318/5.

⁴ - أبو إبراهيم المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، مختصر المزني(مطبوع ملحقا بالألم للشافعي)، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة، 1410هـ/1990م، 367/8.

⁵ - أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م، 7/ 134.

⁶ - المغني لابن قدامة، 3/9.

⁷ - فقد التزم الصحابة رضي الله عنهم بإقامة حكم الله تعالى في المرتدين بدءاً من موقف الصديق رضي الله عنه - السالف الذكر - تجاه أهل الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاله لهم، وتبعه الصحابة على ذلك ولم يخالفه منهم أحد.

وأمر عمر بن الخطاب بقتل جماعة من المرتدين كما رواه عبد الرزاق في " المصنف" عن عبد الله بن عتبة قال : أخذ ابن مسعود قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق ، فكتب فيهم إلى عمر ، فكتب إليه : " أن اعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله ، فإن قبلوها فخل عنهم، وإن لم يقبلوها فاقتلهم. فقبلها بعضهم فتركه، ولم يقبلها بعضهم فقتله. " مصنف عبد الرزاق، كتاب اللقطة، باب في الكفر بعد الإيمان الحديث 18707، 10/ 168

وكذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة من المرتدين ، وأقره على قتلهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري(سبق تخريجه)

وفي " المصنف" لعبد الرزاق عن أبي عمرو الشيباني : أن المستورد العجلي تنصر بعد إسلامه ، فبعث به عتبة بن فرقد إلى علي « فاستتابه فلم يتب فقتله. فطلبت النصارى جيفته بثلاثين ألفاً فأبى علي وأحرقه». المصنف" لعبد الرزاق، 10/ 170.

وقتل أبو موسى الأشعري ومعاذ رضي الله عنهما يهودياً أسلم ثم ارتد، كما سبق ذكره.

وسار على ذلك خلفاء وملوك الإسلام في عصور مختلفة، حيث اشتهر الخليفة العباسي المهدي بمتابعة الزنادقة المرتدين، يقول ابن كثير في حوادث سنة 167هـ: (وفيها تنبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وَقَتْلَهُمْ صَبْرًا بين يديه " البداية والنهاية، 10/ 159

الرَّدة على من بدّل دينه، لم يختلف في هذا الحكم أبو بكر الصديق ولا عمر بن الخطاب ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم أجمعين، ولم يختلف في ذلك غيرهم من الصحابة، ولا التابعين، ولا مذاهب الفقه الأربعة، ولا العلماء المبرزين النقات العدول، ولم ينشأ هذا الخلاف إلا في المعاصرين المتأثرين بشبهات وهيمنة الغرب، وهو خلاف متأخّر لا يؤيّه به.

لذا لا نشك في وجوب حد الرّدة، ونشك بكل فهم لآية أو حديث يخالف هذا الحكم؛ لأنه ما كان لهذه الأمة أن تجتمع قروناً على ضلالة؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن الله تعالى قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة »¹.

وأما زعم أن مثل هذه الحدود يجب ذكرها في القرآن، فهذا القول زعم باطل، غير صحيح ألّبتة، فلا يلزم أن تجد لكل مسألة فقهية دليلاً من القرآن، بل أكثر تفاصيل الفقه الإسلامي لا أدلة عليه مباشرة من القرآن، بل تؤخذ من السنّة، أو من أصولهما وما يقاس عليهما.

وإن التهاون في عقوبة المرتد يعرض المجتمع كله للخطر، ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره، وخصوصاً الضعفاء والبسطاء من الناس.

استتابة المرتد:

كثيراً ما تكون الردة نتيجة الشكوك والشبهات التي تساور النفس وتزاحم الايمان، ولا بد أن تنتهي فرصة للتخلص من هذه الشبهات والشكوك، وأن تقدم الأدلة والبراهين التي تعيد الايمان إلى القلب، واليقين إلى النفس،

وبعد الحلاج من أشهر الزنادقة الذين تمّ قتلهم بسيف الشرع دون استتابة، يقول القاضي عياض: "وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول، وقوله: (أنا الحق) مع تمسكه في الظاهر بالشرعية، ولم يقبلوا توبته". الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 2/ 298.

ومن أهم أخبار المرتدين وأكثرها عبرة ما سجله ابن كثير في حوادث 726هـ حيث "ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيثمي بسوق الخيل على كفره واستهانتة واستهانتة بآيات الله، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان، والشمس محمد الباجريقي، وابن المعمار البغدادي، وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس.

قال الشيخ علم الدين البزّالي: وربما زاد - هذا المذكور المضروب العنق - عليهم بالكفر والتلاعب بدين الإسلام، والاستهانة بالنبوة والقرآن. قال: وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة.

قال: وكان هذا الرجل في أول أمره قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، وكان مُنَزَّلاً في المدارس والتُرْبِ، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزا للإسلام وذلاً للزنادقة وأهل البدع.

قلت: وقد شهدت قتله، وكان شيخنا أبو العباس بن تيمية حاضراً يومئذ، وقد أتااه وقرعه على ما كان يصدر منه قبل قتله، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك. "البداية والنهاية، 14/ 141

وانظر إلى تفاصيل الواقعة التاريخية كما دونها القاضي عياض في كتابه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) 2/ 299-300، حيث أفتى ابن حبيب وأصبع بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بـ (ابن أخي عَجَب) حين تلفظ بعبارة تقتضي استخفافاً بالربّ جل جلاله، فنفذ حكم الردة فيه الأمير آنذاك عيد الرحمن بن الحكم الأموي تحقيقاً لحفظ الدين وإعظاماً لمقام الربوبية أن يمتن.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الردة التي يجاهر بها المرتدون هذا العصر - وما أكثرهم - على مرأى ومسمع من علماء وحكام المسلمين أشنع من ردة أسلافهم، والله المستعان.

¹ - أخرجه ابن أبي عاصم (ت287هـ) في كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للشيخ الألباني) الحديث 82، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ / 1980م، 1/ 41، وحسنه الألباني بمجموع طرقه.

وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك.

ومن ثم كان من الواجب أن يستتاب المرتد ولو تكررت رדתه، وبمهل فترة زمنية يراجع فيها نفسه، وتنفذ فيها وساوسه وتناقش فيها أفكاره، فإن عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته، ورجع إلى الإسلام وأقر بالشهادتين واعترف بما كان ينكره، وبرئ من كل دين يخالف دين الإسلام، قبلت توبته، وإلا أقيم عليه الحد.¹

لذلك فإن المرتد لا يقتل مباشرة بعد وقوعه في الردة، لا سيما إذا كانت رדתه بسبب شبهة حصلت له، بل يستتاب² ويعرض عليه الرجوع إلى الإسلام وتزال شبهته إن كان عنده شبهة، فإن أصر على الكفر بعد ذلك قتل.

قال ابن عبد البر (ت463هـ): "ومن ارتد عن الإسلام استتيب³ ثلاثاً بعد أخذه، فإن تاب وإلا قتل"⁴. وهذا قول أكثر أهل العلم؛ منهم عمر، وعلي، وعطاء، والنخعي، ومالك، والثوري، والأوزاعي، وإسحاق، وأصحاب الرأي... لأن الردة إنما تكون لشبهة، ولا تزول في الحال، فوجب أن ينتظر مدة يرتئي فيها⁵، فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ أنه قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبي موسى الأشعري. فسأله عن الناس، فأخبره. ثم قال له عمر: هل كان فيكم من مُعَرِّبٍ خبر⁶؟ فقال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه، قال: فما فعلتم به؟ قال:

¹ - سيد سابق، فقه السنة، 2/457-458.

² - فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل توبة بعض المرتدين، فقد أخرج عبدالرزاق الصنعاني (ت211هـ) عن مجاهد، قال: جاء الحارث بن سويد، فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كفر الحارث، فرجع إلى قومه، فأُنزل الله تعالى فيه القرآن: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ } [آل عمران: 86] إلى: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: 89] فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، قال: فقال الحارث: « والله إنك ما علمت لصديق، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة » قال: « فرجع الحارث فأسلم، فحسن إسلامه » تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ، 1/401، وفي رواية النسائي بإسناد صححه الشيخ الألباني عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم، ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم تقدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل لي من توبة، فجاء قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن فلانا قد ندم، وإنه أمرنا أن نسألك، هل له من توبة فنزلت { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ } إلى قوله { غَفُورٌ رَحِيمٌ } سورة آل عمران/86-89 فأرسل إليه فأسلم. سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، توبة المرتد، الحديث 4068، 107/7.

قال ابن تيمية: " ثبت بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن كل من تاب تاب الله عليه. ومعلوم أن من سب الرسول من الكفار المحاربين، وقال: هو ساحر أو شاعر أو مجنون أو مُعَلَّمٌ أو مُفْتَرٍ وتاب تاب الله عليه. وقد كان طائفة يسبون النبي من أهل الحرب ثم أسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي منهم: منهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن ثم تاب وأسلم وبايعه النبي على ذلك" مجموع الفتاوى، 3/291.

³ - قال الكاساني: " وتوبته أن يأتي بالشهادتين، ويبرأ عن الدين الذي انتقل إليه، فإن تاب ثم ارتد ثانياً فحكمه في المرة الثانية كحكمه في المرة الأولى أنه إن تاب في المرة الثانية قبلت توبته، وكذا في المرة الثالثة والرابعة؛ لوجود الإيمان ظاهراً في كل مرة؛ لوجود ركنه، وهو إقرار العاقل وقال الله - تبارك وتعالى - {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} [النساء: 137] فقد أثبت سبحانه وتعالى الإيمان بعد وجود الردة منه، والإيمان بعد وجود الردة لا يحتمل الرد" بدائع الصنائع، 7/135.

⁴ - ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، 1/485.

⁵ - المغني لابن قدامة، 9/4-6.

⁶ - قال القاضي عياض (ت544هـ) في شرح هذه العبارة: " وقوله (هل من مغربة خبر) كل الرواية فيه على الإضافة، واختلف في ضبط الغين بالفتح والإسكان، وفي الراء بالكسر والفتح، وكل صحيح، ومعناه: هل من خبر عن حادث يستغرب أي يستبعد، وقيل: هل من خبر جاء عن بعد " مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، 1/230.

قربناه فضرينا عنقه، فقال عمر: «أفلا حبستموه ثلاثاً، وأطعتموه كل يوم رغيفاً، واستتبتموه لعله يتوب، ويراجع أمر الله؟» ثم قال عمر: «اللهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذ بلغني»¹.

واتفق أهل السنة والجماعة " أن الردة لا تصح إلا من عاقل، فأما من لا عقل له، كالطفل الذي لا عقل له، والمجنون، ومن زال عقله بإغماء، أو نوم، أو مرض، أو شرب دواء يباح شربه، فلا تصح رده، ولا حكم لكلامه، بغير خلاف. قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم، على أن المجنون إذا ارتد في حال جنونه، أنه مسلم على ما كان عليه قبل ذلك"².

ولا شك أن بعض أنواع الردة أقبح من بعض، وأن ردة المحارب أقبح من ردة غيره، ولذلك فرّق بعض العلماء بينهما، فلم يوجب استتابة المحارب ولا قبول توبته، بل يقتل ولو تاب، وأما غير المحارب فتقبل توبته ولا يقتل، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.³

والمحاربة للدين ليست قاصرة على محاربة السلاح فقط، بل المحاربة تكون باللسان كسب الإسلام أو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الطعن في القرآن ونحو ذلك. بل قد تكون المحاربة باللسان أشد من المحاربة بالسلاح في بعض الصور.

قال ابن تيمية: " المحاربة نوعان: محاربة باليد ومحاربة باللسان، والمحاربة باللسان في باب الدين قد تكون أنكى من المحاربة باليد .. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقتل من كان يحاربه باللسان مع استبقائه بعض من حاربه باليد خصوصاً محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته، فإنها إنما تمكن باللسان، وكذلك الإفساد قد يكون باليد وقد يكون باللسان وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد، كما أن ما يصلحه اللسان من الأديان أضعاف ما تصلحه اليد، فثبت أن محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم باللسان أشد، والسعي في الأرض لفساد الدين باللسان أوكد، فهذا الساب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم أولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق."⁴

خطورة أمر الردة والحذر منها:

شهد التاريخ الإسلامي حوادث ردة عديدة، أبرزها وأعنفها ردة القبائل العربية على إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي وأدها أبو بكر الصديق في مهدها، وتتسم هذه الحوادث كلها بسمتين، أولاًهما المقت الشديد من المسلمين، والثانية الانفصال عن المجتمع الإسلامي، فكان كل من يرتد عن دينه يستهدف لسخط المسلمين الشديد وينفصل عن المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه، وتتقطع بمجرد ارتداده بينه وبين ذوي قرابته الأواصر والأرحام.. وكانت حركات الردة تثير روح المقاومة في المسلمين والمقارنة بين الديانات، والدفاع عن الإسلامي، وكل قطر من أقطار المسلمين ظهرت فيه حوادث الردة تحمس علماء المسلمين ودعاة الإسلام

¹ - موطأ الإمام مالك، كتاب الأقضية، باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام، الحديث 16، 737/2.

² - المغني لابن قدامة، 4/9.

³ - الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص: 366.

⁴ - الصارم المسلول، ص: 385.

وحملة الأعلام فيه للرد عليها وتتبع أسبابها، وعرض محاسن الإسلام ومزاياه.¹

ولخطورة أمر الردة²، فقد نصح العلماء بحفظ المسلم إسلامه والحذر من الوقوع فيما يزيله، وسواء حصل هذا الخروج من جاهل بالحكم أو هازل أو غضبان.

واستندوا في ذلك إلى قول الله تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} سورة التوبة/65-66

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى لها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار»³

ولهذا قال الشيخ عبد الله بن الحسين الحضرمي (ت1272هـ): "يجب على كل مسلم حفظ إسلامه وصونه عما يفسده ويبطله ويقطعه وهو الردة والعياذ بالله تعالى، وقد كثُر في هذا الزمان التساهل في الكلام حتى إنّه يخرج من بعضهم ألفاظ تُخرجهم عن الإسلام ولا يرون ذلك ذنباً فضلاً عن كونه كفراً"⁴.

وقال الشيخ البكري الدميّاطي (ت بعد 1302هـ): "واعلم: أنه يجري على السنة العامة جملة من أنواع الكفر من غير أن يعلموا أنها كذلك، فيجب على أهل العلم أن يبينوا لهم ذلك لعلمهم يجتنبونه إذا علموه لئلا تحبط أعمالهم ويخلدون في أعظم العذاب، وأشد العقاب، ومعرفة ذلك أمر مهم جداً، وذلك لأن من لم يعرف الشر يقع

¹ - أبو الحسن الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مكتبة السداوي - القاهرة، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، 1413هـ - 1992م، ص: 3-4.

² - الردة خروج من الملة، فلا يبقى معها إيمان، فهي تحبط جميع الطاعات، إضافة إلى أن الله تعالى لا يغفر لمن مات عليها، بل صاحبها مخد في نار جهنم، كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى: {وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} سورة البقرة/217، ونظراً لهذه الخطورة، فإنه يتعين علينا العلم بنواقض الإيمان، ومعرفة أنواعها، لاستنباط سبل الكافرين مخافة الوقوع فيها، قال عز وجل: {وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام/55]. يقول ابن القيم (ت751هـ) في هذا المقام: "والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبه هؤلاء مفصلة، وعاقبه هؤلاء مفصلة. فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبان لهم السبيلان، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك، وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الشرك إلى التوحيد، فعرفوا مقدار ما نالوه، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها.

فاللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر رضي الله عنه: "إنما تنقص عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية" وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه، فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستبين له، أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة في أمور كثيرة "ويقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني" ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1393هـ - 1973م، ص: 108-109 باختصار.

³ - رواه الترمذي في سننه وحسنه، كتاب الزهد، فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس الحديث 2314، 4/557، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

⁴ - سلم التوفيق إلى محبة على التحقيق، سلسلة التدرج في الفقه الشافعي(1)، تحقيق ونشر: سبط الجبلاني، بيروت- الطبعة الأولى

فيه وهو لا يدري، وكل شر سببه الجهل، وكل خير سببه العلم، فهو النور المبين، والجهل بئس القرين¹.
وقال محمد الأمين الهري: "إن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه، ومن غير أن يختار ديناً على دين الإسلام."²

إن أشد ما يواجه المسلمين اليوم هو منازعتهم في عقيدتهم، وأعظم ما يكيد أعداء الدين أن يفتنوا المسلم في دينه حتى يجعلوه ينكص على عقبيه كما قال تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } سورة البقرة/217، فالردة من أخطر ما يكون من المصائب على المجتمع، إذ بذلك يخرج المرء من دينه، وتتهار الروابط الإيمانية، ولهذا كان من واجب المجتمع أن لا يدع هناك فرصة للأعداء بأن ينشروا الكفر والإلحاد بين أبناء المسلمين، وأن يقاوموا الردة كما فعل أبو بكر والصحابه رضي الله عنهم حين قاتلوا أهل الردة. ومن الخطر كل الخطر أن يبتلى المجتمع المسلم بالمرتدين المارقين، ولا يجد من يواجههم ويقاومهم، وبصدق فينا حينئذ قول القائل "ردة ولا أبا بكر لها"³.

¹ - إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، 149/4.

² - محمد الأمين الهري، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 280 / 12.

³ - هذه العبارة مأخوذة من محاضرة للشيخ أبي الحسن الندوي (ت 1420 هـ) رحمه الله، طبعت في رسالة صغيرة، وضمت لكتابه إلى الإسلام من جديد، أنظر : أبو الحسن الندوي: ردة ولا أبا بكر لها، المكتبة المكية، حي الهجرة - مكة المكرمة، و إلى الإسلام من جديد، دار القلم، دمشق الطبعة: الرابعة، 1399 هـ - 1979 م، ص: 171.

وفي هذا السياق يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر (ت 1433 هـ) رحمه الله: " ولقد شاهدنا في فترة من هذا القرن (العشرين) ردة عنيفة عن الإسلام، وقد هالت تلك الردة المفكر المسلم أبا الحسن الندوي فإذا به يصرخ من أعماق قلبه: ردة ولا أبا بكر لها، لقد وُجِدَ لتلك الردة التي حاولت أن تجتث الإسلام في عصره الأول رجال في طليعتهم الصديق رضي الله عنه، ولكنها لم تجد في وقتنا حاكمًا من حكام المسلمين يواجه تلك الردة." نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان الطبعة: الرابعة، 1414 هـ - 1994 م، ص: 8.

الفصل الثاني : أحكام التكفير وضوابطه

المبحث الأول: التكفير المطلق وتكفير المعين

المطلب الأول: التحذير من التكفير¹

التَّكْفِيرُ تفعيل من الكُفْر، وهو مصدر كَفَّرَ، يقال: كَفَّرَهُ (بالتشديد) تكفيراً: نَسَبَهُ إلى الكفر. قال ابن منظور: " أَكْفَرْتُ الرَّجُلَ دَعَوْتُهُ كَافِراً، يقال: لَا تُكْفِرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ قِبْلَتِكَ أَيْ لَا تُنْسِبُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَا تَجْعَلُهُمْ كَافِرًا بِقَوْلِكَ وَزَعْمِكَ، وَكَفَّرَ الرَّجُلُ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ"². فالإكفار أو التكفير هو: الحكم على المسلم بالردة³.

ولخطورة إصدار هذا الحكم على المسلم وما يتبعه من أحكام في الحال والمآل⁴، فقد حذرنا الشارع الحكيم في الكتاب والسنة من التسرع في إطلاق التكفير على من لا يستحقه، من غير تبيين ولا تثبت. قال تعالى معاتباً وموجهاً للمسلمين: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

¹ - مسألة التكفير مسألة حساسة ومتشعبة، وأنصح لمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع بالكتب التالية:

نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (في الأصل رسالة دكتوراه)، نواقض الإيمان الاعتقادية للوهبي (في الأصل رسالة دكتوراه)، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة للقرني (في الأصل رسالة ماجستير) والتكفير وضوابطه لمنفذ بن محمود السقار وغيرها.

² - لسان العرب لابن منظور، مادة (كفر)، 144/5.

³ - معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلججي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، ص: 85

⁴ - من الآثار المترتبة على التكفير والدالة على خطورته ما ذكره الفقهاء من الأحكام الخاصة بالمرتد مثل: قتله لقوله صلى الله عليه وسلم: « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة » رواه البخاري، سبق تخريجه. وكون ماله يصير فيئاً لا يرث ولا يورث، وعدم صحة تزويجه لأنه لا ولاية له، وتحريم ذبيحته، وترك الصلاة عليه، وما إلى ذلك من أحكام، قال عبد الله بن عبد الحميد: " أجمع أهل السنة والجماعة على أن الشخص المكفر يترتب على كفره أحكام، منها:

1- عدم حل زوجته - المسلمة - له، وتحريم بقائها، وبقاء أولادها تحت سلطانه؛ لأن المرأة المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع.
2- وجوب محاكمته أمام القضاء؛ لتنفيذ حد الردة عليه - وهو القتل - لأنه كفر بعد إسلامه، وذلك بعد استتابته وإقامة الحجة، وإزالة الشبهة.
3- أنه إذا مات على رده وكفره؛ لا تجري عليه أحكام المسلمين؛ فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، كما أنه لا يرث إذا مات له موروث قبله.
4- أنه إذا مات على الكفر؛ وجبت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والخلود الأبدي في النار - والعياذ بالله - ولا يدعى له بالرحمة، ولا يستغفر له. " الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد، ص 262، وانظر: كتاب ظاهرة الغلو في التكفير للقرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411 هـ-1990 م، ص: 29.

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن كثير في تفسيره نقلا عن الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا. فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا } إلى آخرها.¹

قال أبو حيان في تفسير هذه الآية: "أمر الله المؤمنين بالتثبت والتبين، وأن لا يقدم الإنسان على قتل من أظهر الإيمان، وأن لا يسفكوا دما حراما بتأويل ضعيف، وكرر ذلك آخر الآية تأكيدا أن لا يقدم عند الشبه والإشكال حتى يتضح له ما يقدم عليه."²

ونقل عن أبي بكر الرازي قوله: "حكم تعالى بصحة إسلام من أظهر الإسلام، وأمر بإجرائه على أحكام المسلمين، وإن كان في الغيب على خلافه. وهذا مما يحتج به على توبة الزنديق³ إذا أظهر الإسلام، فهو مسلم"⁴.

فالآية صريحة في أن من أظهر شيئا من شعائر الإسلام حكم بإسلامه، ولهذا نهى الله المؤمنين أن ينفوا الإيمان عمن تحقق فيه ذلك، ولزام ذلك أن يحكموا بإسلامه ابتداء، لأنه لا دليل قاطع على عدم اعتباره إقراره. ومجرد

¹ - مسند الإمام أحمد، 2023 وحسنه لغيره محققو المسند، 3/ 467، ورواه الترمذي في سننه في (أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) رقم 3030 وقال هذا حديث حسن " 5/ 240، وروى البزار، والطبراني عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير، لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلا يشهد: لا إله إلا الله؟! والله لأذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، إن رجلا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد؟ فقال: ادع لي المقداد، يا مقداد أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟ فكيف بك بلا إله إلا الله غدا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ } ، أو السلام، شك أبو سعيد، يعني جعفر بن سلمة، { لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَايِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ } ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد: « كان رجلا مؤمنا يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه، فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل » مسند البزار، الحديث 5127، 11/ 317، المعجم الكبير للطبراني، الحديث 12379، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، 1404 هـ - 1983م 30/12.

² - البحر المحيط في التفسير، 31/4

³ - الزنديق، بالكسر: من الثوية، أو القاتل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان... جمع زنادقة أو زناديق، وقد تزندق، والاسم: الزندقة. ثم أصبح يطلق على كل من أنكر أصلا من أصول العقيدة وفي الإلحاد عموما، كما قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: من طلب الدين بالكلام تزندق. وقال يزيد بن هارون: من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق.

انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص: 891، ، خلق أفعال العباد للإمام البخاري، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف- الرياض، ص: 30، و شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، 1/ 247.

وقال الإمام الغزالي: " الزندقة المطلقة: هو أن تتكر أصل المعاد عقليا وحسيا، وتتكر الصانع للعالم أصلا ورأسا. وأما إثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية، وإثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الأمور فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام " فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص : 58.

⁴ - البحر المحيط في التفسير، 32/4.

الشك في أنه قد يكون متعوذاً لا يكفي في نفي وصف الإسلام عنه.¹

وجاء كذلك في السنة النبوية الصحيحة التحذير الشديد من الغلو في التكفير فمن ذلك الأحاديث التالية:

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك. »² وفي رواية: « ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه ».³

وعند مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا كَفَّرَ الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما ».⁴ وفي رواية أحمد: « أيما رجل كَفَّرَ رجلاً، فإن كان كما قال وإلا فقد باء بالكفر »⁵، وعنده أيضاً: « إذا قال الرجل لصاحبه: يا كافر، فإنها تجب على أحدهما، فإن كان الذي قيل له كافر فهو كافر، وإلا رجع إليه ما قال ».⁶

وعند أبي داود: « أيما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً: فإن كان كافراً، وإلا كان هو الكافر »⁷ فهذه الأحاديث وغيرها فيها زجر شديد للمسلم حتى لا يتسرع في رمي أخاه بالكفر، وفي بيان معنى الأحاديث السابقة قال ابن عبد البر (ت463هـ): " المعنى في قوله « فقد باء بها أحدهما »⁸ يريد أن المقول له يا كافر إن كان كذلك، فقد احتمل ذنبه ولا شيء على القائل له ذلك لصدقه في قوله، فإن لم يكن كذلك فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة يا كافر »⁹.

ويقول ابن دقيق العيد (ت702هـ): " وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين، وليس كذلك، وهي ورطة

¹ - ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن محمد القرني، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ-1992 ص: 89-90.

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن رقم الحديث 5698، 5/2247.

³ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم الحديث 61، 1/79،

⁴ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم الحديث 60، 1/79.

⁵ - مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 4745، 8/367، تعليق محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁶ - المسند، رقم الحديث 5824، تعليق محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁷ - سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم الحديث 4689، 4/355، وصححه الشيخ الألباني

⁸ - ذكر النووي رحمه الله في شرح هذه العبارة عدة تأويلات لأهل العلم فقال: " أحدها أنه محمول على المستحل لذلك، وهذا يكفر فعلى هذا معنى باء بها أي بكلمة الكفر وكذا حار عليه، وهو معنى رجعت عليه، أي رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد، والوجه الثاني: معناه رجعت عليه نقيضته لأخيه ومعصية تكفيره، والثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا الوجه نقله القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك بن أنس وهو ضعيف، لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع، والوجه الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي كما قالوا بريد الكفر، ويخاف على المكثّر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر، والوجه الخامس: معناه فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير، لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كَفَّرَ نفسه، إما لأنه كَفَّرَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ، وإما لأنه كَفَّرَ مَنْ لَا يُكْفَرُ إِلَّا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام والله أعلم " شرح النووي على صحيح مسلم، 50/2، وانظر كذلك في بيان أقوال العلماء في هذه الأحاديث وما أشبهها (التي يرد فيها إطلاق الكفر ثم يفسر بكفر غير ناقل عن الملة) ما ذكره ابن رجب في شرحه (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، 1/139.

⁹ - التمهيد، 17/22.

عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسويين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم¹.

وقال الحافظ ابن حجر: " والتحقق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم"².

وفي حديث آخر يشبه النبي صلى الله عليه وسلم تكفير المسلم بأعظم ذنب بعد الشرك بالله، وهو تعدد قتل المؤمن، فثبت في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: « ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله »³، وفي رواية رواية الترمذي: « ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله »⁴، وعند أحمد: « ومن شهد على مسلم أو قال مؤمن بكفر بكفر فهو كقتله »⁵.

قال شيخ الإسلام (ت728هـ) مبينا شدة الوعيد الوارد في هذا الحديث: " وإذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟ فإن ذلك أعظم من قتله "⁶.

وقذف المسلم لأخيه المسلم بالكفر يدخل في التنازع بالألقاب الذي نهى الله عنه، بل عده بعض العلماء من الكبائر، قال تعالى: { وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } سورة الحجرات/11

قال ابن عبد البر: " هو قول الرجل لأخيه: يا كافر يا فاسق، وهذا موافق لهذا الحديث (الحديث السابق)، فالقرآن والسنة ينهايان عن تفسير المسلم وتكفيره إلا ببيان لا إشكال فيه"⁷.

وقد نص ابن القيم (ت751هـ) في إعلام الموقعين على أن: " من الكبائر تكفير من لم يكفره الله ورسوله "⁸.

وقال ابن حجر الهيتمي (ت974هـ): " الكبيرة الثانية والثالثة والخمسون بعد الثلاثمائة: قول إنسان لمسلم: يا كافر أو يا عدو الله، حيث لم يكفره به بأن لم يرد به تسمية الإسلام كفرا، وإنما أراد مجرد السب). وذكر الحديث

¹ - ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، 420/1. وقال ابن الوزير في شرح الطحاوية ص432: " وقد عوقبت الخوارج أشد عوقبة، وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله تعالى، وتعظيمهم الله تعالى بتكفير عاصيه، فلا يأمن المكفر أن يقع في مثل ذنبهم، وهذا خطر في الدين جليل، فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل ".
وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هنا قاعدة جامعة للتكلم في مسائل الفروع والأصول " لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات لينكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم " منهاج السنة النبوية ، 5 / 83.

² - فتح الباري، 10/466.

³ - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم الحديث 5700 ، 5/2247.

⁴ - سنن الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر، رقم الحديث 2636 ، 5/22، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

⁵ - مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 16391 ، 26/316، تعليق محققى المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁶ - الاستقامة لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403هـ، 165-166/1.

⁷ - التمهيد، 17/21.

⁸ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،

1411هـ - 1991م، 4/308

المتقدم¹ ثم قال : هذا وعيد شديد وهو رجوع الكفر عليه أو عداوة الله له، وكونه كإثم القتل، فلذلك كانت إحدى هاتين اللفظتين إما كفرا بأن يُسمّى المسلم كافرا أو عدو الله من جهة وصفه بالإسلام، فيكون قد سمي الإسلام كفرا ومقتضيا لعداوة الله، وهذا كفر، وإما كبيرة بأن لا يقصد ذلك، فرجوع ذلك إليه حينئذ كناية عن شدة العذاب والإثم عليه وهذا من أمارات الكبيرة².

والتكفير استباحة لما حرمه الله من عرض المسلم، الذي أكد النبي صلى الله عليه وسلم على حرمة في خطبته العظيمة في حجة الوداع، فقال: « فَإِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ »³، والقول بكفر المسلم من أعظم ما يقدر في عرضه، وهو مستتبع لهنك ماله ودمه⁴.

وعلى هذا المنهج من الاحتياط والحذر من التكفير سار الرّعيّل الأوّل من الصّحابة، قال ابن رجب: " وقد روي عن جابر بن عبد الله أنه سئل: هل كنتم تسمون شيئا من الذنوب: الكفر أو الشرك؟ قال: معاذ الله؛ ولكننا نقول مذنبين. خرج محمد بن نصر⁵، وغيره. وكان عمار ينهى أن يقال لأهل الشام الذين قاتلوهم بصفين: كفروا، وقال: قولوا فسقوا، قولوا ظلموا. وهذا قول ابن مبارك وغيره من الأئمة⁶. ولما سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن قتال أهل البغي من أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا. فقيل: أمنافقون؟ قال: لا، لأن المنافقين لا يذكرهم الله إلا قليلا. قيل له: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا⁷.

وهذه بعض أقوال العلماء شاهدة على ورعهم في هذه المسألة الخطيرة وتحذيرهم من الخوض فيها من غير بينة:

قال أبو العباس القرطبي (ت656هـ) بعد ذكر خلاف أهل العلم في تكفير الخوارج: " وقد توقف في تكفيرهم كثير من العلماء...وسبب الخلاف في تكفير من هذه حاله: أنباب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئا⁸. ولما رأى ابن الوزير (ت840هـ) تتابع النصوص في النهي عن تكفير المسلم قال: " وفي مجموع ذلك ما يشهد لصحة التغليظ في تكفير المؤمن، وإخراجه من الإسلام مع شهادته بالتوحيد والنبوت، وخاصة مع قيامه بأركان

¹ - وهو حديث أبي ذر في صحيح مسلم: « ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » سبق تخريجه.

² - أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م، 2/ 205.

³ - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (رب مبلغ أوعى من سامع)، رقم الحديث 67، 37/1.

⁴ - منقذ بن محمود السقار، التكفير وضوابطه، منشورات رابطة العالم الإسلامي، ص: 14.

⁵ - روى محمد بن نصر المروزي (ت294هـ) بسنده عن وهب بن منبه، قال: هذا ما سألت عنه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما عنهما فأخبرني، سألته في المصلين من طواغيت؟ قال: لا، وسألته: هل فيهم من مشرك؟ قال: لا، وأخبرني أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «بين الشرك والكفر ترك الصلاة» وسألته: أكانوا يدعون الذنوب شركا؟ قال: معاذ الله، ولم يكن يدعون في المصلين مشركا " تعظيم قدر الصلاة، 2/ 875.

⁶ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب 140/1-141.

⁷ - تفسير القرطبي، 16/ 323-324.

⁸ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 3/ 110-111.

الإسلام، وتجنبه للكبائر، وظهور أمارات صدقه في تصديقه لأجل غلط في بدعة، لعل المكفر له لا يسلم من مثلها أو قريب منها، فإن العصمة مرتفعة، وحسن ظن الإنسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك عقلاً ولا شرعاً، بل الغالب على أهل البدع شدة العجب بنفوسهم والاستحسان لبدعتهم¹.

وقال ابن نجيم المصري (ت970هـ): "والذي تحرر أنه لا يُفتَى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يُفتَى بالتكفير بها، ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء منها"².

وقال الشوكاني (ت1250هـ): "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار" ثم ذكر أحاديث الباب المتقدمة ثم قال: "ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير"³. فهذه الأقوال وغيرها كثير تجمع على حرمة تكفير المسلم.

ولذلك فقد ورد في القرآن ما يؤكد أن وظيفة الدعاة ورسالتهم هي: نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } سورة النحل/125، وأن يكون الدفع والتدافع مع الباطل وأهله بالتي هي أحسن كذلك { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } سورة فصلت/34، وأن يكون التعامل باللين والرفق والأخلاق السامية، وليس بالتكفير والتفسيق، فليس من شأن الدعاة إصدار الحكم بالتكفير على المخالفين من الموحدين، وإنما إصدار الأحكام هو من شأن القضاة والعلماء المختصين بعد انطباق الأدلة المعتبرة ووجود الشروط وانتفاء الموانع، وإزالة الشبهات، فنحن دعاة لا قضاة.

والآيات في عدم مسؤوليتنا عن الآخرين بعد القيام بواجب الدعوة أكثر من أن تحصى في هذا المجال، منها قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } سورة المائدة/105، وقوله تعالى: { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } سورة الكهف/6، وقوله تعالى { لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ } سورة الغاشية/22.

تكفير الكافر من أصول الاعتقاد:

لكن بالرغم من هذا التحذير الشديد من التكفير، فإنه لا ينبغي الانسياق وراء بعض الناعقين الذين ينفون التكفير جملةً وتفصيلاً من دين الإسلام، و يدعون أن التكفير دخيلٌ على الدين، و أنه لا يجوز أن نكفر أحداً مهما كان كما زعموا، لأن الإسلام دين التسامح والتعايش، ونحو ذلك من الكلام، الذي تُروجه بعض

¹ - إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1987م، ص 385.

² - زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، 5/ 135.

³ - الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، دون تاريخ، ص: 978.

الفضائيات، وما هو في الحقيقة والواقع إلا تميعٌ لثوابت الدين وقطعياته، وتجاهل صريح لنصوص الوحيين في هذا الموضوع.

وقد قرر أهل السنة والجماعة بناءً على أدلة الكتاب والسنة قاعدة: " من لم يُكفر الكافر فهو كافر"¹ والمقصود بها من ثبت كفره بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال القاضي عياض (ت 544هـ): " ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل..أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم².. وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه.. فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك"³. ونقل " الإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين، أو وقف في تكفيرهم، أو شك. قال القاضي أبو بكر الباقلاني: لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم، فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف، أو شك فيه. والتكذيب أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر"⁴. فقد بينوا أن مناط⁵ التكفير هنا: هو من لم يكفر النصارى واليهود، ومن دان بغير ملة الإسلام، ممن دل النص أو الإجماع على كفره.

ولهذا قال ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ): " واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارا "⁶.

فهذا المنهج المنضبط بضوابط الشرع - في تكفير أهل السنة والجماعة لمن ثبت كفره - وسط بين الإفراط والتفريط، فهم لا يكفرون بالذنوب والمعاصي حتى لو كانت من الكبائر كما هو حال الخوارج، ولا يميعون

¹ - يقول الشيخ المغراوي المراكشي في بيان هذه القاعدة : " وهذا عام في كل من لم يكفر الكافر، ومن ظهر شركه وبدعته وفسقه، فهذه الأحكام من ظهرت له من صاحبه ولم ينسبه إليها فهو مثله، وليس كجهلة أهل هذا الزمان، الذين يقولون بزعمهم: لا ينبغي لنا أن نكفر أحدا ونجعله مشركا أو مبتدعا.

نعم هذا لا يجوز قطعا، ولكن إذا صح الوصف على المسمى، فما الحيلة إذا كان كفره واضحا وشركه واضحا وبدعته واضحة؟ فإن قيل: من باب الورع، فهذا كذب، فالورع أن تنزل الأشياء في مواضعها وأن تزننها بميزان الشرع.

وأما قول بعضهم: فهذه الأحكام تفرق الكلمة، فنقول: لا جمع الله كلمة على شرك أو بدعة إلى يوم القيامة، فكلمة لا تجتمع على التوحيد الخالص، وتجمع لا يقوم على عقيدة صحيحة مناهضة لكل شرك وبدعة وخرافة، لا خير فيه. " أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من 9000 موقف لأكثر من 1000 عالم على مدى 15 قرناً)، المكتبة الإسلامية، القاهرة - النبلاء للكتاب، مراكش، الطبعة: الأولى، دون تاريخ، 3/ 435.

² - قال البهوتي الحنبلي (ت 1051هـ) في كشف القناع: " (أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم) فهو كافر لأنه مكذب لقوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) {آل عمران: 85} كشف القناع عن متن الإقناع، 6/ 170

³ - الشفا، 2/ 286.

⁴ - نفس المصدر، 2/ 281.

⁵ - المناط - بفتح الميم - في اللغة: اسم مكان الإناطة، والإناطة التعليق والإلصاق، مأخوذ: من النُّونُ وَالْوَاوُ وَالطَّاءُ: وهو أَصْلٌ صَحِيحٌ يُدْلُ عَلَى تَعْلِيلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. وَنُطْنُهُ بِهِ: عَلَّقْنَاهُ بِهِ. وَالنُّوْطُ: مَا يَبْتَغَى بِهِ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ أَنْوَاطٌ وَنِيطٌ. انظر: معجم مقاييس اللغة، 5/ 370، المصباح المنير، 2/ 630، القاموس المحيط ص: 691، مادة (ن وط). شرح تنقيح الفصول للقرافي، ص: 388

والمناط عند الأصوليين يراد به العلة، ربط بها الحكم وعلق عليها فسميت مناطاً، وهذا التعبير - كما ذكر ابن دقيق العيد - من باب المجاز اللغوي؛ لأن الحكم لَمَّا عُلِقَ بالعلة كان كالشيء المحسوس الذي تعلق بغيره، فهو مجاز من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وصار ذلك في اصطلاح الفقهاء، بحيث لا يُفهم عند الإطلاق غيره. أنظر : شرح تنقيح الفصول للقرافي، ص: 388، الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، 7/ 322، عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (ت 1235 هـ)، نشر البنود على مراقي السعود، ، 2/ 204

⁶ - مراتب الإجماع، ص 119.

الإسلام بعدم التكفير كما هو حال المرجئة. ثم إن إطلاقهم لهذه الأحكام الشرعية ليس لهوى في النفس، وإنما تحقيقاً لواجب الولاء والبراء تعبدًا لله تعالى، قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } سورة الممتحنة/4، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان ».¹

ومن المؤسف في وقتنا الحاضر أننا نجد من يتهم بعض علماء السلف وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية بالتطرف والإرهاب، وأنه ملهم للتكفيريين والجماعات المتطرفة، ولا يفتونون ينسبون إلى فكره وإنتاجه العلمي مثل هذه التهم التي لا أساس لها من الصحة. لذلك وجب بيان الحق في هذه المسألة بما يدفع تلك التهمة، وذلك من واقع كتابات الشيخ ومواقفه العلمية.

قال رحمه الله: " ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى. " ²

وقال أيضا: " ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية³ والنفاة الذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم، أن لو وافقتكم كنت كافرا؛ لأنني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم " ⁴.

فهذا أنموذج عظيم للتطبيق العملي لهذا المبدأ، وفيه رد عملي على أدعياء العلم من المبتدعة الذين يزعمون أن شيخ الإسلام يكفر المسلمين إلى آخر هذا الكلام المستند إلى الهوى والتعصب.

¹ - سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث 4683 ، 4 / 354 ، وصححه الشيخ الألباني.

² - مجموع الفتاوى، 3 / 229، يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت1206هـ) في تعليقه على هذا الكلام: " وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغته حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية. " مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، ص: 289

³ - الحلول من العقائد الباطلة، ومعناه أن يحل أحد الشبثين في الآخر، ففيه إثبات وجودين، وحلول أحدهما في الآخر، قال الكفوي: " الحلول: هو أن يكون الشيء حاصلًا في الشيء ومختصًا به بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقًا أو تقديرًا " الكليات، ص: 390. والحلول على قسمين:

1/حلول خاص: وهو دعوى حلول الرب وحصوله في بعض خلقه.

فمنهم من يجعل هذا الحلول في عين مختصة، كدعوى النسطورية من النصارى بحلول اللاهوت في الناسوت، ويخصون ذلك بعيسى عليه السلام، وكدعوى غالبية الرافضة الذين يقولون: إن الله تعالى حلَّ بعلي ابن أبي طالب ، وأئمة أهل بيته. ومنهم من يربط الحلول بمن حقق وصفاً مختصاً، كبعض غلاة الصوفية ممن يقول بحلوله تعالى وتقدس في من حقق الولاية، وهذب نفسه في الطاعة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

2/حلول عام: وهو دعوى حلول الرب وحصوله بذاته في كل مكان. وهذا القول هو الذي ذكره أئمة السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، ممن يقول: إن الله بذاته في كل مكان. أنظر عبد القاهر البغدادي (ت429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1977م، ص: 241، مجموع الفتاوى لابن تيمية، 2/465-466.

⁴ - ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن دجين السهلي (أصل الكتاب: رسالة ماجستير - قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود) مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة: الأولى، 1426 هـ ، ومع ذلك فشيخ الإسلام حكم بكفر من لا شبهة في كفره كالباطنية ومن قامت عليه الحجة.

المطلب الثاني: التكفير حكم شرعي

التكفير مسألة فقهية، بمعنى أنها حكم شرعي يوصف به أفعال المكلفين، فهو من أحكام الدين، له أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره، شأنه في ذلك شأن سائر الأحكام الشرعية، لا يصدر فيه إلا عن الأدلة الشرعية المعتبرة.

قال الإمام الغزالي (ت 505هـ): "إن هذه مسألة فقهية، أعني الحكم بتكفير من قال قولاً وتعاطى فعلاً، فإنها تارة تكون معلومة بأدلة سمعية، وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد، ولا مجال لدليل العقل فيها البتة، ولا يمكن تفهيم هذا إلا بعد تفهيم قولنا: إن هذا الشخص كافر والكشف عن معناه، وذلك يرجع إلى الإخبار عن مستقره في الدار الآخرة، وأنه في النار على التأبيد، وعن حكمه في الدنيا وأنه لا يجب القصاص بقتله، ولا يمكن من نكاح مسلمة ولا عصمة لدمه وماله، إلى غير ذلك من الأحكام"¹. وقال أيضاً في فيصل التفرقة: "الكفر حكم شرعي، كالرق والحرية مثلاً؛ إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص"². وقد خصص القاضي عياض (ت 544هـ) في كتابه الشفا فصلاً بعنوان (في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر) افتتحه بقوله: "اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه"³.

ويقول ابن تيمية (ت 728هـ): "الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطأه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل تجب في الشرع معرفته"⁴.

ويقول ابن الوزير (ت 840هـ): "إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه"، ويقول: "إن الدليل على الكفر والفسق لا يكون إلا سمعياً قطعياً ولا نزاع في ذلك"⁵.

فلا يُصار إلى التكفير بمجرد الظن والهوى، فهو من أعظم القول على الله بلا علم، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33].

¹ - الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، ص: 133.

² - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص: 26.

³ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 2/ 282.

⁴ - ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، 1/ 140.

⁵ - ابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م، 4/ 178-179.

وهكذا فالقول في هذه المسألة وغيرها من مسائل الدين والحياة مرده إلى علم الشريعة وفقه نصوصها، ولا يجوز في ذلك كله الخوض بلا علم ولا برهان من دين الله.

لكن تزداد خطورة القول بلا علم في مسألة التكفير لما يترتب على هذا الحكم من أمور خطيرة، قال ابن الوزير (ت840هـ): "إن في الحكم بتكفير المُخْتَلَف في كفرهم مفسدة بينة تخالف الاحتياط وذلك إسقاط جميع حقوق المخلوقين من الأموال والدماء وغيرهما وإباحة فروج نسائهم إذا لم يتوبوا وسفك دمائهم"¹. فلا يجوز للمفتين والقضاة فضلا عن غيرهم من عامة المسلمين الإقدام على تكفير الآخرين إلا ببرهان واضح ودليل قاطع، كما يجب عليهم الاحتياط في ذلك، وقد تتابعت أقوال العلماء على تقرير هذا الأمر، نذكر منها ما يلي:

قال الغزالي: "والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم"².

وقال القرافي (ت684هـ): "وإنما قضينا بكفر المتردد للكنائس ونحوه في القضاء دون الفتيا وبينه وبين الله تعالى قد يكون مسلماً فافترق البابان، فالذي يستقيم في هذه المسألة ما حكاه الطرطوشي عن قدماء أصحابنا أنا لا نكفره حتى يثبت أنه من السحر الذي كفر الله تعالى به أو يكون سحراً مشتملاً على كفر، وما عدا ذلك فمشكل، فتأمل فليس إراقة الدماء بسهل ولا القضاء بالتكفير"³.

وقال ابن حجر الهيتمي (ت974هـ): "ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه لعظيم خطره وغلبة عدم قصده سيما من العوام"⁴.

وقال ابن نجيم المصري (ت970هـ) والذي تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها، ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء منها"⁵.

وقال العلامة ابن عابدين الحنفي (ت1252هـ): "لا يُخْرِجُ الرَّجُلَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا جُحُودُ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ، ثُمَّ مَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ رَدَّةٌ يُحْكَمُ بِهَا، وَمَا يَشْكُ أَنَّهُ رَدَّةٌ لَا يُحْكَمُ بِهَا، إِذَ الْإِسْلَامُ الثَّابِتُ لَا يَزُولُ بِالشَّكِّ" ثم نقل مجموعة من أقوال المذهب كلها تنص على ضرورة الاحتياط في التكفير فقال: "وفي الفتاوى الصغرى: "الكفر شيء عظيم

¹ - ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1987م، ص: 405.

² - الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 135.

³ - أبو العباس شهاب الدين القرافي، الذخيرة، تحقيق: محمد بو خبزة، محمد حجي، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م، 12/36-37.

⁴ - ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى بمصر بدون طبعة - 1357 هـ - 1983 م، 88/9.

⁵ - زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ، 135/5.

فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية أنه لا يَكْفُرُ". وفي الخلاصة وغيرها: "إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنعه، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يَمْنَعُ التكفير تحسبنا للظن بالمسلم" وفي التَّنَازُلَيْنِ: "لا يَكْفُرُ بِالْمُحْتَمَلِ، لأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية ومع الاحتمال لا نهاية" ¹.

هذا وقد أصدرت مؤسسات الإفتاء الرسمية في البلدان الإسلامية بيانات تحذر من تكفير المسلمين وتؤكد على عدم جواز إطلاق الكفر على أحد من أهل القبلة إلا بالأحكام الواضحات البينات، وأنه لا يجوز التساهل في هذه المسألة أبداً لما يترتب على ذلك من مفسد عظيمة على الأفراد والمجتمعات.²

ومما ذكر يتبين لنا حقيقة التكفير، وحكمه، وتبين لنا أنه وظيفة القاضي والمفتي، ولا يجوز لغيرهما التجرؤ والافتئات عليهما فيه، لما في ذلك السلوك من المخاطر الشديدة، على الفرد والمجتمع، لذا فإن " أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله. وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم".³ والله سبحانه وتعالى وأعلم.

المطلب الثالث: الفرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين

إن تكفير المسلم من الكبائر التي نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز لأحد أن يتجرأ على مثل هذا الأمر إلا إذا كانت عنده بينة، فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وليعلم أنه يوجد فرق بين تكفير شخص بعينه إذا فعل فعلاً ما، وبين إطلاق الكفر على نفس الفعل، لأن إطلاق الكفر على نفس الفعل لا يستلزم كفر فاعله، لأن الفاعل قد يكون له من العذر ما ينفي عنه هذا الحكم. وهذه الفروق مما ينبغي العناية بها؛ تجنباً للوقوع في الخطأ في هذه المسألة الخطيرة.

فإسقاط الكفر على المعين مع وقوعه فيما هو كفر شرعاً ليس بلازم دائماً، لما يعرض له من موانع تجعله لا يؤاخذ بذلك وإن تلبس به، وهذا ما يسمى عند الأصوليين بـ " الأمور المعترضة على الأهلية"⁴ أو "عوارض

¹ - ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار دار الفكر - بيروت الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م، 4 / 224.

² - جاء في فتاوى دار الإفتاء المصرية، 60/6 محمد عبده. محرم 1322 هجرية (فإن باب التكفير باب خطير ينبغي الاحتراز عنه ما وجد إليه سبيل، ولا يعدل بالسلامة شيء)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم: 5003 - 7233 - 9232، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.

³ - ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن دجين السهلي (رسالة ماجستير)، مكتبة دار المنهاج، الرياض الطبعة: الأولى، 1426 هـ، ص: 252.

⁴ - سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت 793 هـ)، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح بمصر بدون طبعة وبدون تاريخ، 2 / 330.

الأهلية¹. وقد قسموها إلى قسمين: عوارض سماوية كالجنون والصغر والعته، وعوارض مكتسبة كالجهل والخطأ والإكراه.

فقد يفعل المسلم عملاً كفريةً ولكن لا يحكم عليه بالكفر نظراً لوجود مانع كالإكراه أو الجهل أو التأويل ونحو ذلك، ولذا قرر أهل العلم أنه لا يحكم على مسلم معين بالكفر لمجرد عمل وقع فيه حتى تقام عليه الحجة التي يكفر مخالفتها، وأنه ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، وأن الحكم على الفعل بأنه كفر لا يلزم منه كفر فاعله.

وعليه، فرق أهل السنة بين التكفير المطلق (كفر النوع أو الفعل)، والتكفير المعين (كفر العين أو الفاعل)، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وتكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع.. والدليل على هذا الأصل: الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار"².

وعبر عن هذا الأصل في موضع آخر فقال: "إن مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والعين"³

وهذه القاعدة الأصلية مبنية على أصل شرعي آخر وهو "أن التكفير العام - كالوعيد العام - يجب القول بإطلاقه وعمومه. وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار: فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه"⁴.

قال ابن أبي العز الحنفي (ت 792هـ): (وأما الشخص المَعِينُ، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا تشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يُشْهَدَ عَلَى مُعِينٍ أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت...ولأن الشخص المَعِينُ يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله"⁵.

ويشهد لذلك حديث أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر، فقال خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً، وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار ». قال أبو

¹ - محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (ت 972 هـ)، تيسير التحرير، مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351

هـ - 1932 م) وصورته: دار الكتب العلمية - بيروت (1403 هـ - 1983 م)، ودار الفكر - بيروت (1417 هـ - 1996 م)، 2/ 258

² - مجموع الفتاوى 489-487/12.

³ - نفسه، 348/23.

⁴ - أنظر نفس المصدر، 498/12.

⁵ - ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، الطبعة: الأولى -

1418هـ، ص: 299.

هريرة: والذي نفسى بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.¹

واستدلوا كذلك على صحة هذا التفريق بما جاء في البخاري عن عمر رضي الله عنه أن رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا، وكان يُضحك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأُتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله".²

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فنهى عن لعنه مع إصراره على الشرب، لكونه يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، مع أنه لعن في الخمر عشرة³.. ولعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق⁴.."

وقال أيضا: " إن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله سبحانه وتعالى يقول: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } سورة النساء/10، فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع⁵.

وكتطبيق لهذا التفريق، فقد ورد عن السلف والأئمة تكفيرهم لبعض فرق أهل البدع، لكن صنيعهم ذاك من باب تكفير المطلق، ولا يلزم منه تكفير كل أفراد تلك الفرق.

مثال ذلك: تكفيرهم للجهمية والقدرية كما ورد عن سلام بن أبي مطيع فيما رواه الدارمي في الرد على الجهمية⁶ وغيره، وعن الإمام أحمد كما في السنة للخلال⁷ وغيرهما.

وقال الهروي: سئل الأزهرى عن يقول بخلق القرآن: أتسميه كافرا؟ فقال: الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال

¹ - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، الحديث 4903، 4/427.

² - صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، الحديث 6398، 6/2489.

³ - كما في حديث أنس بن مالك: « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومتعصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيتها وياتعها وأكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له » سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب النهي أن يتخذ الخمر خلا، ح (1295)، 3/589، سنن ابن ماجه، كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، الحديث 3381، 2/1122 وصححه الألباني .

⁴ - مجموع الفتاوى، 10/329.

⁵ - مجموع الفتاوى، 23/345.

⁶ - قال أبو سعيد الدارمي (ت 280هـ) رحمه الله: ناظرني رجل ببغداد منافحا عن هؤلاء الجهمية، فقال لي: بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية، وقد نهى عن إكفار أهل القبلة؟ بكتاب ناطق تكفرونهم أم بأثر أم بإجماع؟ فقلت: ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما تكفرونهم إلا بكتاب مسطور وأثر مأثور وكفر مشهور. ثم أخرج الدارمي بسنده عن زهير بن نعيم البابي أنه سمع سلام بن أبي مطيع يقول: «الجهمية كفار»، الرد على الجهمية للدارمي، باب الاحتجاج في إكفار الجهمية، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، 1416هـ - 1995م، ص: 198-204.

⁷ - روى أبو بكر الخلال (ت 311هـ) عن حمدان بن علي حدثهم، قال: سمعت أحمد، يقول: الجهمية تقول: إذا عرف ربه بقلبه، وإن لم تعمل بعمل جوارحه يعني، فهو مؤمن، وهذا كفر إبليس، قد عرف ربه بقلبه، فقال: {رب بما أغويتني} [الحجر: 39] " السنة لأبي بكر بن الخلال، 122/5.

ثلاثاً ويقول مثل ما قال، ثم قال في الآخر: قد يقول المسلم كفراً.¹

قال محمد صديق حسن خان رحمه الله: "تسجيل أهل السنة على بعض الفرق بأن عقيدتها كفر، والقول الفلاني كفر، ويصير المرء بالقول الفلاني كافراً - مثلاً-، فهذه رواية منهم لما ورد عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فيهم... ولا ينصون على شخص واحد ورجل خاص أنه كافر أو في النار".²

فتبين لنا إذن مما سبق وجوب التفريق بين التكفير المطلق (الأوصاف) والتكفير المعين (الأعيان): وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. وخالفت فرقاً، فأما الخوارج فأطلقوا التكفير، وأما المرجئة فمنعوا منه، فهما ما بين طرفي نقيض، وكذا ما وقع من بعض الأفراد من انحراف في هذه القاعدة، وهذا ما استخلصه الباحث عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف بقوله: "وإذا ظهر لنا الفرق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين، فسندرك خطأ فريقين من الناس، فهناك فريق من الناس قد غلا، فادعى تكفير المعين بإطلاق، دون النظر إلى الشروط والموانع، وفريق آخر امتنع عن تكفير المعين بإطلاق، فأغلق باب الردة".³

وبهذا نستخلص: إن عدم تكفير المعين لا يمنع من وصف العمل الفلاني بأنه شرك أو كفر، وإن تكفير المعين أمرٌ خطير وجليل ما لم تتحقق فيه الشروط، وتنفي عنه الموانع التي سنذكرها بحول الله تعالى.

¹ - النهاية في غريب الحديث والأثر، 4/186.

² - الدين الخالص، تحقيق محمد زهري النجار/ نشر مكتبة الفرقان - مصر، 3/418-419.

³ - عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الثالثة 1427هـ، ص: 54.

المبحث الثاني: ضوابط التكفير وشروطه وموانعه

المطلب الأول: ضوابط وقواعد في مسألة التكفير

1- الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر:

هذا الضابط من المسائل العظيمة في مذهب أهل السنة في إجراء الأحكام على الناس وهو: الحكم بالظاهر والإعراض عن السرائر، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عتبة قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن أناسا كانوا يُؤخِّدُونَ بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمَّناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدق، وإن قال إن سريرته حسنة¹، فيستفاد من قول عمر وجوب إجراء أحكام الناس على الظاهر خيرا وشرًا.

وقال الإمام الشافعي (ت 204هـ) في تأصيل هذه القاعدة من خلال ما حكم به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في شأن المنافقين: "كان يبيِّنًا في حكم الله عز وجل في المنافقين ثم حكم رسوله صلى الله عليه وسلم أن ليس لأحد أن يحكم على أحد بخلاف ما أظهر من نفسه، وأن الله عز وجل إنما جعل للعباد الحكم على ما أظهر، لأن أحدا منهم لا يعلم ما غاب إلا ما علمه الله عز وجل، فوجب على من عقل عن الله أن يجعل الظنون كلها في الأحكام معطلة فلا يحكم على أحد بظن. وهكذا دلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانت لا تختلف"².

وقال الماوردي (ت 450هـ): "وقد أغضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن المنافقين وهم أضداد في الدين، وأجرى عليهم حكم الظاهر حتى قويت بهم الشوكة وكثر بهم العدد وتكاملت بهم القوة، ووكلمهم فيما أضرمت قلوبهم من النفاق إلى علام الغيوب المؤاخذ بضمائر القلوب"³.

ويقول الإمام الشاطبي (ت 790هـ) رحمه الله مبيِّناً أهمية هذا الأصل وخطورة إهماله:

"إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً أيضاً، فإن سيد البشر صلى الله عليه وسلم مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه. ولا يقال: إنما كان ذلك من قبيل ما قال: "خوفاً أن يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه"⁴، فالعلة أمر آخر لا ما زعمت، فإذا عدم ما علل به، فلا حرج.

¹ - صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، الحديث 2498، 2/ 934.

² - الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، كتاب الأم، دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة، 1410هـ/1990م، 6/ 169-170.

³ - الأحكام السلطانية، ص: 71.

⁴ - هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، من حديث جابر في غزوة المريسيع وقيل غزوة بني المصطلق، وفيه: قال عبد الله بن أبي سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه.» الحديث 3330، 3/ 1296.

لأننا نقول: هذا من أدل الدليل على ما تقرر؛ لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى أن يحفظ ترتيب الظواهر، فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر، فاعذر فيه ظاهر واضح، ومن طلب قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الخواطر، وران على الظواهر، وقد فهم من الشرع سد هذا الباب جملة، ألا ترى إلى باب الدعاوى المستند إلى أن " البينة على المدعي، واليمين على من أنكر"¹، ولم يستثن من ذلك أحد، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج إلى البينة في بعض ما أنكر فيه مما كان اشتراه، فقال: "من يشهد لي؟"، حتى شهد له خزيمة بن ثابت، فجعلها الله شهادتين²، فما ظنك بأحاد الأمة؟ فلو ادعى أكفر الناس على أصلح الناس لكانت البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وهذا من ذلك، والنمط واحد، فالاعتبارات الغيبية مهمة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية³.

ومما استدلو به أيضا على هذا الأصل قوله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"⁴، قال الإمام البغوي (ت516هـ): " وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضاً، إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره. ولو وجد مختون فيما بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه"⁵.

والشاهد من الحديث قوله (وحسابهم على الله)، قال ابن رجب: " وأما في الآخرة، فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقا، أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذبا، فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار"⁶. وقال الحافظ في الفتح: " قوله: وحسابهم على الله، أي في أمر سرائرهم.. وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر"⁷.

فهذه النقول عن أهل العلم فيها تقرير واضح لهذا الأصل القطعي، وهو الحكم بما يظهر من أحوال الناس، أما البواطن فعلمها عند الله.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه، فالبينة على المدعي واليمين على المدعي عليه، عن ابن أبي مليكة قال: كتبت إلى ابن عباس فكتب إلي: إن النبي صلى الله عليه وسلم قضى أن اليمين على المدعي عليه " الحديث 2379، 888/2. قال النووي: " وجاء في رواية البيهقي وغيره بإسناد حسن أو صحيح زيادة عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم وأموالهم، ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر » وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع " شرح النووي على صحيح مسلم، 3/12.

² - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز أن يحكم به، الحديث 3609، 3/340 وصححه الألباني.

³ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، 2/467-469.

⁴ - متفق عليه، سبق تخريجه.

⁵ - شرح السنة، 1/70.

⁶ - جامع العلوم والحكم، 1/236.

⁷ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1/77.

2- من ثبت إسلامه فلا يزول بشك:

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على هذه القاعدة؛ فكانوا أعظم الناس ورعاً؛ لأن تكفير المسلم مسألة خطيرة، يجب عدم الخوض فيها دون دليل وبرهان، وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فباب التكفير باب خطير، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفر أحد أحداً دون برهان.¹

فالأصل في أهل القبلة الإسلام والتوحيد حتى يثبت خلاف ذلك، فمن ثبت إسلامه بيقين لم يخرج منه إلا بيقين، وهو إذا ما جاء بكفر صريح، لنا فيه برهان من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واليقين لا ينقضه الشك، والإسلام الصريح لا ينقضه الكفر المحتمل والكلام المتشابه.

ومما يدل على هذا الضابط: قوله تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } سورة النساء/94

وفي الصحيح من حديث عتبان بن مالك عندما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فيصلي في بيته ليتخذه مصلًى... فقال قائل منهم (رجال من أهل الدار) أين مالك بن الدُخْشَنِ؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله ". قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإننا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله "².

قال ابن رجب الحنبلي (ت795هـ): " وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تقل ذلك " نهى أن يرمى أحد بالنفاق لقرائن تظهر عليه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري على المنافقين أحكام المسلمين في الظاهر، مع علمه بنفاق بعضهم، فكيف بمسلم يرمي بذلك بمجرد قرينة؟ "³

فلا يجوز أن يطعن في إسلام مسلم، أو أن يتهم بالكفر، أو النفاق، أو الفسق، أو البدعة بلا برهان، ولا بينة. قال شيخ الإسلام: " وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة (يعني طريق الحق) ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة. " ⁴

ومن المعلوم أن الذين يُكفرون بالكبيرة هم الخوارج، وأن الذين لا يرون للمعاصي تأثيراً في الإيمان هم المرجئة، وكلتا الطائفتين على غير هدى، والحق ما عليه أهل السنة: أن المعاصي تُنقص الإيمان ولا تنقضه.

3- لا يكفر المسلم بذنب ما لم يستحلّه:

دين الله تعالى وسط بين الغالي فيه والجافي عنه؛ وهذه الوسطية هي أبرز ما يميز أهل السنة والجماعة عن أهل البدع والغواية، ففي باب الوعيد نجد أن أهل السنة والجماعة وسط بين الخوارج القائلين بالتكفير بكلّ ذنب، وبين المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب.

¹ - الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد، ص 261.

² - صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، الحديث 415، 164/1.

³ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، 175/3.

⁴ - مجموع الفتاوى، 466/12.

ونص غير واحدٍ من أئمة أهل السنة والجماعة على هذه القاعدة: (لا يكفر مسلم بذنب ما لم يستحلّه)، وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

يقول أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي: سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت (ت150هـ) رضي الله تعالى عنه عن الفقه الأكبر ، فقال: " ألا تكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا تنفي أحدًا من الإيمان " ¹.

وقال أيضًا: " ولا نكفر مسلمًا بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه اسم الإيمان.. ويجوز أن يكون مؤمنًا فاسقًا غير كافر " ².

وقال محمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ) رحمه الله تعالى - أحد رواة الموطأ - بعد ذكره لرواية الإمام مالك بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيما امرئ قال لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدهما " ³:

" لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يشهد على رجل من أهل الإسلام بذنب أذنبه بكفر، وإن عظم جرمه، وهو قول أبي حنيفة، والعامّة من فقهاءنا " ⁴.

وقال أبو جعفر الطحاوي (ت321هـ) في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: " ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه " ⁵.

وقال ابن عبد البر المالكي (ت463هـ): " وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - على أن أحدًا لا يخرج ذنبه وإن عظم من الإسلام، وخالفهم أهل البدع. " ⁶

شرح القاعدة:

أهل السنة لا يكفرون مرتكب الكبيرة من المسلمين ما لم يستحلوها مستدلين بقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } سورة النساء/48، فدخل في المشيئة كل ذنب عدا الشرك. أما مع التوبة، فالمشرك وغير المشرك داخلان تحت العفو { إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } سورة الزمر/53 ، إذا تاب صاحبها.

ومن أدلة أهل السنة أيضاً على هذه القاعدة ما رواه البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى

¹ - الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس) مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م، ص : 76

² - الفقه الأكبر، ص: 43

³ - سبق تخريجه.

⁴ - موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، دون تاريخ، 325/1.

⁵ - أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي، متن الطحاوية، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 هـ، ص: 60

⁶ - التمهيد، 22/17

منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"، فبايعناه على ذلك.¹

فقلوه: فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه معناه: أن مرتكبي هذه المحرمات - من غير الشرك - تحت مشيئة الله، وأن الأصل أنهم مسلمون لا يكفرون بتلك الكبائر، وأن الكافر لا حظ له في المغفرة. قال المازني: "فيه رد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه تحت المشيئة، ولم يقل لا بد أن يعذبه".²

وعن ابن عمر قال: "ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من فيّ نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله تبارك وتعالى لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" قال: "إني أخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة". فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا.³

وفيما يلي شرح للقاعدة وبيان لمناط أعمالها:

فقولهم: «من أهل القبلة»: المراد بهم هنا: مسلم لم يقترب ذنباً يخرج من الإسلام؛ يقول الإمام أبو محمد البربرهاري (ت329هـ): "ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله، أو يرد شيئاً من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، فإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، وإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة".⁴

وأما قولهم «ما لم يستحلّه» فمعنى الاستحلال: اعتقاد الشيء المحرم حلالاً، قال ابن قدامة (ت620هـ): "ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كالحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه كفر".⁵

يقول ابن القيم (ت751هـ): "إن المستحل للشيء هو الذي يفعله معتقداً حلّه".⁶

ولعل المتأمل في كلام الأئمة يرى أنهم أوردوا تلك القاعدة في معرض الرد على مذاهب أهل الزيغ والضلال؛ من الخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافرٌ، كما يخالفون المعتزلة القائلين بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين، وأوجبوا له الخلود في النار يوم القيامة. يقول ابن أبي العزّ الحنفي (ت792هـ): "إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يُقتل على كل حال، ولا يُقبل عفو ولي القصاص... وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام."

¹ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، الحديث 18، 15/1.

² - فتح الباري لابن حجر، 68/1.

³ - كتاب السنة لأبي بكر بن أبي عاصم (ت287هـ) (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للشيخ الألباني)، باب في ذكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر، رقم الحديث 830، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م، وحسنه الألباني 398/2.

⁴ - الحسن بن علي بن خلف البربرهاري، كتاب شرح السنة، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، 1408هـ، ص: 31.

⁵ - المغني، 11/9.

⁶ - ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصادب الشيطان 593/1.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً؛ إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ } إلى أن قال: { فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ }. سورة البقرة/ 178. فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب " 1.

فمرتكب الكبيرة (الذنب) إذن لا يكفر باتفاق أهل السنة، لكن قد يفهم البعض من عبارات السلف في ذلك أنهم لا يكفرون بكل ذنب مطلقاً، وهنا يطرح لنا إشكال وهو: هل هذه القاعدة تشمل جميع الذنوب، سواء كانت متضمنة لتترك أصل الإيمان أو غير متضمنة لذلك؟

واللعماء في الجواب عن هذا الإشكال تفصيل؛ يمكن توضيحه كما يلي :
من المعلوم أن المحرمات ليست كلها على مرتبة واحدة، وبيان ذلك فيما يأتي:

1- محرمات نهى عنها الشارع الحكيم، ولا تتضمن ترك الإيمان، وذلك مثل الزنا والسرقه وشرب الخمر والربا وأكل أموال الناس بالباطل ونحوها، هذه الأفعال لا يخرج المسلم بارتكابها من الإسلام إلا إذا اعتقد أنها حلال، وهذا القسم هو مناط إعمال القاعدة باتفاق أهل السنة والجماعة، قال أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ): " ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقه وما أشبه ذلك من الكبائر وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر. " 2

2- محرمات تتضمن ترك أصل الإيمان؛ كسب الله تعالى، أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم، أو السجود لصنم، فمثل هذه الذنوب لا تندرج قطعاً تحت القاعدة؛ بل يكفر فاعلها بمجرد فعله لها، ولا ينظر في جده أو استحلاله لها؛ وذلك لأن هذه الذنوب قد تضمنت ترك أصل الإيمان؛ ودليل ذلك قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: 48]، فإذا تضمن فعل الذنب تركاً لأصل الإيمان كالشرك بالله تعالى، فإن الله تعالى لا يغفره، وهذا القسم لا يدخل قطعاً في القاعدة عند أهل السنة والجماعة، وهذه أقوالهم تبين ذلك:

فقد حكى الإمام أبو إسحاق ابن راهويه (ت 238هـ) الإجماع على ذلك فقال: " قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام، أو دفع شيئاً مما أنزل الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله. " 3

وكذلك نقل عن الشافعي أنه سئل عن هزل بشيء من آيات الله تعالى أنه قال: هو كافر واستدل بقول الله تعالى { قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } سورة التوبة/ 65-66.

¹ - شرح العقيدة الطحاوية، ص: 301-302

² - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م، 1/ 227

³ - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير شودري، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1/ 513

⁴ - ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، 1/ 513.

وكذلك قال محمد بن سحنون وهو أحد الأئمة من أصحاب مالك: " أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر ".¹

وقال القاضي أبو يعلى فيما نقله عنه ابن تيمية (ت728هـ) و تقي الدين السبكي (ت756هـ): " من سب الله أو سب رسوله فإنه يكفر سواء استحل سبه أو لم يستحله فإن قال: و لم أستحل ذلك لم يقبل منه ظاهر الحكم رواية واحدة و كان مرتدا لأن الظاهر خلاف ما أخبر لأنه لا غرض له في سب الله و سب رسوله إلا أنه غير معتقد لعبادته غير مصدق بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ويفارق الشارب و القاتل والسارق إذا قال: أنا غير مستحل لذلك، أنه يصدق في الحكم لأن له غرضاً في فعل هذه الأشياء مع اعتقاده تحريمها و هو ما يتعجل من اللذة."²

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ): " إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفر، ظاهراً وباطناً، وسواء كان السابَّ يعتقد أن ذلك محرّم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل"³.

وهذا يبين لنا أن من تلفظ بلسانه بسبب الله تعالى أو بسبب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد عن الإسلام، وإن أقر بجميع ما أنزل الله، وإن كان هازلاً بذلك لم يقصد معناه بقلبه.⁴

3- إنكار الواجبات الظاهرة، أو المحرمات الظاهرة ، كمن اعتقد عدم وجوب الصلاة أو الزكاة ونحوها، فهذا يكفر، وكذا من اعتقد حلّ الخمر أو الزنا ونحو ذلك، قال ابن أبي العز: " لا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً."⁵

وجملة القول في هذا الضابط ما لخصه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " قد تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلاً منهياً عنه؛ مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ ما لم يتضمن ترك الإيمان، وأما إن تضمن ترك أمر الله بالإيمان به مثل: الإيمان بالله وملائكته؛ وكتبه ورسله؛ والبعث بعد الموت؛ فإنه يكفر به، وكذلك يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وعدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة."⁶

¹ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، 2/ 216.

² - ابن تيمية، الصارم المسلول ، ، 513/1، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، السيف المسلول على من سب الرسول، تحقيق: إياد أحمد الغوج، دار الفتح (عمان - الأردن)، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، ص: 131.

³ - ابن تيمية، الصارم المسلول ، 513/1.

⁴ - أنظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام (مجموعة من المؤلفين)، مرجع سابق 10/ 180.

⁵ - شرح العقيدة الطحاوية، ص: 297.

⁶ - مجموع الفتاوى، 90/20

فتبين لنا بما تقدّم: أن مناط إعمال قاعدة عدم تكفير أهل القبلة بذنب لا يدخل تحته كل الذنوب، لأنه قد يفهم البعض من عبارات السلف في ذلك أنهم لا يكفرون بكل ذنب، مطلقاً، فدفعاً لهذا اللبس قال ابن أبي العز الحنفي: " فالناس في باب التكفير وعدم التكفير على طرفين ووسط:

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتتفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج. وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب¹.

فمعتقد أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون بكل ذنب كما تفعله الخوارج، فنفوا عموم التكفير بكل ذنب؛ وإنما يكون التكفير ببعض الذنوب التي ورد الدليل على أنها كفر، ولا يحكم الأئمة على أحد بالكفر إلا أن يظهر منه ما يوجب الردة، فمتى ظهر منه ما يوجب الردة حكم عليه تعييناً إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع، وهو ما سنتعرف عليه في المطلب التالي إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: شروط وموانع التكفير

ينبغي التفريق بين الحكم بالكفر، وبين تطبيق ما ينبنى على ذلك من أحكام، كإقامة حد الردة، فالأول ينظر فيه أهل العلم الراسخون القادرون على تنزيل هذا الحكم الشرعي على المعيّنين، بمعرفة أصول أهل السنة في هذه المسألة الدقيقة ككيفية إقامة الحجة وشروط التكفير وموانعه²! وأما الثاني فلا بد فيه من وجود ولاية شرعية من السلطان أو نوابه من القضاة الشرعيين.

الشروط ضد الموانع، فهي: العلم وضده الجهل، والقصد وضده الخطأ، والاختيار وضده الإكراه، وعدم التأويل وضده التأويل، أو التقليد، هذه أهم الشروط والموانع، وإلا فمن الموانع الصغر، وزوال العقل على تفصيل في ذلك، لذلك نقتصر على دراسة الموانع بهذا الاعتبار.

¹ - شرح العقيدة الطحاوية، ص: 296- 297.

² - فقد جمع موانع التكفير غير واحد من الباحثين، وممن أجاد في ذلك الدكتور عبد الله بن محمد الوهيبي في كتابه (نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف)، قال: الفصل الثاني : موانع التكفير، وأهمها: 1- الجهل. 2- الخطأ. 3- الإكراه. 4- التأويل. 5- التقليد. " محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي، نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، دار المسلم، دون طبعة ودون تاريخ، ص: 8.

موانع التكفير:

مجل كلام العلماء المحققين يتلخص في أن موانع التكفير أربعة: هي: الجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل. فلا يكفي لإطلاق حكم الكفر على الشخص أن يتلبس بالفعل أو القول المكفر، بل لا بدّ من اعتبار انتفاء الموانع في حقّه، فإذا وُجد أحد هذه الموانع امتنع تكفيره، ونبيّنها فيما يلي من خلال الأدلة وكلام العلماء:

أولاً: الجهل

الجهل يأتي بعدة معانٍ، وقد لخصها الراغب بقوله: الجهل على ثلاثة أضرب:

- الأول: وهو خلوّ النفس من العلم، هذا هو الأصل،

- والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

- والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، كمن يترك الصلاة متمعداً، وعلى ذلك قوله تعالى فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ [الحجرات/6] ¹.

فقد يصدر من الشخص قول أو فعل مكفر، ولا يُحكم عليه بالكفر، بسبب جهله، والعذر بالجهل له حالات، كما قال ابن تيمية رحمه الله: " وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يُبلِّغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يُبلِّغُه ذلك، ومثل هذا لا يَكْفُرُ ، ولهذا اتفق الأئمة على أن مَنْ نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول، ولهذا جاء في الحديث: (يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة) ثم ذكر بقية الحديث ².³

ويستدل العلماء للعذر بالجهل بأدلة منها:

قوله تعالى: { ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } [الأنعام: 131]، ووجه الدلالة: "أنَّ إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرُّسُل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يُريدُ إهلاكهم لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم ⁴."

¹ - المفردات في غريب القرآن، مادة (جهل) ص 209.

² - الحديث أخرجه ابن ماجه والحاكم وغيرهما حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُذَرَسُ الإسلام كما يُذَرَسُ وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نساك ولا صدقة. وليُسرَى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آبائنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها). "فقال له صلة بن زفر: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نساك ولا صدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تتجيبهم من النار، ثلاثاً" سنن ابن ماجه، كتاب الفتن باب ذهاب القرآن والعلم الحديث 4049، 2/ 1344 وصححه الشيخ الألباني.

³ - مجموع الفتاوى، 407/11

⁴ - ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: 1398هـ/1978م، ص 281

ولعل من أشهر الأدلة وأصرحها في هذه المسألة حديث الرجل من بني إسرائيل الذي أمر أهله بإحراقه بعد موته، فقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ادروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه به أحداً. قال ففعلوا ذلك به، فقال: للأرض أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب - أو قال - مخافتك، فغفر له بذلك»¹.

فالحديث واضح الدلالة أن الرجل وقع في الكفر بإنكاره لقدرة الله تعالى على البعث وإعادة الجسم بعد الإحراق جهلاً منه، قال الإمام الخطابي رحمه الله: "قد يُستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فُعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله"². وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: "وأما جهل هذا الرجل المذكور في هذا الحديث بصفة من صفات الله في علمه وقدرته، فليس ذلك بمخرجه من الإيمان"³.

ومع هذا فلا يعني أن الجهل عند أهل العلم عذر مقبول لكل من ادعاه؛ فالجهل عندهم درجات مختلفة، فجهل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، غير جهل ما دونه. والجاهل العاجز عن السؤال والعلم؛ غير الجاهل المتمكن، المفرط في ترك الواجب عليه، فهذا لا عذر له عند الله تعالى⁴.

لذلك ينبغي التأكيد على أن الجهل ينبغي على المكلف أن يسعى في رفعه حسب الاستطاعة، وذلك بالسؤال والتعلم، قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } سورة الأنبياء/7. وهذه نقول أهل العلم تقرر ذلك: قال ابن عبد البر رحمه الله بعدما ساق حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاوية خمر⁵. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما علمت أن الله حرمها؟» قال: لا⁶.

قال بعد ذلك: "وفي هذا الحديث دليل على أن الإثم مرفوع عن من لم يعلم، قال الله عز وجل: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء، آية 15] ، ومن أمكنه التعلم ولم يتعلم أثم، والله أعلم"⁷.

ويقول القرافي (ت684هـ): "القاعدة الشرعية دلت على أن كل جهل يمكن المكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل، فإن الله تعالى بعث رسوله إلى خلقه برسائله وأوجب عليهم كافة أن يعلموها ثم يعملوا بها، فالعلم والعمل بها واجبان، فمن ترك التعلم والعمل وبقي جاهلاً فقد عصى معصيتين لتركه واجبين"¹.

¹ - صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، الحديث 2756، 2110/4

² - ينظر: فتح الباري، 522/6

³ - التمهيد، 46/18.

⁴ - الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص: 266

⁵ - أي قربة ممثلة خمر.

⁶ - تنمة الحديث: فسار رجل إلى جنبه. فقال له صلى الله عليه وسلم: «بم ساررتة». فقال: أمرته أن يبيعهها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الذي حرم شربها حرم بيعها» ففتح الرجل المزادتين حتى ذهب ما فيهما " أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأشربة، باب

جامع تحريم الخمر، الحديث 12، 2/846، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر، الحديث 1579، 3/1206

⁷ - التمهيد، 145/4.

ويقول ابن اللحام² الحنبلي (ت803هـ) فيما يتعلق بجاهل الحكم: " فإذا قلنا يعذر، فإنما محله إذا لم يقصر ويفرط في تعلم الحكم، أما إذا قصر أو فرط فلا يعذر جزماً"³.
ثانياً: الخطأ

قال ابن منظور: "الْخَطَأُ وَالْخَطَاءُ: ضِدُّ الصَّوَابِ، وَقَدْ أَخْطَأَ، وَفِي التَّنْزِيلِ: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} سورة الأحزاب/5.

والْخَطَأُ: مَا لَمْ يُتَعَمَّدَ، وَالْخِطْءُ⁴: مَا تُعَمَّدُ، وَقَتْلُ الْخَطَا هُوَ ضِدُّ الْعَمْدِ، وَهُوَ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا بِفَعْلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْصِدَ قَتْلَهُ، أَوْ لَا تَقْصِدُ ضَرْبَهُ بِمَا قَتَلْتَهُ بِهِ"⁵.

أما معنى الخطأ في الاصطلاح: فهو قريب من المعنى اللغوي، قال الجرجاني: " الخطأ: هو ما ليس للإنسان فيه قصد... كما إذا رمى غرضاً فأصاب آدمياً"⁶.

واتفق الأئمة على الإعذار بالخطأ، فمن تلفظ بكلمة الكفر أو فعل فعلاً مكفراً وكان مخطئاً غير قاصد لمخالفة الشرع، فلا يقع عليه الكفر.

ومن الأدلة على ذلك:

1- قوله تعالى: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } سورة البقرة/286، وثبت في الحديث الصحيح أن الله سبحانه استجاب لهذا الدعاء فقال: فقد فعلت⁷.

2- وقوله سبحانه: { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب: 5]. قال الحافظ في الفتح: " أجمعوا على العمل بعمومها في سقوط الإثم"⁸.

3- وقوله صلى الله عليه وسلم: « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ».¹

¹ - أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي ، الفروق(أنوار البروق في أنواء الفروق)، عالم الكتب دون طبعة ودون تاريخ، 264/4.

² - هو علي بن محمد بن عباس البعلبي الحنبلي، الفقيه الواعظ الأصولي، اشتغل بالتدريس والفتيا والقضاء، له مؤلفات، توفي بمصر سنة 803 هـ. انظر: الجوهر المنضد لابن عبد الهادي ص 81، وشذرات الذهب 7/ 31.

³ - ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن، القواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الأحكام الفرعية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، الطبعة: 1420 هـ - 1999 م، ص: 87 .

⁴ - ومنه قوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنفَلِقَ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } سورة الإسراء/31.

⁵ - لسان العرب، مادة (خطأ)، 65/1-66.

⁶ - التعريفات للجرجاني، ص: 134.

⁷ - عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: { وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ } [البقرة: 284]، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا " قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: { لَا يُكَفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَبِهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة: 286] " قال: قد فعلت " { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } [البقرة: 286] " قال: قد فعلت " { وَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا } [البقرة: 286] " قال: قد فعلت . صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ} الحديث 126، 1/ 116

⁸ - فتح الباري، 11/ 551.

قال الحافظ ابن رجب: " والأظهر - والله أعلم - أن الناسي والمخطئ إنما عفي عنهما بمعنى رفع الإثم عنهما، لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما، وأما رفع الأحكام عنهما فليس مراداً من هذه النصوص، فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلى دليل آخر.²

4- ويدل لذلك أيضاً الحديث السابق عن الرجل من بني إسرائيل، فهذا الحديث كثيراً ما يُستدل به في مسائل العذر بالجهل والخطأ.

قال ابن تيمية في تعليقه على هذا الحديث: " فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك، وأنه لا يبعثه، وكل من هذين الاعتقادين كفر، يكفر من قامت عليه الحجة، لكنه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يردّه عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعدّه ووعدّه فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته. فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح لم يكن أسوأ حالاً من الرجل فيغفر الله خطأه أو يعذبه إن كان منه تقريط في اتباع الحق على قدر دينه وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم³

ثالثاً: الإكراه

يدور معنى الإكراه حول المشقة والقهر والإجبار، جاء في المصباح المنير: " والكره بالفتح المشقة، وبالضم القهر، وقيل: بالفتح الإكراه، وبالضم المشقة. وأكرهته على الأمر إكراهاً: حملته عليه قهراً، يقال: فعلته كرها بالفتح أي إكراهاً، وعليه قوله تعالى { طَوْعًا أَوْ كَرْهًا } [التوبة: 53] فقابل بين الضدين⁴. وعرفه ابن حجر في الاصطلاح بقوله: " هو إلزام الغير بما لا يريده⁵."

فمن أكره على الكفر: جاز له أن ينطق به، والأصل في ذلك قوله سبحانه: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [سورة النحل/105].

قال أبو بكر الجصاص (ت370هـ): " هذا أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه⁶. والمشهور في سبب نزولها: ما رواه محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ - رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، الحديث 2045، 1/ 659، وصححه الألباني.

² - جامع العلوم والحكم، 2/ 369.

³ - الاستقامة، 1/ 164-165.

⁴ - المصباح المنير، مادة (ك ر هـ)، 2/ 532.

⁵ - فتح الباري، 12/ 311.

⁶ - أحكام القرآن، 3/ 249.

قال: « ما وراءك؟ » قال: شر يا رسول الله، ما تُرَكْتُ حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال: « كيف تجد قلبك؟ » قال: مطمئن بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد»¹.

قال القرطبي (ت671هـ): " أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر"².

رابعاً: التأويل

مادة (أول) في كل استعمالاتها اللغوية تفيد معنى الرجوع والعود، جاء في تهذيب اللغة: " وأما (التأويل) : من أول يؤول تأويلاً. وثلاثيه: آل يؤول، أي رجع وعاد"³.

والتأويل في الاصطلاح -كما ذكر ابن تيمية- له ثلاثة إطلاقات:

الأول: هو "نفس المراد بالكلام، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا نفس طلوعها." أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، ومنه قوله تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ }⁴ [سورة الأعراف/53].. وهذا الإطلاق لا لا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي للتأويل؛ بل هو مستمد منه.

الثاني: تفسير الكلام وبيان معناه، ومنه قول الطبري في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا.

..كقوله تعالى: { نَبَّأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [سورة يوسف:36]، أي بتفسيره.

وهذان المعنيان هما الغالبان في القرآن وفي اصطلاح السلف والمفسرين⁵.

الثالث : التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمُحدِّثَةِ والمتصوفة ونحوهم هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتزن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف⁶.

وهذا التأويل بهذا المعنى الأخير ليس مرفوضاً بإطلاق، ولا مقبولاً بإطلاق، بل لابد له من ضوابط.

فالتأويل السائغ عند أهل السنة هو ما لا يعود على الدين بالإبطال، ويكون مقبولاً في لغة العرب، ويكون صاحبه قاله قاصداً أن يصيب الحق، وقاله وفق قواعد العلم، يقول ابن حجر في تعريف التأويل السائغ: " قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم."⁷ وعليه، فإن المقصود بالتأويل هنا في موانع التكفير: التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، دون تعمد للمخالفة، لكن صاحبه يظن أنه على الحق⁸.

¹ - أخرجه الحاكم في المستدرك، الحديث 3362، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، 2/ 389.

² - تفسير القرطبي، 10/ 182.

³ - تهذيب اللغة، مادة (أول) 15/ 329.

⁴ - " أي: ما وعد من العذاب والنكال والجنة والنار " تفسير ابن كثير، 3/ 425.

⁵ - أنظر مجموع الفتاوى، 13/ 288-298.

⁶ - مجموع الفتاوى، 13/ 288.

⁷ - فتح الباري 12/ 304.

⁸ - عبد الله بن محمد القرني، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992، ص:241 بتصرف.

فمانع التأويل هو أن يقول القول أو يفعل الفعل المقتضي للكفر من غير قصد مخالفة الشرع، أو يفهم النص على غير وجهه، لشبهة قامت عنده، فيظنه صواباً وحقاً، فيقع في المخالفة دون تعمد.

والتأويل السائغ والإعذار به له اعتبار في مسألة التكفير، قال أبو حامد الغزالي (ت505هـ): " ولم يثبت لنا أن الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلا بد من دليل عليه، وثبت أن العصمة مستفادة من قول لا إله إلا الله قطعاً، فلا يدفع ذلك إلا بقاطع. وهذا القدر كاف في التنبيه على أن إسراف من بالغ في التكفير ليس عن برهان " ¹.

ونقل القاضي عياض (ت544هـ) عن بعض المحققين قولهم: " الذي يجب ²: الاحتراز من التكفير في أهل التأويل، فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد. " ³

ومن أشهر أدلة العذر لمن أخطأ في التأويل ما حدث للصحابي قدامة بن مظعون وأصحابه حين شربوا الخمر مستحلين شربها بتأويل، فلم يكفرهم الصحابة، ولكن بينوا لهم الصواب، وأقاموا عليهم الحد. ⁴

لكن ليس كل تأويل يكون سائغاً في الشرع؛ فلا تأويل في الشهادتين ووحداية الله تعالى، وثبوت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، والبعث والجنة والنار، وتسمية هذا تأويلاً ابتداءً غير مقبول، بل هي باطنية وزندقة تعود على الدين بالإبطال. قال ابن الوزير رحمه الله: " وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستتر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار. " ⁵

ومن أمثلة ذلك أيضاً: الخوارج الذين استحلوا أشد المحرمات القطعية، فكفروا كبار الصحابة، واستباحوا قتلهم، ومع ذلك لم يحكم الصحابة بكفرهم، قال ابن تيمية رحمه الله: " اتفق على قتلهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلهم مسلمين مع قتلهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم. وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل

¹ - الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 136.

² - الذي: اسم موصول مبتدأ خبره الاحتراز، أي القول الذي يجب أن يقال هو الاحتراز من التكفير في أهل التأويل.

³ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 2/ 277.

⁴ - يقول الطحاوي: " اتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } (المائدة: 93).

فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا" وبعد أن نقل الطحاوي اتفاق الصحابة على عذر هؤلاء المتأولين قال: "وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام". ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص: 305.

⁵ - إيثار الحق على الخلق، ص: 377.

غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محقة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه. والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم¹.

وخلاصة القول: إذا كان في المسألة الواحدة وجوهٌ توجب التكفير، ووجهٌ واحدٌ يمنع التكفير فنحمل الكلام على الوجه الذي يمنع التكفير بناءً على الأصل، وقد تنبه المحققون لهذه المسألة، ونبهوا عليها في كتبهم، وقد تقدم النقل عن ابن نجيم في ذلك.

المطلب الثالث: قضية التكفير في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله

لا أتولى الإجابة بنفسى في هذه القضية، وإنما أكتفي بالنقل عن جمهور علمائنا الأقدمين منهم والمعاصرين لنقف على إجاباتهم في مثل هذه الموضوعات الشائكة التي هم أقدر على بيان حكم الله فيها، ففي الوقوف عند كلام العلماء وتحقيقهم للمناط في هذه المسألة مندوحة عن الكثير من موارد الغلو والتفريط والشطط، والله أعلم.

ولا شك أن تحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شؤون الحياة من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين، ولقد كانت عواقب ذلك ما حل بهم من أنواع الفساد والظلم والذل والبأس، كما هو مشاهد الآن. دليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم "².

فمن المعلوم من دين الله أن الحكم بما أنزل الله حق لله بموجب ربوبيته { أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ } سورة الأعراف/ 54. فقد فرض الله تعالى الحكم بشريعته، وأوجب ذلك على عباده، وجعله الغاية من تنزيل الكتاب، فقال سبحانه: { وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } سورة البقرة/ 213 ، وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ } سورة النساء/ 105. وبين سبحانه اختصاصه وتفرده بالحكم، فقال: { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ } سورة الأنعام/ 57/ ، وقال سبحانه: { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } سورة يوسف/ 40، وقال سبحانه: { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ } سورة الشورى/ 42.

وجاءت الآيات القرآنية مؤكدة على أن الحكم بما أنزل الله من صفات المؤمنين، وأن التحاكم إلى غير ما أنزل الله (وهو حكم الطاغوت والجاهلية) من صفات المنافقين، قال سبحانه: { وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

¹ - مجموع الفتاوى، 3/ 282-283.

² - سنن ابن ماجه، كتاب الفتن ، باب العقوبات، الحديث 4019، وحسنه الشيخ الألباني، 2/ 1332.

وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { سورة النور/ 47- 51.

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا { سورة النساء/ 59 - 62.¹

يقول شيخ الإسلام: " ذم الله عز وجل المدعين الإيمان بالكتب كلها، وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدعي الإسلام وينتحلة في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك وغيرهم ".²

وقال ابن كثير: " فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا [قانون التتار] وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كَفَرَ بإجماع المسلمين".³

وإذا كان الحكم بشريعة الله من مقتضيات الإيمان، فإن من نازع الله هذا الحق، فقد جعل نفسه شريكاً لله في ربوبيته وألوهيته على خلقه: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ { سورة الشورى/ 21.

والذي يشرع يجعل من نفسه إلهاً مع الله، وهذا كافر باتفاق المسلمين، يقول ابن تيمية: " والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرّم الحلال المجمع عليه، أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتدّاً باتفاق الفقهاء".⁴ فعبادة الله تعالى تقتضي إفراده عز وجل بالتحليل والتحريم، حيث قال سبحانه: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ { سورة التوبة/ 31.

وتحقيق هذه الطاعة، وإفراد الله تعالى بالحكم والانقياد لشرعه هو حقيقة الإسلام، كما قال ابن تيمية: " فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشتك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته وحده".⁵ كما أن توحيد العبادة القائم على نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وإثباتها لله تعالى وحده، يستلزم بالضرورة الكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ

¹ - يقول محمد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ..} الآية: "والآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عمداً ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام. " تفسير المنار، 5/ 185.

² - مجموع الفتاوى، 12/ 339 - 340.

³ - البداية والنهاية، 13/ 139.

⁴ - مجموع الفتاوى، 3/ 267.

⁵ - نفسه، 3/ 91.

لَهَا} سورة البقرة/ 256.

وقد سمي الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتاً، حيث قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} سورة النساء/ 61.

وسمى الله كذلك المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعيهم، فقال سبحانه: {اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة التوبة/ آية 31.

يقول ابن حزم عند قوله تعالى: {اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ...} الآية: "لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم، ويحلون ما أحلوا، كانت هذه ربوبية صحيحة، وعبادة صحيحة، وقد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف." ¹

ويقول ابن تيمية في هذا الشأن بعد إيراده لحديث عدي بن حاتم²: "فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، لا أنهم صلوا لهم، وصاموا لهم، ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة الرجال، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة التوبة/ 31." ³ ومما يدل أيضاً على شرك الأتباع حيث رضوا بحكم الطاغوت واتبعوه قول الله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} سورة الأنعام/ 121.

قال ابن العربي (ت543هـ): "إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً إذا أطاعه في اعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان؛ فإذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص، فافهموا ذلك في كل موضع، والله أعلم." ⁴

قال القرطبي: "قوله تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} أي في تحليل الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} فدللت الآية على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً. وقد حرم الله سبحانه الميتة نصاً، فإذا قبل تحليلها من غيره فقد

¹ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، 3/ 125. ويقول محمد رشيد رضا - في بيان معنى الشرك في الربوبية: "هو إسناد الخلق والتدبير إلى غير الله تعالى معه، أو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غيره، أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عنه رسله" تفسير المنار/ 45/2.

² - الحديث أخرجه الترمذي و البيهقي في سننهما - واللفظ للبيهقي - عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه و سلم وفي عنقي صليب من ذهب، قال: فسمعتة يقول: { اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } قال: قلت يا رسول الله، إنهم لم يكونوا يعبدونهم، قال: أجل، ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه، فتلك عبادتهم لهم " سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب ومن سورة التوبة، الحديث 3095، 278/5، سنن البيهقي الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي، الحديث 20137، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414هـ - 1994م، 116/10، وحسنه الألباني في كتابه: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1405هـ، ص: 19.

³ - مجموع الفتاوى، 7/ 67.

⁴ - أحكام القرآن، 2/ 275.

إضافة إلى ذلك، فإن " الحكم " من أسماء الله تعالى الحسنی، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « إن الله هو الحكم وإليه الحكم ».²

وقال تعالى: { أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكْمًا } [الأنعام/114]، وقال سبحانه: { فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } [الأعراف/87]، وقال عز وجل: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ } [التين/8].
وإن الإيمان بهذا الاسم يوجب التحاكم إلى شرع الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: { وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } سورة الكهف/26.

فوجب إذن - استدلالاً بهذه الآيات البينات وأقوال أهل العلم - على المجتمع المسلم الالتزام بشريعة الله قولا واحدا في كل مناحي الحياة، لا انفكاك له عنها البتة، وإلا فإن التولي عن شرع الله وتبديل أحكامه كفر أكبر مخرج من الملة، واتباع للهوى وعبادة للطاغوت من دون الله كما عرفنا في النصوص السابقة.
لكن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون من الكفر الأصغر، وقد ذكر العلماء لذلك حالات منها: أن يترك الحكم بما أنزل الله في بعض مسائله لهوى في نفسه، مع اعتقاده أن شرع الله هو الخير المطلق الذي لا يعدله تشريع غيره كائنا من كان.

يقول ابن العربي (ت543هـ): " وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تتركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين ".³

ويقول ابن تيمية (ت728هـ): " أما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ".⁴

ويقول ابن أبي العزّ (ت792هـ): " الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرا: إما مجازيا، وإما كفرا أصغر، وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا، أو كفرا أصغر ".⁵

وهذه الصورة الأخيرة - كما ذكر الأستاذ محمد قطب رحمه الله والشيخ القرضاوي - هي التي عناها ابن عباس والتابعون من بعده، حين وصفوا الحكم بغير شرع الله أنه كفر دون الكفر الأكبر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرا ينقل عن الملة، { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: 44] كفر دون كفر ".⁶

¹ - تفسير القرطبي، 77/7.

² - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، الحديث 4957، وصححه الألباني، 444/4.

³ - أحكام القرآن، 127/2.

⁴ - منهاج السنة النبوية، 131/5.

⁵ - شرح العقيدة الطحاوية، 446/2.

⁶ - أخرجه الحاكم في المستدرک، الحديث 3219، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، 342/2.

وقال عطاء بن أبي رباح: "كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم".¹

وقال طاووس: " ليس بكفر ينقل عن الملة".²

يقول الشيخ القرضاوي مؤكدا ضرورة التفريق بين نوعين من الحكّام : "إنّ من الواجب الحتم أن نفرّق - كما فرّق الحبر ابن عبّاس- بين نوعين من الحكّام: الحاكم الذي يلتزم بالإسلام منهاجاً ودستوراً ونظماً للحياة، يحكم به ويرجع إليه، ثمّ ينحرف أو يجور في بعض الأمور الجزئية بحكم الضّعف أو اتباع الهوى، والحاكم الذي يرفض تحكيم ما أنزل الله، يقدّم عليه أحكام البشر وقوانينهم. فهذا كأنّما يتّهم الله تعالى بأنّه يجهل مصالح عباده، أو يعلمها ويشرّع لهم ما يضادّها مع أنّه تعالى يقول: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } سورة الملك/14".³

وذهب إلى هذا التفريق الأستاذ محمّد قطب رحمه الله دفاعاً عن ابن عبّاس، فقال: "مظلوم ابن عبّاس! فقد قال ما قال (أي كفر دون كفر) وهو يسأل عن الأمويين: أتهم يحكمون بغير ما أنزل الله، فما القول فيهم؟ وما من أحد على الإطلاق قال عن الأمويين إنهم كفّار! فقد كانوا يحكمون الشريعة في عموم حياة الناس؛ ولكنهم يحيدون عنها في بعض الأمور المتعلقة بسلطانهم؛ إمّا تأولاً، وإمّا شهوة؛ ولكنهم لا يجعلون مخالفتهم تشريعاً مضاهياً لشرع الله، فقال فيهم ابن عبّاس: إنّه كفر دون كفر. فهل كان يمكن لابن عبّاس أن يقول هذا فيمن ينحّي الشريعة الإسلامية أصلاً، ويضع بدلاً منها قوانين وضعيّة؟!"⁴.

وما ذهب إليه قطب وضّحه ابن عبّاس نفسه؛ كما ذكر ذلك الإمام القرطبي في تفسيره: "وقال ابن عباس في رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل بضاهي أفعال الكفار".⁵

وبهذا تستبين هذه المسألة ويستبين الحق فيها بكلام أهل العلم، فما كل تارك لحكم الله كافر، بل الأمر - كما رأينا - فيه تفصيل، والله أعلم وأحكم.

¹ - رواه ابن جرير في تفسيره، 355/10.

² - نفسه.

³ - يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثالثة، 1422هـ-2001م، ص: 106.

⁴ - محمّد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م، ص316.

⁵ - تفسير القرطبي، 6/190.

الفصل الثالث : منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين

المبحث الأول: سماحة الإسلام، ومظاهر الإنسانية فيه

تمهيد:

لقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأعلى درجات التسامح فقال له تعالى: { فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } سورة المائدة/13، وقال أيضاً: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} سورة الحجر/85، ومعنى العفو: ترك المؤاخذة بالذنب، ومعنى الصّفْح: إزالة أثره من النفس¹، وكونه لم يبق أثره في النفس، فهذا الصّفْح إذن قمة في التسامح، وهو بغية المؤمن الذي يدعو الله تعالى: { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا } سورة الحشر/10.

ويتحدد مفهوم السماحة من خلال معرفة مدلولها اللغوي حيث ذكر ابن فارس في معجمه أن السين والميم والحاء أصل صحيح يدل على سلاسة وسهولة². والمسامحة: المساهلة³. وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»⁴، قال ابن حجر: " السمحة: السهلة، أي أنها مبنية على السهولة لقوله تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ } سورة الحج/78"⁵.

والسماحة تشمل أصول الدين وفروعه، وصورها لا تحصر، فعقيدة الإسلام سمحة وشريعته سمحة، وتمتد صور السماحة إلى المعاملة، قال صلى الله عليه وسلم: « رحم الله رجلا سمحا، إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»⁶، وبوب البخاري رحمه الله للسماحة في هذا الحديث بالسهولة فقال: باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، قال ابن حجر: " وفيه(الحديث) الحض على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحض على ترك التضيق على الناس في المطالبة، وأخذ العفو منهم "⁷.

إن الإسلام دين يدعو إلى كل خير، وينهى عن كل شر؛ يدعو إلى الإحسان إلى الناس كافة، والتعامل معهم بالحنسنى؛ على أساس أن الجميع عيال الله وخلقته تعالى، وأن أحبَّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

¹ - فتح القدير للشوكاني 149/1.

² - معجم مقاييس اللغة، مادة (سَمَحَ) 99/3.

³ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة (سَمَحَ)، 398/2.

⁴ - رواه البخاري معلقا في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، 1/22، قال ابن حجر: " هذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب، لأنه ليس على شرطه، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره عن ابن عباس وإسناده حسن " فتح الباري، 94/1. وأخرجه البخاري كما قال ابن حجر متصلا من حديث ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأديان أحب إلى الله عز وجل؟ قال: " الحنيفية السمحة"، قال الشيخ الألباني: " حسن لغیره " صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب حسن الخلق إذا فقهوا، الحديث 220، ص: 125.

⁵ - فتح الباري، 94/1.

⁶ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، الحديث: 1970، 730/2.

⁷ - فتح الباري، 307/4.

فالإسلام لا يُفرِّق في التعامل الحَسَنَ بين المسلم وغير المسلم، سواء كان مشركًا أو يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا؛ حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»¹: وصية من رحمة الله للعالمين بالغة، ودعوة منه صارمة، إلى التعامل الحَسَنَ مع سائر الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم، واختلاف مذاهبهم وأديانهم، ويَضْمَنَ صلى الله عليه وسلم للقائمين بهذا السلوك الحسن الرحمة من الله عز وجل في الدنيا والآخرة.

وفي المقابل أخبر صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يُعَذِّبُ الذين يُعَذِّبُونَ الناس في الدنيا ويؤذونهم في أنفسهم وأموالهم؛ يقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»².

والموضوع الذي نحن بصدد رسالة نتقدم بها إلى أولئك الذين يتوجسون من الإسلام خيفة، فدأبوا على اتهماته بالعنف والتطرف والانغلاق، ووصموه بما يكذبه التاريخ، لأنهم لم يتحروا الحقائق من مصادرها الأصلية، وإنما اكتفوا بسماع الشائعات والافتراءات، يقول منقذ السقار: "وما أحرانا اليوم ونحن نشهد النهضة الإسلامية الجديدة التي جسدتها الصحوة المباركة، ما أحرانا أن نبدد مخاوف الآخرين الذين يعيشون داخل العالم الإسلامي، فصحتنا وعودتنا إلى ديننا لن تؤدي إلى شيء مما يفرقونه ويحذرونه. وهذه المخاوف نبدها باستدعاء التجربة التاريخية الفريدة التي عاشها أجدادهم ضمن المجتمع المسلم طوال قرون رديدة، حفظت للأحفاد حتى اليوم وجودهم وكيونتهم داخل مجتمعنا وضمن حضارتنا."³

المطلب الأول: الإسلام دين الرحمة العامة

تعدّ الرحمة خُلُقًا عظيمًا من أخلاق الإسلام التي جاء لنشرها بين أتباعه خاصة وبينهم وبين الناس عامة. ويستطيع الإنسان أن يعلم قيمة هذا الخلق، ومنزلته في الإسلام من خلال النظر في دستور الإسلام، ومصدر التشريع الأول فيه، وهو القرآن الكريم، فنجد أن جميع السور - ما عدا براءة - افتتحت بالبسملة التي تشتمل على اسمين من أسماء الله تعالى الحسنى، متعلقين بصفة من صفاته جلّ جلاله: وهما: الرحمن - الرحيم، وهما صيغتا مبالغة من الرحمة.

كما ورد ذكر "خلق الرحمة وأصل مادته (رحم)، في أغلب سور القرآن وأكثر آياته بعدد مشتقات بلغت ثلاث مائة وتسع وثلاثين (339)، وفي ذلك ما فيه من الدلالة الواضحة على أصالة المادة، وقوة ساقها، وصلابة فروعها"⁴.

¹ - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، الحديث 4943، 4/ 440، وصححه الألباني.

² - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق الحديث 2613، 4/ 2018

³ - منقذ بن محمود السقار، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1427

1427 هـ - 2006 م، ص: 2

⁴ - الرحمة في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية موضوعية، محمد حامد محمد سعيد، بحث مقدم للمؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، عقد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود عام 1437 هـ ص: 335.

وإذا تتبعنا دعاء الأنبياء في القرآن لوجدنا أن الدعاء بالرحمة قاسم مشترك بينهم جميعاً، فمن دعاء آدم مثلاً ومعه زوجه حواء: { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف:23]، ودعاء نوح: { وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [هود:47]، ودعاء موسى: { أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } [الأعراف:155]، ودعاء أيوب { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } سورة الأنبياء/83، وأرشد الله سبحانه النبي صلى الله عليه وسلم إلى طلب الرحمة منه فقال: { وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } سورة المؤمنون/118.

إن هذا كله يفسر لنا الكثير من الأحاديث النبوية التي تصف رحمة رب العالمين، فيروي أبو هريرة أن رسول الله قال: « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش »¹، فهذا إعلان واضح أن الرحمة مقدمة على الغضب، وأن الرفق مقدم على الشدة، وليست هذه الرحمة الغامرة في الدنيا فقط، بل إن الرحمة الأعظم والأشمل ستكون يوم القيامة، وهذا ما بشرنا به رسول الله عندما قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»².

كما أن القرآن الكريم جاء معلناً أن النبي صلى الله عليه وسلم، إنما أرسله الله بالإسلام رحمةً للعالمين، قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } سورة الأنبياء/107، فدل ذلك على أن رسالة الإسلام الأولى، هي الرحمة.

ورجح الطبري أن هذه الرحمة تشمل المؤمنين والكافرين، فقال بعد أن ذكر اختلاف العلماء في قضية: هل هذه الرحمة خاصة بالمؤمنين فقط، أم تشمل المؤمنين والكافرين؟ : " وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله."³

فرحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين المؤمنين به أمر معلوم، فهم أتباعه ومحبه، { بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } سورة التوبة/128، لكن رحمته - صلوات الله وسلامه عليه - لم تقتصر على المؤمنين، بل شملت حتى الكافرين به، ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة »⁴.

¹ - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ } سورة البروج/ 21 - 22، الحديث 7115، 2745 /6.

² - صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، الحديث 2752، 2108 /4.

³ - تفسير الطبري، 18 /552.

⁴ - أخرجه الحاكم في المستدرک، الحديث 100، 91/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الحديث 490، 1 /882.

يقول ابن تيمية " :الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم واحتماله." ¹

فكل هذه المؤشرات وغيرها تقرر أن لفظ (الرحمة) مفهوم إسلامي أصيل، فالإسلام دين الرحمة، ونبيه صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، والإله الذي يدعو الناس لعبادته إله الرحمة، ومتصف بالرحمة، فهو الرحمن الرحيم، وكتابه كتاب الرحمة، وتشريعاته كلها رحمة، وإبراز هذه الصفة يظهر الوجه الحقيقي للإسلام، مما يدعو الناس للدخول فيه.

وقد أوضح صلى الله عليه وسلم هذه الرحمة في شخصه وفي تعاملاته مع أصحابه وأعدائه على السواء؛ حتى إنه صلى الله عليه وسلم قال محفزا على التحلي بهذا الخلق وتلك القيمة النبيلة: « لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ » ² وكلمة (الناس) لفظة عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دين؛ وقال أيضا: « من لا يرحم لا يرحم » ³.

قال ابن بطال (ت449هـ): " في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم: كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه، وفي كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثاً " ⁴.
وقد أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر قائلاً: « والذي نفسي بيده، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم»، قالوا: يا رسول الله، كلنا يرحم، قال: « ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة » ⁵.
فالمسلم يرحم الناس كافة، أطفالاً ونساءً وشيوخاً، مسلمين وغير مسلمين.

صور من الرحمة النبوية بالكافرين:

رحمته بكفار قريش سلماً وحرباً:

على الرغم من تعدد أشكال الأذى الذي أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار، إلا أنه صلوات الله وسلامه عليه ضرب المثل الأعلى في الرحمة بهم رغم كفرهم وإيذائهم له، وليس أدلّ على ذلك من قصة ثقيف، فبعد ما كذبوه، وأغروا به صبيانهم ومجانينهم، يضربونه ويشتمونه، طردوه، يأتيه ملك الجبال يقول: يا محمد، إن

¹ - مجموع الفتاوى، 16 / 313.

² - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى { قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } سورة الإسراء / 110، الحديث 6941، 6/ 2686، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، الحديث 2319، 4/ 1809.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، الحديث 5667، 5/ 2239، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، الحديث 2318، 4/ 1808.

⁴ - شرح صحيح البخاري لابن بطال، 9/ 219.

⁵ - مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م، الحديث 4258، 7/ 250، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الحديث 167، 1/ 321.

الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »¹.

وحتى لما ضربوه، وأدموا وجهه في غزوة أحد، قال: « رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »².
كما تجلّت رحمته صلى الله عليه وسلم بهم في يوم فتح مكة، وتمكين الله تعالى له، حينما أعلنها صريحة واضحة فقال: « يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة »³.

فقد كانت سماحته في هذا الفتح العظيم غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم، فكان موقفه صلى الله عليه وسلم ممن كانوا حرباً على الدعوة ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: « اذهبوا فأنتم الطلقاء »⁴.

دعوتهم إلى الإسلام:

لم تقف رحمته صلى الله عليه وسلم عند الإعراض عن أذيتهم، والحلم عن جهالاتهم، بل إنها تعدّت ذلك إلى مجال أرحب وأفسح، يتجلى في حرصه البالغ على دعوتهم وهدايتهم، وإنقاذهم من النار، فدعوة الكافر إلى الله برفق وحكمة، وتبليغه حقيقة الإسلام من أعظم صور الرحمة به والإحسان إليه، وهي قرينة إلى الله، لقوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: « ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله رجلاً بك خير لك من أن يكون لك حمر النعم »⁵.

الدعاء لهم بالهداية:

من الصور الباهرة التي تظهر فيها رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفيه من الكافرين حرصه على الدعاء لهم بالهداية، فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فاستقبل القبلة ورفع يديه، فقيل: هلكت دوس - ظنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما رفع يديه للدعاء عليها -، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»⁶

¹ - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، الحديث 1795، 3/ 1420

² - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، الحديث 1792، 3/ 1417، قال ابن حبان بعد روايته لهذا الحديث: "يعني هذا الدعاء أنه، قال يوم أحد لما شجَّ وجهه، قال: «اللهم اغفر لقومي» ذنبهم بي من الشجَّ لوجهي، لا أنه دعاء للكفار بالمغفرة، ولو دعا لهم بالمغفرة لأسلموا في ذلك الوقت لا محالة." صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، 3/ 254.

³ - ذكره علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي (ت975هـ)، في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيان - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م، الحديث 30173، 10/ 513.

⁴ - سيرة ابن هشام، 2/ 412.

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، الحديث 2847، 3/ 1096..

⁶ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، وأشجع، ومزينة، وتميم، ودوس، وطئ، الحديث 2524، 3/ 1096 .

ودعا صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة رضي الله عنه قبل إسلامها، فاستجاب الله دعوته وهدى أم أبي هريرة.¹

وأخرج ابن شبة (ت262هـ) في تاريخ المدينة أن الأنصار أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد ثقيفا»، قالوا: يا رسول الله، ادع عليهم فقال: «اللهم اهد ثقيفا»، فعادوا فعاد، فأسلموا، فوجدوا من صالحى الناس إسلاما، ووجد منهم أئمة وقادة.² وهذا ببركة دعاءه صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة».³

ومن صور الدعاء ما كان من اليهود، حيث كانوا يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله، فلم يحرمهم من الدعوة بالهداية والصلاح، فكان يقول: «يهدىكم الله ويصلح بالكم».⁴

فهل يسوغ لإنسان بعد دراسة هذه النصوص الواضحة المشرقة أن يقول من عند نفسه ظناً بغير علم: إن الإسلام دين يُملي على أتباعه الإرهاب، وسفك الدم، وقتل النفس؟! كلا والله، إنها فرية افتراها المغرضون من أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية في مختلف العصور والدهور. لقد أقر الإسلام لغير المسلمين حقوقاً، وألزم أتباعه القيام بها على أتم وجه وأحسنه، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة بهذا الصدد؛ فهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، لقد تعامل صلى الله عليه وسلم مع جميع غير المسلمين من المشركين والمجوس وأهل الكتاب من النصارى واليهود المعاملة الحسنة، التي تحار منها العقول؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يرحم الله من لا يرحم الناس».⁵ وكلمة (الناس) لفظة عامة تشمل كل الناس، دون اعتبار لجنس أو دين؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يرحم».⁶

¹ - أنظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، الحديث 2491، 1938/4.

² - تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، طبع على نفقة: حبيب محمود أحمد - جدة، 1399هـ، 2/ 499، وأخرجه الترمذي من حديث عن جابر، قال: قالوا: يا رسول الله أخرجنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم. قال: اللهم اهد ثقيفا. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة، الحديث 3942، 5/ 729.

³ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، الحديث 2599، 4/ 2006.

⁴ - رواه البخاري في الأدب المفرد، باب إذا عطس يهودي، وصححه الألباني، انظر: صحيح الأدب المفرد، الألباني، رقم الحديث: 723، ص 363.

⁵ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى { قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } سورة الإسراء/ 110، الحديث 6941، 6/ 2686، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، الحديث 2319، 4/ 1809.

⁶ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، الحديث 5667، 5/ 2239، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، الحديث 2318، 4/ 1808.

المطلب الثاني: مظاهر التسامح والتعايش مع غير المسلمين

لقد اصطفى الله نبينا صلى الله عليه وسلم للرسالة، وجعله رحمة إلى الناس أجمعين { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } سورة الأنبياء/107، فكانت رسالة الإسلام أول رسالة عالمية خاتمة إلى جميع الثقلين إلى قيام الساعة، « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة »¹.

واقضى ذلك أن يكون في هذه الرسالة من الخصائص والسمات ما يجعلها تتجاوز حدود الزمان والمكان واللغة والجنس، وأعظم هذه الخصائص وأجلها السماحة واليسر في كل شأن من شئون الحياة: في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب مع المسلمين وغير المسلمين.

وقد قضت مشيئة الله تعالى أن لا يؤمن الناس جميعا، وله الحكمة التامة في ذلك والحجة البالغة، قال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ } سورة التغابن/2 ، وقال تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } سورة يوسف/103. وقال سبحانه: { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ² إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } سورة هود/117-118.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات ملهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم."³

ويبين سيد قطب الحكمة في اختلاف البشر إلى الهدى وإلى الضلال، وسنة الله الماضية في اتجاهات خلقه إلى هذا أو ذاك، قائلا: " لقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه. وأن يختار هو طريقه، ويحمل تبعه الاختيار، ويجازى على اختياره للهدى أو للضلال.. هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته... شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة. فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين، وأن يبلغ هذا الاختلاف أن يكون في أصول العقيدة- إلا الذين أدركتهم رحمة الله- الذين اهتدوا إلى الحق- والحق لا يتعدد- فاتفقوا عليه، وهذا لا ينفي أنهم مختلفون مع أهل الضلال."⁴

¹ - صحيح البخاري، كتاب التيمم، الحديث 328، 128/1.

² - إن اختلاف الناس فيما بينهم في العقيدة والمنهج سنة كونية كما سبق ذكره، وقد أخبر الله تعالى عن وقوعها في خلقه، لكن لا يعني هذا أن الاختلاف في الدين جائز، بل قد ذم الله هذا النوع من الاختلاف، وإذا نظرنا إلى القرآن سنجد أن الله - عز وجل - قد أشار إلى ذلك في مواضع عديدة؛ منها: قوله عز وجل: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } سورة آل عمران/103، وقال سبحانه { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا } سورة الشورى/13، وقال { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } سورة آل عمران/105، وقد عقد ابن حزم (ت456هـ) في الإحكام بابا في ذم هذا النوع من الاختلاف، وأورده فيه مثل هذه الآيات وغيرها ثم قال: " التفرق في الدين حرام لا يجوز... لأن الله تعالى نص على أن الاختلاف شقاق وأنه بغي ونهى عن التنازع والتفرق في الدين وأوعد على الاختلاف بالعذاب العظيم وبذهاب الريح وأخبر أن الاختلاف تفريق عن سبيل الله ومن عاج (أي مال وعطف) عن سبيل الله تعالى فقد وقع في سبيل الشيطان..

وقد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراد الله تعالى إرادة كون، كما أراد كون الكفر وسائر المعاصي " الإحكام في أصول الأحكام، 5/65-67.

³ - تفسير ابن كثير، 4/361.

⁴ - تفسير الضلال، 4/1933.

إن اختلاف الناس فيما بينهم في العقيدة والمنهج سنّة كونية كما سبق ذكره، وقد أخبر الله تعالى عن وقوعها في خلقه، وأخبر عن قدرته بتوحيدهم جميعاً على دين واحد، لكنّ الله تعالى له حكمة بالغة في عدم فعل ذلك؛ ليثيب الطائعين الموحدين، ويعاقب العاصين والمشرّكين، ولو جعل الله تعالى الناس أمة واحدة لم يظهر فضل الإيمان والمؤمنين، ولم يظهر قبح الكفر والكافرين.

واستحضاراً لهذه الحقيقة الكونية القدرية ف" لا يتصور مع بقاء الكفر على الأرض، ومع وجوب تبليغ الدعوة إلى الناس كلهم أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، ولذلك فإن التشريع الإسلامي نظم علاقة المسلم مع غيره من بني جنسه أفراداً ومجتمعات، ووضع الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه"¹.

وسنهدف في هذا المطلب بحول الله إلى إبراز مظاهر التسامح والتعايش² من خلال دراسة نصوص الكتاب والسنة، وتبصر معانيها بكلام العلماء، وتطبيقات سلفنا الكرام خلال القرون التي سادت فيها حضارة الإسلام، والتي كانت في مجملها تجسيدا لنظام الإسلام العادل في التعامل مع غير المسلمين.

حفظ الكرامة الإنسانية:

من فضل الله تعالى على البشرية جمعاء أن خلق الله أباهم آدم عليه السلام، وأسجد له ملائكته { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى } سورة طه/116، ثم استخلفه وذريته في الأرض، { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ } سورة فاطر/39، وندبهم إلى عمارتها بمنهج الله: { هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } سورة هود/61.

والناس في نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط، يرجعون في أصلهم إلى أسرة واحدة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } سورة النساء/1، وكان من فضل الله عليهم أيضا أن كرم جنسهم البشري على سائر مخلوقاته قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } سورة الإسراء/70 فتكريم الله للآدميين هو تشريف لهم، يقول ابن كثير: " يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين / 4]... وجعل له سمعا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية."³

وأكد نبينا - صلى الله عليه وسلم - وصحبه من بعده - احترام النفس الإنسانية ومراعاة كرامتها، ففي الخبر: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنائز، فقاما، فقيل لهما إنهما من

¹ - عبد الله بن إبراهيم اللحيان، سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، منشورات وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات، ص: 3

² - التعايش السلمي: هو أن تتعايش المذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة في سلام وحسن وجوار " الحقوق الدولية العامة للدكتور فؤاد شباط، ص: 618، نقلا عن وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثالثة، 1419هـ-1998م، ص: 139.

³ - تفسير ابن كثير، 97/5.

أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفسا»¹.

لقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يُراعوا الكرامة الإنسانية التي وهبها الله تعالى للإنسان فضلاً منه ورحمة، ولم يُفرّق فيها بين المسلمين وغيرهم، وهو يؤكّد على أن الناس كلهم أبناء أب واحد وأم واحدة، كما نادى به الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته لحجة الوداع: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى"².

إن الإنسان في نظر الإسلام مُكرّم، بصرف النظر عن أصله وفصله، دينه وعقيدته، مركزه وقيّمته في الهيئة الاجتماعية، فقد خلقه الله مُكرّماً، ولا يملك أحد أن يُجرّده من كرامته التي أودعها في جبلته، وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم، وغير المسلم، أو من لا دين له، فالكرامة البشرية حقٌّ مشاع يتمتع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف³.

ومن مظاهر هذا التكريم الإلهي للإنسان "أن وهب الله له العقل الذي يميز به بين الحق والباطل { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد: 10)، وبموجبه وهبه الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } (الإنسان: 3)"⁴.

لقد قامت مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيّمه كلها على احترام الكرامة الإنسانية وصونها وحفظها، وعلى تعميق الشعور الإنساني بهذه الكرامة، وما دامت الرسالة الإسلامية تتغيّ في المقام الأول سعادة الإنسان وصلاحه، وتبتغي جلب المنفعة له ودرء المفسدة عنه، فإن هذه المقاصد الشريفة هي مُنتهى التكريم للإنسان بكل الدلالات الأخلاقية والمعاني القانونية للتكريم⁵.

كما أن الاختلاف الذي قضت حكمة الله أن يوجد بين البشر من حيث اللون والجنس واللغة هو آية من آيات الله تعالى؛ كما قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ } سورة الروم/22، وهذا الاختلاف ليس مدعاة للتنافر والتناكر، بل هو سبب للتعارف والتعاون والتكامل الحضاري في مجالات الخير والبر والتقوى؛ كما تحدّث عنه القرآن الكريم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } سورة الحجرات/

13

¹ - صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، الحديث 1250، 1/ 441.

² - مسند الإمام أحمد، الحديث 23489، 38/ 474، وصحح إسناده محققو المسند.

³ - عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م، ص: 126-127 بتصرف.

⁴ - التعايش مع غير المسلمين، ص: 10، بتصرف.

⁵ - الحوار من أجل التعايش، ص: 127.

وهذه المبادئ والقيم دعا إليها الإسلام من منطلق الحرص المشترك على استقرار المجتمع الإنساني، والحفاظ على مكاسب الحضارة الإنسانية في شتى مناحي الحياة.

وفي هذا الإطار أمر الإسلام أتباعه بالمحافظة على كرامة غير المسلمين ومراعاة مشاعرهم، ونهى عن جرح عواطفهم؛ فقال الرب عز وجل : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت: 46]، وقال سبحانه : { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } [الأنعام: 108]، نهى صريح عن النيل من الآلهة التي يعبدونها المشركون من الوثنيين والبوذيين، يقول الإمام القرطبي عند تفسير هذه الآية الكريمة: " فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية"¹.

ومن جانب آخر، فإن الكرامة الإنسانية ترتبط في دين الله بالمسؤولية (التكليف) التي أنيط بها الوجود الإنساني في هذه الحياة، فهو مخلوق مكرم، كلفه الله بعبادته وحده لا شريك له، واستخلفه في الأرض لتعميرها بالخير والأعمال الصالحات، فلا يمكن الحديث عن تكريم الإنسان بمعزل عن الهدف والغاية من خلقه، وقد عقد عباس محمود العقاد مبحثاً في كتابه (القرآن والإنسان) بعنوان "الكائن المكلف" أبرز فيه هذا الجانب من الكرامة الإنسانية، يقول: " مكان الإنسان في القرآن الكريم هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات

هو الكائن المكلف. هو كائن أصوب في التعريف من قول القائلين «الكائن الناطق»، وأشرف في التقدير."² لذلك جعل الإسلام التقوى أعلى درجات التكريم والإكرام للإنسان، { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } سورة الحجرات/13، فكرامة الإنسان هي في تقربه إلى الله، باتباع تعاليم دينه ووصاياه، وباجتناب نواهيه وما حرمه على عباده، وهذا السلوك المستقيم السوي هو عين التقوى³.

إن معيار التفاضل هنا، يستطيع الارتقاء إليه كل البشر، ولا يقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها بعضاً، وهو معيار يدفع إلى الرقي والسمو بالإنسان. إن التقوى معيار الكرامة الإنسانية عند الله عز وجل، ومع ذلك فهي معيار الصلاح في الدنيا، وهو معيار حقيقي وعملي؛ إذ إن صلاح الإنسان في دنياه، يجعله أفضل لنفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، من غيره الذي لا يفيد نفسه ولا مجتمعه بشيء⁴.

وقد هدم الدين الإسلامي بهذا المعيار الحقيقي الذي يرتقي بحياة الإنسان والمجتمع، كل المعايير الزائفة كالقوة، والموقع الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان، أو الجنس واللون. فكرامة الإنسان إذن تتجلى في اتباعه لدين الله وتعاليمه، وكلما زادت صلة الإنسان بخالقه عبادة وتقوى واستقامة

¹ - تفسير القرطبي، 61/7.

² - موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، المجلد الرابع، القرآن والإنسان، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1391هـ - 1971م، ص: 232.

³ - الحوار من أجل التعايش ص: 132.

⁴ - حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية - السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ ص72.

زاد نصيبه من التشريف والتكريم عند الله.

عدم الإكراه على الإسلام¹:

من مظاهر التسامح التي تميز بها الإسلام أنه لم يُجبر الناس ولم يُكرههم على الدخول فيه، بل دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ووكل الأمر إلى أنفسهم؛ فقال الله عز وجل { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } [البقرة: 256]، وامتنالاً لهذه الآية الكريمة دأب المسلمون على دعوة الناس إلى الإسلام وعرضه عليهم من دون إكراه وإجبار، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُمِرُّ بعجوز نصرانية، ويعرض عليها الإسلام ويدعوها إليه قائلاً: أَسْلِمِي أَيْتَهَا الْعَجُوزُ تَسْلَمِي، إن الله بعث محمداً بالحق، قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب، فقال عمر رضي الله عنه : اللهم اشهد، وتلا قوله تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [البقرة: 256]².

فالتدين الذي يُظهره صاحبه مُكرهاً لا ينفعه، ومثل هذا الإكراه لا يحتاج إليه إلا من كان دينه وعقيدته ترفضهما العقول السليمة، وتأباهما الفطرة السوية المستقيمة، والإسلام - بحمد الله - أبعد شيء عن هذا، فهو دين

¹ - من أخطر الدعاوى التي يروجها خصوم الإسلام من الغرب - الكارهون لما أنزل الله - على نطاق واسع في وسائل الإعلام دعوى: أن الإسلام دين دموي وإرهابي عنيف، يصادر الحريات ولا يقبل من الناس إلا أن يُسلموا أو يُقتلوا، وقد انبرى لدحض هذه المزاعم الباطلة كثير من الباحثين والدعاة منهم الدكتور عبد العظيم المطعني (ت1429هـ) حيث قام بتأليف كتاب "سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله" ومما جاء فيه : " هذه الدعاوى الجوفاء كُرسَتْ أوروبا - الآن - كل جهودها لترويجها وإثارتها، وبخاصة بعد سقوط الشيوعية وتفتتت كياناتها، لم تخلُ وسيلة من وسائل الدعاية الحديثة من الاشتراك في هذه الحملات الضارية، التي يشارك فيها سياسو أوروبا ومفكروها وصحفيوها وإعلاميوها ومؤتمراتها.

والهدف هو إما القضاء على الإسلام، وإما تحجيمه في نطاق ضيق، وإما تشويهه محياه الجميل الباسم، حتى لا يغزو العالم، ويملأ الفراغ الذي تعيش فيه أوروبا - الآن - منذ اتخذت الفكر المادي فلسفة وعقيدة، وسلوكاً.

والعجيب أن إعلام الغرب الذي يصف الإسلام بهذه الحقارات ينسى أو يتناسى تاريخ الشيوعية والصليبية والصهيونية الملتطخ بالدماء في كل سطر من سطره قديماً ووسيطاً وحديثاً، فالشيوعية عبارة عن سيف مصلت على رقاب الناس، غدر وخيانة وفكك، والصليبية ترى محاكم التفتيش الفظيعة، هي عنوان تاريخها، والصهيونية بدأ أسلافها بقتل الأنبياء، وهذا لم يحدث في التاريخ النبوي الممتد عبر ألف سنة من تاريخهم القديم إلا على أيدي أسلاف الصهيونية. ثم ختموا تاريخهم القديم بالتآمر على قتل آخر أنبيائهم عيسى ابن مريم عليه السلام، لولا أن نجاه الله منهم، ويكاد يجمع مؤرخو الغرب على أن الحريين العالميتين: - الأولى والثانية - كانتا من تدابيرهم؛ لأنهم - كما يقول المثل: "لا يصطادون إلا في الماء العكر" - هذا هو تاريخ أوروبا وحلفائها، تنتاساه هي الآن، لتتفرغ في غير حياء ولا خجل لمحاربة الإسلام، كما تنتاسى أوروبا فظائعها وإجرامها وإرهابها الذي يجري الآن ضد مسلمي البوسنة والهرسك، الذين لا ذنب لهم سوى أنهم مسلمون: { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } . سورة البروج/8.

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}. سورة الحج/40.

إن تاريخ أوروبا وحاضرها معاً: إجرام في إجرام، وعنف في عنف، ولو كان عندها ذرة حياء أو مُسكة من عقل لكفت عن بذاءاتها ضد الإسلام، ولكن الحقد أعمى أبصارها، وأصم آذانها، وحجر قلوبها، فأخذت تهذي ضد الإسلام هذيان المخمور أو المحموم. ومن سلب الله منه الحياء فلا يصدر عنه إلا الغرائب كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: " إذا لم تستح فاصنع ما شئت" صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، الحديث 5769 ، 5 / 2268 " عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا ... وسيرة، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى 1414 هـ - 1993 م، ص: 3-4 باختصار.

² - جزء سعدان بن نصر بن منصور، أبو عثمان الثقفي البزاز (ت265هـ)، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، ص: 19، تفسير القرطبي، 280/3.

الله الموافق للعقل، المناسب للفطرة، المحصل لمنفعة الروح والبدن، الجامع لمصلحة الدنيا والآخرة، لذلك لما قال تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } قال بعدها { قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } سورة البقرة/ 256.

قال السعدي: "يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبين أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه أثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس له حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحاً".¹

فالعقيدة لا يمكن الإكراه عليها، بل لابد فيها من الإقناع والرضا، قال تعالى: { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } يونس/ 99.²

لذلك فإن مهمة المسلمين الدعوة إلى الله لا أسلمة الناس، فقد أدرك المسلمون أن هداية الجميع من المحال، وأن أكثر الناس - كما أخبر الله - لا يؤمنون { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } (يوسف: 103)، وأدركوا أيضاً أن واجب الدعاة هو الدأب في دعوة الآخرين وطلب أسباب هدايتهم، فإن مهمتهم هي البلاغ فحسب، والله هو من يتولى حساب المعرضين في الآخرة³، قال الله مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (النحل: 82). وقال تعالى: { فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } (آل عمران: 20).

وتطبيقاً لهذه المبادئ الإسلامية في التسامح الديني، لم يعتمد المسلمون طوال تاريخهم الحضاري العظيم إلى إجبار الشعوب أو الأفراد على الدخول في الإسلام قسراً وكرهاً، قال الإمام ابن قدامة (ت620هـ): "لم ينقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من خلفائه، أنه أجبر أحداً من أهل الذمة على الإسلام... وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه، كالذمي والمستأمن، فأسلم، لم يثبت له حكم الإسلام، حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً، مثل أن يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه عنه. فإن مات قبل ذلك، فحكمه حكم الكفار. وإن رجع إلى دين الكفر، لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام.... والدليل على تحريم الإكراه قوله تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } [البقرة: 256]"⁴

والشواهد التاريخية في هذا أكثر من أن تحصى، بدءاً من السيرة النبوية الشريفة الحافلة بمواقف التسامح، ولعل أبرزها يظهر في وثيقة المدينة، فحينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم كأن أول ما فعله بعد بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار - كما هو معلوم - وضع صحيفة المعاهدة مع اليهود الذين كانوا يسكنون

¹ - تفسير السعدي، ص: 110.

² - مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1420هـ-1999م، ص: 130.

³ - التعايش مع غير المسلمين، ص: 9.

⁴ - المغني لابن قدامة، 19/9-23.

المدينة، والتي تضمنت في بنودها إقرار اليهود على دينهم، وكذلك لحلفائهم ولمن تهود من المشركين، جاء في سيرة ابن هشام: " لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليتهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته "¹.

وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم كان أول تطبيق عملي للدولة الإسلامية في حسن التعايش مع الآخرين من غير المسلمين، ودلالة على أن الإسلام دين لا ينفي الآخر على الإطلاق، وأنه يقر الخصوصيات المتنوعة لكافة المجموعات المختلفة، دينية كانت أم قومية أم ثقافية أم لغوية.

ومن مظاهر هذا التسامح الديني أيضا ضمان سلامة دور العبادة وحمايتها، فقد صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم، ورعى حرمة شعائرهم، بل جعل القرآن من أسباب الإذن في القتال حماية أماكن العبادة، وذلك في قوله تعالى { أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صُلُوكُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ وَمَسَاجِدُكُمْ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحج: 39-40.

روى أبو يوسف في "الخراج" كتاب أبي بكر لأهل نجران: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران، أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأراضيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير"².

وفي عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء "القدس" نصَّ على حريتهم الدينية، وحرية معابدهم وشعائرهم: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"³.

وهذا التسامح مع المخالفين في الدين أمر لم يعهد في تاريخ الديانات، وهذا ما شهد به الغربيون أنفسهم، يقول **جوستاف لوبيون (ت1931م):** " وكان محمد كثير التسامح لليهود والنصارى خلافاً لما يظن"⁴. ويقول: **ول ديورانت (ت1981م):** " لقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم "¹.

¹ - السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، دون طبعة ودون تاريخ، 107/2.

² - الخراج لأبي يوسف، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة جديدة محققة ومفهرسة، ص: 85.

³ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - 1387هـ، 609/3.

⁴ - حضارة العرب، غوستاف لوبيون، ترجمة: عادل زعيتير، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة - مصر، 2012 م، ص: 128.

وعلى عكس ما يشيحه الغربيون عن إجبار الناس على اعتناق الإسلام، فإن المؤرخين الغربيين ينقلون باستغراب بعض الحوادث المشينة في تاريخنا عن كراهية بعض الأمراء دخول الناس في الإسلام، يقول ول ديورانت في سياق حديثه عن الخليفة عمر بن عبد العزيز:

"وبينما كان أسلافه من خلفاء الأمويين لا يشجعون غير المسلمين في بلاد الدولة على اعتناق الإسلام، حتى لا تقل الضرائب المفروضة عليهم، فإن عمر قد شجع المسيحيين، واليهود، والزرادشتيين على اعتناقه، ولما شكا إليه عماله القائمون على شؤون المال من هذه السياسة ستفقر بيت المال أجابهم بقوله: "والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا"².

ولقد كان من أثر هذا التسامح أن أقبل أهل الذمة على الدخول في الإسلام لما رأوا فيه من اليسر والموافقة للعقل والروح، وهذه بعض حقائق التاريخ يتحدث بها الغربيون عن السر في هذا الإقبال:

يقول غوستاف لويون: « إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغةً لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبله».³

ويوافقه المؤرخ ول ديورانت فيقول: " وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزرادشتيين، والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود في آسية، ومصر وشمال أفريقيا... واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين، وأندونيسيا، والهند، إلى فارس، والشام، وجزيرة العرب، ومصر وإلى مراكش، والأندلس؛ وتملك خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة"⁴.

حق الحماية والأمن :

من حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي أن يتوفّر لهم التمتع بحماية الدولة الإسلامية، ومن صور هذه الحماية نذكر ما يلي:

حق الحماية من الاعتداء الخارجي :

يجب على الحاكم أو ولي الأمر أن يُوفّر لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي هذه الحماية بما له من سلطة شرعية، وما لديه من قوة عسكرية، جاء في "مطالب أولي النهى": "يجب على الإمام حفظ أهل الذمة،

¹ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ - 1988م، 13 / 130.

² - قصة الحضارة، 84/13.

³ - حضارة العرب، ص: 10.

⁴ - قصة الحضارة 133 / 13.

ومنْع مَنْ يُؤْذِيهِمْ، وَفَكَ أَسْرَهُمْ، وَدَفَعَ مِنْ قَصْدِهِمْ بِأَذَى إِنْ لَمْ يَكُونُوا بِدَارِ حَرْبٍ، بَلْ كَانُوا بِدَارِنَا، وَلَوْ كَانُوا منفردين ببلد"، وعَلَّ ذلك بأنهم "جَرَتْ عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، وَتَأَبَّدَ عَقْدُهُمْ، فَلَزِمَهُ ذَلِكَ كَمَا يَلْزِمُهُ لِلْمُسْلِمِينَ"¹.

ونقل القرافي عن ابن حزم أن كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرارح والسلاح ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة، وحكى في ذلك إجماع الأمة².
وعلق على ذلك بقوله: "فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صونا لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم"³، وذلك لأننا التزمنا حفظهم بمعاهدتهم وأخذ جزيتهم، فلزمنا القتال من ورائهم، والقيام دونهم⁴.
حق الحماية من الظلم الداخلي :

يقول القرافي: "إن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام"⁵.

وقد مضى فيما سبق الوعيد الشديد على الظلم وعدم القيام بالعدل والقسط، ولا سيما إذا كان الظلم يتعرّض له غير المسلمين من أهل الذمة والعهد والأمان، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم مُعَاهِدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»⁶.
وكان عمر رضي الله عنه يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة؛ خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: "ما نعلم إلا وفاء"⁷.
وفي عهد الرشيد كانت وصية القاضي أبي يوسف له بأن يرفق بأهل الذمة، حيث يُخاطبه بقوله: "وقد ينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه

¹ - مصطفى بن سعد الرحيباني الحنبلي (ت1243هـ)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1415هـ - 1994م، 602/2.

² - الفروق، 14/3.

³ - الفروق، 14/3-15.

⁴ - المغني لابن قدامة، 9/284.

⁵ - الفروق، 14/3.

⁶ - سنن أبي داود، وصححه الألباني، سبق تخريجه.

⁷ - تاريخ الطبري، 89/4. الكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1997م، 2/370.

وسلم، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم¹.

وقد صرَّح فقهاء المسلمين من جميع المذاهب بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة، والمحافظة عليهم؛ لأن المسلمين حين أعطوهم العهد قد التزموا بدفع الظلم عنهم، وهم صاروا به من أهل دار الإسلام، بل صرَّح بعضهم بأن ظلم غير المسلم أشد من ظلم المسلم إثمًا؛ يقول ابن عابدين في حاشيته ما نصه: "وتحرم غيبته كالمسلم لأنه بعقد الذمة، وجب له مالنا فإذا حرمت غيبته المسلم حرمت غيبته، بل قالوا: إن ظلم الذمي أشد"².

الحق في عصمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم:

فحق الحماية الذي أوجبه الإسلام على أتباعه لغير المسلمين يتضمن حماية دمائهم وأرواحهم، وحماية أعراضهم وأموالهم أيضًا، فاتفق العلماء على عصمة دمائهم وأرواحهم، كعصمة أعراضهم وأموالهم؛ لقول الله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151]، وقوله عز وجل: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: 32]، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا، لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"³.

والمعاهد كما قال ابن الأثير: "أكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما"⁴.

وبلغ من رعاية الإسلام لحُرمة أموالهم وممتلكاتهم أنه يحترَّم ما يَعدونه - حسب دينهم - مالا، وإن لم يكن مالا في نظر المسلمين، فالخمر والخنزير لا يُعدان عند المسلمين مالا متقوماً، ولا يجوز للمسلم أن يَمْتَلِك هذين الشيئين لا لنفسه ولا لبيعهما للغير، أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم، فهما مالان عنده، بل من أنفس الأموال، كما قال فقهاء الحنفية، فمن أتلَفهما على الذمي غَرِمَ قيمتهما⁵.

ويحمي الإسلام عِرْضَ الذمي وكرامته، كما يحمي عِرْضَ المسلم وكرامته، فلا يجوز لأحد أن يَسُبَّه أو يَنَّهُمه بالباطل، أو يُشَنِّع عليه بالكذب، أو يَغْتَابَه، ويذكره بما يكره، في نفسه، أو نَسَبه، أو خُلُقَه، أو خَلْقَه، أو غير ذلك مما يتعلَّق به⁶.

¹ - الخراج، ص 138.

² - رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار المعروف بـ (حاشية ابن عابدين)، 4/171.

³ - صحيح البخاري، سبق تخريجه.

⁴ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (عهد)، 3/325.

⁵ - غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، ص: 15.

⁶ - غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، ص: 16.

فَمَنْ اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيَّع ذمَّةَ الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام¹.

حق العدل والمساواة:

جاء الإسلام الحنيف وفي جوهر مقاصده بقاء الإنسان ناهضاً بتبعاته يسعد بحياة آمنة لا يرى فيها ظملاً ولا هضمًا. فالعدالة والإنصاف والقسطاس سمة الحياة في الإسلام، والاستقامة ورعاية الحقوق وأداء الواجبات هي الأمل والعمل والسبيل والهدف، وإن الإنسانية في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفت في ظل الإسلام ليستقر المجتمع الدولي ويعيش في أمن وأمان².

فالإسلام أقام المجتمع على دعائم قوية ثابتة، ومنها: العدل بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، والعدل صفة خُلُقِيَّة كريمة، تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة، والبُعد عن الظلم والبغي والعدوان، وقد وردت آيات كثيرة تأمر بهذا المبدأ الحضاري، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } [النحل: 90]، وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } سورة النساء/58.

يقول ابن القيم: " فإن الشريعة مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عَدْلٌ كُلُّهَا، ورحمةٌ كُلُّهَا، ومصالحُ كُلِّهَا، وحكمةٌ كُلُّهَا؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"³. وقد بين سبحانه للمؤمنين القاعدة التي يسرون عليها في مودتهم وعداوتهم وصلاتهم ومقاطعتهم، فقال تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } سورة الممتحنة/8.

فهذه الآية من كتاب الله العزيز تأمر بالتعامل بالحسن والمعروف والعدالة والإنصاف مع كل شخص لم يُعادِ المسلمين، أيًا ما كانت عقيدته، ومن هذه الآية وجبت حقوق كثيرة لغير المسلمين على المسلمين⁴. والعدل اسم من أسماء الله الحسنى، فالعدل والإنصاف حقٌ أوجبه الإسلام على أتباعه تُجاه الآخرين من غير المسلمين أيًا ما كانت عقيدتهم، وأيًا ما كان سلوكهم وتعاملهم معهم، يقول الرب تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } سورة المائدة/8.

¹ - الفروق ، 14/3.

² - انظر: مفهوم العدل في الإسلام: مجيد خدوري، دراسات في الفكر الديني، دمشق، 1998م. ص131.

³ - إعلام الموقعين، 41/1.

⁴ - عبدالعزيز التويجري، الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق ص: 157 - 158.

قال القرطبي: " ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يُقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمونا بذلك؛ فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم"¹.

وقال البيضاوي: " المعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كمثلة وقذف وقتل نساء وصبيبة ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم { اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }؛ أي العدل أقرب للتقوى... وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين."²

وشواهد عدل المسلمين مع أهل ذمتهم كثيرة، منها العدل معهم في خصومتهم مع الخلفاء والأمراء، ومنه خصومة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع يهودي في درعه التي فقدتها ثم وجدها عند يهودي، فاحتكما إلى شريح القاضي، فحكم بها لليهودي، فأسلم اليهودي وقال: " أمير المؤمنين، قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راکباً على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين، فوقع منك ليلاً فأخذتها"³.

وهذا عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يأمر مناديه أن يُنادي: " ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال: ما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يُتبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته، فردها عليه."⁴

هذا هو العدل والإنصاف الذي حَبَّبَ الإسلام والمسلمين إلى غير المسلمين، ومكَّنَه من قلوبهم، وجعل حُكْمَهُمْ أحبَّ إليهم من غيرهم."⁵

لقد سَوَّى الإسلام بين المسلمين وغيرهم، فأعطى للذميين في المجتمع الإسلامي نفس الحقوق التي للمسلمين، وحقَّ لهم أن يعيشوا آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وعلى أعراضهم، بل ويتمتعون بالبرِّ والإحسان، يقول عبدالله بن عبدالمحسن التركي: " تُعَدُّ المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات مبدأ أصيلاً في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره، قائماً في الحضارات القديمة، كالحضارة

¹ - تفسير القرطبي، 6/ 110.

² - تفسير البيضاوي، 2/ 117.

³ - أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، 4/ 140-141.

⁴ - البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م، 9/ 239.

⁵ - لقد امتدح النصارى الفتح الإسلامي وأثنوا على الفاتحين كما كتب أهل حمص في الشام سنة 13هـ إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت 279هـ) ص: 139: " لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتورة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تُغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإننا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد، فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم .. وأدوا الخراج، وسار أبو عبيدة إلى جند قنسرين وأنطاكية ففتحها."

المصرية أو الفارسية أو الرومانية، إذ كان سائداً تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك، تَبَعًا لوضعها الاجتماعي المتدني، وكانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تَسْتَدِدُّ إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات، مثل المجتمع الهندي، كان يعرف طائفة المنبوذين، وكان مُحَرَّمًا على أفراد الطبقة أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تُتَّيح لهم ذلك¹.

البر والإحسان (المعاملة الحسنة):

أمر الله في القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } سورة الممتحنة/8.

قال الطبري: " عُنِيَ بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم .. وقوله: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } يقول: إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم"². وأورد ابن العربي في تفسير القسط وجهاً آخر فقال: " { وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ }؛ أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلّة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يُقاتل³ .

والبر أعلى أنواع المعاملة، فقد أمر الله به في باب التعامل مع الوالدين، وقد وضعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «البر حسن الخلق»⁴.

وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، بل نظرته الكلية لهذا الوجود، الصادر عن إله واحد، المتّجه إلى إله واحد، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي من وراء كل اختلاف وتنويع⁵. فليتحَرَّ المسلمون العدلَ في معاملاتهم مع غير المسلمين، ولا يبخسوه من حقوقهم شيئاً.

ونذكر الإمام القرافي في الفروق صوراً للبر تفيض بمشاعر الإنسانية والرفق، وتبرز عظمة هذا الدين في حسن معاملة المسالمين من غير أهل الإيمان، فيقول: " ولين القول على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته، لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، نصيحتهم في جميع أمور دينهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد

¹ - حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية - السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ، ص: 68.

² - تفسير الطبري ، 323 / 23.

³ - أحكام القرآن، 228/4.

⁴ - صحيح مسلم، كتاب البر والصلّة والآداب ، باب تفسير البر والإثم الحديث 2553، 4 / 1980.

⁵ - تفسير الظلال، 3544 / 6.

لأذيتهم.. وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه، فإن ذلك من مكارم الأخلاق .. نعاملهم - بعد ذلك بما تقدم ذكره - امتثالاً لأمر ربنا عز وجل وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم¹.

فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، تقول: قَدِمْتُ عليَّ أُمِّي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أُنْتَتِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلَهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عِيْنَةَ: " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: { لَا يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }"².

وفي مثال آخر لصلة الرحم - وإن كانت كافرة - ما رواه أبو عبيد بن سلام (ت 224هـ) عن عبد الله بن مروان، قال: قلت لمجاهد: «إن لي قرابة مشركا، ولي عليه دين، أفأتركه له؟» قال: «نعم، وصله»³.

ويوصي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه بالقبض خيراً؛ حفاظاً على ذمتهم ورحمهم التي تعود إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيروط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما» أو قال «ذمة وصهرا»⁴. قال النووي: " أما الذمة، فهي الحُرْمَةُ والحَقُّ، وهي هنا بمعنى الذِّمَامِ، وأما الرَّحْمُ؛ فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصَّهْرُ؛ فلكون مارية أم إبراهيم منهم"⁵.

ومن البر عيادة المريض ودعوته إلى الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يَعودُه فقعده عند رأسه فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: « الحمد لله الذي أنقذه من النار»⁶.

ومن صور البر التي تهدف إلى كسب القلوب وتأليفها للدخول في دين الله: الهدية، وقد أهدى النبي صلى الله عليه وسلم إلى مخالفه في العقيدة، من ذلك ما رواه القاسم بن سلام (ت 224هـ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة، وهو بمكة مع عمرو بن أمية، وكتب إليه يستهديه أدما، فأهداها إليه أبو سفيان»⁷.

¹ - الفروق، 3 / 15، وقد بين رحمه الله في كلام نفيس له، ضوابط المعاملة مع غير المسلمين، وما يجوز منها وما لا يجوز، فليرجع إليه.

² - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، الحديث 5633، 5 / 2230.

³ - أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت، ص: 729

⁴ - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر، الحديث 2543، 4 / 1970.

⁵ - شرح النووي على مسلم، 16 / 97.

⁶ - صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، الحديث 1290، 1 / 455

⁷ - قال أبو عبيد في تعليقه على هذا الحديث: "وإنما وجه هذا عندنا: أن الهدية كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة قبل فتحها، فأما مع المحاربة فلا." الأموال للقاسم بن سلام، ص: 328.

وفي مرة أخرى دعا يهودي النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير وإِهَالَة سَنَخَة¹، فأجابه صلى الله عليه وسلم².

كما قبل النبي صلى الله عليه وسلم هدايا الملوك إليه، فقبل هدية المقوقس صاحب الإسكندرية³، وهدية أكيدر دومة⁴، وهدية كسرى⁵.

وأهدى النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حُلَّةً، فكساها عمر أخا له مشركا بمكة⁶. قال النووي: " وفي هذا دليل لجواز صلة الأقارب الكفار والإحسان إليهم وجواز الهدية إلى الكفار "⁷.

ويروي البخاري في الأدب المفرد عن مجاهد أنه سمع عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - يقول ل غلام له يسلم شاة: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟! فقال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يوصي بالجار، حتى خشينا أنه سيورثه⁸.

وحين تحدث الفقهاء عن حقوق الضيف رأوا وجوبها لكل ضيف، سواء كان مسلماً أم غير مسلم، قال أبو يعلى (ت 458هـ): " وتجب الضيافة على المسلم للمسلمين والكفار لعموم الخبر. وقد نص عليه أحمد في رواية حنبل - وقد سأله " إن أضاف الرجل ضيفان من أهل الكفر؟ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم"⁹، دل على أن المسلم والمشرِك مضاف... وأنه يعم المسلم والكافر "¹⁰.

ومن صور المعاملة الحسنة أيضا ما ذهب إليه بعض أهل العلم من جواز تعزية اليهودي والنصراني وغيرهما، وبعضهم قيدها بالمصلحة الشرعية، كترغيبه في الإسلام، أو كف أذاه .. ونحو ذلك. والعلماء الذين ذكروا جواز تعزية الكافر نصوا على أن يتخير المعزي الألفاظ التي ليس فيها محذور شرعي، مثل " أخلف الله عليك، ولا نقص عدُّك " ذكر ذلك ابن قدامة والنووي¹¹.

¹ - قوله: "إِهَالَة سَنَخَة"، قال ابن الأثير في "النهاية" 84/1: كل شيء من الأدهان مما يُؤْتَم بِه إِهَالَة، وقيل هو ما أُذِيبَ مِنَ الألية والشحم، وقيل الدَّسَم الجامد. والسَّنَخَة المتغيرة الريح.

² - مسند الإمام أحمد بن حنبل، الحديث 13201، 424/20، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

³ - أنظر: المعجم الكبير للطبراني، 12/4.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية من المشركين، الحديث 2473، قال مصطفى ديب البغا في تعليقه على الحديث الحديث: " (أكيدر دومة) ملكها وهي مدينة بقرب تبوك " 922 / 2.

⁵ - أنظر: سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في قبول هدايا المشركين، الحديث 1576، 140/4، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: ضعيف جدا.

⁶ - أنظر: صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، الحديث 2068، 1638/3.

⁷ - شرح النووي على صحيح مسلم، 39 / 14.

⁸ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب جار اليهودي، الحديث 128، وصححه الألباني، ص: 58.

⁹ - الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الضيافة، الحديث 3752، 398 / 3، وصححه الألباني.

¹⁰ - الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، ص: 158 .

¹¹ - انظر في ذلك: المغني لابن قدامة، 406/2 وقال : "ويقصد زيادة عددهم لتكثر جزيتهن." و المجموع شرح المذهب للنووي: 305 / 5.

وقال أبو عبد الله بن بطة (ت 387 هـ): لا بأس أن يقول في تعزية الكافر: أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطي أحد من أهل ملتك، وعن الحسن نحوه مما قال ابن بطة، ولكن لفظه: أجزاك الله على مصيبتك بأعظم مما جازى به أحدا من أهل ملتك.¹

ولا يدعو للميت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك مما يُدعى به للمتوفى من المسلمين، قال تعالى: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } سورة التوبة/113.

¹ - ذكره محمد بن محمد بن محمد، المنبجي (ت785هـ) في كتابه تسلية أهل المصائب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1426

1426 هـ - 2005 م، ص: 122

المبحث الثاني: الأصل في علاقة المسلمين بغير المسلمين

لعل من المفيد قبل الحديث عن هذا الموضوع أن نذكر خلاصة عن موضوع مهم ومرتبطة أساساً بأصل هذه العلاقة وهو: الجهاد، مستوحى من النصوص الشرعية وكلام أهل العلم. وبداية ننبه على أمرين :

أحدهما: إن لفظ (الجهاد) مصطلح إسلامي خالص، لم يرد في كلام عرب الجاهلية، ولم يرد في لغات الناس غير لغة الإسلام¹، ومن ثم كان لهذا المصطلح دلالاته الخاصة، وإيحاؤه المميز عن غيره من المصطلحات المشابهة، كمصطلح (القتال)، ومصطلح (الحرب)، ومصطلح (الحرب المقدسة)²، فكل هذه المصطلحات ونحوها لا شأن لها بمصطلح (الجهاد). ثانيهما: وهو على صلة بسابقه، وهو أن (الجهاد) لا يضاف إليه أي لفظ آخر، فليس هناك جهاد إسلامي، وجهاد غير إسلامي، وليس هناك جهاد مشروع، وجهاد غير مشروع، بل جهاد فحسب³، وغير ذلك سمّه ما شئت من الأسماء إلا اسم (الجهاد). ومن ثم كان من المهم في هذا السياق عدم الخلط بين مفهوم (الجهاد) في الإسلام، ومفهوم (الحرب المقدسة) في الأدبيات الغربية.

¹ - قال الدكتور عبد الرحمن البوكيلي: " مصطلح الجهاد (بكسر الجيم)، وإن كان من حيث جذره اللغوي (جهد) أصيلاً في لسان العرب، فإنه من حيث المبنى استعمال قرآني ونبوي بامتياز، ما كان مألوفاً ولا متداولاً من قبل. " مفهوم الجهاد في القرآن والحديث، ص: 25.

² - يرد هذا المصطلح في كتابات المستشرقين بدلالات مغلوطة بقصد تشويه شرعية الجهاد في الإسلام والتفجير منه بوصفه حرباً دينية لزهق الأرواح حيث " يحور مفهوم الجهاد من أداة للدعوة ونشر الإسلام كما هو مضمونه الواسع المليء بالتسامح والصبر، إلى وسيلة للقتل والاسترقاق والنهب، يقول جودفروا: " يقود الخليفة الجهاد أي الحرب المقدسة ضد الكفار لحملهم على اعتناق الدين الإسلامي أو استرقاقهم أو قتلهم أو إجبارهم آخر الأمر على دفع الجزية ". " عوض عبد الهادي العطا، الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة 17، العددان 67-68، رجب- ذو الحجة، 1405هـ - 1985م، ص: 83-84، بتصرف.

³ - أنظر : ظافر القاسمي، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى، 1982م، ص: 182.

المطلب الأول: الغاية من تشريع الجهاد

الجهاد مصدر جاهد، وهو من الجهد - بفتح الجيم وضمها - أي الطاقة والمشقة، وقيل: الجهد - بفتح

الجيم - هو المشقة، وبالضم الطاقة¹

وجاهدَ يجاهد مجاهدةً وجهاداً. والاجتهادُ والتَّجَاهُدُ: بذل الوسع والمجهود،² وأخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة³.

فالجهاد لغة إذن بذل الوسع والطاقة في تحصيل مقصود.

أما حقيقة الجهاد في الشرع، فقال الراغب: " الجِهَادُ والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجِهَاد ثلاثة أضرب:

- مجاهدة العدو الظاهر.

- ومجاهدة الشيطان.

- ومجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } [الحج/ 78]، { وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [التوبة/ 41]، والمجاهدة تكون باليد واللسان، قال صلى الله عليه وسلم: « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم »⁴ 5.

وذكر ابن تيمية (ت728هـ) أنواع الجهاد فقال: " والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة فيجب بغاية ما يمكنه "6.

نلاحظ من خلال هذه الأقوال أن الجهاد في اصطلاح الشرع يأتي بمعنى أعم وأشمل حيث يشمل من يقع عليه الجهاد (جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أهل البدع والمنكرات) كما يشمل الآلة التي يكون بها الجهاد (جهاد القلب، وجهاد اليد، وجهاد اللسان، وجهاد المال).

لكن إذا أطلق لفظ الجهاد فالمراد به القتال في سبيل الله تعالى، وهو محل نظر الأحكام الفقهية المتعلقة به من معاهدات، أو عقود هدنة، و صلح ونحو ذلك.

يقول ابن رشد الجد: " فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا

¹ - لسان العرب مادة: (جهد) ، والقاموس المحيط، وتاج العروس مادة: (جهد) .

² - الجوهرى، الصحاح، جهد 461/2.

³ - المفردات، ص: 208.

⁴ - الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ: « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو الحديث 2506، 318/2 وصححه الألباني.

⁵ - المفردات، ص: 208.

⁶ - الفتاوى الكبرى ، 5/ 538، وجاء في كشف القناع شرح لهذا الكلام فقال البهوتى الحنبلى (ت1051هـ): " الجهاد المأمور به (منه ما يكون بالقلب) كالعزم عليه.(والدعوة) إلى الإسلام وشرائعه (والحجة) أي: إقامتها على المبطل (والبيان) أي: بيان الحق وإزالة الشبهة (والرأي) والتدبير) فيما فيه نفع المسلمين (والبدن) أي: القتال بنفسه (فيجب) الجهاد (بغاية ما يمكنه) من هذه الأمور، قلت (البهوتى): ومنه هجو الكفار كما كان حسان رضي الله تعالى عنه يهجو أعداء النبي صلى الله عليه وسلم." كشف القناع، 36/3.

أطلق فلا يقيم بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.¹

وله كذلك معنى خاص هو القتال² لإعلاء كلمة الله عز و جل، قال ابن الأثير: " الجهاد: محاربة الكفار"³، وقال الكفوي: " الجهاد: الدُّعاء إلى الدين الحق، والقتال مع من لا يقبله"⁴.

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: " والجهاد اصطلاحاً: قتال مسلم كافراً غير ذي عهد، بعد دعوته للإسلام وإبائه، إعلاء لكلمة الله "⁵.

أما مدلول الجهاد في سبيل الله فيراد به القتال والغزو لإعلاء كلمة الله، وما يقتضيه من بذل النفس والنفيس ابتغاء وجه الله⁶.

والجهاد بمفهومه الشرعي الشائع - وهو القتال - ينقسم في اصطلاح الفقهاء إلى قسمين أساسيين: (جهاد طلب)، و(جهاد دفع).

والمقصود بجهاد الدفع: جهاد المقاومة والتحرير لأرض الإسلام من الغزاة المحتلين، الذين هاجموا واحتلوا جزءاً منها مهما تكن مساحته، أو اعتدوا على أنفس المسلمين أو أموالهم وممتلكاتهم وحرمااتهم، وإن لم يدخل أرضهم- كما يحدث في عصرنا من ضرب البلاد بالطائرات والصواريخ البعيدة المدى - فهذا النوع من الجهاد لا خلاف في فرضيته على المسلمين، لم يناعز في ذلك عالم في القديم أو الحديث. ومثل ذلك: الأعداء الذين يهددون ديار الإسلام بالغزو، والاحتشاد على الحدود، وهم قادرون على ذلك، وإن لم يدخلوا أرض الإسلام بالفعل، ولكن خطرهم قائم.

أما جهاد الطلب فهو: الجهاد الذي يكون الكفار في أرضهم، والمسلمون هم الذين يغزونهم ويطلبونهم في عقر دارهم، توقياً لخطرهم في المستقبل، أو تأميناً للأمة من شرهم، أو مباغته لهم قبل أن تفاجأ الأمة بغزوهم،

¹ - أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدة، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م، 1/ 342.

² - وجهاد الكفار باليد مراً في مراحل متنوعة بحسب الحال الذي كانت عليه أمة الإسلام : قال ابن القيم رحمه الله :

"أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أول نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ ، ثم أنزل عليه(يا أيها المدثر قم فأندِر) فنبأه بقوله اقرأ ، وأرسله - يا أيها المدثر .

ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين ، فأقام بضعة عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ويؤمر بالكف والصبر والصفح .

ثم أذن له في الهجرة ، وأذن له في القتال .

ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف عن اعتزله ولم يقاتله .

ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله له .

ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام : أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة " زاد المعاد " 3 / 159.

³ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة جهاد/ 319.

⁴ - الكليات، ص 354.

⁵ - الموسوعة الفقهية الكويتية، 16/ 124.

⁶ - مفهوم الجهاد في القرآن والحديث، ص: 133.

كما في غزوة تبوك. أو لإزاحة الحواجز أمام شعوبهم، لتبليغها دعوة الإسلام، وإسماعها كلمة الإسلام بصراحة، أو لمجرد إخضاعهم لسلطان الدولة الإسلامية، ولسيادة النظام الإسلامي الذي يحكم الحياة بتشريعاته العادلة وتوجيهاته الفاضلة.¹

وقد شغل لفظ (الجهاد) حيزاً ملحوظاً في القرآن الكريم، خاصة في القرآن المدني، في إشارة واضحة إلى أن هذا الموضوع من المواضيع التي أولاها القرآن عناية خاصة؛ لما يترتب على إقامة الجهاد من تحقيق مقاصد الشريعة إيجاباً وحفظاً.

وعرف العز بن عبد السلام (ت660هـ) مقاصد الجهاد بشكل عام فقال: هي " ما شرع الجهاد لأجله، والجهاد وسيلة إليه، وأسباب الجهاد كلها وسائل إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى مقاصده"². فالجهاد إذن وسيلة لتحقيق أهداف سامية، وغايات نبيلة، ومقاصد حسنة ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته ، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله ، وذكر أنه أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة وجعلها خاتمة الرسالات. وقد أجمّلها ربي بن عامر لرستم لمّا سأله: ما جاء بكم؟ فقال: " الله ابتعثنا، وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه."³

إن الهدف الرئيس من الجهاد - بمعنى القتال - يتمثل في تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد سبحانه وتعالى.

والأدلة على ذلك كثيرة منها قال الله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } البقرة /193، وقال: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } سورة الأنفال /39، قال ابن جرير رحمه الله: " فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة { وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها خالصة دون غيره. " ⁴

وقال ابن كثير رحمه الله: " أمر تعالى بقتال { حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ } أي: شرك { وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان"⁵.

¹ - يوسف القرضاوي، فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الرابعة، 1434هـ - 2014م، ص: 258.

² - أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة ومنقحة، 1414هـ - 1991م، 1/125.

³ - الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان أبو الربيع (ت 634هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 2/458.

⁴ - تفسير الطبري، 13/537-538.

⁵ - تفسير ابن كثير، 1/525.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ »¹.

وقال صلى الله عليه وسلم: « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصُّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »².
هذا هو الهدف السامي للإسلام، المتضمن لإعلاء كلمة الله، وإقامة سلطان الله في الأرض.
وقد نص الفقهاء على هذا المقصد الأعظم من تشريع الجهاد، فقال محمد بن الحسن (ت189هـ): " فرضية القتال؛ المقصود منها: إعزاز الدين، وقهر المشركين"³.

وقال الجصاص (ت370هـ): " وليس بعد الإيمان بالله ورسوله فرض أكد ولا أولى بالإيجاب من الجهاد، وذلك أنه بالجهاد يمكن إظهار الإسلام وأداء الفرائض، وفي ترك الجهاد غلبة العدو ودروس الدين، وذهاب الإسلام، إلا أن فرضه على الكفاية"⁴.

وقال الكاساني (ت587هـ): " ما فرض له الجهاد وهو الدعوة إلى الإسلام، وإعلاء الدين الحق، ودفع شر الكفرة وقهرهم"⁵.

وقال القرطبي (ت671هـ) في تفسيره: " فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس. وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين"⁶.
فالجهاد في شريعة الإسلام ليس ثأراً، ولا سيطرة، ولا تسلطاً على رقاب الناس، بل شرع وسيلة للدلالة على دين الله من غير إكراه، قال ابن رشد الجد (ت520هـ): " إنما يقاتل الكفار على الدين ليدخلوا من الكفر إلى الإسلام لا على الغلبة."⁷

وللجهاد مقاصد أخرى نذكر منها:

• رد اعتداء المعتدين على المسلمين :

فقد أجمع العلماء على أن رد اعتداء الكفار على المسلمين فرض عين على القادر عليه .

قال الله تعالى: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } سورة البقرة /190

¹ - متفق عليه، سبق تخريجه.

² - رواه أحمد في المسند، الحديث 5115، وضعف إسناده محققوه، 136/9، وأخرجه الذهبي في السير، وقال : إسناده صالح، 86/12، وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الحديث 1269، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985م، 5/109.

³ - شرح السير الكبير، السرخسي، 188/1.

⁴ - أحكام القرآن، 149/3.

⁵ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 98/7.

⁶ - تفسير القرطبي، 5/279.

⁷ - أبو الوليد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات، 351/1.

وقال تعالى : { أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ فَالَلَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } سورة التوبة/13 .

• إزالة الفتنة عن الناس :

والفتنة أنواع :

الأول : ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم. وقد ندب الله تعالى المسلمين للجهاد لإنقاذ المستضعفين، قال تعالى : { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } النساء /75 .

الثاني : فتنة الكفار الناس وصدهم عن استماع الحق وقبوله، وذلك لأن الأنظمة الكفرية تقصد فطر الناس وعقولهم، وتربيههم على العبودية لغير الله، والتحلل من الأخلاق الفاضلة، ومن كان كذلك قلَّ أن يعرف الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والمعروف من المنكر. فشرع الجهاد لإزالة تلك العوائق التي تعوق الناس عن سماع الحق وقبوله والتعرف عليه .

• حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار:

ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل رؤوس الكفر الذين كانوا يؤلبون الأعداء على المسلمين، ككعب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق اليهوديين¹ .

¹ - قصتا مقتلتهما أخرجهما البخاري في صحيحه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله " صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ، الحديث 3812 ، 4 / 1482 ، وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم»، فقال محمد بن مسلمة: أنا، فأتاه، فقال: أردنا أن تسلفنا، وسقا أو وسقين، فقال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنا نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنا أبناءنا، فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق، أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكننا نرهناك الأمة - قال سفيان: يعني السلاح - فوعده أن يأتيه، فقتلوه، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه " صحيح البخاري، كتاب الرهن، باب رهن السلاح، الحديث 2375 ، 2 / 887 .

ولا يقولن أحد من الكارهين للإسلام: إن مثل هذه الاغتيالات غدر لا يقبلها المنطق، ولا تقرها حقوق الإنسان التي منها الحق في الحياة، فحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغدر، وهو سيد الأمان والأوفياء . وقتل من يستحق القتل لا يسمى غدرًا. فيوجد من الناس من تمرس على المكر والكيد والظلم والعدوان، وصار مجرم حرب لا يرجى منه خير، وهذا النوع لا يفيد معه نصيح أو تخويف، فلا بد من تطهير المجتمع منه ومن شره، ففي بقائه ضرر على الناس، ومنع للخير، وجلب للشر. وبيان ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وذلك لنقضه العهد، فقد ضاق صدره بانتصار المسلمين في غزوة بدر، فانبعث يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ويمدح عدوهم، ويحرضهم عليهم، بل ركب إلى قريش، وجعل ينشد الأشعار، يبيكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركين، يثير حفاظهم، ويذكي حقدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدعوهم إلى حربه. ولما سأله المشركون: أينما أهدى سبيلاً؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلاً، وأفضل . ثم رجع إلى المدينة، فجعل يُشيب في أشعاره بنساء الصحابة، ويؤذيهن بسلطة لسانه أشد الإيذاء، وحينئذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله. أنظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المدني(ت151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ/1978م ص: 316.

ومن ذلك : الأمر بحفظ الثغور (الحدود) من الكفار، وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها »¹، قال السرخسي (ت483هـ): " والمرابطة المذكورة في الحديث عبارة عن المقام في ثغر العدو لإعزاز الدين، ودفع شر المشركين عن المسلمين "2.

• إرهاب³ الكفار الأعداء وإخراؤهم :

وكذلك فعل صلى الله عليه وسلم مع أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، فقد نقض أبو رافع العهد، وخرج إلى قريش يحرضهم على غزو النبي صلى الله عليه وسلم، ووعدهم بالنصر، فخرجت قريش لغزوة الأحزاب، فلما نصر الله المؤمنين في الأحزاب، ورد كيد كفار قريش، كان لابد من معاقبة هذا اليهودي الخائن، وردع أمثاله من اليهود. فجاء في سيرة ابن هشام ما نصه: " قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأوس قبل أخذ قد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه، استأذنت الخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق، وهو بخبير، فأذن لهم. " السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م، 2 / 273 ولا شك أن كثيراً من اليهود لم ينقضوا العهد في ذلك الوقت، ومحاولة قتل ذينك اليهوديين علانية باستدعائهما، وإقامة حكم الله عليهما تعني وقوف اليهود معهما، واندلاع الحرب بينهم وبين المسلمين، فكان من الحكمة أن يقتل منفردين. ولقد أذعن اليهود لهذا الأمر، ولم يكن منهم مدافع عن القتلين، لعلمهم بخيانتهم، ونقضهما للعهد، وأنهما لقا جزاءهما . وهذا العمل يعد من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وحكمته في التعامل مع من استحق القتل دون إثارة لقومه الباقين على العهد. والله أعلم.

¹ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، الحديث 2735، 3 / 1059.

² - شرح السير الكبير، 7/1

³ - الإرهاب لغة: يدور معناه حول الإخافة والتخويف. قال ابن منظور: (رهب بالكسر يرهب رهبة ورهباً بالضم ورهباً بالتحريك، أي: خاف، ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبة خافه... وترهب غيره إذا توعد... وأرهبه ورهبه واسترهبه أخافه وفزع) لسان العرب (رهب) 1 / 436، ويدور معنى الإرهاب شرعا على شدة الخوف والتخويف الواقع على الفرد أو على الجماعة وهو في حقيقته وحكمه نوعان:

(1) إرهاب مشروع بصريح القرآن في آية الأنفال في قوله تعالى: { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنفال: 60-61] .

فإن إخافة العدو الكافر المعاند لدعوة الله بالجهاد في سبيل الله وإرجافه بالعدة والقوة من مقاصد الجهاد الإسلامي، ليكيف شره، وينتهي عن ظلمه، ولعله أن يهتدي إلى دين الله عز وجل. وهذا الحكم خاص بالمحاربين من الكفار أو البغاة.

(2) إرهاب غير مشروع، بل هو محرم وممنوع: في تخويف الأمنين وإدخال الرعب والفرع عليهم ، سواء كانوا مسلمين أو مستأمنين أو معاهدين أهل ذمة أو غيرهم. فهو على المسلمين حراية وعلى غيرهم ظلم! وهو في الجميع إفساد في الأرض جاء النهي عنه صريحا في القرآن والسنة وفي إجماع العلماء. " أنظر: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، علي بن عبد العزيز الشبل، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 11.

ولعل من أفضل التعاريف الاصطلاحية للإرهاب غير المشروع من حيث الشمولية وتحديد سلوك الإرهاب ما توصل إليه مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي فقد عرف الإرهاب بأنه: " العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو المرافق العامة والأملاك الخاصة أو الموارد الطبيعية، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها " أنظر: بيان مكة المكرمة الصادر عن المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، الدورة السادسة عشرة، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي 1422هـ، ص: 8.

قال تعالى : { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } التوبة /14-15 . وقال : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } الأنفال /60 .

ولذلك شرع في القتال ما يسبب الرعب في قلوب الأعداء لكف شرهم ودفع غائلتهم.

قال أبو جعفر: " يقول تعالى ذكره: (وَأَعِدُّوا)، لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم، من السلاح والخيل = (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)، يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين.²

وقال الجصاص: "أمر الله المؤمنين في هذه الآية بإعداد السلاح والكراع قبل وقت القتال، إرهاباً للعدو"³.

وقال سيد قطب: " إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في «الأرض» لتحرير «الإنسان» .. وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها..

والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة.. والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها..

والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه..⁴

ومصطلح (الإرهاب) من المصطلحات التي يكثر ذكرها هذه الأيام والذي يكاد يجمع على محاربته وذمه سكان العالم، بما فيهم المسلمون، ومعنى هذا أن الإرهاب عند محاربيه غير مشروع، بل هو جريمة مهما كان

كما أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة استخدام كلمة الإرهابيين بوصفه مصطلحاً حديثاً في اللغة العربية أساسه (رهب) بمعنى خاف، وأوضح المجمع: " أن الإرهابيين وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق أهدافهم السياسية " المعجم الوسيط ، ص 376.

¹ - قال جمال الدين القاسمي (ت 1332هـ) موضحاً ضرورة إعداد الأمة القوة اللازمة لدفع عدوان دول الاحتلال عن بلاد المسلمين: " دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، انقاء بأس العدو وهجومه. ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزاً، عظيماً، أبي الضيم، قوي القنا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجون الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقاباً متتالية وهم سادة الأمم، وقادة الشعوب، وزمام الحول والطول وقطب روجي العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة.

وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف فأهملوا فرضاً من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصة ما تعاني، وكيف لا يطعم العدو بالملك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر الحرب، بل كلها مما يشتري من بلاد العدو؟ أما أن لها أن تتنبه من غفلتها، وتتشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درساً يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به، قبل أن يداهم ما بقي منها بخيله ورجله، فيقضي - والعباد بالله - على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار. وبالله الهداية.

محاسن التأويل، 316/5.

² - تفسير الطبري، 31/14.

³ - أحكام القرآن، 88/3.

⁴ - تفسير الضلال، 1543/3.

الهدف منه ومن أي جهة صدر، وأجمعت على ذلك أجهزة الإعلام الأجنبية والعربية، وعقدت لمكافحته المؤتمرات على مستويات متنوعة، واتفقت كل تلك المؤتمرات على محاربتها، هكذا بدون تفصيل.

والملاحظ أن كثيرا من علماء ومفتي هذا العصر الغيورين على دين الله، والكتاب المسلمين المثقفين من صحفيين وغيرهم يتفقون على عدم مشروعية الإرهاب في الإسلام دون أن يبينوا للناس حكم الإرهاب في القرآن والسنة والسير، أي متى يكون الإرهاب مشروعا، ومتى يكون محظورا؟ وأصبحوا - فقط - يدافعون عن الإسلام بأنه لا إرهاب فيه، وأن الإرهاب كما يوجد من بعض المسلمين يوجد من غيرهم، يقول الدكتور قطب مصطفى سانو: " يكفي المرء أن يلقي بنظرة عجلية متفحصة في تلك الفتاوى، فسيجد ثمة فتاوى تجرم العنف (الإرهاب) وتبرئ ساحة الإسلام كل الإسلام من هذه الظاهرة ومن ابتلوا بها، وتعدّها خروجًا ومخالفةً صارخةً لمبادئ الإسلام السمحة التي تدعو إلى التسامح، وحقق الدماء، وصيانة الأموال والأعراض، وحماية البيضة، وحفظ نظام الأمة".¹

ويقول عبد الرحمن المطرودي: " إن الخلط بين المفاهيم والمقاصد النفعية قاد بعض الباحثين إلى ربط بعض المصطلحات بالمفهوم العام للإرهاب، فلا يكون حديث عن الإرهاب إلا ويأتي الحديث عن التطرف، والغلو، والأصولية، والعنف، إما جهلا بحقيقة تلك المصطلحات والفروق بينها، أو بقصد الربط في المقاصد أو في المعتقدات مع عدم وجوده".²

بل ذهب بعض الباحثين إلى تجريم الإرهاب في محاولة منه لإبعاد هذه التهمة عن الإسلام، ولم يأت في بحثه كله أي ذكر لقوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } الأنفال /60 ، وحكم بأن الإرهاب جريمة من أكبر الجرائم في نظر الشرع الإسلامي، و ذكر بأن الحراية والبغي بغير حق من الجرائم المسماة في الشرع، والتي يتكيف بها الإرهاب في بعض صورته التطبيقية.³ وهذا خلط خطير ومقصود بين الإرهاب الشرعي من جهة وبين الحراية والبغي من جهة أخرى، والحقيقة أن لكل واحد من هذه المفاهيم دلالة خاصة لا تنطبق ولا تتشابه مع غيره.⁴

فكان ينبغي على هؤلاء - وهم يتناولون هذا المفهوم القرآني⁵ في فتاواهم ودراساتهم - أن يقوموا بقراءة نقدية موضوعية رصينة متزنة تعتصم بأصول الشرع الناصعة، وتستحضر مقاصده السامية، وتلتزم بمقرراته الخالدة

¹ - قطب مصطفى سانو، في مصطلح الإرهاب وحكمه قراءة نقدية في المفهوم والحكم من منظور شرعي، كتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 2.

² - عبد الرحمن المطرودي، نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 10.

³ - أنظر: بدر بن ناصر البدر، إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 9.

⁴ - هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه) دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 232.

⁵ - وردت مادة (رهب) باشقاقاتهما في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة (12) وهي: (ارْهَبُونَ (2) - رُهْبَان (3) - اسْتَرْهَبَ - يَرْهَبُونَ - تُرْهِبُونَ - الرَّهَب (2) - رَهْبَانِيَّة - رَهْبَة).

الثابتة، بعيدا عن التأثير السلبي بما يموج به العالم من أحداث ومواقف غير منصفة للإسلام والمسلمين على حد سواء!

ذلك أن المصطلحات الإسلامية لا يجوز التفريط فيها ونفي ما ثبت منها في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو إثبات ما نفيه، لما في ذلك من تضليل أجيال الأمة وتجهيلها وجعلها تعتقد غير ما جاء في دينها.

في هذا الإطار تناول الدكتور هيثم عبد السلام محمد في أطروحته للدكتوراه " مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية " وخلص إلى أن علماء المسلمين تحدثوا عن هذا المفهوم في ارتباطه بإعداد القوة للجهاد وقتال أعداء الملة وفق اتجاهين هما:

الاتجاه الأول: تضيق مفهوم الإرهاب إلى الحد الأدنى، وجعله قاصرا على حالة الاستعداد والتهيؤ وتحضير مستلزمات القتال ونحوها، أي الحالة التي تسبق الجهاد، جريا مع ظاهر نص الآية، أي تكون هناك مرحلة أولى إعداد - إرهاب - وثانية جهاد، وتجد هذا الفهم في كتب التفسير. وقد سار على هذا المنوال الكتاب المحدثون في كتابتهم عن الجهاد، حيث يفردون مبحثا عن الإرهاب بالحديث عن إعداد القوة لمواجهة العدو فحسب مما أدى إلى اضمحلال مفهوم الإرهاب، ومن ثم يوشك اندثاره.

الاتجاه الثاني: توسيع مفهوم الإرهاب ليشمل حتى حالة القتال على اعتبار أن المقصود من القتال هو إخافة العدو وإظهار قوة وقدرة المسلمين، وهذا متحقق في القتال.¹

قال الكاساني الحنفي (ت587هـ): " فالذي يستحق السهم منها هو الرجل المسلم المقاتل، وهو أن يكون من أهل القتال، ودخل دار الحرب على قصد القتال، وسواء قاتل أو لم يقاتل؛ لأن الجهاد والقتال إرهاب العدو"².

وقال ابن تيمية (ت 728هـ) في معرض حديثه عن الجهاد في حالة كونه فرض كفاية: " وذلك قتال اختياري للزيادة في الدين وإعلائه ولإرهاب العدو كغزاة تبوك ونحوها"³.

وفي هذين النقلين دلالة واضحة على اعتبار إرهاب الأعداء من غايات الجهاد .

وقد تحدث الرازي عن مقاصد إرهاب العدو الكافر فضلا عن إخافته فقال: " إن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد أمورا كثيرة:

أولها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام.

وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية.

وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان.

ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار.

وخامسها: أن يصير ذلك سببا لمزيد الزينة في دار الإسلام."⁴

¹ - هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص: 37-38.

² - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 126/7.

³ - مجموع الفتاوى، 28 / 359.

⁴ - تفسير الرازي، 15/499.

هذا هو الإرهاب المشروع في ديننا والذي جاء القرآن الكريم بالأمر به والدعوة إليه إعزازاً للدين وحفظاً لدار الإسلام من أعدائها المتربصين بها، وليس الإرهاب الذي تمارسه الدول المستكبرة كأمریکا وحليفها الكيان الصهيوني وروسيا والصين في هذا العصر على المستضعفين من المسلمين في فلسطين و أفغانستان وتركستان وبلاد الشام والعراق وغيرها، فكانوا هم الضحية الأولى لهذا الإرهاب، حيث تنتهك حقوقهم، وتسلب أموالهم، وتزهق أرواحهم، في ظل ما يسمى بـ " مكافحة الإرهاب"، وإلى الله المشتكى.

• حفظ العالم من الفساد :

قال الله تعالى : { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } سورة الحج/40 .
وقال : { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } سورة البقرة /251 .

قال مقاتل(ت 150هـ): " لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد والبيع والكنائس والصوامع"¹.
وقال شيخ الإسلام: " فَيَدْفَعُ اللهُ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرَ، وَيُدْفَعُ شَرَّ الطَّائِفَتَيْنِ بِخَيْرِهِمَا، كَمَا دَفَعَ الْمَجُوسَ بِالرُّومِ النَّصَارَى، ثُمَّ دَفَعَ النَّصَارَى بِالْمُؤْمِنِينَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "².
وقال السعدي:" بين تعالى فائدة الجهاد فقال: { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } باستيلاء الكفرة والفجار، وأهل الشر والفساد."³
هذه بعض الحكم الجليلة من مشروعية الجهاد في الإسلام، لا كما يروجه خصومه كذبا وافتراء.

¹ - تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى ، 1423هـ ، 1/ 211.

² - الجواب الصحيح ، 2/ 216.

³ - تفسير السعدي، ص: 952.

المطلب الثاني: التقسيم الفقهي للعالم بين الماضي والحاضر

أ - تقسيم المعمورة عند الفقهاء (دار الإسلام ودار الكفر)¹:

ذكرنا فيما سبق أن الإسلام دعوة عالمية لصالح الدنيا والآخرة موجهة للناس كافة، وأن شريعته تخاطب الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وبلدانهم، لا يختص بها شعب أو أمة دون غيرهما، وبذلك تهدف شريعة الإسلام إلى انصواء الناس جميعاً تحت حكمها.

" لكن لما كان الناس جميعاً لا يؤمنون بها، ولا يمكن فرضها عليهم فرضاً، فقد قضت ظروف الإمكان أن لا تطبق الشريعة إلا على البلاد التي يدخلها سلطان المسلمين دون غيرها من البلاد... وقد نظر الفقهاء إلى هذا الاعتبار حين قسموا العالم كله إلى قسمين لا ثالث لهما²: الأول يشمل كل بلاد الإسلام، ويسمى دار¹ الإسلام،

¹ - تقسيم الفقهاء للعالم ليس تقسيماً مبتدعاً أو مختصاً من حيث المبدأ بالمسلمين وحدهم دون غيرهم، بل إن كل أمة من الأمم السابقة كان لها تصور معين وتقسيم خاص للعالم تنظم من خلاله علاقتها بينها وبين ما يجاورها من أقاليم ودول، سواء كانت معادية لها أم مسالمة ومهادنة. فلم يكن من المنطق في شيء أن تتجاهل دار الإسلام - في تعاملاتها المختلفة مع بيزنطة، أو عندما حلت محل مملكة فارس - طبيعة الصراع بين تلك الأمم والذي يشكل ميراثها الحضاري. أنظر: محيي الدين محمد قاسم، التقسيم الإسلامي للمعمورة: دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث، سلسلة الرسائل الجامعية (24)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة، 1417هـ - 1996م، ص 4.

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي مقرر هذا التقسيم: " من المهم أن نعلم أن التقسيم الثنائي للعالم عرف قديماً وحديثاً، على أساس اعتبارات شتى، بعضها مقبول، وبعضها مرفوض.

فالرومان قديماً كان العالم ينقسم عندهم إلى رومان وبرابرة، فكل من عداهم همج.

ومنهم من قسم البشر إلى أبيض وأسود، أو أبيض وملون، وأن السيادة يجب أن تكون للأبيض !!

وفي بعض الأحيان انقسم العالم إلى شرق وغرب، وقال قائل: الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا !!

وفي وقت آخر: انقسم العالم إلى معسكرين: المحور، والحلفاء.

وفي وقت آخر: انقسم إلى معسكر (العالم الحر) أو الديموقراطي، والعالم الاشتراكي صاحب النظام الشمولي.

والآن يذكرون: عالم الشمال، وعالم الجنوب، أو عالم الأغنياء، وعالم الفقراء.

فلا عجب أن ينقسم العالم في نظر الفقه الإسلامي إلى دار إسلام، ودار شرك أو دار حرب. " فقه الجهاد، ص: 867-868.

وأقول: لقد سبق للرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش الابن" بدوره كذلك أن صنف العالم إلى محورين متناقضين، محور الخير الذي تنتزعه دولته ومن يجري في فلكها، ومحور الشر الذي ينضوي خارج إحدائياتها، محاولاً استدراج العالمين إلى صراع وتضاد مرير محسوم الخيار في مقولته الشهيرة: "من معنا ومن ضدنا" وهذه المقولة انتشرت بعد ضرب برج مركز التجارة العالمي عام 2001م وانطلاق الحملة على الإرهاب أثناءها كما سماها.

² - يذكر بعض الفقهاء إلى جانب هاتين الدارين دار العهد، ويراد بهذه التسمية الدار التي دخلت في سلطان المسلمين وانضمت إلى دار الإسلام بصلح لا بفتح وعنوة، وهذا الصلح يكون بينهم وبين المسلمين على شيء يؤدونه من أرضهم يسمى خراجاً، حسب ما جرى به العرف آنذاك من أن بذل المال دليل على الولاء، دون أن تؤخذ منهم جزية رقابهم " أنظر: الأحكام السلطانية للمواردي، ص 216، وأحكام النزميين والمستأمنين في دار الإسلام، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبعة 1402هـ - 1982م، ص: 18، وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص: 175، وهذا التقسيم إلى ثلاثة دور: دار الإسلام ودار الحرب ودار العهد - كما قال الشيخ يوسف القرضاوي - هو التقسيم الملائم وهو المطابق للواقع، وقد تسمى دار العهد: دار الصلح أو دار المودعة أو دار المهادنة، ولا مشاحة في الاصطلاح. فقه الجهاد، ص: 867-868.

والثاني: يشمل كل البلاد الأخرى، ويسمى دار الحرب؛ لأن القسم الأول يجب فيه تطبيق الشريعة الإسلامية، أما القسم الثاني فلا يجب فيه تطبيقها لعدم إمكان هذا التطبيق.²

فمذهب جمهور الفقهاء في تجزئة الأرض تأسس بناء على ظهور أحكام الإسلام في البلد أو عدم ظهورها، قال الكساني: " وإنما تضاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها، كما تسمى الجنة دار السلام، والنار دار البوار؛ لوجود السلامة في الجنة، والبنار في النار، وظهور الإسلام والكفر بظهور أحكامهما، فإذا ظهرت أحكام الكفر في دار فقد صارت دار كفر فصحت الإضافة، ولهذا صارت الدار دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها، والله سبحانه وتعالى أعلم.³ فجعل الكاساني مناط الحكم على الدار هو نوع الأحكام المطبقة فيها.

لذلك اتفق أهل العلم من حيث الجملة على أن الديار تنقسم إلى دارين: دار إسلام، ودار كفر، بناء على الاعتبار السابق، واستنبطوا هذه الأحكام من نصوص عامة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة⁴:

فمن القرآن: الآيات الدالة على الهجرة إلى دار الإسلام وذلك للتمكن من إقامة الدين، كقوله تعالى: {

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ } الحشر/9

وقوله سبحانه { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } سورة النساء/97.

¹ - الدال والواو والراء أصل واحد يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه، يقال دار يدور دورانا. والدار: المنزل اعتبارا بدورانها الذي لها بالحائط، وقيل: دار، وتسمى البلدة دارا، والدنيا كما هي دارا، والدار الدنيا، والدار الآخرة، إشارة إلى المقزين في النشأة الأولى، والنشأة الأخرى. والدار: أيضا (القبيلة) ، يقال: مرت بنا دار فلان. وهي كذلك المحل يجمع البناء والساحة والبلد. ودار الإسلام بلاد المسلمين ودار الحزب بلاد العدو، وبهذه المعاني أو أكثرها وردت كلمة الدار في القرآن الكريم والحديث الشريف، والجمع أدور وديار وديارة ودور. أنظر: معجم مقاييس اللغة، 2/ 310، مجمل اللغة، 343/1، المفردات في غريب القرآن، ص: 321، تاج العروس، 11/ 319، المعجم الوسيط، 302-303/1.

أما لفظ الدار في اصطلاح الفقهاء فيراد به كما قال العلامة ابن عابدين: " الإقليم المختص بقهر ملك إسلام أو كفر، لا ما يشمل دار السكنى " حاشية ابن عابدين، 4/ 166. وعلى هذا فإن كلمة الدار في الفقه الإسلامي تطلق على الإقليم الذي يشكل عنصرا من عناصر الدولة في القانون الدستوري والقانون الدولي: فالدولة - بالتعبير المعاصر - يطلق عليها الفقهاء اسم الدار، والدولة المسلمة يطلقون عليها اسم دار الإسلام في مقابل دار الحرب. أصول العلاقات الدولية، عثمان جمعة ضميرية. ص: 316.

² - عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكاتب العربي، بيروت، دون طبعة وتاريخ، 1/ 275، ويقول الفقهاء عن الدار التي تقابل دار الإسلام " دار كفر " وتارة يقولون دار حرب، والثاني أشهر، والأول أصح لأن الكفر هو المقابل للإسلام وأشمل لأن دار الكفر تشمل دار الحرب ودار العهد وما جرى عليه في الاستعمال " عابد بن محمد السفياني، دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما، رسالة ماجستير - جامعة الملك عبد العزيز - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1400 هـ ، ص: 2.

³ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 7/ 130-131.

⁴ - أنظر لمزيد من هذه الأدلة: عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغاياته، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية 1413 هـ-1992 م، 599/1، عبد العزيز الأحمد، اختلاف الدارين وأثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1424 هـ-2004 م 301/1 وما بعدها. عبد الله يوسف الجديع، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، إصدارات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، دبلن، 2007 م، ص: 8 وما بعدها، يوسف القرضاوي، فقه الجهاد، ص: 870.

قال الضحاك في سبب نزول هذه الآية : " نزلت في ناس من المنافقين، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وخرجوا مع المشركين يوم بدر، فأصيبوا فيمن أصيب فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع "1.

وهذا ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: « أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ». قالوا يا رسول الله لم ؟ قال « لا تراءى ناراهاما »² .³
واستنادا إلى مثل هذه الآيات اعتبر العلماء أن الدار التي أمر الشرع بالهجرة منها دار كفر وحرب، والدار التي أمر بالهجرة إليها دار إسلام، قال الحافظ ابن رجب: " كانت مكة إذ ذاك دار حرب، ولم يكن المسلمون يتمكنون فيها من إظهار دينهم، وكانوا خائفين على أنفسهم، ولذلك هاجروا منها إلى المدينة "4.

وهناك آيات لمح فيها الشيخ يوسف القرضاوي إشارات إلى هذا التقسيم منها قوله تعالى:
{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } سورة النساء/92.

قال حفظه الله تعالى: " ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أصناف من المقتولين خطأ، وبينت حكم كل منهم. فهناك من قتل خطأ من المؤمنين بين المؤمنين، وبعبارة أخرى (في دارهم).. وهناك من قتل من المؤمنين خطأ، ولكنه لا يعيش بيننا.. بل يعيش في دار أخرى، ومجتمع آخر معاد لنا، وبعبارة أخرى: في دولة معادية.
وهناك صنف ثالث نصت عليه الآية، وهو من كان يعيش في مجتمع آخر، ولكنه ليس مجتمعا معاديا لنا ولا محاربا لأمتنا، بل بيننا وبينه ميثاق وعهد، يقوم على عدم الاعتداء، أو التعايش السلمي...
فالآية الكريمة تشير إلى اختلاف الدور، وإن عبرت عنها باختلاف الأقوام، { مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ }، { مِنْ قَوْمٍ

¹ - تفسير ابن كثير، 389/2.

² - التراثي: تفاعل من الرؤية، يقال: تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا، وتراءى لي الشيء: أي ظهر حتى رأيته. وإسناد التراثي إلى النارين مجاز، من قولهم داري تنتظر إلى دار فلان: أي تقابلها. ومعنى قوله: « لا تراءى ناراهاما » أي يلزم المسلم ويجب عليه أن يبعد منزله عن منزل المشرك، ولا ينزل بالموضع الذي إذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله، ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم. وإنما كره مجاورة المشركين لأنهم لا عهد لهم ولا أمان، وحث المسلمين على الهجرة. " النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (رأى)، 177/2.
وذكر الخطابي (ت 388هـ) وجوها أخرى في معنى العبارة فقال: " أحدها: لا يستوي حكماهما قاله بعض أهل العلم. وقال بعضهم: معناه أن الله قد فرق بين داري الإسلام والكفر فلا يجوز لمسلم أن يسكن الكفار في بلادهم حتى إذا أوقدوا نارا كان منهم بحيث يراها.

وفيه وجه ثالث ذكره بعض أهل اللغة قال: معناه لا يتسم المسلم بسمه المشرك، ولا يتشبه به في هديه وشكله، والعرب تقول (ما نار بعيرك أي ما سمتة) " معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، 272 / 2.

³ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود الحديث 2647، 349/2، وصححه الألباني.

⁴ - ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 67 / 8.

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ }، فالناس ينقسمون بين معادين وموالين، أو محاربين ومسالمين، فلا غرو أن تنقسم دور هؤلاء إلى دور سلم ودور حرب، تبعاً لموقف أهلها.

فهذه الآية الكريمة تشير إلى الدور الثلاث، وإن لم تعبر عنها بالتعبير الفقهي¹.

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى { سَأَرْيَكُم دَارَ الْفَاسِقِينَ } سورة الأعراف/145، حيث ذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الدار أربعة أقوال منها: أنها دار فرعون وقومه، والقول الآخر أنها بلاد العصاة والمتجبرين ممن حق عليهم وعد الله من الأمم السالفة في أرض الشام².

وأصل فكرة تصنيف الدارين وارد في السنة وآثار الصحابة كذلك :

فمن السنة الأحاديث التالية:

عن سلمة بن نفيل الحضرمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عقر دار الإسلام بالشام »³.

قال عبد الله الجديع في تعليقه على هذا الحديث: " هذا من أجود ما جاءت به الرواية في إثبات مسمى (دار الإسلام) في كلام النبي صلى الله عليه وسلم "⁴.

- حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية، أو صاه قائلاً: «...ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين »⁵ وفي لفظ " دار الهجرة "⁶.

وفي مقابل دار الإسلام جاء الحديث عن أرض الشرك وأرض العدو كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو⁷. وفي حديث جرير: « إذا أبق إلى أرض الشرك - يعني العبد - فقد حل بنفسه »⁸.

¹ - فقه الجهاد، ص: 870-871.

² - زاد المسير، 154/2.

³ - حديث حسن، أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م. 7/ 298، والطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث 6359، 7/ 53، وقال الهيثمي (ت807هـ): " رجاله ثقات " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، رقم الحديث 16656، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م، 60/10، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، (دون طبعة وتاريخ)، رقم الحديث 4014.

و" عَقْرُ الدَّارِ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ. ومعنى الحديث «عقر دار الإسلام الشام» أي أصله وموضعه، كأنه أشار به إلى وقت الفتن: أي يكون الشام يومئذ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم. " النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (عقر)، 3/ 271.

⁴ - عبد الله يوسف الجديع، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، ص: 11.

⁵ - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، الحديث 1731، 1357/3.

⁶ - سنن النسائي الكبرى، كتاب السير، إلى ما يدعون، الحديث 8586، 5/ 172.

⁷ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو الحديث 2828، 3/ 1090. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم الحديث 1869، 3/ 1490.

⁸ - مسند الإمام أحمد، الحديث 19239، قال محققو المسند: حديث صحيح، ولا يضر وقف من وقفه، لأنه في حكم المرفوع، وقد ثبت مرفوعاً بنحوه من طريق صحيحة، 31/ 563.

- وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملا حتى يفارق المشركين إلى المسلمين »¹.

وعن جرير بن عبد الله في قصة بيعته النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتُتَصَحَّحَ المسلمين، وتفارق المشركين »².
ومن الآثار:

- ما صحَّ عند النسائي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا من المهاجرين لأنهم هجروا المشركين وكان من الأنصار مهاجرون لأن المدينة كانت دار شرك فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة »³.

- وكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة - كما في كتاب "الخراج" لأبي يوسف - في حقوق أهل الذمة: « أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل⁴ من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام؛ فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام؛ فليس على المسلمين النفقة على عيالهم »⁵.

وعلق الشيخ يوسف القرضاوي على هذا الأثر بقوله: " فانظر كيف سماها خالد دار الهجرة ودار الإسلام وربط بها بعض الأحكام، وأقر ذلك من كان معه من الصحابة في عهد الصديق رضي الله عنهم " ⁶.

فدلَّت هذه النصوص وغيرها على وجود دارين: دارٌ تشرع الهجرة إليها، وهي ديار المسلمين، ودارٌ تشرع الهجرة منها، وهي ديار الكفار. والهجرة إذا أطلقت في الكتاب والسنة فهي تعني الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام.

وقد عرَّفَ الفقهاء دار الإسلام ودار الحرب استنادا إلى الأدلة المذكورة آنفا بتعريفات وضوابط متعددة

يمكن تلخيصها فيما يلي:

دار الإسلام هي: الدار التي تجري فيها الأحكام الإسلامية، وتحكم بسلطان المسلمين، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين.

ودار الحرب هي: الدار التي تجري فيها أحكام الكفر، أو تعلوها أحكام الكفر، ولا يكون فيها السلطان والمنعة بيد المسلمين.

قال ابن القاسم عن مكة قبل الفتح: " وكانت الدار يومئذ دار حرب، لأن أحكام الجاهلية كانت ظاهرة يومئذ " ¹.

1. "

¹ - سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب المرتد عن دينه، الحديث 2536، 2/ 848، وحسنه الألباني.

² - سنن النسائي، كتاب البيعة، البيعة على فراق المشرك، الحديث 4177، 7/ 148، وصححه الألباني

³ - سنن النسائي، كتاب البيعة، تفسير الهجرة، الحديث 4166، 7/ 144، وصححه الألباني.

⁴ - أنفق عليه منه.

⁵ - الخراج لأبي يوسف، ص: 158.

⁶ - فقه الجهاد، ص: 873.

وقال أبو منصور عبد القاهر البغدادي الشافعي (ت429هـ): " كل دار ظهرت فيه دعوة الإسلام من أهله بلا خفير ولا مجير ولا بذل جزية، ونفذ فيها حكم المسلمين على أهل الذمة إن كان فيهم ذمّي، ولم يقهر أهل البدعة فيها أهل السنة، فهي دار الإسلام"، ثم قال: " وإذا كان الأمر على ضد ما ذكرناه في الدار فهي دار الكفر"². وقال ابن القيم: " قال الجمهور: دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون، وجرت عليها أحكام الإسلام، وما لم تجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام، وإن لاصقها، فهذه الطائف قريبة إلى مكة جدا ولم تصر دار إسلام بفتح مكة"³.

ويقول ابن مفلح (ت763هـ): " فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام، وإن غلب عليها أحكام الكفر فدار الكفر، ولا دار لغيرهما"⁴.

والى نفس هذا التقسيم ذهب مجموعة من العلماء المعاصرين، منهم: يوسف القرضاوي، وعثمان جمعة ضميرية، وعبد الله يوسف الجديع، وعبد الله الطريقي، وعبد الله القادري، وعبد العزيز الأحمدى، وغيرهم⁵، حيث يري هذا الفريق أن تقسيم العالم إلى دارين أو ثلاثة هو تقسيم صحيح دلت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسنة وانهقد عليه إجماع العلماء، فلا يجوز الخروج على هذا التقسيم أو إحداث تقسيم آخر.

والذي يظهر من تعريف العلماء لكلا الدارين أن المعول في تمييز الدار من دار إسلام، أو دار كفر، هو وجود السلطة وسريان الأحكام، فإن كانت الأحكام والسلطة إسلامية كانت الدار دار إسلام، وإن كانت الأحكام والسلطة غير إسلامية كانت الدار دار كفر.

قال السرخسي (ت483هـ) في المبسوط: " البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة، فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين فكانت دار حرب، وكل موضع كان الظاهر فيه حكم الإسلام فالقوة فيه للمسلمين"⁶.

وقال في موضع آخر: " المعتبر في حكم الدار هو السلطان في ظهور الحكم"⁷.

وفي هذا يقول الدكتور ملفى بن حسن الشهري: " العبرة في المسألة والمعول عليه في تمييز الدور هو غلبة

¹ - المدونة للإمام مالك، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م، 511/1، فحيث كان الظهور لعباد الأوثان، وتصريف الأمور بأيديهم، والتمكين لهم دون سواهم، والعبادة الظاهرة المشهورة الغالبة لغير الله، لم يصح أن توصف البلاد إلا بما يناسبها: (بلاد كفر). عبد الله يوسف الجديع، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، ص: 10.

² - عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية- اسطنبول، الطبعة الأولى: 1346 هـ - 1928 م، ص: 270.

³ - أحكام أهل الذمة، 2/ 728.

⁴ - شمس الدين ابن مفلح، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، (دون طبعة وتاريخ)، 190/1.

⁵ - يوسف القرضاوي: فقه الجهاد، 867/2، عثمان جمعة ضميرية، أصول العلاقات الدولية، ص: 338، عبد الله يوسف الجديع، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، ص: 7، عبد الله الطريقي، التعامل مع غير المسلمين: أصول معاملتهم واستعمالهم، دراسة فقهية، سلسلة الرسائل الجامعية (47)، دار الفضيلة- الرياض، دار الهدي النبوي- المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م، ص: 198، عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغاياته، 599/1، عبد العزيز الأحمدى، اختلاف الدارين وأثره في أحكام الشريعة الإسلامية، 301/1.

⁶ - السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، المبسوط، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة، 1414هـ - 1993م 114 / 10

⁷ - شرح السير الكبير، ص: 1703.

الأحكام، فإن كانت الغلبة للأحكام الإسلامية فهي دار إسلام، وإذا كانت على النقيض من ذلك كانت دار كفر، وهذا يسري على تغير أحوال الدور من حال إلى حال¹ 2.

فحاصل كلام الفقهاء ومن تبعهم من المعاصرين أن تقسيم العالم له أصل صحيح معتبر في النصوص الشرعية، وأن تسمية الدار إنما هو بحسب ما تضاف إليه، وليس صحيحاً أن الفقهاء اخترعوا هذا التقسيم من عند أنفسهم. ومما ينبغي التنبيه عليه أن اختلاف الدارين (دار الإسلام ودار الكفر) لا يُغيّر من أحكام الله شيئاً فما كان محرماً في دار الإسلام: كالأنفس والأعراض والأموال المعصومة بالإسلام أو العهد، والمحرمات كالربا والزنى

¹ - وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة وقع فيها الاختلاف بين الفقهاء في هذا الباب، وهي: ما تصير به دار الإسلام دار كفر ؟

فقال الشافعية: لا تصير دار الإسلام دار كفر بحال من الأحوال، وإن استولى عليها الكفار، وأجلوا المسلمين عنها، وأظهروا فيها أحكامهم لخبر « الْإِسْلَامُ بَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ ». أنظر: زَكْرِيَّا الْأَنْصَارِي (ت 926هـ)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، (دون طبعة وتاريخ)، 2 / 499، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين الرملي (ت 1004هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأخيرة - 1404هـ/1984م، 8/82، والموسوعة الفقهية الكويتية، 202/20، والحديث أخرجه الدارقطني في سننه بلفظ: «الْإِسْلَامُ بَعْلُو وَلَا يُعْلَى» رقم الحديث 3620، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، 4/371، وحسنه ابن حجر في الفتح 3/220.

وقال المالكية، والحنابلة، وصاحباً أبي حنيفة (أبو يوسف، ومحمد): تصير دار الإسلام دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها " المدونة لمالك 511/1، المقدمات الممهدة لأبي الوليد ابن رشد القرطبي (ت 520هـ) 2/153، بدائع الصنائع للكاساني الحنفي، 7/130، وكشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي الحنبلي 3/43.

وقال أبو حنيفة: إنها لا تصير دار كفر إلا بثلاث شرائط، أحدها: ظهور أحكام الكفر فيها والثاني: أن تكون متاخمة لدار الكفر، والثالث: أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمناً بالأمان الأول، وهو أمان المسلمين. " بدائع الصنائع، 7/130.

وخلاصة كلام العلماء في هذه المسألة: إذا كانت الكلمة والأوامر والنواهي لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام مع سيادة عقيدة المسلمين وإظهار شعائر الدين كالشهادتين والصلاة، فهذا البلد يوصف بأنه بلد مسلم، ولو كان حكامه يطبقون القوانين الوضعية، كما هو حال الكثير من بلاد المسلمين اليوم، ولم يمنع ذلك من وصفها بالبلاد الإسلامية، أما إذا كانت مظاهر الكفر هي السائدة، لغلبة الكفار وقوة شوكتهم في بلد ما فلا يسمى بلداً مسلماً، وإن كثر فيه المسلمون، كما هو الحال في الدول الغربية في عصرنا هذا، فمع كثرة المسلمين فيها وإعطائهم الحرية في عبادتهم لا يمكن وصفها بالبلاد الإسلامية، لأن الشوكة فيها لغير المسلمين.

ففي حاشية الدسوقي (ت 1230هـ): " لأن بلاد الإسلام لا تصير دار حرب بمجرد استيلائهم عليها، بل حتى تنقطع إقامة شعائر الإسلام عنها، وأما ما دامت شعائر الإسلام أو غالبها قائمة فيها، فلا تصير دار حرب " محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، دون طبعة وتاريخ، 2/188.

وقال الشوكاني (ت 1250هـ) في السيل الجرار: " ودار الإسلام ما ظهرت فيه الشهادتان والصلاة، ولم تظهر فيها خصلة كفرية ولو تأويلها إلا بجوار، وإلا فدار كفر " إلى أن قال: " الاعتبار بظهور الكلمة، فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها، لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية ". الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، دون تاريخ، ص: 976.

² - ملفى بن حسن الشهري، حقيقة الدارين: دار الإسلام ودار الكفر، دار المرابطين، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م، ص: 145.

والسرقة وغيرها فهو محرم في دار الكفر، قال الشافعي (ت 204هـ): " ما قلنا فهو موافق للتنزيل والسنة، وهو مما يعقله المسلمون ويجتمعون عليه أن: الحلال في دار الإسلام حلال في بلاد الكفر، والحرام في بلاد الإسلام حرام في بلاد الكفر، فمن أصاب حراماً فقد حده الله على ما شاء منه، ولا تضع عنه بلاد الكفر شيئاً ¹ " وقال أيضاً: " لا فرق بين دار الحرب ودار الإسلام فيما أوجب الله على خلقه من الحدود ² .

ب - تقسيم العالم عند الفقهاء المعاصرين:

التقسيم الفقهي للعالم (دار الإسلام ودار الكفر) الذي مر معنا وذكره علماء الإسلام - على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم - لم يوافق عليه فريق من العلماء والباحثين المعاصرين لعدة اعتبارات، منها:

- أن هذه القسمة والأحكام المتعلقة بها تعرضت إلى كثير من سوء الفهم من طرف الغرب، حيث تتخذ هذه القسمة - اليوم - حجة بأن المسلمين لا يمكن أن يكونوا مصدر استقرار في العالم؛ لما في تعاليم دينهم - بحسب زعم هؤلاء - من أحكام تنفي الآخر، ورغم أن المسلمين في جميع أنحاء العالم اليوم هم المعتدى عليهم، وهم الذين يتعرضون لسائر أنواع العدوان؛ غير أن جزءاً لا يستهان به من تبريرات المعتدين لعدوانهم يستندون فيه إلى هذا التراث المرتبط بمسألة (دار الإسلام ودار الحرب) ³.

- يرى فيصل مولوي (ت 1432هـ) رحمه الله أن المعايير التي حددها الفقهاء قديماً لتمييز دار الإسلام عن دار الحرب أو الكفر، لم تعد صالحة لتحديد الوصف الدقيق لهذه الدار في هذا العصر، ويتساءل:

ما هو المعيار لسلطان الإسلام وتنفيذ أحكامه وإقامة شعائره؟ هل هو إقامة الإسلام بشكل كامل؟ هذا معناه أن أكثر بلاد المسلمين لم تعد اليوم " دار إسلام " .

هل يكفي أن تطبق أحكام الأحوال الشخصية الإسلامية دون سائر القوانين؟ هذا معناه أن نخرج من " دار الإسلام " بلاداً إسلامية عريقة كتركيا وغيرها.

هل يكفي أن يقيم المسلمون شعائر الإسلام بحرية كالصلاة والصيام والحج والزكاة لتعتبر " دار إسلام " بناء على استمرار الماضي؟ هذا معناه أن أكثر بلاد المسلمين اليوم تعتبر " دار إسلام "، لكن ما الحكم في كثير من البلاد غير الإسلامية التي يأمن فيها المسلمون ويقيمون شعائهم بحرية أكثر من بعض بلاد المسلمين؟ ⁴.

لهذه الاعتبارات وغيرها، فالتقسيم الفقهي للدار - في نظر هؤلاء المعاصرين من العلماء والمفكرين - لا يعد تقسيماً مسلماً لا يقبل الجدل، ف" البعض يرى أن هذا التقسيم كان في ظروف تاريخية خاصة، فرضت واقعا لا يمكن الهروب منه، حيث كانت العلاقة بين العالم الإسلامي والدول الأخرى تتسم بحالة الحرب في غالب أوقاتها

¹ - الأم للشافعي، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة، 1410هـ/1990م، 7/ 375.

² - نفسه، 7/ 374.

³ - طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م، ص: 56.

⁴ - فيصل مولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، دار الرشد الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-8719م، ص 99-100.

مما فرض مصطلحي (دار الإسلام ودار الحرب) على الساحة السياسية آنذاك..

وبالتالي فهو رهين للسياق التاريخي الذي ولد فيه.¹

ومن العلماء الذين قالوا بهذا الرأي: الدكتور وهبة الزحيلي حيث يقول ما نصه: " الحقيقة أن هذا التقسيم لم يرد به قرآن ولا سنة.² "

وقال أيضا: " هذا التقسيم مبني على أساس الواقع لا على أساس الشرع، ومن محض صنيع الفقهاء في القرن الثاني الهجري، وأنه من أجل ترتيب بعض الأحكام الشرعية في المعاملات ونحوها، وأن الحرب هي السبب في هذا التقسيم، فيمكننا أن نقول: إن دار الحرب هي مجرد منطقة حرب ومسرح معركة بالنسبة لدار الإسلام التي فرضت عليها الأوضاع في الماضي أن تتكتل، وأن تعتبر البلاد غير الإسلامية في مركز العدو الذي برهنت الأحداث على نظريته العدائية للمسلمين، فهو تقسيم طارئ بسبب قيام حالة الحرب أو الحرب نفسها، فهو ينتهي بانتهاء الأسباب التي دعت إليه، والحقيقة أن الدنيا بحسب الأصل هي دار واحدة.³ "

وهذا الرأي متأثر بما قاله العلامة عبد الوهاب خلاف (ت1375هـ)⁴، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة (ت1394هـ).⁵

والى هذا القول ذهب مجموعة من الباحثين المعاصرين.⁶

وفي هذا الإطار يؤكد فهمي هويدي أن قسمة الأرض والديار " إنما هي اجتهادات طرحها الفقهاء والباحثون في ضوء قراءاتهم للواقع الذي عايشوه، وينبغي ألا تؤخذ على أنها باعتبارها دينا ملزما، بل يسترشد بها في غير إلزام، ولا نريد بذلك التقليل من شأنها بطبيعة الحال، إنما فقط ندعو إلى التعامل معها بحجمها الطبيعي، دون تهويل أن تهوين.⁷ "

وقد نشأ هذا المفهوم (دار الإسلام ودار الكفر) حسب الدكتور محمد سليم العوا لمقابلة مفهوم آخر لتقسيم العالم هو المفهوم الروماني الذي كان يقسم العالم إلى عالم روماني، هو عالم الأسياد، والعالم اللاتيني، وهم أبناء عموماتهم، وعالم الآخرين، هو عالم العبيد الذي تستباح فيه حرمان الإنسان والزمان والمكان، وهو تقسيم عنصري يقوم على وهم التمييز الجنسي ويؤدي إلى ارتكاب أشد الأعمال إجراما ووحشية ضد غير الرومان

¹ - طاهر خضر سليمان، القسمة الثنائية للدار (دار الإسلام ودار الحرب) بين المجيز والمانع، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 10 - العدد 1، جامعة الموصل، ص: 174.

² - كلام الشيخ هذا غير مسلم، فقد رأينا مجموعة من النصوص الشرعية التي اعتمد عليها الفقهاء في تأصيل تقسيم الأرض إلى دارين كما سبق بيانه.

³ - آثار الحرب، ص: 193-195.

⁴ - أنظر: عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم، الطبعة: 1408 هـ - 1988م، ص: 84.

⁵ - أنظر: محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي - مدينة نصر، 1415هـ - 1995م، ص 54.

⁶ - انظر: فيصل مولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص: 91، فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1410هـ - 1990م، ص: 106، محمد سليم العوا، الفقه الإسلامي في طريق التجديد سفير الدولية للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1427هـ - 2006م، ص: 297-298-311، ياسر لطفي، الجغرافيا الفقهية للعالم: من صورة التاريخ إلى صورة الواقع

المعاصر، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 45، 1427هـ - 2006م، ص: 100.

⁷ - مواطنون لا ذميون، ص: 106.

ويستند هذا الفريق كذلك في رؤيتهم لإعادة النظر في تقسيم العالم على أوضاع الواقع الراهن، وهو تغيير المعطيات السياسية والاجتماعية المحددة للتقسيم: فالعالم - في القانون الدولي - أصبح داراً واحدة²، فمسوغ التقسيم القديم قد زال.

كما أن "دار الإسلام" التي حدد الفقهاء معاييرها، لم يعد لها وجود إلا في المصنفات التاريخية والفقهية، بعد أن صارت هذه الدار موزعة بين أوطان عديدة تزيد على الخمسين دولة، وأسمائها باتت مرتبطة بالأجناس والقوميات وأحياناً بأسماء الأسر والعائلات، وليس باسم الدين نفسه³.

أما "دار الحرب" فلم تعد بدورها واضحة المعالم، بحكم أن المسلمين يرتبطون اليوم مع أغلب دول العالم المنضوية تحت لواء هيئة الأمم المتحدة بمعاهدات ومواثيق لا يمكن نقضها طالما أن الجميع يلتزم بمقتضياتها، ولا تنتقص من مصالح المسلمين وتنظم التعايش السلمي بين الناس⁴، أضف إلى هذا أن "دار الحرب" - حسب هويدي - لم تعد بالضرورة واقعة في مربع الآخرين، بل إن أكثر الحروب في هذا الزمان تدور رحاها في ديار المسلمين، ولعل هذا الأمر لم يخطر قط على بال فقهاءنا الأقدمين، إذ لم يتصوروا إلا حرباً بين المسلمين في مجموعهم، وبين غير المسلمين من كتابيين أو مشركين، تقود يوماً إلى تحقيق حلم رفع رايات الإسلام على الدنيا كلها⁵.

وإزاء هذه المعطيات، بات من الضروري في نظر هذا الفريق من المعاصرين طرح بدائل جديدة لتقسيم العالم تتسجم مع مقتضيات الواقع المعاصر ومستجداته في العلاقات الدولية، بحيث لا تنطلق من مفاهيم التضاد والصراع، بل تنبني أساساً على معاني السلم والحوار والتعارف والتدافع الإيجابي بين المسلمين وغير المسلمين. ولعل أكثر المفاهيم التي أصبحت متداولة في الخطاب الفقهي المعاصر هي "دار الدعوة" و "دار الإسلام"⁶، أو "وحدة الدار العالمية بما ينسجم مع عالمية الإسلام وكونيته"⁷.

وفي هذا السياق يقول طه جابر العلواني: "لقد قدم الأقدمون - من علمائنا - مراجعات ومحاولات تصديق بالقرآن على هذا التقسيم، كان من أبرزها وأكثرها انسجاماً مع عالمية الإسلام ما نقله الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير عن القفال الشاشي⁸ ما مفاده أنه يمكن تجاوز قسمة الأرض المألوفة لدى الفقهاء إلى « دار

¹ - أنظر: محمد سليم العوا، الفقه الإسلامي في طريق التجديد، ص: 298.

² - آثار الحرب، ص: 196.

³ - انظر: فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، ص: 107.

⁴ - انظر: فيصل مولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص: 101-102.

⁵ - انظر: فهمي هويدي، مرجع سابق، ص: 107.

⁶ - طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة، ص: 56.

⁷ - محمد الناصري، التقسيم الإسلامي للمعمورة: من دار السلم والحرب إلى الدار العالمية، مجلة التفاهم، السنة العاشرة - العدد 37،

صيف 1433هـ - 2012م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط-سلطنة عمان، ص: 40 هامش 1.

⁸ - القفال الشاشي (291هـ - 365هـ):

هو الإمام العلامة الفقيه الأصولي اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير، إمام وقته بما وراء النهر، وصاحب التصانيف، أحد أعلام مذهب الإمام الشافعي. قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث.

الإسلام» و «دار حرب» و «دار عهد» إلى قسمة أخرى تتسجم وفاعلية الإسلام وعالميته وخواص شرعته ومنهاجه، والقسمة التي صرح بها أن تكون الأرض دارين : دار إسلام، ودار دعوة، فدار الإسلام هي التي يدين أكثر أهلها بالإسلام، وتعلو فيها كلمة الله، ودار الدعوة هي التي على المسلمين أن يبلغوها الرسالة، ويوصلوا إليها الدعوة، وأن أمم الأرض وشعوبها أمتان: أمة إجابة، وهي الأمة المسلمة، وأمة دعوة وهي سائر الأمم الأخرى¹.

ولما كان من غير الجائز شرعاً أن يتم تبليغ الدعوة الإسلامية وتبصير غير المسلمين بها في جو من العداء والقتال، فإن معنى ذلك أن السلم وما يندرج تحته من مفردات تدور في جملتها حول القول اللين والموعظة الحسنة، والجدال والمحاورة بالتي هي أحسن، والصفح والعفو، والصبر على الأذى والقدرة على تحمله تشكل الأداة التي يتعين وجوباً اللجوء إليها ابتداء عند قيام الأمة الإسلامية بواجب الدعوة وحمل لوائها إلى غير المسلمين².

كما رجح الشيخ فيصل مولوي أن المسلمين - اليوم - في الغرب ليسوا في دار حرب، وإنما هم في دار دعوة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة، لأن الأصل في الأرض كلها أنها للدعوة إلى الله انطلاقاً من قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } سورة الأنبياء/107، فإذا قبل الناس دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا حكم الإسلام بينهم أصبحت بلادهم دار إسلام، وبقي العالم كله بالنسبة إليهم دار دعوة³.

ويرى محمد سليم العوا أن الأولى والصواب أن تسمى هذه البلاد -بلاد الغرب- دار عهد ودعوة، حيث إن المسلم يقيم فيها وفق قوانين وعهود يجب الوفاء بها فيما لا يعارض شرعاً، كما أنها دار دعوة لأنها مجال خصب ووفير في الدعوة الصادقة إلى الله تعالى⁴.

كما استقر رأي المجامع والمجالس الفقهية في أوروبا وأمريكا والهند كأقليات مسلمة أن هذه بلاد عهد ودعوة، وليس دار حرب ولا إسلام⁵.

ولد سنة 291 للهجرة بمدينة الشاش " (طشقند اليوم) وتوفي بها آخر سنة 365 هـ - وقيل في 366 هـ، ويلقب ب"القفال الكبير" تمييزاً له عن الإمام "القفال الصغير" أبو بكر عبد الله بن أحمد المروزي (من مدينة مرو العريقة الواقعة في تركمنستان في هذا العصر) الذي عاش بعد المائة الرابعة.

من أشهر مؤلفاته "دلائل النبوة" و"محاسن الشريعة" و"أدب القضاء" وله تفسير كبير للقرآن الكريم. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، 309/12.

¹ - طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة، ص: 56-57.

² - محمد الناصري، التقسيم الإسلامي للمعمورة: من دار السلم والحرب إلى الدار العالمية، ص: 55.

³ - انظر: فيصل مولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص: 104-105.

⁴ - انظر: محمد سليم العوا، الفقه الإسلامي في طريق التجديد، ص: 312-313.

⁵ - نفس المرجع، ص: 313.

المطلب الثالث: أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم

بدءً نقول بأنّ دين الإسلام - كعقيدة ومنهاج حياة - جاء لينظم علاقات الدولة الإسلامية في سياساتها الداخلية والخارجية بما يحقق للمسلمين مصالحهم في الدنيا والآخرة، لذلك كانت كل القوانين والنظم قائمة على أساس عقيدة الإسلام وتشريعاته الربانية، { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } سورة النحل/89، ومن هذا التصور تتبثق نظرة الإسلام في تدبير علاقات دولته بغيرها من الدول في السلم والحرب.

ويؤكد الدكتور عبد العزيز عزت الخياط أن الإسلام أول تشريع وضعت فيه أسس القانون الدولي، وضعها الفقهاء في كتب السير والجاهد والتفسير، وقد قررت جمعية القانون الدولي اعتبار الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت 187هـ - 802 م) - صاحب أبي حنيفة - أول رائد للقانون الدولي في العالم لما جاء به في كتابه (السير الكبير) من توضيح السياسة الخارجية للدولة الإسلامية والقانون الدولي في الإسلام ، وهو اعتراف بسبق المسلمين إلى ذلك قبل أن يقرر ذلك في معاهدة وستفاليا عام 1648 م، أو مؤتمر فيينا سنة 1815م ، أو معاهدة باريس سنة 1856 م، أو مؤتمر لاهاي سنة 1907 م، الذي انتهى إلى قواعد دولية في حسم المنازعات بالطرق الودية، وإنشاء محكمة تحكيم دولية، ونبذ الأعمال العدائية ووضع حقوق وواجبات الدول المحايدة في الحرب البرية وغيرها.¹

بينما أول كتاب أوروبي في القانون الدولي ألفه الكاتب الهولندي (غرومشيوس) باسم (قانون الحرب والسلم) سنة 1625 م، أي بعد ظهور مؤلف الإمام الشيباني بأكثر من ثمانية قرون. فالشيباني أورثنا تراثاً ثرياً، يعد بحق ، النظرية الأم، في تنظيم العلاقات الدولية بين الأمم في زمن السلم وإبان الحرب، ولذلك بحسبان أنّ الفضل للمبتدئ ولو أحسن المقتدي، فهناك من يؤكد أنّ الشيباني وليس غرومشيوس هو المؤسس الحقيقي لعلم التنظيم الدولي، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة فقهاء فرنسا فأنشئوا (جمعية الشيباني للقانون الدولي) وحذا حذوهم فقهاء ألمانيا، وانتخب رئيساً للجمعية الفقيه العربي المصري الدكتور عبد الحميد بدوي².

وقد عرفنا فيما سبق من البحث أن الجهاد بمعناه الخاص - القتال - إنما شرعه الله عز وجل لإعزاز الدين ودعوة الناس إلى الدخول فيه ثم نترك لهم الاختيار، ورد عدوان الظالمين وكف شرهم، فهل معنى ذلك أن العلاقة بين المسلمين ومخالفهم في العقيدة قائمة على الحرب أم على السلم ؟ بمعنى آخر:

هل يجب على المسلمين أن يقاتلوا غير المسلمين، ولو كانوا مسالمين لهم، كإفني أيديهم عنهم، لا يضمنون لهم شراً، ولا يظاهرون عليهم عدواً؟ أو الواجب على المسلمين ألا يقاتلوا إلا من يقاتلهم ويعتدي على حرمتهم؟ هذه القضية تستحق من أهل العلم والتحقيق في عصرنا: وقفة للتأمل والبحث العميق، ومراجعة النصوص

¹ - عبد العزيز عزت الخياط، النظام السياسي في الإسلام: النظرية السياسية نظام الحكم، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م، ص: 285.

² - العلاقات الدولية في وقت الحرب في الفكر الإسلامي، فائز صالح اللهبي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السابع، العدد (2/14) 1434هـ - 2013 م، ص: 4-5 .

الأصلية، وعدم الاكتفاء بالنقل عن هذا وذاك - ولا سيما كتب المتأخرين -¹.

وحسب اطلاعي المتواضع على ما كتب في هذه القضية، فقد وجدت للعلماء فيها مذهبين، أو بالأحرى ثلاثة آراء: رأي جمهور الفقهاء، ورأي بعض أهل العلم من المعاصرين، ورأي ثالث لبعض الباحثين. وسبب الخلاف في هذه المسألة مرده إلى أمرين:

(1) التعارض الظاهري بين النصوص الشرعية الواردة في هذه المسألة.

(2) الاختلاف في تحديد العلاقة بين الدعوة إلى الله والجهاد والقتال في سبيل الله.

فإن قلنا إن السلم هو الأصل فهذا يقتضي أن العلاقة بين المسلمين ومخالفهم قائمة على هذا الأصل حتى يطرأ ما يوجب الحرب، فإن السلم ثابت، وإن لم يكن ثمة معاهدات. وإذا قررنا هذا الأصل، فيجب علينا أن لا نلجأ إلى القتال إلا عند الضرورة القصوى، من أجل حماية الدعوة الإسلامية وصد العدوان على المسلمين، ونصرة المستضعفين.

أما إذا كان الأصل في هذه العلاقة هو: الحرب، فذلك يقتضي أنها القاعدة العامة، والسلم استثناء، عكس القاعدة السابقة، فالعلاقة قائمة على الحرب والقتال بين المسلمين وغيرهم حتى يطرأ ما يوقفها من اتفاقات ومواثيق، وعندها يكون السلم الذي هو: الصلح.

القول الأول : مذهب جمهور الفقهاء

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم - عند امتناعهم عن الإسلام أو الجزية -

هو الحرب والقتال، وبهذا قال كثير من علماء المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة، فيجب قتال الكفار حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، أما السلم والمهادنة فلا تجوز إلا عند الحاجة وتكون مؤقتة².

ولعل أول من أصل لهذا القول هو محمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ) في كتابه: " السير الكبير"، قائلا:

" وإذا لقي المسلمون المشركين، فإن كانوا قوما لم يبلغهم الإسلام فليس ينبغي لهم أن يقاتلوه حتى يدعوهم لقوله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } [الإسراء: 15]، وبه أوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمراء الجيوش فقال: « فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله»³، ولأنهم ربما يظنون أننا نقاتلهم طمعا في أموالهم

¹ - نجد لهذه القضية تبريرا موضوعيا في كتاب فقه الجهاد للشيخ يوسف القرضاوي حيث يقول: " مما يؤسف له: أن الذي شاع واشتهر لدى الكثيرين: أن الإسلام يأمر بمقاتلة كل من يخالفه، سواء كانوا وثنيين مشركين، أم أهل كتاب (يهودا أو نصارى)، أم ملاحدة جاحدين، أم غيرهم من الغافلين الذين لا يفكرون في أمر الدين إيجابا ولا سلبا، وسواء سالمه هؤلاء أم حاربوه، فلا بد أن يقاتلوا حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون." فقه الجهاد، ص: 257.

² - أنظر: الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر (ت463هـ)، 466/1، المذهب في فقه الإمام الشافعي لأبي اسحاق الشيرازي (ت476هـ)، دار الكتب العلمية، 3/273-374، المغني لابن قدامة (ت620هـ)، 212/9، فتح القدير (شرح الهداية) لابن الهمام (ت861هـ)، دار الفكر، (دون طبعة وتاريخ)، 435/5.

³ - أخرجه مسلم في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه بلفظ: « وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأبتن ما أبابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام... » الحديث، وقد سبق تخريجه. وفي رواية أخرى في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن فقال: « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم

وسبي ذراريهم ولو علموا أنا نقاتلهم على الدين ربما أجابوا إلى ذلك من غير أن تقع الحاجة إلى القتال. وفي تقدم عرض الإسلام عليهم دعاء إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فيجب البداية به. فإن كان قد بلغهم الإسلام ولكن لا يدرون أنا نقبل منهم الجزية فينبغي أن لا نقاتلهم حتى ندعوهم إلى إعطاء الجزية، به أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء الجيوش، وهو آخر ما ينتهي به القتال. قال الله تعالى: { حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة: 29] ¹.

فنرى في هذا النص تقرير محمد بن الحسن أن العلاقة مع المشركين تبتدئ أولاً بدعوتهم إلى دين الإسلام، ثم يتحدد الموقف منهم بعد ذلك بناء على قبولهم أو رفضهم للدعوة، وهذا ما أصله فقهاء آخرون بعد الشيباني رحمهم الله، يقول ابن عبد البر القرطبي (ت 463هـ): " وكل من لم تبلغه الدعوة لم يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وكان مالك يستحب ألا يقاتل العدو حتى يدعوا إلى الإسلام بلغتهم الدعوة أولم تبلغهم " ². وقال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت 478هـ): " ابتعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين، وحتم على المستقلين بأعباء شريعته دعوتين: إحداهما: الدعوة المقرونة بالأدلة والبراهين، والمقصد منها إزالة الشبهات، وإيضاح البينات، والدعاء إلى الحق بأوضح الدلالات.

والأخرى: الدعوة القهرية المؤيدة بالسيف المسلول على المارقين الذين أبوا واستكبروا بعد وضوح الحق المبين. فأما البراهين، فقد ظهرت ولاحت ومهدت، والكفار بعد شيوعها في رتب المعاندين، فيجب وضع السيف فيهم، حتى لا يبقى عليها إلا مسلم أو مسالم. " ³

وخصص أبو القاسم الرحبي المعروف بابن السّمْناني (ت 499هـ) في كتابه (روضة القضاة) فصلا بعنوان " الدعوة أولاً " قال فيه: " وكل من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام، فالسنة في قتاله أن يدعى إلى الإسلام، ويعلم بما يدعى إليه، ونبين له شرائعه وفرائضه وأحكامه، فإن أسلم كُفَّ عنه وخلي وشأنه ودعي إلى التحول إلى دار الإسلام والكون فيها، فإن لم يجب إلى ذلك كله دعي إلى الجزية، فإن بذلها كف عنه، وإن امتنع استعين بالله وقوتلوا على اسم الله وملة رسول الله صلى الله عليه وسلم. " ⁴

وبين الكساني (ت 587هـ) الحكمة في تقديم الدعوة بالحجة والبيان على إعمال السيف فقال: " لأن القتال ما فرض لعينه، بل للدعوة إلى الإسلام، والدعوة دعوتان: دعوة بالبيان، وهي القتال ودعوة بالبيان، وهو اللسان،

أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، الحديث 1331، 505/2.

¹ - السير الكبير مع شرح السرخسي ، 1/75-77.

² - الكافي في فقه أهل المدينة، 1/466.

³ - عبد الملك الجويني، أبو المعالي، غياث الأمم في التياث الظلم المشهور بـ "الغياثي" ، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، 1401هـ، ص: 207.

⁴ - ابن السّمْناني، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي، مؤسسة الرسالة، بيروت - دار الفرقان، عمان، الطبعة: الثانية، 1404 هـ - 1984 م، 3/1237.

وذلك بالتبليغ والثانية أهون من الأولى؛ لأن في القتال مخاطرة الروح والنفس والمال، وليس في دعوة التبليغ شيء من ذلك، فإذا احتمل حصول المقصود بأهون الدعوتين لزم الافتتاح بها¹.

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة كثيرة من القرآن والسنة والمعقول:

(1) الآيات التي تأمر بقتال الكفار مطلقاً كقوله تعالى: { أُنْذِرَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } سورة الحج/39، وقوله: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ } سورة البقرة/216، وقوله: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ } سورة الأنفال/65، وقوله: { وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ } سورة البقرة/191، وقوله: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } سورة البقرة/193، وقوله: { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } سورة التوبة/5، وهذه تسمى آية السيف، قيل: إنها نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية من الآيات التي تأمر بالإعراض عن المشركين والصفح عنهم²، وكقوله تعالى أيضاً: { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } سورة التوبة/36، وهذه الآية من أهم أدلة أصحاب هذا القول لأن فيها الأمر - كما يرون - بالقتال الجماعي للمشركين كافة، وشبيه بها قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } سورة التوبة/123، وكذلك قوله عز وجل: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } الآية.. سورة التوبة/29.

فهذه الآيات وما شابهها مما لم يذكر، تدل على وجوب قتال الكفار مطلقاً دون قيد أو شرط، لأن هذا الفريق يرى أن قتال الكفار هو دعوة إلى الإسلام، وحمل للمخالفين على نبذ كفرهم، واعتناق الإسلام. فإذا كان القتال دعوة إلى الدين فلا يحل تركه مع القدرة عليه بحال من الأحوال.³

¹ - بدائع الصنائع، 100/7.

² - أنظر: ابن شهاب الزهري (ت124هـ)، الناسخ والمنسوخ، وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت412هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1418 هـ - 1998م، ص: 31.

أبو جعفر النحاس (ت338هـ)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، 1408، ص: 122-622.

ابن سلامة المقرئ (ت410هـ)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ، ص: 89-99.

ابن حزم (ت456هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، ص: 34.

وقال ابن العربي في معرض ذكره لبعض الآيات التي يرى أنها منسوخة: " الآية الخامسة: { قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } سورة الأنعام/91، منسوختان بآيات القتال، لأن القتل المأمور به في آيات القتال يضاد الترك المأمور به في هذه الآيات، لأن من يقاتل ويقتل لا يترك، وحيث وقع ذرهم في القرآن فهو منسوخ، مثل هذا. وهذا أبين من إطناب فيه.

الآية السادسة: قوله تعالى: { وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } سورة الأنعام/106. هذا منسوخ بآية السيف أيضاً على الطريقة المتقدمة. " الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو بكر بن العربي المعافري، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري (رسالة دكتوراه)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992م، 2/ 212.

³ - أنظر: عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، مرجع سابق، ص 73-74، ولا يعني هذا أن الشيخ عبد الوهاب خلاف يتبنى هذا الرأي، إنما نقلنا عنه وجهة نظر الجمهور ليس إلا.

(2) الآيات التي ورد فيها النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء أو إلقاء المودة إليهم مطلقاً كقوله تعالى: { لَا يَتَّخِذِ

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } سورة آل عمران/28، وقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ } سورة المائدة /51، وقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } سورة الممتحنة /1، وقوله: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } سورة المجادلة/22.

ففي هذه الآيات دلالة على وجوب أن لا يكون للمسلمين مع الكفار محالفة أو موالاتة أو مودة واطمئنان وثقة، لانطوائهم على الغدر والحد، وتببيتهم الخيانة والنقض، وانتظار الفرصة المواتية للنيل من المسلمين.

(3) أما من السنة، فقد ورد الأمر فيها بالقتال حتى تتحقق الغاية من القتال وهي اعتناق الإسلام: - كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري"¹.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه ، إلا بحقه وحسابه على الله "² .

(4) وأما الاستدلال بالمعقول، فتقريره أن الإسلام دين الله ورسالته الخاتمة إلى العالمين ، وهو الدين الحق وما عداه باطل، وكل من دان بغيره فهو هالك، ولذا فواجب المسلمين أن يسعوا في إنقاذ البشر من الهلاك بما أوتوا من أسباب مبتدئين بالدعوة أولاً بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم بالقوة ثانياً، فإن أسلم الناس فذاك، وإلا فلا بد أن يدخلوا في ذمة المسلمين أو يصلحهم لمدة وإلا فالقتال³.

وأسس الجمهور رأيهم هذا على أساس أن الكفار إذا دعوا إلى الإسلام وأقيمت لهم دلائله الحقة وأبليت معاذيرهم برفع الشبهات وإيضاح الآيات كان إصرارهم على خلافهم وإعراضهم عن الإسلام وآياته ورفضهم إجابة دعائه بمثابة إيدان المسلمين بالحرب، فيجب على المسلمين أن يسوقهم إلى الحق قسراً ما داموا لم يذعنوا له بالحكمة والموعظة الحسنة.⁴

وقد ذهب إلى هذا الرأي فريق من المعاصرين⁵.

¹ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، سبق تخريجه.

² - صحيح البخاري، سبق تخريجه.

³ - وهذا ما جاء في حديث بريدة رضي الله عنه السابق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم" ثم ذكر الخصال على الترتيب: الإسلام ، فالجزية ، فالقتال. صحيح مسلم، سبق تخريجه.

⁴ - عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية ، مرجع سابق، ص: 79، بتصرف

⁵ - " من العلماء المعاصرين الذين نصرروا مذهب الجمهور: الشيخ أحمد إبراهيم وعزيز خانكي في مجلة القانون والاقتصاد (عدد ذي الحجة 1353 هـ)، والدكتور سلامة الدقس في " آيات الجهاد في القرآن " ص: 76 وما بعدها ، و الدكتور مصطفى وصفي في "المشروعية " ص:

القول الثاني : مذهب المعاصرين

يرى أصحاب هذا القول - وهم بعض العلماء والباحثين - أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وهذا مذهب معاصر¹، كما سماه الدكتور عثمان جمعة ضميرية، قال : "ولم نجد أحدا من علمائنا وفقهائنا السابقين قال بمثل ما قال به هؤلاء المعاصرون"²، ونسبوا هذا القول إلى سفيان الثوري³. يقول الشيخ محمد أبو زهرة مقررًا لهذا القول: " جاء الإسلام هاديا للعالم كله، فأرشد من عاصروا التنزيل، وأضاء النور لمن جاؤوا بعده، فقرر أن الأصل في العلاقة بين الدول - كالأصل في العلاقة بين الأفراد - هو السلام ، حتى يكون الاعتداء على الدولة الإسلامية بفعل أو بفتنة المسلمين عن دينهم، فالحرب حينئذ تكون ضرورة أوجبها قانون الدفاع عن النفس وعن العقيدة"⁴.

واستدل هذا الفريق على قوله بآيات كثيرة من القرآن: بعضها يدعو إلى العفو والصفح العام عن المخالفين للإسلام، أيًا كانت عقائدهم التي يؤمنون بها، { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } سورة البقرة/109.

53-54، والدكتور محمد فوزي فيض الله في كتابه " صور وعبر من الجهاد النبوي "، والدكتور محمد عبد الصمد مهنا في مجلة الأزهر، ربيع الأول 1417هـ. أنظر : أصول العلاقات الدولية، عثمان جمعة ضميرية. ص: 400.

ومن هؤلاء العلماء أيضا: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، في كتابه: دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع، دار الطباعة والنشر - الأردن، ص: 107=

والدكتور عبد الكريم زيدان في أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: التاسعة 1421هـ-2001م، ص: 275، وسيد قطب في تفسير الظلال، 3/ 1433.

¹ - كان أول من كتب في ذلك : عبد الوهاب خلاف في " السياسة الشرعية " ثم الأستاذ عبد الرحمن عزام في "الرسالة الخالدة" ثم الدكتور محمد عبد الله دراز، والشيخ محمد أبو زهرة في "المجلة المصرية للقانون الدولي" والشيخ محمد شلتوت في "الإسلام والعلاقات الدولية" وفي " الإسلام عقيدة وشريعة " وتابعهم على ذلك من جاء بعدهم وأخذ عنهم، كالدكتور حامد سلطان ومحمد سلام مذكور ، ووهبة الزحيلي في "آثار الحرب ". أنظر : أصول العلاقات الدولية، عثمان جمعة ضميرية. ص: 416.

وذكر عبد الله الطريقي منهم أيضا: محمد رشيد رضا في "تفسير المنار"، وعبد الله بن زيد آل محمود في "الجهاد المشروع" ، والسيد سابق، في " فقه السنة " و عبد الله المراغي في "التشريع الإسلامي لغير المسلمين " . أنظر (التعامل مع غير المسلمين: أصول معاملتهم واستعمالهم دراسة فقهية) عبد الله الطريقي ، ص: 110، الهامش: 2.

² - أصول العلاقات الدولية، عثمان جمعة ضميرية. ص: 416.

³ - قال نجيب الأرمنازي في كتابه الشرع الدولي في الإسلام: " إن الإمام الثوري وسواه أنكروا فريضة القتال ابتداء...فكذلك وجد عند المسلمين قبل ألف سنة، مثل الإمام الثوري من يقول في تحريم حروب الاعتداء " ص: 74-75 نقلا عن الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، ظافر القاسمي، ص 175. وتعقب الدكتور عثمان جمعة ضميرية ما نسب إلى سفيان الثوري فقال: " مذهب عامة الفقهاء المتقدمين أن أصل العلاقة مع المخالفين الحرب، ولم نجد من يخالف ذلك إلا ما روي عن سفيان رحمه الله في الجهاد الدفاعي وعدم وجوب البدء بالقتال إن لم يقاتلونا، وإن كان هذا في غير ما نحن فيه، لأنه رحمه الله لم يحرم الجهاد أو يمنعه، بل هو ينفى وجوب البدء إن لم يقاتلونا، وقد وضعه بعض الكاتبيين في غير موضعه وأنطقوا الإمام سفيان رحمه الله بما لم يقل به" عثمان جمعة ضميرية، أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، ص: 397، الهامش 1.

⁴ - محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق، ص : 51 بتصرف يسير.

وبعضها لا يوجب قتالهم إلا في حالات استثنائية، من أبرزها إذا قاتلوا هم المسلمين، أو ظاهروا من يقاتل المسلمين، أو كانت بينهم وبين المسلمين عقود سلام وأمان فنقضوها ونكثوها، أو طعنوا في الدين وأظهروا ذلك الطعن، أو أرادوا المسلمين من ديارهم، كقوله عز وجل: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } سورة البقرة/190 ، وقوله : { وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنِمَّةَ الْكُفْرِ } سورة التوبة/12

وبعضها يوصي المسلمين بحسن الجوار والإحسان إلى المخالفين الذين لا يؤذون المسلمين بقول - طعن ظاهر في الدين - أو عمل يُلحق بالمسلمين أذى غير معهود، مثل قوله تبارك وتعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } سورة الممتحنة/8.

فهذه ثلاثة أنواع من الأدلة القرآنية على علاقة السلام بين المسلمين وغيرهم.¹

واستدل هذا الفريق كذلك بنوع رابع وهو الآيات التي لا تبيح الإكراه في الدين كقوله تعالى: { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } [البقرة: 255] قال ابن تيمية معلقا على هذه الآية: " وجمهور السلف على أنها ليست بمنسوخة ولا مخصوصة، وإنما النص عام فلا نكره أحدا على الدين، والقتال لمن حاربنا فإن أسلم عصم ماله ودينه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره أحدا على الإسلام، لا ممتنعا ولا مقدورا عليه، ولا فائدة في إسلام مثل هذا، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام".²

وكقوله سبحانه: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } سورة يونس/99، لأن وسائل القهر والإكراه ليست من طرق الدعوة إلى الدين، لأن الدين أساسه الإيمان القلبي والاعتقاد، وهذا الأساس تكونه الحجة لا السيف.³

واحتج الذين قالوا: بسلامية العلاقة مع الكفار، أيضا بالسنة النبوية والوقائع التاريخية وذكروا من ذلك: 1- قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا "4. فالرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن الرغبة في الحرب وتمنيها، حتى مع العدو ويسأل الله أن يديم نعمة السلم.⁵

فإن قدر للمسلم لقاء عدوه فالمشروع حينئذ الصبر والثبات، وكل هذا يفيد أن الأصل في العلاقة مع الكفار السلم .

2- لم تكن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كلها وهي سبع وعشرون غزوة(27) إلا للدفاع عن النفس والدين

¹ - عبد العظيم المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، ص: 164.

² - "السياسة الشرعية" لابن تيمية، ص: 123.

³ - عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، ص: 72.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير: باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار... رقم الحديث: 2966: 526/2 وأخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب كراهة تمنى لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، رقم الحديث: 4558: 669/3.

⁵ - وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي مرجع سابق، ص: 134.

وأهله، وكان الكفار من المشركين الوثنيين والروم والفرس هم المعتدون الذين ألجؤوا المسلمين للقتال¹، فلم يبق إلا أن يمكن النبي صلى الله عليه وسلم لدعوته، ويمنع الاضطهاد عن أتباعه، لأن الإسلام يدعو إلى السلام ولا يقبل الاستسلام للباطل، ولا سلام في الخضوع لهذا الباطل، فكان لا بد من القتال لحماية السلام.²

3- واحتجوا ثالثاً باتفاق جمهور المسلمين على أنه لا يحل قتل النساء والصبيان والرهبان والشيخ الكبير، والأعمى والزمن ونحوهم لأنهم ليسوا من المقاتلة، ولو كان الأصل مع الكفار الحرب لحملوا على الإسلام، ما ساغ استثناء هؤلاء، واستثنائهم برهان على أن القتال إنما هو لمن يقاتل دفاعاً لعدوانه، ولو قيل أنهم استثنوا لأنهم لغيرهم تبع، فهذا إن سلم الصبيان والنساء لا يسلم في البواقي وخاصة في الرهبان.³

هذه أبرز أدلة أصحاب القولين معاً، ولهم على بعضهم البعض مناقشات وردود⁴، لا يسمح المقام بذكرها.

¹ - وهبة الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام، دار المكتبي - دمشق، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م، ص: 28.

² - العلاقات الدولية في الإسلام لأبي زهرة، ص: 52، وأنظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي (مرجع سابق)، ص: 135.

³ - عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، ص: 72.

⁴ - أنظر على سبيل المثال: الباب الثالث من أبواب الموسوعة الفقهية (فقه الجهاد) لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، الذي يدور حول مناقشة فكرة جوهرية هامة، وهي سبب الحرب وعلتها في الإسلام هل هي للهجوم والغزو بقصد توسيع دائرة الإسلام، وإخضاع الناس - كل الناس - وتعبيدهم لله رب العالمين، أم أنها للدفاع عن الإسلام والمسلمين بغرض الدعوة إليه، وعرضه على الناس؟

وبعبارة موجزة: هل القتال في الإسلام للدفاع أم للهجوم؟

وهنا يذكر الشيخ رأيين للعلماء يطلق على الفريق الأول: الدفاعيين أو المسالمين المعتدلين، والثانية الهجوميين أو المتشددين. وحرر موطن الخلاف أو النزاع بين الفريقين، وهو: الكفار المسالمون، الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم، ولم يظاهروا على إخراجهم، ولم يظهر في أقوالهم ولا أعمالهم أي سوء يضمرونه للمسلمين، بل كفوا عن المسلمين أيديهم وألسنتهم، وألقوا إليهم السلم، فهل يقاتل هؤلاء أو لا يقاتلون؟

ثم أورد أدلة دعاء الحرب على العالم كما ساهم وناقش هذه الأدلة بالتفصيل منتصراً لأدلة القائلين بالجهاد الدفاعي. أنظر فقه الجهاد، ص: 253-427.

وفي المقابل نجد الدكتور عثمان جمعة ضميرية - قبل إصدار الدكتور يوسف القرضاوي لكتابه (فقه الجهاد) بعشر سنوات - ينتصر في أطروحته للدكتوراه والتي بلغت أكثر من 1400 صفحة لمذهب الجمهور في أن الأصل في العلاقة مع غير المسلمين هو الحرب والقتال، وأن السلم ليس إلا هدنة يستعدُّ بها لاستئناف القتال والاستعداد له، وقد أورد بدوره أدلة المعاصرين وناقشها بتفصيل مبيناً أن هذه الأدلة قد وضعت في غير موضعها، وأنطقها هؤلاء بما لم تنطق، وحملوها ما لا تحتل، حسب قوله، وقد خصص لهذه المناقشة والردود مبحثاً كاملاً بعنوان "أصل العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر". أنظر: أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني: دراسة فقهية مقارنة، عثمان جمعة ضميرية. ص: 381-417.

القول الثالث: علاقة المسلمين بغير المسلمين "علاقة دعوية"

لكن هناك موقف آخر يمكن استنتاجه من بعض أقوال أهل العلم قديماً وحديثاً وهو: أن الأصل في علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول هو الدعوة أولاً إلى دين الله، كمرحلة أولى لا يسبقها غيرها، باعتبار ذلك وظيفة الأمة الإسلامية التي كلفت بها لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، يقول الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني: "الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، أن لا تختلف من زمن إلى آخر، أو في مجتمع إسلامي أو غير مسلم، وإذا اختلفت هذه العلاقة، فإنما يعود اختلافها إلى أحوال المسلمين من جهة، أو اختلاف مواقف غيرهم من جهة أخرى.

ذلك لأن من أولى خصائص الأمة المسلمة أنها "أمة داعية"، قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } سورة آل عمران/110

فالمسلم داع أينما حل وارتحل، وحيثما وجد..

فأصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم "علاقة دعوية"، منها تتبثق العلاقات الجزئية التفصيلية، وعلى أساسها وتتنوع مواقف الناس منها تتحدد العلاقات الأخرى.

ثم ذكر من هذه العلاقات التفصيلية: الرحمة والشفقة - المسالمة والبر بالمسلمين - الحرب والشدة على المحاربين - العدل والإحسان، مستشهداً على كل علاقة بما يناسبها من الآيات المعروفة في هذا الباب، ثم قال: "وبها الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، تتوازن العلاقات، وتتلاقى الصفات، وتتسجم معاني النصوص والآيات. وإذا كانت علاقة المسلمين بالمسلمين تقوم على أساس "المحبة والمودة، والولاء والنصرة، والإحسان والإيثار... فإن علاقة المسلمين بغيرهم تقوم على أساس "الدعوة، الرحمة، والعدل والوفاء، والبراء، ومسالمة المسالمين، ومحاربة المحاربين.."¹

وهذا يعني "أن علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى - على اختلاف ألوانها ولغاتها وأديانها - ليست في حقيقتها علاقة سلم ولا علاقة حرب ابتداءً، وأن الأصل ليس هو السلم مطلقاً، وليس هو الحرب مطلقاً، وإنما علاقة دعوة ينبثق عنها أصل العلاقات الدولية"². فالأمة الإسلامية مطالبة شرعاً بنشر دينها وتبليغ رسالة ربها الخاتمة للناس أجمعين.

فبعد القيام بواجب الدعوة، وتبليغ الدين للناس أجمعين، والتعريف بالإسلام على نطاق واسع، تكون علاقة السلم أو الحرب مع الآخرين، بعد تحديد موقفهم من دعوة الإسلام قبولاً أو رفضاً، ولذلك يقول الدكتور الغنيمي: "إن علاقة الدولة الإسلامية بأي من دول دار المخالفين تتوقف على سياسة تلك الدولة من الدول الإسلامية. وتلك - لعمر الحق - بديهية من بديهيات السياسة الدولية، فإن هي نهجت منهج المودعة والمسالمة كان حكمها

¹ - الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات غير المسلمة - البيانوني، بحث في "مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية - العدد 6 - محرم 1413 هـ/ يوليو 1992 م " ص: 146-148

² - أصول العلاقات الدولية، عثمان جمعة ضميرية، ص: 392-393، بتصرف.

هو ما قررت الآية الكريمة: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } سورة الممتحنة/ 8. وعندئذ لا يطلب من المسلمين أن يمارسوا إكراهاً على هؤلاء؛ لأن الإقساط يتنافى مع الإكراه...

وإذا كانت الأوضاع الدولية الراهنة قد فرضت على الدول الإسلامية أن تسلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين فذلك استثناء عارض ومحذور تبيحه الضرورة¹.

فإذا قام المسلمون بواجب الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام وتعاليمه حتى يتعرف عليه أهل الأمم الأخرى، فعندئذ ينقسم غير المسلمين نحو الإسلام إلى أقسام ثلاثة، لكل قسم معاملة خاصة وعلاقة محددة، وهذه الأقسام الثلاثة هي:

القسم الأول :

من يستجيب منهم لدعوة الإسلام، ويدخل في دين الله، فهؤلاء اخواننا لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، قال تعالى : { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } سورة التوبة/ 5 ، وقال تعالى: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } سورة التوبة/ 11.

القسم الثاني:

من لا يقبل الدخول في الإسلام، لكن لا يقف في طريق دعوته، ولا يقاتل من يدعو إليه، ويلقي إلينا السلم سواء كان من أهل العهد أو لم يكن، فهؤلاء الأصل في حقهم المسالمة، ما لم يعتدوا بقول أو فعل، وعلى هؤلاء تحمل الآيات التي أمر الله فيها بالسلم، وأباح فيها الإحسان للكفار كقوله تعالى : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } سورة الممتحنة/ 8، وقوله: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } سورة الأنفال/ 61، وقوله: { فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } [سورة النساء/ 90].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية : " فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ ولم يتعرضوا لقتالكم { وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ } أي: استسلموا لكم وانقادوا { فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } أي: طريقاً، فلا يحل لكم قتلهم، ولا أسرهم، ولا نهب أموالهم، فهذا الاستسلام يمنع من ذلك ويحرمه².

القسم الثالث :

من يرفض الدخول في الإسلام، ويقف في طريق دعوته، أو ينقض عهداً مع المسلمين، أو يعتدي على أحد منهم بقول أو فعل، أو يخطط لذلك مستقبلاً، فهؤلاء الأصل في حقهم الحرب - وهي المرحلة التالية لدعوتهم إلى دين الإسلام - وعلى هؤلاء تحمل الآيات الواردة بقتال المشركين كقوله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } سورة البقرة/ 193، وقوله: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ } سورة التوبة/ 29، وقوله: { فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } سورة التوبة/ 5، وقوله: { وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ } سورة البقرة/ 191، والمراد بهؤلاء الذين أمر الله بقتالهم في هذه الآية الأخيرة كفار

¹ - محمد طلعت الغنيمي، قانون السلام في الإسلام: دراسة مقارنة، منشأة المعارف - الاسكندرية، دون طبعة وتاريخ، ص: 104.

² - تفسير الشوكاني، 1/ 573.

مكة الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأخرجوهم منها¹، لأنه قال بعد قوله: {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}: {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرِجُوكُمْ} فأمر الله بقتالهم أين كانوا، لأنهم آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، وأخرجوهم من ديارهم، ووقفوا في طريق دعوتهم للإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله، كما قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ} [سورة البقرة/ 190]"².

وأما قوله تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} سورة التوبة/36، فهذا من طريق المقابلة، وهو أمر لكافة المسلمين المقاتلين بمحاربة كافة المشركين المقاتلين، قال ابن عطية رحمه الله: "لم يعلم قط من شرع النبي صلى الله عليه وسلم، أنه ألزم الأمة جميعاً النفر، وإنما معنى الآية الحض على قتالهم والتحرب عليهم وجمع الكلمة، ثم قيدها بقوله: {كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ}، فبحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم"³.

وقال ابن كثير رحمه الله: "كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم، فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون"⁴.

وبهذا التفصيل السابق تجتمع الأدلة، ويتم إعمالها جميعاً، وتنزل النصوص في محالها، فأما كون الأصل الأول الذي يتحدد به نوع العلاقة، وهو دعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم، فهذا محل اتفاق بين أهل العلم كما وردت بذلك الآيات والأحاديث الثابتة، وقد ذكرنا بعض هذه النصوص، وبالله التوفيق.

¹ - أنظر: تفسير الطبري، 565/3، تفسير ابن عطية، 262/1، تفسير البغوي، 213/1

² - مجموع الفتاوى، 354/28 وقال أيضاً في رسالته المختصرة في القتال: "وأما النصارى فلم يقاتل أحداً منهم حتى أرسل رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملوك يدعوه إلى الإسلام... فدخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل، فعمد النصارى بالشام فقتلوا بعض من قد أسلم، فالنصارى هم حاربوا المسلمين أولاً، وقتلوا من أسلم منهم بغياً وظلماً، فلما بدأ النصارى بقتل المسلمين أرسل سرية أمر عليها زيد بن حارثة ثم جعفر ثم ابن رواحة، وهو أول قتال قاتله المسلمون للنصارى بمؤتة من أرض الشام، واجتمع على أصحابه خلق كثير من النصارى، واستشهد الأمراء رضي الله عنهم". ابن تيمية، قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، تحقيق ودراسة ونشر:

عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، ص: 135-136.

³ - تفسير ابن عطية، 31/3.

⁴ - تفسير ابن كثير، 4/149.

الفصل الرابع: حاجة البشرية إلى رسالة الإسلام الحضارية العالمية

المبحث الأول : إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

المطلب الأول: دين الله واحد: الإسلام

قبل الحديث عن هذا المطلب، نمهد له أولاً بتعريف لفظي الدين والإسلام.

يقول الراغب: " الدِّينُ يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشيعة، والدِّينُ كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشيعة، قال: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران/ 19]، وقال: { وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ } [النساء/ 125] ، أي: طاعة، { وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ } [النساء/ 146]،...وقوله تعالى { فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ } [الواقعة/ 86] ، أي: غير مجزيين¹.

وقال الرازي: " الدِّينُ أيضاً الجزاء والمكافأة، يقال دَانَ يَدِينُهُ دِيناً أي جازاه، يقال: كما تَدِينُ تُدَانُ أي كما تُجازي تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت ..والدِّينُ أيضاً الطاعة، نقول: دَانَ لَهُ يَدِينُ دِيناً أي أطاعه، ومنه الدِّينُ، والجمع الأدْيَانُ، ويقال دَانَ بِكَذَا دِيَانَةً فهو دِيْنٌ، وَ تَدَيَّنَ بِهِ فهو مُتَدَيِّنٌ².

يتبين لنا إذن أن الدين في اللغة يراد به الجزاء والمكافأة والحساب، ويعني في الشرع طاعة الله واتباع شريعته.

أما مفهوم الإسلام فقد سبق أن تعرفنا عليه، وقلنا إن الإسلام بالمعنى العام، هو الخضوع والاستسلام والطاعة لله رب العالمين، وعبادته وحده لا شريك له، وبالمعنى الخاص: هو الدين الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يقبل الله من أحد ديناً غيره³.

بعد تحديد هذا التعريف أقول: لقد قرر الله سبحانه وتعالى وحدة الدين الذي وصى به أنبياءه ورسله جميعاً في غير ما آية فقال عز وجل:

{ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } سورة البقرة/136.

{ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } سورة آل عمران/84

{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } سورة الشورى/13.

¹ - المفردات، مادة (دين)، ص: 323.

² - مختار الصحاح، مادة (دين)، ص: 218.

³ - أنظر المعنى اللغوي والاصطلاحي للإسلام في مبحث علاقات التضاد.

وهذا الذي أرسل الله به رسله -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- هو دين واحد في كل زمان ومكان³ وهو الإسلام الذي تعبد الله به جميع الناس، ولن يقبل من أحد دينا سواه، وهو ما تظاهرت عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة النبوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) في كتابه (الجواب الصحيح) : " وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام: الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين".¹

وقد فصل هذا المعنى في غير ما موضع من كتابه² مستدلا عليه بآي القرآن فقال : " إن الله تعالى أخبر في كتابه أن الإسلام دين الأنبياء كنوح وإبراهيم ويعقوب وأتباعهم إلى الحواريين وهذا تحقيق لقوله تعالى: { وَبَيِّنْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران: 85]. وإن الدين عند الله الإسلام في كل زمان ومكان.

قال تعالى عن نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ } [يونس: 71] (71) {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: 72]

فهذا نوح الذي غرق أهل الأرض بدعوته وجعل جميع الآدميين من ذريته يذكر أنه أمر أن يكون من المسلمين. وأما الخليل فقال تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: 127-128]

قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [البقرة: 130-132]

فقد أخبر تعالى أنه أمر الخليل بالإسلام وأنه قال: أسلمت لرب العالمين وأن إبراهيم وصى بنيه ويعقوب وصى بنيه أن لا يموتن إلا وهم مسلمون.

وقال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 67-68]

وقال تعالى عن يوسف الصديق ابن يعقوب أنه قال: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [يوسف: 101]

وقال تعالى عن موسى: { وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } [يونس: 84]

¹ - ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة - السعودية، الطبعة: الثانية، 1419هـ/1999م، 81/1.

² - نفس المصدر، 128/2 - 132.

وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى: {قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء/50-51]

وقالوا أيضا: {وَمَا تَنْقُضُ مَنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} [الأعراف: 126]

وقال تعالى في قصة سليمان: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل: 30-31]

وقال: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل: 38] وقال: {وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} [النمل: 42]

وقال عن بلقيس التي آمنت بسليمان: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: 44]

وقال عن أنبياء بني إسرائيل: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا} [المائدة: 44]

وقال تعالى عن الحواريين: {وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [المائدة: 111]

وقال تعالى: {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 53].

فهؤلاء الأنبياء وأتباعهم كلهم يذكر تعالى أنهم كانوا مسلمين وهذا مما يبين أن قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: 85].

وقوله: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19] لا يختص بمن بعث إليه محمد بل هو حكم عام في الأولين والآخرين ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: 125]

وقال تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 111].

كما استدل ابن تيمية في موضع آخر على وحدة الدين بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث في ذلك، فقال: " فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن شرعة ومنهاج، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد¹، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبي² » .

¹ - قال ابن كثير : " والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم، كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء : 25]. " تفسير ابن كثير 1/ 447.

² - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ عن أبي هريرة: « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا } سورة

فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا.¹

وإذا كان الأنبياء والمرسلون قد نطقوا بالإسلام اعترافا منهم بنعمة الله التي وهبها إياهم، وبما اختصوا به من نشر دين الله الذي ينسجم الإنسان به مع الكون في التسليم لجلال الله وإسلام الوجه لكبريائه، فإن الله وملائكته وأولو العلم كذلك يشهدون أن الدين عند الله الإسلام.²

يقول الحق سبحانه: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } سورة آل عمران/18-19

قال قتادة في تفسير الآية: " الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودلّ عليه أوليائه، لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به³. "

وقال ابن كثير: " قوله: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل. كما قال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: 85] وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }

وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } بكسر إنه وفتح { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } أي: شهد هو وملائكته وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام. والجمهور قرأوها بالكسر على الخبر، وكلا المعنيين صحيح.⁴

وعن السدي في تفسير قوله تعالى: { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } سورة المائدة/16: " سبيل الله الذي شرعه لعباده ودعاهم إليه، وابتعث به رسله، وهو الإسلام الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا به، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية.⁵

فدين الإسلام هو دعوة كل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم على مر العصور والأزمان، وهذا ما قررته الآيات السابقة التي استدلت بها شيخ الإسلام وأكده حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه: "ودينهم واحد"، وإن كان لكل منهم شريعة خاصة اقتضتها الظرفية التي عاشتها أمة كل رسول، قال تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } سورة المائدة/48.

مريم/16، الحديث 3259، 3/ 1270. قال ابن الأثير: " أولاد العَلَات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد. أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة." النهاية في غريب الحديث والأثر، 3/ 291.

¹ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 1/ 66-67.

² - رؤوف شليبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ/1984م، ص: 253-254.

³ - تفسير الطبري، 6/ 275.

⁴ - تفسير ابن كثير، 2/ 25.

⁵ - تفسير الطبري، 10/ 145.

إلى أن ختم الله الرسالات ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس على وجه الأرض، وعلى امتداد الزمن إلى يوم القيامة،، قال سبحانه: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } سورة سبأ/28، وقال: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } سورة الأعراف/158

فمحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وخاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، وهذا مما أجمع عليه المسلمون وعرف من الدين بالضرورة، قال الله تعالى: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } سورة الأحزاب/40، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير فقال: « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »¹.

قال الدكتور محمد دراز: " كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ولبنات متراكمة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أنها أكملت البنيان وملأت ما بقي فيها من فراغ، وأنها في الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذي يمسك أركان البناء، وصدق الله حين وصف خاتم أنبيائه بأنه: { جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ } سورة الصافات/37"².

¹ - متفق عليه، واللفظ لمسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، الحديث 2286، 1791/4، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم الحديث 3341، 1300/3.

² - محمد عبدالله دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم - الكويت، دون طبعة ودون تاريخ، ص: 190 .

المطلب الثاني: واجبنا نحو دين الله الحق

بناءً على ما سبق بيانه نقول: إن دين الإسلام هو دين الله الذي نسخ كل الشرائع السابقة، وهو الدين الحق الذي جاء به كل الأنبياء إلى أن ختموا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يسع جميع أهل الأرض إلا اتباعه والإيمان بشريعته صلى الله عليه وسلم، وما عدا ذلك فليس بدين، وإن اتَّخَذَهُ أَصْحَابُهُ دِينًا، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَصْحَابِ أَيْ مِلَّةٍ وَفَكْرٍ وَمَذْهَبٍ، فَهُوَ ضَالٌّ عَنِ الْحَقِّ، غَارِقٌ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، بَعِيدٌ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ.

ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي .. وَذَكَرَ مِنْهَا: وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبَعَثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»¹.

وقوله صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »².

قال النووي في شرح هذا الحديث: " وقوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، أي: من هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى، والله أعلم"³.

وقال ابن كثير في معرض استدلاله بهذا الحديث: " والمراد من الأمة هاهنا: الذين يبعث فيهم الرسول، مؤمنهم وكافرهم.. وأما أمة الأتباع، فهم المصدقون للرسول، كما قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [آل عمران: 110] وفي الصحيح: « فأقول: أمتي أمتي »⁴.

وقد نظر العلماء في هذه المسألة، فقسموا أمة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أقسام، فذكر ابن حجر في الفتح: " إِنَّ أُمَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، أَحَدُهَا أَخَصُّ مِنَ الْآخَرِ:

– أُمَّةُ الْإِتِّبَاعِ.

– أُمَّةُ الْإِجَابَةِ.

– أُمَّةُ الدَّعْوَةِ.

فالأولى: أهل العمل الصالح.

¹ – متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التيمم، قول الله تعالى: { فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ } / المائدة 6 / ، الحديث 328، 1 / 128، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، الحديث 370/1، 521.

² – أخرجه مسلم في صحيحه، سبق تخريجه، وذكر الحافظ العراقي (ت 806هـ) في فوائد هذا الحديث ما نصه: " ومفهومه أن من لم يسمع بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور على ما تقرر في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح. وفيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا - صلى الله عليه وسلم -". طرح التثريب في شرح التقريب، 160/7.

³ – شرح النووي على مسلم، 2 / 188.

⁴ – تفسير ابن كثير، 4 / 308-309.

والثانية: مطلق المسلمين.

والثالثة: من عداهم ممن بعث إليهم¹.

وقال بدر الدين العيني (ت855هـ): وأمة محمد صلى الله عليه وسلم تطلق على معنيين: أمة الدعوة وهي من بعث إليهم، وأمة الإجابة وهي من صدقه وآمن به².

ونقل السيوطي (ت911هـ) عن القرطبي أن مفهوم أمة الدعوة يتناول أصناف أهل الكفر³.

وإذا نظرنا اليوم في التعداد السكاني لكوكب الأرض، وجدنا أن عدد المسلمين في العالم بلغ 1.8 مليار مسلم سنة 2015 من مجموع سكان العالم البالغ حوالي 7.47 مليار نسمة حسب بيانات قدمها مركز بيو للدراسات، وهو العدد الذي يشكل ما نسبته حوالي ربع سكان الأرض مجتمعين (24.1%)⁴.

فثلاثة أرباع سكان المعمورة إذن غير مسلمين، وهذا يظهر حجم المسؤولية الملقاة على أمة الإجابة (الأمة الإسلامية) في دعوة هؤلاء الخلق إلى دين الله تحقيقاً لشهودها الحضاري، ووسطيتها وخبريتها، قال عز وجل: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } سورة آل عمران/110، أي: كنتم خير الناس للناس، بمعنى: أنفع الناس للناس، قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنتم خير الناس للناس، تجيئون بهم في السلاسل، تدخلونهم في الإسلام⁵.

ولقد حفظ التاريخ لعلماء الإسلام ما قاموا به في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وكانوا سبباً في هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وألّفوا الكتب العديدة في إبطال عقائدهم، وردّ شبهاتهم، وفي بيان محاسن الإسلام بأساليب متنوّعة، وحجج مقنعة، لا يُوجد لها مثيل في العصر الحاضر، فمن ذلك ما ألّفه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وكذلك ما ألّفه تلميذه ابن القيم في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، وهذان الكتابان دليل واضح على عناية كبيرة من هذين العالمين بدعوة غير المسلمين على وجه الخصوص، ومن يقرأهما يدرك حاجة الدعوة اليوم إلى أمثال هذه المؤلفات، ومن المعلوم أنّ هذين العالمين من علماء القرنين السابع والثامن الهجريين، حين كانت الدعوة النصرانية مضمحلة، ودعاتها قلّة بخلاف حالها اليوم؛ فالنصارى يسعون إلى نشر عقائدهم بكلّ طريقة، ودعاتهم ينتشرون في كلّ دولة.

¹ - فتح الباري، 411/11.

² - العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2/ 248.

³ - السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي: رسالة الدكتوراة، دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد الغريبي، إشراف: الدكتور/ سعدي الهاشمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: 1424 هـ، 2/ 656.

⁴ - أنظر هذه البيانات في موقع مركز بيو للدراسات <https://www.pewresearch.org> على الشبكة العنكبوتية.

⁵ - تفسير الطبري، 103/7.

المطلب الثالث: منهج الدعوة إلى الدين العالمي

إن البشرية في حاجة قائمة وملحة في هذا العصر الذي نعيشه إلى الدعوة إلى دين الله تعالى¹، وإن تبليغ الدعوة للناس في أقطار الأرض، واستقبال الراغبين في الدخول إلى الإسلام، ثم الاهتمام والرعاية بكل مسلم جديد²، وتعليمه أمور دينه، كل هذا يجب أن يتم بطرق مدروسة بعيداً عن الاجتهادات الفردية، كما يجب أن تجند كل الإمكانيات وتذلل سائر العقبات في سبيل تبليغ الإسلام، فإن أكثر أهل الأرض اليوم لا يعرفون مبادئه الحقّة، ولم يفهموها على وجهها الصحيح، وإذا كان الجهل بها متفشياً في الأوساط الإسلامية فمن باب أولى من هم بعيدون عن الإسلام.

وقد اجتهد الداعية عطية صقر³ - على ضوء ما ورد من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نشر الدعوة - ووضع منهاجاً شاملاً حاول من خلاله أن يرسم الطريق الواضح للدعوة الإسلامية في هذا العصر، وهو كله من وحي قوله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }، سورة النحل/125، وفيما يلي عرض مختصر لهذا المنهج⁴، مع إضافة توضيحات وتعليقات أراها مناسبة في هذا المقام:

¹ - الحرص على الدعوة إلى الإسلام وبيان الحق للناس، من أفضل ما يتولى المسلم في هذه الدنيا من وظيفة، كما قال الله سبحانه: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } سورة فصلت/33.
نقل ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال في هذه الآية: " هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته " تفسير ابن كثير، 180/7.

² - صور الرعاية للمسلم الجديد والاهتمام به في تاريخ الإسلام تأخذ أشكالاً شتى، وأسوق هنا مثلاً للرعاية التي تلقاها غير المسلم بعد إسلامه؛ ففي "زهر الآداب" لأبي إسحاق الحصري القيرواني (ت453هـ) ما نصه: " كتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم: أما بعد، فالحمد لله الذي وفقك لشكره، وعرفك هدايته، وطهر من الارتياح قلبك، وما زالت مخايلك ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك، حتى كأنك لم تنزل بالإسلام موسوماً، وإن كنت على غيره مقيماً، وكنا مؤمّلين لما صرت إليه، مشفقين مما كنت عليه، حتى إذا كاد إشفاقنا أن يستعلي رجاءنا أنت السعادة بما لم تنزل الأنفس تعدّ منك؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رشدك أن يوفقك لصالح العمل، وأن يؤتيتك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ويقيك عذاب النار. " الحصري، أبو إسحاق، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، 400/2.

³ - عطية محمد عطية صقر (1333 - 1427 هـ)، من كبار علماء الأزهر الشريف وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، شغل منصب رئيس لجنة الإفتاء بالأزهر، ولد في قرية بهنباى بمركز الزقازيق بمحافظة الشرقية بمصر، خدم الدعوة الإسلامية كثيراً، وقدم لها على امتداد حياته الطويلة بالكثير من الخطب والرسائل والكتب، ومن مؤلفاته: الدعوة الإسلامية دعوة علمية، الأسرة تحت رعاية الإسلام، دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه. توفي رحمه الله عن عمر يناهز اثنين وتسعين عاماً. أنظر ترجمته في برنامج المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث.

⁴ - عطية صقر، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثامنة عشرة - الكتاب الخامس، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1408هـ - 1988م، ص: 169 وما بعدها.

أولاً: لابد من دراسة وافية شاملة للبلاد التي توجه إليها الدعوة من جهة نظام الحكم والمذهب الاجتماعي والعقيدة والعادات والإمكانات المادية وظروفها المختلفة.. وهذه الدراسة مهمة للغاية، فإن التقصير فيها يعنى السير على غير هدى والتخبط في طريق الدعوة.¹

ثانياً: لا بد من الإفادة من طرق المبشرين والدعاة إلى الأديان والمذاهب الأخرى، ودراسة أساليبهم وخططهم في الدعوة، لنقرع الحجة بالحجة إن كان هناك نزال في الميدان، ولنقاتل العدو بالسلاح الذي يقا تل به إن اضطررتنا الظروف إلى مثل هذه المواقف.²

ثالثاً: لا بد من إنشاء جهاز يوجه الدعوة ويعد لها كل الإمكانيات والترتيبات المختلفة، يكون هذا الجهاز جامعاً لأرباب الفكر العالي والتخصصات الفنية المختلفة التي تتصل بالدعوة، وتكون مهمته الأولى والأساسية هي الدعوة النقية الخالصة بعيدة عن المؤثرات المحلية والأغراض الخاصة.

رابعاً: لا بد من إعداد الداعي الذي يتولى نشر الدعوة العالمية في الأقطار الخارجية، وإعداده يقوم على ثلاث دعائم أساسية هي: التمكن العلمي، أي وفرة المادة وصدقها، الدراية الفنية التي تساعد على حسن استعمال هذه المادة، والكمال الخلقى والخلقى.³

خامساً: لا بد أن تكون هناك حكمة في الدعوة⁴، أي تخطيط دقيق يتناول أسلوبها وأغراضها ومعانيها وكل ما يتصل بها، وأحسن تخطيط ما كان مستوحى من القرآن الكريم والسنة النبوية، وما يضاف إليهما من التجارب

¹ - تحدث الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن ما سماه علم تقويم البلدان ليعد الدعوة لكل بلاد منها عدتها إذا أرادوا السفر إليها فقال: كان الصحابة - رضي الله عنهم - أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلدان والجغرافيا، ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الأمم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل.. ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها، ومحاوراتهم في تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان. " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 4/33.

² - مما يتصل بهذا: أن يكون للداعية اطلاع على علم مقارنة الأديان، فيكون عارفاً بالديانة النصرانية، فضلاً عن الديانات التي يكثر أتباعها من الجاليات العاملة في الدول العربية، كالבודהية والهندوسية. فإن هذا العلم يفيد في معرفة التحديات والعقبات التي تواجه الداعية، فهذا البيروني (ت 440هـ) لما عرض لسمات مجتمع الهند الثقافية، بين أثرها في دعوتهم، وذكر أيضاً من أسباب رفضهم للإسلام: النظام الطبقي في بلادهم، يقول: " إن مخالفتنا إياهم وتسويتنا بين الكافة إلّا بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام ". أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ، ص: 71

³ - يقول علي الطنطاوي (ت 1420هـ) في هذه المسألة مبيناً أخلاقيات وواجبات الداعي إلى الله: " يجب على المسلم أن يعرض على الناس محاسن الإسلام حتى يرغبوا فيه، ولا يدعو بلسان مقاله فقط، بل بلسان حاله، بأن يكون المجتمع الإسلامي صورة مجسمة لمبادئ الإسلام، لا بأن يكون صورة مشوهة لها، تنفر منها وتبعد عنها كما هي الحال الآن. وأن يكون الداعي قوي العقل ليقيم الحجة، عالماً بالإسلام ليحسن العرض، مثقفاً بثقافة العصر، يكلم الناس بلغة العصر، وأن يكون لطيف المدخل، خفيف الظل، لا فظاً ولا غليظاً، ولا جافياً عاتياً. " علي بن مصطفى الطنطاوي، تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة - جدة الطبعة: الأولى، 1409هـ - 1989م، ص: 189

⁴ - دليل ذلك قوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } سورة النحل/125، قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: " ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم { بِالْحُكْمِ } أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة: الدعوة بالعلم لا بالجهل والبذاءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب:

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

والخبرات النابعة من وحي الظروف والأحداث، قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } سورة يوسف/108.

سادسا: لا بد أن تنتشر الدعوة بكل الوسائل الممكنة، والتي منها ما يلي:

* ترجمة معاني القرآن ترجمة صحيحة بالقدر الممكن بعد وضع تفسير مبسط له لا يحمل اتجاهات معينة... على أن تنتشر هذه الترجمة بعدة لغات هامة، وإن لم تنتشر هذه الترجمة فلتوضع كتب مبسطة في مبادئ الدين بلغات البلاد لتعرف شيئا عن الإسلام فتؤمن به.¹

.. فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا:

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها" تفسير السعدي، ص: 452.

نستخلص إذن من هذا الكلام أن وسائل الدعوة وأساليبها تختلف باختلاف المدعوين وأيضاً حسب الزمان والمكان والحال، ولكنها على العموم يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. ومن ذلك كيفية مخاطبة المدعوين على اختلاف طوائفهم ومعتقداتهم، وقد أرشدنا الله إلى الأسلوب الأمثل لذلك، فقال تعالى في شأن أهل الكتاب (اليهود والنصارى): { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُتْرِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَٰئِلُهَا } وَالْهَٰئِلُهَا وَاحِدٌ وَتَحْنُ لَهُ مُسْتَلْمُونَ {العنكبوت/46

فهذا أسلوب القرآن يذكر نقاط الاتفاق مع المدعوين أولاً، ثم بعد ذلك يناقش معهم نقاط الاختلاف بأسلوب أدبي رفيع، فيقول الله تعالى مخاطباً للنصارى الذين ألهموا عيسى ابن مريم وأمه وجعلوه ابناً لله - تعالى عما يقولون علواً كبيراً- يقول: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } النساء/171 ويقول في شأن معجزة خلق عيسى عليه السلام: { إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } آل عمران/59، إلى آخر النماذج الكثيرة التي وردت في كيفية دعوة أهل الكتاب.

أما إذا كان المدعوون وثنيين أو لا دين لهم، فإن على الداعية أن يبين لهم بالحجج العقلية البسيطة أن الله تعالى هو الخالق لهم ولهذا الكون من حولهم.. وهو خالق الطبيعة وأن الطبيعة مخلوقة ولا تستطيع خلق شيء لهم، وأن آباءهم وأمهاتهم لم يخلقوهم ولم يستطيعوا خلق أي شيء. وهذه الأمور من المسلمات البديهية عند أكثر الناس .. فعلى الداعية أن يبين عليها، وأن يوجه المدعو بعد ذلك وينبئه إلى تكريم الله تعالى للإنسان وأنه إنما خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفي مقابل ذلك جعل كثيراً من مخلوقاته في خدمته، فقال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ فِيهِ جَمِيعاً } البقرة/29 وقال تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } سورة الجاثية/13 وهكذا يتدرج الداعية بالمدعو شيئاً فشيئاً حتى يقتنع في داخل نفسه بهذا الدين، هذا بالنسبة للداعية الذي يملك قدراً من الاستدلال والنظر. أما بقية المسلمين وعامتهم فإن دعوتهم تكون حسب الوسع والاستطاعة، وأقل ذلك الدعوة بالأخلاق الحسنة والسلوك المستقيم الذي يسميه بعضهم بالدعوة الصامتة. والله أعلم.

¹ - ترجمة معاني القرآن هي إحدى الوسائل المهمة لدعوة الأجانب إلى الله تعالى، وهي من الحلول الرئيسة لمعالجة مشكلة اللغة، حيث يتعذر إيصال الدعوة لجميع فئات المدعوين المختلفين في الألسنة واللغات واللهجات، ولذا فالترجمة طريق لإيصال الدعوة وتبليغها لغير المسلمين، وهي إحدى أوجه البيان والتوضيح الوارد في قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [التوبة:6]. قال شيخ الإسلام: " قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة - ولو كان عربياً - وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست لغته، وجب أن يبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس، ولم يفقه المعنى وطلب منا أن

* دعم الصحافة الإسلامية وتزويدها بالترجمات الهامة لمبادئ الدين، والرد على الشبه الموجهة إليه، وتفسير حقائقه تفسيراً علمياً عصرياً.

* تخصيص إذاعة ذات برامج دينية تعنى بالموضوعات الهامة التي تصلح للبلاد المختلفة موجهة باللغة التي تعرفها تلك البلاد تحت إشراف دقيق من أمناء مختصين.

* ينبغي أن تعقد لقاءات متكررة لرسم السياسة العليا للدعوة، بعد تقديم تقارير وافية يستفاد منها في وضع البرامج للمراحل المقبلة، كما هو متبع في مركز التبشير العالمي في روما، ولو اتخذ موسم الحج مثلاً فرصة لعقد مؤتمر من هذا النوع لكان ذلك أيسر وأقل تكلفة وأدعى إلى الإخلاص.

* أن تنشأ مراكز إسلامية للدعوة في أنحاء العالم، تراقب عن كثب أفكار الناس عن الإسلام لتصحيح الأخطاء، وتظهر محاسنه¹، فهي تعتبر محطات تقوية لإذاعة الهداية الإسلامية من مراكزها الأصلية في البلاد الإسلامية، ومنطلقاً جديداً للدعوة والدعاة ينبثون منه في الجهات المحيطة بها.

* التوسع في إرسال البعثات لدنيا بعد إعدادهم على النحو الذي تقدم ذكره.

* التوسع في المنهج وقبول الطلاب الوافدين من أطراف العالم لتلقي العلم في المعاهد والجامعات الدينية في البلاد الإسلامية لأن هؤلاء سيعودون إلى بلادهم وهم دعاة للدين.

* لابد أن تدبر الأموال اللازمة للقيام بهذا النشاط العظيم، وهو جهاد في سبيل الله، رغب الإسلام في بذل أقصى ما يستطيع فيه من مال وجهد.

* كل مسلم وجد بين جماعة غير مسلمين، أو جماعة مسلمين محتاجين إلى التفقه في الدين يجب عليه أن يؤدي واجب الدعوة فيهم بما يحتاجون إليه، يستوي في ذلك الطلاب الموفدون من البلاد الإسلامية للتعلم في البلاد الأجنبية والخبراء والسفراء والملحقون والزائرون والتجار والسائحون وغيرهم من كل من يمكنه أن يدعو إلى الله.

سابعاً: من أهم ما يساعد على قبول الناس لدعوة الإسلام أن يكون العمل بالدين ومبادئه واقعاً حياً في المجتمع الإسلامي، فالعمل بالدين أكبر دعاية له.

نفسه له ونبيين له معناه، فعلينا ذلك. وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالاً يوردونه على القرآن، فإنه كان يجيبهم عنه" الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 221/1.

¹ - توضيح جمال الإسلام يكون ببيان عقيدة التوحيد الصافية، وأن الدين جاء لسعادة البشر، ورفع الضرر عنهم، وجاء بالأخلاق الفاضلة، كالرحمة والرفق والتواضع والتسامح.

المبحث الثاني: خصائص وقيم رسالة الإسلام الحضارية

المطلب الأول: خصائص رسالة الإسلام

الخصائص: جمع خصيصة، وَخَصَّه بالشَّيْءِ يَخْصُهُ خَصًّا وَخُصُوصًا وَخُصُوصِيَّةً... ويقال: اختص فلان بالأمر، وتخصص له إذا انفرد¹.

وقال الراغب: "التَّخْصِصُ والاختصاص والخصوصية والتَّخْصُّصُ: تَقَرَّدَ بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم"².

ونقصد بالخصائص في هذا المقام "ما تَقَرَّدَ به شريعة الإسلام من صفات الكمال التي لا يشاركها فيها أية شرائع أو نظم أو قوانين في أيِّ مكانٍ في العالم"³.

أما لفظ الرِّسالة: فهو مَا حمله الرُّسُولُ، وَالْجَمْعُ رسائل⁴. وهي جملة من البَيِّنَاتِ يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره⁵.

فالمراد هنا: الميزات والصفات التي ينفرد بها دين الإسلام عن غيره من الشرائع والمناهج الأخرى باعتباره خاتمة الرسالات السماوية إلى العالمين.

مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الله لما خلق الإنسان لم يتركه هملاً، بل حمله أمانة التكليف ومسؤولية عمارة الأرض بالخير والصلاح. فأرسل إليه الرسل بالهدى ودين الحق مبشرين ومنذرين، ووعد - إن امتثل ما أمر به - بالسعادة في الدنيا والآخرة، وحذره - إن خالف منهجه - من الشقاء فيهما.

وهذا المنهج الإلهي هو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل، فهو من وضع رباني ومشكاة قدسية اتسمت بالكمال، وبرئت من النقص، وشريعته أكمل الشرائع⁶، راعت فطرة الناس و مصالحهم في كل زمان و مكان.

والملاحظ أن الرسالات السماوية السابقة خالطها تحريف وتغيير، وشابها نقص وتشويه، كرسالتي موسى وعيسى عليهما السلام بفعل ما أدخل الأخبار والرهبان عليهما من الإضافات والزيادات، والشروح والتأويلات حتى تبدلت طبيعتهما الربانية، وصارتا من قبيل القوانين الوضعية، قال تعالى حكاية عن اليهود في ذلك: {

¹ - لسان العرب، مادة (خصص)، 24 / 7.

² - المفردات، مادة (خصص)، ص: 284.

³ - إسماعيل علي محمد، خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1434هـ - 2013م، ص: 5.

⁴ - جمهرة اللغة، مادة (رسل) 720/2.

⁵ - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 289.

⁶ - " الشَّرْعَةُ والشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة. والشريعة في اللغة: الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء. والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم بشرع شرعا أي سن. والشارع الطريق الأعظم " تفسير القرطبي، 6 / 211.

واصطلاحاً: " المراد بها الدين، واستعمالها فيه لكونه سبيلاً موصلاً إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية، أو لأنه طريق إلى العمل الذي يظهر العامل عن الأوساخ المعنوية كما أن الشريعة طريق إلى الماء الذي يظهر مستعمله عن الأوساخ الحسية." الألويسي، روح المعاني، 3 / 321.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ {، وعن النصارى أيضا: { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ { سورة المائدة/13-14.¹
و لم يبق سالما من التحريف والتبديل، إلا شريعة الإسلام التي احتفظت بربانيته بحفظ الله لها، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ { سورة الحجر/9.
وقد ضمن لها هذا الحفظ الدوام والثبات والصلاحية المطلقة والظهور إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»² وفي رواية ابن ماجه: « حتى تقوم الساعة »³.

وربانيته خاطبت الفطرة الإنسانية كما ورد في قوله تعالى: { فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { سورة الروم/30، وأهلت المؤمنين للاجتماع فأصبحت الأمة الإسلامية الأمة الوسط التي تشهد على غيرها من الأمم، ورسولها يشهد عليها، قال تعالى: { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ { سورة الحج، الآية 78.

يقول سيد قطب: " هذا الدين جاء لينشئ أمة ذات طابع خاص متميز متفرد، وهي في الوقت ذاته أمة جاءت لقيادة البشرية، وتحقيق منهج الله في الأرض، وإنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة، والمناهج الضالة، والتصورات الضالة - وهو ما تعاني اليوم مثله مع اختلاف في الصور والأشكال - وإدراك المسلم لطبيعة التصور الإسلامي، وخصائصه ومقاومته، هو الذي يكفل له أن يكون عنصرا " صالحا" في بناء هذه الأمة، ذات الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصرا " قادرا" على القيادة والإنقاذ"⁴.

وأصبح الدين الذي وضعه الرب سبحانه دينا عالميا للناس كافة، شاملا لكل المصالح البشرية، مبشرا، دالا على سبيل الخير، و داعيا إلى كل المقومات الأساسية في الأخلاق والمعاملة والسلوك، ومنذرا من زاغ عن الطريق بالهلاك والعذاب كما جاء في قوله تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا { سورة الإسراء/9-10

¹ - وقد تكفلت كتب عديدة ببيان وإثبات ما دخل في العهد القديم والأنجيل من تحريف، وما اكتنفهما من تبديل وتغيير، بالأدلة الدامغة والحجج القوية، مثل ما كتبه العلامة رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي في كتابه القيم (إظهار الحق)، ومثل كتابات الشيخ أحمد ديدات رحمهما الله تعالى.

² - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، الحديث 1523/3، 1920.

³ - سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفصائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث 6، 4/1.

⁴ - سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الخامسة عشرة، 1423هـ-2002م، ص: 6.

إنه الدين الوسط الذي يجمع بين خير الدنيا والآخرة، ويوازن بين مطالب المادة والروح، ويحقق مصالح الفرد والجماعة، كما يتميز باليسر في تكاليفه، فلا تشديد ولا عنت، بل الحنيفة السمحة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « إن الدين عند الله الحنيفة، غير اليهودية ولا النصرانية »¹.

وفي هذا المطلب نستعرض بتوفيق الله معالم وخصائص الإسلام الحنيف وشريعته الغراء.

1- الريانية:

الريانية² أولى خصائص رسالة الإسلام، ومصدر هذه الخصائص كذلك. وهي مزية جعلته تشريعاً صادراً من الله، ووحياً منه سبحانه، ينتزه عن صنع الفكر البشري القاصر، وجمود العقل الإنساني المحدود. فهذا الدين " موحى به من الله - سبحانه - ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره .. وذلك تمييزاً من التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشري حول الحقيقة الإلهية ، أو الحقيقة الكونية ، أو الحقيقة الإنسانية ، والارتباطات القائمة بين هذه الحقائق ، وتميزاً له كذلك من المعتقدات الوثنية ، التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية " ³.

فمصدر الإسلام، ومشرع أحكامه ومناهجه، هو الله تعالى، فهو وحيه إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى (القرآن الكريم) وبالمعنى دون اللفظ (السنة النبوية). والإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافاً جوهرياً عن جميع الشرائع الوضعية لأن مصدرها الانسان، أما الإسلام فمصدره رب الانسان⁴.

هذه السمة الريانية جعلت من هذا الدين الإسلامي تشريعاً يستمد عقيدته وأحكامه وأخلاقه من رب العالمين، ولذلك فهو يختلف عن القوانين الوضعية، والتصورات الإنسانية.

وينص المصدر الإلهي الذي جاءنا بهذا الدين - وهو القرآن الكريم - على أنه كله من عند الله ، " هدى موهوب للإنسان هبة لدية خالصة من خالق الإنسان، رحمة بالإنسان" ⁵. أنزله على رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لهداية الناس إلى صراط الله المستقيم، وأن وظيفة الرسول - أي رسول - في شأن هذا الدين، هي الاتباع والتبليغ الأمين، والآيات في هذا الباب أكثر من تحصى، قال الله تعالى:

{ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } سورة الشورى/52

¹ - أخرجه الحاكم في المستدرک، الحديث 2889، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، 244/2.

² - الريانية - كما يقول علماء العربية - مصدر صناعي منسوب إلى "الرب"، زيدت فيه الألف والنون، على غير قياس، ومعناه: الانتساب إلى الرب، أي: الله، سبحانه وتعالى، ويطلق على الإنسان أنه "رياني" إذا كان وثيق الصلة بالله، عالماً بدينه وكتابه، معلماً له. وفي القرآن الكريم: { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } سورة آل عمران/79.

³ - سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص: 45.

⁴ - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص: 46.

⁵ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص: 75.

{ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } سورة الأعراف/203.
{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } سورة المائدة/67
{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } سورة النجم/3-4

ويترتب على كون الإسلام من عند الله انفراده عن سائر الملل والمذاهب والقوانين الوضعية بالأحكام والخصائص التالية¹:

أولاً: كماله وخلوه من معاني النقص والجهل والهوى والظلم، لسبب بسيط واضح هو أن صفات الصانع تظهر في ما يصنعه.. ولما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ويستحيل في حقه خلاف ذلك، فإن أثر هذا الكمال يظهر في ما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لا بد أن يكون كاملاً. وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور، لأن هذه المعاني لاصقة بالبشر ويستحيل تجردهم عنها كل التجرد، وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين والشرائع التي يصنعونها.

ثانياً: أنه يظفر بقدر كبير جداً من الهيبة والاحترام من قبل المؤمنين به، فيثمر طاعة هذا الشرع طاعة اختيارية تتبع من النفس وتقوم على الإيمان ولا يقصر عليها المسلم قسراً. أما القوانين والمبادئ الوضعية التي شرعها الإنسان فإنها لا تظفر بهذا المقدار من الاحترام والهيبة، إذ ليس لها سلطان على النفوس ولا تقوم على أساس من العقيدة. ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون.

والأمثلة على هذا في حياة البشر تكاد لا تحصى. و لنضرب مثلاً واحداً بشأن واقعة معينة عالجها الإسلام بتشريعه الرياني وامتثل الناس لهذا التشريع طواعية، وعالجت هذه الواقعة بالذات القوانين الوضعية وفشلت في هذه المعالجة.

ففي التاريخ الحديث؛ في صدر القرن العشرين الميلادي، سنت أمريكا قانوناً يُحرّم الخمر ويمنعها منعاً باتاً، واستُنفرت كافة الأجهزة والمؤسسات المعنية؛ من إعلامية، وقضائية، وتنفيذية، وتعليمية، وغيرها، لتطبيق القانون المذكور، والحيلولة دون انتهاكه أو الخروج عليه، فأُنْفِقت في سبيل ذلك الملايين، وأُزهقت عشرات النفوس؛ حيث قُتل من أجل تنفيذ هذا القانون في الفترة الواقعة بين يناير من سنة ١٩٢٠ إلى أكتوبر من سنة ١٩٣٣ مئتا نسمة، وسُجن نصف مليون، وعُزِمَ الجناة ما يربو على مليون ونصف مليون جنية، وصودر من الأملاك ما يساوي أربعمئة مليون جنية، طبقاً للإحصاءات التي أذاعها ديوان القضاء الأمريكي لتلك الفترة. وكلُّ هذا وغيره من الجهود المضنية لم يزد الأمريكيان إلا غراماً بالخمير، وجنونا بها، حتى اضطروا في نهاية الأمر، وبعد

¹ - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص: 47- 49 بتصرف.

نحو عشر سنين إلى إباحة الخمر، فصدرَ في أوائل شهر ديسمبر من سنة 1933 م الإعلان الرسمي في أمريكا بإلغاء قانون التحريم¹.

ولا ريب أن بشرية قانون تحريم الخمر المشار إليه جعلته عاريا عن القوة الذاتية، التي كان يمكن أن تحمّل الأمريكان على الانصياع له والالتزام به، وهيهات أن تحظى قوانين البشر وأنظمتهم بمثل ما تحظى به التشريعات الإلهية من استنادها على سلطان الدين والعقيدة، الذي يحفز صاحبه ويحمّله على فعل الخير والإقلاع عن الشر، مهما تحمل في سبيل ذلك من المصاعب، وبذل من التضحيات، فلا عجب إذ رأينا الأمريكان قد انفلت زمامهم ، ولم تكن توجد قوة تسيطر عليهم، فتكبح عن الشر جماعهم وتلزمهم جادة الصواب².

أما في شريعة الله، فعندما صدر الأمر الإلهي بتحريم الخمر تحريما قاطعا، ووجوب الانتهاء عنها ، وذلك في قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } سورة المائدة/90-92

فما إن سمع الصحابة أمر ربهم؛ حتى استجابوا من فورهم، وقالوا: " انتهينا ربنا "³.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ زهو⁴ وتمر، فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حُرِّمَتْ، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها¹.

¹ - تراجع هذه الإحصاءات وغيرها بتفصيل في كتاب: نحن والحضارة الغربية، لأبي الأعلى المودودي، الدار السعودية - جدة، طبعة 1407 هـ - 1987م، ص: 57 وما بعدها.

² - إسماعيل علي محمد، خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، ، ص: 17.

³ - فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة، قال: حُرِّمَتِ الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ } [البقرة: 219] إلى آخر الآية، فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: { فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ } [البقرة: 219] ، وكانوا يشربون الخمر. حتى إذا كان يوم من الأيام، صلى رجل من المهاجرين، أم أصحابه في المغرب، خلط في قراءته، فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } [النساء: 43] ، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق. ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: 90] ، فقالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله، وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسا، من عمل الشيطان، فأنزل الله: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا } [المائدة: 93] إلى آخر الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم " مسند الإمام أحمد، الحديث 8620، قال محققو المسند: حسن لغيره. 267 / 14.

⁴ - قال الحافظ في الفتح: " قوله "من فضيخ زهو وتمر" أما الفُضيخُ: فهو بقاء وضاد معجمتين، اسم للْبُسْرِ إذا شُدِحَ وَنُبِذَ، وأما الرَّهُوُ فيفتح الزاي وسكون الهاء بعدها واو، وهو البسر الذي يَحْمَرُّ أَوْ يَصْفَرُّ قبل أن يَبْرَطَبَ ، وقد يطلق الفضيخ على خليط البسر والرُّطَبِ كما يطلق

فعبارة { فَاجْتَنِبُوهُ } التي جاء بها الخطاب الإلهي تلقاها المؤمنون ووقفوا عند حدودها في الحين، فأريقت الخمر من قبل أصحابها وامتنعوا عنها، لا بقوة شرطي ولا بقوة جندي ولا رقيب، ولكن بقوة الإيمان وطاعة المسلمين لشرعية ربهم.

وهكذا نجد حال الناس مع التشريع الرباني يمتثلون ويطيعون، ومع النظام الوضعي يتمردون ويعصون، وما ذلك إلا لأنه ما من سلطان على القلوب والضمائر غير سلطان الدين، والاستسلام لله رب العالمين.

2- الشمول:

الخاصية الثانية من خصائص رسالة الإسلام هي: الشمول، قال الله تعالى: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } سورة الأنعام/38، وقال سبحانه: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } سورة النحل/89.

" وهي كذلك ناشئة من طبيعة الخاصية الأولى: خاصية أنه رباني، من صنع الله لا من صنع الإنسان، والشمول طابع الصنعة الإلهية الأصيل... فلا يمكن أن تجيء فكرة بشرية، ولا أن يجيء منهج من صنع البشرية يتمثل فيه "الشمول" أبداً"، إنما هو تفكير جزئي، وتفكير وقتي. ومن جزئيته يقع النقص، ومن وقتيته يقع الاضطراب الذي يحتم التغيير، ويتمثل في الأفكار التي استقل البشر بصنعها، وفي المناهج التي استقل البشر بوضعها داوم " التناقض" أو داوم " الجدل".

أما حين يتولى الله سبحانه ذلك كله: فإن التصور الاعتقادي، وكذلك المنهج الحيوي المنبثق منه، يجيئان بريئين من كل ما يعتور الصنعة البشرية من القصور والنقص والضعف والتفاوت².

وتتمثل خاصية الشمول التي يتسم بها دين الإسلام في أن نظريته جاءت شاملة لكل جوانب الحياة، فعنايته بإقرار الإلهيات في النفوس هي عنايته بإقرار العمل الصالح والتقوى في السلوك، واهتمامه بحياة الفرد هو اهتمامه بحياة الجماعة، وحمانيته لحقوق الأفراد هي حمايته لحقوق الأمم والشعوب³.

فمن خصائص هذا الدين الحنيف أنه يشمل كل جانب من جوانب التكوين، والبناء، والإصلاح، وكل ناحية من نواحي المجتمع، والحياة، سواء ما يتعلق بالعقائد، والعبادات، والأخلاق، أم ما يتعلق بالقوانين العامة من مسائل مدنية، وأمور جنائية، وأحوال شخصية، ونظم اجتماعية، وعلاقات دولية...، أو ما يتعلق بأسس الحكم، ومبادئ الاقتصاد، وأصول المعاملات، وركائز المجتمع الفاضل.

جاء كل ذلك في مبادئ دقيقة محكمة، وفي تشريعات ربانية خالدة، تجمع ولا تفرق، وتؤلف ولا تبدد، وتبني ولا تهدم، تنزيل من حكيم حميد.

على خليط البسر والتمر، وكما يطلق على البسر وحده وعلى التمر وحده " فتح الباري، 38 / 10، و " البُسْرُ: النَّمْرُ قَبْلَ إِرْطَابِهِ " القاموس المحيط، مادة (بسر) ص: 350.

¹ - صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب نزل تحريم الخمر وهي من البسر والتمر الحديث 5260، 2121/5.

² - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص: 95-96.

³ - علل الفاسي، دفاع عن الشريعة، تقديم دريسا تراوري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2001م، ص: 51.

والنصوص القرآنية التي تدل على هذه الخاصية كثيرة أذكر منها:

ففي قضايا الأسرة والحياة الزوجية، يقول سبحانه: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} سورة النساء/19

وفي القضايا المدنية، والاقتصادية، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ} إلى قوله تعالى {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ} البقرة:283، وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} سورة النساء/29

وفي القضايا السياسية، يقول الله تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} الشورى:38

وفي المسائل القضائية، يقول جل جلاله: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء:58

وفي العقوبات الجنائية، يقول عز من قائل: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ} البقرة:178

وفي الإعداد الحربي، يقول القرآن الكريم: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} الأنفال:60.

وفي العلاقات الدولية، يقول جل من قائل: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الممتحنة/8

وغير هذا من الأمثلة التي يطول ذكرها في هذا المقام.

وقد تجلت هذه الخاصية بوضوح فيما ثبت من ممارسات رسول الله صلى الله عليه وسلم العملية وخلفائه الراشدين المهديين من بعده، تلك الممارسات التي تؤكد على اختصاص الشريعة الإسلامية ونظمها المختلفة بخاصية الشمولية، حيث عقد الرسول المعاهدات وجمع الزكاة وسيّر الجيوش، وأرسل الرسل (السفراء)، وأقام الحدود، وقضى بين الناس، وغير هذا من الشؤون التي قام بها عليه الصلاة والسلام بوصفه نبيا يُبين للناس ما نُزِّل إليهم من ربهم، وحاكما سياسيا يقود الناس ويسوسهم بشرع الله، ويصلح الدنيا بالدين.¹

وهذه شهادات على شمولية الإسلام، ومبادئه الحية الباقية من كبار أساطين الفقه، والقانون في العالم:

يقول رجل القانون فمبيري: إن فقه الإسلام واسع لدرجة أنني أعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم.

ويذهب إلى الرأي نفسه العلامة ساتيلانا فيقرر أن الفقه الإسلامي يكفي المسلمين في تشريعهم إن لم نقل: إنه يكفي البشرية كلها.²

وصفٌ بليغ لشمول الشريعة الإسلامية ونظمها:

ونختم حديثنا عن شمولية الشريعة الإسلامية للأمور المعاشية بكلام نفيس للأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان وهو يتحدث عن المعاملات وما يتفرع عنها، مع ذكر ما يقابلها في القانون الحديث ، فقال³:

¹ - خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، ص: 31.

² - عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، طبعة الرسالة - عابدين، القاهرة ، 1994م، 1/372.

³ - عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت، الطبعة الأولى 1425 هـ - 2005م، ص: 56-

" العادات أي المعاملات ، وهي التي يقصد بها تنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم ، وهذه تشمل جميع روابط القانون العام والخاص في الاصطلاح الحديث¹ ، لأن أحكام العادات (المعاملات) تنقسم إلى ما يأتي:

أ - الأحكام المتعلقة بالأسرة من نكاح وطلاق ونفقة ونحو ذلك ، وهي ما يُسمى في الوقت الحاضر بقانون الأسرة أو الأحوال الشخصية.

ب - الأحكام المتعلقة بعلاقات الأفراد المالية ومعاملاتهم كالبيع والإجارة والرهن والكفالة ونحو ذلك ، وهي ما يسمى حاليا بقانون المعاملات أو بالقانون المدني ، ومن هذه الأحكام ما يتعلق بالشركات والتفليس والأمور التجارية الأخرى التي ينظمها في الوقت الحاضر القانون التجاري.

ج - الأحكام المتعلقة بالقضاء والدعوى والشهادة واليمين، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بقانون المرافعات.

د - الأحكام المتعلقة بمعاملة الأجانب غير المسلمين " المستأمنين " في الدولة الإسلامية وتنظيم علاقاتهم فيما بينهم أو مع رعايا الدولة الإسلامية ، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص .

هـ - الأحكام المتعلقة بتنظيم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب ، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولي العام.

و - الأحكام المتعلقة بنظام الحكم وقواعده ، وحقوق الأفراد في الدولة وعلاقاتهم معها ، وهي تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدستوري.

ز - الأحكام المتعلقة بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها ، وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة وبين الأغنياء والفقراء ، وهي تدخل في القانون المالي.

ح - الأحكام المتعلقة بتحديد علاقة الفرد مع الدولة الإسلامية من جهة الأفعال المنهي عنها (الجرائم ومقدار عقوبة كل جريمة) . وهذه تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الجنائي ، أو قانون العقوبات . ويلحق بها الإجراءات التي تتبع في تحقيق الجرائم وإنزال العقوبة بالمجرمين ، وهي ما يسمى اليوم بقانون تحقيق الجنايات " انتهى.

3- العالمية (العموم):

تحدثنا عن هذه الخاصية بإجمال في مطلب : واجبنا نحو دين الله، ونستكمل هذا الحديث هنا بشيء من التفصيل وبالله التوفيق.

من بديهيات الإسلام وخصائصه الأصلية أنه جاء لعموم البشر ولم يأت لطائفة معينة منهم، فقد أرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ليكون خاتمة الرسالات إلى الناس جميعا، في سائر الأعصار

¹ - ينقسم القانون إلى قانون عام وقانون خاص ، والضابط المميز بين الاثنين وجود الدولة باعتبارها صاحبة السلطان في العلاقات التي ينظمها القانون ، وهذا هو القانون العام ، أو عدم وجودها فيها ، وهذا هو القانون الخاص (المرجع السابق . ص 57 هامش 1)، نقلا عن: أصول القانون للدكتور السنهاوري ص 258.

وأقسام القانون العام هي : القانون الدولي العام، والقانون الدستوري ، والإداري ، والمالي ، والجنائي . وأقسام القانون الخاص هي : القانون المدني بشقيه : قانون الأحوال الشخصية ، وقانون المعاملات المالية ، والقانون التجاري ، وقانون المرافعات المدنية والتجارية ، والقانون الدولي الخاص . (المرجع السابق، نفس الموضع).

والأمصار وإلى أن تقوم الساعة، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة باستفاضة على هذه الحقيقة، قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } سورة الأنبياء/107، وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } سورة سبأ/28، وقال سبحانه: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } سورة الأعراف/158.

وعن جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي... وذكر منها: وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »¹.

ولا شك أن هذا نص واضح بعمومية رسالته صلى الله عليه وسلم، وأنه أرسل إلى الناس كافة، وفي ذلك خصوصية له - صلوات الله وسلامه عليه - دون غيره من الأنبياء .
وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه رسول الله إلى الناس أجمعين بصورة عملية، فأرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام².
ومن ثم فلا طريق إلى الله عز وجل إلا بالإيمان به واتباعه صلى الله عليه وسلم . حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لوجب عليهم اتباعه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني »³.

¹ - متفق عليه، سبق تخريجه.

² - لقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أساليب عديدة في دعوة الناس - على اختلاف طبقاتهم - إلى الله سبحانه وتعالى بصور مختلفة ووسائل متنوعة، ومن هذه الوسائل والأساليب أسلوب المكاتبة وإرسال الرسائل إلى الزعماء والكبراء والملوك والأمراء.
وقد أورد ابن القيم في كتابه الماتع " زاد المعاد " بابا بعنوان: ذكر هديه صلى الله عليه وسلم في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم، ذكر فيه مجموعة من الرسائل النبوية الشريفة التي أرسلها نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك زمانه يدعوهم فيها إلى الدخول في دين الله والإيمان ببعثته صلى الله عليه وسلم منهم : هرقل عظيم الروم وكسرى عظيم فارس والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر والإسكندرية و المنذر بن ساوى عامل البحرين و جيفر ملك عمان وأخوه عبد، ابني الجلندي، وهوذة بن علي صاحب اليمامة، والحارث بن أبي شمر الغساني وكان بدمشق بغوطتها... فأرسل النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى كل واحد من هؤلاء الملوك رسالة يدعوهم فيها إلى الله ويحدثه فيها عن جمال الإسلام ومحاسنه، فمنهم من أسلم كالنجاشي ومنهم من أعجب بالإسلام ولكنه لم يسلم كالمقوقس وقيصر والمنذر بن ساوي، ومنهم من عاند وكابر ككسرى ملك فارس. أنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، 3/600-608.

ومن بين أمثلة تلك الرسائل النبوية الشريفة ما ورد في الصحيح عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوهم إلى الإسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي، وهذا نص الرسالة : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } سورة آل عمران/64".

صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله 2782، 3/1074.

³ - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، الحديث 1497، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994م، 2/805، وحسنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل، الحديث 1589، 6/34.

قال ابن كثير: " والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى الناس كلهم.¹"

مبرر هذا العموم أن الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فمعنى ذلك أن الشرائع الإلهية انقطعت، وأن الوحي الإلهي لم يعد ينزل على أحد، قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} سورة الأحزاب/40، وعلى هذا لا يتصور أن ينسخ الإسلام أو يغيره شيء.²

وقد ذكر علال الفاسي رحمه الله عناصر خلود الشريعة المتوقرة فيها- والتي تجعلها صالحة لكل زمان

ومكان- وهي:

1-عمومها :أي توجيهها الخطاب لجميع البشر بحيث لا يختص بها قبيل دون آخر، ولا قوم دون غيره، ولا عصر دون عصر.

2-موافقة أحكامها لصريح العقل وعدم مناقضتها له.

3-اعتبار مقاصدها للمصالح العام والخاص، والإرشاد إليه عن طريق أصولها ودلائلها الخاصة³.

فعالمية الدين تكون بعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية، وبعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص أو بيئة معينة، وبامتداد هدايته أزمانا طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه، بمعنى أن يكون الدين صالحا لكل جنس وكل جيل، أو لكل زمان ومكان، أو بمعنى آخر: أن يكون الدين شريعة الإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة..ولا يوجد دين من الأديان السماوية أو الوضعية فيه هذه المواصفات التي تجعله عالميا إلا دين الإسلام⁴.

ولم تكن لتتوفر للإسلام هذه الصلاحية، لو لم تكن شريعته كاملة محققة لمصالح الناس على اختلافهم وامتداد الزمان والمكان، وذلك لصدورها من خالق الناس العالم بأحوالهم وما يصلحهم، قال عز وجل : { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } سورة الملك/14.

ومن هناك كانت هذه الشريعة عامة إلى الناس كافة، وكانت رسالتها هي خاتمة الرسالات، ورسولها سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوات.

وقد كانت البشرية في عهودها السابقة لا تعرف إلا الرسالات الخاصة، المحدودة في أقاليم معينة، و أزمان معينة، و أقوام معينين، قال سبحانه:

- { إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } سورة نوح/1.

- { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ } سورة هود: 50

¹ - تفسير ابن كثير، 489/3.

² - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص: 57.

³ - دفاع عن الشريعة ، مرجع سابق، ص: 146.

⁴ - الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، مرجع سابق، ص: 10-11.

- { وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ } سورة الأعراف: 73.

- وقال الله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: { وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ } سورة آل عمران: 49، قال البيضاوي (ت 685هـ) في تفسيره: "وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم"¹.

وخلاصة القول، فإن خاصية العموم التي تميزت بها رسالة الإسلام العالمية على نوعين:

عموم في الأتباع: فالشريعة الإسلامية عامّة لكلّ الناس، وغير محصورة في فئة، أو جنس، أو طائفة كما كان حال الشرائع من قبل.

عموم في الزمان والمكان: فالشريعة الإسلامية لم تختصّ بزمنٍ محدد، بل هي ناسخة لما قبلها من الشرائع، وغير منسوخة، وذلك إلى قيام الساعة؛ فكانت بذلك صالحة لكلّ زمانٍ ومكان. وهذا " يستلزم عقلاً وعدلاً أن تكون قواعد الشريعة وأحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحوٍ يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان، وفي بحاجاتهم ولا يضيق بها، ولا يختلف عن أي مستوى عالٍ يبلغه المجتمع البشري. إنَّ هذا والحمد لله متوافر في الشريعة الإسلامية؛ لأن الله تعالى وهو العليم الخبير؛ إذ جعلها عامّة في المكان والزمان، وخاتمة لجميع الشرائع، جعل قواعدها وأحكامها صالحة لكل زمان ومكان، ومهيأة للبقاء والاستمرار لهذا العموم."²

4- الوسطية (التوازن) :

الإسلام دين الوسطية، ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الوسطية: جعلاً إلهياً، وليس اختياراً من خيارات المؤمنين بالإسلام، فقال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: 143]، " فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يميناً أو شمالاً عن خط الوسط المستقيم"³.

وقد جعلت هذه الآية الكريمة الوسطية علةً وسيباً يترتب عليه اتخاذ الأمة الإسلامية موقع الشهود على الناس، بما فيهم من أمم وشعوب وملل ورسالات وثقافات وحضارات. وذلك التعليل وثيق الصلة بمعنى «الوسطية»، ومعنى «الشهود»؛ فالوسط: هو العدل⁴، والعدل هو الشرط المؤهل للشهادة والشهود على الناس.

¹ - تفسير البيضاوي، 2/ 18.

² - أصول الدعوة، ص: 58.

³ - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م، ص: 24.

⁴ - بهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة الوسط، فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب فيقول لأمتي هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاعنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك؟ فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وأمتي فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ }»،

ولأن هذه الأمة الخاتمة قد آمنت بكلّ النبوات والرسالات والكتب السماوية، كانت وحدها المؤهلة للشهادة على الناس، وعلى تبليغ كلّ الرسل رسالاتهم إلى أمم هذه الرسالات.

والمقصود بالأمة الوسط كما ذكر أهل العلم الخيار والعدول، وهم الذين يكونون بين طرفي النقيض : قال الإمام الطبري رحمه الله: " وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسَطٌ"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غُلُوٍّ فيه، غلوّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها.¹

وقال ابن القيم رحمه الله مؤكداً هذا المعنى: " فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النَّمَط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغُلُوّ المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وَسْطًا، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرّق إلى الأطراف، والأوساط مَحْمِيَّةٌ بأطرافها، فخير الأمور أوسطها. قال الشاعر:

كَانَتْ هِيَ الْوَسْطُ الْمَحْمِيَّةُ فَكَتَنَّتْ ... بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرْفًا².

والتوسط، والاعتدال هو الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية، فالإنسان خلق ضعيفاً، يعتريه الفتور، والكسل، وتعرض له الشواغل، ويتقلب بين قوة وضعف، وصحة ومرض، فكان الاعتدال هو المناسب له، المتفق مع حاله، وإن أحس من نفسه همة عالية وقوة، فجنح إلى التشدد، فمرده إلى الضعف، وانقطاع المسير.

فهذه الأمة المسلمة أمة وسطية، بكل معاني الوسط : وسط في النبوة والرسالة، فلا هي غلت في نبيها، كما غلت النصارى في نبيهم، ولا هي أساءت إليهم، وأذنتهم، وقتلتهم، كما فعلت يهود.

وهي وسط في الشريعة، والأحكام، كما يقوله الإمام الشاطبي : " الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال³."

وبهذا المعنى، فالوسطية هي حالة محمودة وخاصة أساسية من خصائص هذا الدين: عقيدة وشريعة ونظاماً خلقياً واجتماعياً وسياسياً وحضارياً، ترتبط وتترجم خاصية أخرى هي: خاصية التوازن وعدم الميل إلى الإفراط أو التفريط، يقول الشيخ يوسف القرضاوي: " (الوسطية) من أبرز خصائص الإسلام، ويعبر عنها أيضاً بـ (التوازن) أو (الاعتدال)، ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين؛ بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرّد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطنغي على مقابله ويحيّف عليه.

والوسط: العدل " صحيح البخاري، باب قول الله تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } سورة نوح/1 إلى آخر السورة، كتاب الأنبياء، الحديث 3161، 1215/3.

¹ - تفسير الطبري، 3/ 142.

² - إغاثة اللهفان، 1/ 330.

³ - الموافقات، 2/ 279.

مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدينية، الوحي والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما شابهها.

ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطى حقه (بالقسط) أو (بالقسطاس المستقيم)، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إفسار. كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } سورة الرحمن/7-9، فالوسطية هي التي تقيم الوزن بالقسط؛ بلا طغيان ولا إفسار.¹

وقال في موضع آخر: "الإسلام منهج وسط في كل شيء: في التصور والاعتقاد، والتعبد والتنسك، والأخلاق والسلوك، والمعاملة والتشريع.

وهذا المنهج هو الذي سماه الله " الصراط المستقيم " وهو منهج متميز عن طرق أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى من "المغضوب عليهم" ومن " الضالين " الذين لا تخلو مناهجهم من غلو أو تفريط"². نستخلص إذن أن معنى الوسطية الذي جاء في كثير من نصوص الشرع³ يفيد التوازن والتزام قاعدة، (لا إفراط ولا تفريط) في جميع الأمور والمجالات: توازن بين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الدين والدولة، وبين الفرد والمجموع، وبين الفكر والواقع وبين المادية والمثالية وبين المقاصد والوسائل، وبين الثابت والمتغير والقديم والجديد، وبين الاجتهاد والتقليد وبين الدين والعلم إلى آخر هذه الثنائيات.

كما يعني التوازن أن الدين يربط العقل بالقلب، والسر بالعلن، و المظهر بالمخبر، و العلم بالدين، و الرغبة بالرهبة، والنية بالعمل، والأسباب بالمسيبات، و يوصي المؤمن أن يحافظ على هذا التوازن في كل الأحوال: في حالة العسر واليسر، والرخاء والشدة، والمنتشط والمكره، والرضى والغضب، وبذلك تؤدي الأعمال بعيدا عن أي اعتبار في أمانة وإخلاص دون نفاق أو رياء، أو غش أو خداع.

¹ - يوسف القرضاوي، كلمات الوسطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق، الطبعة الثالثة، 2011م، ص: 13.

² - يوسف القرضاوي، الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص: 23-24.

³ - نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة قد أرست مبدأ التوسط والاعتدال في الحياة الإسلامية بكل نواحيها، وهو ما أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة، من هذه النصوص قوله تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ غُنَّكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } سورة الإسراء (29)، وقوله: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } سورة الفرقان (67)، وفي الحديث: « إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، الحديث 39، 23/1.

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: « يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟»، فقلت: بلى يا رسول الله قال: « فلا تفعل صم وأطمر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا » أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، الحديث 4903، 5/ 1995.

وحينما نذكر وسطية الإسلام من خلال هذه النصوص وغيرها، يجب علينا ألا ننسى ما يقابل ذلك وهو التفريط، فكما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو، فإن ذلك يعني التنبيه للمقابل وهو الوقوع في التفريط والترك لشيء مما شرع الله تعالى؛ كترك الفرائض ومواقعة الذنوب والاستهانة بالمعاصي: فكل طرفي الأمر خطأ ومخالف لدين الله تعالى؛ الزيادة غلو في دين الله تعالى، والترك تقصير في حق المولى جل وعلا، وشرعية الله تعالى هي الوسط القائم على أداء ما شرع الله تعالى من غير تفريط ولا إفراط.

الوسطية إذن منهج في فهم الدين والعمل به، يقوم على نبذ الغلو في الدين والتزيد فيه بالتشديد على النفس أو التشديد على الآخرين، كما يقوم على نبذ التفريط والتضييع لعقيدة التوحيد وأحكام الشريعة وآداب الإسلام وأخلاقه وأنظمتها. فذلك كله مفض بصاحبه إلى الخسران والندامة غدا يوم لقاء الله كما ورد في قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْثَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا} سورة الأنعام/31، وفي قوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ} سورة الزمر/56.

هذا وقد شاع في زماننا اليوم جملة " الإسلام دين الوسطية " أو " الإسلام الوسطي " ، وهي كلمة حق، لها أدلتها من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم كما سبق بيانه، لكننا وجدنا في الوقت نفسه من أساء استعمالها، وأراد تمرير " التميع " للأحكام الشرعية من خلالها، وذهب إلى الثابت الشرعية ليهز قواعدها ، انطلاقاً من تلك الجملة، ومن فهمه المغلوط لها.

فالاستعمال الباطل لجملة " الإسلام دين الوسطية " هو ما يدعو إليه بعض الكتاب والدعاة من الوقوف في الوسط بين كل متناقضين، وعدم اتخاذ الموقف الشرعي الذي يوجب عليه دينه، فهو يقف - مثلاً - بين السنة والبدعة، فلا يرفض البدعة بإطلاق، ولا يقبل السنة بإطلاق ! وفي حكم الردة يحاول التوسط ! فلا يقبل الاستنباط والقتل فيها، ولا يسمح بها بإطلاق ! ، بل تعدى ذلك إلى الكفر والإسلام ! ولهذا تجد هؤلاء هم عمدة الحوارات التي تعقد للتقريب بين التوحيد والشرك - كما هو الحال في التقريب بين السنة والشيعة - ، والإسلام والكفر - كما هو الحال في التقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية - ، وهذه الوسطية المزعومة حاصلها تميع دينهم، والتنازل عن ثوابته ، من أجل أن تلمع صورتهم في الإعلام أنهم من " دعاة الوسطية " وصدق الله العظيم إذ يقول: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } سورة البقرة/ 120 . وينبغي أن يعلم هؤلاء وغيرهم : أن الوسط، والتوسط ليس هو أن يقف المسلم وسط الطريق بين كل متناقضين، بل هو أن يلتزم شرع الله تعالى في موقفه، وأن يحكم على الشيء بما يستحقه مما جاء في الكتاب والسنة ، وأما من يستعملها على غير وجهها فهو يقف في وسط الطريق مطلقاً ، ولو كان أحد الجانبين فيه التوحيد والسنة؛ فهذا باطل.

قال أبو المظفر السمعاني (ت489هـ): " والقول بين القولين إنما يُستحب اختياره، وسلوك طريق بين الغالي والمقصر، إنما يكون أولى إذا أمكن تمشيته، فأما إذا لم يمكن تمشيته فلا " ¹.

¹ - أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني الحنفي ثم الشافعي ، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1999م، 398/2.

5- الإيجابية :

من الخصائص البارزة في دين الله: الإيجابية، ويراد بها "الإيجابية الفاعلة في علاقة الله سبحانه بالكون والحياة والإنسان، والإيجابية الفاعلة كذلك من ناحية الإنسان ذاته في حدود المجال الإنساني"¹.

فالله في العقيدة الإسلامية هو مصدر الخير والعطاء، إياه نسأل وعليه نتوكل، يرقبنا ويعلم سرنا ونجوانا، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، يحيي ويميت، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يعز ويذل، يشاء ويتصرف، يبيغض الفواحش وينهى عن السوء... الخ. ليس بأخرس ولا أصم، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء².

ويحفل القرآن الكريم بتقرير هذه الحقيقة الأساسية الكبيرة في العقيدة الإسلامية، بكل صورها وأشكالها:

قال عز وجل : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } سورة آل عمران/26-27
وقال الله جل جلاله: { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } سورة الأعراف/54.

وهكذا نجد القرآن الكريم يعرض مشاهد لتدخل العناية الإلهية في كل شأن من شؤون الناس صغيرة أو كبيرة بما يجلي كامل الإيجابية والفاعلية في علاقة الله - سبحانه - بحركة الحياة الإنسانية.
فنرى حكم الله ينزل في الحين في قضية بين امرأة وزوجها حين لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم فيها رأياً : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }... الآيات، سورة المجادلة/1-4.

كما تحكي لنا الآيات حدث الهجرة - وهو حدث كبير في تاريخ الدعوة - وما سطرته من حفظ الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من كيد كفار قريش:
{ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } سورة التوبة/40.

¹ - خصائص التصور الإسلامي، ص: 151.

² - يقول سيد قطب منزها الله عز وجل عن الصفات السلبية التي ينعت بها غير المسلمين ألتهم التي يعبدونها من دون الله: "إن الصفات الإلهية في التصور الإسلامي ليست صفات سلبية. والكمال الإلهي ليس في الصورة السلبية التي جالت في تصور أرسطو. وليست مقصورة على بعض جوانب الخلق والتدبير كما تصور الفرس في صفات "هرمز" إله النور والخير واختصاصاته، وصفات "أهرمان" إله الظلام والشر واختصاصاته. وليست محدودة بدرجة من درجات الخلق كتصور أفلوطين. وليست محدودة بحدود شعب كتصورات بنى إسرائيل. وليست مختلطة أو متلبسة بإرادة كينونة أخرى كبعض تصورات الفرق المسيحية. وليست معدومة على الإطلاق كما تقول المذاهب المادية التي تنفي وجود الإله الحي المريد " خصائص التصور الإسلامي، ص: 151.

والجانب الآخر للإيجابية في العقيدة الإسلامية هي: " إيجابية الإنسان في الكون، وإيجابية المؤمن بهذه العقيدة في واقع الحياة على وجه خاص.

إن هذا التصور ما يكاد يستقر في الضمير حتى يتحرك ليحقق مدلوله في صورة عملية، وليترجم ذاته في حالة واقعية. والمؤمن بهذا الدين ما يكاد الإيمان يستقر في ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة مؤثرة: فاعلة في ذات نفسه، وفي الكون من حوله.¹

والدليل على هذه الإيجابية في حياة المؤمن - التي هو مطالب بتحقيقها في أرض الواقع - أنه حيثما يذكر الإيمان في القرآن أو يذكر المؤمنون، يذكر في سياقهما العمل الصالح، الذي هو ترجمة واقعية للإيمان وشهادة له، والآيات في هذا الاقتران أكثر من أن تحصى، مثل قول الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } سورة الأنفال/2-4. وقوله سبحانه: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } سورة آل عمران/110.

فمن خلال هذين النصين تظهر لنا بعض مظاهر إيجابية المؤمن في علاقته بربه، وعلاقته بنفسه وغيره. فالمسلم يذكر ربه ويتلو كتابه، ويستمد منه القوة والخير، ويلجأ إليه ويتحصن به، ويدعوه في الشدائد والأزمات فيسمع دعاءه ويستجيب له، { أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا } سورة النمل/62.

إن المسلم في هذه العلاقة لا يتعامل مع أوثان لا تضر ولا تنفع كما عند المشركين ، ولا مع طبيعة خرساء كما عند الطبيعيين، ولا مع تثليث أو ثنائية كما عند النصارى و المجوس، وإنما يتعامل مع إله حي قدير سميع بصير خبير فعال لما يريد، ومن هنا كان إيمان المسلم إيجابيا لا سلبيا، يدفعه إلى الحركة والطاعة، والعمل لخير الجماعة، والتقرب من الله طمعا في ثوابه، وخوفا من عقابه. إن هذه الإيجابية تنعكس آثارها حتى على نفس المؤمن، وعلى من حوله، فيدفعه ذلك إلى إفراغ طاقة الإيمان في العمل الإيجابي البناء، فالمؤمن ليس بعيدا عن الواقع، ولا منعزلا عن الناس، ولا رجلا مثاليا في نظرته، أو راهبا في صومعته، وإنما هو رجل الحركة المتفاعلة، المؤثرة في ذات نفسه، وفي من حوله من الناس، قال تعالى: { وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } التوبة/105.

وبهذا كله " يستشعر المسلم أن وجوده على الأرض ليس فلتة عابرة، إنما هو قدر مقدور، مرسوم له طريقه ووجهته وغاية وجوده ، وأن وجوده على الأرض يقتضيه حركة وعملا " إيجابيا " ، في ذات نفسه، وفي الآخرين من حوله، وفي هذه الأرض التي هو مستخلف فيها².

¹ - خصائص التصور الإسلامي، ص: 162.

² - خصائص التصور الإسلامي، ص: 167.

ثم يحس المسلم - من وحي تصوره الإسلامي أنه - شخصيا" - مطالب بأداء شهادة لهذا الدين، لا يستريح ضميره، ولا يطمئن بآله، ولا يستشعر أنه أدى حق نعمة الله عليه بالإسلام. وأنه يطمع - من ثم - في النجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة... إلا أن يؤدي هذه الشهادة كاملة، بكل تكاليفها في النفس والجهد والمال¹.

6- الجمع بين الثبات والمرونة :

نعني بالثبات: ثبات الأصول الإسلامية التي جاءت وحيا من الله، وهي التي تمثل "المحور الثابت" الذي يدور عليه المنهج الإسلامي في إطاره الثابت- غير قابل للتغيير ولا للتطوير - : كثبات: ما يتعلق بالحقيقة الإلهية من وجود سرمدى ووحداية وقدرة وهيمنة وتدبير لأمر الخلق و طلاق مشيئة. وثبات: ما يتعلق بالعقيدة من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وثبات: ما يتعلق بالعبودية من عبادة الله وحده والاستعانة به والتوجه إليه، و نفي الشريك عنه، وعموم هذه العبودية للناس جميعا. وثبات: أن الدين عند الله واحد وهو الإسلام، وأن معناه أفراد الله - سبحانه - بالآلوهية وكل خصائصها، والاستسلام لمشيئته، والرضى بالتحاكم إلى أمره ومنهجه وشريعته، وأن هذا هو دينه الذى ارتضاه ، لا أي دين سواه.

وثبات: أن الناس جميعا من أصل واحد، فهم من آدم و آدم من تراب، متساوون في الحقوق و الواجبات لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالنقوى و العمل الصالح. وثبات: أن الإنسان في هذا الوجود مكرم على سائر الكائنات بما أودع الله فيه من العقل والاستعداد، و بما سخر الله له في الأرض و بما استخلفه فيها، و أن رابطة مع غيره من بني الإنسان قائمة على أساس التعارف ، لا على أساس الجنس واللون والمصلحة. و ثبات: أن غاية الوجود الإنساني هي العبادة لله، بمعنى العبودية المطلقة لله وحده بكل مقتضيات العبودية، وأولها اتباع شريعة الله وحده في كل أمور الحياة، والخلافة في الأرض وفق منهجه سبحانه. وثبات أن الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة حساب وجزاء . وأن الإنسان مبتلى وممتحن في كل حركة وفي كل عمل ، وأن مرد الأمور كلها إلى الله².

هذه وأمثالها من الأصول الثابتة - و إن وجد غيرها فهو تبع لها- التي لا تتغير ولا تتبدل في إطار ثبات الشريعة، أما الجزئيات المتفرعة عنها وأوضاعها العملية، فتتغير بحسب الزمان و المكان، وبحسب ما تقتضيه الظروف والملابسات، وبحسب ما يستجد للناس من أفضية في حياتهم المتطورة، ورغم هذا التجديد و التطور تبقى ظواهر الحياة وأوصافها وأشكالها تسير في فلك الأصول الثابتة، وتدور حول محورها الثابت³.

¹ - رسالة "شهادة الحق" لأبى الأعلى المودودى، دار الشهاب - باتنة ، الجزائر، 1988م، ص: 21.

² - أنظر خصائص التصور الإسلامي، ص: 77 وما بعدها بتصرف.

³ - من الأمثلة التي توضح ما قلناه ما ذكره الشيخ يوسف القرضاوي بخصوص مبدأ الشورى، قال: " يتمثل الثبات في مثل قوله تعالى في وصف مجتمع المؤمنين: { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } [الشورى:38]. وفي قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } آل عمران: 159 . فلا يجوز لمجتمع أن يلغي الشورى من حياته السياسية والاجتماعية، ولا يجوز لحاكم أن يعطل مبدأ الشورى، وأن يقود الناس

ويقابل هذا الثابت دائرة أخرى، هي دائرة أوسع وأعم، من شأنها أن تستوعب النوازل، وتلاحق التطورات والمستجدات، وفق أصول الشريعة ومقاصدها، بما يوسع على الناس ويرفع الحرج والمشقة عنهم، وإن اختلفت أعصارهم وأقطارهم، وهي دائرة تتسم بالمرونة والسعة¹.

وهذه الدائرة يسميها بعض الفقهاء بـ "العفو"² كما جاء في بعض الأحاديث، فعن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا هذه الآية: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: 64] . »³

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمان فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»⁴.

قال الحافظ ابن رجب: " فحديث أبي ثعلبة قسّم فيه أحكام الله أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها."

رغم أنوفهم إلى ما يكرهون.

وتتمثل المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى، يلتزم به الناس في كل زمان وكل مكان، فيتضرر المجتمع بهذا التقيد الأبدي إذا تغيرت الظروف بتغير البيئات أو الأعصار أو الأحوال. فيستطيع المؤمنون في كل عصر أن ينفذوا ما أمر الله به من الشورى بالصورة التي تناسب حالهم وأوضاعهم وتلائم موقعهم من التطور، دون أي قيد يلزمهم بشكل جامد. " يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1404هـ-1983م ص: 222-223.

¹ - خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، مرجع سابق، ص: 61-62.

² - أطلق الشيخ يوسف القرضاوي على هذه الدائرة اسم: " منطقة الفراغ التشريعي " وعرفها بقوله: " تلك المنطقة التي تركتها النصوص - قصداً - لاجتهاد أولي الأمر والرأي، وأهل الحل والعقد في الأمة، بما يحقق المصلحة العامة، ويرعى المقاصد الشرعية، من غير أن يقيدنا الشارع فيها بأمر أو نهي " الخصائص العامة للإسلام، ص: 241.

³ - رواه البزار في المسند، الحديث 4087، وقال: " إسناده صالح " 26/10، والدارقطني في سننه، كتاب الزكاة، باب الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها، الحديث 2066، 59/3، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة مريم الحديث 3419، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، 2/ 406، وحسنه الشيخ الألباني في كتابه " غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام "، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1405، ص: 14.

⁴ - رواه الدارقطني في سننه، كتاب الرضاع، الحديث 4396، 325/5، والطبراني في الكبير الحديث 589، 22/ 222-221، وابن بطّة في الإبانة، الحديث 314، 407/1-408، والبيهقي في سننه الكبرى، جماع أبواب ما لا يحل أكله وما يجوز للمضطر من الميتة وغير ذلك، باب ما لم يذكر تحريمه، ولا كان في معنى ما ذكر تحريمه مما يؤكل أو يشرب، الحديث 19725، 21/10. قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم 2/150: " هذا الحديث من رواية مكحول عن أبي ثعلبة الخشني، وله علتان: إحداهما: أن مكحولاً لم يصح له السماع من أبي ثعلبة، كذلك قال أبو مسهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهما.

والثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة، ورواه بعضهم عن مكحول من قوله، لكن قال الدارقطني: الأشبه بالصواب المرفوع، قال: وهو أشهر.

وقد حسن الشيخ النووي رحمه الله هذا الحديث، وكذلك حسن قبله الحافظ أبو بكر بن السمعاني في " أماليه ".

وقال عبد القادر الأرنبوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، 5/59: " وله شواهد أخر بمعناه يرتقي بها إلى درجة الحسن ". وقال الألباني في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن تيمية، ص: 44: " حسن بشاهدهه ".

ثم بين هذه الأقسام بتفصيل فقال : " فأما الفرائض فما فرضه الله على عباده وألزمهم القيام به، كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

وأما المحارم فهي التي حماها الله تعالى ومنع من قربانها وارتكابها وانتهاكها.

وأما حدود الله التي نهى عن اعتدائها، فالمراد بها جملة ما أذن في فعله، سواء كان على طريق الوجوب، أو الندب، أو الإباحة، واعتداؤها: هو تجاوز ذلك إلى ارتكاب ما نهى عنه، كما قال تعالى: { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ } [الطلاق/1]، والمراد: من طلق على غير ما أمر الله به وأذن فيه.

وقد تطلق الحدود، ويراد بها نفس المحارم، وحينئذ فيقال: لا تقربوا حدود الله، كما قال تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا } البقرة: 187

وقد تسمى العقوبات المقدرة الرادعة عن المحارم المغلظة حدودا، كما يقال: حد الزنا، وحد السرقة، وحد شرب الخمر.

وأما المسكوت عنه، فهو ما لم يذكر حكمه بتحليل، ولا إيجاب، ولا تحريم، فيكون معفوا عنه، لا حرج على فاعله.

وقوله في الأشياء التي سكت عنها: « رحمة من غير نسيان » يعني أنه إنما سكت عن ذكرها رحمة بعباده، ورفقا، حيث لم يحرمها عليهم حتى يعاقبهم على فعلها، ولم يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها، بل جعلها عفوا، فإن فعلوها، فلا حرج عليهم، وإن تركوها فكذلك.¹

فما عدا هذه الفرائض والمحرمات والحدود - التي لا يجوز لأحد أن يسقط أو يلغي شيئا منها أو يتساهل فيها لأن أحكامها كلها منصوفا عليها نصا قطعي الثبوت قطعي الدلالة - فهي أمور مسكوت عنها، متروكة للاجتهاد، رحمة بالأمة، وتيسيرا وتوسعة عليها، وبهذا تجد أمامها مجالا رحبا مرنا، تتحرك فيه بيسر وسهولة، دون أن تشعر بالإثم في دينها، أو الحرج في دنياها.²

ويدخل في دائرة المرونة التي جاءت بها شريعة الإسلام السمحة ما يتناوله الفقه الإسلامي من مصالح الناس في كل أمر من الأمور أو قضية من القضايا المستجدة في الحياة مراعيًا للتغيرات الحضارية والمتطلبات العصرية، حتى وجدنا الفقهاء رحمهم الله وضعوا قاعدة " لا يُنكر تغيّر الأحكام بتغير الأزمان "³، وذلك لتحقيق المصلحة فيما يعرض للناس من نوازل، ودفع المفسدة عنهم.

¹ - جامع العلوم والحكم، 152/2 - 170 باختصار.

² - الخصائص العامة للإسلام، ص: 242.

³ - قال الشيخ أحمد الزرقا (ت 1357هـ) في شرح هذه القاعدة: " لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، أي بتغير عرف أهلها وعاداتهم، فإذا كان عرفهم وعاداتهم يستدعيان حكما ثم تغيرا إلى عرف وعادة أخرى فإن الحكم يتغير إلى ما يوافق ما انتقل إليه عرفهم وعاداتهم، ولذا لما كانت الدور تبني بيوتها على نمط واحد قال المتقدمون غير زفر: يكفي لسقوط خيار الرؤية رؤية بيت منها، ولما تبدلت الأزمان وصارت بيوت الدور تبني على كفيات مختلفة رجح المتأخرون قول زفر من أن لا بد من رؤية كل البيوت ليسقط الخيار. " أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثانية، 1409هـ - 1989م، ص: 227 باختصار. وقال الدكتور محمد مصطفى الزحيلي في شرح نفس القاعدة: " الأحكام الشرعية الاجتهادية تنظم ما أوجبه الشرع الذي يهدف إلى إقامة العدل وجلب المصالح ودرء المفاسد، فهي ذات ارتباط وثيق بالأوضاع والوسائل الزمنية، فكم من حكم كان تدبيراً نافعاً لبيئة في زمن معين، فأصبح بعد جيل أو أجيال لا يوصل إلى المقصود منه، أو يفضي إلى عكسه، وعلى هذا أفتى كثير من الفقهاء في شتى المذاهب الفقهية في كثير من

وقد عقد ابن القيم لهذه القاعدة فصلاً ممتعاً واسعاً في كتابه (إعلام الموقعين) بعنوان (تغير الفتوى، واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد) هو من نفائس هذا الكتاب، وفرائد مباحثه، ونبه على ذلك بقوله في أوله:

هذا فصل عظيم النفع جداً، وقع بسبب الجهل به غلطٌ عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يُعلم أن الشريعة الباهرة التي هي في أعلى رُتب المصالح لا تأتي به. فإن الشريعة مبنّاها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلّها، ورحمةٌ كلّها، ومصالحُ كلّها، وحكمةٌ كلّها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل¹.

وكذلك كتب الإمام القرافي المالكي (ت684هـ) في كتابه "الإحكام" مبيّناً أن استمرار الأحكام الواقعة في مذهب الشافعي ومالك وغيرهما التي مدركها العرف والعادة - مع تغير تلك العوائد - خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كلّ ما هو في الشريعة ينبع العوائد: يتغيّر الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة².

وتكلم كذلك كثير من أئمة الفقهاء حول هذه القاعدة، واشتروطوا في المجتهد أن يكون عارفاً بعادات الناس في عصره وبلده؛ لأن الأحكام المترتبة على العرف تختلف باختلاف الأعصار والأمصار، قال ابن عابدين: "إعلم أن المسائل الفقهية إما أن تكون ثابتة بصريح النص، وإما أن تكون بضرب اجتهاد ورأي، وكثير منها ما يبينه المجتهد على ما كان في عرف زمانه، بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أولاً، ولذا قالوا في شروط الاجتهاد إنه لابدّ فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان أولاً،

المسائل بعكس ما أفتى به أئمة مذاهبهم الأولون." محمد مصطفى الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م، 1/ 353.

ومن أمثلة وفروع هذه القاعدة: إفتاء الفقهاء بجواز الاستئجار على تعليم القرآن ونحوه لانتقطاع عطاء المعلمين، إذ لو اشغل المعلمون بالتعليم بلا أجر يلزم ضياعهم وضياع عيالهم، ولو اشتغلوا بالاكْتساب من حرفة أو صناعة يلزم ضياع القرآن والدين، فأفتوا بأخذ الأجرة على التعليم، وكذلك على الإمامة والأذان، مع أن ذلك مخالف لما اتفق عليه أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن من عدم جواز الاستئجار وأخذ الأجرة عليه كبقية الطاعات من الصوم والصلاة والحج وقراءة القرآن ونحو ذلك. أنظر: مجموعة رسائل ابن عابدين، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، 173/2.

ويقول فقهاء الحنفية في مثل هذا الخلاف بين الإمام وصاحبه: "هذا اختلاف عصر وزمان، لا اختلاف حجة وبرهان" فتح القدير لابن الهمام، 9/ 233.

وحكى النفراوي (ت1126هـ) عن العلامة الفقيه أبي محمد بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة في فقه المالكية، وشيخ المذهب في وقته، أنه حين سقط حائط داره وكان يخاف على نفسه من الشيعة فاتخذ كلباً، ولما قيل له: كيف تتخذ ومالك نهى عن اتخاذ الكلاب في غير المواضع الثلاثة؟ فقال: لو أدرك مالك زماننا لاتخذ أسداً ضارياً "أحمد بن غانم (أو غنيم) النفراوي الأزهرى المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، دون طبعة، 1415هـ - 1995م، 2/ 344.

¹ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، 4/ 337.

² - القرافي، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1416هـ - 1995م، ص: 218 بتصرف.

للزم المشقة والضرر بالناس، وخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد، ولهذا نرى مشايخ المذهب (الحنفي) خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه، لعلمهم بأنه لو كان في زمانهم لقال بما قالوا به، أخذاً من قواعد مذهبه¹.

وبهذا يتبين لنا أن الإسلام الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة والانفتاح معا، " ويتحدد مجال الثبات ومجال المرونة، في شريعة الإسلام، ورسالته الشاملة الخالدة، في:

الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب.

الثبات على الأصول والكليات،، والمرونة في الفروع والجزئيات.

الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية.²

فدين الله يجمع بين الثبات والمرونة في تناسق مبدع، واضعاً كل منهما في موضعه الصحيح: الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور. وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الإسلام، لا توجد في شريعة سماوية، ولا وضعية.

وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومته وخلوده، وصلاحيته لكل زمان، ولكل مكان.

(7) الفطرية (مراعاة الفطرة الإنسانية) :

مما يميز الإسلام أيضاً عن غيره من الديانات الأرضية مع كونه من عند الله ودين جميع الأنبياء، أنه يوافق الفطرة السليمة التي تخضع وتذل لخالقها جل وعلا، وينسجم مع متطلبات البشر وحاجاتهم، وينظم شؤونهم، بخلاف الأديان التي اخترعها البشر، حيث ملئت بالمتناقضات وما يصادم فطرة الإنسان، وألقت به في أتون الحرج والضيق أو الانحلال والفجور، وصدق الله العظيم إذ يقول عن دين الإسلام : {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} سورة البقرة/138، أي: صبغة الله أحسن صبغة وهي الإسلام، فسمي الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.³

إن النظر الصحيح في أديان الناس التي يؤمنون بها يقضي بأن دعوة الإسلام هي الموافقة للفطرة⁴ السوية، وإلى ذلك أشار قول الله عز وجل : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا¹ لَا

¹ - مجموعة رسائل ابن عابدين، 172/2-173.

² - الخصائص العامة للإسلام، ص: 216-217 بتصرف.

³ - تفسير الماوردي (النكت والعيون)، 195/1، تفسير ابن عطية، 216/1.

⁴ - تدور مادة فطر في المعاجم اللغوية حول معاني الخلق والابتداء والإنشاء، والدين.

قال الخليل : " وَفَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ أَي : خَلَقَهُمْ وَابْتَدَأَ صُنْعَةَ الْأَشْيَاءِ . وَالفِطْرَةُ : التي طَبِعَتْ عليها الخليفة من الدِّين، فَطَرَهُمُ الله على معرفته برُبوبِيَّتِهِ " كتاب العين، مادة (فطر)، 418/7

وقال ابن منظور: " وَفَطَرَ الله الْخَلْقَ يَفْطُرُهُمْ: خَلَقَهُمْ وَبَدَأَهُمْ، وَالفِطْرَةُ: الْإِبْتِدَاءُ وَالْإِخْتِرَاعُ، وَفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } سورة فاطر/1، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ما كنت أدري ما فاطرُ السموات والأرض ؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُهَا أَي: أنا ابْتَدَأْتُ حَقْرَهَا " مسند الشافعي ترتيب السندي، كتاب الصلاة، الباب السادس في صفة الصلاة، الحديث 216، 74/1 " لسان العرب، مادة (فطر)، 55/5.

تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { سورة الروم/30.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ
كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَذَاءٍ »².

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَمَثَلُ الْفِطْرَةِ مَعَ الْحَقِّ: مَثَلُ ضَوْءِ الْعَيْنِ مَعَ الشَّمْسِ وَكُلِّ ذِي عَيْنٍ لَوْ تَرِكَ بِغَيْرِ حِجَابٍ لَرَأَى الشَّمْسَ، وَالْإِعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةَ الْعَارِضَةَ مِنْ تَهْوُدٍ وَتَنْصَرُوتٍ وَتَمَجُّسٍ: مَثَلُ حِجَابٍ يَحُولُ بَيْنَ الْبَصَرِ وَرُؤْيَا الشَّمْسِ. وَكَذَلِكَ أَيْضًا كُلُّ ذِي حَسٍّ سَلِيمٍ يُحِبُّ الْحُلُوفَ إِلَّا أَنْ يُعْرَضَ فِي الطَّبِيعَةِ فَسَادٌ يُحَرِّقُهُ حَتَّى يَجْعَلَ الْحُلُوفَ فِي فَمِهِ مَرًّا. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِمْ مَوْلُودِينَ عَلَى الْفِطْرَةِ أَنْ يَكُونُوا حِينَ الْوِلَادَةِ مُعْتَقِدِينَ لِلْإِسْلَامِ بِالْفِعْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَنَا مِنْ بَطُونِ أُمَهَاتِنَا لَا نَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَكِنْ سَلَامَةُ الْقَلْبِ وَقَبُولُهُ وَإِرَادَتُهُ لِلْحَقِّ: الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ بِحَيْثُ لَوْ تَرِكَ مِنْ غَيْرِ مُغِيرٍ لَمَا كَانَ إِلَّا مُسْلِمًا. وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الْعِلْمِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي بِذَاتِهَا الْإِسْلَامَ مَا لَمْ يَمْنَعَهَا مَانِعٌ: هِيَ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا."³

المراد بالفطرة على القول الراجح: ملة الإسلام⁴ والاستعداد لقبول الدين¹ كما في الحديث الذي رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا »².

¹ - قال الشيخ رشيد رضا (ت1354هـ): " فطرة الله التي فطر الناس عليها هي الجبلية الإنسانية الجامعة بين الحيائين: الجسمانية الحيوانية، والروحانية الملكية، والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة وعالم الغيب فيهما، وما أودع فيها (أي الجبلية) من غريزة الدين المطلق الذي هو الشعور الوجداني بسلطان غيبي فوق قوى الكون والسنن والأسباب، هو فاطر السموات والأرض وما فيهما. فالعبادة الفطرية هي التوجه الوجداني إلى هذا الرب الغيبي في كل ما يعجز الإنسان عنه من نفع يحتاج إليه ويعجز عنه بكسبه، ودفع ضرر يمسّه أو يخافه.

هذا أصل دين الفطرة الغريزي في البشر، لا ما زعمه بعض الكتاب المعاصرين من أن دين الفطرة في الآية الكريمة أن يعمل الإنسان متبعا لشعوره وأفكاره ووجدانه بمقتضى طبيعته دون تلقى شيء من غيره، فهذا جهل، لا يقره دين ولا عقل، وفوضى لا يستقيم معها أمر " محمد رشيد بن علي رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، ص: 174-175 باختصار

² - متفق عليه، سبق تخريجه.

³ - مجموع الفتاوى، 4/ 247.

⁴ - اختلف أهل العلم في تحديد معنى الفطرة الوارد في الآية والحديث، وقد عرض الإمام القرطبي لأقوالهم في بيان هذا المفهوم مرجحا لمعنى الإسلام فقال: " اختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة، منها الإسلام، قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما، قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل، واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة.. وقال آخرون: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها، أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ..

وقالت فرقة: ليس المراد بقوله تعالى: " فطر الناس عليها" ولا قوله عليه السلام: (كل مولود يولد على الفطرة) العموم، وإنما المراد بالناس المؤمنون، إذا لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد..

وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة.. قلت: وهذا القول مع القول الأول موافق له في المعنى، وأن ذلك بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا، وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة" تفسير القرطبي، 14/ 25-29.

وقال أيضا: " وسميت الفطرة دينا لأن الناس يخلقون له، قال عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} { سورة الذاريات/ 56" تفسير القرطبي، 14/ 24.

فالله تعالى فطر خلقه على توحيده وعبوديته، فجاءتهم الشياطين الإنسية والجنية فاجتالتهن عن دينهم فاستجابوا لهم وامتنعوا عن طاعة الرسل واتباعهم، وأبوا إلا أن يشركوا بالله، قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ } سورة الأعراف/172.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: { فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } سورة الروم/30. ³

وقوله صلى الله عليه وسلم (تَنْتُجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ) أي كما تولد البهيمة مجتمعة الأعضاء وسليمة من النقص، وما يحدث لها من قطع الأذن أو غيرها فيكون بعد ولادتها⁴ . وهكذا فإن كل إنسان يولد مفطورا على الإسلام، وأي انحراف عن الإسلام فهو خروج عن الفطرة ولا شك، ولذلك فإننا لا نجد شيئا من تعاليم الإسلام يخالف الفطرة قط، بل كل الأحكام العقدية والعملية موافقة للفطرة السليمة السوية، أما ما سوى الإسلام من أديان واعتقادات فتشتمل على ما يخالف الفطرة، وهذا أمر ظاهر بين عند التأمل والتدبر.⁵

إن هذا الدين جاء ليخاطب الفطرة بما يوافقها، لا بما يتنافى معها أو يعارضها⁶، ولا أدل على ذلك من كون الإنسان إذا أعمل النظر المجرد واستفتى قلبه يجد نفسه وجها لوجه أمام الشريعة، يجذب إليها بالفطرة، وينجر

وقال ابن حجر : " ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: { فِطْرَتُ اللَّهِ }، لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بلزومها، فعلم أنها الإسلام " فتح الباري، 248/3.

¹ - قال الراغب (ت 502هـ): " وفِطْرَةُ الله: هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان ". المفردات، مادة (فطر) ص: 640
وقال الفيروز آبادي (ت 817هـ): " كل مولود يولد على الفطرة، أي: على الجبلة القابلة لدين الحق ". تفسير الفيروزآبادي(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، 200/4.

² - صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، الحديث 2865، 2197/4.

³ - تفسير ابن كثير، 500/3.

⁴ - شرح النووي على صحيح مسلم، 209/16 بتصرف.

⁵ - لذلك فلا فرق بين ملة من ملل الكفر وملة أخرى، فالكل سواء في مخالفة فطرة الله التي فطر الناس عليها، قال الله تعالى: { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } البقرة/ 120 ، وقال عز وجل: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون/ 1 - 6.

قال ابن عثيمين (ت 1421هـ) رحمه الله: " الكفر ملة واحدة؛ لقوله تعالى: { مِلَّتَهُمْ } ؛ وهو باعتبار مضادة الإسلام ملة واحدة؛ أما باعتبار أنواعه فإنه ملل: اليهودية ملة؛ والنصرانية ملة؛ والبوذية ملة؛ وهكذا بقية الملل؛ ولكن كل هذه الملل باعتبار مضادة الإسلام تعتبر ملة واحدة؛ لأنه يصدق عليها اسم الكفر؛ فتكون جنساً، والملتك أنواعاً. " محمد بن صالح العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 32/2.

⁶ - ومن هنا كانت تشريعات وأحكام الإسلام مراعية تماماً لطبيعة الإنسان الذي وُضِعَتْ لأجله. فالإنسان مخلوق: فيه نوازع الخير ونوازع الشر ، فيه طبيعة روحانية من نور الله، وطبيعة مادية طينية.. يحتاج إلى ما يُغذي روحه وعقله، كما يحتاج إلى ما يُغذي جسمه وبدنه. ثم إنها راعت كذلك ضعف الإنسان، وكونه عُرضَةً للأغيار، حيث يمرض ويصح ، وينشط ويَفُتِر ، وينتبه ويغفل، ويملك إرادته أحياناً، ويفقدها أخرى... إلى آخر معالم وسمات هذه الطبيعة الإنسانية التي أحاط بدقائقها وكلياتها، وخفيها وجليها خالق الإنسان، ومُشرَعُ الإسلام سبحانه وتعالى. أنظر: خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، مرجع سابق، ص: 75-76 بتصرف

إليها بالغريزة التي لا تخطئ، فإذا هو يطمئن إليها بقلبه، وترتاح لها نفسه، وهو مصداق ما رواه أحمد و الدرامي عن وابصة بن معبد الأسدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: « جئت تسألني عن البر والإثم » فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري، ويقول: « يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك (ثلاث مرات)، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك »¹. قال ابن رشد (ت 595هـ) رحمه الله: " إذا كانت هذه الشريعة حقاً وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإننا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له"².

إن الإسلام في تشريعاته وأحكامه يأخذ بالاعتبار الفطرة الإنسانية بكل طاقاتها واستعداداتها، وقوتها و ضعفها، وظروفها وأحوالها، و ما هي في حاجة إليه، وما ينبغي أن تكون عليه، فلم يكلفها بما لا تطيق، ولم يطلب منها الإيمان بما فوق العقل أو بما يناقضه، ولم ينزل بها عن درجة الكرامة والعزة. فالإسلام يراعي فطرة الإنسان، وطاقاته المحدودة، و واقعه المادي البيئي، يقول سيد قطب: " إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية؛ وفي حدود الواقع المادي حينما يتسلم مقاليدهم، ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة.

ومميزته الأساسية: أنه لا يغفل لحظة، في أية خطوة وفي أية خطوة عن فطرة الإنسان وحدود طاقته، وواقع حياته المادي أيضاً. وأنه - في الوقت ذاته - يبلغ به - كما تحقق ذلك فعلاً في بعض الفترات، وكما يمكن أن يتحقق دائماً كلما بذلت محاولة جادة... إلى ما لم يبلغه أي منهج آخر من صنع البشر على الإطلاق. وفي يسر وراحة وطمأنينة واعتدال."³

ويعتبر اليسر والسهولة ورفع الحرج عن المكلفين أبرز مظاهر مراعاة الشريعة الإسلامية لفطرة الإنسان وتكوينه البشري، سواء أكان هذا فيما يتصل بالعقائد، أم بالعبادات، أم بالمعاملات، قال الله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } سورة البقرة/286، وقال جل شأنه: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا } سورة الطلاق/7. وقال سبحانه: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } سورة الحج/78.

وقد عالج فقهاء المسلمين قضية رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، وبحثوا ما يتصل بها من قواعد، وما يتفرع عنها من مبادئ، ويُسْتَنْبَط من أحكام، مثل قاعدة: المشقة تجلب التيسير، والتي من فروعها جميع الرخص التي شرعها الله تعالى تخفيفاً على عباده، إذا عرض ما يقتضي التخفيف، وقاعدة: الحرج مرفوع شرعاً، والحاجة تُنْزَل

¹ - رواه أحمد في المسند، الحديث 18006، 29/ 532، و الدارمي في سننه، كتاب البيوع، باب: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك الحديث 2575، 3/ 1649، وحسنه لغیره الشيخ الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب "، الحديث 1734، مكتبة المعارف - الرياض الطبعة: الخامسة، دون تاريخ، 2/ 151.

² - ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة: الثانية، دون تاريخ، ص: 31-32.

³ - سيد قطب، هذا الدين، دار الشروق، الطبعة: التاسعة 1407هـ - 1987م، ص: 6.

منزلة الضرورات في إباحة المحظورات، ونحوها من قواعد وما يتفرع عنها من فروع واستنباطات فقهية، تُجَلَّى سماحة الإسلام ويُسرّه، وسهولة الالتزام بتشريعاته ونظمه.¹

ونختّم حديثنا عن هذه الخصائص الحضارية لرسالة الإسلام بنص جامع لمزايا الدين الإسلامي عن غيره من الملل والنحل والمذاهب، يلخص لنا عظمة هذا الدين وحاجة الناس جميعاً إليه في كل زمان ومكان، قال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي: يعجبني أن يكتب بماء الذهب وفي سويداء القلوب ما قاله عبد الفتاح الإمام في كتابه (التفسير العصري القديم) - ما يلي:

- 1 - لا يوجد دين من الأديان يؤاخي العقل والعلم في كل ميدان إلا الإسلام.
- 2 - ولا يوجد دين روحي مادي إلا الإسلام.
- 3 - ولا يوجد دين يدعو إلى الحضارة والعمران إلا الإسلام.
- 4 - ولا يوجد دين شهد له فلاسفة العالم المتحضر إلا الإسلام.
- 5 - ولا يوجد دين يسهل إثباته بالتجربة إلا الإسلام.
- 6 - ولا يوجد دين من أصوله الإيمان بجميع الرسل والأنبياء والكتب الإلهية إلا الإسلام.
- 7 - ولا يوجد دين جامع لجميع ما يحتاجه البشر إلا الإسلام.
- 8 - ولا يوجد دين فيه من المرونة واليسر الشيء الكثير إلا الإسلام.
- 9 - ولا يوجد دين تشهد له الاكتشافات العلمية إلا الإسلام.
- 10 - ولا يوجد دين صالح لكل الأم والأزمان إلا الإسلام.
- 11 - ولا يوجد دين يسهل العمل به في كل حال إلا الإسلام.
- 12 - ولا يوجد دين لا إفراط فيه ولا تفريط إلا الإسلام.
- 13 - ولا يوجد دين حفظ كتابه المقدس إلا الإسلام.
- 14 - ولا يوجد دين صرح كتابه المنزل بأنه عام لكل الناس إلا الإسلام.
- 15 - ولا يوجد دين يأمر بجميع العلوم النافعة إلا الإسلام.
- 16 - الحضارة الحاضرة قيس من الإسلام.
- 17 - هذه الحضارة مريضة ولا علاج لها إلا الإسلام.
- 18 - ما شهد التاريخ حضارة جمعت بين الروح والمادة إلا حضارة الإسلام.
- 19 - السلام العالمي لا يتم إلا بالإسلام.
- 20 - لا يوجد دين يسهل إثباته بالتحليل العلمي إلا الإسلام.
- 21 - لا يوجد دين وحد قانون المعاملات بين البشر إلا الإسلام.
- 22 - لا يوجد دين أزال امتياز الطبقات إلا الإسلام.
- 23 - لا يوجد دين حقق العدالة الاجتماعية إلا الإسلام.

¹ - يراجع في هذا - على سبيل المثال - ما ذكره الشيخ عبد الوهاب خلاف (ت 1375هـ) في كتابه : علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم)، ص: 207 وما بعدها.

- 24 - لا يوجد دين لا يشذ عن الفطرة في شيء إلا الإسلام.
- 25 - لا يوجد دين منع استبداد الحكام وأمر بالشورى إلا الإسلام.
- 26 - لا يوجد دين أمر بالعدالة مع الأعداء إلا الإسلام.
- 27 - لا يوجد دين بشرت به الكتب السماوية إلا الإسلام.
- 28 - لا يوجد دين أنقذ المرأة في أدوارها: أما وزوجة وبنات إلا الإسلام.
- 29 - لا يوجد دين ساوى بين الأبيض والأسود والأصفر والأحمر إلا الإسلام.
- 30 - لا يوجد دين أمر بالتعليم وحرم كتمان العلم النافع إلا الإسلام.
- 31 - لا يوجد دين قرر الحقوق الدولية إلا الإسلام.
- 32 - لا يوجد دين توافق أوامره ما اكتشفه الطب الحديث إلا الإسلام.
- 33 - لا يوجد دين أنقذ الرقيق من المعاملات الوحشية وأمر بمساواته لساتته وحض على إعتاقه إلا الإسلام.
- 34 - لا يوجد دين قرر سيادة العقل والخضوع لحكمه إلا الإسلام.
- 35 - لا يوجد دين ينقذ الفقراء والأغنياء بفرض جزء من مال الأغنياء يعطى للفقراء إلا الإسلام.
- 36 - لا يوجد دين قرر من الأخلاق مقتضى الفطرة والحكمة الإلهية، فللشدة موقف وللرحمة موقف إلا الإسلام.
- 37 - لا يوجد دين أمر بالإحسان والرفق بجميع الخلق إلا الإسلام.
- 38 - لا يوجد دين قرر أصول الحقوق المدنية على قواعد فطرية إلا الإسلام.
- 39 - لا يوجد دين اعتنى بصحة الإنسان وثروته إلا الإسلام.
- 40 - لا يوجد دين أثر في النفوس والأخلاق والعقول كالإسلام¹.

¹ - الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب - أحمد بن حجر آل بوطامي - ص 117-119، نقلا عن كمال الدين الإسلامى، عبد الله بن جار الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ، ص: 82-86.

المطلب الثاني: القيم الحضارية في رسالة الإسلام

تعد القيم حلقة الوصل بين الحضارة والثقافة، فهي بمثابة الجسر الذي يربط العلم بالحضارة، إذ تقوم على تكريم الإنسان، واحترام عقله وتفكيره، وتحثه على التحلي بالأخلاق، وترك المفاصد، فهي تلعب دوراً مهماً جداً في بناء الحضارات، وتقدمها، وازدهارها، كما أن التحلي عنها يؤدي إلى ضعف الحضارة، وتراجعها. وفي هذا المطلب سوف نتحدث حول الله عن مفهوم القيم والحضارة، أفراداً وتركيباً، لغة واصطلاحاً، بالإضافة إلى تسليط الضوء على أساسيات القيم الحضارية في الإسلام، دون الدخول في التفاصيل.

1) التعريف بمصطلحي القيمة والحضارة:

القيمة في اللغة واحدة القيم، وهي ثمن الشيء بالتقويم، والاستقامة: التقويم، لقول أهل مكة: **اسْتَقَمْتُ** المتاع أي **قَوَّمْتُهُ**، وفي الحديث: أن الصحابة قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: "لو **قَوَّمْتُ** لنا سعرنا"، قال: إن الله هو **المُقَوِّمُ** ¹، أي لو سعرت لنا وحددت لنا قيمة الأشياء ²، والقيمة: قيمة الشيء، وقدره، وقيمة المتاع: ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة: أي ما له ثبات ودوام على الأمر ³. وهي في الإنكليزية "Value"، وفي الفرنسية "Valeur" ⁴.

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للقيمة عن المعنى اللغوي، فهي تعني في الاصطلاح الفقهي: "القيمة ما قُومَ به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان" ⁵. وعرفها الدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب بقوله: "القيم مفهوم جامع لكثير من المعاني والدلالات، يطلق على كل ما من شأنه أن يمثل معياراً وميزاناً يتحرك من خلاله الإنسان ويتصرف، وعياً وسعياً، بوحى من إشاراته وتوجيهاته، بحيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات، وبه يكون لهذه الحركة قدرها وفاعليتها" ⁶. أما في علم الاجتماع فالقيمة: فهي كل ما يعتبر جديراً باهتمام الفرد وعنايته ونشده لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو سيكولوجية الخ... والقيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه. وتختلف القيم باختلاف المجتمعات وقد تكون إيجابية أو سلبية كالتمسك بمبدأ من المبادئ أو بالعكس احتقاره والرغبة في البعد عنه ⁷. ونلاحظ في هذا التعريف أن علم الاجتماع الحديث يرى أن القيم هي ثمرة التفاعل الاجتماعي البشري وحده، ومن

¹ - مسند الإمام أحمد، الحديث 11809، 328/18، قال محققو المسند: حديث صحيح لغيره.

² - زين الدين الرازي، مختار الصحاح، مادة (ق و م) ص: 262، لسان العرب، مادة (ق و م)، 500/12.

³ - المعجم الوسيط، مادة (قام) 768 / 2.

⁴ - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان بيروت، دون طبعة، 1982م، ص: 438.

⁵ - حاشية ابن عابدين، 4 / 575.

⁶ - محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية: نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة، العدد 139، رمضان 1431هـ، غشت 2010م، السنة 30، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة - قطر، ص: 20.

⁷ - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص: 438.

ثم فلا اعتبار للمصدر الإلهي في تكوين القيم، وهذا تجاهل كبير وخطأ فادح، ففي المجتمع الإسلامي نرى أن للوحي أثرا مهما في صياغة قيم المجتمع.

وأما مفهوم (الحَضارة) في أصله اللغوي فهو من مادة (حضر)، و " الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، ووروده ومشاهدته."¹ وهو الأصل الوارد في القرآن كقوله تعالى { كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ } سورة البقرة/180، وقوله تعالى: { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا }، سورة آل عمران/30، أي مشاهدا لديها مكشوفاً عندها²، وعلى هذا أصل الباب، فيقال : حضر يحضرُ حضوراً وحضارةً، من الحضور، نقيض المغيب³ والغيبية... وكلمته بِحَضَرَةٍ فَلَانٍ وبِمَحْضَرٍ مِنْهُ أي بِمَشْهَدٍ مِنْهُ.⁴ والحَضَرُ: خلافُ البَدْو، والحاضرة خلاف البادية.⁵

والحضارة: الإقامة في الحَضَر؛ وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: الْحَضَارَةُ، بِالْفَتْحِ؛ قَالَ الْقُطَامِيُّ: فَمَنْ تَكُنَ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ، ... فَأَيُّ رَجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا⁶.

مما تقدم يمكن القول بأن استخدام كلمة حضارة في اللغة ارتبط بدلالة مكانية، تحمل في بعض مجالاتها معنى الحركة المقصودة والخير، كما في قولهم: " رجل حضر إذا حضر بخير".⁷ وقد تطورت هذه الدلالة المكانية - أي الإقامة في الحضر التي وردت في أصل كلمة الحضارة - واتسعت في الفكر الإسلامي بتطور الدولة ونهضتها في شتى شؤون الحياة من علوم وعمران وثقافة، " ولعل ابن خلدون(ت808هـ) هو خير من أسهم في تطوير كلمة الحضارة في أصلها اللغوي العام وصاغها مصطلحا اجتماعيا واضحا،"⁸ وذلك حين قال: " الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة زيادة تتفاوت بتفاوت الرّفه وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتاً غير منحصر"⁹. فابن خلدون قد بين أن الحضارة لا تظهر إلا في المدن والقرى، وأنها غاية العمران البشري، وأنها تتصل بالتقنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه، وسائر فنونه¹⁰. كما ذهب إلى أن تعلم أصناف العلوم طبيعية أو نقلية وازدهارها، ورواج الصنائع وحذق الصنائع فيها إنما يكثر حين يكثر العمران وتعظم الحضارة¹¹.

¹ - معجم مقاييس اللغة، مادة (حضر) 75/2.

² - محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية، ص: 21.

³ - المحكم والمحيط الأعظم، مادة (الْحَاءُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ)، 3/ 121.

⁴ - لسان العرب، مادة (حضر) 196/4.

⁵ - معجم العين، مادة (حضر) 101/3-102.

⁶ - لسان العرب، مادة (حضر) 197/4.

⁷ - تهذيب اللغة، مادة (حضر)، 120/4.

⁸ - محمد عياد قرييع، القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، المجلة الجامعة - العدد السابع، 2005م، ص: 163.

⁹ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ- 1988م، ص: 461.

¹⁰ - نفس المصدر، ص: 465.

¹¹ - نفس المصدر، ص: 548-549.

وبذلك يكون ابن خلدون قد أتى على جانبي الحضارة المادي والمعنوي.

أما في العصر الحديث، فقد أطلقت كلمة الحضارة على كل ما يتصل بالتقدم والرفي الإنساني في المجالات المختلفة، وإلى هذه الدلالة ذهب " ويل ديورانت " في تعريف الحضارة بأنها: " نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمّن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها."¹

الملاحظ على هذا التعريف غياب مكون الدين من عناصر الحضارة، وهذا مرده إلى اختلاف المرجعيات، فحين تختلف النظرة إلى غاية الوجود الإنساني تختلف النظرة إلى الحضارة.

أما في المرجعية الإسلامية، فإن المفهوم الإسلامي للحضارة - كما يقول الأستاذ محمد قطب - " هو مفهوم العبادة .. هو تحقيق غاية الوجود الإنساني التي حددها قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } سورة الذاريات/56.

هذه هي الغاية .. وذلك هو المعيار ..

تحقيق غاية الوجود الإنساني هو الذي تنشأ عنه الحضارة في الواقع البشري. وهو المعيار الذي تقوم به صعودا أو هبوطا، واستقامة أو انحرافا."²

ويرى الدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب أن مفهوم الحضارة - باعتبار اشتقاقه من مطلق الحضور - يصبح معنى حياديا، أي لا يحمل معنى قيميا في ذاته وأصل بنائه، فلا يدل على رقي أو غيره، ومن ثم يصبح لكل حضارة تعريفها الخاص بها، وأن ما يميز أية حضارة ليس هو جملة المعارف والصنائع التي تحدثها، بقدر ما هو جملة المعايير والموازين القيم التي تحيط بهذه المعارف والصنائع وتوجهها.³

ووفقا لهذا الأصل عرف الحضارة الإسلامية بقوله: " كل حضور يسعى إلى «تحريك»⁴ الحياة « وفق رؤية الإسلام للإنسان والكون والحياة، ومقاصده في «تحريك الحياة»، ومن خلال نموذج المعرفي الخاص به، والقائم على : وصل الإنسان بربه، وكذلك وصل الإنسان بأخيه الإنسان، ثم الاستقامة في التعامل مع مفردات الكون انتقاعا واستثمارة وانتمانا "⁵.

¹ - قصة الحضارة، 3/1.

² - محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، بيروت - القاهرة، الطبعة الثامنة 1415هـ - 1994م، ص: 338.

³ - أنظر: قيم الإسلام الحضارية، ص: 21-22.

⁴ - سبق وأن قلنا إن كلمة حضارة في اللغة ارتبطت بدلالة مكانية، تحمل في بعض مجالاتها معنى الحركة المقصودة والخير، كما في قولهم:

قولهم: " رجل حَضِرَ إذا حضر بِخَيْرٍ."

⁵ - قيم الإسلام الحضارية، ص: 22.

أما مفهوم القيم الحضارية، فقد عرفها بعض الباحثين بأنها تلك المثل الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية والأخلاقية الجديرة بالاهتمام، لما لها من مزايا تجعلها تحظى بالتقدير¹، أو أنها جملة المبادئ والأخلاق والأحكام والتعاليم والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي تميز حضارة ما، وتبين قدرها، وتنظم علاقاتها؛ وتستمد من الأديان السماوية، والمذاهب الوضعية، أو العرف والعادة، ويتوأسى بها المجتمع، وتتوارثها الأجيال، وتجاهد في سبيلها².

ومما يلاحظ على هذه التعاريف أنها حاولت أن تلم في حدودها كل شيء، كما أن مصدر القيم الحضارية لا يمكن الإشارة إليه بهذا الخلط، فلكل أمة مصدر قيمها الخاص بها، حيث تختلف القيم باختلاف الحضارات التي تتبناها، فالحضارة الإسلامية تستمد قيمها من دينها ومما لا يتعارض معه، أما الحضارة التي تسيطر عليها النظم المادية فتتأثر قيمها بذلك، فتقل الجوانب الروحية فيها.

وإذا كانت ثمة حضارات تصطنع تناقضاً بين الجانب الروحي أو المعنوي، والجانب المادي من الحضارة؛ بحيث تُغلب هذه الحضارة أو تلك أحد الجانبين على الآخر؛ فإن الإسلام يجمع بينهما في تكامل، وإن كان يقرر أولوية الجانب الروحي، ويعطيه درجة أعلى من الجانب الآخر.. ومن هنا تأتي أهمية القيم في الحضارة الإسلامية.

يقول الأستاذ محمد قطب: " إن استخلاص الطاقات الكونية - على ضرورته - ليس هو أهم ما يقوم به الإنسان على الأرض، ولو وصل به إلى القمر أو إلى المريخ. إنما (الأهم) من ذلك هو الغاية الكامنة وراءه، والأسلوب الذي يتم به والمنهج الذي يحكمه".

ثم يشير إلى خطأ من يفهم أن المراد من كلمة (الأهم) هو (البديل)، أي أن يضع القيم المعنوية بديلاً عن القيم المادية؛ ويضيف: " لا يقول بهذا عاقل؛ فالقيم المعنوية وحدها لا تملأ المعدات الخاوية إن لم يكن هناك خبز؛ ولا تُسير السيارات والقطارات والطائرات إن لم يكن هناك وقود؛ ولا تصنع المدفع والدبابة والصاروخ إن لم تكن هناك مصانع وآلات. تلك بديهية لا يحتاج الإنسان لذكرها؛ ولكن هناك بديهية مقابلة.. هي أن الخبز والوقود والمصانع والآلات والسيارات والقطارات والصواريخ والدبابات والمدافع وحدها، لا تصنع حضارة، ولا إنساناً متحضرًا، ولا عمارة حقيقة للأرض؛ لأنها - وحدها - بدون القيم تؤدي إلى الخراب".

ويؤكد قطب حقيقة مهمة، هي: " إن الإنسان - بكل الإنتاج المادي الذي ينتجه - يمكن أن يهبط أسفل سافلين؛ إذا تخلى عن القيم التي تجعل الإنسان إنساناً، وترفعه عن مستوى الحيوان"³.

¹ - محمد عياد قريع، القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، مرجع سابق ص: 162.

² - محمد بشير محمد البشير، القيم الحضارية : مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية، مجلة دراسات دعوية، العدد 15 المحرم 1429 هـ، يناير 2008 م، ص: 7.

³ - مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص: 346-347.

إذن نخلص إلى أن الحضارة لا تقوم على القيم المادية فقط، أو الروحية فقط، من هنا نجد أن الحضارة الحديثة لم تصل بالإنسان إلى السعادة والاستقرار، بل افتقدت العديد من القيم الإنسانية، على عكس الحضارة الإسلامية التي جمعت بين القيم الروحية والمادية.

(2) القيم الحضارية في رسالة الإسلام:

جاء الإسلام بما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم وفي عباداتهم ومعاملاتهم وفي شتى المجالات ومختلف نواحي الحياة، فهو منهج للحياة البشرية بكل مقوماتها، وقد اشتمل على المبادئ الراقية والأخلاق والنظم العادلة والأسس الكاملة، ولذلك فالعالم البشري مفتقر بأجمعه إلى أن يأوي إلى ظله الظليل، ذلك لأنه المبدأ النافع للبشر، فيه حل جميع مشكلات الحياة، فعقائده أصح العقائد وأصلحها للقلوب والأرواح، وأخلاقه أحسن الأخلاق، فما من خلق فاضل إلا أمر به، ولا خلق سيئ إلا نهى عنه، لهذا كانت القاعدة الكبرى لهذا الدين: رعاية المصالح كلها ودفع المفساد، فهو يسائر الحياة وركب الحضارة¹.

وتشمل منظومة القيم الحاكمة، حسب رؤية الدكتور طه العلواني ثلاث قيم أساسية هي : التوحيد، والتزكية، والعمران؛ فلا معنى للدين الإلهي بغير توحيد الله الخالق، وتزكية الإنسان المخلوق، لتمكينه من حمل أمانة الخلافة في الكون، وعُمران هذا الكون وبناء الحضارة فيه².

ومن هذه المنظومة، التي تبدأ بتوحيد الخالق، ثم بتزكية الإنسان، وتعمير الكون، تتفرع كل القيم الأخرى التي جاء بها الإسلام لهداية الناس وإصلاح شؤونهم، لذلك يمكننا أن نصنف هذه القيم في مجموعات كبرى: القيم الروحية، والعقلية، والاجتماعية، والإنسانية.

¹ - عبد الله بن جار الله، كمال الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص: 37، بتصرف.

بيان ذلك أنّ الإسلام قد أمر بكلّ خير ونهى عن كلّ شرّ، وأمر بسائر الآداب ومحاسن الأخلاق مثل الصدق والحلم والأناة والزّفق والتواضع والحياء والوفاء بالوعد والوقار والرحمة والعدل والشّجاعة والصّبر والألفة والقناعة والعفة والإحسان والسّماحة والأمانة والشكر على المعروف وكظم الغيظ، ويأمر ببرّ الوالدين وصلة الرّحم وإغاثة الملهوف والإحسان إلى الجار وحفظ مال اليتيم ورعايته ورحمة الصغير واحترام الكبير والزّفق بالخدم والحيوانات وإماطة الأذى عن الطريق والكلمة الطيبة والعفو والصّفح عند المقدرة ونصيحة المسلم لأخيه المسلم وقضاء حوائج المسلمين وإنظار المعسر والإيثار والمواساة والتعزية والتبسم في وجوه الناس وإغاثة الملهوف وعيادة المريض ونصرة المظلوم والهدية بين الأصحاب وإكرام الضيف ومعاشرة الزوجة بالمعروف والإنفاق عليها وعلى الأولاد وإفشاء التحية وهي السّلام والاستئذان قبل الدخول إلى البيوت حتى لا يرى الإنسان عورات أصحاب البيت.

وإذا كان بعض غير المسلمين يفعلون بعض هذه الأمور فإنما يفعلونها من باب الآداب العامة لكنهم لا يرجون جزاء ولا ثواباً من الله ولا فوزاً ولا فلاحاً يوم القيامة.

وإذا جئنا إلى ما نهى الإسلام عنه لوجدناه في مصلحة الفرد والمجتمع وكلّ النواهي لحماية العلاقة بين الربّ والعبد وبين الإنسان ونفسه وبين الإنسان وبني جنسه.

² - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند- فرجينيا - الطبعة الأولى 1434هـ - 2013م، ص: 23.

أولاً : القيم الروحية

أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام شريعة كاملة شاملة لم تدع جانباً من جوانب الحياة وسلوك الناس إلا وتطرقت إليه ووضعت له المنهج الصحيح، والأسلوب المناسب الذي يضمن للإنسان أن تسير حياته وفق ما أراد الله تعالى، وبما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن خصائص الشريعة الإسلامية أنها ركزت على القيم الروحية بالإضافة إلى عدم إغفالها المادة كمتطلب أساسي للحياة، فالتناسي يحتاجون إلى القيم الروحية التي تضبط سلوكهم الإنساني، كما يحتاجون إلى الطعام والشراب والمادة التي تضمن لهم البقاء والاستمرار في أداء أدوارهم في الحياة.

وعلى رأس هذه القيم الروحية الكبرى، قيمة التوحيد: توحيد إله واحد خالق لهذا العالم، مدبر له، يريد بالإنسان الهدى والخير، ويرسم له طريق الصلاح، ويحذره من السير في طريق الفساد، ويذكره بما وعد به عباده المتقين من جنات تجري من تحتها الأنهار، وما توعد به الكفار والمشركين والمفسدين من عذاب شديد في نار جهنم، وبئس المصير.

فالتوحيد كان دائماً أساس دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء والرسل، قال عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } سورة الأنبياء/25.

" والإيمان بوحداية الله سبحانه وتعالى أهم أصول العقيدة الإسلامية، فلا عبودية لغير الله، والله ليس إله فريق معين من الناس، بل هو رب العالمين، بل هو رب كل شيء في الكون، وعلمه محيط بكل شيء، وقدرته تبسط سلطانها على كل ما في العالم، وهو برغم قدرته وسلطانها وعقابه للمجرمين رحيم بعباده."¹

إن الأساس الذي تدور عليه الشريعة الإسلامية: أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة، تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها، إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } سورة البقرة/ 21.

" ولا شك في أن حضور علاقة الخالق الواحد سبحانه، في قلب الإنسان وعقله، حياً لله، وتعظيماً لأحكامه، وانقياداً لشرعه، يثمر في ضبط مشاعر الإنسان وأهوائه وشهوته، وينزع أسباب الفرقة والانقسام والفتنة فيما بين المؤمنين، ومن ثم يجتمع أبناء الأمة على عقيدة التوحيد."²

وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعاً، فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلن تُحل ولن يتحقق إصلاح.

¹ - محمد عياد قريع، القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، مرجع سابق ص: 169.

² - فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا، مرجع سابق، ص: 31-32.

ومن أهم القيم الروحية التي جاء بها الإسلام واضحة مؤكدة عقيدة المعاد¹، فالناس جميعا مبعوثون بعد موتهم ليحاسب كل على أعماله، ف " قد لا تتحقق العدالة في هذه الحياة، فتأتي الحياة الآخرة مكملّة للحياة الدنيا، ويكون فيها الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، ويكون فيها العدل في الحساب بين الناس، فيُنصّف المظلوم من الظالم، ويُعاقب الظالم بظلمه، ويُجازى الناس على سعيهم بالعدل الإلهي المطلق".²

فالإيمان بيوم الدين كلّية من كليات العقيدة الإسلامية، لها آثار طيبة على نفس الإنسان وحياته وسلوكه في الدنيا، لأنه يجعل الإنسان يعلق نظره ورجاءه بالله تعالى في عالم آخر بعد عالم الأرض، فلا تستبد به ضرورات الحياة الدنيا، ولا يستبد به القلق على تحقيق جزاء سعيه في عمره القصير المحدود، وبذلك يملك القوة على العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يقدره الله، في طمأنينة وثقة ويقين في الله، وفي إصرار على الحق ولو كان مرأً. ومن ثم فإن الإيمان باليوم الآخر يمثل مفرق الطريق في حياة الإنسان بين العبودية للنزوات والشهوات، وبين التعلق بالقيم الروحانية والاستعلاء على القيم الأرضية.

وبجانب أصول العقيدة، شرع الله أعمالاً من العبادات يجب على المسلم أدائها تحقيقاً لمعنى العبودية التي خلق الإنسان لإجلها، قال عز وجل: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } سورة الذاريات/56، وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم لأقوامهم: { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } سورة الأعراف/59-65-73-85.

والعبادات في الإسلام ليست مقصورة على الصلاة وحدها أو أداء الزكاة أو فريضة الصيام أو الحج، وإنما تمتاز العبادات في الإسلام بشمولها، فهي تشمل كل قول أو عمل أو سلوك يرضي الله، بل إن الإسلام يعتبر كل عمل مفيد - إن كان صادراً بدافع إلهي خالص - عبادة لله. ولذلك فإنه يعتبر طلب العلم عبادة، وطلب الحلال عبادة، والخدمات الاجتماعية عبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ): " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

¹ - " معناه التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة. وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزع وتفصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراف والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل. " حافظ الحكمي، أعلام السنة المنشورة، ص: 55.

² - منظومة القيم العليا، مرجع سابق، ص: 37.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له¹.

ومن هذا البيان الرائع، والتفصيل الممتع الذي ذكره الإمام ابن تيمية، يظهر لنا أثر العبادات في الأفراد والجماعات، أما أثرها في الأفراد فيتمثل في تقويم أخلاقهم، وتركيز نفوسهم وتطهيرهم من الغرائز السفلى، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية أوصى الله عباده بالفضائل وحذرهم من الرذائل.

وأما أثر العبادات في الجماعات، فيظهر في بناء علاقتها على أسس راسخة من العدل والإخاء والإحسان، والإيثار، والبر والرحمة، والتعاون على جلب الخير، ودفع الضرر.

إن الإسلام في " تحريك الحياة " يلزم أفراد ومؤسساته، بحشد من القيم والمعايير والضوابط، أو (الآداب الشرعية) التي تمثل (مدونة) أخلاقية، والتي " هي أخلاق ربانية مستفادة من الوحي قولاً، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم اقتداء واتساء به، ومن ثم فأخلاق المسلم ينبغي أن تكون على مقتضى التخلق الرباني لا على مقتضى التخلق الاجتماعي الذي يستقيده الإنسان من سلوك من حوله، ولا مقتضى التخلق النفساني الذي يحدثه به ضميره².

هذه المنظومة الأخلاقية لا تجد لها نظيراً في تاريخ البشرية؛ حتى الأحكام الشرعية-التي تضبط حركة المسلم عبادة ومعاملة- فإنها لا تنفك عن القيم الأخلاقية، " فجانبتها الأخلاقي يؤسس الجانب الفقهي، كما أن جانبها الفقهي يوجه الجانب الأخلاقي"³، قال القاضي عياض(ت544هـ): " إن أحكام الشريعة - أوامر ونواهي- تقتضي حثاً على قرب من محاسن، وزجراً عن منكر وفواحش، وإباحة لما به مصالح هذا العالم وعمارة هذه الدار ببني آدم. وأبواب الفقه وتراجم كتبه كلها دائرة على هذه الكلمات⁴. وهذا ما يؤكد الإمام الشاطبي بقوله: " والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »"⁵، ويقول صلى الله عليه وسلم: « إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»¹.

¹ - ابن تيمية، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة 1426هـ - 2005م، ص: 44.

² - قيم الإسلام الحضارية، ص: 30 هامش 1.

³ - نفس المرجع، ص: 30.

⁴ - القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق الجزء 1: ابن تايوت الطنجي، 1965م، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى، 92/1.

⁵ - روى الإمام مالك بلاغا بلفظ: " بعثت لأتمم حسن الأخلاق " الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، الحديث 8، ص: 904، وصححه ابن عبد البر في التمهيد، 24/ 334، ورواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة؛ بلفظ " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "، باب حسن الخلق، الحديث 273، ص: 104، وصححه الألباني. ورواه أحمد في المسند، الحديث 8952، وصححه محقق المسند، 14/ 512.

⁶ - الموافقات، 2/ 124.

فالمقصود الشرعي من الرسالة، هو مقصود أخلاقي، " وقوله صلى الله عليه وسلم « لأتمم » إشارة طريفة إلى أن رسالة الإسلام القيمية رسالة استئناف واستصحاب ومواصلة، لا رسالة ابتداء وانقطاع، فهي تنظر إلى ما أبدعه الإنسان في كل زمان ومكان من قيم عظيمة، وأخلاق عالية تحقق "المقاصد الإنسانية" فتضمها مباشرة إلى منظومتها، ثم تواصل سيرها في هذا الكون الفسيح؛ بحثاً عن قيم حضارية سامية تتحقق بها إنسانية الإنسان وكرامته " ².

ثانياً: القيم العقلية

لقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً كبيراً، وأعلى من منزلته وقيّمته، ويكفي ما ورد في كتاب الله تعالى من الآيات الكريمة التي تؤكد هذه الأهمية وتلك المكانة، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } الإسراء/70، ومن المعلوم أن من أبرز ما فضل الله به الإنسان على سائر مخلوقاته العقل.

إن أول ما يشير إلى مكانة العقل في الإسلام هو اعتبار حفظه من الضروريات والمقاصد العامة الأساسية في دين الله تعالى، فمن المعلوم أن الضروريات الخمس الكبرى في الإسلام هي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهي بمثابة المقاصد العليا لهذا الدين الحنيف، والكليات العظمى التي لا بد من المحافظة عليها لاستمرار الحياة.

ومن يدقق في آيات القرآن الكريم يجد أنه اشتمل على عشرات الآيات التي تدعو إلى إعمال العقل بالنظر والتفكير والتدبر والتأمل والتي جاءت دائماً بصيغة المدح والثناء، ناهيك عن الحض والطلب، قال تعالى: { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } يونس/101، وقال تعالى: { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى } الروم/8.

كما يجد أن العقل في صيغته الإسمية لم يرد في القرآن مطلقاً، وكل ما ورد هو في صيغة الفعل: عقل، يعقل، نعقل، في الماضي، والمضارع، والمفرد، والجمع، وعدد هذه الألفاظ يقرب من الخمسين ³.

ناهيك عن الآيات التي تتصل بالعمليات العقلية كالتفكير والتدبر والتبصر والنظر بتمعن في آيات الله في الأنفس والآفاق، والتي لا يمكن حصرها من كثرتها في كتاب الله.

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في منزلة العقل ومكانته في كتاب الله: " والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به، والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية؛ بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من

¹ - أخرجه معمر بن راشد (ت153هـ) من حديث طلحة بن كريب الخزاعي في كتابه : الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، باب حسن الخلق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ، الحديث 20150، 11/ 143، والحاكم في المستدرک على الصحيحين من حديث سهل بن سعد، كتاب الإيمان، الحديث 152، ثم قال: « هذا حديث صحيح الإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه » 112/1، وصححه الألباني في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " الحديث 1378، 3/ 366.

² - قيم الإسلام الحضارية، ص: 31.

³ - انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 468-469.

معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله، وقبول الحجر عليه.¹

بل يكفي الإسلام تكريماً للعقل وإعلاء من شأنه أن جعله مناط التكليف، فلا يتوجه الخطاب الشرعي إلا للعقل من البشر، بينما يسقط التكليف وترتفع المسؤولية عن فاقد هذه النعمة الإلهية والجوهر الثمينة، ففي الحديث عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل ».²

وقد اشتمل النص القرآني على جميع معاني التفكير الإنساني، ودعا إلى إعمال العقل ونبذ التقليد والجمود، وعاب الله على من يعطلون عقولهم عن وظائفها، ولا يسخرونها في التفكير، سواء في آياته الشرعية، كما في قوله: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } سورة محمد/24، أو في آياته الكونية، كما في قوله: { وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } سورة يوسف/105. وفي المقابل أثنى الله سبحانه على أصحاب العقول، قال سبحانه: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } سورة العنكبوت/43، وقال عز وجل: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } سورة البقرة/179.

لذلك " كانت أول لبنة في بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية هي قوله تعالى: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } سورة العلق/1، فكانت مفتاح الحضارة الإنسانية العلمية الموصولة بالله سبحانه، خالق الإنسان، ومربيها، والمتصرف في أموره . فالقراءة فيها طريق لمعرفة الله تعالى، ومعرفة الإنسان، ومعرفة الكون، وهي معرفة مؤمنة، تبني ولا تهدم، تنفع ولا تضر، معرفة لخير الإنسانية لا لتدميرها، ومنذ ذلك اليوم المبارك أشرق نور الوحي على الأرض فأنارها بعد ظلمة، وأرسى القيم الحضارية الخالدة "³.

فالإسلام دعا إلى تنمية العقول بالحث على التعلم والاستزادة منه، لأن العلم زاد العقول، والنصوص الشرعية حافلة بالحث على طلب العلم، وبيان فضائله ومزاياه، والإشادة بأهل العلم ومنزلتهم. كما حث العلماء على إعمال العقول بالاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية في الحوادث والنوازل المستجدة، وذلك في مختلف الأزمنة والأمكنة، وفق ضوابط وشروط مذكورة في مواضعها، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر »⁴، فالعلم قيمة حضارية أعلى الإسلام شأنها من خلال امتداحها وذم نقيضها الجهل، { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } سورة الزمر/9.

¹ - عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، مؤسسة هنداوي، هاي ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، دون طبعة، 2020م، ص: 7.

² - سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا الحديث 4405، 4/ 245، وصححه الألباني.

³ - القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، مرجع سابق ص: 167.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، الحديث 6919، 6/ 2676.

لذا فإن الشريعة الإسلامية لا تقرض أي تعارض بين الدين وبين العلوم النافعة، بعكس ما كانت تفعل الكنيسة في افتراضها هذا التعارض في أوروبا قبل الثورة على سلطان الكنيسة، بل الشريعة الإسلامية تدعو إلى تلك العلوم وتحض عليها، وكلما كان العالم ملتزمًا بالإسلام كان أذكى عقلا فيها، وأعظم نفعًا للناس.¹

ثالثاً: القيم الاجتماعية

من الحقائق الثابتة التي أشار إليها العلامة عبد الرحمن ابنُ خلدون (ت808هـ) في مقدمته أن: " الاجتماع الإنسانيّ ضروريّ، ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدنيّ بالطبع²، أي: لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنيّة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران.^{3 1}؛ لذلك فهو دائماً يعيش في المجتمعات، ويسعى لإنشائها.

¹ - القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، مرجع سابق ص: 171-172.

2- تنسب هذه المقولة لأرسطو، مفادها أن الإنسان يميل إلى الجماعة، ويندفع إلى التجمع بفطرته، ويلتف حول أفراد جنسه ليكونوا مجتمعاً يلبي حاجاتهم، ويوفر لهم الضرورات، وفيه يتم التفاعل بين الفرد والجماعة على مختلف المستويات، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك في عدة آيات منها قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1]، وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: 13]. أنظر : إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تمييز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1434هـ-2013م، ص: 312.

3- هذا اصطلاح جديد استلهمه عبد الرحمن بن خلدون من هُذِي القرآن الكريم أسماء علمُ العُمران البشري. أنظر تاريخ ابن خلدون، ص: 54.

والعُمران لغة: ضدّ الخراب، وعَمَرَ النَّاسُ الْأَرْضَ يَعْمرُونَهَا عِمارةً، وهي عامرة معمورة ومنها العُمُران. واستعمر الله النَّاسَ لِيَعْمُرُوها، والله أَمَرَ الدُّنْيَا عَمَراناً فجعلها تعمر ثم يُخَرِّبُها. أنظر : كتاب العين، مادة (عمر)، 137/2، وجمهرة اللغة، مادة (عمر)، 2/ 773.

فالعمران هو مصدر من عَمَرَ الْأَرْضَ يَعْمرُها عِمارةً وَعُمُراناً، والألف والنون في العربية تقيد المبالغة، أي عمارة جيدة وكبيرة، وحين توجد عمارة جيدة ممتازة إما لسعتها أو ضخامتها أو غير ذلك تكون عمراناً، وكل الإنشاءات المعنوية والحسية التي يقوم بها الإنسان فيعبد بها الله تعالى ويقوم بوظيفة الخلافة كل ذلك عمران، وليس كل ما أنتجه البشر من إنشاءات مادية ومعنوية عمران إلا إذا كان على أسس القرآن، لأن العمران ضد الخراب... أما العمران في الاصطلاح فقد اقترحه ابن خلدون في مقمّمته؛ للدلالة على نمط الحياة بوجه عام، جاعلاً إيّاه أحد الخواصّ التي تميّز بها الإنسان عن سائر الحيوانات، فالعُمُرانُ عند ابن خلدون هو ما يسمى الآن "علم الاجتماع". محمد محمود كالو، فلسفة العُمُران الحضاري من منظور قرآني، مجلة مقاربات، إصدار المجلس الإسلامي السوري، العدد الأول، محرم 1439 هـ/ أكتوبر 2017م، ص: 51.

وقد عرفه ابن خلدون بقوله: " العمران وهو التَّسَاكن والتَّنَازُل في مصر أو حَلَّةً للأُنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التَّعَاوُن على المعاش ". والعُمران عند ابن خلدون نوعان : " منه ما يكون بدويًا وهو الَّذي يكون في الصَّوَاحي وفي الجبال وفي الحلّ المنتجة في القفار وأطراف الرَّمال، ومنه ما يكون حضريًا وهو الَّذي بالأُمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتَّحصن بجدرانها " تاريخ ابن خلدون، ص: 53.

وقد خصص الدكتور فتحي حسن ملكاوي فصلا كاملا بعنوان "العُمُرَانُ في منظُومة القيمِ العليا" من كتابه تناول فيه قيمة العُمُرَان، بوصفه مفهوماً مركزياً من مفاهيم القرآن الكريم بينا أهمية هذه القيمة الحضارية في رسالة الإسلام، ومما جاء في هذا الفصل قوله: " فالعُمُرَان قيمة تحدّد فقه العمل في الحياة الدنيا، ولا سيّما عمل المجتمع، المتعلق بنظم الإدارة والرعاية لشؤون الناس بتيسير سبل الحياة لهم، ورفع الحرج والمشقة عنهم. وكما يتجلى فقه العُمُرَان هذا في الجوانب المادية لحياة المجتمع، من أبنية وطرق، وزراعة وصناعة، يتجلى كذلك في الجوانب المعنوية لحياة المجتمع في استتباب الأمن، وإقامة العدل، وممارسة الشورى؛ فيكون شأن الخاصة من الأغنياء والحكام هو السهر على مصالح

وفي سَعْيِ الإنسانية لبناء المجتمعات، تَقَرَّر لديهم أَنَّهُ لا بُدَّ لهذا المجتمع من نظامٍ عام، ينضوي تحته أفرادُ هذا المجتمع، يحدّد حرياتهم، وينظم العلاقة بينهم، وتكون له مجموعة من القواعد والأعراف، تحمّد أو تذم عند أفرادِهِ، ولا شك أن هذه الأمور تُبْنَى على أساسٍ يكون بمنزلة القاعدة لها، وفي تقرير هذا النظام يقول ابن خلدون: " ثمَّ إنّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر وتمَّ عمران العالم بهم فلا بدَّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم"².

ولو نظرنا عبر العصور وعلى اختلاف الأمم، نجد أن كل أمة اتخذت أساساً لها - وهو ما يسمى الآن أيديولوجية - وبنت عليه قوانينها، والنظام الذي تسير بموجبه.

" فالرومان واليونان والفرس والعرب قبل الإسلام أقاموا مجتمعاتهم على أساس الجنس أو القبيلة أو السلالة أو الإقليم، وبنوا على هذا الأساس أباطيل كثيرة تولّد عنها الظلم والبغي وإهدار كرامة الإنسان"³.

فعلى سبيل المثال: " كانت الحالة الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية، أخلاطاً متنافرة وأمشاجاً متناثرة، لا انسجام بينها و لا توافق أو تقارب . ذلك أن سكان شبه الجزيرة كانوا مختلفين اختلافاً شديداً في أحوال الحضارة والمدينة والبدواة.

كما كانت فكرة القبيلة تسيطر على العرب قبل الإسلام، فكانوا يعيشون قبائل متناحرة، لا يعرفون فكرة الأمة، وكل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصبا شديداً، فإذا ارتكب أحدهم جناية شاركتها في مسؤوليتها، وإذا قتل لها أحد أبنائها هبت للأخذ بثأره"⁴.

وعندما جاء الإسلام، وضع معياراً جديداً لقيام المجتمع، ألا وهو العقيدة الإسلامية، وهذه العقيدة هي الموجّهة لأفكار الإنسان وسلوكه وسائر تصرفاته، ولا يمكن التخلي عنها في شأن من الشؤون؛ وحيث إنّ الإنسان اجتماعي بالطبع كما قلنا، فمن البديهي أن تكون العقيدة الإسلامية هي الموجّهة له في بناء هذا المجتمع، والنظام الذي يختاره له⁵. فالمطلوب من المسلم في حياته هو إقامة الدين والدُّنيا لله - سبحانه وتعالى - والتعبّد بذلك.

وتدور منظومة قيم المجتمع في القرآن حول ثلاثة محاور:

الأول: الإنسان باعتباره موضوع ونواة رسالة القرآن.

الثاني: الجماعة/الأمة وهي حاملة الرسالة التي تحقق غاية القرآن.

الثالث: العالم (الجماعة الإنسانية الكبرى) باعتبار عالمية الخطاب القرآني.

فالمجتمع في المنظور القرآني يبدأ من دائرة الفرد ثم المجتمع الصغير وصولاً إلى العالم الأكبر.

الناس والرحمة بهم، ويكون شأن العامة من الناس الدعاء للأغنياء والحكام بالخير ومزيد من البركة، والقوة. " منظومة القيم العليا، مرجع سابق، ص: 127.

¹ - تاريخ ابن خلدون، ص: 54.

² - نفس المصدر ص: 55-56.

³ - أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص: 105.

⁴ - القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، مرجع سابق ص: 172.

⁵ - أنظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص: 104.

وقد جعل الشرع الحنيف القيم الاجتماعية والأخلاق من أقوى ما تبنى به المجتمعات، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، فيها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم، فهي الضمانة لاستقرار المجتمعات وازدهارها، ونجد أن الأمم التي تنهار تكون بداية انهيارها إنما في انهيار القيم والأخلاق؛ فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معاً في تحديد وضبط السلوك البشري في وجهته العامة والخاصة، قال شوقي (ت1351هـ) في حديثه عن الأخلاق :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا¹

ومن أهم القيم والقواعد الاجتماعية التي حرص الإسلام على نشرها في المجتمع الإسلامي والتي لا غنى لأي مجتمع بدونها، وتعد معايير للحكم على السلوك، فبدون هذه القيم يقف المجتمع بلا تقدم، قيم يحيى بها الفرد والجماعة، تدفع إلى سلامة الفرد ووحدة الجماعة وتماسكها.

وفيما يلي نتكلم عن هذه القيم أو القواعد بإيجاز:

أولاً: مراعاة الأخلاق وحراسة الفضيلة

يمتاز النظام الاجتماعي في الإسلام بحرصه الشديد على طهارة المجتمع ونظافته من القبائح والرذائل، لذلك حرم الزنى، والقذف -وهو رمي الغير بالزنى- ، وجعل عقابهما غليظاً، ولكنه عادل، ويتفق ورعاية الأخلاق الفاضلة، كما حرم بذاءة اللسان مثل السباب والشتم ، والقمار بأنواعه ، وشهادة الزور والتجسس والنميمة، وكل ما يوقع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع منكرات لا يقبلها النظام الاجتماعي في الإسلام، والمعاملات يجب أن تقوم على الطهر وحسن النية والأمانة، فلا يجوز الخداع والتضليل والغش والكذب في أية معاملة بين الناس، والمنكرات لا يجوز إقرارها في المجتمع أبداً.

ومن مظاهر مراعاة الأخلاق في النظام الاجتماعي الإسلامي التواضع والتواضع والتواضع والتعاون بين أفرادهم، وهي من الصفات الأصلية فيهم، وتجعل المجتمع الإسلامي كالأُسرة الواحدة.²

ثانياً: العدل الشامل

مما يدل على أهمية العدل في الإسلام ورود الآيات الكثيرة فيه، بالدعوة إليه بصورة عامة أو خاصة، فمن الآيات التي تأمر بالعدل بصورة عامة قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} سورة النحل/90 ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ } سورة النساء/135 ، { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ } سورة الأعراف/29، وإذا ضمنا إلى هذه الآيات ما ورد من النهي الشديد عن الظلم³ تبين لنا أهمية وقيمة العدل في الإسلام.

¹ - هذا البيت أورده مصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ)، في كتابه: وحي القلم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م، 278 /3.

² - أصول الدعوة، ص: 108-109 بتصرف.

³ - روى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تعالى في الحديث القدسي أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا » رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، الحديث 2577، 1994/4.

فالعَدْلُ قاعدة من أهم قواعد النظام في الإسلام؛ وذلك لأن تطبيقه ضروري لإقامة الحق واستقرار الأمن، كما أنه يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة، وتنعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان؛ فقد ورد في بعض كتب الأدب أن المرزبان حين رأى عمر قد نام متبذلاً قال: " عدلت، فأمنت فمنت " ¹.

والعدل في الحضارة الإسلامية يكون بين كل أبناء المجتمع؛ الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والمسلم وغير المسلم، بل يكون حتى مع الأعداء؛ وهو ما كان جديداً في ساحة التعامل العالمي، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } سورة المائدة/8.

وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليم أصحابه قيمة العدل مبيئاً لهم عظيم أجره يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا » ².

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أثر التفريط بالعدل، وكيف يؤدي بالأمة إلى الهلاك، فقد جاء في الحديث: « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ³.

ومن هنا، ندرك أن الحضارة الإسلامية، إنما جاءت بالأخلاق والقيم، ورست مبدأ العدل الإلهي بين البشر في تعاملاتهم، فلا خوف من هذه الحضارة؛ إذ إنها لا تفرق بين المتخاصمين على أساس الجنس أو اللون أو الدين، ولا شك أن هذا الأمر ليقطع لدينا أي شك، ويدحض لدينا كل شبهة قيلت أو تُقال في حق هذه الحضارة العريقة.

ثالثاً: العناية بالأسرة

المجتمعات بطبيعة الحال تتكون من أفراد وأسر، ولننظر الآن إلى عناية النظام الإسلامي بالفرد والأسرة.

¹ - ملخص هذا الخبر ما نقله أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) في كتابه الشكوى والعتاب: " قال الشعبي: كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج".

قيل: ولما جاء بالهرمزان ملك خوزستان أسيراً إلى عمر لم يزل الموكل به يقتفي أثر عمر حتى عثر عليه بالمسجد، فراه نائماً متوسداً درته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا هو الملك الهنيء، عدلت فأمنت فمنت. والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة وأصحاب التيجان فما وهبت أحداً منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة". عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، الشكوى والعتاب وما وقع للخلائع والأصحاب، تحقيق: د إلهام عبد الوهاب المفتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، ص: 254. وذكر هذه الرواية - فيما وقفت عليه أيضاً - ابن حمدون (ت562هـ) في التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ، 188/3، والزمخشري (ت583هـ) في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ، 13/4، والنويري (ت733هـ) في نهاية الأرب مضيافاً: " وقالوا: إذا عدل الإمام خصب الزمان. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض لتزین في أعين الناس إذا كان عليها إمام عادل، وتقبح إذا كان عليها إمام جائر. " نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 36/6.

² - رواه أحمد في المسند، الحديث 6485، 24/11، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

³ - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ } سورة الكهف/9، الحديث 3288، 3/1282.

الأسرة هي أساس كيان المجتمع، وهي كالخلية للجسم؛ ولذلك تؤثر سلبيًا وإيجابيًا على المجتمع من حيث صلاح المجتمع وفساده؛ لذلك فقد اهتم الإسلام بالأسرة وتكوينها أشدَّ اهتمام، ومن معالم ذلك الاهتمام:

1 - تشريع الزواج والحث عليه:

مما لا شك فيه أن الإسلام عمل على منع الأنكحة الفاسدة التي كانت متفشية في المجتمع المدني، وحرّم كل العلاقات غير الشرعية، واستبدل بها الزواج الشرعي، الذي أدّى إلى نقاوة المجتمع، وتطهير البيوت والأسر من النسل الفاسد الذي كان منتشرًا في الجاهلية، وأدّى إلى صفاء العلاقات الاجتماعية وسلامة المجتمع من الفساد الأخلاقي.

وقد اتفقت شرائع الأنبياء عليهم السلام على تحريم الزنا، ولا يخفى على ذوي الأبواب عواقبه المضرّة بالمجتمع والصحة العامة، فالزواج سبيل لحماية الفرد والمجتمع من السقوط في مهاوي الرذيلة ومستنقع الفواحش، إذ يعين صاحبه على غض بصره وإحصان نفسه.

إنّ الزواج هو السبيل الوحيد في الإسلام لتكوين الأسرة، وتتحول هذه العلاقة الاجتماعية إلى عبادة في الإسلام، فمن الضروريّات الخمس التي يُحافظ عليها الإسلام: حفظ النفس، وبقاء الجنس البشري. فمن أهم مقاصد الزواج حفظ النسل وتوالد البشرية جيلًا بعد جيل، فتنكون المجتمعات البشرية، وتجتهد في سبيل إقامة الشريعة وإعلاء الدين وعمارة الكون وإصلاح الأرض، قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا } . في سورة الفرقان / 54.

" على أن ما يثمره الزواج من ترابط الأسر، وتقوية أواصر المحبة بين العائلات، وتوكيد الصلات الاجتماعية مما يباركه الاسلام ويعضده ويسانده، فإن المجتمع المترابط المتحاب هو المجتمع القوي السعيد.¹ ومن معالم اهتمام الإسلام بالأسرة أيضًا:

2 - إباحة الطلاق عند استحالة العشرة الزوجية : وهو مفارقة الرجل للمرأة، ويحق له ذلك، غير أنه في الأصل غير مُرغَّب فيه، ولكن في بعض الأحيان قد يكون بمنزلة العلاج، عند استحالة العشرة بين الزوجين.

3- حقوق الأولاد:

ثم تكون الثمرة من هذا الزواج، وهي ولادة الصغار، وقد جعل لهم الإسلام حقوقًا على الأبوين؛ مثل إيجاب الإرضاع على الأم، والنفقة على الأب، ووجوب التربية، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العبادات.

وأيضًا فقد جعل الإسلام حقوقًا للأبوين على الأولاد؛ فهما سبب الحياة لهم، فمن الوفاء لهما القيام بحقهما؛ مثل: وجوب الإحسان لهما، والرفق بهما، ولين القول لهما؛ قال تعالى: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [الإسراء: 24].

¹ - سيد سابق، فقه السنة، 15/2.

يقوم نظام الميراث في الإسلام على أساس العدل، ولم يرضَ الله بتقسيم أحد له؛ بل قسمه سبحانه وتعالى بنفسه: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ} سورة النساء/ 11، الآيات.

إنَّ الناظر بتأمل إلى النظام الاجتماعي في الإسلام، يعلم أنه أفضل نظام؛ بل النظام الوحيد الذي يُحقق للبشرية الاستقرار والأمان على وجه الأرض؛ فهو نظام رب العالمين، أنزله بحكمته لمن خلقهم؛ {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 15].

رابعا : المسؤولية الاجتماعية

المسؤولية (بوجه عام) حال أو صفة من يُسأل عن أمر تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، وتطلق (أخلاقيا) على التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وتطلق (قانوناً) على الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون¹.

أما المسؤولية الاجتماعية فيمكن تعريفها بأنها: إدراك المسلم لواجباته تجاه إخوته المسلمين، من خلال المجالات الآتية: التعاون والتساند، والتواصل الاجتماعي، وإصلاح المجتمع، ومن ثم ممارسة هذه الواجبات تجاههم². أو " تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ} سورة المائدة/ 2"³.

فالمسؤولية الاجتماعية تشمل أيضاً هذا الجانب الأهم من الحياة العامة للمجتمع المسلم، ويتعلق الأمر بنظام الحسبة، يقول الله عز وجل: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} سورة آل عمران/ 104.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»⁴.

إن المجتمعات تحتاج من حين لآخر إلى تذكيرها بأحكام ومقاصد الشرع؛ لأنها غالباً ما يحدث فيها تجاوز، ويحصل فيها خروج عن حدِّ الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فترى بعضهم قد يرتكب جريمة الزنا، وآخر قد يرتكب جريمة السرقة، وهذا يلمز، وذاك يهمز، وهذا يطفف في الميزان إلى غير ذلك من المخالفات. وهنا تبرز المسؤولية الفردية والجماعية عن إصلاح هذه الأوضاع، يقول صبحي الصالح: " لقد علم

¹ - المعجم الوسيط، 411/1.

² - زرار العياشي، غياذ كريمة، المسؤولية الاجتماعية في الإسلام: قراءة في المنهج النبوي لقيادة المسؤولية الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 23، مارس 2017، منشورات جامعة عمار تليجي، الأغواط- الجزائر، ص: 131 بتصرف.

³ - أصول الدعوة، مرجع سابق، ص: 132.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، الحديث 2361، 2/ 882.

الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين قاعدة عظمى تعينهم أفرادا وجماعات على التكافل التام في تحمل التبعات: ألا وهي قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي إن لم تشكل كل المسؤولية الاجتماعية فهي بلا ريب تضمن استمرار التوازن الاجتماعي، وهي قاعدة خارجية تتناول الآخرين خارج الذات الفردية بشعبيتها: الإيجابية الآمرة بالمعروف، والسلبية الناهية عن المنكر¹.

رابعاً: القيم الإنسانية

إن الحضارة في الإسلام، تستمد وجودها، وبقائها، وأسباب نموها، وازدهارها من القيم الإنسانية الخالدة النابعة من معين روحي، هو العقيدة الصحيحة، التي تحرر الإنسان من نزعاته الفردية، وتحفظ عليه خصائصه الإنسانية، وتعصمه من الانحراف في توجيهها أو في ممارستها².

وقد اكتسبت البشرية عبر تاريخها الطويل قيماً إنسانيةً عليا، ولم تبلغ تلك القيم كمالها إلا حينما اتصلت بخالقها عن طريق الرسائل السماوية، ولكن حينما تسود أهواء البشر، تُخَلد الإنسانية إلى الأرض، فتضِل وتَحْط قِيَمُهَا، والإنسان خاسر - لا محالة - إلا إذا حقق أربعة شروط كما قرر القرآن الكريم في سورة العصر، يقول الله تعالى: { وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } سورة العصر / 1 - 3.

فأقسم تعالى على أن الإنسان لفي خسر، أي: في خسارة وهلاك، واستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ } وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } على المصائب والأقدار، وأذى من يؤدي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر³. يقول سيد قطب رحمه الله في تعليقه على هذه السورة الكريمة: " في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريد الإسلام. وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة. إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار. وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة.. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله.

والحقيقة الضخمة التي تقرها هذه السورة بمجموعها هي هذه:

إنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار، ليس هنالك إلا منهج واحد راجح، وطريق واحد ناجح. هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار⁴.

ويمكن أن نجمل القيم الإنسانية التي جاء الإسلام لتحقيقها وترسيخها بين الناس فيما يلي:

¹ - صبحي الصالح، النظم الإسلامية: نشأتها وتطورها، بيروت، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى في إيران، 1375هـ، ص: 438.

² - القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، ص: 175.

³ - تفسير ابن كثير، 8/480.

⁴ - في ظلال القرآن، 6/3964.

1- تزكية¹ النفس البشرية:

إذا كانت كلمة "الإنسان" على كثرة ذكرها في القرآن الكريم (ستة وخمسين مرة 56) قد جاءت تكشف في الإنسان صفات سلبية؛ حيث خُلِقَ الإنسان ضعيفاً، وهو يؤوس، قنوط، كنود، ظلوم، جهول، جَزُوع، إلى غير ذلك من الصفات الذميمة، فإن الإسلام في الوقت نفسه قد بيّن السبل والوسائل التي تزكي نفس الإنسان؛ لترتفع بصفاته السلبية، فتحوّلها لتصبح صفات إيجابية، قال تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا² } سورة الشمس/9-10، قال ابن كثير في تفسير الآية: " قد أفلح من زكى نفسه، أي: بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل"³.

فالتزكية تطهير للنفس من أدرانها وأوساخها الطبيعية والخلقية، وتقليل قبائحها ومساوئها، وزيادة ما فيها من محاسن الطباع، ومكارم الأخلاق.

وبذلك تكتسب البشرية قيماً إنسانية، تعلو على الأهواء والأنانية، قيماً تتسم بالسماحة دون العناد، والإخاء دون العنصرية، والمساواة دون التمييز، والتعارف دون الرفض، والإيثار دون الشح، والعدل دون الظلم، والرحمة دون القسوة، والتعاون على البر دون الإثم والعدوان.

يقول الدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب: " التزكية من أصول القيم الحضارية في الإسلام التي يجب تعزيز الوعي بها؛ إذ إنها تمثل "كليات مرجعية" تعصم الفعل الحضاري للإنسان من الطغيان والاستكبار في الأرض،

¹ - التزكية مفهوم مركزي من المفاهيم القرآنية، وتدل مادة (زكا) في اللغة على النمو والزيادة، وتطلق على التطهير والصلاح، يقال: زكا الزرع يزكو زكاءً: ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زكاءً. والزكاة: زكاة المال وهو تطهيره.. وتسميتها بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس، أي: تتميتها بالخيرات والبركات. وزكى يُزكى تزكيةً، والزكاة: الصلاح. نقول: رجل زكىّ تقي، رجال أركياء أتقياء. معجم العين، مادة (زكو)، 5/ 394، المفردات، مادة (زكا)، ص: 380.

وعلى أساس المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي لتزكية النفوس، قال المناوي (ت1031هـ): " التزكية: إكساب الزكاة وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم. قاله الحرالي، وأصل التزكية نفي ما يستقبح قولاً أو فعلاً " التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 96. وقال الباحث أنس كرزون: " تزكية النفس هو تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها، وبلوغها درجة الإحسان " أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، 1415هـ-1995م، ص: 5.

وعرفها نايف الشريف بأنها: " تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصالح " مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، مجلة الأحمدية، العدد الرابع، جمادى الأولى 1420هـ، ص: 219.

وترجمة ذلك كله في كلمتين مشهورتين عن أهل السلوك والطريق، وهما: (التخلية) و(التحلية). والمقصود من التخلية: هو تطهير النفس من الردائل؛ كالحسد والرياء والكبر، والعجب وحب الدنيا، وغيرها من الردائل. والمقصود بالتحلية: هو العمل بالطاعات والقربات؛ مما يترتب عليه تحلي النفس وتزكيتها بالفضائل؛ كالعفة والشجاعة والعدل والصدق.

² - التدسية ضد التزكية، " قَالَ اللَّيْثُ: دَسَا فَلَانٌ يَدْسُو دَسْوَةً، وَهُوَ نَقِيضُ زَكَا يَزْكُو زَكَاةً، وَهُوَ دَاسٍ لَا زَاكَ " تهذيب اللغة، مادة (دسا)، 30/13، وأصل التدسية الإخفاء، ومنه قوله تعالى: { أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ } [النحل: 59]. فالعاصي يدس نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به. ابن القيم، الداء والدواء، ص: 189.

³ - تفسير ابن كثير، 8/ 412.

كما أنها تحمي الحضارات من الزوال السريع، والأفول المحتوم، وهي أولى الوصيلتين¹ في عملية التغيير، وإنشاء مجتمع "الاستخلاف"، وأهمهما على الإطلاق؛ لأنها تمثل "منهجية" إسلامية في ترقية الذات الإنسانية وترسيخها، من خلال تربية الإنسان المنوط به أمر الخلافة في الأرض، { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } سورة الرعد/ 11 ، فبتزكية النفس يتم تزكية الواقع، ومن ثم يعد التغيير الداخلي مقدمة ضرورية للتغيير الخارجي².

وهذا ما أكدته عليه الدكتور فتحي ملكاوي بقوله: " التزكية موضوعها الإنسان المستخلف، وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني: إصلاح الفرد والجماعة والأمة . والإنسان مادة وروح، والتزكية تشمل المادة والروح . وأي حديث عن قضايا الإصلاح لا معنى له إلا إذا تعلّق بالإنسان، واستهدف تربيته في مراتب التزكية. والتزكية هدف العمران ووسيلته، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسيه، مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري.³

ولأهمية هذه التزكية في التغيير والفعل الحضاري للإنسان الخليفة، انصب الخطاب القرآني المكي منذ أول النزول على إصلاح النفس أولاً، يقول الإمام الشاطبي (ت790هـ): " الأحكام المكية مبنية على الإنصاف من النفس، وبذل المجهود في الامتثال بالنسبة إلى حقوق الله، أو حقوق الآدميين"⁴، وهذا ما كشف عنه الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في حوار الطويل مع النجاشي فيما رواه عنه أحمد، ومما ورد في كلامه: " أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، "⁵، وفي رواية إسحاق بن راهويه (ت238هـ): " وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر، وأمرنا بإقام الصلاة، والصيام، والصدقة، وصلة الرحم، وكل ما تعرف من الأخلاق الحسنة "⁶.

¹ - ذكر المؤلف أن الوسيلة الثانية هي: الاستقامة والاستعمار الإيماني للأرض. أنظر : محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية: نحو إنسانية جديدة، ص: 53 الهامش: 1 .

² - نفس المرجع، ص: 53.

³ - منظومة القيم العليا، مرجع سابق ص: 81.

⁴ - الموافقات، 5/ 238.

⁵ - مسند أحمد، الحديث 1740، قال محققو المسند: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليس. 268/3 - 263/3.

⁶ - مسند إسحاق بن راهويه، الحديث 1835، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1991م، 4/ 71-73.

فتزكية النفس البشرية كانت ولا زالت مقصدا ضروريا من مقاصد رسالة الإسلام، ومهمة أساسية من المهام الأربعة للبعثة النبوية¹، { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } سورة الجمعة/2؛ بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخص رسالة الإسلام بأنها تتميم لمكارم الأخلاق وذلك لأهميتها للفرد والأسرة، والمجتمع والأمة كما في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "².

ولهذا عقد الراغب الأصفهاني (ت502هـ) مبحثا في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة بعنوان: " كون طهارة النفس شرطاً في صحة خلافة الله تعالى وكمال عبادته " قال فيه: " لا يصلح لخلافة الله تعالى، ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلا من كان طاهر النفس، قد أزيل رجسه ونجسه، فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة، وإياها قصد - عز وجل - بقوله: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} سورة التوبة/28.

وإنما لم يصلح لخلافة الله تعالى إلا من كان طاهر النفس، لأن الخلافة هي الاقتداء به على قدر طاقة البشر في تحري الأفعال الإلهية، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل؛ فكل إناء بالذي فيه ينضح "³. ومن ثم كان المسلم مطالباً في سعيه الحضاري " دائماً أن يمارس عملية العكوف على الذات؛ لتربيتها على أمر الله، وأخذها بشرع الله، ولا نعني بذلك ضرباً من السلبية، والهروب من الحياة، وفقدان التوازن الاجتماعي، وذلك بالانسحاب من المجتمع، والانقطاع إلى الرياضيات الروحية في الكهوف والجبال، وممارسة الزهد الأعجمي بترك التعامل مع الحياة، وإنما نرى أن ميدان الذات وتزكيتها أكبر من ذلك بكثير، إنه الحياة بكل ما فيها من جوانب الخير والشر، إنها التربية الميدانية التي لا تتم إلا من خلال الممارسة والمعايشة الاجتماعية، والمعاونة اليومية والتحديات المحيطة، واستشعار هذه التحديات، وعدم الذوبان والسقوط أمامها، وإنما الصلابة والاستيعاب وحسن المواجهة، وإن اختلفت فيها مساحة الكر والفر حسب الظروف ومقتضى الحال، ذلك أن التربية الذاتية، أو العكوف على تربية الذات بهذا المعنى، هو الذي تفرد به الإسلام عن سائر الأديان، بزهدا ورهبانيتها وسلبياتها "⁴.

ولا تقتصر التزكية في القرآن الكريم على النفس بتحليلتها بالأخلاق الحسنة فحسب، بل يشمل هذا المفهوم أيضاً تزكية الجسم - بكل جوارحه - من خلال القيام بالطاعات والعبادات وإحاطة الإنسان نفسه بالبيئة

¹ - تكررت هذه المهام الأربعة أربع مرات في القرآن الكريم في المواضع التالية: سورة البقرة في آيتين: 129 - 151، سورة آل عمران/164، سورة الجمعة/2.

² - سبق تخريجه.

قال ابن عبد البر في شرح الحديث: " ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث لبيتمه صلى الله عليه وسلم. وقد قالت العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } سورة النحل/ 90 " التمهيد، 24/ 334.

³ - الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، 1428 هـ - 2007 م، ص: 86.

⁴ - عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة (8)، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، الطبعة: الأولى، 1405هـ، ص: 81.

الصالحة من أهل التقوى والإيمان والأعمال الصالحة، وتركية العقل بالنظر والتدبر والتفكر في مشاهد الكون، والسير في الأرض، والاعتبار بأحداث التاريخ لإنقاذ الإنسان من حياة الغفلة والعبث، ونزوات الأهواء والشهوات.¹

لقد صارت تركية النفوس مطلباً ملحا للأمة تعود به إلى محاسن الإسلام، وتظهر به مكارم أخلاقه، وتسترجع به سالف عزها وسابق مجدها، فقد ملك المسلمون في قرونهم الأولى - قرون الخير - أعلى مستوى من التربية الأخلاقية، وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا لما يرون من حسن المعاملة، وجميل الأخلاق، وحين بدأ الانحراف عن هذا المنهج القويم وساعت أخلاق الناس؛ ففقدت القدوة وضاعت القيم، وتبدلت المفاهيم، ولقد صدق الإمام مالك رحمه الله حين قال: " وَلَا يُصْلِح آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهَا "².

2- الأخوة الإنسانية:

لقد بينت الشريعة الإسلامية - من خلال نصوص الوحيين - حقيقة وتجليات الأخوة في ثلاثة أقسام، وهي :
أ- أخوة الدين :

فمن كان كافراً فهو أخ للكافر، ومن كان مسلماً فهو أخ للمسلم، ومنه قوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } سورة الحجرات/10، والأداة "إنما" كما هو معلوم تفيد الحصر، أي: فقد حصر الله الأخوة بين المؤمنين فقط، ومنه قوله تعالى: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } سورة التوبة/11، أي في دين الإسلام، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « المسلم أخو المسلم »³، ولذا فقد بين عز وجل أن المنافقين ليسوا بمسلمين وأنهم إخوان للكافرين، فنزع أخوتهم من المسلمين وقرنهم بالأخوة التي تربط بينهم وبين أسيادهم الكافرين، فقال: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (الحشر: 11)، قال ابن الجوزي (ت 597هـ) عند قوله تعالى: { يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ } " أي: في الدين، لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود "⁴.

ب- أخوة القرابة والنسب :

ومنه قوله تعالى لموسى: { اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي } سورة طه/42، والمقصود به هارون -عليهما السلام- والذي كان أخاً لموسى من أب وأم.

ت- الأخوة الإنسانية (العامة):

القرآن الكريم ينظر إلى الأفراد في المجتمع الإنساني على أساس رابطتهم التكويني في الخلق وهو رابط الإنسانية، وهذا الرابط الإنساني يجمع الأفراد في شتى المناسبات من أفراح وأتراح وتعارف، فالفرد بغض النظر

¹ - أنظر : منظومة القيم العليا، مرجع سابق ص: 102 - 107 باختصار.

² - نسب القاضي عياض هذا القول للإمام مالك في " الشفا " ، 2 / 88.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، الحديث 2310، 2 / 862، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، الحديث 2580، 4 / 1996.

⁴ - زاد المسير في علم التفسير، 4 / 260.

عن نوعية ارتباطه الفكري والعقائدي بالآخرين، يعيش بالدرجة الأولى ارتباطاً إنسانياً معهم، فيشير القرآن إلى هذا المعنى عندما يتحدث عن دعوة الأنبياء، فيقول: {وَالْيَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا} سورة الأعراف/65 {وَالْيَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} الأعراف/73، {وَالْيَ مَذْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} الأعراف/85 :

فمنطوق الآيات الكريمات يدل على أن القاسم المشترك والقدر الجامع بين كفار عاد و ثمود ومدين من جهة، والنبیین هود وصالح وشعیب من جهة أخرى هو اشتراكهم جميعاً في الأخوة الإنسانية، على اختلاف ميولهم العقائدية ووظائفهم الاجتماعية.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: {وَالْيَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا} سورة الأعراف/65:

" قال ابن عباس: "أي ابن أبيهم". وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشرا من بني أبيهم آدم.¹
" وقيل له أخوهم لأنه منهم، وكانت القبيلة تجمعهم، كما تقول: يا أبا تميم. وقيل: إنما قيل له أخوهم لأنه من بني آدم كما أنهم من بني آدم.²

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: {إِنْ قَالْ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَنْتَفُونَ} سورة الشعراء/106: "أي ابن أبيهم وهي أخوة نسب لا أخوة دين. وقيل: هي أخوة المجانسة، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ} سورة إبراهيم/4"³.

وروى الإمام أحمد بإسناد ضعيف من حديث زيد بن أرقم: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دبر كل صلاته: " اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة..."⁴

قال الشيخ يوسف القرضاوي: " وقوله: "إن العباد كلهم إخوة" يحتمل معنيين كلاهما صحيح: الأول: أن العباد هنا هم البشر كافة، فهم أخوة بعضهم لبعض، بحكم البنوة لأدم، والعبودية له سبحانه.

وهذه أخوة إنسانية عامة. وقد وصف الله تعالى عدداً من الرسل في القرآن بأنهم إخوة لأقوامهم رغم كفرهم برسالتهم، لاشتراكهم معهم في الجنس والأصل، كما في قوله تعالى: {وَالْيَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا} الأعراف:65 الثاني: أن العباد هنا هم المسلمون خاصة، بحكم اشتراكهم في أمة واحدة، تضمهم عقيدة واحدة هي التوحيد، وقبله واحدة هي الكعبة البيت الحرام، وكتاب واحد هو القرآن، ورسول واحد هو محمد عليه الصلاة والسلام، ومنهج واحد، هو شريعة الإسلام.

¹ - تفسير القرطبي، 235/7.

² - نفسه، 50/9.

³ - نفسه، 119/13.

⁴ - مسند الإمام أحمد، الحديث 19293، 48/32، وضعف إسناده محققو المسند.

وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، الحديث 1510، 1/557، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة الحديث 9929، 30/6 وأبو يعلى في المسند، الحديث 7216، 178/13، والطبراني في المعجم الكبير، الحديث 5122، 210/5، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، الحديث 613، 136/2.

وهذه أخوة دينية خاصة، لا تتافى الأولى، إذ لا تتافى بين الخاص والعام. كل ما في الأمر أن لهذه الأخوة حقوقاً أكثر، بمقتضى وحدة العقيدة والشريعة، والفكر والسلوك.¹

ومما يجدر التنبيه له في هذا المقام أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا الإخاء الإنساني العام تفريغ الإسلام من محتواه الاعتقادي، وتمييع عقيدة البراء من الكفار وبغضهم وعدواتهم، واستبدال ذلك بالدعوة إلى محبتهم ومودتهم ومصاحبتهم! إلى غير ذلك من العبارات التي يحاول بعض المنتسبين للعلم والفكر أن يسترضوا بها الكفار، تحت مظلة (الإخاء الإنساني) و(التقارب الديني)، وذلك خشية أن يصمم عدوهم بأنهم متشددون أو أصوليين.

فحين يقتنع المسلم بتلك الدعوات المنهزمة فإنه سيقبل إحساسه بخطر الكفار، وأهمية البراءة منهم، بل سيحصل بينه وبينهم نوع من الانسجام الفكري، والتنازل العقدي، فيؤدي ذلك إلى ميل قلب المؤمن لهم ومودتهم وعدم بغضهم، ومعلوم أن مودة الكفار محرمة، بل إنها تقدر في إيمان العبد، فالله عز وجل يقول في محكم التنزيل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } سورة الممتحنة/1، وهنا نهى صريح عن إلقاء المودة للكافرين، ويقول تعالى كذلك: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } (المجادلة/22)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذه الآية: "أخبر الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن نفس الإيمان ينافي مودته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله".²

ولذلك فإن هذه الآية لم تخص الذين حاربونا فقط من دونهم، بل خصت الكفار أجمعين، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر عن هذه الآية: "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التوادد والتحابب المنهي عنه في قوله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... } الآية فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل، والله أعلم".³

نعود ونقول: إن الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعاً، لا فرق بين عربي أو عجمي، أو شرقي أو غربي؛ { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } سورة الفرقان/1 ولهذا دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية، وأعلن الأخوة الإنسانية، ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة في تاريخ البشرية؛ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } سورة النساء/1.

¹ - يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1433هـ-2012م، ص: 133-134.

² - مجموع الفتاوى، 17/7.

³ - فتح الباري، 5/ 233.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى »¹.

ولقد بشر زعماء العالم بهذه الإنسانية العالمية، وهتفوا بالعالم الواحد السعيد، الذي تسوده الطمأنينة والعدالة والحرية والوئام، فهل وصلوا إلى شيء من ذلك؟ وهل استطاعت هيئة الأمم المتحدة أن تسوي في الحقوق بين أبناء الوطن الواحد في إفريقيا الجنوبية، أو أن تحمل الأمريكان على ترك التمييز العنصري البغيض؟ لا شيء من هذا، ولن يكون إلا إذا تطهّرت النفوس بماء الوحي العذب الطهور، وسقيت من معين الإيمان، وأخلصت للإسلام دين الرحمة والعدل والإنسانية.

3- المساواة²:

المساواة العامة هي شعار الإسلام في الحقوق والواجبات، فالجنس الإنساني مكرّم كله بكل أجناسهم وألوانهم وعقائدهم؛ {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} سورة الإسراء/ 70.

¹ - مسند الإمام أحمد، الحديث 23489، 474/38، وصحح إسناده محققو المسند.

² - من المفاهيم التي كثر الحديث عنها في هذا العصر وعقدت حوله الندوات والمحاضرات مفهوم " المساواة "، وفي الحقيقة فإن هذا المفهوم يتضمن حقاً وباطلاً، فهو لفظ مشترك في الخير والشر، وأكثر من يستعمله وينادي به الآن إنما يريد الباطل والشر الذي فيه، فاستعملهم له إنما هو لجعل الناس سواسية متساويين لا يفرّق بينهم بسبب الدين، ولا الجنس، فنادوا بالمساواة في المواطنة، وأنه لا ينبغي أن يكون الدين مفرقاً بين الناس، فجمعوا بين الموحد والمشارك، والمسلم والوثني، وجعلوهم في سياق واحد، لا يفرق الدين بينهم، كما نادوا بمساواة المرأة بالرجل في كافة المجالات حتى تلك التي هي من خصائص الرجال.

ويتنبع المساواة في كتاب الله يتبين أنه لم يأت المصطلح في معرض الحديث عن المرأة والرجل، وإنما جاء في قضايا أخرى جلتها لإثبات عدم المساواة بين فريق الكفر وفريق الإيمان، وهذه تجاوزت العشرين موضعاً في كتاب الله، ومن هذا قوله تعالى: { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } المائدة/100.

{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} سورة السجدة/18.

{ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ } سورة غافر/58.

وبالمقابل نجد في القرآن أن الله أمر بالعدل ولم يأمر بالمساواة كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالِلَّهِ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَغْدِلُوا } سورة النساء/135، وقوله سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَغْدِلُوا اغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } سورة المائدة/8. ولم يذكر القرآن ولا مرة واحدة مصطلح المساواة بين الرجل والمرأة.

وأما الخير والحق الذي في هذا اللفظ فهو أن المسلمين متساوون أمام الشرع في أحكامه، وتكاليفه، فلا يفرّق بين شريف وضيع في إقامة الحدود، ولا بين الرجل والمرأة، إذا جاء أحدهم بما يستحق به جلدًا، أو رجماً، أو قتلاً، وقد جاءت أمثلة عملية على ذلك، أنظر: (التأكيد العملي لمبدأ المساواة).

كما أن من أوجه المساواة بين الرجل والمرأة: الوعد في الآخرة بالثواب، والجنة، قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة النحل/ 97.

هذا هو المعنى الحق الذي في هذا اللفظ، وليس هذا ما يريده من ينادي بالمساواة.

وقد اعترف الإسلام بوجود " نفي المساواة " بين المسلمين في أبواب منه، فنفي أن يستوي من آمن بالله وأنفق ماله قبل الحديبية، وبين من آمن وأنفق بعدها، كما نفي المساواة بين المجاهدين والقاعدين بغير عذر..

والإسلام لا يفرّق في ذلك بين الراعي والرعية، بل إن الحاكم في الإسلام أجبر عند الأمة؛ فقد روى أبو نعيم في الحلية أن أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية بن أبي سفيان وقال: « السلام عليك أيها الأجير » فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم، ثم قال: «السلام عليك أيها الأجير» فقال الناس: الأمير فقال معاوية: « دعوا أبا مسلم هو أعلم بما يقول ». ثم وعظه وحثه على العدل¹.

والخلق أمام الله سواء، فلا يحابي جنساً على حساب جنس آخر، ولا طبقة على حساب طبقة؛ فالكل عبيده وتشريعهم لهم واحد، لا يختلف مع الزمن ولا مع اختلاف الأمم؛ { شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } سورة الشورى/13.

التأكيد العملي لمبدأ المساواة:

ولم يكتف الإسلام أن يقرر مبدأ المساواة نظرياً، بل أكدته عملياً بجملة أحكام وتعاليم ، نذكر منها ما يلي:

في مساجد الإسلام:

حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة تأخذ المساواة صورتها العملية، وتزول كل الفوارق التي تميّز بين الناس، فمن دخل المسجد أولاً أخذ مكانه في مقدمة الصفوف، وإن كان أقلّ الناس مالاً، وأضعفهم جاهاً، ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن مركزه، فكل الناس سواسية أمام الله؛ في قيامهم، وقعودهم، وركوعهم ، وسجودهم ، ربُّهم واحد ، وكتائبهم واحد ، وقبلتهم واحدة، وحركاتهم واحدة ، وإمامهم واحد.

في مناسك الحج:

تتحقق المساواة بشكل أشدّ ظهوراً، وتتجسد تجسداً تراه العين، فشعيرة الإحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجرّدوا من ملابسهم العادية، ويلبسوا ثياباً بيضاء بسيطة، غير مخيطة، ولا محيطة، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، يستوي فيها القادر والعاجز، والغني والفقير، والملك والمملوك ، ثم ينطلق الجميع ملبيين بهتاف واحد : " لبيك اللهم لبيك".

المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع:

ومن المساواة العملية التي قررها الإسلام قولاً وطبقها فعلاً المساواة أمام قانون الإسلام وأحكام الشرع. فالحرام في شريعة الإسلام يتّسم بالشمول والاطراد، فليس هناك شيء حرام على الأعجمي حلال على العربي، وليس هناك شيء محظور على الملون مباح للأبيض، بل الشرع سيد الجميع، فما أحل الله بشريعته فهو حلال

¹ - أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ، 2 / 125، ونقله الإمام الذهبي (ت 748هـ) باختصار في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (حوادث سنة 61 - 70هـ)، 2/748-749.

للناس كافة، وما حَرَّمَ فهو حرام على الجميع كافة إلى يوم القيامة. فقد حاول بعض الصحابة أن يُشَفِّعُوا أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حَبِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن حَبِّهِ فِي امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، سَرَقَتْ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهَا حَدُّ السَّرْقَةِ، فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ فِيهَا، فَغَضِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ قَوْلَتِهِ الَّتِي خَلَّدَهَا التَّارِيخُ: « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ لَقَطَعْتَ يَدَهُ »¹.

أحكام الدولة تطبق على الأقارب قبل غيرهم:

كان عمر رضي الله عنه - وهو خليفة المسلمين - إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته، وقال لهم: «إني نهيت عن كذا وكذا، والناس إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل منكم وقع في شيء مما نهيت عنه الناس، إلا أضعفت له العقوبة لمكانه مني، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر»².

¹ - صحيح البخاري، سبق تخريجه.

² - أخرجه معمر في «جامعه» الملحق بـ «مصنّف عبد الرزاق»، باب لزوم الجماعة، الحديث 20713، 11/343، وصحح إسناده إمام بن علي بن إمام في تحقيقه لكتاب «مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم» للحافظ ابن كثير (ت 774هـ)، دار الفلاح، الفيوم - مصر، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 2/390، الهامش 1.

المبحث الثالث : حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية للإسلام

المطلب الأول : أزمة الحضارة الغربية وآثارها السيئة على البشرية

الحضارة التي تسود عالمنا اليوم هي الحضارة الغربية، و " لا يجحد منصف أن لهذه الحضارة آثارا إيجابية، وثمارا طيبة في الحياة الإنسانية، وهذا ما يلمسه كل إنسان في نفسه ومن حوله، حيث استطاعت هذه الحضارة - بواسطة العلوم الرياضية والطبيعية وتطبيقاتها التكنولوجية - أن تمنح الإنسان قدرات وإمكانات لم يُمنحها أحد قبله...وأن توفر له بذلك وسائل وأدوات وأشياء لم تنتهياً للملوك وسلاطين الدنيا من قبل.¹

إن إلقاء نظرة فاحصة في العالم الغربي " أوروبا وأمريكا " كمثال ساطع للتطور المادي الذي حققه إنسان العصر الحديث، نجد أن هذا العالم، قد انتقل، من طور التخلف، إلى طور التطور المتدرج والذي تجاوز مرحلة الحياة البدائية إلى مراحل أخرى أكثر تطوراً، منها: الثورة الصناعية التي تعتبر فتحاً جديداً نقل البشرية نقلة كبيرة حلت فيها " الآلة " محل الإنسان فحققت طفرة الوفرة من خلال العديد من الصناعات و المنتجات التي أسست لمرحلة جديدة من " الارتقاء " في الكثير من أساليب الحياة.

غير أن أهم سمات " الثورة الصناعية " أنها وضعت اللبنة الأولى لطفرة حضارية غير مسبوقة، تمثلت أهم مفرداتها في تكنولوجيا العصر الحالي التي أحدثت انقلاباً مهولاً في كل مجالات الحياة. و من المظاهر الساطعة لهذه التكنولوجيا القفزة الواسعة في وسائل المواصلات و الاتصالات الحديثة..

من جانبٍ آخر فإن الحضارة الغربية، ورغم إشباعها للجانب المادي عبر تحقيقها للطفرة المادية الجامعة التي غزت العالم بأسره وهيمنت على كل نواحي الحياة فيه بصورة طاغية، قد خلقت واقعاً فاسداً من خلال تركيزها على الماديات وإهمالها الكامل للجانب الروحي الذي يمثل شقاً مهماً وضرورياً بالنسبة للإنسان. ذلك أن الإنسان مخلوق من جسد وروح، وأن ثمة ضرورة لإشباع حاجات الإثنين معاً، وذلك بصورة متوازنة تلافياً لأي خلل في تكوينه النفسي أو الوجداني.

لكن الواقع يشهد بخلاف ذلك، فقد ظهر في الناس الجفاف الروحي، وعمت غالب الخلق أزمة روحية، ولا سيما في هذا العصر الذي استقطعت فيه القيم المادية، وضعفت فيه القيم الروحية، ولم تسلم من ذلك الأمة الإسلامية².

¹ - يوسف القرضاوي، الإسلام: حضارة الغد، مكتبة وهبة ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م، ص: 29.

² - هذه الأمة أصبحت تعاني الأزمات المتنوعة التي قد نجم عنها في كلمة واحدة نسميها **الأزمة الحضارية**، وهي فعلاً أزمة حضارية لا غير، إذن نحن نعاني أزممتنا، ومن ناحية أخرى تعاني الإنسانية المتحضرة أزممتها. والأزمة التي تعانيها الإنسانية المتحضرة أخطر وأعمق بكثير من أزممتنا نحن، لأن أزممتنا لا تمس جوهر كياناتنا الإنسانية فيبقى مع أزممتنا على الرغم من كل شيء، شيء من الكرامة أو شيء من التكريم الذي وضعه الله عز وجل في الإنسان على العموم، أما الأزمة التي تنتاب الحضارة أو الإنسان المتحضر اليوم، فهي أحياناً تفقده حتى إنسانيته، فيصبح إما وحشاً مفترساً ضارياً ينقض على كل ما يستطيع تحطيمه، أو يصبح حيواناً تائهاً في المتاهات التي تفتح له بالمخدرات، هذه هي

ورغم ما حققه الإنسان اليوم من انتصارات مادية كبيرة، فإنه يعيش أزمات روحية قاسية، لا يعرف لها علاجاً ولا مخرجاً. فالأبدان قد شبت من الرفاهية والتقدم المادي، وأما الأرواح فإنها قابعة في حمأة مظلمة، تتعطش إلى غذائها وراحتها.

وقد ظن البعض أن مزيداً من الرفاهية المادية يمكن أن تغني عن التربية الروحية، فما ازدادوا بالرفاهية إلا ضللاً وخبالاً وأزمة.

يقول الندوي: " سواء هذا الشرق أو الغرب وهذه الأمة المسلمة¹ أو غيرها من الأمم، فقد حلت بها جميعاً نكبة واحدة، هي أنه قد استولت عليها حضارة نشأت في أحضان المادية الخالصة. هذه الحضارة قد أسست حكمتها النظرية والعملية على قواعد خاطئة. وقد جرت فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياساتها وقانونها وبالجمله كل ما يتصل بها، قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة وبقي يخطو ويرتقي في وجهة غير صحيحة، حتى انتهى إلى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة - وهي الهلاك - قريباً².

وهذه النهاية تتبأ بها الفيلسوف الإنجليزي المعاصر (برتراند رسل) حيث يقول: "لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض. وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانوناً من قوانين الطبيعة. واعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى

الأزمة الخطيرة التي تعانيها الإنسانية المتحضرة أو يعانيها الإنسان المتحضر. أنظر: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، مالك نبي، ص: 46

¹ - لا شك أن من بين الأسباب الرئيسة للأفول الحضاري للأمة الإسلامية: الاحتلال الأوروبي للعالم الإسلامي في القرنين السابقين، وما تبعه من سياسات تخريبية للهوية الدينية للمسلمين من أجل تثبيت أقدامه في العالم الإسلامي، وتأمينه من الروح الإسلامية أن تشتت فتعصف به. وتظل تلك العبارة الصريحة التي نقوه بها جلاستون، رئيس الوزراء البريطاني في عهد الملكة فيكتوريا، وذلك خلال إحدى جلسات مجلس العموم البريطاني والتي قال فيها وهو ممسك بالقرآن الكريم: " ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان " ليوبولد فايس (محمد أسد)، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، الطبعة الثالثة، 1951م، دار العلم للملايين، بيروت، ص: 39. تظل هذه العبارة بليغة ودقيقة تعكس المخطط الذي كان ولا يزال يستهدف علاقة المسلمين بالقرآن الكريم باعتباره الكتاب الموحد لصفهم تجاه كل مخططات مكر وكيد الأعداء المحتلين.

كما يمكن الاسترشاد بهذه العبارة في تفسير الكثير من المخططات الثقافية والفكرية الغربية في المنطقة العربية والإسلامية، فالأساس هو الإيقاع بالمسلمين في الكفر وإبعادهم عن مبادئ دينهم كما بعدوا هم، يقول الله تعالى: { وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً } سورة النساء/89، وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه (شبهات حول الإسلام): " فقد كانت السياسة المطلوبة هي توهين عزى الدين، ونزع قداسه من نفوس أهله، وتشويه صورته في أفكارهم وضمائرهم، لينسلخوا منه وينفروا من التمسك بأحكامه وآدابه، حتى يستطيع المستعمرون أن يستقروا في هذه البلاد!

وكذلك صنع الإنجليز في مصر، فقد وضعوا سياسة تعليمية لا تدرس شيئاً عن حقيقة الإسلام، سوى أنه عبادات وصلوات، وأذكار ومساجب وطرق صوفية، وقرآن يقرأ من أجل " البركة "، ودعوات نظرية إلى مكارم الأخلاق! أما الإسلام كنظام اقتصادي واجتماعي، أما الإسلام كنظام للحكم ودستور للسياسة الداخلية والخارجية، أما الإسلام كنظام للتربية والتعليم.. أما الإسلام كحياة ومهيمن على الحياة.. فلم يدرس منه شيء للطلاب، وإنما درست لهم بدلاً منه الشبهات التي وضعها المستشرقون وغيرهم من الصليبيين الأوربيين ليفتتوا بها المسلمين عن دينهم، تنفيذاً لغرض الاستعمار الخبيث.

وفي مكان هذا كله درسوا لهم أوربا. " شبهات حول الإسلام، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الحادية والعشرون، 1413هـ-1992م، ص: 13.

² - نحن والحضارة الغربية، مرجع سابق، ص: 41.

أياماً رضية كنتك التي لقيها خلال أربعة قرون..¹

وفي هذا السياق يؤكد سيد قطب أنّ الغرب سينهار حتماً بسبب إفلاسه قيمياً²، فلم يعد له ما يقدمه للعالم، حيث يقول: " قد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض، لأن حضارة الرجل الأبيض قد استنفدت أغراضها المحدودة القريبة، ولم يعد لديها ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم، تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين.. النمو والترقي للعنصر الإنساني، وللقيم الإنسانية، وللحياة الإنسانية..

لقد أصيبت بالعمق-او كادت- بعد ما ولدته في (الماجنا كارتا)³ الإنجليزية، ومبادئ الثورة الفرنسية، ومبادئ الحرية الفردية التي سادت في ما يسمونه (التجربة الأمريكية).

وكلها كانت قيماً محدودة تروج في فترة خاصة، وتواجه حالات محدودة وأوضاعاً خاصة. ولم تكن رصيماً لبنى الإنسان يصلح للبقاء مدة أطول من الفترة التي عاشتها تلك المبادئ الموقوتة!⁴

إن من ينظر بتجرد وعمق في الحضارة الغربية المادية يجد أنها لم تسعد بنى الإنسان، ولم تفلح في علاج مشكلات المجتمعات الإنسانية، بل إنها خلّفت كثيراً من المشكلات، وأفرزت كثيراً من العطب والأزمات، وسببت عديداً من الأدواء التي أشقت البشرية، ومن يماري في هذا فإننا نحيله إلى حوادث التاريخ وسجلاته، ونطلب منه أن يحول بصره تجاه واقع الغربيين، وينظر بعين بصيرته فيما هم عليه في ظل الحضارة الغربية المادية، وسيدرك أن هذه الحضارة لم تسعد أهلها، ولا أيّ شعب سار على نهجها، وأنه ليس لها من الخصائص ما يؤهلها لأن تكون بديلاً عن ثقافات العالم كله عامة كما يريد لها أهلها، فضلاً عن ثقافة الإسلام ونظمه.⁵ من ناحية أخرى فإن هذه الحضارة أو الجاهلية⁶ الحديثة - بتعبير الأستاذ محمد قطب - لم تدع شيئاً في

¹ - نقل سيد قطب هذا القول في كتابه المستقبل لهذا الدين، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الشرعية الرابعة عشرة، 1413هـ-1993م، ص: 47.

² - لو استقرأنا التاريخ في قيام الحضارات وسقوطها، لوجدنا أن وراء زوال أي حضارة انحطاط أخلاقها بالدرجة الأولى كما يؤكد على هذا المعنى واحد من كبار الباحثين في الحضارات الإنسانية، وهو غوستاف لوبون، إذ يقول: "ونحن إذا ما بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم، وهي التي حفظت التاريخ لنا خبرها كالفرس والرومان وغيرهم، وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها، ولست أرى أمة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها." غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م ص: 129-130.

³ - **الماجنا كارتا** (Magna Carta) أو الميثاق الأعظم يعتبر أول دستور مكتوب في التاريخ الحديث. وصدرت مسودة هذه الوثيقة عام 1214 ثم صادق عليها الملك جون لاكلاند عام 1215م. وتنظم وثيقة ماغنا كارتا العلاقة بين القوى الرئيسية الثلاث في إنجلترا، وهي الملك والبارونات والكنيسة. وتلزم هذه الوثيقة الملك بالقانون الإقطاعي وبالمحافظة على مصالح النبلاء. ولم تكفل ماغنا كارتا الحريات الفردية لجميع فئات الشعب، لأن هدفها كان إخضاع الملك لحكم القانون وكبح جماح السلطة المطلقة. أنظر مزيداً من المعلومات حول هذا الميثاق في موقع الجزيرة الإخباري: <https://www.aljazeera.net/news>

⁴ - المستقبل لهذا الدين، ص: 48.

⁵ - إسماعيل علي محمد، مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، دار النداء - اسطنبول، الطبعة الأولى 2014م، ص: 170.

⁶ - **أصل مادة (جهل)** تدل على معنيين: أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفة وخلاف الطمأنينة. والجاهلية مصدر صناعي: " يعبر بها عن التناهي في الجهل "، وأصل الجهل من قولهم: استجهلت الريح الغصن، إذا حركته، فكان الجهل إنما هو حركة تخرج عن الحق والعلم. انظر:

عالم التصور بلا فساد! فلقد أفسدت كل تصورات الإنسان وارتباطاته.. بالله والكون والحياة.. والإنسان!

هناك انحراف رئيسي في تصور الحقيقة الإلهية، وعلاقة الإنسان بالله.

وانحراف في تصور الكون، وعلاقته بالله، وعلاقة الإنسان به وعلاقته بالإنسان.

مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (جهل) 489/1، ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض 597/2، نظم الدرر للبقاعي، 220/5.

ويتحقق في هذا المصطلح "الجاهلية" المعنى الأساسي لمادة "الجهل"، وهو الخفة. فالجاهلية هي الحالة العامة من الجهل والخفة، التي تصيب الفرد أو المجتمع. وهي إما أن تكون بمعنى عدم العلم، وإما أن تكون بمعنى عدم الانضباط والالتزام، وهذا هو الغالب فيها. وقد وردت لفظة "الجاهلية" أربع مرات في القرآن، في أربع آيات "مضافة" لما قبلها تحمل الدلالات التالية: جاهلية عقيدة وظن {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} سورة آل عمران: 154، وجاهلية حكم وتشريع {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} سورة المائدة/50، وجاهلية تبرج وسلوك {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} سورة الأحزاب/33، وجاهلية حمية واندفاع {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ} سورة الفتح/26 وقد أطلق القرآن الكريم لفظ: (الجاهلية الأولى)، "والجاهلية الأولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء... ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى - جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى - جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام" تفسير الزمخشري، 3/537.

وقد أحسن المفكر الإسلامي الأستاذ محمد قطب وأجاد وأفاد في كتابه "جاهلية القرن العشرين" في بيان معنى "الجاهلية" كما هو في واقع الأمر وكما عناه القرآن، حيث يؤكد على أن "الجاهلية" ليست فترة معينة من الزمن - كانت - في الجزيرة العربية - قبل الإسلام، كما يتصورها البعض الذين يرون أنها فترة تاريخية مضت إلى غير رجوع، وليست هي المقابل لما يسمى العلم والمعرفة والحضارة والمدنية والتقدم المادي والقيم الفكرية والاجتماعية والسياسية والإنسانية على إطلاقها، كما يتصورها آخرون، سواء بالنسبة للجاهلية العربية أو بالنسبة للقرن العشرين.. بمعنى أنه لا يوصف بها إلا الإنسان الجاهل، الذي لا علم ولا معرفة عنده، فهذه الحالة توصف بالجهل وليس بالجاهلية.. إنما الجاهلية - كم عناها القرآن وحددها - هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} سورة المائدة/50.

هي إذن مقابل معرفة الله، والاهتداء بهدى الله، والحكم بما أنزل الله.. وليست مقابل ما يسمى العلم والحضارة المادية ووفرة الإنتاج!.. ومن ثم فهي ليست محصورة في الجاهلية العربية ولا في فترة من الزمن معينة.. وإنما هي حالة يمكن أن توجد في أي وقت وفي أي مكان.. كما توجد كذلك في أي "مستوى" من المعرفة و "الحضارة" والتقدم المادي والقيم الفكرية والسياسية والاجتماعية و "الإنسانية"!.. إذا كانت هذه كلها لا تهتدي بالهدى الرباني، وتتبع أهواءها وترفض أن تتبع ما أنزل الله. أنظر: **جاهلية القرن العشرين**، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة: 1408هـ-1988م، ص: 5-9 بتصرف

والى هذا المعنى أشار سيد قطب عند تفسير لقوله تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} سورة المائدة/50، قال: "الجاهلية- كما يصفها الله ويحددها قرآنه- هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر والعبودية لهم من دون الله..

إن الجاهلية- في ضوء هذا النص- ليست فترة من الزمان ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام. "في ظلال القرآن، 2/904.

ويمكننا أن نستدل -على أن "الجاهلية" ليست مرحلة زمنية مضت وانتهت - بكلمة الصحابي الجليل جعفر ابن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة، التي جادل بها عن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، وأرسلت قريش وفدا لاسترجاعهم إلى مكة، قال سيدنا جعفر مخاطباً الملك الحبشي: "أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.. سبق تخريج هذا الحديث.

إن هذه الأوصاف القبيحة التي وصف بها جعفر ابن أبي طالب المجتمع المكي في وقته هي التي أدت إلى إطلاق وصف "الجاهلية" عليه.. وبالتالي فإن كل مجتمع فشلت فيه هذه الصفات، وانتشرت فيه هذه الأخلاق هو مجتمع "جاهلي" ولو بلغ أهله من "التقدم" المادي ما بلغوا.. وبالتالي فإن "الجاهلية" جاهليات ..

وانحراف في تصور الحياة وارتباطاتها وأهدافها.

وانحراف في تصور النفس البشرية، وارتباطات الإنسان بالإنسان، فرداً وجماعة وجنسين.

وباختصار هو انحراف يشمل كل حياة الإنسان¹.

إن مرد هذا الانحراف الذي أصاب البشرية جمعاء راجع بالأساس إلى انحراف الناس في هذا العصر عن المنهج الرباني عقيدة وشريعة، وجدانا وسلوكا، هذا المنهج الذي يتأسس على العقيدة الصحيحة في الله، يقول محمد قطب: " كل الجاهليات لا تؤمن بالله الإيمان الحق.

تلك هي الخبيصة الكبرى المشتركة بين كل جاهليات التاريخ. بل هي الأساس الذي تنشأ منه الجاهلية، وتنبت عليه كل الانحرافات الأخرى في التصور وفي السلوك.

إن العقيدة الصحيحة هي التي تحدد للإنسان مكانه الصحيح في الكون، وتسدد خطاه في الزمان والمكان، فيستقيم وجدانه وسلوكه، ومشاعره وأعماله، ومبادئه وواقعه.

وحين تتحرف هذه العقيدة فلا بد أن يشمل الاضطراب كيان الإنسان كله.. فلا يعود تلك الوحدة التي ينبغي أن يكونها، ولا يشمل كيانه الأمن والسكون اللذان يستمتع بهما في ظلال العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح³.

إن النظر الفاحص في الحضارة الغربية يجلي لنا، من خلال واقعها، أنها نحت منحى مادياً نفعياً واسعاً، حيث غلبت من خلاله الجانب المادي على الجانب الروحي، وظلت سادرة في هذا الاتجاه، بل وصدرته إلى كل دول العالم الأخرى، والتي أصبحت بدورها تحاكيها فيه.

هذا الطغيان المادي النفعي التي وصلت إليه حضارة الغرب المعاصرة ليس وليد اليوم، إنما ترجع جذوره إلى ما ورثته عن الدولة الرومانية التي أقصت الدين من الحياة، يقول ليوبولد فايس (محمد أسد): الحقيقة الباقية أن كل ما هو اليوم حقيقي في الاستشراف الغربي للحياة والأخلاق يرجع إلى المدنية الرومانية. وكما أن الجو الفكري والاجتماعي في رومية القديمة كان نفعياً بحثاً ولا دينياً - لا على الافتراض بل على الحقيقة - فكذا هو

¹ - من أبرز صور الانحراف الذي طبع حضارة هذا العصر: الانحراف عن دين الله اعتقاداً وتشريعاً، واتباع الأهواء، وتحكيم الطواغيت، وهذا ما شرحه محمد قطب بقوله: " فأما الانحراف عن عبادة الله - عقيدة وشريعة - فأمر أشهر من أن يشار إليه! أمر لا يقف عند حد الانحراف عن العقيدة في كثير من حقائقها، والانحراف عن الشريعة في كل مظاهرها.. وإنما يتعداه إلى الإلحاد الكامل، يتلهى به أفراد، أو تفرضه الطواغيت على الناس، وتباركه الشياطين في جميع الأحوال.

وأما اتباع الأهواء.. فليس في التاريخ قرن ركب رأسه واتباع هواه كما صنع هذا القرن في كل شيء.. في الشرق وفي الغرب سواء.. من تحطيم للعقائد. ولهو بالمقدسات.. وعيث بكل الضوابط التي تضبط تصرفات الإنسان.. وأما الطواغيت.. فما أكثرهم! طاغوت الرأسمالية تارة، وطاغوت البروليتاريا تارة، وطاغوت الفرد المقدس تارة، وطاغوت العرف الفاسد والقيم المنحلة تارة.. وهي في كل مرة طواغيت! " جاهلية القرن العشرين، ص: 50.

² - جاهلية القرن العشرين، ص: 55، وقد تناول الأستاذ محمد قطب في هذا الكتاب القيم جاهلية الحضارة الغربية المعاصرة وأسبابها، وملامحها وانعكاساتها في تصورات البشر وسلوكهم الواقعي ونتائجها في حياتهم ومستقبلها ومظاهر الفساد في السلوك والسياسة والاقتصاد والأخلاق وفي علاقات الجنسين وفي الفن، كما ذكر العلاج الرباني المتمثل في السير على منهج الله وضرورة التمسك بالإسلام لمحو هذه الجاهلية.

³ - جاهلية القرن العشرين، ص: 42.

الجو غب الغرب الحديث. ومن غير أن يكون لدى الأوروبي برهان على بطلان الدين الحق، ترى التفكير الأوروبي الحديث- بينما هو يتسامح بالدين أحيانا وأحيانا يؤكد أنه عرف اجتماعي - يترك على العموم الأخلاق لمطلقة خارج نطاق الاعتبارات العملية. إن المدنية الغربية لا تجدد الله البتة، ولكنها لا ترى مجالا ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي"¹.

وقد تولدت عن المنحى المادي المذكور حالة من التيه والضياع تمثلت في العديد من السلوكيات الشاذة في الغرب، والتي تجسد الانحطاط الخلقي للإنسان في أبشع صوره. ومن هذه السلوكيات التفسخ الأخلاقي بشتى صوره وإدمان المخدرات وارتفاع نسبة الجريمة والنسب العالية للانتحار وانتشار العصابات مثل المافيا وغيرها، علاوة على العديد من أنماط الشذوذ والانحراف الجنسي، أما عن التفكك الأسري فحدث ولا حرج².

فهذا الإغراق المفرط في الماديات والتجاهل التام للروحانيات أفرز مجتمعات ظاهرها السعادة و باطنها التعاسة والشقاء، حيث الضلال والقلق والتوتر الدائم والأمراض النفسية المتباينة. وهذه سنة الله في من تتكبر عن طريق الهدى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِئْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} سورة طه/، يقول سيد قطب: " إن العذاب النفسي، والشقاء الروحي، والشذوذ الجنسي، والانحلال الخلقي³ .. الذي تقاسي منه هذه الأمم اليوم، ليكاد يغطي على الإنتاج والرخاء والمتاع وليكاد يصبغ الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء "¹.

¹ - الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص: 37.

² - يقول الإعلامي أحمد منصور متحدثا عن انهيار الأسرة في الغرب من خلال معاشته الصحفية ورحلاته إلى أوروبا وأمريكا معتمدا على الوثائق الرسمية ومشاهداته الواقعية : " خلال الأعوام الخمسين الماضية أي في أعقاب الحرب العالمية الثانية بدأ مفهوم الأسرة وقيمها تتلاشى شيئا فشيئا ففتينا داخل المجتمعات الغربية ، وأصبح نجاح الفرد من الناحية الاقتصادية سواء كان رجلا أو امرأة هو الشغل الشاغل والهدف الرئيسي لدى الجميع، وأصبحت الأسرة والأطفال لا تعني لدى الرجل سوى أعباء والتزامات اقتصادية لا يريدها، كما أصتبحت عائقا يقف أمام شهواته ونزواته ورغبته في أن يكون كل يوم مع عشيقه وليس مع زوجة تربطه بها وشائج المودة والرحمة التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، والمرأة في المقابل أصبحت كذ لك، وحينما تغلبها عاطفة الأمومة تلجأ إلى أي صديق أو رفيق أو حتى عابر سبيل لتحمل منه ولدا فقط لتسبغ هي غريزة الأمومة في نفسها " ثم استشهد على هذا الوضع الأسري المزري بالتقارير الصادرة عن المؤسسات الغربية المهتمة بهذا المجال، وذكر منها تقريرين أحدهما يتحدث عن انهيار الأسرة داخل الولايات المتحدة، والأطفال الذين يولدون خارج إطار الزواج مما أدى إلى انهيار القيم العائلية، وقد نشرت ها التقرير صحيفة U.S.A. TODAY الأمريكية في عددها الصادر في 28 يناير 1997م، وأما الآخر فإنه يتحدث عن نفس الموضوع وأثره على انهيار المجتمع الأوروبي، وقد نشرته مجلة NEWSWEEK الأمريكية في عددها الصادر في 20 يناير 1997م. ومما جاء في هذا التقرير الأخير ما يلي: " نسبة الولادة لأطفال خارج الزواج من خلال التقارير الرسمية لعام 1994م تعطي مؤشرا عن حجمها الكبير :

السويد 50%، والدانمارك 45.8% ، النرويج 45.9% ، فرنسا 34.9% ، المملكة المتحدة 32%، فنلندا 31.3%، هولندا 31.1%، النمسا 26%، إيرلندا 19.7%، البرتغال 17%، ألمانيا 15.4%، لوكسمبورغ 12.9%، بلجيكا 12.6%، إيطاليا 7.3%، واليونان 2.9% " أحمد منصور، سقوط الحضارة الغربية: رؤية من الداخل، دار القلم دمشق ص 63-64-69.

³ - العديد من علماء الغرب اعترفوا بأن بلدانهم حدثت بها طفرة حضارية مادية مع انحطاط سلوكي وأخلاقي بلغ حد البهيمية، فضلا عن تفكك أسري، مما أدى إلى أمراض اجتماعية لا حصر لها. يقول ريتشارد لفينجستون وكيل جامعة أكسفورد في كتابه " التربية لعالم حائر " ترجمة محمد بدران، ص: 14 و 28 : " لو أننا كنا نبحث عن كلمة براقة نصف بها عصرنا هذا، لطرأت على أذهاننا عبارات عدة، فقد نطلق عليه: عصر العلوم، أو عصر الثورة الاجتماعية، أو العصر الذي خلا من المعايير الخلقية، غير أن اسما من هذه الأسماء لن يبين حقيقة العصر كاملة، أو ينصفه إنصافا تاما ، على أن الإسم الأخير أجدر من غيره بعض الشيء بأن يوضع موضع الاعتبار " ، ويقول أيضا :

إن الواقع ينطق أنه لا شيء من السعادة والطمأنينة قد تحقق؛ لأن هذه الحضارة المادية وفّرت للإنسان راحة الجسم، ولم توفر له راحة النفس، حققت له الرفاهية المادية، ولم تحقق له السكينة الروحية، هيأت له الوسائل والأدوات، ولم تهَيِّئ له المقاصد والغايات، فأضحى يعيش مفتوناً بالمظهر، فاقداً للجوهر.

كما أن العلم المادي زوّد الإنسان الغربي بآلات وأسلحة، جعلت له من القوة والسلطان ما يدفعه إلى الطُغيان والاستبداد، والاستعمار والسيطرة على مقدّرات الآخرين، وفرض وصايته عليهم، وجرمانهم من فرض سيادتهم على أرضهم، أو استقلاليّة قرارهم، وما يحدث من أمريكا اليوم أكبر دليل، وهو واضح معلوم يُغنيانا عن السرد والتفصيل.

المطلب الثاني: دور الأمة الرسالي

إنّ الأُمّة الإسلامية تمثّل الامتداد الرسالي والحضاري لحركة الأنبياء والرسل.. وعليها أن تتحمّل مسؤوليتها الرسالية بأهليّة وجدارة.. فهي وارثة تأريخ الأنبياء، والمسؤولة عن مواصلة المسيرة، وحمل الرسالة والدعوة الإسلامية إلى العالم أجمع؛ لتكون هي الأمة الشاهدة على العالم؛ ولتحقق دور الشهادة على الناس. فهي لا تحتل هذا الموقع، إلا بحمل رسالتها، وتجسيد مبادئها، يقول مالك بن نبي (ت1393هـ): " لو حاولنا تحديد دور المسلم عامة ما كان لنا أن نختار سوى ما اختاره الله له دوراً في التاريخ، يقول عز وجل: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } سورة البقرة/143. هكذا يحدد الله دور المسلم بصورة عامة، وليس لنا أن نختار له دوراً أشرف وأفضل منه، وإنما نلفت النظر إلى خطورة هذا الدور وإلى مقتضياته، التي هي من اختصاص الفقهاء ومن اختصاص الحقوقيين، لأنهم يعرفون شروط تركية الشهادة، والشاهد من الناحية العقلية ومن الناحية الأخلاقية معاً".²

ويبين في موضع آخر حقيقة هذا الشهود الحضاري المنوط بالمسلم قائلاً: " فالواقع أن (الشاهد) في أساسه هو (الحاضر) في عالم الآخرين. والصفة الأولى المكتسبة لإثبات قيمة أي (شهادة) هي: (حضور) الشاهد. ومنذئذ، إذا كان متعيناً على المسلم أن يقوم بالدور الملقى على عاتقه في الآية السالفة، فهو مجبر على الحياة في اتصال وثيق بأكبر عدد من الذوات البشرية ومشاكلها كذلك. ومن ثم يتعين على (حضوره) أن يعانق أقصى حدّ ممكن في المكان، لكي تعانق (شهادته) أقصى كمّ ممكن من الوقائع. وعلاوة على ذلك، فإن المسلم في هذه الحالة ليس صاحب دور سلبي محض؛ إذ أن حضوره نفسه يؤثر على الأشياء وعلى أعمال الآخرين.

لكنك إذا انتقلت من ميدان العلوم إلى ميدان الأخلاق والدين، رأيت نفسك في أرض قفر، تسودها المعتقدات المزعزعة، والمعايير الخلقية المحطمة " يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م، ص: 33.

¹ - الظلال، 1091/2.

² - مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر - دمشق / دار الفكر - الجزائر، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1991م، ص 10-11.

فعندما يكون الشاهد حاضراً، يمكن لحضوره فحسب أن يغير من سير الأحداث، وأن يجنب الوقوع في المحذور؛ وعلى هذا فإن رسالة المسلم في عالم الآخرين لا تتمثل في ملاحظة الوقائع، ولكن في تبديل مجرى الأحداث، بردها إلى اتجاه (الخير) ما استطاع إلى ذلك سبيلاً: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »¹.

إنّ العالم بحاجة اليوم، أكثر من أي يوم مضى، إلى رسالة الأنبياء، وإلى دعوة الأنبياء.. وإنّ هذه الأمة، هي المسؤولة عن القيام بهذا الدور الرسالي.. ولذا يجب على المسلمين أن يعرفوا موقعهم من حركة التاريخ، وأنّه موقع القيادة والريادة. يقول سيد قطب مبرزاً لمسؤولية المسلمين تجاه غيرهم من سكان المعمورة: " إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اعتزاز، وشعور الاطمئنان في غير تواكل. وأنها تشعر المسلمين بالتبعية الإنسانية الملقة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعية القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السوي، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } سورة آل عمران/110".³

لقد نسي المسلمون أنّهم أمة العلم والإيمان، وورثة مسيرة الأنبياء، وحملة رسالة الحضارة والقيم. وعندما أضاعوا رسالتهم، وأصالتهم الإسلامية، تحوّلوا إلى وجود مهمل، وقافلة تلهث وراء المسيرة. إنّ البشرية بحاجة إلى ما بأيدينا من رسالة وقيم وتراث مجيد.. وعلينا أن نعي دورنا التاريخي، وعظمة مبادئنا، ونعرف أننا مكلفون بدور قيادي في حياة البشرية، وأن نكون في طليعة الركب، وفي مقدّمة المسيرة. ف" أصحاب عقيدة التوحيد - حين يفيئون إلى منهج الله الذي منّ به عليهم وينادون به - يملكون أن يتقدموا للبشرية بالشيء الذي تفقده جميع المناهج والمذاهب والأنظمة والأوضاع في الأرض كلها بلا استثناء. ومن ثم يكون لهم اليوم وغدا دور عالمي إنساني كبير، ودور قيادي أصيل في التيارات العالمية الإنسانية: دور يمنحهم سبباً وجيهاً للوجود العالمي الإنساني، وللقيادة العالمية الإنسانية . إنهم لا يملكون أن يقدموا للبشرية اليوم أمجاداً علمية، ولا فتوحات حضارية، يبلغ من ضخامتها أن تتفوق تفوقاً ساحقاً على كل ما لدى البشرية منها.. ولكنهم يملكون أن يقدموا لها شيئاً آخر: شيئاً أعظم من كل الأمجاد العلمية، والفتوحات الحضارية، إنهم يقدمون " تحرير الإنسان " بل " ميلاد الإنسان " .⁴ إنّ الأمة الإسلامية، تملك كل عناصر النهضة، وأسباب القوة، ومستلزمات القيادة البشرية، فهي تملك:

¹ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، الحديث 49، 6/1.

² - مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة: الطيّب الشّريف، دار الفكر المعاصر - بيروت / دار الفكر - دمشق، إعادة الطبعة الثانية 1431هـ - 2000م، ص: 72.

³ - من مقدمة الأستاذ سيد قطب لكتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ لأبي الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة، ص: 10.

⁴ - خصائص التصور الإسلامي، ص: 207 .

الرسالة والقيم الإنسانية السامية.

وتملك طاقات بشرية ضخمة تزيد على مليار إنسان.

وتملك ماضياً مجيداً، وتراثاً تاريخياً عظيماً.

وتملك ثروات طبيعية هائلة، وأرضاً خصبة غنية.

وتملك موقعاً استراتيجياً فذاً.

ولديها طاقات وكفاءات علمية وفكرية، لو أحسن استخدامها، لارتقت بهذه الأمة إلى مستوى علمي رفيع.

إنّ هذه الأمة بحاجة إلى وعي لرسالتها، ومعرفة لدورها القيادي، وذلك بـ "إيقاظ الشعور الديني في المسلمين، وإعادة الثقة إلى نفوسهم بمركزهم ومبدئهم وغايتهم في الحياة ورسالتهم للعالم البشري، وتهيئة النفوس لحمل هذه الرسالة وتبوء مركز القيادة والإمامة للعالم الحائر التأثير، وتجديف سفينة الحياة الضائعة بين الملاحين العابثين والركاب النائمين"¹. فمتى ما عرف الإنسان المسلم أنّه مكلف بمواصلة مسيرة الأنبياء، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم أجمع، وهداية الإنسان، يكون قد اكتشف موقعه التاريخي، ودوره الإنساني في الحياة، والذي شخّصه القرآن الكريم: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } سورة يوسف/108.

فها هو القرآن الكريم يقرر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه، وساروا على نهجه، وهي الدعوة إلى الله، وحمل الرسالة. وهداية الإنسان، وإصلاح البشرية.. إنّ هذا هو السبيل، وليس غيره.. هو السبيل الذي سار فيه الأنبياء جميعاً، وواصل السير فيه خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ويسير فيه أتباعه، وحملة رسالته من بعده.

¹ - أبو الحسن الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق الطبعة: الرابعة، 1399 هـ - 1979 م، ص: 3.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أما النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث فأقدمها في الخلاصات التالية:

- من خلال الدراسة المعجمية توصلنا إلى أن مدار مصطلح الكفر هو (الكفر)، ومن فعله (كفر) الثلاثي، الدال على الستر والتغطية.

والمعنى الاصطلاحي للفظ الكفر مستقى من المعنى اللغوي الذي عليه مدار مادة (كفر) أي التغطية والستر، كما دلت على ذلك أقوال العلماء المحققين حيث قالوا: سُمِّيَ الكافر كافراً لأن الكُفر غطَّى قلبه، وستر الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له.

- أن الكفر ورد في موارد معتبرة في نصوص الوحيين الشريفيين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد على صورتين:

1 - مُعَرَّفاً بالألف واللام، فالمراد به الكفر المعهود أو المستغرق في الكفر، وهو المخرج من الملة.

2 - ويأتي منكراً غير مُعَرَّف لا بالألف واللام، ولا بالإضافة والتخصيص.

فلا يعد بالصورة الثانية كفراً أكبر؛ بل الأصل فيه أنه كفر أصغر لا يخرج من الملة، حتى يرد من القرائن ما يدل على أنه الأكبر.

- يدل حجم ورود مشتقات مصطلح (الكفر) في نصوص القرآن والحديث على حضور المفهوم في النصوص الشرعية بقوة، وفي كل المجالات القرآنية؛ العقدية والتشريعية والأخلاقية وأيضاً مجال المعاملات، مما يدل على قوة البنية المفهومية للمصطلح : قوة تظهر جلياً من خلال كثرة صفاته وضائمه، وتشعب علاقاته، وتعدد معانيه، وتتوع قضاياها الممتدة داخل النص القرآني كله. فحجم الورد دال على منزلة هذا المفهوم البالغة الخطورة، فالقرآن الكريم حرص من بداية سورة الفاتحة في قوله تعالى { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الآية (7) على إيراد موضوع الكفر وبيانه بتفصيل، فلا تكاد تقلب صفحة من القرآن الكريم إلا وتجد لهذا الموضوع ذكراً أو تنبيهاً، مما يدل على حجمه (التمتيز) في نسق المفاهيم القرآنية.

- أما وظيفة المصطلح سواء بصيغته الفعلية أو الإسمية فهي وظيفة زجرية تحذيرية (في مقامي التحذير والترهيب معا) الهدف منها ذم الكفر والكافرين وبيان سوء مصيرهم، والتنشيع على طريقته، وفي المقابل دعوتهم إلى الإيمان بالحجة والبرهان.

- وإذا نظرنا إلى صفات المصطلح وضائمه في صيغته المصدرية (علماً أن صفات مصطلح الكفر مأخوذة من ضائمه كما سبق توضيحه) وجدنا أنها تدل على أن الكفر الذي هو ضد الإيمان يكون قولاً وعملاً واعتقاداً وتركاً، كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد. وهو شعب وأجزاء، والكفر منه ما هو أكبر،

وهو: ما نقض أصل الإيمان، أو كله، وهذا يخرج من الملة. ومنه ما هو أصغر، وهذا لا يخرج من الملة، لكن صاحبه تحت المشيئة الإلهية. والكفر حكم شرعي، لا يثبت إلا من طريق الشارع.

- أما علاقات مفهوم الكفر بغيره من المفاهيم القرآنية فهي علاقات واسعة، فمصطلح الكفر ينطوي على مفهوم عقدي واسع يرتبط بمجموعة من المفاهيم الكلية التي تؤدي إليه أو يؤدي إليها، ومن ثم فهذا المفهوم يتقاطع مع مفاهيم كبرى متعددة منها: الظلم والطغيان والتكذيب والجحود والشك والشرك والنفاق والفسق والاستكبار والضلال والفتنة والطاغوت والصد عن سبيل الله والاستهزاء والفساد والإفساد والافتراء والإعراض والإجرام والشقاق والإلحاد والجدال بالباطل والفجور والجاهلية والعصيان والاعتداء والردة والمكر والخيانة والكيد...

- أما أهم الخلاصات التي وقفنا عليها من خلال دراسة القضايا المرتبطة بمصطلح الكفر، فنجملها فيما يلي:

- 1 - الكفر اصطلاح وحكم شرعي محضٌ مرده إلى الله في كتابه، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة الثابتة عنه، وليس مبناه على الهوى والتشهي وسوء الظن أو فاسد الفهم. فمن كفرهم الله أو كفرهم رسوله صلى الله عليه وسلم عيناً أو جنساً أو وصفاً وجب وتعين تكفيرهم، وما لا فلا، وليس لأحد ابتداء تكفيرهم دون مستند شرعي صحيح وصريح.
- فمن كفر في النص الشريف وحيّاً على سبيل التعيين: إبليس وفرعون.
- وممن كفر جنساً: المشركون واليهود والنصارى والمجوس ونحوهم.
- وممن كفر وصفاً: المستهزئ بالله أو بآياته أو برسوله، والمحكم لغير ما أنزل الله، والساحر والكاهن ومدعي علم الغيب ونحوهم.
- 2 - أن الكفر كالإيمان له شعب كثيرة، ولما كان الكفر شعباً كثيرة، فإن هذه الشعب متفاوتة، الكفر فيها درجات، فمنها الكفر الأكبر كسب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه، ومنها الكفر الأصغر؛ كسب المسلم وقتله والنياحة، كما أن الكفر الأكبر، شعبه متفاوتة أيضاً تفاوتاً واضحاً، وكل من نوعي الكفر الأكبر والأصغر على مراتب بعضها أشد من بعض.
- 3 - أن الكفر نوعان: كفر أكبر مخرج عن الملة، ومحبط للعمل، وموجب للخلود في النار، ولا يُغفر لصاحبه، وينفى عن صاحبه اسم الإيمان أصلاً وكمالاً، كالسحر وسب الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو دينه أو كتابه أو الإعراض عن دين الله .. !!
- وكفر أصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط العمل ولا يوجب الخلود في النار، وهو تحت مشيئة الله في مغفرته، ولا ينافي أصل الإيمان، بل ينافي كماله الواجب، وهو حكم الكبائر من الذنوب، كالنياحة على الميت، والطعن في الأنساب، وقتال المسلم .. الخ.
- 4 - أن أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفير جداً، ويجعلونه حقاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحدٍ إلا من كفره الله أو كفره رسوله صلى الله عليه وسلم.

5 - أن أهل السنة والجماعة يفرقون بين الكفر المطلق والكفر المُعَيَّن بالكفر الأكبر مطلقاً على غير معينين، ولهم شروط وضوابط وتورّع وديانة في إيقاعه على المعينين، فإنهم يرون كفر المعين يقع عليه بنفسه، وأهم هذه الشروط في إيقاع الكفر الأكبر عليه بلوغ الحجة عليه، واندفاع الشبهة عنه.

6- أن الكفر سبب لهلاك الأمة سواء كان في الدنيا أو في الآخرة. ففي الدنيا ذكر القرآن الكريم بعض القصص السابقة من الأمم الكافرة، وقد أنزل الله تعالى عليهم أصنافاً من العذاب بسبب كفرهم بالله تعالى وعدم إقرارهم بألوهيته سبحانه. وأما عاقبته في الآخرة فالقرآن الكريم بكل وضوح يبين مصير الكفار ويفصل بعض أنواع العذاب الذي يلحق بهم في النار مما لا نطيق أن نتصور أشكاله بخیالنا.

7- يظهر بسبب الكفر الفساد الكبير المتنوع في الحياة الاجتماعية، لأن من يكفر فإنه لا ينظر إلى مستقبل حياته الآخرة، ولا يخاف شدة العقاب الأخروي، فيفعل كل ما يشبع شهوته ويملاً بطنه للحصول على هذه المذات، ويظهر منه القتل والقتال والزنا والسرقه وغير ذلك.

8- أن الواجب علينا - نحن أمة الإسلام - أن ننشر دين الله بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، تحقيقاً لخيرية هذه الأمة وشهودها الحضاري.

9- أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة رسماً المنهج الصحيح الذي يمكن للمسلمين من خلاله التعامل مع غيرهم من الأمم التي لا يمكن العيش بمعزل عنهم في عصرنا الحاضر، تعاملًا يحققون به مصالحهم، ولا يساومون به على دينهم.

10- إن قتال الكفار من القضايا التي عالجها القرآن الكريم ووضح الهدف الحقيقي من تشريعه، وهو تعبيد العباد لله وترك عبادة العباد، ثم إنه وضح الأسباب الموجبة للقتال من دفاع أو نصره للمستضعفين أو بسبب الغدر ونكث العهد وإضرار العداوة والبغضاء للمسلمين... وغير ذلك، وأنها أسباب مشروعة يقرها العقل والنقل والأخلاق.

وأخيراً فإن رحلتنا مع مفهوم الكفر مذ كان شتلة إلى أن صار شجرة ذات عروش وأوراق وثمار، رحلة ممتعة ومضنية معاً، ممتعة لأنها رحلة مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومع فهوم العلماء، ومضنية لأنها تبحث عن موضوع ينبغي الحذر من الوقوع فيه، والمتمثل في الكفر وما يترتب عليه من أحكام بالغة الخطورة في الدنيا والآخرة.

التوصيات:

- ❖ على الفرد المسلم أن يعلم الشر كما ينبغي عليه أن يعلم الخير، لأن من لا يعرف الشر لا يأمن من الوقوع فيه، وبمعرفة يتمكن المسلم من اجتنابه والابتعاد عنه، وإن أخطر الشر عليه هو الكفر.
- ❖ تجنب الكفر يتطلب من المسلم تجنب أسبابه، فعليه أن يبتعد عن الأسباب كي لا يقع في المسبب.

❖ معرفة خطورة الكفر وعواقبه في الدنيا والآخرة يزيد المسلم خوفا وخشية من رب العالمين، فعليه أن يتعلم ويعلم خطورته وعواقبه في الدنيا والآخرة.

❖ لا ينبغي للمسلم أن يتساهل في أمر الكفر، لأن خطره عظيم، وأهل النار إنما يدخلون النار بسبب هذا الكفر.

❖ على كل من له ولاية من الآباء وغيرهم أن يعلم من تحت رعايته وتربيته ويحذرهم من الكفر ويجنبهم أسبابه التي تؤدي إلى الهلاك والفساد في الدنيا والآخرة.

❖ على المسلم أن يعلم أنه ليس على وجه الأرض من يضمن لنفسه السلامة من الكفر، فعليه أن يدعو الله عز وجل في حياته أن يباعد عنه الكفر وأسبابه كما يرجو منه أن يجعله مؤمنا مستقيما على دينه وشريعته إلى يوم يلقاه.

وبهذا، أكون قد أنهيت بحثي مقرا بضعفي وعدم إحاطتي، وأسأل الله سبحانه أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعلني صادقا مخلصا في عملي هذا، مبتغيا به نشر العلم النافع.
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية
- ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- ثالثاً : فهرس الأبيات الشعرية
- رابعاً : فهرس الأعلام المترجم لهم
- خامساً : فهرس المصادر والمراجع
- سادساً : فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
رَبِّ الْعَالَمِينَ	1	246
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	7	51
سورة البقرة		
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	6	9
فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ	256	32
أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	108	51
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ	19	53
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	105	55
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا	109	58
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	6	59
وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ	152	59
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	6	60
تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ	89	60
فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ	89	62
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ	152	63
فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	254	69
الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	6	70
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ	254	84
وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ	88	91
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	161	92
أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	108	94
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ	217	96
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ	7	98
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	39	113
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هَذِي فَمِنْ تَبَعٍ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	39 38	114
أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ	108	118
سَأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ	217	127
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ	14	130
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	193	136

137	191- 192	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ ¹ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
138	217	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتِ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
141	102	وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
154	34	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
158	254	أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَعُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ
163	22	فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
164	105	مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
177	27	وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
177	99	وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
180	217	وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتِ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
60	6	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
196	26	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
200	264	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
203		إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
213	108	أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ
223	124	إِنِّي جَاعِلٌكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
243	6	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
244	39	أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.
244	162 161	أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ.
244	171	صَمٌّ بَكْمٌ غُمٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.
244	257	أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.
247	126	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ

		كَفَرَ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيَنْسِ الْمَصِيرَ
250	4	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
254	99	وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
254	121	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
255	256	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
256	28	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
256	85	أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
260	41	وَأْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونِ
260	217	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
261	41	وَأْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونِ
265	89	وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ
265	254	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ
266	191	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ
270	109	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَزِدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْغُوا وَاصْغَوْا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
270	161 162	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
275	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
279	152	فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ
282	89	فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ
287	62	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
310	217	وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
223	217	وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
324	217	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا
344	178	فَمَنْ غَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ
349	286	رَبَّنَا لَا تَوَاضَعُنَا إِنِ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا
353	213	وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
355	256	فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا
369	256	قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ
385	190	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

390		وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ
405	216	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ
405	191	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
405	193	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ
407	109	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
408	190	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
411	193	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ
411	191	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
412	190	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
413	136	قُولُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
437	120	وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ
444	138	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً
447	286	لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
451	180	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
455	21	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
459	179	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
482	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
		سورة النساء
1	1	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
4	123	مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
31	60	يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ
32	136	وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ
51	131	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا
52	170	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
69	60	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
89	174	قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ
91	155	وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
96	155	فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
101	48	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
117	136	وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
118	136	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ

		يُكْفَرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
118		إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا
123	61	رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا
129	161 162	فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
131	140	وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَقَعَّدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
137	101	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا
160	168	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
162	116	وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
171	140	وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَقَعَّدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
181	137	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا
187	165	لَيْسَ لَكُمُ الْيَوْمَ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلٍ عَنْدَ اللَّهِ كَافِرِينَ
191	36	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
212	119	وَلَا مَرْتَبَ لَهُمْ فَلَئِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ خُلُقٌ حَسَنٌ
214	135	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً
215	137	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا
254	136	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
255	140	وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَقَعَّدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
256	151 150	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا
257	89	وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً
265	101	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا
265	141	وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا
294	157	وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ
308	90	فَإِنْ اعْتَرَلَوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
317	65	فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
325	94	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
337	10	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا
341	94	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

342	48	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
353	105	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
354	62 59	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا الرَّسُولَ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا
355	61	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
365	61	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
392	97	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا
393	62	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
411	90	فَإِنْ اعْتَرَلَوكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
430	19	وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
462	135	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
465	11	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ
472	1	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
473	135	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا
		سورة آل عمران
1	102	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
51	101	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
53	177	إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
55	90	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
60		(وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
62	97	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
83	197	يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ
95	90	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
105	197 196	لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ
113	11	كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
120	90	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
130	54	وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ

169	167	يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
181	100	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ
202	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
203	67	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
203	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
204	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
205	52	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
208	147 148	وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
215	90	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
217	176	وَلَا يَخْرُجُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
218	133	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
219	165	أُولَئِكَ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِهَا فَلَنْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
219	155	إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النُّقْيِ الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ
244	10	مَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ. سورة
245	63	كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ.
253	106	يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
254	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
256	70	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ
257	98	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ
258	73 72	وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
258	73-71	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
265	32	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
276	167	هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ
278	91	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا قَلَنْ يَقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
292	116	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
211	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
311	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
321	89	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ

364	103	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
364	105	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
364	105	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
410	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
413	84	قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالتَّابِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
416	18 19	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
419	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
426	79	وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
432	64	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
434	49	وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
438	26 27	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزُورُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
439	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
451		يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا
465	104	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
479	154	يُظَنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ
483	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
		سورة المائدة
79	73	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ
181	5	وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
121	72	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
406	51	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

		سورة الانعام
2	14	وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
16	82	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
75	33	فَاتَّهَمُوا لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ
98	25	وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
102	88	وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
123	157	أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا
124	55	وَلَيْسَتَنبِيئَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ
131	68	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ
144	4-1	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ الَّذِي

		خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
153	35	وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ
160	21	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
168	35	فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ
195	71	قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى
195	97	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا
199	53	وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا
206	160	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا
230	115	وَتِمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
232	1	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
255	89-88	ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ
255	30	وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
265	122	أَوْمِنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
167	66	وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ
182	33	فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ
287	156	تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا
293	26	وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ
347	151	وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
429	38	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
437		قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا
		سورة الأعراف
58	93- 92	وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ
62	51-50	وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
150	37	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ
75	33	فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ
99	-100 101	أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ تِلْكَ الْأَقْرَى نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ
125	38	قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ
127	-44/ 45	وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

		كَافِرُونَ
62	51-50	وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
153	133	فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ
155	76-75	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ
162	190	جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
182	158	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
196	43	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ
200	146	سَاءَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ
245	90-66	الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
74	37	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّْا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ
266	101	تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ
266	93	فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ
293	38	قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ
333	33	قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
351	53	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ
360	23	قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
360	155	أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
394	145	سَارِيحُكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ
415	126	وَمَا تَنْفَعُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفَرِحَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
417	158	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
427	203	قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
432	158	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
434	73	وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ
438	54	إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
446	172	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ
456		اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ.
462	29	قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ
471	65	وَالِى عادِ أَخَاهُمْ هُودًا

471	73	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْنَا لَنَعْلَمَنَّ كَيْدَهُمْ أَن يَبْتُلُوا عَاهِدَهُمْ لَمَّا تَأْتُوا مَدِينَهُمْ فَيُحْشَرُوا فِيهَا فَيُقْتَلُوا أَوْ يُسَلَّبُوا نَافُسُهُمْ فَذَرْهُمْ وَلِئَلَّامَهُمْ يَتُوبُوا
471	85	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْنَا لَنَعْلَمَنَّ كَيْدَهُمْ أَن يَبْتُلُوا عَاهِدَهُمْ لَمَّا تَأْتُوا مَدِينَهُمْ فَيُحْشَرُوا فِيهَا فَيُقْتَلُوا أَوْ يُسَلَّبُوا نَافُسُهُمْ فَذَرْهُمْ وَلِئَلَّامَهُمْ يَتُوبُوا
سورة الأنفال		
106	60	وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
128	36	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَنْوَالَهُمْ لِيُصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُنَّهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ
139	39-38	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
140	73	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغُضُنِّ أُولِيَاءٍ بِغَضِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْأَرْضِ أَجْمَعُونَ فَتَنَّا فِي الْأَرْضِ وَقَسَادًا كَبِيرًا
245	4	كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ.
245	151	قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
257	35	وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصَدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
266	8-7	وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ {
266	14-13	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَمُ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ
267	8-7	وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ
267	18-17	لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ
268	18	وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ
304	57	تَتَفَقَّهْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْكَرُونَ
305	72	وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {
305	58.	وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ
309	39 :	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ
سورة التوبة		
52	97	الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
270	73	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ
60	74	وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
73	66-65	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
310	74	يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
82	74	يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
82	-65, 66	قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً
83	74	وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
99	17	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ
101	54	وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا

		يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ
102	66-65	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
133	73	جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
134	66-65	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
140	47-49	لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
165	33-32	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
169	77	فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
170	68	وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ
54	73	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُوسُ الْمُصَوِّرُ
170	68	وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
52	97	الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
209	120	مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَعْغِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَالَوْنَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
221	12	وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
224	34	إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
131	31	اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
225	13	أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
225	7	كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
226	11	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفَصَّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
221	12	وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
226	5	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
229	23	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
231	74	يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا
245	54	كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ
245	30	يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَمَّا يُؤْفَكُونَ.
253	66-65	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
266	26	ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ
268	2	فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْزِي الْكَافِرِينَ

170	68	وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ
171		يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرُ الْمَصِيرُ
208	120	{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِنًا يَعْغِطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
271	123	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاغْلُمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
286	-65 66	قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
292	68	وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ
295	29	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
296	29	حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ
299	4	فَأْتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ
299	12	دِينَكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ
300	6	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ
304	123	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاغْلُمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
133	73	وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
309	5	فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
309	5	فَقُلُوا سَبِيلَهُمْ
309	74	يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
60	74	يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ {سورة
102	66-65	وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
344	66-65	قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
360	128	بِالْمُؤْمِنِينَ رِعْوَفٌ رَحِيمٌ
381	41	وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
385	13	أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعَوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
387	15 14	فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
404	29	حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
405	5	فَإِذَا اسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
412	36	الْمُشْرِكِينَ كَأَفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَأَفَّةً
271	123	الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
296	29	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
304	12	وَإِنْ نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ

438	40	إِلَّا تَتَضَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
439	105	وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
469	28	إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ
226	11	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
		سورة يونس
60	86 84	وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
99	74	كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ
105	70 69	إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
112	92	فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً
117	32	فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ
137	83 86	فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
176	33	كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا
137	83	فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ
186	96-97	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ
199	39	بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ
112	3	يَذَّبِرُ الْأَمْرَ
369	99	أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
408	99	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
114	71	كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْتَظِرُوا
414	72	فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
414	84	وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ
458	101	قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
		سورة هود
27	88	وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ
62	60 59	وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ
64	9	وَلَئِنْ أَدْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ
106	61	وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ

133	8	وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
133	7 8	وَلَمَّا قُلْتُ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَمَّا أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
150	60 59	وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ
157	12	أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
174	18	هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
211	25 26	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا سَوْفَ لَنُؤْتِيكَ مِنْ دُونِهِ وَلَئِن مَّتَلَّاهَا شَاوَاكَ فَكَانَتْ مِنْهُ إِذْ ضُلَّ السَّيْلُ وَتَقَالَى بَيْنَهُمَا الْكَلِمَ تَقَالَى وَلَئِنْ قِيلَ لَهُمَا سَبْعُونَ مِائَةً أَلْفَ عَامٍ فَلْيُلْزِمَا بَيْنَهُمَا يَوْمَهُمَا وَلَوْلَا الصَّاهِغُونَ لَخَسِمَ بِهِمَا يَوْمَ ذَلِكَ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَكْبَرَا وَلَئِنْ قِيلَ لَهُمَا سَبْعُونَ مِائَةً أَلْفَ عَامٍ فَلْيُلْزِمَا بَيْنَهُمَا يَوْمَهُمَا وَلَوْلَا الصَّاهِغُونَ لَخَسِمَ بِهِمَا يَوْمَ ذَلِكَ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَكْبَرَا
223	17	وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً
240	17	فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
246	60	أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ
255	17	أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ
360	47	وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
364	118 117	وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ
365	61	هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
433	50	وَالِى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ
		سورة يوسف
124	108	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
459	105	وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ
183	17	وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ
193	33	رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
245	41	فَيَسْقِي رَبِّي خَمْرًا
246	42	أَذْكُرَنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي
246	50	ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
266	87	يَا بَنِي آدَمَ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبَيِّنُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ
267	76	كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُؤْسَفَ
282	58	فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
351	36	تَبَيَّنَّا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
364	103	وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
414	101	رَبِّ قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
422	108	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
459	105	وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

484	108	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
		سورة الرعد
200	7	وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
211	30	كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ
245	5	كُفِّرُوا بِرَبِّهِمْ
268	11	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
		سورة إبراهيم
1	34	إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ
31	22	إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
58	4	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
63	7	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ
65	34	وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ
31	22	إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
31	22	إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
95	29-28	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْفَرَارِ
129	302	وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ
166	30 28	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْفَرَارِ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ
187	8	وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ
202	27	يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
229	3	الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ
245	18	كُفِّرُوا بِرَبِّهِمْ
251	27	يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
252	9	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ
279	7	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ
283	10	إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
471	4	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ
		سورة الحجر
58	9	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
60	2	رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
98	13-12	كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ
103	42	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
147	17	وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
178	8-7	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

203	14	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا
206	2	رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
222	79	وَأَنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مَّبِينٍ
337	39	رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
358	85	فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ
425	9	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
سورة النحل		
60	83-81	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ
65	55-53	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَزُونَ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
73	106	مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
104	55	فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
124	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
125	88	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ
125	25	لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
157	33	وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
196	37	إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ
200	104	إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
214	43	فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
229	107	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
247	106	مَنْ كَفَرَ مَرْتَدًا بَعْدَ إِيْمَانِهِ، فَعليه غضب من الله
248	106	كَفَرَ بِاللَّهِ
252	112	وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
278	27 29-28	قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مِنْهُنَّ الْمُنْتَكِبِينَ
279	72	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ
293	88	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ
303	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
73	105	مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
369	82	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
374	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

402	89	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ
420	125	تَعَالَىٰ اِدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
221	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
429	89	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ
462	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ
467	59	أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ
462	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ
473	97	مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
سورة الإسراء		
1	67	وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا
53	99	فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا
62	89	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا
348	15	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا
72	15	مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
98	46 45	وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
105	20 18	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نُمَدِّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا
117	15	فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
147	67	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا
223	71	يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ
243	59	وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً
245	98	كُفُّوا بِآيَاتِنَا.
253	69	أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا
62	89	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا
260	99	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا
289	43	سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا
301	34	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا
348	15	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا
349	31	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيْنَا نَحْنُ نَرِزْقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا
361	110	قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
365	70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

		تَفْضِيلًا
403	15	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا
425	10 9	الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ إِنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَنَّا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
436	29	وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا
458	70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا
464	24	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
473	70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا
		سورة الكهف
58	80	وَأَمَّا الْفُلَّامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
73	42	يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا
104	42	فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
132	106	ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا
133	56	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُؤًا
211	57	مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
245	105	كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
250	37 38	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا
255	29	وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
285	38-36	وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُيدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا
294	49	وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا
330	6	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا
463	9	أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
		سورة مريم
68	82-81	وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا
83	72	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
119	38 37	فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
131	31	اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
164	31	دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
248	77	كَفَرَ بِآيَاتِنَا
441	64	وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا
		سورة طه

195	82	وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى
195	50	رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى
365	116	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
470	42	اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي
481		وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
		سورة الأنبياء
31	94	فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ
53	94	فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ
31	94	فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ
135	35	وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً
136	35	وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ
146	32 30	أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ
187	107	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
196	73	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا.
227	73	وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ
360	63	بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
360	107	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ،
360	83	وَأُيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
360	107	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
		سورة الحج
59	25	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
62	66	وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ
113	57	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ
147	65	وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ
358	78	وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ
368	40	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
370	39-40	أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
381	78	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
390	40	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
405	39	أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
425	78	هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

447	78	وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
		سورة المؤمنون
115	33	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِ الْآخِرَةِ أَتُوقِنُ أَنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ
165	117	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
218	56	نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ
220	61	يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
245	24	الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُؤْمِنُونَ
223	47	أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ
360	118	وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
		سورة النور
177	55	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
190	45	وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
248	55	وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
279	55	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
		سورة الفرقان
53	50	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا
206	27	وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا
222	74	وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا
259	48	وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا
360	55	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا
436	67	وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا
464	54	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
472	1	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
		سورة الشعراء
59	19	وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ
267	105	كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ
415	50-51	قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ
471	106	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ
		سورة النمل
59	40	أَلَشُّكْرُ أَمْ أَكْفُرُ
63	40	فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَالشُّكْرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ

75	14	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
123	43	وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
123	24	وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
148	14	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
149	14-13	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ
150	14	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
150	14	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ
195	92	فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ
203	81	إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ
266	43	وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ
282	14	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
415	31-30	إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ
415	38	قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
415	42	وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
415	44	رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
439	62	أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُنْظَرُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
		سورة القصص
2	88	وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
31	48	إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ نَاجِدٌ
68	63	تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ
105	61	أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ
222	41	وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَذْعُونَ إِلَى النَّارِ
		سورة العنكبوت
32	25	ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
59	25	ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا
62	47	وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ
65	65	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا
	66	آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
68	25	وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
		وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
68	25	ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
125	13	وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ
149	47	وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ
151	47	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
167	66	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا
	55	آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
208	68	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ
	69	جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَهُمْ سَبِيلَنَا وَإِنِ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ

245	23	كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ
245	52	كَفَرُوا بِاللَّهِ
367	46	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَّ
422	46	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهُنَا وَالْهُكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
459	43	وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ
		سورة الروم
65	33 44	وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
65	13	وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ
99	59	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
103	44 45	مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يُمْهَدُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
113	16	وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحٌ
182	30	فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
219	47	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ
247	44	من كفر فعليه عقوبة كفره، وهي خلوده في النار.
286	30	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
367	22	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ
425	30	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
445	30	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
458		أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
		سورة لقمان
63	12	وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ
105	24	نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ
151	32	وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
157	13	إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
208	22 23	وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يُخْرُجْ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
247	23 24	وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَخْرُجْ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ
		سورة السجدة
176	18	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا
240	2	تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

473	18	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ
		سورة الأحزاب
1	70 71	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
417	40	وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
174	1	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
174	48	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
242	37	وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
223	17	وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ
307	27	أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
349	5	وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ
		وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا
	5	وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ
		ادْعُوهُمْ لِآيَاتِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
433	40	فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
479	33	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
		وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى
		سورة سبأ
155	33	وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا
245	53	وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
246	15	كَفَرُوا بِهِ
256	33	بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ
417	28	وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا
		وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
		وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
		سورة فاطر
32	14	وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ
68	14	إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ
74	13 14	خَبِيرٍ
151	32	ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ
247	39	وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
262	36	فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
365	39	هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْتًا وَلَا
444	1	يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا حَسَارًا
		لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
		هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ
		الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
		سورة يس
223	12	وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ

257	63 64	هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
		سورة الصافات
95	55	فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ
190	96	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُ
203	103	فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
245	107	كَفَرُوا بِهِ
246	126	اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ
264	89	إِنِّي سَقِيمٌ
417	37	جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ
		سورة ص
21	74-71	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
		سورة الزمر
102	65	وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَخْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
103	7	إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ
86	23	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
102	65	وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَخْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
103	7	إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ
154	59-54	وَأَنبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ
245	63	كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
297	15 14	قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلِ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ
342	53	إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
437	56	أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ
459	9	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ
		سورة غافر
68	83	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
68	84	قَالُوا أَمْنَا بِاللَّهِ وَخَذَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ
99	35	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ
105	4	مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ
133	83	وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
166	41 42	وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ

252	84	فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ
253	12	ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخَدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ
253	10	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ
267	25	فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
293	46	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ
473	85	وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ
		سورة فصلت
150	14 15	إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ أَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
150	26 28	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
158	6	وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
196	17	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى
211	6 7	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ
229	17	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
245	41	كَفَرُوا بِالذِّكْرِ
253	52	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نُفْثٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ
257	9	قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
330	34	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ
420	33	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
		سورة الشورى
64	48	وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحْنَا بِهَا وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ
115	29	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ
130	40	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا
157	40	إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
216	25	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
364	13	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
413	13	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
426	52	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
430	38	وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
413	13	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا

		الَّذِينَ وَلَا تَتَقَرَّبُوا فِيهِ
		سورة الزخرف
54	3	إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
58	30	وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ
64	15	وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ
123	57	إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ
124	10	وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا
124	37	لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
255	33	وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سَفْهًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ
292	77	وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْبُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكَثِّبُونَ
		سورة الجاثية
133		وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
198	11	هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ
245	11	كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
422	13	وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ
		سورة الأحقاف
68	6	وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ
147	3	مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ
155	20	وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أُوْهِبَتْمْ طَبَائِطُكُمُ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ
191	34	وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
198	11	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ
253	10	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكَبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
257	34	وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
285	3	وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ
		سورة محمد
459	24	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
459	24	أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
102	28	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ
125	1	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ
126	34	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
143	38	وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
212	21	فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ
271	34	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
459	24	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

سورة الفتح		
54	29	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
111	27	لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا
182	4	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ
271	39	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
479	26	إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ
سورة الحجرات		
58	9	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
367	13	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
178	8-7	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
203	14	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا
266	11	لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ
280	9	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
328	11	وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
347	6	فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
367	13	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ
367	13	اللَّهُ عَلِيمٌ حَبِيرٌ
460	13	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
470	10	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ
470	10	اللَّهُ عَلِيمٌ حَبِيرٌ
470	10	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ
سورة ق		
119	24	أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ
27		الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ
147	6	أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ
سورة الذاريات		
135	13	يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ
446	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
سورة النجم		
4	39	وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
427	4-3	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ
سورة القمر		
52	14-13	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ

145	2-1	اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ
247	14-13	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا
		سورة الرحمن
436	9-7	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ
		سورة الواقعة
413	86	فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
		سورة الحديد
68	20	كَمْثَلْ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا
113	19	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
171	15	فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ² وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
68	20	كَمْثَلْ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ
60	20	أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ
		سورة المجادلة
92	4	ذَٰلِكَ لِنُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ خُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
406	22	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
438	1	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
472	22	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
219	21	كَتَبَ اللَّهُ لِلَّهِ لَاغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
		سورة الحشر
358	10	رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا
392	9	وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
470	11	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
		سورة الممتحنة
472	1	كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
245	5	فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
252	4	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
257	2	إِنْ يَشْقَوْكُمْ بُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
271	11	وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
171	13	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

332	4	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْءِ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ
374	8	لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
406	1	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
408	8	لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
472	1	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
59	4	كَفَرْنَا بِكُمْ
257	2	إِنْ يَتَّقُواكُم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ {سورة الممتحنة
		سورة الصف
61	7 8	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ
252	14	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ
		سورة الجمعة
66	2	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ
469	2	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
		سورة المنافقون
127	2 3	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
169	1	وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ
		سورة التغابن
1	2	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
113	10	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
187	2	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
190	8	فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
-85 261	2	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
		سورة الطلاق
447	7	لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا
		سورة التحريم
-172 306	9	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
		سورة الملك

73	8 9	كَلَّمَ الْقَيِّ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ
258	14	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
		سورة نوح
434	1	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
		سورة المزمل
254	17	فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا
		سورة المدثر
243	56	هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ
284	16	كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا
197	31	يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
294	42 46	مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ
		سورة القيامة
282	21-20	كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ
		سورة الإنسان
-64 162	3	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
104	6	عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ
		سورة النبا
292	40	إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا
293	23	لَا بَشِيرَ فِيهَا أَحْقَابًا
		سورة عبس
54	42	أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ
124	6	فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى
		سورة البروج
361	22-21	بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ
		سورة الطارق
147	12-11	وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ
		سورة الأعلى
188	3	وَالَّذِي قَدَّرَ
		سورة الغاشية
331	22	لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسْنِطِرٍ
		سورة البلد
192	10	وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

		سورة الشمس
192	10-7	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا
468	10-9	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا
		سورة العلق
460	1	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ
		سورة البينة
74	5	خُنْفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ
-163 289	1	لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ
292	6	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ
		سورة العصر
65	2	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
466	3-1	وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
		سورة النصر
178	3	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

- أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتُصَاحِبَ المسلمين، وتفارق المشركين.....395
- أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فَأَمَسَكْتُ الحمى بالمدينة، وَأَرْسَلْتُ الطاعون إلى الشام.....269
- أتحلفون خمسين يمينا، وتستحقون دم صاحبكم أو قاتلكم.....272
- اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت.....66
- اثنان في أمتي هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة.....79
- أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.....358
- ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهاباً ونؤمن بك.....249
- ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله رجلاً بك خير لك من أن يكون لك حمر النعم..362
- إذا قال الرجل لصاحبه: يا كافر، فإنها تجب على أحدهما.....327
- إذا كَفَّرَ الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما.....327
- اذهبوا فأنتم الطلقاء.....362
- أربع من كن فيه كان منافقا.....284
- أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن.....277
- استقيموا ولن تُخْصُوا.....117
- استووا حتى أُنْثِيَ على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: " اللهم لك الحمد كله.....115
- أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فأحرقوني.....348
- الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.....203
- أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي.....417
- اعملوا فكل ميسر لما خُلِقَ له.....188
- اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله.....61
- إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.....87
- ألا من ظلم مُعَاهِداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة301
- ألق عنك شعر الكفر.....61
- ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين.....269
- أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون.....292
- أما علمت أن الله حرمها.....348
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.....303
- إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.....102
- إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى لها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار.....323
- إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس وهو من أهل النار.....189
- إن الغلام الذي قتله الخضر طُغِيَ كافراً.....263
- إن الله تبارك وتعالى لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.....343
- إن الله تعالى قد أجاز أمتي من أن تجتمع على ضلالة.....320
- إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرماً فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها.....441

67.....	إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة.....
207.....	إن الله كتب الإحسان على كل شيء.....
457.....	إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويكره سفاسفها.....
356.....	إن الله هو الحكم وإليه الحكم.....
349.....	إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.....
359.....	إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا.....
216.....	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر.....
463.....	إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا.....
366.....	إن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة، فقام، فقبل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا.....
167.....	إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.....
351.....	إن عادوا فعد.....
237.....	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.....
273.....	إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها.....
393.....	أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين.....
415.....	إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد.....
272.....	انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم.....
474.....	إنما أهلكت الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه.....
468.....	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق.....
56.....	إني أريت الجنة فتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا.....
96.....	أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال " أن تجعل لله ندا وهو خلقك.....
112.....	آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار.....
314.....	أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد وإلا فاضرب عنقه.....
327.....	أيما رجل كفر رجلا، فإن كان كما قال وإلا فقد باء بالكفر.....
327.....	أيما رجل مسلم أكفر رجلا مسلما: فإن كان كافرا، وإلا كان هو الكافر.....
77.....	الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة.....
192.....	الإيمان في أهل الحجاز.....
201.....	أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها.....
59.....	بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا.....
376.....	البر حسن الخلق.....
446.....	البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس.....
384.....	بُعِثْتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له.....
362.....	بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.....
69.....	بني الإسلام على خمس: على أن يعبد الله، ويكفر بما دونه.....
75.....	بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.....
75.....	بين الكفر والإيمان ترك الصلاة.....
191.....	بين الكفر والإيمان ترك الصلاة.....

60.....	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .
381.....	جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأنسنتكم.
377.....	الحمد لله الذي أنقذه من النار .
66.....	الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور.
273.....	خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل.
189.....	خلق الله فرعون في بطن أمه كافرا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا.
359.....	الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء.
234.....	رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان.
57.....	رأس الكفر نحو المشرق.
362.....	رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.
386.....	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها.
358.....	رحم الله رجلا سمحا، إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى.
58.....	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.
280.....	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.
162.....	الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا.
269.....	عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد.
394.....	عقر دار الإسلام بالشام.
88.....	عليك بالطاعة في عسرك، ويسرك، وأثرة عليك، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بالكفر صراحا.
249.....	العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر.
76.....	العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر.
192.....	غلظ القلوب، والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز.
403.....	فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله.....
201.....	فإن الرجل ليُعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيُعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة.
329.....	فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا.
93.....	فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار.
445.....	قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم.
189.....	القدرية مجوس هذه الأمة.
269.....	قولوا الله أعلى وأجل.
269.....	قولوا الله مولانا، والكافرون لا مولى لهم.
269.....	كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة يقول: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.
336.....	كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة.
286.....	كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.
190.....	كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.
408.....	لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا.

- 79..... لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض.
- 280..... لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر.
- 424..... لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.
- 341..... لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله.
- 93..... لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله.
- 337..... لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله.
- 274..... لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار.
- 191..... لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ.
- 255..... لا يحل دم امرئ مسلم إلا بثلاث.
- 70..... لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن.
- 361..... لا يرحم الله من لا يرحم الناس.
- 179..... لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك.
- 395..... لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملا حتى يفارق المشركين إلى المسلمين.
- 193..... لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.
- 92..... لعن المؤمن كقتله.
- 337..... لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة.
- 305..... لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به يقال هذه غدرة فلان.
- 264..... لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل.
- لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } سورة الأنعام/82، شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس كما تظنون".
- 16..... اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر.
- 2..... اللهم اهد ثقيفا.
- 363..... اللهم اهد دوسا وائت بهم.
- 362..... اللهم ادهد.
- 201..... لولا أنك رسول لضربت عنقك.
- 306..... ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار.
- 62..... ليس بين العبد وبين الكفر - أو الشرك - إلا ترك الصلاة.
- 57..... ليس من بلد إلا سيطوه الدجال، إلا مكة والمدينة.
- 262..... ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر.
- 280..... ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم.
- 378..... ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس.
- 116..... ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو.
- 440..... ما ترون في هؤلاء الأسارى.
- 221..... ما كانت هذه لتقاتل.
- 307..... ما لم يأمرؤك بإثم بواحا.
- 88..... مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة.
- 465.....

240.....	المراء في القرآن كفر.....
470.....	المسلم أخو المسلم.....
263.....	المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم.....
79.....	من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد.....
79.....	من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد.....
175.....	من أحب لقاء الله عز وجل، أحب الله لقاءه.....
332.....	من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان.....
63.....	من أُعْطِيَ عطاء فوجد فَلْيَجْزِ به، فإن لم يجد فَلْيُتْنِ به.....
302.....	من أَمَّنَ رَجُلًا على دَمِهِ فَقَتَلَهُ؛ فَأَنَا بريءٌ مِنَ القاتل، وإن كان المقتول كافرًا.....
173.....	من بدا جفا.....
312.....	من بدل دينه فاقتلوه.....
280.....	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.....
295.....	من صلى الصبح فهو في ذمة الله.....
295.....	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم.....
318.....	من غير دينه فاضربوا عنقه.....
262.....	من قتل كافرا فله سلبه.....
301.....	من قتل مُعَاهِدًا لم يرح رائحة الجنة.....
306.....	من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحْلُهَا حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء.....
69.....	من وحد الله تعالى وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل.....
263.....	المؤمن يشرب في معي واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء.....
61.....	الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم.....
274.....	نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد.....
377.....	نكم ستفتحون مصر.....
	والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به،
417.....	إلا كان من أصحاب النار.....
432.....	والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني.....
361.....	والذي نفسي بيده، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم.....
353.....	وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم.....
327.....	ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه.....
328.....	ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله.....
2.....	يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل.....
362.....	يا أبا سفيان: اليوم يوم الرحمة.....
360.....	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة.....
366.....	يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد.....
241.....	يا رسول الله، ما السنة في الرجل من أهل الكفر يُسَلِّمُ على يَدَي رجل من المسلمين.....
239.....	يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عناهم الله، فاحذروهم.....

- يا نبي الله ثلاث أعطينهن، قال: «نعم».....273
- يكفرن العشير.....59
- يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة.....268
- يوثى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار، فيقال اغمسوه في النار غمسة.....274
- ثالثاً : فهرس الأبيات الشعرية

البيت	قائله	الصفحة
إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً ... حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ فَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً فَاعْمَلْ بِهَا ... اللَّهُ أَوْ لَدَوَى الْقَرَابَةِ أَوْ دَعِ	قيس بن يزيد النخعي	14
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنِهَا مُوَاتِرًا ... فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومُ عَمَامُهَا	ليبيد	29
فَتَذَكَّرْنَا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا ... أَلْقَتْ ذِكَاغَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ	ثعلبة بن صعير المازني	29
وَشَقَّ الْبَحْرُ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى ... وَغَرَّقَتِ الْفَرَاغَةُ الْكَفَارَ	القُطامي	30
هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقُورِ ... قَدْ دَرَسْتَ غَيْرَ رِمَادٍ مَكْفُورٍ	أبو مهدي	30
أَرَانِي وَلَا كُفْرَانُ لِلَّهِ رَاجِعًا ... بِخُفْيِ حَنِينٍ مِنْ نَوَالٍ بِنِ حَاتِمٍ	ربيعة بن ثابت	53
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَأَفْتَهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ ... عَلَى قَدْرِ الْقَرَارِ وَالْفَهْمِ	أبو الطيب المتنبي	132
أَنْبَيْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسٍ أَوْعَدَنِي.... وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ	الناطقة	183
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ	ليبيد	232
وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ أَخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمَ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءٍ	زهير	266
وَالشَّرُّكَ نَوْعَانِ: فَشِرْكُ أَكْبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ وَالثَّانِ شِرْكُ أَصْغَرُ وَهُوَ الرِّيَا ... فَسَرَّهُ بِهِ خِتَامُ الْأَنْبِيَا	حافظ الحكمي	102
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرٍ ... مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدَرٍ وَخُتَرٍ	عمرو بن معدى كرب	152
كَانَتْ هِيَ الْوَسْطُ الْمَحْمِيَّ فَامْتَنَفَتْ ... بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرْفًا	الطائي	435
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُبِينًا	أبو طالب	283
أَخْوَيْنِ كَالصُّقْرَيْنِ لَمْ ... يَرَ نَاطِرٌ شِرَاهُمَا	الخنساء	213
فَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ... فَأَيُّ رَجَالٍ بِأَدِيَّةٍ تَرَانَا	القُطامي	451
خَلَوْا بَنِي الْكَفَارِ عَنْ سَبِيلِهِ... الْيَوْمَ نَضْرِيكُمْ عَلَى تَنْزِيلِ. ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ... وَيَذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ.	عبد الله بن رواحه	273
وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنَّ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا	شوقي	462
أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا... فَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا	عمرو بن كلثوم	130

رابعاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

136.....	ابن الأعرابي
74.....	أبو بكر الخلال
81.....	الإيجي
70.....	البرّهاري
81.....	جهم بن صفوان
102.....	حافظ الحكمي
114.....	الحرّالي الأندلسي
53.....	ربيعة بن ثابت
31.....	شمر بن حمدويه
420.....	عطية صقر
30.....	القطامي
400.....	القفال الشاشي
29.....	لبيد بن ربيعة
70.....	محمد بن نصر المروزي
111.....	النّابغة الذّبياني

خامساً : فهرس المصادر والمراجع

المتن المدروس: القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي التسعة.

-أ-

- (1) ابراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، المعجم الوسيط . تحقيق / مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، دون طبعة ودون تاريخ.
- (2) ابن أبي الخطاب، أبو زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دون طبعة ودون تاريخ.
- (3) ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ - 1997م.
- (4) ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الشيباني، كتاب السنة، (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للشيخ الألباني) المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م.
- (5) ابن اثير أبو الحسن، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ/1997م.
- (6) ابن اثير أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م. جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى، دون تاريخ.
- (7) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المدني، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ/ 1978م.
- (8) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: 1421هـ/2000م. زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
- تلبيس إبليس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة : الأولى - 1404هـ - 1984 م.
- (9) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة، 1949م.
- (10) ابن السَّمْنَانِي، أبو القاسم علي بن محمد، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي، مؤسسة الرسالة، بيروت - دار الفرقان، عمان، الطبعة: الثانية، 1404 هـ - 1984 م.
- (11) ابن المبرّد، أبو المحاسن يوسف بن حسن الحنبلي، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرق، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع ، جدة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م.
- (12) ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم، الإجماع، تحقيق ودراسة: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1425 هـ/ 2004م.

- (13) ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، فتح القدير (شرح الهداية)، دار الفكر، دون طبعة ودون تاريخ.
- (14) ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اليمني: إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1987م.
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م.
- (15) ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد / الرياض الطبعة: الثانية - 1423 هـ - 2003 م.
- (16) ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَرِي، الإبانة الكبرى (مطبوع باسم: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة)، مجموعة من المحققين، دار الراجية للنشر والتوزيع-الرياض، 1418 هـ.
- (17) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم كتاب «الإيمان الأوسط»، دراسة وتحقيق: علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1423 هـ.
- مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416 هـ/1995 م.
- قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، تحقيق ودراسة ونشر: عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، دار عالم الكتب الطبعة: السابعة - 1419 هـ - 1999 م.
- جامع الرسائل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2001 م.
- العقيدة الواسطية (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة) تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الثانية 1420 هـ / 1999 م.
- الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1403 هـ.
- الاستغاثة في الرد على البكري، دراسة وتحقيق: عبد الله بن دجين السهلي (أصل الكتاب: رسالة ماجستير) مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة: الأولى، 1426 هـ. درع تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م.
- الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1987 م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة-السعودية، الطبعة: الثانية، 1419 هـ/1999 م.
- العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: السابعة المجددة 1426 هـ - 2005 م.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودي دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى، 1417 هـ.
- (18) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

- (19) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني:
فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ. لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار
البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 2002م.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير
بالرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، دون طبعة ودون تاريخ.
- (20) ابن حجر الهيتمي، أبو العباس أحمد بن محمد:
الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر، تحقيق: محمد عواد العواد، دار النقوى - سوريا،
الطبعة: الأولى، 1428هـ / 2008م.
- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط،
مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.
- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، المكتبة التجارية الكبرى
بمصر بدون طبعة - 1357 هـ - 1983 م.
- (21) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي:
الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، 1404هـ.
- المحلى بالآثار، دار الفكر - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة، دون طبعة ودون تاريخ.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،
1406هـ - 1986م.
- (22) ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417
هـ.
- (23) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من
ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- (24) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت،
الطبعة: الأولى، 1987م.
- (25) ابن دقيق العيد، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى
و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1426 هـ - 2005م.
- (26) ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المروزي، المسند، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان
- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1991م.
- (27) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد:
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة
الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى،
1417 هـ - 1996 م.

- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان - دمشق، الطبعة: الثانية، 1409 هـ - 1988 م.
- (28) ابن رشد الجد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي، المقدمات الممهديات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
- (29) ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة: الثانية، دون تاريخ.
- (30) ابن سحمان، سليمان بن سحمان النجدي، الضياء الشارق في رد شبهات المانق المارق، تحقيق: عبد السلام بن برجس، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414 هـ / 1992 م.
- (31) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
- (32) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- المحكم والمحيط الأعظم المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 2000 م.
- (33) ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله، الناسخ والمنسوخ، وتنزيل القرآن بمكة والمدينة، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1418 هـ - 1998 م.
- (34) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر: رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار المعروف بـ (حاشية ابن عابدين)، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
- مجموعة رسائل ابن عابدين، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.
- (35) ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387 هـ.
- الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد ولد ماديك، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة: الثانية، 1400 هـ / 1980 م.
- جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
- الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
- (36) ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م.
- (37) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

- (38) ابن علان، محمد علي بن محمد بن علان، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1425هـ - 2004م.
- (39) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، نشره محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.
- مجلد اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986م.
- (40) ابن فورك أبو بكر، محمد بن الحسن، تفسير ابن فورك (من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى - الطبعة الأولى: 1430 - 2009م.
- (41) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولى، 1397هـ.
- (42) ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي: المغني، مكتبة القاهرة، دون طبعة، 1388هـ - 1968م.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
- (43) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب: الصلاة وحكم تاركها، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي. الناشر: الجفان والجابي، دار ابن حزم - قبرص - بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ / 1994م.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
- إغاثة اللهفان في مصاديق الشيطان، تحقيق: محمد عزيز شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
- الفوائد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1393هـ - 1973 م.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: 1398هـ / 1978م.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1394هـ.
- بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.
- أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاکر بن توفيق العاروري، رمادی للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
- (44) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.
- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.

- مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، دار الفلاح، الفيوم - مصر، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
- (45) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- (46) ابن مفلح شمس الدين، محمد بن مفلح بن محمد، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، دون طبعة ودون تاريخ.
- (47) ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م.
- (48) ابن منظور أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
- (49) ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.
- (50) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة: الثانية، 1375 هـ - 1955 م.
- (51) أبو الأعلى المودودي: نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية - جدة، طبعة 1407 هـ - 1987 م.
- رسالة "شهادة الحق"، دار الشهاب - باتنة، الجزائر، 1988 م.
- (52) أبو الحسن السندي، فتح الودود في شرح سنن أبي داود، تحقيق: محمد زكي الخولي، (مكتبة لينة - دمنهور - مصر)، (مكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة)، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م.
- (53) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة. إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق الطبعة: الرابعة، 1399 هـ - 1979 م.
- ردة ولا أبا بكر لها، مكتبة السداوي - القاهرة، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1992 م.
- (54) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.
- (55) أبو المظفر السمعاني، منصور بن محمد المروزي، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ / 1999 م.
- (56) أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين، غياث الأمم في التياث الظلم المشهور بـ "الغياثي"، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، 1401 هـ.
- (57) أبو الوليد الباجي، سليمان بن خلف بن سعد القرطبي، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر الطبعة: الأولى، 1332 هـ.
- (58) أبو بكر ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المعافري: أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري (رسالة دكتوراه)، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م.
- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

(59) أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم:

الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992م.

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة: الخامسة دون تاريخ.
(60) أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1409 هـ.

(61) أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

(62) أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل:

إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.

الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، 1408.

(63) أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان بن أحمد، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994م.

(64) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس) مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999م.

(65) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية / بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ - 2001 م.

(66) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ، والأحاديث مذيلة بأحكام الشيخ الألباني.

(67) أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي - مدينة نصر، 1415 هـ - 1995م.

(68) أبو سعيد ابن البراذعي، خلف بن أبي القاسم محمد، التهذيب في اختصار المدونة، دراسة وتحقيق: محمد الأمين ولد محمد سالم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م.

(69) أبو سعيد الدارمي، عثمان بن سعيد بن خالد، الرد على الجهمية، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، 1416 هـ - 1995م.

(70) أبو غبيد، القاسم بن سلام الهروي:

غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، الطبعة الأولى، 1384 هـ - 1964 م.

كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر - بيروت. دون طبعة ودون تاريخ

كتاب الإيمان ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م.

(71) أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005م.

(72) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405 هـ.

- (73) أبو يعلى القاضي، محمد بن الحسين ابن القراء: الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1421 هـ - 2000 م.
- مسائل الإيمان، حققه وعلق عليه: سعود بن عبد العزيز الخلف، دار العاصمة-الرياض، الطبعة الأولى: 1410 هـ.
- (74) أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للنشر (ت975هـ) - دمشق، الطبعة: الأولى، 1404 هـ - 1984 م.
- (75) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة جديدة محققة ومفهرسة، دون طبعة ودون تاريخ.
- (76) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- (77) أحمد محمد شاكر، جبهة مقالات (مع أهم تعقبات الشيخ على دائرة المعارف الإسلامية)، جمعها وأعدتها واعتنى بها: عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل، دار الرياض، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- (78) أحمد منصور، سقوط الحضارة الغربية: رؤية من الداخل، دار القلم دمشق، دون طبعة ودون تاريخ.
- (79) الأحمدي، عبد العزيز بن مبروك، اختلاف الدارين وأثاره في أحكام الشريعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1424 هـ.
- (80) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001 م.
- (81) أسعد حومد، أيسر التفاسير، الطبعة الرابعة 1419 هـ - 2009 م.
- (82) إسماعيل علي محمد، مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، دار النداء - اسطنبول، الطبعة الأولى 2014 م. خصائص الإسلام الذي ندعو إليه، دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1434 هـ - 2013 م.
- (83) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقيه حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1397 هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- (84) الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- (85) الآمدي أبو الحسن، علي بن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ.
- (86) أمير بادشاه، محمد أمين بن محمود البخاري، تيسير التحرير، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1351 هـ - 1932 م، دون طبعة.
- (87) إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- (88) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، كتاب المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م.
- (89) الباقلائي، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية لبنان، طبعة 1407 هـ - 1987 م.
- (90) الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، نشر دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان، الطبعة الأولى - 1421 هـ.

غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1405هـ. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - 1405 - 1985. صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، دون طبعة ودون تاريخ. تمام المنة في التعليق على فقه السنة، المكتبة الإسلامية، دار الراية للنشر، الطبعة: الثالثة - 1409هـ. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، جزء 6، 1416 هـ - 1996 م.

- ب -

- 91) البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ - 1987م. الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م. خلق أفعال العباد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف - الرياض، دون طبعة ودون تاريخ.
- 92) بدر الدين الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، 1376هـ - 1957م.
- 93) بدر بن ناصر البدر، إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- 94) بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان بيروت، دون طبعة، 1982م.
- 95) البربهاري، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف، شرح السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، 1408هـ.
- 96) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (الأجزاء من 1 إلى 9)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).
- 97) البعلبي، أبو الحسن علاء الدين ابن اللحام، القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، الطبعة: 1420هـ - 1999م.
- 98) البعلبي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح، المطلع على ألفاظ المقتنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة الأولى 1423هـ - 2003 م.
- 99) البغوي، محيي السنة، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997م.
- شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
- 100) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون طبعة ودون تاريخ.
- 101) بكر بن عبد الله أبو زيد، درة الفتنة عن أهل السنة، دار العاصمة للطباعة الأولى - 1419هـ. التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الثانية، 1410هـ.

- (102) البكري، أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) - دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
- (103) بهاء الدين السبكي، أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
- (104) البوشخي، الشاهد محمد: دراسات مصطلحية، دار السلام- القاهرة، الطبعة الثانية 1433هـ-2012م.
- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية-1415هـ-1995م.
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين: قضايا ونماذج ونصوص، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، الطبعة الأولى 1430هـ-2009م.
- مقدمة مشروع: " الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم "، مؤسسة الدراسات والبحوث العلمية (مبدع)، فاس، الإصدار الأول، 1431هـ-2010م (قرص مدمج).
- (105) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ.
- (106) البيضاوي، أبو الخير عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى-1418 هـ.
- (107) البيهقي (ت458هـ) أبو بكر أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الثالثة، 1424هـ-2003م.
- شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد -الرياض ، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
- ت -
- (108) التركي، عبد الله بن عبد المحسن، حقوق الإنسان في الإسلام، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية - السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
- (109) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، السنن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها. دون طبعة ودون تاريخ
- (110) التفازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح التلويح على التوضيح ، مكتبة صبيح - مصر دون طبعة ودون تاريخ.
- (111) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - 1996م.
- (112) التويرجي، عبدالعزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
- ث -
- (113) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002 م.
- ج -

(114) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، 2010 م.

(115) الجديع، عبد الله يوسف، تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع، إصدارات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، دبلن، 2007 م.

(116) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الشريف، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ.

(117) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ/1994 م.

(118) جمال الدين القاسمي، محمد بن محمد سعيد بن قاسم، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

(119) الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

-ح-

(120) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي:

أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة: الثانية، 1422 هـ.

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.

(121) الحاكم أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحيحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.

(122) الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الأنصاري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.

(123) الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1415 - 1995.

-خ-

(124) الخازن، علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

(125) الخضير، محمد بن محمود، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة الثالثة، 1430 هـ/2009 م.

(126) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم:

أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م.

(127) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.

- (128) الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
- (129) الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، دون طبعة ودون تاريخ.
- (130) الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد، السنة، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراجية - الرياض، الطبعة: الأولى، 1410هـ - 1989م.
- (131) خليل الفراهيدي، أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- (132) خليل بن إسحاق بن موسى الجندي، مختصر خليل، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1426هـ/2005م.
- (133) الخياط، عبد العزيز عزت، النظام السياسي في الإسلام: النظرية السياسية نظام الحكم، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

- د -

- (134) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد البغدادي، السنن، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
- (135) الدارمي أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني - السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 2000م.
- (136) الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1980م.
- (137) دراز، محمد عبدالله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم - الكويت، دون طبعة ودون تاريخ.
- (138) الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، دون طبعة ودون تاريخ.

- ذ -

- (139) الذهبي شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: 1427هـ - 2006م.

- ر -

- (140) الرازي زين الدين، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
- (141) الرازي، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.
- (142) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، 1428 هـ - 2007 م. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
- (143) الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م.

(144) الرحيباني، مصطفى بن سعد الحنبلي، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994 م.

(145) الرحيلي، إبراهيم بن عامر، التكفير وضوابطه، دار الإمام أحمد، الطبعة الشرعية الوحيدة، دون تاريخ.

(146) الرملي شمس الدين، محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأخيرة - 1404 هـ/1984 م.

(147) رؤوف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1405 هـ/1984 م.

(148) الروياني، أبو بكر محمد بن هارون، المسند، تحقيق: أيمن علي أبو يمان، مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ.

- ز -

(149) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.

(150) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م.

(151) الزحيلي، محمد بن مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م.

(152) الزحيلي، وهبة بن مصطفى:

آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثالثة، 1419 هـ - 1998 م.

العلاقات الدولية في الإسلام، دار المكتبي - دمشق، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م.

(153) الزرقا، أحمد محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - دمشق، الطبعة: الثانية، 1409 هـ - 1989 م.

(154) الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002 م.

(155) زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري:

أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي، دون طبعة ودون تاريخ.

غاية الوصول في شرح لب الأصول، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، دون طبعة وتاريخ.

(156) الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو:

الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، الطبعة: الثانية.

أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ.

- س -

(157) الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.

(158) السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

- (159) السباعي، مصطفى بن حسني، من روائع حضارتنا، دار الوراق، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1420هـ-1999م.
- (160) السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي: فتاوى السبكي، دار المعرفة - توزيع الباز، دون طبعة ودون تاريخ. السيف المسلول على من سب الرسول، تحقيق: إياد أحمد الغوج، دار الفتح (عمان - الأردن)، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
- (161) السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- (162) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل: المبسوط، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة، 1414هـ - 1993م. شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات، دون طبعة، 1971م.
- (163) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م. تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002م.
- (164) السعدي، إسحاق بن عبد الله، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1434هـ - 2013م.
- (165) سعيد حوى، سعيد بن محمد ديب بن محمود النعيمي، الأساس في التفسير، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ.
- (166) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم، لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - 1402 هـ - 1982م.
- (167) السقار، منقذ بن محمود: التكفير وضوابطه، رابطة العالم الإسلامي، دون طبعة ودون تاريخ. التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006.
- (168) السقاف، علوي بن عبد القادر، التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- (169) سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع، دار الطباعة والنشر - الأردن، دون طبعة ودون تاريخ.
- (170) سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- (171) السمرقندي أبو الليث، نصر بن محمد، بحر العلوم، (تفسير السمرقندي)، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.

- (172) السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م.
- (173) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي:
هذا الدين، دار الشروق، الطبعة: التاسعة 1407هـ - 1987م.
في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412هـ.
المستقبل لهذا الدين، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الشرعية الرابعة عشرة، 1413هـ - 1993م. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الخامسة عشرة، 1423هـ - 2002م.
- (174) السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر:
قوت المغتذي على جامع الترمذي: دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد الغريبي، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1424 هـ.
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م.
الر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر - بيروت.
- ش -
- (175) الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب، المسند، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1410هـ.
- (176) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي:
الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.
الموافقات في أصول الفقه ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م.
- (177) الشافعي، محمد بن إدريس القرشي المكي:
كتاب الأم، دار المعرفة - بيروت، دون طبعة، 1410هـ/1990م.
كتاب الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.
تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - السعودية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006 م.
- (178) الشبل، علي بن عبد العزيز، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- (179) الشعراوي، محمد متولي ، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997 م.
- (180) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار:
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر - بيروت، 1415 هـ - 1995 م.
دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز - جدة، الطبعة : الأولى 1417 هـ - 1996 م.
- (181) الشهري، ملفى بن حسن، حقيقة الدارين: دار الإسلام ودار الكفر، دار المرابطين، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.
- (182) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد:
فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ .
السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.

(183) الشيرازي أبو اسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف، المذهب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، دون طبعة ودون تاريخ.

- ص -

(184) صاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس:

المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.

الأمثال السائرة من شعر المتنبي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بغداد، الطبعة: الأولى، 1385هـ - 1965م.

(185) الصالح، صبحي إبراهيم، النظم الإسلامية: نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، بيروت، الطبعة الأولى في إيران، 1375هـ.

(186) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام:

المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، الطبعة: الثانية، 1403هـ. تفسير الصنعاني، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.

- ط -

(187) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد:

المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، 1404هـ - 1983م.

مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1984م.

(188) طبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م. تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - 1387هـ.

(189) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد:

شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ.

متن الطحاوية، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة: الثانية، 1414هـ.

(190) الطريقي، عبد الله بن إبراهيم، التعامل مع غير المسلمين: أصول معاملتهم واستعمالهم، دراسة فقهية، سلسلة الرسائل الجامعية (47)، دار الفضيلة - الرياض، دار الهدى النبوي - المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م.

(191) طنطاوي، علي بن مصطفى، تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة - جدة الطبعة: الأولى، 1409هـ - 1989م.

(192) الطيب البوهالي، مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

- ظ -

(193) ظافر القاسمي، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.

- ع -

- (194) عادل نويهض، معجم المفسرين: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409هـ - 1988م.
- (195) عبد الرحمن البوكيلي، مفهوم الجهاد في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، طبع طوب بريس - الرباط الطبعة الأولى 2015م.
- (196) عبد الرحمن المطرودي، نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- (197) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، 1412هـ - 1992م.
- (198) عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- (199) عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الثالثة 1427هـ.
- (200) عبد العزيز العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الثالثة، 1427هـ.
- (201) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكاتب العربي، بيروت، دون طبعة و دون تاريخ.
- (202) عبد القاهر البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1977م. أصول الدين، مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية - اسطنبول، الطبعة الأولى: 1346 هـ - 1928 م.
- (203) عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة - بيروت، طبعة 1402 هـ - 1982م. أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: التاسعة 1421هـ-2001م.
- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، الطبعة الأولى 1425 هـ -2005م.
- (204) عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغاياته، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية 1413هـ-1992م.
- (205) عبد الله بن أحمد بن حنبل ، السنة، تحقيق : د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام الطبعة الأولى ، 1406 هـ .
- (206) عبد الله بن جار الله، كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
- (207) عبد الله بن عبد الحميد، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
- (208) عبد الوهاب خلاص: السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم، الطبعة: 1408 هـ - 1988م. علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم).
- (209) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد: الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1422 - 1428 هـ.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الثانية- 1424هـ.
- تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

- (210) العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، **طرح التثريب في شرح التقريب**، الطبعة المصرية القديمة.
- (211) **العز بن عبد السلام**، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة ومنقحة، 1414هـ - 1991م.
- (212) **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله:
- الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة. دون طبعة ودون تاريخ.
- الوجوه والنظائر**، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
- (213) **عطية صقر**، **الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه**، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثامنة عشرة - الكتاب الخامس، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1408هـ - 1988م.
- (214) **العظيم آبادي**، أبو عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير، **عون المعبود شرح سنن أبي داود (ومعه حاشية ابن القيم)**، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ.
- (215) **العقاد**، عباس محمود، **التفكير فريضة إسلامية**، مؤسسة هنداوي، هاي ستريت، وندسور، المملكة المتحدة، دون طبعة، 2020م.
- (216) **علال الفاسي**، **دفاع عن الشريعة**، تقديم دريسا تراوري، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2001م.
- (217) **علماء نجد الأعلام، الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، 1417هـ/1996م.
- (218) **العلواني**، طه جابر، **مقاصد الشريعة**، دار الهادي - بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م.
- (219) **عمر الدسوقي**، **في الأدب الحديث**، طبعة الرسالة - عابدين، القاهرة، 1994م.
- (220) **العوا**، محمد سليم، **الفقه الإسلامي في طريق التجديد**، سفير الدولية للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1427 هـ - 2006م.
- (221) **العيني بدر الدين**، أبو محمد محمود بن أحمد:
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ. **البنية شرح الهداية**، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- غ -
- (222) **الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي:
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، تحقيق محمود بيجو، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م. **الاقتصاد في الاعتقاد**، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
- (223) **الغنيمي**، محمد طلعت، **قانون السلام في الإسلام: دراسة مقارنة، منشأة المعارف - الاسكندرية**، دون طبعة ودون تاريخ.
- (224) **غوستاف لويون**:
- حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، 2012م.
- السنن النفسية لتطور الأمم**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م.
- ف -
- (225) **فتحي بن عبد الله الموصلي**، **التبيان في تأصيل مسائل الكفر والإيمان**، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض الطبعة الاولى 1424هـ.

- (226) **فخر الدين الرازي، محمد بن عمر الشافعي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، دون طبعة ودون تاريخ.**
- (227) **الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى بدون تاريخ.**
- (228) **الفراهي، عبد الحميد الهندي، مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 2002م.**
- (229) **فريدة زمر، مفهوم التأويل في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة مفاهيم ومصطلحات قرآنية(1)، الطبعة الأولى، 1435هـ/2014م.**
- (230) **فهامي هويدي، مواطنون لا ذميون، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1410هـ-1990م.**
- (231) **الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب:**
- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.**
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.**
- (232) **فيصل المولوي، الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، دار الرشد الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1987م.**
- (233) **الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية - بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.**

- ق -

- (234) **القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى السبتي:**
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر بيروت، 1409 هـ - 1988 م.**
- شرح صحيح مسلم المسمى: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء - مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.**
- مشارك الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.**
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق الجزء 1: ابن تاووت الطنجي، 1965م، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.**
- (235) **القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس:**
- الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)، عالم الكتب دون طبعة.**
- شرح تنقيح الفصول، طبعة دار الفكر، دون طبعة ودون تاريخ.**
- الذخيرة، تحقيق: محمد بو خبزة، محمد حجي، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م.**
- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1416هـ - 1995م.**
- (236) **القرضاوي، يوسف بن عبد الله:**
- من فقه الدولة في الإسلام، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثالثة، 1422هـ-2001م.**
- الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م.**
- الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1404هـ-1983م.**

فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الرابعة، 1434هـ-2014م.

كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق، الطبعة الثانية 1420هـ.

كلمات الوسيطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق، الطبعة الثالثة، 2011م. الصحو الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.

ملاحم المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1433هـ-2012م.

ظاهرة الغلو في التكفير، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ-1990م.

(237) القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

(238) القرطبي أبو عبد الله، محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة: الأولى، 1425هـ.

(239) القرني، عبد الله بن محمد، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، (أصل الكتاب رسالة ماجستير)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992.

(240) القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم - بيروت، الطبعة الرابعة، 1998م.

(241) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك:

الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة وتاريخ.

لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الثالثة.

(242) قطب مصطفى سانو، في مصطلح الإرهاب وحكمه: قراءة نقدية في المفهوم والحكم من منظور شرعي، كتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

(243) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طویل، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، 1987م.

- ك -

(244) الكاشاني (أو الكاساني، يروي بكليهما)، أبو بكر بن مسعود بن أحمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

(245) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(246) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.

(247) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن محمد - أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م.

(248) الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.

- (249) الكيا الهراسي، عماد الدين بن محمد الطبري، أحكام القرآن ، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1405 هـ.
- م -
- (250) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني:
الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ-1985 م.
- الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، دون تاريخ.
- المدونة ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
- (251) مالك بن نبي:
دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر - دمشق / دار الفكر - الجزائر، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1991م.
- فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة: الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر - بيروت / دار الفكر - دمشق، إعادة الطبعة الثانية 1431هـ - 2000م.
- (252) الماوردي أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد:
الأحكام السلطانية ، دار الحديث - القاهرة ، دون طبعة ودون تاريخ.
- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: سيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (253) المبرد (بفتح الراء أو كسرهما) أبو العباس، محمد بن يزيد، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1421 هـ.
- (254) المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيان - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م.
- (255) محمد أسد، ليوبولد فايس، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ، الطبعة الثالثة، 1951م، دار العلم للملايين، بيروت.
- (256) محمد أزهرى، مصطلح القافية: من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني - دراسة مصطلحية ، مطبعة نذير ، بني ملال-المغرب، 1435هـ/2014م.
- (257) محمد البوزي، مفهوم التقوى في القرآن والحديث: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دارالسلام، القاهرة، الطبعة الأولى 1432هـ/2011م.
- (258) محمد الأحمدى، مفهوم الحياة في القرآن الكريم والحديث الشريف، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) - فاس، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م.
- (259) محمد الأمين الهزري، شرح سنن ابن ماجة المسمى « مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجة والقول المكتفى على سنن المصطفى»، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018 م.
- (260) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، 1997م.
- (261) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم، دار الشروق - القاهرة، بيروت، 1420هـ - 2000م.
- (262) محمد المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

- (263) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، الجواهر المضية، دار العاصمة- الرياض، الطبعة: الأولى بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ.
- (264) محمد رشيد رضا:
تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.
- (265) محمد رواس قلعي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
- (266) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى 1998م.
- (267) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1364هـ-1945م، دون طبعة.
- (268) محمد قطب إبراهيم حسين الشاربي:
جاهلية القرن العشرين، دارالشروق، الطبعة: 1408هـ-1988م.
مفاهيم ينبغي أن تصحح، دار الشروق، بيروت - القاهرة، الطبعة الثامنة 1415هـ - 1994م.
واقعا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.
- (269) محمد الينبي، مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس - دار السلام ، القاهرة، الطبعة الأولى 1435هـ/2014م.
- (270) محمود حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، دون طبعة وتاريخ.
- (271) محيي الدين درويش ، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص، دار اليمامة ، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1415هـ.
- (272) محيي الدين محمد قاسم، التقسيم الإسلامي للمعمورة: دراسة في نشأة وتطور الجماعة الدولية في التنظيم الدولي الحديث، سلسلة الرسائل الجامعية (24)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- القاهرة، 1417هـ-1996م.
- (273) مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون طبعة ودون تاريخ.
- (274) المرادوي، أبو الحسن علي بن سليمان الحنبلي:
الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.
التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني، أحمد السراح، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- (275) المروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج، تعظيم قدر الصلاة تحقيق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى.
- (276) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، دون طبعة ودون تاريخ.
- (277) مصطفى أوعيشة، مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى 1435هـ/2014م.

- (278) **المطعني**، عبد العظيم إبراهيم محمد، **سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا وسيرة**، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى 1414هـ - 1993م.
- (279) **معمر بن راشد**، أبو عروة البصري، **الجامع** (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ.
- (280) **مقاتل**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، **تفسير مقاتل**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
- (281) **المنأوي**، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ.
- (282) **المنتجب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني**، **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.
- ن -
- (283) **النسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **كتاب السنن**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (الأحاديث مذبلة بأحكام الألباني عليها)، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م.
- (284) **نصار**، حسين محمد، **كتب غريب القرآن الكريم**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- (285) **النفراوي**، أحمد بن غانم (أو غنيم) الأزهرى المالكي، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، دار الفكر، دون طبعة، 1415هـ - 1995م.
- (286) **النووي**، أبو زكريا يحيى بن شرف: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م. **تحرير ألفاظ التنبيه**، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
- ه -
- (287) **هيثم عبد السلام محمد**، **مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية**، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.
- (288) **الهيثمي**، أبو الحسن علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، 1414 هـ، 1994م.
- و -
- (289) **الواحدي**، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ.
- (290) **ول ديورانت**، **قصة الحضارة**، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408هـ - 1988م.
- (291) **الوهبي**، محمد بن عبد الله، **نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف**، (أصل الكتاب رسالة دكتوراه)، دار المسلم، دون طبعة ودون تاريخ.
- ي -
- (292) **ياقوت الحموي**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم الأديباء** (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.

مقالات وأبحاث منشورة في المجلات والدوريات:

- (1) بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، مجموعة من باحثي المعهد العالمي للفكر الإسلامي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا ، 1418هـ / 1998م.
- (2) زرزار العياشي، غياد كريمة، المسؤولية الاجتماعية في الإسلام: قراءة في المنهج النبوي لقيادة المسؤولية الاجتماعية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 23، مارس 2017، منشورات جامعة عمار تليجي، الأغواط- الجزائر.
- (3) سعيد شبار، المصطلح: خيار لغوي وسمه حضارية، كتاب الأمة، العدد 78، رجب 1421هـ، السنة 20، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى 1421هـ-2000م.
- (4) سلطان العميري، تحرير موقف الصحابة من المرتدين، مجلة البيان، السنة 27، العدد 300، 1432هـ-2012م.
- (5) ظافر خضر سليمان، القسمة الثنائية للدار (دار الإسلام ودار الحرب) بين المجيز والمانع، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 10 - العدد 1، جامعة الموصل.
- (6) عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 8، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، الطبعة: الأولى، 1405هـ.
- (7) عوض عبد الهادي العطا، الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة 17، العددان 67-68، رجب- ذو الحجة، 1405هـ-1985م.
- (8) فائز صالح اللهبي، العلاقات الدولية في وقت الحرب في الفكر الإسلامي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السابع، العدد (2/14)، 1434هـ - 2013م.
- (9) فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية وال عمران، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند- فرجينيا - الطبعة الأولى 1434هـ-2013م.
- (10) فضل حسن عباس، الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الرابع، 1409هـ/1989م.
- (11) محمد أبو الفتح البيانوني، الأصول الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغيرهم في المجتمعات غير المسلمة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 6، محرم 1413هـ/يوليو 1992م.
- (12) محمد الناصري، التقسيم الإسلامي للمعمورة : من دار السلم والحرب إلى الدار العالمية، مجلة التفاهم، السنة العاشرة - العدد 37، صيف 1433هـ-2012م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط-سلطنة عمان
- (13) محمد بشير محمد البشير، القيم الحضارية : مفهوما وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية، مجلة دراسات دعوية، العدد 15 المحرم 1429هـ، يناير 2008م.
- (14) محمد رشيد رضا، حرية الدين وقتل المرتد، مجلة المنار، عدد رجب - 1340هـ مارس - 1922م، 23/ 185.
- (15) محمد عبد الفتاح الخطيب، قيم الإسلام الحضارية: نحو إنسانية جديدة، كتاب الأمة، العدد 139، رمضان 1431هـ، غشت 2010م، السنة 30، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة - قطر.
- (16) محمد عياد قريع، القيم الحضارية الخالدة في الدين الإسلامي، المجلة الجامعة - العدد السابع، 2005م.
- (17) محمد محمود كالو، فلسفة العُمران الحضاري من منظور قرآني، مجلة مقاربات، إصدار المجلس الإسلامي السوري، العدد الأول، محرم 1439هـ/ أكتوبر 2017م.
- (18) نايف الشريف، مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، مجلة الأحمدية، العدد الرابع، جمادى الأولى 1420هـ.
- (19) ياسر لطفي، الجغرافيا الفقهية للعالم: من صورة التاريخ إلى صورة الواقع المعاصر، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 45، 1427هـ-2006م.

الموسوعات والفتاوى :

- (1) العثيمين، محمد بن صالح: مجموع فتاوى ورسائل، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن - دار الثريا، الطبعة : الأخيرة - 1413هـ.
- (2) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.
- (3) الفتاوى الهندية، تأليف: لجنة من العلماء برئاسة نظام الدين البلخي، دار الفكر، الطبعة: الثانية، 1310 هـ.
- (4) المغراوي، محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية ، القاهرة - النبلاء للكتاب، مراكش، الطبعة: الأولى، دون تاريخ.
- (5) الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، برنامج المكتبة الشاملة- الإصدار الثالث.
- (6) الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من 1404 هـ - 1427هـ)، الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت.
- (7) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، المجلد الرابع، القرآن والإنسان، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1391 هـ - 1971م.

سادسا : فهرس الموضوعات

مقدمة:

- 1.....تمهيد
- 4.....موضوع البحث وإشكاليته
- 4.....دواعي اختيار الموضوع وأهدافه
- 7.....الدراسات السابقة
- 7.....المنهج المعتمد في البحث
- 10.....خطة البحث
- 11.....صعوبات البحث

الباب الأول: الدراسة المصطلحية لمفهوم الكفر

الفصل الأول : منهج الدراسة المصطلحية للمفاهيم القرآنية

المبحث الأول : مفهوم المصطلح القرآني وأهميته

- 13.....المطلب الأول : تعريف المصطلح وأهميته
- 15.....المطلب الثاني : تعريف المصطلح القرآني
- المبحث الثاني : أهمية الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم
- 16.....المطلب الأول : أهمية المصطلح القرآني
- 17.....المطلب الثاني : جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني
- 20.....المطلب الثالث : دواعي الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم

المبحث الثالث: منهج دراسة المصطلحات القرآنية من خلال مؤلفات الدكتور الشاهد البوشيخي

- 22.....المطلب الأول : مصادر منهج الدراسة المصطلحية
- 24.....المطلب الثاني : تعريف الدراسة المصطلحية وأركانها
- 26.....المطلب الثالث : دراسة المفاهيم القرآنية بمنهج الدراسة المصطلحية

الفصل الثاني : دلالة لفظ الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

المبحث الأول : الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح الكفر

- 29.....المطلب الأول : الدلالة اللغوية
- 32.....المطلب الثاني : الدلالة الاصطلاحية
- 33.....المطلب الثالث : العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

المبحث الثاني : تعريف الكفر في القرآن والحديث

- 35.....المطلب الأول: الدرس الوصفي لموارد لفظ الكفر في القرآن الكريم
- 1- إحصاء الموارد في القرآن الكريم:
- 2- تصنيف الموارد حسب ترتيب النزول:
- أ - في القرآن المكي:
- ب- في القرآن المدني:
- المطلب الثاني: الدرس الوصفي لموارد لفظ الكفر في الحديث الشريف
- المطلب الثالث: دلالات موارد لفظ الكفر في القرآن والحديث
- 1- ملاحظات عن حجم الورود:
- 2- تحليل معطى حجم الورود:
- 3- تحليل معطى شكل الورود:
- 4- دلالة مشتقات الكفر على الكفر الأكبر أو الأصغر:
- المطلب الرابع : تحليل المعاني والدلالات الجزئية لكل مورد
- المحصل في تعريف الكفر:
- ردود العلماء على الأشاعة والمرجئة في تعريفهم للكفر:

الفصل الثالث: خصائص مصطلح الكفر وصفاته في القرآن الكريم والحديث النبوي

تقديم: 84

المبحث الأول: في صفات مصطلح الكفر في القرآن والحديث.

- 1- الصفات المصنفة: 85
- 2- الصفات المبينة: 86
- 3- الصفات الحاكمة: 86

المبحث الثاني: صفات مصطلح الكفر في صيغته الأصلية (المصدر) من خلال القرآن والحديث

- 1) الكفر البواح: 87
- 2) أهل الكفر ملعونون: 91
- 3) الكفر ضلال عن صراط الله المستقيم: 94
- 4) الكفر أعظم إثماً ووزراً عند الله: 95
- 5) الكفر والطبع على القلوب: 96
- 6) الكفر محبط للعمل: 99
- 7) الكفر والتبعية الفردية (عاقبة الكفر تعود على الكافر وحده): 103
- 8) كفر الكافر غير مرضي لله تعالى: 103
- 9) الكفر متاع قليل: 104

الفصل الرابع: علاقات مصطلح الكفر في القرآن الكريم والحديث النبوي

- تقديم: 107
- 1- جدول علاقات مصطلح الكفر في القرآن الكريم: 107
 - 2- جدول علاقات مصطلح الكفر في الحديث النبوي: 109
- المبحث الأول: المفاهيم المتألفة مع الكفر

- المطلب الأول: الكفر والتكذيب في القرآن والحديث 110
- المطلب الثاني: الكفر والضلال 116
- المطلب الثالث: الكفر والصد عن سبيل الله 122
- المطلب الرابع: الكفر والاستهزاء 130
- المطلب الخامس: الكفر والفتنة 135
- المطلب السادس: الكفر والإعراض 142
- المطلب السابع: الكفر والجحود 148
- المطلب الثامن: الكفر والاستكبار 152

المبحث الثاني: علاقات التداخل

- المطلب الأول: الكفر والظلم 156
- المطلب الثاني: الكفر والشرك 161
- المطلب الثالث: الكفر والنفاق 168
- المطلب الرابع: الكفر والفسق 175
- المطلب الخامس: الكفر والردة 179

المبحث الثالث: المفاهيم المتضادة مع الكفر

- المطلب الأول: الإيمان 182
- المطلب الثاني: الهداية 194
- المطلب الثالث: الإسلام 202
- المطلب الرابع: الإحسان 206
- المطلب الخامس: التوحيد 209

الفصل الخامس: ضمانات مصطلح الكفر

212.....	تقديم:
213.....	المبحث الأول: ضمنية تبديل الكفر بالإيمان.
215.....	المبحث الثاني: ضمنية زيادة الكفر.
217.....	المبحث الثالث: ضمنية المسارعة في الكفر.
221.....	المبحث الرابع: ضمنية أئمة الكفر.
229.....	المبحث الخامس: ضمنية استحباب الكفر.
231.....	المبحث السادس: ضمنية كلمة الكفر.
234.....	المبحث السابع: ضمنية رأس الكفر.
237.....	المبحث الثامن: ضمنية آية الكفر.
241.....	المبحث التاسع: ضمنية أهل الكفر.
242.....	المبحث العاشر: ضمنية شعر الكفر.

الفصل السادس: المشتقات

المبحث الأول: دراسة مشتقات الفعل الماضي

243.....	المطلب الأول: صيغة { كَفَرُوا } في القرآن الكريم والحديث النبوي.
247.....	المطلب الثاني: صيغة { كَفَرَ } في القرآن الكريم والحديث النبوي.
250.....	المطلب الثالث: صيغة { كَفَرَتْ } في القرآن الكريم والحديث النبوي.
252.....	المطلب الرابع: صيغة { كَفَرْتُ } في القرآن الكريم.
252.....	المطلب الخامس: صيغة { كَفَرْنَا } في القرآن الكريم.
253.....	المطلب السادس: صيغة { كَفَرْتُمْ } في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دراسة مشتقات الفعل المضارع

254.....	المطلب الأول: صيغة { أَكْفَرُ } في القرآن الكريم.
254.....	المطلب الثاني: صيغة { تَكْفُرُ } في القرآن الكريم.
254.....	المطلب الثالث: صيغة { يَكْفُرُ } في القرآن الكريم والحديث النبوي.
256.....	المطلب الرابع: صيغة { نَكْفُرُ } في القرآن الكريم.
256.....	المطلب الخامس: صيغة { تَكْفُرُونَ } في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: صيغة فعل الأمر بالكفر في القرآن الكريم

258.....	المطلب الأول: صيغة { أَكْفُرُوا }.
258.....	المطلب الثاني: صيغة { أَكْفُرْ }.

المبحث الثالث: المشتقات الإسمية لمصطلح الكفر

259.....	المطلب الأول: صيغة المصدر المشتق { كُفُور } في القرآن الكريم.
260.....	المطلب الثاني: صيغة اسم الفاعل مفردا { كَافِر } في القرآن الكريم والحديث النبوي.
264.....	المطلب الثالث: صيغة جمع المذكر السالم { كَافِرُونَ } في القرآن الكريم.
270.....	المطلب الرابع: صيغة جمع التذكير { كُفَّار } في القرآن الكريم والحديث النبوي.

الباب الثاني: قضايا الكفر في إطار التفسير الموضوعي

الفصل الأول: أقسام الكفر وأحكامه

المبحث الأول: أقسام الكفر

276.....	المطلب الأول: أقسام الكفر باعتبار حكمه.
278.....	القسم الأول: الكفر الأكبر.
278.....	القسم الثاني: الكفر الأصغر.
281.....	المطلب الثاني: أقسام الكفر باعتبار بواعثه.
282.....	أنواع الكفر وأصوله ترجع إلى سبعة أنواع:
286.....	المطلب الثالث: أقسام الكفر باعتبار كونه أصليا أو طارئا.
287.....	النوع الأول: كفر أصلي.
287.....	والكفار الأصليون ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:
289.....	النوع الثاني: كفر طارئ وهو كفر الردة.

المبحث الثاني: أحكام الكافرين في الدنيا والآخرة

291.....	المطلب الأول: أحكام الكافر في الآخرة.

294.....	المطلب الثاني: أحكام الكافر الأصلي في الدنيا.
	أولاً : أهل العهد
294.....	الذميون
298.....	أهل الهدنة
299.....	المستأمنون(أهل الأمان)
302.....	ثانياً: أهل الحرب
308.....	المطلب الثالث: حكم الكافر المرتد والرد على الشبهات المثارة حوله.
320.....	استتابة المرتد:
322.....	خطورة أمر الردة والحذر منها:
	الفصل الثاني: أحكام التكفير وضوابطه
	المبحث الأول: التكفير المطلق وتكفير المعين
325.....	المطلب الأول: التحذير من التكفير.
330.....	تكفير الكافر من أصول الاعتقاد:
333.....	المطلب الثاني: التكفير حكم شرعي
335.....	المطلب الثالث: الفرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين.
	المبحث الثاني: ضوابط التكفير وشروطه وموانعه
339.....	المطلب الأول: ضوابط وقواعد في مسألة التكفير
346.....	المطلب الثاني: شروط وموانع التكفير.
347.....	أولاً: الجهل.
349.....	ثانياً: الخطأ.
350.....	ثالثاً: الإكراه.
351.....	رابعاً: التأويل.
353.....	المطلب الثالث: قضية التكفير في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله.
	الفصل الثالث : منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين
	المبحث الأول: سماحة الإسلام، ومظاهر الإنسانية فيه
359.....	المطلب الأول: الإسلام دين الرحمة العامة.
361.....	صور من الرحمة النبوية بالكافرين:
364.....	المطلب الثاني: مظاهر التسامح والتعايش مع غير المسلمين.
365.....	حفظ الكرامة الإنسانية
368.....	عدم الإكراه على الإسلام.
371.....	حق الحماية والأمن (من الاعتداء الخارجي والظلم الداخلي).
373.....	الحق في عصمة دماهم وأموالهم وأعراضهم:
374.....	حق العدل والمساواة.
376.....	البر والإحسان(المعاملة الحسنة).
	المبحث الثاني: الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم
381.....	المطلب الأول: الغاية من تشريع الجهاد.
386.....	كلمة حول مصطلح الإرهاب:
	المطلب الثاني: التقسيم الفقهي للعالم بين الماضي والحاضر
391.....	أ - تقسيم العالم عند جمهور الفقهاء(دار الإسلام ودار الكفر)
398.....	ب - تقسيم العالم عند الفقهاء المعاصرين.
402.....	المطلب الثالث: أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم.
403.....	القول الأول : مذهب جمهور الفقهاء
407.....	القول الثاني : مذهب المعاصرين
410.....	القول الثالث: علاقة المسلمين بغير المسلمين "علاقة دعوية "
	الفصل الرابع: حاجة البشرية إلى رسالة الإسلام الحضارية العالمية
	المبحث الأول : إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
413.....	المطلب الأول: دين الله واحد.
418.....	المطلب الثاني: واجبتنا نحو دين الله.
420.....	المطلب الثالث: منهج الدعوة إلى الدين العالمي.

المبحث الثاني: خصائص رسالة الإسلام الحضارية

المطلب الأول: خصائص رسالة الإسلام.....	424
1-الربانية:.....	426
2-الشمول:.....	429
وصفٌ بليغ لشمول الشريعة الإسلامية ونظمها.....	430
3-العالمية (العموم) :.....	431
4-الوسطية(التوازن):.....	434
5-الايجابية :.....	438
6- الجمع بين الثبات والمرونة :.....	440
7- الفطرية:.....	444
المطلب الثاني: القيم الحضارية في رسالة الإسلام.....	450
(1) التعريف بمصطلحي القيمة والحضارة:.....	450
(2) القيم الحضارية في رسالة الإسلام:.....	454
أولا : القيم الروحية.....	455
ثانيا: القيم العقلية.....	458
ثالثا: القيم الاجتماعية.....	460
رابعا: القيم الإنسانية.....	466

المبحث الثالث : حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية للإسلام

المطلب الأول : أزمة الحضارة الغربية وآثارها السينة على البشرية.....	476
المطلب الثاني: دور الأمة الرسالي.....	482
الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.....	485
فهرس الآيات القرآنية.....	490
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....	522
فهرس الأبيات الشعرية.....	527
فهرس الأعلام المترجم لهم.....	528
فهرس المصادر والمراجع.....	529
فهرس الموضوعات.....	554